سلسلة: شراب التسنيم مع النبي الكريم ﷺ

وامحمداه ﷺ

« إن شانئك هو الأبتر »

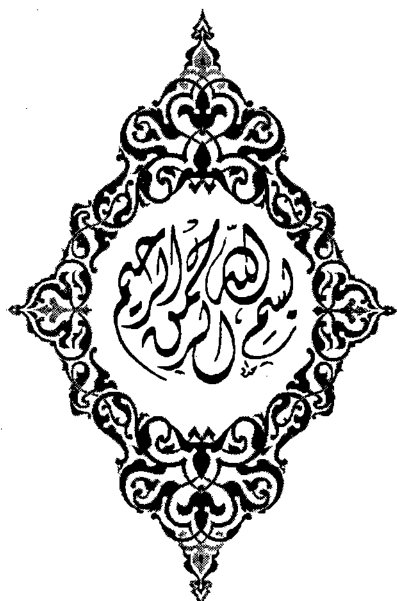
تأليف

الدكتور سيد بن حسين العفاني

المجلد الرابع

الناشر

دار العفانى


بسم الله الرحمن الرحيم

وامحمداه ﷺ

« إن شانئك هو الأبتر »

المجلد الرابع

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

رقم الإيداع	٢٠٠٦/٢٢٦٩١

دار العفاني

٣درب الأتراك خلف الجامع الأزهر - القاهرة

ت/٠٢/٥١٠٨٢٥٧ ـــ ت/٠١٢/٥٧٧٥٧١١

فرع بني سويف - برج الري - حي الرمد - بجوار مجمع المحاكم - بني سويف

ت/٠٨٢/٢٣١٧٣٤٤

بَل هي حَرْبٌ
على الرسول ﷺ والإسلام

الصليبي سمير جعجع، قائدُ القوَّات الصَّليبيَّة بلُبنانَ يَسُبُّ الرسولَ ﷺ والمسلمين

تَقدَّمت المحاميةُ «ميُّ الخنساء» ببلاغٍ إلىٰ النائب العام اللبنانيِّ، تُطالب فيه بالتحقيق مع كُلٍّ من «سمير جعجع» قائدِ القوَّاتِ اللبنانيَّةِ المسيحيَّة، والمسؤولين عن موقعِ القوَّات علىٰ الإنترنت، لنشرهم مقالاً يتضمَّنُ سِبَابًا مُقْذِعًا للمسلمين سُنَّةً وشيعةً وللرسول ﷺ، وهاجم المقالُ ـ الذي حَصلت «الأهرامُ العربي» علىٰ نُسخةٍ منه «حسن نصراللَّه» الأمينَ العامَّ لحزب اللَّه، ووَصَفه بالكاذِبِ والمخادع، وأنه يضحكُ علىٰ المسلمين بادِّعاءِ أنه قادرٌ علىٰ محاربةِ إسرائيل، متناسِينَ أن إسرائيل قادرةٌ علىٰ إبادةِ كلِّ العرب، وعلىٰ تدميرِ السدِّ العالي لإغراقِ مصر، وعلىٰ تدميرِ «طِهران»، وعلىٰ الوصولِ إلىٰ غرفةِ نومِ الرئيس السوري «بشَّار الأسد»!!.

ووَصَف المقالُ المسلمينَ سُنَّةً وشيعةً بأَنَّهم «مهابيل»، وأنهم كائناتٌ لم تَصِلْ بعدُ إلىٰ درجةِ «القِرْد» علىٰ مِقياس «دارون».

كما وُصف الرسولُ ﷺ بألفاظٍ نَعِفُّ عن إعادةِ نشرِها.

□ وخَتَم القول: «إنَّ الخداعَ الذي يُمارسُه «حسن نصراللَّه» وحزبُه علىٰ هؤلاء المساطيلِ يُعتَبَر تافِهًا إذا ما قُورِن بأساطير محمد بن عبداللَّه».

«ميُّ الخنساء» أوضحت للأهرم العربي أن المقالَ منشورٌ علىٰ موقعِ القوَّات اللبنانية« www.Lebanese - forces.org»، وهو يُمثِّلُ جريمةً طبقًا لقانونِ العقوبات اللبناني، وقد طَلبت في البلاغ المقدَّمِ منها بتوقيف «جعجع» والمسؤولين عن الموقعِ وإحالتِهم إلىٰ المحاكمة أمام القضاء

المُخْتَصِّ، ومطالبتهم بدفعِ تعويضٍ مِئةِ مليون دولار، يتمُّ توزيعُ ٨٠٪ منه علىٰ عائلاتِ شُهداءِ وأسرىٰ المقاومة، و١٠٪ يُسَلَّم لدار الفتوىٰ، ومثلُها إلىٰ المجلس الشيعيِّ الأعلىٰ، تُخصَّصُ لطباعة كُتبٍ عن سيرة الرسول الأكرم ﷺ»(١) .

□ وقبل «سمير جعجع» بعشراتِ السنين كانت الحربُ اللبنانيةُ الصليبية العاشرةُ.

* الحرب الصليبية العاشرة:

سمَّاها بهذا الأستاذ «أحمد بهاء الدين» (العربي ـ العدد ٢١٣ ـ أغسطس ١٩٧٦) حربٌ شاب لهولها الأطفالُ من المسلمين، قَدَّمت أكثرَ من خمسينَ ألفًا من القتلىٰ ـ تسعون في المئة منهم من المسلمين ـ، وثَلاثمِئةِ ألفِ جريح، وهم ألوفٌ لم يَخسرِ العربُ مجتمِعين نِصفَهم في حروبهم الأربع مع إسرائيل! .

صليبية. . . سلوكُ أوغادِها ومجرميها من المارون صليبي، تفكيرُهم صليبي، حُلْمُهم صليبي. . أسفروا عن وجوهِهِم الكالحة، وباطنُهم العفنُ يقودُهم:

١ ـ «حزبُ الكتائبِ اللبنانيِّ» الذي يتزعمه «بِيير الجميل»(٢) ، و«بَشير الجميل».

□ يقول «بيير الجميل»: «إنَّ مهمةَ الكتائِب في لبنانَ مهمةٌ رسوليَّة».

(١) مجلة «المختار الإسلامي» (العدد ٢٨٧) غرة رجب ١٤٢٧هـ ـ ٢٦ يوليو ٢٠٠٦م ـ كلمة المحرر تحت عنوان «موقع لسمير جعجع يسبُّ الرسول والمسلمين».

(٢) وقد ذهب قريبًا إلىٰ ربِّه ليجد عاقبة عمله كاملةً.

٢ ـ «تنظيمُ النمور» يقودهم «كميل شمعون» رأسُ الأفعىٰ المارونيَّة.

□ صَرَّح هذا القَذِرُ للصحفي «جي سيتون» مندوبِ «نوفيل ابرز فاتور» الفرنسية قائلاً: «يوجد في شَرْقِنا هذا فئتانِ من المسيحيين، المسيحيون الأحرار الذين لم يَقبلوا أبدًا بأن تكونَ لأحدٍ سُلطةٌ عليهم، والمسيحيون الآخرون الذين خَضعوا للخلفاءِ المسلمين، وأدَّوا الجزيةَ في سبيلِ البقاء علىٰ قَيد الحياة، وهؤلاء الذين يرفضون الحمايةَ الإسرائيليةَ جُزءٌ من هذه الفئة الثانية، فهم ليسوا من العِرْقِ اللبناني، وإنني أعتقدُ بأننا ـ علىٰ الأقل ـ يهودٌ مِثلُهم» (نقلاً عن الجمهورية ـ القاهرة ـ ٦/ ٨/ ١٩٧٨م)[١].

٣ ـ «جبهة حُرَّاسِ الأَرْزَ»، وهي الجَناحُ العسكريُّ لحزب «الطليعة التبادعية» الذي يقودُه الشاعرُ الصليبيُّ الكارهُ للإسلام «سعيد عقل».

٤ ـ «حزب التحرير الزغرتاوي» يقودُ جيشَه «طوني سليمان فرنجية».

٥ ـ «الرابطة المارونية».

٦ ـ «فتيات مارون».

٧ ـ «فتيان مار نهرا».

٨ ـ «جبهة الموت لأعداء مارون».

المارون تحالَفوا من المسيحيين القادمين من أُوربَّا في القرون الوسطىٰ خلالَ الحربِ الصليبيةِ، وهم الآنَ ألدُّ أعداء المسلمين. يُشكِّلون نسبة ١٧٪ من سُكَّان لبنان، ويُشكِّلُ المسلمون المستضعَفون ٦٥٪ من سكان لبنان.

---

(١) «الحرب الصليبية العاشرة» لحلمي محمد القاعود (ص١٥٢) ـ دار الاعتصام.

☐ صليبيُّون حتىٰ النخاع . . . «سعد حدَّاد» و«سامي شِدْياق» وهما يقومانِ بعمليةِ تصفيةٍ للمسلمين في جنوب لبنان، والاتصالِ الدائمِ مع «مِناحم بيجين» رئيس الوزراء الإسرائيلي في ذلك الوقت، والأبِ «شربيل القَسِّ» أو «الأباتي شربيل» كما يطلقون عليه في لبنان، هو أكثرُ تعبيراً عن صليبيتِهِ، وله الزياراتُ المتكرِّرةُ إلىٰ الفاتيكان، وسافَرَ إلىٰ إسرائيل عن طريق قبرص، واجتمع بالمسؤولين الإسرائيليين، وحَصَل منهم علىٰ كميَّاتٍ من الأسلحة والذخائرِ، كما حَصَل علىٰ مُساعَداتٍ ماديةٍ قُدِّرت بثلاثةِ ملايين دولار، فحوَّل الأديرةَ في جبال لبنان إلىٰ ترسانةِ أسلحة، وقام بتدريب سبعةِ آلافِ راهبِ مارونيٍّ، اشتركوا في القتال في الحربِ الصليبيةِ العاشرةِ العنيفةِ الشرسةِ والضاريةِ في لبنانِ[1] .

☐ وتبقىٰ مذابحُ مخيَّمِ «تل الزعتر» في شهر يوليو ١٩٧٦ دليلاً فاضحًا علىٰ الجرائمِ البشعةِ للمارون ضدَّ المسلمين . . لقد ظل المُخَيَّم صامدًا مدةَ ثلاثةٍ وخمسين يومًا، بعد أن صَدَّ سبعين هجومًا عنيفًا تحت أقسىٰ الظروف . . وبعد سقوطِ المخيَّم كانت المذابحُ المروِّعةُ . . الموارنة ومعهم جيشُ «حافظ الأسد» الخائن، وتنضمُّ إليهم منظمة «أمل» الشيعيَّة .

☐ قال «حافظ الأسد» لكمال جنبلاط : «لن نسمحَ لكم أن تتغلَّبوا علىٰ الانعزاليين أبدًا . . فقال له جنبلاط : إنهم أعداء العروبة والإسلام! قال الأسد: هذا لا يَمنعُ من أننا سنمنعُكم بالقوةِ من أن تَنتصروا علىٰ الانعزاليين»[2] .

---

(١) نفس المصدر السابق (ص٣٤).

(٢) «الحرب الصليبية العاشرة» (ص٧٤)، ومجلة الإذاعة والتليفزيون ٢/ ١٠/ ١٩٧٦ .

□ سوف نتوقَّفُ لحظاتٍ عند المَجزرة التي قادتها الكتائبُ والمارون يومَ ٧ ديسمبر ١٩٧٥، والتي أُطلق عليها مذبحة «السبت الدامي» - (راجع «روزاليوسف»، رسالة عاجلة من بيروت بقلم «بكر الشرقاوي» - العدد ٢٤٨١ - بتاريخ ٢٩/ ١٢/ ١٩٧٥).

فقد تمَّ في هذا اليومِ وخلالَ دقائقَ قليلةٍ ذَبحُ ٣٠ مسلمًا - كما تُذبح الشاة - في قلب الشوارع، وقد كان المارون يسألون مَن يَمرُّ بهم قبلَ هذه المذبحة عن دينه، فإذا عَرفوا أنه مسلم قالوا له: «سُبَّ ربَّك». . فإذا سَبَّ اللّهَ وهو في رُعبٍ شديدٍ، عادوا وقالوا: «سُبَّ محمداً نبيَّك». . فإذا سَبَّ - وكان سبُّه مُقذِعًا وفاحشًا في كلِّ ما طُلب منه -، أعتَقوه وجعلوه يَمرُّ!.

هذا ما كان يحدثُ أيامَ الهدوء النسبيِّ - كما يَذكُرُ مراسلُ «روزاليوسف». .

أمَّا ما حدث بعد ذلك في يوم «السبت الدامي»، فتقشعرُّ له الأبدان:

□ على سبيل المثال:

- أمٌّ عجوزٌ كانت تعبرُ الشارع مع ابنها، التقطوه وذبحوه أمامَها مِن الوريد إلى الوريد؛ ولم يرحموا ضراعتها!.

- زوجةٌ مسلمةٌ صغيرةُ السنِّ، اصطادوها هي وزوجَها، بَقَروا بطنَه وفقؤوا عَينيه، ثم أجهزوا عليه بضربةٍ بَلطةٍ فوقَ رأسه، ثم عادوا واستداروا لها وغَمَدوا «السونكي» في فَرجِها من فوقِ ملابسها وقالوا لها: «هاي ليكي يا مسلمة»!.

- ولدٌ كتائبيٌّ (١٦ سنة) راح يَدفعُ أمامَه رجلاً مسلمًا وهو يوجِّه الرشَّاشَ إلى بطنِه. . سَقط الرجلُ على الأرضِ بعد أن تعثَّر من الرعب،

أمسك هذا الصبيُّ الرجلَ من شعره، وسَحَب سكيِّنا طويلاً من حِزامه، وراح يذبحُ الرجلَ من رقبتِه حتىٰ تمكَّن من فصلها في النهاية أمام «سينما ريفولي» بساحة البرج!!.

- إحراق المصاحف.. فقد كانت سيارةٌ متوجِّهةٌ إلىٰ سورية علىٰ الطريق الدولي في منعطفِ «عاريًّا»، وتَحمِلُ مصاحفَ مطبوعة، أوقَفَها الكتائبيون، وقَلَبوا المصاحفَ علىٰ الأرض، وأشعلوا فيها النار بعد ذَبحِ سائقها![1].

وسَجَّلت كلُّ وكالاتِ الأنباء إمدادَ إسرائيلِ بالسلاحِ للمارون والكتائب.

وذَكرت وكالةُ الأنباء الفرنسيةِ في نبإٍ عاجلٍ لها من لبنان: أن من المرتزَقة الأقباط المصريين كانوا يَعملون في صفوفِ قوات «حزب الوطنيين الأحرار» برئاسة «كميل شمعون».

ولك أن تتخيَّلَ أن القواتِ السوريةَ الخائنةَ للّه ورسوله التي قاتَلت بجانبِ المارون، كانت أربعين ألفَ رجل ومعهم سَبْعُمئةِ دبَّابةٍ، وأن نفقاتها يوميًّا علىٰ الأقل كانت مليون دولار، تُساندُ (١٥,٠٠٠) من قوات المارون الصليبين، و(١٢,٠٠٠) مقاتلٍ من قوات الجيش اللبناني الرسميِّ بقيادة العميد «حنَّا سعيد» انضمَّت أغلبيتُّها إلىٰ الجبهة الصليبية.

□ يقول كميل شمعون: «لا خلاص لأحداثِ لبنان ووقفِ القتال، سوىٰ إخراجِ الفلسطينيين من لبنان، وقتل من يتبقَّىٰ منهم، وإقامةِ لبنان الحر

(١) «الحرب الصليبية العاشرة» (ص٢٥-٢٦).

الذي لا ينتمي لا للعروبة ولا للإسلام».

* كلهم البابا «أوربان الثاني»:

كلُّ صَلِيبيٍّ هنا في أرض العرب لا يَقلُّ عن البابا «أوربان الثاني» و«بطرس الناسك كيو كيو» - أي: الضئيل كما كان مواطنوه يُسَمُّونه - و«والتر المفلس»، كلُّهم يَحملُ حقدًا رهيبًا للإسلام.

يذكرُ التاريخ أن «بطرس الناسك» اجتَمع بشمعون بطريَرك القدس، وشكى شمعونُ أحوالَ المسيحيين[1]، وأجابه بطرسُ قائلاً: «اعلمْ - أيها الأبُ المقدَّس - أنه لو كان لدى الكنيسةِ في روما والملوكِ في الغرب أيُّ مُخبِرٍ حَذِرٍ وموثوقٍ يُخبِرُهم بالمصائبِ التي تُكابدونها[2]، لكانوا سيحاولون حتمًا تقديمَ العلاج بالسُّرْعةِ الممكنةِ وبالقولِ والفعلِ لمصاعبكم هذه، ولذلك اكتُبْ أنت بكلِّ اجتهادٍ إلى البابا العظيم وإلى الكنيسة في روما، واكتبْ أيضًا إلى ملوكِ وأمراءِ الغرب، وصادِقْ على الرسالة بخاتَمِ سُلطانِك الكهنوتي، وبالحقيقة - إنني لمداواةِ رُوحي - لن أتوانَى عن الاضطلاعِ بهذه المهمة»[3].

وهكذا كتب بطريرك القدس الخائنُ الرسالةَ، وسلَّمها لبطرس الناسك الذي سَلَّمها بدوره للبابا أوربان الثاني.

---

(١) على حدِّ زعمه الباطل الذي يُصوِّره «وليم» رئيس أساقفة «صُور» وكبير مستشاري ملك القدس في كتابه «تاريخ الحروب الصليبية» (ص١٦٣).

(٢) وهذا كذب.

(٣) «تاريخ الحروب الصليبية» (ص١٦٤).

□ ودعا البابا أوربانُ الثاني الجماهيرَ الصليبيةَ وخَطَبهم في مؤتمرهم وهو على بابِ كنيسة «كليرمون» في نوفمبر (١٠٩٥م - شوال ٤٨٨هـ) قائلاً: «يا شعبَ الفرنجة! شعبَ اللَّهِ المحبوبَ المختار، لقد جاءت من تُخومِ فلسطين، ومن مدينة القسطنطينية أنباءُ مُحزِنةٌ تُعلِنُ أنَّ جنسًا لعينًا - أبعدَ ما يكونُ عن اللَّه - قد طَغَىٰ وبَغَىٰ في تلك البلادَ - بلادِ المسيحيين -، وخَرَّبها بما نَشَره فيها من أعمالِ السَّلْب والحرائق، ولقد ساقوا بعضَ الأسرىٰ إلىٰ بلادهم وقَتلوا بعضَهمُ الآخَرَ بعد أن عَذَّبوهم أشنَعَ تعذيب، وهم يَهدِمون المذابحَ والكنائسَ بعد أن يُدنِّسوها برِجْسِهم، ولقد قطَّعوا أوصالَ مملكةِ اليونان، فانتزعوا منها أقاليمَ بَلَغ من سَعَتِها أن المسافرَ فيها لا يستطيعُ اجتيازَها في شهرَينِ كامِلَيْن.

عَلَىٰ من تقعُ تَبِعةُ الانتقامِ لهذه المظالم، واستعادةِ تلك الأصقاعِ، إذا لم تَقَعْ عليكم أنتم؟! أنتم يا مَنْ حباكم اللَّهُ - أكثَر من أيِّ قومٍ آخرين - بالمجدِ في القتالِ وبالبسالةِ العظيمة، وبالقدْرة علىٰ إذلالِ رؤوسِ مَن يقفون في وجوهكم؟!.

ألاَ فليكنْ من أعمالِ أسلافكم ما يُقوِّي قلوبَكم - أمجاد شارلمان وعظمته، وأمجاد غيرِه من ملوككم وعظمتهم -، فليُثِرْ همَّتكم ضريحُ المسيح المقدَّس ربِّنا ومُنقذِنا، الضريحُ الذي تمتلكُه الآن أممٌ نجسةٌ، وغيرُه من الأماكنِ المقدَّسة التي لُوِّثت ودُنِّست، لا تَدَعوا شيئًا يقعدُ بكم عن أملاككم أو من شؤون أُسَرِكم، ذلك بأن هذه الأرضَ التي تسكنونها الآن - والتي تُحيطُ بها من جميعِ جوانبها البحارُ وقُلَلُ الجبالِ - ضيِّقةٌ لا تتَّسعُ لسكَّانها

الكثيرين، تكادُ تَعجزُ عن أن تجودَ بما يكفيكم من الطعام، ومِن هذا يَذبحُ بعضُكم بعضًا، ويَلتهمُ بَعضُكم بعضًا، وتتحاربون ويَهلِكُ الكثيرون منكم في الحروب الداخلية.

طهِّروا قلوبكم إذنْ من أدرانِ الحقد، واقْضُوا على ما بينكم من نزاعٍ، واتخِذوا طريقَكم إلى الضريحِ المقدَّس، وانتزِعوا هذه الأرضَ من ذلك الجنسِ الخبيثِ، وتملَّكوها أنتم، إنَّ «أورشليم» أرضٌ لا نظيرَ لها في ثِمارِها، هي فردوسُ المباهِج.

إن المدينةَ العظيمةَ القائمةَ في وسط العالم تَستغيثُ بكم أنْ هُبُّوا لإنقاذها، فقوموا بهذه الرحلةِ راغبين متحمِّسين، تتخلَّصوا من ذنوبكم، وثِقوا أنكم ستنالون من أجلِ ذلك مجداً لا يَفْنىٰ في السماوات»[1].

◻ يقول «وليم» - رئيسُ أساقفةِ «صور» - في كتابه «تاريخ الحروب الصليبية» بعض ما جاء في موعظة البابا - حسب روايته -: «إنَّ مَهْدَ عقيدتِنا وموطنَ ربِّنا وأُمَّ الخلاص يَستولي عليها الآن بكلِّ قوةٍ شعبٌ بدون ربٍّ، إنه ابنٌ لجاريةٍ مصرية[2]، وهو يفرضُ شروطًا مفرِطةً في شدَّتها على الأبناءِ الأسْرىٰ للمرأةِ الحُرَّة[3]، وذلك على الرَّغْمِ من أنه هو المستحِقُّ لهذه الأحوال.

---

(١) انظر «قصة الحضارة» لول ديورنت (١٥/ ١٥ - ١٦) الترجمة العربية بقلم محمد بدران، وكتاب «وثائق الحروب الصليبية» للدكتور محمد ماهر حمادة - مؤسسة الرسالة.

(٢) أي: المسلمون باعتبار أن أمهم هاجر أم إسماعيل عليه السلام.

(٣) أي: سارة رضي الله عنها أم إسحاق عليه السلام.

لقد اضطَّهد عرقُ السراسنة(١) الشِّريرُ التابعُ للمعتقداتِ الخُرافيَّة(٢) النَّجِسةِ ـ لسنواتٍ عديدةٍ وبكلِّ عُنفٍ واستبدادٍ ـ الأماكنَ المقدَّسةَ حيث ارتكزت أقدامُ ربِّنا، وأخضعَ المؤمنين لرغباته، وحَكَم بالعبودية عليهم، ولقد دَخلت الكلابُ الأماكنَ المقدَّسةَ، وجَرىٰ تدنيسُ المقدَّسات، وإذلالُ الناسِ عَبَدةِ الربِّ.

إنَّ معبدَ الربِّ الذي طَرَد منه ـ بغَيرته ـ الذين باعوا واشتَرَوا، حتىٰ لا يُصبحَ بَيتُ أبيه مَغَارةً للصوص، قد جُعِل بيتًا للشياطين.

إن مدينةَ مَلِكِ الملوك التي نَقلت إلىٰ الآخَرين مبادئَ عقيدةٍ عصماءَ، تُدْفَع علىٰ الرَّغم من إرادتها لتكونَ خاضعةً لدعاوىٰ الشعوبِ المُنْحطَّة.

كما أن «كنيسةَ القيامة» المقدَّسة ـ مكانَ الاستراحةِ الأخيرة للرب النائم ـ!! تتحمَّل حُكمَهم، وقد دنَّستها قذارةُ الذين ليس لهم نصيبٌ في القيامة(٣) ، بل مُقدَّرٌ عليهم أن يُحرَقوا للأبدِ كالقَشِّ بأَلسِنةِ النيرانِ السَّرمَدية.

لِنذهبْ إلىٰ نجدةِ إخوانِنا، لِنقطعْ قيودَهم، ولْنَطرحْ عنهم رَبْطَهم، اذهبوا ولْيكنِ الربُّ معكم، وجِّهوا أسلحتَكم التي لطَّختموها بشكلٍ محرَّمٍ في ذبح بعضِكم بعضًا إلىٰ أعداءِ العقيدة وأعداءِ اسم المسيح.

عليكم أن تكبَحوا بكراهيةٍ قويمةٍ غطرسةَ الكَفَرة(٤) الذين يُحاولون

(١) أي: العرب المسلمون.

(٢) يقصدون بذلك الإسلام.

(٣) يعني: المسلمين.

(٤) أي: المسلمين.

استعباد الممالكِ والإماراتِ والقُوىٰ، وأن تُهاجِموا بكُلِّ قوَّتِكم أولئك العاقـدي العزمَ علىٰ تدميرِ الاسم المسيحي، وإلاَّ فسيحدثُ أن كنيسةَ الربِّ - التي تُكابِدُ الآنَ من نيرِ العبوديَّة المُجحِفة - ستُعاني خلالَ فترةٍ قصيرةٍ من خَسارةِ العقيدةِ، وستنتصرُ خرافاتُ الوثنيِّين[1] . . ولقد رأىٰ بعضُكم بأُمِّ عينيه هذه الأشياءَ التي نتحدَّثُ عنها الآن، ويَعرفُ نوعَ المِحنةِ التي يَعيشُ إخوانُنا فيها، وإنَّ كتابَهم الذي أحضَرَه باليد «بُطرس» الرجلُ المُبَجَّل الموجودُ معنا هنا ينطِقُ بمحتوىٰ هذه الرسالة ذاتها.

وبنـاءً عليه نقومُ واثِقـين برحمـةِ الربِّ، وبسـلطانِ الرُّسُـل المبارَكين - بطرس وبولس - بمَنحِ المسيحيين المؤمنين الذين يَحمِلون السِّلاحَ ضد المُلحدين[2] ، ويتولَّون للقيام بأعباءِ هذا الحجِّ مغفرةً للعقوباتِ المفروضةِ عليهم بسببِ خطاياهم، ولْيَثِقِ الذين سيَرحلون إلىٰ هناك بتوبةٍ صادقةٍ أنهم سيُلاقون التكفيرَ عن آثامِهم، وسيَجْنُون ثمارَ الجزاءِ السَّرْمَديِّ، ونضع في الوقتِ نفسِه تحتَ حمايةِ الكنيسةِ وحمايةِ بطرسَ وبولسَ المباركَيْنِ جميعَ الذين سيُباشِرون هذه المهمَّةَ بحماسةِ الإيمان ويتولَّون قتالَ المُلحِدين».

□ يقول أسقُف صور: «ويمكن القولُ بالفعل بأن قولَ الربِّ كان يتحقَّقُ حيث يقول: «ما جئتُ لأُلقيَ سلامًا بل سيفًا»[3] .

فماذا فعل الصليبيون بأتباعِ محمدٍ ﷺ في الحملةِ الصليبية؟!.

---

(١) يعني المسلمين.

(٢) يقصد المسلمين.

(٣) «تاريخ الحروب الصليبية» (ص١٦٩ - ١٧٣).

عندما دخلوا «أنطاكية» عام ٤٩١هـ قَتلوا وأسَرُوا وسَبَوْا ما لا يدركه حَصْرٌ[١].

❑ يقولُ صاحب كتاب «أعمال الفرنجة»: «إن الإنسانَ لم يكن يَسيرُ في الطرقات إلاَّ على الجثث، وقد تَعفَّنت كلُّها تحتَ شمسِ يونيو وحرارته»[٢].

❑ وعندما هاجموا «معرَّةَ النُّعمان» سنة ٤٩١هـ، واضطُرَّ أهلُها للاستسلام مقابلَ أمانٍ أخذوه، غدر الفرنجةُ بأهلها، ونَهَبوا ما وجدوه، وقُدِّر عددُ القتلى من المسلمين بأكثرَ من عشرينَ ألفًا، بينما يُقدِّرُهم ابنُ الأثير بمئة ألف»[٣].

❑ **أما في بيت المقدس:**

فقد فاقت وحشيَّتُهم كلَّ وصف، ارتكبوا فيها ما قد استنكره مؤرِّخو الإفرنج أنفسُهم.

❑ روى شاهدُ عيانٍ منهم ما فَعله قومُه عندما دخلوا بيت المقدس، فقال: «إن النساءَ كُنَّ يُقتَلْن طعنًا بالسيوف والحِراب، وكان الأطفالُ يُختَطَفون بأرجُلهم من أثداءِ أمَّهاتهم، فيُقذَف بهم من فوقِ الأسوار، أَوْ تُهَشَّمُ رؤوسهم بدقِّها بالأعمدة، وذُبح سبعون ألفًا من المسلمين الذين بَقُوا في المدينة»[٤].

---

(١) «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي (ص١٣٥).

(٢) «نور الدين محمود» لحسين مؤنس (ص٥٩).

(٣) «الكامل في التاريخ» (٨/ ١٨٧).

(٤) «قصة الحضارة» (٤/ ٢٥) لول ديورانت ـ ترجمة محمد بدران ـ طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٧م.

◻ وذَكَر الراهبُ «روبرت» بيتَ المقدس بعد فتحها فقال: «كان قومُنا يَجُوبون الشوارعَ والميادينَ وسُطوحَ المنازل؛ ليَرْوُوا غَلِيلَهم من التقتيل، كانوا كاللبؤات التي خُطِفت صِغارُها، يَذبحون الأولاد والشُّبانَ والشيوخَ، ويُقطِّعونهم إرَبًا إرَبًا.

كانوا يَشنُقون أُناسًا كثيرين بحبلٍ واحد بُغيةَ السرعة، ويا للغرابة أن تُذبح تلك الجماعةُ الكبيرةُ المسلمة بأمضى سلاحٍ، من غيرِ مقاومة!!.

كان قومُنا يَبقُرون بطونَ الموتى، ليُخرجوا منها قطعًا ذهبية، فكانت الدماءُ تَسيلُ كالأنهار في طرقِ المدينة المُغطَّاة بالجثث»[1].

◻ قال ابنُ الأثير: «قَتلوا بالمسجد الأقصى ما يَزيدُ على سبعين ألفًا، منهم كثيرٌ من أئمةِ المسلمين وعلمائِهم وعُبَّادِهم وزُهَّادهم ممن فارَقَ الأوطان، وجاوَرَ ذلك الموضعَ الشريف»[2].

◻ يقول «وليم» أسقف صور: «لقد كان بالفعل حُكمُ اللَّهِ القويمُ[3] الذي قَضَى على الذين دَنَّسُوا حَرَمَ المسيح بطقوسهم الخرافية، وجَعلوه مكانًا غريبًا بالنسبة لأهلِه المؤمنين: أن يُكفِّروا عن خطاياهم بالموت، وأن يُطهِّروا الأَرَوِقةَ المقدَّسةَ بسَفكِ دمائهم.

وبات من المحالِ النظرُ إلى الأعدادِ الكبيرة للمقتولين دونَ هَلَع، فقد انتَشرت أشلاءُ الجثثِ البشرية في كل مَكان، وكانت الأرضُ ذاتُها مُغطَّاةً بدمِ القتلى، ولم يكن مَشهدُ الجثثِ التي فُصلت الرؤوسُ عنها والأضلاعِ

(١) «حضارة العرب» لغوستاف لوبون (ص٣٢٥).
(٢) «الكامل في التاريخ» (٨/ ١٨٩).
(٣) بل هو - واللَّهِ - حُكمُ الشيطان الرجيم.

المبتورةِ المتناثرة في جميعِ الاتجاهات هو وحدَه الذي أثارَ الرعبَ في كلٍّ مَن نظر إليها، فقد كان الأرهبُ من ذلك هو النظرُ إلىٰ المنتصرين أنفسهم وهم مُلَطَّخون بالدم من رؤوسهم إلىٰ أقدامهم. . إنه منظر مشؤوم جَلب الرعبَ لجميعِ مَن واجهوه»(١) .

◻ يقول «وليم» أسقف صور: «طاف بَقيَّةُ الجنودِ خلالَ المدينة بحثًا عن التعساء الباقين علىٰ قَيد الحياة، والذين يُمكنُ أن يكونوا مختبئين في مداخلَ ضيِّقةٍ وطرقٍ فرعيَّةٍ للنجاة من الموت، وسُحِبَ هؤلاء علىٰ مرأىٰ من الجميع، وذُبِحوا كالأغنام، وتَشَكَّل البعضُ في زُمَرٍ، واقتَحموا المنازلَ حيث قَبضوا علىٰ أربابِ الأُسَرِ وزوجاتِهم وأطفالِهم وجميعِ أُسرهم، وقُتِلت هذه الضَّحايا، أو قُذِفت من مكانٍ مرتفعٍ حيث هَلكت بشكلٍ مأساويٍّ»(٢) .

* * *

(١) «تاريخ الحروب الصليبية» (ص٤٣٣).

(٢) «تاريخ الحروب الصليبية» لوليم أسقف صور.

بل هي حربٌ على الإسلام

*** من أوربان الثاني إلى البابا يوحنَّا بولس الثاني:**

اسمُه «كارول فوجيتلا» من بولندا.. وُلد في ١٨ مايو ١٩٢٠م، وفي ١٤ أكتوبر ١٩٧٨انتُخب «كارول» بابًا للكرسيِّ الرسولي للفتيكان، وهو أولُ بابا غيرِ إيطالي يَتِمُّ اختيارُه منذ ٤٥٠ سنة، وسُمِّي بالبابا «يُوحنا بولس الثاني».

*** رأيُ «يوحنا بولس الثاني» في القرآن:**

❏ رأي البابا في القرآن أنه مقتبَسٌ من التراث المسيحي[١]، فقد قال البابا في حوارٍ له مع صحافيٍّ إيطالي: «أيُّ شخصٍ يقرأُ القرآنَ - وهو على درايةٍ مُسْبَقَةٍ بالعهد القديم والجديد -، سيَلحظُ بوضوحٍ: سياقَ الاختزالِ الذي تعرَّض له التنزيلُ الإلهيُّ المسيحيُّ، ومن المحالِ ألاَّ يَصطدمَ المرءُ من عدمِ الفهمِ الذي يَظهرُ في القرآن بوضوحٍ لما قاله اللَّه عن نفسه: أوَّلاً: عن طريق الأنبياء في العهدِ القديم، ثم لِمَا قاله بصورةٍ نهائيةٍ في العهد الجديد عن طريقِ ابنه، وبالفعل إن كلَّ هذا الثراءَ الخاصَّ يَكشفُ اللَّهُ عن ذاته، والذي يُمثِّل تراثَ العهد القديم والجديد، قد تُرِك جانبًا في الإسلام»[٢].

*** رأيُ البابا في إله المسلمين:**

❏ يقول هذا القِزم: «إنَّ اللَّهَ القرآنيَّ تُطلقُ عليه أجملُ الأسماءِ

---

(١) انظر كتاب «الفاتيكان والإسلام» للدكتورة زينب عبدالعزيز - دار الكتاب العربي ٢٠٠٥.

(٢) «كلام في الممنوع.. الاختراق اليهودي للفاتيكان» (ص١٤ - ١٥) لمحمد عبدالحليم عبدالفتاح - القاهرة.

المعروفةِ في اللغة الأسبانية، لكنه في نهايةِ المطاف إلهٌ يظَلُّ غريبًا عن العالم، إنه إلهٌ عبارة عن إلهِ جلالةٍ (كبرياء) فحسب، وليس إلهًا متواصلاً مع البشر (عمانوئيل) ـ اللَّهُ معنا ـ إن الإسلامَ ليس دينَ فِداء، وهو لا يُعطي أيَّةَ مساحةٍ للصليبِ ولا للبعث»[١] .

* **عداوة دفينةٌ أبديَّةٌ:**

مِن أين جاءت هذه العداوةُ الدفينةُ من الصليبيين في الشرقِ أو الغرب عَرَبًا كانوا أم عجمًا لكلِّ ما يَمُتُّ إلى الإسلامِ ونبيِّه والمسلمينَ بصِلَةٍ؟! حتى كأنَّ الشعرَ الجاهليَّ «لَقيطَ بن يَعْمَرَ الإيادي» يَعنيهم حين قال:

في كلِّ يومٍ يَسُنُّون الحِرابَ لكم ... لا يَهْجَعون إذا ما غافلٌ هَجَعَا
خُزْرٌ عيونُهم كأن لَحْظَهم ... حريقُ غابٍ ترى منه السَّنا قطَعًا

□ يقول «غوستاف لوبون»: «لقد تجمَّعت العُقَدُ الموروثة، عُقَدُ التعصُّبِ التي نَدينُ بها ضدَّ الإسلام ورجاله، وتراكمت خلالَ قرونٍ سحيقةٍ، حتى أصبحت ضِمنَ تركيبنا العضوي»[٢] .

هل خَبَت هذه الرُّوحُ التي لا تُطيقُ سماعَ اسمِ محمدٍ ﷺ أو المسلمين من أتباعه؟!.

واللَّهِ ما خَبَت يومًا رُوحُ العداوةِ للنبيِّ محمدٍ ﷺ وأتباعِه، بل هي في ازدياد، وما وقع في البوسنة والعراق فاق محاكِمَ التفتيشِ في الأندلس، أو

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) مقدمة «التعصب الأوربي أم التعصب الإسلامي»، تعليقات الأمير شكيب أرسلان على كتاب «مئة مشروع لتقسيم الدولة العثمانية» (ص١١) هذَّبه محمد العبدة ـ دار ابن حزم.

إبادةَ الهنود في أمريكا الشمالية.

❑ يَصِفُ «كافين رايلي» في كتابِهِ «الغرب والعالم» المذبحةَ التي تَمَّت للمسلمين يومَ سقوطِ القُدسِ على أيدي الصليبيين بقوله: «بعد أن سَقطت المدينةُ وقَعَت المذبحة؛ إذْ ذُبِح كلُّ المسلمين رجالاً ونساءً وأطفالاً، فيما عدا الحاكم وحَرَسَه، الذين تمكَّنوا من افتداءِ أنفُسِهم بالمال، وتمَّ اصطحابُهم إلى خارجِ المدينة.

وفي مَعبد «سليمان» وحولَه، خاضت الجيادُ في الدمِ حتى الرُّكَب واللجام، فقد كان حُكمُ اللَّهِ عادلاً ورائِعًا، ففي هذا المكانِ نفسِه ارتفعت هَرطقاتُ هؤلاء المُجدِفين[1] في حقِّ اللَّهِ الذي يَتلقَّى فيه دماءَهم الآن».

وقد نَظَمَ الصليبيون يومَ ذاك مواكبَ النصرِ إلى كنيسة القبر المقدَّس، وهم يَبكُون من شدةِ الفرح، ويُغنُّون أغانيَ الشكرِ للربِّ «يسوع»:

أَيُّها اليومُ الجديد
أيتُها البهجة
أيها الفرحُ الجديدُ الدائم
ذلك اليومُ خالدةٌ ذكراه
طوالَ القرونِ الآتية
حَوَّل كلَّ عذابنا ومصاعبنا
إلى فرحٍ وبهجة

---

(١) يعني بذلك المسلمين.. والمجدفين أي الضالين.

ذلك اليوم تثبيتٌ أكيدٌ للمسيحية

وسحقٌ للوثنية

وتأكيدٌ لإيماننا»(١) .

ويومَ أن عادت القدسُ على يدِ البطل «صلاح الدين الأيوبي» ما نَسِيَ الصليبيون له هذه، ويومَ اجتاحت جَحافلُ الصليبِ الفرنسيِّ أرضَ سوريا، فأقدم الجنرالُ الصليبيُّ الحاقد «غورو»، ووَضَع قدمَه على قبرِ «صلاح الدين» قائلاً: «قُمْ يا صلاح الدين، ها قد عدنا». . وقالها الجنرال «إِللِنْبي» عند دخوله القدس: «الآن انتهت الحروبُ الصليبية».

* **الصليبيون الإنجليز عند دخولهم الهند:**

يوم أنِ احتلَّ البريطانيون الهندَ، فعلوا بالمسلمين ما يَفوقُ الوصف، وخُذْ على سبيل المثال:

☐ يقولُ المؤرِّخُ الأمريكي «إدوارد توماس»: «سيق ٨٥ جنديًّا إلى المحكمةِ العسكرية، تحتَ مراقبةِ الحُرَّاس، وحُكِم عليهم جميعًا بأن تُعَرَّى أجسادُهم جميعًا، وأن يُكَبَّلُوا بالأصفاد، وأن يُتركوا بلا طعام، وكان منظرًا مؤلمًا، ارتجفت له قلوبُ الرفقاء، إذ كان بينَهم مَن خَدَم هؤلاء الصليبيين خِدماتٍ جليلة، ومنهم مَن حارَبَ في صفوفهم، ولَقِيَ الشدائدَ والأذى في سبيل إرضائهم.

---

(١) «عندما حكم الصليب» (ص١٦ ـ ١٧) لأبي إسلام أحمد عبدالله ـ بيت الحكمة ـ القاهرة.

ولكنهم كانوا جميعًا ينتمون إلىٰ دينِ الإسلام؛ ولذا فَقَد صدر القرارُ أن يَموتوا هكذا جوعًا وعطشًا وذِلَّةً، وهم عرايا كما ولدتهم أُمَّهاتُهم مُكبَّلون في القيود أمام أعيُنِ الجميع، حتىٰ علَّق اللورد «كايننج» ـ حاكمُ الهند العام ـ علىٰ هذا الحكمِ الذي شارك في إصدارِه بقوله: بلغ هذا الحكمُ من السَّفاهة مبلغًا لا يُوجدُ له نظيرٌ في تاريخ الهند»[1] .

❑ يقول المؤرِّخ الأمريكي «إدوارد توماس» عن مذابح الإنجليز للمسلمين بالهند: «لقد تطوَّرت مذابحُ الإنجليز، حتىٰ باتُوا لا يكتفون بالشَّنق، بل كانوا يُغلِقون عليهم بيوتَهم، ثم يُشعِلون فيها النار؛ فيصيرون رمادًا».

❑ وكتب «دلين لين» مدير صحيفة «تايمز أو إنديا» نقلاً عن أجندةِ أحدِ الجنود: «كان المسلمون يُحَاطُون بجلود الخنازير، ثم يُخيِّطونها عليهم، أو يَدْلكونهم بشحومها، ثم يُشعلون فيهم النارَ وهم أحياءٌ، كما كان يُجبَرُ المسلمون علىٰ أن يفعلَ أحدُهم الفاحشةَ في أخيه.

وسوف تظلُّ هذه التصرُّفاتُ وصمةَ عارٍ علىٰ جَبينِ المسيحيين الإنجليزِ لا تُمحَىٰ علىٰ مرَّ الأيَّام».

❑ ونقلاً عن سطورٍ من كتاب قائدِ قوَّات الجيشِ البريطاني في الهند (٤١ سنة)، كتب يصفُ حالَ مدينة «دلهي» يوم أن دَخَلها في ٢٤ سبتمبر ١٨٥٧ فقال: «لقد كانت «دلهي» في الحقيقة مدينةَ الأهوال، ليس بها داعٍ ولا مُجيبٌ، فلا صوتَ إلاَّ صوتُ سنابك الخيل، ولم يَقَعْ بصرُنا علىٰ عِرْقٍ

(١) المصدر السابق (ص٢٤ ـ ٢٥).

ينبض، أو عينٍ تَطرِف، لم تكن هناك إلاَّ جُثثٌ هامدةٌ مبعثرةٌ هنا وهُناك، وقد كانت في أوضاعٍ مختلفةٍ ضَيَّعها صراعُ الحياة مع الموت في أدوارٍ مختلفة.

كُنَّا لا نتكلَّمُ إلاَّ همسًا؛ حتىٰ لا نُزعِجَ هؤلاء الأشقياءَ الذين كانوا مستغرقين في نَومةِ الموت، إنَّ ما رأيناه من المناظرِ كانت هائلةً مُفزِعةً، وكانت مُؤسِفةً مُحزنةً، وقد كانت بعضُ الجثثِ تنَتهشُها «كلاب»، وكان عند بعضها «نِسرٌ» يرفرف بجناحَيْه، ويُحاوِل أن يَطير، فلا يستطيعُ، لفرط الشِّبَعِ والثُّقْل.

لقد كان منظرًا مَهيبًا مُوحِشًا لا يُمكن تصويرُه، وكأنَّ خَيْلَنا قد استولىٰ عليها الذُّعْر، فكانت تَجفَلُ وتنتفخُ مناخرُها، وقد كان المحيطُ كلُّه مُرَوِّعًا، يَغُصُّ بروائحَ مُضرةٍ تَبعثُ الأمراض»(١).

◻ ويُسَجِّل الشيخُ أحمد حسين المدني ـ أحدُ شهودِ العيان ـ سلوكَ الصليبيِّين الإنجليز قائلاً: «إني لا أجدُ وصْفًا أُعبِّر به عن أعمالِ البشاعة وما فيها من خِسَّةٍ ودناءةٍ ارتكبها أهلُ الصليب، فقد أَمروا خَوَنَةَ السِّيخ أن يفعلوا أفعالاً شاذَّةً قبيحةً مع المسلمين علىٰ أعْينِ الناس، وعَلَّقُوا رؤوسَ الشهداءِ وجُثَثَهم علىٰ الأشجار، وحَوَّلوا مسجد «شاه جهان» إلىٰ مكانٍ للقمامة».

◻ وقال الشيخ «فضل حق خير أبادي» أحدُ علماء الهند الكبار: «بهذه الرُّوحِ الخبيثة ـ رُوحِ التَّشَفِّي والانتقام ـ انهالوا علىٰ «دلهي» وأهلِها يُدَمِّرون

(١) «المسلمون في الهند» لأبي الحسن الندوي (ص٧٦ ـ ٧٧) ـ دار الفتح ـ دمشق.

ويَقتُلون وينهبون، حتىٰ بَلغ عددُ قتلىٰ المسلمين (٢٧) ألفًا، وتحوَّلت معظمُ أحيائها أنقاضًا، والمساجدُ خرابًا، وتكدَّست الجثثُ في الشوارعِ، وجَرَتِ الدماءُ في الساحاتِ أنهارًا».

❑ ويُقرِّر «إدوارد توماس» فظاعةَ الصليبيين وخِسَّتهم فيقول: «في «دلهي» قُبض علىٰ المَلِكِ وأسرته جميعًا، وسِيقُوا مُقيَّدين في ذِلَّةٍ وانكسار، وفي الطريق أَطْلَقَ الضَّابطُ الصليبي «هيدسين» الرصاصةَ علىٰ ثلاثةٍ من أبناءِ المَلِك، ثم قَطعوا رؤوسَهم، ثم سَوَّلت للَّذين يدَّعون الحضارةَ نفوسُهم بالبشاعة إلىٰ حدٍّ تشمئزُّ منه النفوس، فحين قدَّموا الطعامَ للمَلِك وهو في السجن، كانت مفاجأةً مُذهِلة عندما كَشَفَ الغطاء، فلم يجد طعامًا، بل وجد رؤوسَ أبنائِه الثلاثة.

وهنا تمالك الشيخُ الضعيفُ نفسَه في رباطةِ جأشٍ وقال: «إن أبناءَ التيموريِّين البواسلَ يأتون هكذا إلىٰ آبائهم مُحْمَرَّة وجوهُهم».

ثم أخذوا الرؤوسَ، وعلَّقوها علىٰ بوابةٍ كبيرة في «نيودلهي» تُسمَّىٰ الآن «فوني دروازه» أي: «بوَّابة الدماء».

❑ يقول المؤرِّخ «سبنسر بول» شاهدًا علىٰ جرائم أهلِ الصليب: «إن الإنجليزَ عندما استولَوا علىٰ «دلهي» نَصبوا المشانقَ في الشوارع، وصَلَبوا (٣٠٠٠) رجلٍ مسلم، كان منهم (٢٩) من الأسرة الحاكمة».

❑ ولعلَّ أفضلَ تلخيصٍ لموقفِ عَبَدَةِ الصليب من أتباعِ محمدٍ ﷺ، هو ذلك الطلبُ الذي تقدَّم به القائدُ الإنجليزيُّ «الفنسين نكلسون» إلىٰ سيِّده

(١) «عندما حكم الصليب» (٢٨ـ٣١).

«إدوار كاينج» الحاكمِ العام للهند: «علينا أن نَسُنَّ قانونًا يُبيحُ لنا إحراقَ المسلمين وسَلْخَ جُلودهم؛ لأن نارَ الانتقام لا تَشفِي الغليل، ولا تُخمِدُه، بالشَّنق وحده».

* **محاكم التفتيش في أسبانيا: (من سنة ١٥٥٢ إلى سنة ١٦٠٩م):**

فَعَل فيها الصليبيون ما تقشَعِرُّ لهوله الأبدان: «آلاتٌ لتكسير العظام وسَحقِ الأجساد، كانوا يبدؤون بسَحقِ عِظامِ الأرجل، ثم عِظامِ الصدرِ والرأسِ واليديْن، حتى تأتيَ الآلةُ على البَدنِ المهشَّمِ كلِّه، فيَخرجُ من الجانب الآخرِ كتلةً واحدةً.

◻ وصندوقٌ في حجمِ رأسِ الإنسان تمامًا، تُوضعُ فيه رأسُ المُعَذَّبُ بعد أن يُربَطَ بالسلاسل من يدَيْه ورِجلَيْه، ثم تُقطَرُ على رأسه نُقطٌ من الماءِ الباردِ من ثُقبٍ أعلى الصندوق، فتَقعُ على رأسِه بانتظام، حتى يَلفِظَ أنفاسَه مجنونًا، وآلاتٌ لتقطيعِ اللسان، وأخرى لتمزيق أثداء النساءِ وسَحبِها من الصدورِ بواسطة كلاليب، ومجالد من الحديد الشائكِ لضرب المُعَذَّبين وهم عرايا حتى يتناثرَ اللحمُ عن العظم.

كانت تَصدُرُ أحكامُ الإعدامِ بالجملة بصفةٍ يوميةٍ ضدَّ المسلمين رميًا بالرَّصاص في مهرجاناتٍ ضخمةٍ يحضرُها القساوسةُ ورجالُ الدولةِ والأهالي، وكثيراً ما كان المَلِكُ يَحضرُ بنفسه ليباركَ عملَ الكنيسة!.

أما عائلاتُ المسلمين، فكان يتمُّ حَرقُهم في محارقَ ضخمةٍ أسمَوْها «مواكب الموت».

◻ يقول المؤرِّخُ «لورنتي»: «ألقت محكمةُ التفتيش أكثَرَ من

(٣١, ٠٠٠) نَفْسٍ في النار و(٢٩٠, ٠٠٠) عقوبةٍ تلي الإعدام».

أما عن عقوبة الإلقاء في النار، فقد أُقيمت محارقُ عدَّةٌ في الميادين العامةِ بالمدن الكبيرة، وكانت تُنظَّمُ لها مهرجاناتٌ واحتفالات، يَشهَدُها الأحبارُ وأبناءُ الكنيسة والملوكُ أحيانًا، كأنها أعيادٌ يَطرَبُ لها الناس، ولا يَجِدُون في مناظِرها ما يدعُو إلى الضِّيق والاشمئزاز»[1].

ومِن آلاتِ التعذيبِ عند هؤلاء الصليبيينَ ـ الذين نُزِعت من قلوبهم الرحمة، فلم تَبْقَ منها ذرةٌ واحدة في صدورهم، وقد قال رسول اللَّه ﷺ: «لا تُنزع الرحمةُ إلاَّ مِن شَقِيٍّ»[2] ـ، فمن وسائل تعذيبهم: غُرفٌ صغيرةٌ في حجم الإنسان، بعضُها رأسي، وبعضُها أُفقِي، كانت مُخَصَّصةً للسجناء يَقضُون فيها حياتَهم إلى الممات، ثم تبقى الجثثُ في سِجنها الضيِّق حتى تَبلَى ويتساقَطَ اللحمُ عن العظم، وتبقى الهياكلُ البشريةُ في أغلالها سجينةً.

□ ومن آلاتِ التعذيب عند هؤلاء الوحوش آلةٌ تُسمَّى «السيدة الجميلة»، وهي عبارةٌ عن تابوتٍ تنامُ فيه صورةُ فتاة جميلةٍ مصنوعةٍ على هيئة الاستعداد لعناق من يَنامُ معها، وقد بَرزت من أعضائها سكاكينُ حادَّةٌ، كانوا يَطرحون الشابَّ المعذَّبَ فوقَ الصورة، ثم يُطبِقُون عليه بابَ

---

(١) «الاضطهاد الديني في المسيحية» (ص٤٠) لتوفيق الطويل ـ الزهراء للإعلام العربي القاهرة.

(٢) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن حبان، والحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٤٦٧).

التابوت، حتىٰ يتمزَّقَ جسدُ الشابِّ ويُقطَّعَ إربًا.

*** ومن أعداءِ رسول الله ﷺ: الصليبيون الفرنسيون الذين احتلُّوا الجزائر وفَعلوا بها الأفاعيل:**

إرهابٌ صليبيٌّ قذرٌ يَدُلُّ علىٰ نفوسٍ مُنحَطَّةٍ مُجرمةٍ لا تَمُتُّ إلىٰ الإنسانيةِ بصِلَةٍ، تحاول فرضَ العقيدةِ الصليبيةِ علىٰ مُسلِمِي الجزائرِ جبراً وبمباركة الكنيسة!.

ففي عام ١٨٣٢م أعلن القائدُ «روفجيو» عن تحويلِ مسجدِ «القشاوة» - أجملِ مساجد الجزائر، والذي يَقعُ بالحيِّ الأوروبيِّ وسط مدينة الجزائر - إلىٰ كنيسة.

وتحدَّد ظُهرُ يومِ ١٨ ديسمبر ١٨٣٢م لإنجازِ هذا العمل، وتقدَّمت في الموعدِ المحدَّدِ إحدىٰ طائراتِ الجيش، أَنزلت فرقةً من سلاحِ المهندسين، توجَّهت مباشرةً إلىٰ محاصَرةِ أبوابِ المسجد «بالبُلَط» و«الفؤوس»، وبداخلِ المسجدِ أربعةُ آلافِ مسلم، كانوا قد اعتَصموا داخلَ المسجد خَلْفَ متاريس.

ثم اندَفعتِ القوةُ العسكريةُ تَسبِقُها سناكي البنادق، فخرَّ المسلمون جَرحىٰ وصَرعىٰ تحتَ أرجلِ الجنود، واستمرَّت هذه المذبحةُ طوالَ الليل، حتىٰ إذا جاء الصباحُ صار الجامعُ «كاتدرائيةَ الجزائر».

وما أن انتهىٰ الجنودُ من وَضْعِ الصليبِ علىٰ كلِّ بابٍ من أبوابِ المسجد، وفي نَشوةِ هذا الانتصار، داروا علىٰ أعقابِهم صَوْبَ مسجد «القصبة»، فدخله الضُبَّاطُ والجنودُ، وأقاموا فيه شعائرَهم الدينية.

□ وتَزعَّم القَسُّ «شوسيه» ـ الوكيلُ العامُّ لأسقفِ الجزائر ـ قيادةَ طابورهم، يُرتِّلون أنشودةَ الغُفران.. وأَعدَّ هذا القَسُّ لنفسهِ منبرًا للوعظ، وأُتي له بمنبرٍ أثريٍّ من مسجدٍ يُقال له: «المقدَّس»، ووقف سكرتيرُ الحاكم «يوجو» يقول: «إنَّ آخرَ أيامِ الإسلامِ قد دَنَتْ، وفي خلالِ عشرين عامًا، لن يكونَ للجزائر إلهٌ غيرُ المسيح، ونحن إذا أمكنَنَا أن نشكَّ في أن هذه الأرضَ تَملِكُها فرنسا، فلا يمكنُنا أن نشكَّ ـ علىٰ أيِّ حالٍ ـ أنها قد ضاعت من الإسلام للأبد.. أما العرب، فلن يكونوا مِلْكًا لفرنسا إلاَّ إذا أصبحوا مسيحيين جميعًا»[1].

□ وانظر إلىٰ نموذجٍ من خِسة الصليبيين الفرنسيين وبشاعةِ مذابحهم للمسلمين التي وصفتها التقاريرُ الرسميةُ التي أُرسلت إلىٰ العاصمة «باريس»: «جريمةٌ شنعاءُ، وهي إبادةُ قبيلةٍ بأكملها، تحت دعوىٰ اتهامِ أحدِ أفرادها بارتكابِ جريمةِ سرقة، ثم تحقَّق بعد أن تمَّت عمليةُ الإبادة أن المتهمَ بريءٌ!!.

وبِناءً علىٰ تعليمات الجنرال «روفجيو» خرجت قوةٌ من الجنود من مدينةِ الجزائر في ليل ٦ أبريل ١٨٣٢، وانقضَّتَ قُبيلَ الفجر علىٰ أفرادِ القبيلة، وهم نيامٌ تحت خيامِهم، فذَبَحتهم جميعًا بغيرِ ما تميزٍ في الأعمار والأجناس، وعاد الفرسانُ الفرنسيُّون من هذه الحملة، وهم يَحملون رؤوسَ القتلىٰ علىٰ أَسِنَّة رِماحهم»[2].

---

(١) «الجزائر الثائرة» لكوليت جانسون، وفرانسين ـ ترجمة محمد علوي الشريف (ص٤١) دار الهلال، وراجع أيضًا «ثورة الجزائر» لجوان جليسبي ترجمة عبدالرحمن صدقي (ص٧٨) ـ إصدار الدار المصرية للتأليف والترجمة.

(٢) «الجزائر الثائرة» (ص٢١).

▫ وباتت عملياتُ إبادةِ الجزائريين المسلمين شيئًا يستحقُّ الفَخْرَ والتهنئة والمباركةَ من الكنيسة، فكَتبت إحدىٰ الصحفِ الفرنسيةِ «مثلاً» في أكتوبر ١٨٣٦م قائلة: «أُرسلت إلىٰ باريس مؤخَّرًا عشرون رأسًا، ليبلغَ عددُ الرؤوس التي وَصلت إلىٰ معسكرِ العمليَّات ثمانيةً وستين رأسًا، وهي معلَّقةٌ علىٰ سناكي البنادق، إنها لَصفقةٌ عظيمةٌ وبدايةٌ طيبةٌ تفتحُ لنا الطريق».

▫ ويُعلق الجنرالُ الفرنسيُّ «شارنجارنييه» قائلاً: «إن رجالي وَجَدوا التسليةَ في قَطعِ رقابِ المسلمين من رجالِ القبائلِ الثائرةِ في بلدتي «الحراش» و«بورقيقة»..».

▫ وانظر إلىٰ بشاعةِ اللئام: في تقريرٍ كَنَسِيٍّ جاءت هذه السطور «أمَّا باقي الغنيمة، فقد عُرِضت في سوق «باب عزون»، حيث عُرِضت أساوِرُ النساء وهي ما زالت تُحيط بمعاصِمِهِنَّ المقطوعة، والأقراطُ تتدلَّىٰ من قِطَعِ لحمٍ آدميٍّ، وقد بِيعت بأكملِها ووُزِّع ثمنها».

* **مجرمون أبالسةٌ أعداءٌ لرسول اللّه ﷺ:**

يَقفُ رسولُ اللّه يوم القيامة يَسألُ العسكريين الصليبيين الفرنسيين عمَّا اقترفوا من مذابحَ لأتباعه في الجزائر.. أبالسةٌ فرنسيون أبادوا المسلمين.. سيسألُهم اللّه عز وجل عمَّا اقترفوا من مذابح عام ١٨٤١م وما بعدها في الجزائر، منهم الجنرالُ الصليبي «يوجو» الذي تولَّىٰ الحُكمَ في الجزائر، يُعاوِنه الجنرال «بليسيه»، والجنرال «سانت أرنو» و«شانجارنييه» و«دي هيريسون» و«مونتانياك» و«لاموريسيير» و«كافينياك».. شياطينُ الإنسِ

وفرنسا في جزائر الإسلام.

❑ يقول الصليبي «سانت أرنو» في خطابٍ لأسرته بفرنسا: «لقد أحرَقْنا فيها[1] كلَّ شيء، ،دمَّرنا كلَّ شيء، الحربُ أوَّاهُ منها، ما أكثَرَ مَن هلك فيها من نساءٍ وأطفالٍ هاجروا إلىٰ جبال «الأطلس»، فقَضَوْا نَحْبَهم بين ثلوجِها، بتأثيرِ البردِ والبؤس!!».

❑ وكتب في رسالةٍ أخرىٰ لزوجته عام ١٨٤٣م يقول: «لقد كنتُ في قبيلةِ «البزار»، فأحرقتُ أفرادَها جميعًا، ونَشرتُ حولَهم الخرابَ، أنا الآن عند «السنجا»، أُعيد فيهم الشيءَ نفسَه، ولكن علىٰ نطاقٍ واسع».

❑ ويقول «مونتانياك» في كتاب له بعنوان «رسائل جندي»: «إنَّ أولادَ سعدٍ كانوا قد تركوا نساءَهم وأولادَهم جميعًا في «الأحراج»، وقد كان يُمكنُني أنْ أقضيَ عليهم جميعًا، ولكن لم يكن عَددُنا كافيًا للتفرُّغ لهذا.

لقد كانت مذبحةً شنيعةً حقًّا، كانت المساكنُ، والخيامُ في الميادين، والشوارعُ، والأفنيةُ التي انتشرت عليها الجثثُ، في كلِّ مكان، وقُمنا بعملِ إحصائيةٍ في جوٍّ هادئٍ بعد الاستيلاء علىٰ المدينة، فبَلَغ عددُ القتلىٰ من النساء والأطفال (٢,٣٠٠)، أما عددُ الجرحىٰ، فلا يَكادُ يُذكَر، لسببٍ يسير، هو أننا لم نتركْ جَرحاهم علىٰ قيدِ الحياة»

❑ وكتب الكونت «دي هيريسون»: «فظائعُ لا مثيلَ لها، أوامرُ بالشَّنق تَصدُرُ من نفوسٍ كالصخر، وقلوبٍ كالحجر، أوامرُ بالرَّمْي بالرصاصِ أحيانًا، وباستعمالِ السيف أحيانًا أُخرىٰ في أُناسٍ مساكين، جُلُّ ذنبِهم أنهم

(١) أي: في الجزائر.

يَستطيعون إرشادَنا إلىٰ ما نطلبُ إليهم أن يُرشِدونا إليه».

☐ ثم تحكي «كوليت جانسون» مؤلِّفة كتاب «الجزائر الثائرة» فتقول: «وتَصِلُ الحالُ علىٰ هذا المنوال حتىٰ عام ١٨٤٥م، إذْ تبلغُ الهَمَجِيَّةُ شأوها، وتَندثرُ المُثُلُ الإنسانية وتتلاشىٰ، ويَجتاجُ الجزائَر لَونٌ جديدٌ من ألوان البربريَّة، والخِسَّة، والإجرامِ، والوحشيَّةِ في حقِّ المسلمين العُزَّل.

ففي ذلك العام أُدخِل نظامُ «الإبادة» للقضاءِ علىٰ الشعبِ الجزائري، «طريقة جهنم»، وما أدراك ما جهنم!!

وقد نشأت هذه الطريقةُ ـ أولَ ما نشأت ـ عن مَحضِ الصُّدْفة، ولكن سَرعانَ ما أصبحت نظامًا من أنظمةِ الجيش المعمولِ بها في مهمَّتِه ضدَّ المسلمين.

ففي يونيو (١٨٤٥) كانت قبيلةُ «أولاد الرياح» قد تَلَقَّتْ من القائدِ الفرنسي أمرًا بالتسليم، ولكنَّ القبيلةَ بدلاً من الامتثالِ للأمرِ، لاذتْ بالفرارِ إلىٰ المغاورِ والكهوف لتستأنفَ الجهادَ والمقاومة، فلما ضَيَّق القائدُ «بليسيه» الخناقَ علىٰ أفرادِ القبيلة، وهم في بطن أحدِ الكهوف، واشتَرطوا عليه سَحْبَ القوَّاتِ الصليبيةِ لِيَخرجوا إليه، رفض هذا الشرط، وقرَّر أن يَصُبَّ عليهم نارَ جهنم؛ لِيَصْلَوها سعيرًا، وأنَّىٰ للقلم أن يَصفَ هذا المشهدَ الجبَّارَ العاتيَ؛ فالقواتُ الفرنسيةُ تتقدَّمُ تحتَ جُنْحِ الليلِ البهيمِ صَوْبَ فجوةِ الكهف يَسُدُّونها بالمتاريس، ثم يقذِفون النارَ بداخلها ويُشعلونها من حولها، وهؤلاء هم المسلمون المعتصِمون في جوفِ الكهف، تنطلق منهم الأنَّاتُ والصرخاتُ، فتَصُمُّ الآذان، وتُولوِلُ النساء، ويَصرخُ الأطفال،

وتَنعِقُ الحيوانات، وتحترقُ الصخور؛ فتنهار وتنتشرُ منها الأتربةُ تخنقُ الجموع.. وتتناثرُ الجنادل، فتصيبُ الرؤوس، وتنفجرُ الذخائر، فيَعُمُّ الدَّمار، وتنتشرُ جُثَثُ الموتىٰ، وبرغم كلٍّ هذا، ما زال الرجالُ يجاهِدون للخروج من بطنِ الأرض، فتنطبقُ عليهم، ويَقبُرُهم الجماد».

□ ثم تستطرد كاتبةُ «الجزائر الثائرة» فتقول: «ويُقبِل الصباحُ، وتتولَّىٰ فرقةٌ من الجنود الفرنسيين ـ يتدلَّىٰ الصليبُ علىٰ صُدورهم ـ مُعاينةَ الأَتُونِ الذي صبَّوا فيه النيرانَ في أثناءِ الليل، فيرتدُّ منهم البصرُ من هولِ ما يَرَون، ففي مدخلِ الغَوْر انتشرت هياكلُ ثيرانٍ وحميرٍ وخِرافٍ حَدَتْ بها الغريزة صَوبَ مخرجِ الكهف، لاستنشاقِ الهواء الذي عُدِم بالداخل، وتكدَّست بين هذه الحيوانات، ومِن تحتها جُثثُ رجالٍ ونساءٍ وأطفال، وشُوهِد رجلٌ ميِّت وهو جاثٍ علىٰ رُكْبتيه، وقد أمسكت يداه قَرْنَ ثورٍ نافِق، وبجواره امرأةٌ ميِّتةٌ تحتضنُ بين ذراعيْها طِفلَها الميِّتَ، مما يَدُلُّ علىٰ أن الرجل قد اختنق وهو يُدافعُ عن امرأتِه وطِفلِه اللذَيْنِ اختنَقا أيضًا من هجومِ الثَّوْر عليهما أثناء الحريق.

وفي سراديبِ هذه المغاوِرِ الفسيحةِ، وجَدَ الجنودُ الفرنسيون (٧٦٠) جُثَّةً، أخرجوا منها (٦٠) مُسلمًا يُعانون سَكْرةَ الموت، ما لَبِث أربعون منهم أنْ قَضَوا نَحْبَهم، وعشرةٌ منهم حَمَلتهم سيَّاراتُ الإسعَاف، والباقون أُطلِقَ سراحُهم ليعودوا إلىٰ مساكنهم، عِبرَةً لمن لا يعتبر، ولم يَبْقَ من حُطامِ الدنيا سوىٰ الدَّمعِ القاني يذرفونه علىٰ الدَّمار العميم»[1].

(١) «الجزائر الثائرة» (ص٢٨ ـ ٣٠).

❑ وكان الذي أمر بهذا هو المارشال «يوجو» في أمره إلىٰ القائد «بليسيه» ١١ يونيو سنة ١٨٤٥م: «إذا احتَمَىٰ هؤلاء الرَّعاعُ في الكهوف، فافعلوا بهم ما فعله «كافينياك» من قبل، وأحرقوهم حَرْقَ الثعالب».

*** هيلاسلاسي الصليبي الأثيوبيُّ عدوُّ اللَّه ورسوله والمسلمين:**

استولت الحبشةُ عن «أرِيتْرِيا» المسلمة بتأييدٍ من فرنسا وإنجلترا، فماذا فعلت فيها؟!!.

صادرت معظمَ أراضيها، وأسلَمَتْها للإقطاعيين من الحبشة، كان الإقطاعيُّ والكاهنُ مُخَوَّلَيْنِ بقتلِ أيِّ مسلم دون الرجوعِ إلىٰ السُّلطة، فكان الإقطاعيُّ أو الكاهنُ يَشنقُ فلاَّحِيه أو يُعذِّبهم في الوقتِ الذي يُريد.

فُتحت للفلاَّحين المسلمين سجونٌ جماعيَّةٌ رهيبة، يُجلَد فيها الفلاَّحون بسِياطٍ تَزِنُ أكثَرَ من عشرةِ كيلو غرامات، وبعد إنزالِ أفظعِ أنواعِ العذاب بهم كانوا يُلقَوْن في زنزاناتٍ بعدَ أن تُربَطَ أيديهم بأرجُلِهم، ويُتركون هكذا لعشرِ سنين أو أكثر، وعندما كانوا يخرجون من السجون كانوا لا يستطيعون الوقوف؛ لأن ظهورهم قد أخذت شكل القَوْس.

كلُّ ذلك كان قبلَ استلامِ «هيلاسلاسي» السلطةَ في الحبشة، فلمَّا أصبح إمبراطوراً للحبشة وَضَع خُطَّةً لإنهاء المسلمين خلالَ خمسةَ عَشَرَ عامًا، وتباهىٰ بخُطَّته هذه أمام الكونغرس الأمريكي.

❑ شنَّ تشريعاتٍ لإذلالِ المسلمين، منها: أَنَّ عليهم أن يَركعوا لموظَّفي الدولةِ وإلاَّ يُقتلوا.

❑ أمر أن تُستباحَ دماؤُهم لأقلِّ سبب، فقد وُجِد شرطيٌّ قتيلاً قُرب

قريةٍ مسلمة، فأرسلت الحكومةُ كتيبةً كاملةً قَتلت أهلَ القريةِ كلَّهم، وأحرقتهم مع قريتهم، ثم تَبيَّن أن القاتلَ هو صديقُ المقتول، الذي اعتدىٰ علىٰ زوجته، وحاول أحدُ العلماء ـ واسمه «الشيخ عبدالقادر» ـ أن يثورَ علىٰ هذه الإبادة، فجمع الرجال، واختفىٰ في الغابات، فجَمعت الحكومةُ أطفالَهم ونساءَهم وشيوخَهم في أكواخٍ من الحشيش والقَصَب، وسكبت عليهم البنزينَ وأحرقتهم جميعًا.

ومَن قَبَضَت عليه من الثوَّار كانت تُعذِّبه عذابًا رهيبًا قبلَ قتله، من ذلك إطفاءُ السجائر في عينيه وأُذنَيْه، وهَتْكُ عِرضِ بناته وزوجته وأخواته أمامَ عينيْه، ودَقُّ خِصيتَيْه بأعقابِ البنادق، وجَرُّه علىٰ الأسلاكِ الشائكة حتىٰ يَتفتَّت، وإلقاؤهُ جريحًا قبل أن يموتَ لتأكلَه الحيواناتُ الجارحةُ، قبلَ أن تربطَهُ بالسلاسلِ حتىٰ لا يُقاوِم.

◻ أصدر «هيلاسلاسي» أمرًا بإغلاقِ مدارسِ المسلمين، وأَمَر بفتحِ مدارس مسيحيَّةٍ، وأجبَرَ المسلمين علىٰ إدخالِ أبنائِهم فيها ليُصبِحوا مسيحيين.

◻ عَيَّن حُكَّامًا فجرةً علىٰ مقاطعاتِ أريتريا، منهم واحدٌ عيَّنه علىٰ مقاطعةِ «جَمَّة»، ابتدأ عَمَلَه بأن أصدر أمرًا أن لا يَقطِفَ الفلاَّحون ثمارَ أراضيهم إلاَّ بعد موافقته، وكان لا يَسمحُ بقُطافِها إلاَّ بعد أن تتلفَ، وأخيرًا صادر ٩٠٪ من الأراضي، أخذ هو نصفَها، وأعطىٰ الإمبراطورَ نصفَها، ونَهَبَ جميعَ ممتلكاتِ المسلمين.

◻ وأمرهم أن يَبنُوا كنيسةً في الإقليم فبَنَوْها. . ثم أَمَرهم أن يُعمِّروا كنيسةً عند مَدخلِ كلِّ قريةٍ أو بَلدةٍ. . ولم يكتفِ بذلك، بل بنىٰ دُورًا

للعاهرات حولَ المساجد ومعها الحاناتُ التي يَسْكَرُ فيها الجنودُ، ثم يدخلون إلىٰ المساجدِ ليبولوا بها ويتغوَّطوا، ويُراقصوا العاهرات فيها وهم سُكارىٰ.

كما فَرض علىٰ الفلاَّحين أن يَبيعوا أبقارَهم لشركةِ «أنكودا» اليهودية فكافأه الإمبراطورُ «هيلاسلاسي» علىٰ أعماله هذه بأن عيَّنه وزيراً للداخلية.

وكانت حكومةُ الإمبراطور تُلاحِقُ كلَّ مثقَّفٍ مسلمٍ لتزُجَّه في السجن حتىٰ الموت، أو تُجبِرَه علىٰ مغادرةِ البلاد حتىٰ يبقىٰ شعبُ «أريتريا» المسلم مُستعْبَدًا جاهلاً وغير ذلك كثيراً»[1].

هذا مع العلم بأن نسبةَ المسلمين في أثيوبيا بلغت ٧٥٪ من سكانها، فلعنةُ اللَّه علىٰ «هيلاسلاسي» ومن هو علىٰ شاكلته.

*** السَّفَّاحُ الصليبيُّ عدوُّ رسولِ اللَّه ﷺ: «جوليوس نيريري»:**

كيف لا يكونُ الصليبي «جوليوس نيريري» عدوَّ اللَّه ورسوله والمسلمين ـ بل والبشريةِ جمعاء ـ، ولم تَجِفَّ بعدُ دماءُ المسلمين في «زنجبار» يومَ أباد (١٢,٠٠٠) مسلم، وألقىٰ (٤,٠٠٠) آخرين في عَرضِ البحر[2].

*** التحالفُ الصليبيُّ الوثنيُّ وعلى رأسِه «تشارلز تايلور»، يقتل ٢٥ ألف مسلم في ليبريا:**

تقعُ ليبيريا علىٰ ساحلِ الجنوب الغربيِّ من القارةِ الإفريقية، ويَحدُّها جنوبًا المحيطُ الأطلسي، وعددُ سكانها ٣ ملايين نسمة، ٣٥٪ مسلمون، و٢٥٪ نصارىٰ، والباقي وثنيُّون.

---

(١) «كفاح دين» للشيخ محمد الغزالي (ص٦٠ ـ ٨٠) مُلَخَّصًا.

(٢) «عندما حكم الصليب» (ص١٢).

□ والإسلامُ أسبقُ من النصرانية في هذه البلاد وأقدمُ رسوخًا.

وتعرَّض المسلمون في التسعينات ١٩٩٤م لمجازرِ إبادةٍ وتشريدٍ واعتداءٍ على الأعراض وسَلبٍ للمتلكات.

وشَنَّت مجموعةٌ وثنيَّةٌ متمرِّدةٌ حاقدةٌ على الإسلام والمسلمين تحتَ اسم «الجبهة الوطنية الليبيرية» بقيادةِ الصليبي الكريه عدوِّ الإسلامِ ورسول اللَّه ﷺ «تشارلز تايلور» هجومًا شرسًا من «ساحل العاج» بحثًا عن كلِّ ما هو مسلمٌ أو أسلاميٌّ للقضاءِ عليه.

وفي حوارِ مجلة «الدعوة» مع الشيخ «سيكو أبو بكر» ممثِّلِ «حركةِ إنقاذِ مسلمي ليبيريا» في المملكة السعودية، أوضَحَ أن مُحصِّلَةَ المحنةِ من الضحايا والأضرار المادية والمعنوية كالآتي:

١ - قتل ما لا يَقِلُّ عن ٢٥ ألفِ مسلمٍ شَرَّ قِتْلةٍ، حيث أُحرِقَ الدعاةُ والأئمةُ بإشعالِ النيران فيهم بعدَ صبٍّ البنزينِ عليهم، وفُصِلت رؤوسُهم عن أجسامِهم، وقُطِعت ألسُنُ وآذانُ المؤذِّنين أحياءً، وبُقِرَت بطونُ الحوامِلِ.. فضلاً عن المذابحِ الوحشيةِ البشعة التي ارتُكِبت في أكثرَ من مكان.

٢ - وجودُ عشراتِ الآلاف من المفقودين والجرحى والمصابين.

٣ - تشريدُ وإخراجُ أكثرَ من ٧٠٠ ألف مسلم من ديارِهم، وهم موجودون الآن لاجئين في الدولِ المجاورة مِثلِ غينيا وسيراليون.

٤ - اغتصابُ عددٍ كبير من النساءِ والفتياتِ المسلمات.

٥ - هدمُ المساجدِ ومنازلِ المسلمين ومؤسساتِهم التعليميةِ والاقتصاديةِ،

وسرقةُ ونهبُ كلِّ ممتلكاتِ المسلمين ـ بما في ذلك المكتباتُ الإسلامية العامَّة ـ، مع تدنيسِ المصاحف[١] .

*** الصليبيُّ القذر «يعقوب غاوون» وإرادتُه القضاءَ على المسلمين في نيجيريا :**

في عام ١٩٦٧م قام الصليبيُّ «يعقوب غاوون» بانقلابٍ دمويٍّ في نيجيريا علىٰ الصليبي «جويبي إيرونسي»، وكان «غاوون» ممثِّلَ الكنيسةِ العالَمية، وكان هدفُه القضاءَ علىٰ الوجودِ الإسلاميِّ في نيجيريا، حتىٰ لو استدعىٰ ذلك قيامَ حربٍ أهليةٍ في البلاد، وهذا ما حَدث بالفعل في عام ١٩٦٧م عندما اشتَعلت الحربُ الأهلية في نيجيريا، والتي ذهب ضحيَّتَها أكثرُ من مليون نيجيري، ولقد ساعد «غاوون» الحركةُ الانفصاليةُ في إقليم «بيافرا» التي أبادت آلافَ المسلمين[٢] .

*** وفي «تشاد» ذَبَح الصليبيون الفرنسيون ٤٠٠ من خِيرةِ علماءِ المسلمين :**

عندما احتلَّ الفرنسيون «تشاد» في أوائلِ القرنِ العشرين الميلادي، ذَبح الفرنسيون الصليبيون ٤٠٠ من خِيرةِ المسلمين وعلمائِهم في مذبحةِ «كبكب» الشهيرة . . فلعنةُ اللَّه علىٰ الكافرين .

*** نشيدُ الصليبيين الإيطاليين البُغاة عند احتلالهم لليبيا :**

كان الجنديُّ الصليبيُّ الإيطالي ينادِي بأعلىٰ صوته، حين كان يَلبسُ

(١) «وجاء الدور علىٰ الإسلام» لرضا محمد العراقي (ص٨٤)ـ دار طويق للنشر والتوزيع .
(٢) المصدر السابق (ص٧٥).

بَذَّةَ الحرب قادمًا إلى ليبيا:

أمّاه...

أتمّي صلاتك.. لا تبكي...

بل اضحكي وتأمّلي...

أنا ذاهب إلى طرابلس...

فَرِحًا مسرورًا...

سأبذل دَمِي في سبيلِ سَحقِ الأُمةِ الملعونة...

سأُحاربُ الديانةَ الإسلاميةَ...

سأُقاتِل بكلِّ قوّتي، لمحو القرآن[1]

* عُبَّادُ البقر من أشدِّ الناس عداوةً للنبي ﷺ:

قَتَل الجيشُ الهنديُّ في «بنجلاديش» - عُبَّادُ البقر الذي كان يقودُه اليهودُ - عشرةَ آلافِ عالمٍ مسلمٍ بعد انتصاره على جيشٍ باكستان عام ١٩٧١م، وقَتل مئةَ ألفٍ من طلبةِ المعاهد الإسلامية، وموظَّفي الدولة، وسَجَن خمسين ألفًا من العلماء وأساتذةِ الجامعات، وقَتَل رُبعَ مليون مسلمٍ هنديٍّ هاجروا من الهند إلى باكستانَ قبل الحرب، وسَلَب الجيشُ الهنديُّ ما قيمتُه (٣٠ مليار رُوبية) من باكستانَ الشرقية التي سَقَطت من أموال الناس والدولة[2].

---

(١) «قادة الغرب يقولون: دمِّروا الإسلام أبيدوا أهله» (ص١٠) لجلال العالم - مكتبة ابن تيمية.

(٢) «مأساة بنغلاديش» لمحمد خليل الله (ص٧، ١٩، ٢٠، ٢٢، ٢٣).

* في ولاية «جامو وكشمير» المسلمة:

◘ كتب أحدُ رموز الهندوس وكُتَّابِهِم المدعو «أمير شبح الهندوسي» الحقيرُ مقالاً يَستهزئُ فيه بالإسلامِ وبتاريخ الإسلام وبأُمةِ الإسلام، وقال: «حياةُ المسلمين أقربُ إلىٰ حياةِ الحيوان»[1].

كَمْ مِن هَمٍّ يَركبُ ناصيةَ القلبِ ويقودُ زِمامَه!! وكم من دمعةٍ حرَّىٰ تَخُطُّ وَسْمًا علىٰ الخَدِّ بعد أن حَوَّل الهندوسُ ـ عُبَّادُ البقر ـ أرضَ كشمير إلىٰ جحيمٍ مُستَعِرٍ يَلتهمُ الأخضَرَ واليابس، يَقتلُ الأبرياءَ، ويَهتِكُ الأعراضَ، ويَهدِمُ المساجدَ!!.

◘ يقول الشيخ «إعجاز الإسلام» عن الجرائمِ التي قام بها الهنودُ في كشمير: «إنه لا يُوجَدُ لها مثيلٌ في تاريخ العدوان والظلم.. قاموا بقَتلِ الأبرياء، وذَبحِ الشبابِ أمامَ آبائهم وأمهاتهم، كما اعتَدوا علىٰ الذكور من الشباب، وقاموا بتصفيتهم، وهتكوا أعراضَ النساءِ المسلمات جماعيًّا، ونَهبوا الأموال، وأحرَقوا البيوتَ والمتاجر، وهناك أكثرُ من خمسينَ ألفًا من المسلمين في زنزاناتِ التعذيب، وتمَّ قتلُ أكثَرَ من واحدٍ وعشرين ألفًا، وهناك أكثرُ من ٢٥ ألفَ معوَّق، وكل ذلك جَرَىٰ مؤَخَّرًا»[2].

◘ سيطر الاستعمارُ البريطانيُّ علىٰ ولاية «جامو وكشمير»، ثم اشترىٰ مِن طائفةِ (الدوجرة) الهندوسية «كشمير» بمبلغٍ ضَئيلٍ قَدْرُه سبعةُ ملايينَ

(١) «مأساة إخواننا المسلمين في كشمير المسلمة» (ص٧٠) للدكتور فهد حمود العصيمي ـ دار النشر الدولي.

(٢) المصدر السابق (ص٤٩).

ونصفُ مليون روبية، أي قد بيع النفرُ الواحد بسبعِ روبيات، وهي تعادلُ ثُلُثَ الدولار الأمريكي، وتلك الاتفاقيةُ لِبَيعِ الولايةِ تُسمَّى اتفاقية «أمرتسر»، وليس لهذه الاتفاقية أيَّةُ مكانةٍ من الناحية القانونية والخُلُقيَّة.

ولَمَّا تمكَّن المسلمون من إنقاذِ ثُلُثِ الولاية، وأسَّسوا الحكومةَ الحرَّة لولاية «جامو وكشمير» المسلمة في ٢٤ من أكتوبر عام ١٩٤٧، واضْطُرَّ الملكُ الهندوسيُّ «هري سنغ» إلى الفرارِ من عاصمةِ الولاية إلى «جامو»، وقدَّم خلالَ فرارِه إلى الحاكم العامِّ للهند طلبًا للموافقةِ على انضمامِ الولايةِ للهند، وصَدَر قرارُ الأمم المتحدة بإجراءِ استفتاءٍ لتقريرِ مصيرِ الولاية بانضمامِها إلى باكستان أو الهند - وذلك في ٥ من يناير عام ١٩٤٩م -، وماطلت الهندُ لعلمها مُسبَقًا بما تكونُ عليه نتيجةُ الاستفتاء، إذ إن نسبةَ المسلمين في كشمير ٨٥٪ من سكانها.

❑ لقد ارتكب الهنود عُبَّادُ البقر من الجرائمِ البشعةِ ما يفوقُ الوصفَ وما لا تفعلُه الوحوشُ الضارية.

ففي قرية «كنان بوش بورا» ليلة ٢٣ فبراير ١٩٩١، حين دخل القريةَ مئاتٌ من جنود الكتيبةِ الرابعةِ «لراجيوت رايلفز» التابعةِ للفرقة ٦٨ مشاة في تلك الليلةِ الباردةِ، وأوقفت كلَّ الأولادِ والرجالِ في ملابسِ نومهم في العَرَاء وهم يَقْشَعِرُّون من البرد، بينما بدأ الجنودُ يَنهَبون ويَحرِقون ويغتصِبون، فحطَّموا الأبوابَ، وطافوا بالبيوت بيتًا بيتًا، واغتَصبوا على الأقل (٥٣) امرأة، كانت أكبرهن سنًّا «جانا» التي تبلغ من العمر ٨٠ سنة والتي تعَرَّضت لاغتصابٍ جماعيٍّ هي وزوجةُ ابنها، وأصغرُهن تعرُّضًا للاغتصاب هما الفتاة «ميشرا» البالغة من العمر ١٣ سنة وأختُها البالغةُ من

العمر ١٨ سنة، واغتصبوا «ظريفة» التي تبلغُ من العمر ٢١ سنة وهي في الأيام الأخيرة من حملها، ووضعت مولودَها بعد ثلاثةِ أيامٍ من الحادثة، وقالت: «أحيا فقط لكي يكبرَ ابني ويثأرَ لي»[١] .

◻ وعلىٰ سبيلِ المثال انظر إلىٰ موجز عن العمليات الإجراميَّةِ الوحشيةِ للجيشِ الهندوسيِّ البربريِّ الغاشِمِ في ولايةِ «كشمير» المسلمة منذ يناير ١٩٩٠م حتىٰ يناير عام ١٩٩٢م:

ـ عددُ الشهداء من مُسلِمي «كشمير» رجالاً ونساءً وأطفالاً علىٰ أيدي الجنودِ الهندوس: ٣٩ ألف شهيد.

ـ عددُ الجرحىٰ من الرجال والنساء والأطفال: ٥٠ ألف جريح.

ـ عددُ الطلاَّب الذين قد حُرقوا أحياءً في مدينة «كبواره» في أكتوبر ١٩٩٠م: ٢٠٠ طالب.

ـ عددُ الطلاَّب الذين قد حُرقوا أحياءً في المدارس الابتدائية الأخرىٰ: ٥٠٠ طالب.

ـ عدد المسلمين من الرجال والنساء والأطفال في السجون ومراكز التفتيش «في كشمير»: ٥٠ ألف سجين.

ـ عددُ المسلمين الذين قد حرقوا أحياءً في بيوتهم: ٦٠٠ مسلم.

ـ عددُ المسلمين المهاجرين من «كشمير»: ٢٠ ألف مهاجر.

ـ عددُ النساء المسلمات اللاتي قد هُتكَت أعراضُهن جماعيًّا: ٣ آلاف امرأة مسلمة.

---

(١) المصدر السابق (ص٨٧).

ـ عدد النساء المسلمات التي قد وُجدت جُثثهنَّ في «نهر جهلم» بعد هَتكِ أعراضهن: ٣٥٠ امرأة مسلمة.

ـ عدد الشابات المسلمات اللاتي استشهدن بسبب هتك أعراضهن جماعيًّا: ١٥٠ مسلمة.

ـ عددُ النساء الحواملُ اللاتي قد وَضعن قبل الموعد بسبب هتكِ أعراضِهن جماعيًّا: ١٥٠ مسلمة.

ـ عدد البيوت والدكاكين التي قد حُرِقت بالبنزين والبارود في مساكن المسلمين: ٢٠ ألف دكان ومنزل.

ـ عددُ المستشفيات والمدارس والكليات التي قد حُرِقت بالبنزين والبارود: ٥٠٠.

ـ عددُ الأنعام التي قد حُرِقت حَيَّةً: ١,٠٠٠ من المواشي.

ـ قيمةُ الحبوب الغذائية التي قد حُرِقت: ١,٠٠٠ مليون دولار.

ـ قيمةُ البساتين والغابات التي قد حُرِقت: ١,٠٠٠ بليون دولار.

الجيشُ الهندوسيُّ القَذِرُ في «كشمير» يَغتصبُ ويَحرِقُ ويدمِّرُ ويَقتلُ ويَسرقُ كأحطِّ ما يفعلُ البشر.

*** أما هدمُ المساجد في الهند:**

فقد قام الهندوسُ في ٦/ ١٢/ ١٩٩٢ بهدم المسجد «البابري» وإقامةِ مبعدٍ وثنيٍّ مؤقَّتٍ على أنقاضِه لإلههم «راما» الذين زَعموا أنه وُلِد في مكانِ المسجد، ولَمَّا هَبَّ المسلمون مستنكِرين لهذا في مناطقِ الهند قُتل منهم خمسةُ آلافِ مسلم، وعشراتٌ منهم أُحرِقوا أحياءً.

* عودة أخرى إلى «كشمير»:

لقد قَتل الهندوس أكثرَ من ١٢٠ ألفًا من المسلمين في سنواتٍ أربعَ فقط.

* وا إسلاماه:

□ ويذكر الشيخ «نفيس كشميري» رئيس «اللجنة السياسية لتحريك المجاهدين» الاعتداءَ الهنديَّ الغاشمَ على قرية «كونن بوشه بوره»، فيقول: «إنهم أخرجوا الرجالَ في الحاديةَ عَشْرةَ ليلاً من بيوتهم، ودخلوا على النساءِ ـ وكنَّ ثلاثًا وخمسين امرأةً مسلمةً ـ، فعاثوا في أعراضِهن هتكًا، كان الرجال مقيَّدين خارجَ القرية لا حولَ لهم ولا قوَّة، والنساءُ يصرُخْنَ بأعلى أصواتِهنَّ: «وا إسلاماه وا إسلاماه». . ومما يذوبُ منه القلبُ كَمَدًا وألَمًا أن الجنودَ قاموا بهتك أعراضِ النساءِ جماعيًّا، ثم قاموا بقَتْلهنَّ وألقَوْا بجُثَثِهنَّ في الأنهار، وأن جُثثَ مئاتٍ من النساء المسلماتِ قد وُجدت في نهرِ «جهلم». .»[١].

□ ومن جرائمِ هؤلاءِ الكَفَرَةِ عُبَّادِ البقر: تعليقُ الرجالِ والنساءِ في الأشجارِ من رؤوسهم حتى الموت أو الجنون.

□ وذَكرت مجلة «آسيا واتش» الهنديةُ في تقريرها الشاملِ في مايو ١٩٩١ ميلادية: قيامَ القواتِ الهندوسية يوم ٢٣ فبراير ١٩٩١م باقتحامِ البيوت في قرية «كونان بوشبورا» والقيامَ باغتصابِ كافَّةِ النساءِ والفتيات من ١٣ إلى ٨٠ سنة.

---

(١) «مأساة إخواتنا المسلمين في كشمير المسلمة» (ص٥٠).

◻ وذكر الشيخ «أحمد القطَّان» أنه تَمَّ في يومٍ واحدٍ قَتلُ نصفِ مليون مسلم في وَضَحِ النهار بدون أن يَعلمَ العالَم، وقتَها كان العالمُ الإسلاميُّ غارِقًا في سماعِ أغاني كوكب الشرق وفيروز(١) .

* **الهندوس واليهود:**

التاريخُ يُعيدُ نفسَه.. مثلما شَهِدَ اليهودُ للمشركين بأنهم أهدىٰ سبيلاً وأصحُّ دينًا كما قال اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا** ﴾ [النساء: ٥١]... سافر «شيمون بيريز» ـ دَجَّالُ اليهود ـ إلىٰ الهند، وقال هناك: «غاندي هو بمثابةِ نبيٍّ للإسرائيليين»(٢) .

أما موضوعُ مباحثاتِ «بيريز» مع القادةِ الهنود، فهو: «التصدِّي للأصولية الإسلامية»، ويؤكد القادةُ الكشميريُّون أن عدداً من جنرالات الجيش الصهيوني يُشرِفون علىٰ حرب الإبادة التي يمارسُها الجيشُ الهنديُّ ضدَّ الشعب الكشميري(٣) .

◻ ولقد قال «بنيامين نيتانياهو» ـ أحد وزراء حكومة «شامير» السابقة ـ لصحيفة «هاآرتس» الصهيونية: «إن ديمقراطيةَ الهندِ وإسرائيلَ تُواجِهُ بربريةَ العرب والمسلمين في آسيا وأفريقيا»(٤) .

---

(١) المصدر السابق (ص٧٦).

(٢) المصدر السابق (ص١٣٣).

(٣) المصدر السابق (ص١٥٢).

(٤) المصدر السابق ص(١٥١ـ١٥٢).

◘ ولا تعجبْ! فالكُفر مِلَّةٌ واحدة. . «وعندما أرادت الهندُ أن تُمزِّقَ دولةَ باكستان، اختارت لجيشها قائدًا يهوديًّا، مع أن عددَ اليهود في الجيش الهنديِّ لا يتجاوز أصابعَ اليد الواحدة»(١) .

* تركستان المسلمة والدُّبُّ الروسيُّ عدوُّ الله ورسوله ﷺ القياصرةُ منهم والشيوعيون:

بلاد التُّركستان «وهي الجمهورياتُ الإسلاميةُ في الاتحاد السوفيتي سابقًا. . وهي «تركستان الغربية»، أما «تركستان الشرقيةُ»، فقد استولت عليها الصينُ عام ١٨٨١م. . أما تركستان الغربية، فقد استمرت حروب الدبِّ الروسيِّ لها مُتصلةً لفترةٍ دامت (٣٤٨) سنة، بدأت في عام (١٥٥٢م) باحتلان «قازان»، وتوقَّفت عام ١٩٠٠م بالوصول إلىٰ «بامير» علىٰ حدود الصين.

هذه الدولةُ التي دخلها الإسلامُ سنة ٢٣٢هـ بإسلامِ خاقانها «ستوق بوغراخان» ووزرائِه وقوَّادِ جَيشِه، وأصبح دينُها الرسميُّ الإسلام، وكَوَّنت إمبراطوريةً عظيمةً خلالَ القرنَيْنِ الرابعَ عَشَرَ والخامسَ عَشَرَ، وكانت «موسكو» تُسمَّىٰ شيخة «الموسكوف» وحُكَّامها يدفعون الجزيةَ للمسلمين.

وتغيَّرت الأيامُ بإخلادِ المسلمين إلىٰ التَّرَفِ والحياة الدنيا، وهَجَم عليها «إيڤانُ الرابع» - كناز موسكو - المدعو والمعروف بـ «إيڤانِ الرهيب» علىٰ رأسِ مئتَي ألفِ جُنديٍّ وعددٍ كبيرٍ من رجالِ الدين والمهندسين المدنيين الألمانِ المستأجَرين بالمال، وحارَبَهم أهلُ قازان، ودام القتالُ أربعين يومًا،

(١) المصدر السابق (ص١٥٣).

تَلِف فيه نِصفُ الجيشِ الروسيِّ المهاجِم، لكن تَمكَّن المهندسون الألمانُ من نَسفِ جُسور القلعة بالبارود، ثم احتلُّوها.. وبعد بِضعةِ أيام سَقطت «قازان» عاصمة الدولة الإسلامية في ١٥ أكتوبر سنة (١٥٥٢م)(١).

وانطلق الروسُ القياصرةُ الذين كانت مساحةُ بلادهم عام (١٤٣٠م) لا تزيدُ على (٤٠٠٠٠) كم٢، حَولَ موسكو.. انطلقوا بوحشيتهم البربريةِ الصليبيةِ حتى أخذوا من ديارِ المسلمين مساحةً تزيدُ على ١٠ مليون كم٢.

□ يقول عدوُّ اللَّهِ ورسوله ﷺ الجنرال الروسي ـ جَلاَّد «طَشْقَند» ـ عما شهده بأمِّ عَيْنه عند سقوطِ «طشقند»: «إن مدينةَ «طشقند» كانت مستعدةً بأكياسِ الرِّمال في شوارعها، وكانت المقاومةُ عنيفةً جدًّا، وقد مات كثيرٌ من الناسِ وهم يُهاجِمون جماعاتٍ أو منفردين في شوارعِ المدينة، ولم يَستَسْلموا ـ بل ماتوا على أَسِنَّةِ الرِّماح ـ، ورأى جنودُنا «الروس» الذين اجتازوا الشوارعَ مقاومةً عنيفةً وقتالاً شديداً، ولم تُبْسَطْ أيدينا على مجتمعِ «أوتاد» إلاَّ بعد أن سَبَحَ جنودُنا في بحارٍ من الدِّماء»!!!(٢).

□ جاء في كتاب «الخطر الإسلامي على الدولة السوفيتية» لمؤلِّفَيْه «ألكسندر بنيجست» و«ماري بروكسوب»: «اعتُبرت «روسيا» ثَغْرَ أوربَّا الشرقيَّ، كما كانت أسبانيا «الأندلس» ثغر أوروبا الغربي ـ أي: دولة المواجهة مع المسلمين ـ، والتي تحمي أوربا من الخطر الإسلامي».

والتاريخُ الروسيُّ يقومُ على مقولةٍ تَزعُم أن روسيا أَنهكت نفسَها في

(١) «تركستان بين الدبِّ الروسي والتِّنين الصيني» (ص٢٥ـ٢٦) ـ دار الدعوة بالإسكندرية.
(٢) المصدر السابق (ص٣١ـ٣٢).

كفاحٍ بطوليٍّ ضدَّ المسلمين دار عِدَّةَ قرونٍ، ولكنه لم يَذهبْ هَباءً، فقد أَنقذ هذا الكفاحُ أوروبا التي استطاعت - بفضلِ الحمايةِ الروسيةِ - أن تَمضيَ في تطويرِ حضارتها الرائعة، ولكنَّ الثمنَ كان فادِحًا؛ لأن روسيا تقهرُ برابرةَ آسيا!!!.

كان عليها أن تَهبطَ لمستواهم، وتتبنَّىٰ أساليبهم مثل: الحكم الاستبدادي، والأساليب الهمجية، وفقدان الحريَّة.

هذه هي الصورةُ التي تُقَدَّم في الأدب الروسي.. روسيا هي الفارسُ الذي قَتل التِّنين الآسيويَّ المسلم، وأنقذ «الأميرة» أوروبا؛ ومِن ثَّمَ للفارس حقٌّ السيادة علىٰ الأوربيين الصغار، وامتياز تحضيرِ الآسيويين الروس المتوحِّشين مقابلَ الدَّورِ الذي لَعِبه في قهرِ المسلمين!!!.

ولكنَّ الحقيقةَ مخالفةٌ لهذا الزعم تمامًا، فقد كان المسلمون في قِمَّةِ الرُّقِيِّ والحضارة، وكان الرُّوسُ في قمَّةِ التخلُّف.

ومنذ الغزو القيصريِّ الروسيِّ لبلاد التركستان إلىٰ بدايةِ الثورةِ الشيوعيَّة، كان القياصرةُ الروسُ الصليبيون أعداءُ رسول اللَّه ﷺ يَهدِفون إلىٰ التخلُّصِ النهائي من المسلمين بالأساليب القذرةِ الآتية:

١ - الإبادةُ بالطردِ الجماعي، وهي سياسةٌ قاسيةٌ بربرية، وقد استُخدمت مع قبائل الشركس، ومسلمي «أبخاذيان» وجزئيًّا مع تتارِ القِرْم الذي أُجبِروا علىٰ الهجرة إلىٰ الدولةِ العثمانية عام (١٨٦٥م) ليَحُلَّ مَحلَّهم الروسُ والجورجيُّون.

(١) انظر المصدر السابق (ص٣٥-٣٦).

٢ ـ الإبادةُ بالقتل الجماعي، مثلِ المذابحِ التي قام بها الجنرالُ الصليبي القذر «سكوبولوف» ضدَّ التركمان عام (١٨٨١م).

٣ ـ الابتلاعُ من خلالِ عملياتِ التنصير للمذهبِ «الأرثوذكسي»، وهي سياسةٌ طبَّقوها مع تتارِ «الفولجا» في القرنِ السادسَ عَشَرَ، ثم في القرن التاسعَ عَشَرَ.

لقد استخدم الروسُ أبشعَ وأحطَّ الوسائلِ مع المسلمين، وصُودرت أوقافُهم، واختَفىٰ ما بين سنة ١٧٣٨م إلىٰ سنة ١٧٥٥م (٤١٨) مسجداً من مجموع ٥٣٦ مسجداً، وكانت عقوبةُ الإعدامِ هي جزاءَ مَن يدعو إلىٰ الإسلام، وما بين ١٨٦٥م و(١٩٠٠م) ـ أي خلالَ خمسةٍ وثلاثين عامًا ـ اعتنق أكثرُ من مئةِ ألف تَتَرِيٍّ المسيحيةَ قهراً، وحين انتهىٰ حكمُ القياصرة عام ١٩١٧م، أصدر «لينين» أمراً في إبريل عام ١٩١٨ بالزحف إلىٰ البلادِ الإسلامية، وأخذت الدباباتُ تَحصِدُ المدنَ حَصداً، وتدكُّ القِلاعَ والحصون، وتَهدِمُ البيوتَ والمنازلَ علىٰ رؤوسِ أصحابها.

وبعد استيلاءِ الشيوعيِّين علىٰ «القِرْم» عام ١٩٢٠م، أَخذ الروسُ يطبِّقون سياسةَ الهدمِ والتهجير والتشريد الجماعيِّ لمسلمي القِرْم، التي كان عددُ سكَّانها في ذلك الحين يُقاربُ الخمسةَ ملايين نَسمةً، ونتيجةً للمعاركِ الدمويَّةِ والضغطِ السياسيِّ والحِصارِ الاقتصاديِّ أُجبِر مسلمو القِرْم علىٰ الهجرةِ بغرضِ إيواءِ اليهود بدلاً منهم؛ ولم يَبْقَ من سكَّانِ لبلاد بعد عام (١٩٤٠م) سوىٰ (٤٠٠,٠٠٠) مسلم.

لقد هُدِّمت المساجد والمدارس، وحُوِّل بعضُها إلىٰ كنائسَ، ولم يَبْقَ

من (١٥٥٨) مسجدًا إلاَّ (٧٠٠)، حُوِّلت مِن بعدُ إلىٰ دُورٍ للَّهو، أو مَقَاهٍ، أو دورٍ للسينما والمسرح، أو مستودعاتٍ للذخائر، أو إستطبلاتٍ للخيول.. أو متاحف!!!.

□ وجاء في «تقرير لينين» الذي نَشرته جريدة «أُزفتسيا» أن عدد الذين ماتوا من الجوعِ في القِرْم (٤٧,٠٦٩) فردًا.

□ وجاء في أقوال «لينين» عن بلادِ القِرْم «المسلمين»: «إن أكلَ لحمِ الإنسانِ لم يكن من الحوادثِ التي يُستغربُ لها، أو يبدو عجيبًا في بابه»!![1].

□ وتفرَّق المسلمون في بلاد القِرْم بحثًا عمَّا يَسُدُّ رَمَقَهم ورَمَقَ عيالهم.. حتىٰ الحشائشُ والعشب، وإذا لم يَعثُروا علىٰ هذا ولا ذاك تساقطوا صرعىٰ.

□ وتقولُ بعضُ الروايات: «إن المجاعةَ وصلت إلىٰ حدٍّ أنَّ بعضَ النساءِ كُنَّ يقتُلْن أولادَهنَّ ويأكُلْنَ لحومَهم، ثم يَجمعون العظام في ركنٍ يَبكينها.

*** أغربُ من الخيال: «ستالين» عدوُّ رسول اللَّه ﷺ والمسلمين يَنفي ما يَزيدُ عن (١,٥) مليون مسلم عن بلادهم:**

وصدر في ديسمبر عام ١٩٤٣، قرارٌ عن «مجلس السوفيات الأعلىٰ» برئاسة «ستالين» عدوِّ رسول اللَّه ﷺ ينصُّ علىٰ ما يلي:

١ - جمهورية «شيشان» المتمتعةُ بالحكم الذاتي، والتي يَبلغُ عدد سكانها (٨٠٠,٠٠٠) نسمة.

(١) المصدر السابق (ص٦٢)، نقلاً عن «كارثة القرم» لولي شاه.

٢ ـ جمهورية «قرة ـ شاي بالقار» المتمتعةُ بالحكم الذاتي، والتي يبلغُ عدد سكانها (٣٥٠,٠٠٠) نسمة.

٣ ـ جمهورية «القِرْم» المتمتعةُ بالحكم الذاتي، والتي يبلغُ عددُ سكَّانها (٤٠٠,٠٠٠) نسمة.

هذه الجمهورياتُ يجبُ محوُها لتعاونها مع العدو[1]، وسكَّانُ هذه الجمهورياتِ من النساءِ والرجالِ والشيوخِ والأطفالِ سيُطردون من بلادهم إلى المناطقِ الشمالية من روسيا[2].

وأصبح هذا القرارُ ساريَ المفعول في الثالث والعشرين من فبراير ١٩٤٤م، وأُذيع على العالَم في الخامس والعشرين من يونية ١٩٤٦م.

فلعنةُ اللَّه على «ستالين» الشيوعيِّ العَفِنِ الذي نفى أكثرَ من مليون ونصف مليون مسلم عن بلادهم إلى «سيبيريا» أكثرَ من ثلاثةَ عَشَرَ عامًا، فعادوا بعد موته في ٩/ ١/ ١٩٥٧م.

❑ لقد قَدَّر بعضُ المراقِبين والمُطَّلِعين أنه تم إغلاقُ (٩٠,٠٠٠) مسجدٍ في جميعِ أنحاءِ الاتحاد السوفيتي، كما يقول «فور محمد خان» في كتابه «القصة الحقيقية لحياة المسلمين في ظِلِّ الحكم الروسي والصيني».

*** أعداءُ اللَّهِ ورسولِه ﷺ من الروس ـ سواءٌ القياصرة أم البلاشفة ـ:**

*** «إيفان الرهيب» (١٥٤٧ ـ ١٥٨٤م):**

تولَّى الحُكمَ في الفترة من (١٥٤٧ ـ ١٥٨٤م) إيفانَ الرابع المعروف

(١) أي: الدولة العثمانية.

(٢) أي: يُنفَوْن إلى سيبيريا.

تاريخيًّا بإيفان الرهيب لدمويته، وقد قام باجتياحاتٍ كبرىٰ للمناطق الإسلامية في القوقاز وآسيا الوسطىٰ.

وفي عام (١٥٨٤م) هاجَمَ الروسُ بقيادة «إيفان الرهيب» منطقةَ «القِرْم» إلاَّ أن استبسالَ تتارها ودَعْمَ العثمانيين لهم أفشَلَ الهجوم، وألحَقَ الهزيمةَ للمرةِ الأولىٰ بإيفان الذي مات في العام نفسِه تُشيِّعه لعناتُ اللاعنين بما فعل بالمسلمين[١] .

* القيصر بطرس الأول:

«لَمَّا ثارت «أستراخان» ضدَّ القيصر بطرس الأول، قَمَع ثورتَها بشدَّة، وارتكب مذبحةً رهيبةً بحقِّ المسلمين التتار»[٢] .

* الإمبراطورة «تسارينا آنا» (١٧٣٨ ـ ١٧٥٥):

«في عهدِ هذه الإمبراطورة اللعينة، دَمَّرَ الروسُ في «قازان» وحدَها (٤١٨) مسجداً ومركزاً دينيًّا من أصلِ (٥٣٦)، وشَنَّ القياصرةُ حَملاتِ اضطهادٍ ضدَّ المسلمين التتار في القوقاز، لدرجة أن المؤرِّخين يُشبِّهون تلك الفترةَ بفترةِ التطهير العِرقيِّ والديني التي شنَّها «جوزيف ستالين» في العهد الشيوعي ضد المسلمين، وتنوَّعت أساليبُ القهرِ القيصري من قمعٍ وتهجيرِ المسلمين، ثم فرضوا التنصيرَ القَسْريَّ، لقد كان القانونُ القيصريُّ يُحرِّمُ اعتناقَ أيِّ دينٍ غير المسيحية الأرثوذكسية، واستُبدلت السلافية بكل اللغات العربية والتركية والفارسية»[٣] .

(١، ٢) «محنة الشيشان» لشعبان عبدالرحمن (ص٧٢) دار الوفاء.

(٣) المصدر السابق (ص٧٣).

* مرةً أخرى مع ستالين اللعين.. ومَن أَولى منه بقعر الجحيم؟!:

الدُّبُّ الأحمر، لكأنَّا نوجِّه إهانةً مباشرةً إلىٰ فصيلة الدُّبِّ، وأَوْلَىٰ به أن يُوصفَ بأنها «خنزيرٌ أحمر»، وإن كان دونَ مستوىٰ الخنازير، لفظًا ومعنىً، وشكلاً وحقيقةً، وعَرَضًا وجوهرًا.

لقد وَلَغَ في دماءِ المسلمين - في روسيا - كالكلبِ العقور.. ففي أقلَّ من نصفِ قرنٍ، لَقِيَ أكثرُ من عشرينَ مليون مسلمٍ مصرعهم، وتقولُ الإحصائيات: إن «ستالين» وحدَه خلالَ حُكمِه الذي دام زُهاءَ ثلاثين عامًا، قَتَلَ أكثرَ من أحَدَ عَشَرَ مليون مسلمٍ، لقد كان هذا الكلبُ العقورُ لا يتلذَّذُ إلاَّ بالقتل الجماعي، وبمنظرِ حماماتِ الدمِ التي كان يُشرِفُ عليها[1].

وليلُه ليلُ سُكرٍ وعَربدةٍ:

◻ وبرغم ذلك كتب الأستاذ «خالد محمد خالد» في جريدة «المصري» إثر هلاك الطاغية في الرابع من مارس ١٩٥٧م مقالاً ضافيًا تحت عنوان «طِبتَ حَيًّا وميّتًا يا ستالين!»[2].

◻ ستالين الذي كان التهجيرُ الثاني في فبراير ١٩٤٤م لأهلِ الشيشان إلىٰ سيبيريا علىٰ يديْه، «وكان التهجير إلىٰ مناطقِ سيبيريا القارة المتجمِّدة والتي تَصِلُ درجةُ الحرارةِ فيها إلىٰ (٥٠) درجةً تحت الصفر، ففي الشعب الشيشاني كلِّه (٢,١ مليون)، وقد مات (٥٠٪) من الشعب الشيشاني أثناءَ

(١) «الذين طغوا في البلاد» (ص١١٥ - ١١٦) لمحمد عبدالله السمّان - الكلمة الطيبة - للنشر والتوزيع.
(٢) المصدر السابق (ص١١٧).

هذا التهجيرِ القَسْريِّ من الأطفال والنساء بسبب سياسةِ التجويع حتىٰ الموت، لقد كانت وسائلُ التهجير في غايةِ القسوة، فقد جُمع الشعبُ الشيشانيُّ بأكملِه في محطاتِ القطارات دونَ السماحِ لهم بحَملِ أيِّ شيءٍ من المتاع مجرَّدين من كلِّ شيءٍ - حتىٰ المال - تحت طلقاتِ الرصاصِ وتهديدِ الحراب، وحُشِرِ الناسُ في عرباتِ القطارات الخاصةِ بالبضائعِ والحيواناتِ إلىٰ أراضي البراريِّ في شَمالِ جمهورية «قازاخستان» دونَ طعامٍ ولا ماءٍ ولا كساء، وكلُّ مَنْ يرفضُ تنفيذَ الأوامر يُقتلُ مباشرةً أمامَ الناسِ بوحشيةٍ تُرهِبُ مَن يَرىٰ ويَسمع. . أمَّا أهالي الجبال - أصحابُ العزائم الشديدة -، فقد جُمِعوا في إسطبلات الخيول، وسُكِب عليهم البترولُ وأُحْرِقوا أحياءً، ومِن بين المواقع التي أُحرِق فيها أعدادٌ لا حَصْرَ لها قريه «خيباخي» التي ما زالت شاهدةً علىٰ هذه الأحداثِ الجِسام»[1] .

▫ قال هذا الدبُّ الأحمر «ستالين» في أُخريات حياته: «انتهيتُ أنني لا أثقُ بأحدٍ حتىٰ ولا بنفسي»[2] .

▫ فلعنةُ اللَّه علىٰ هذا الصليبيِّ الشيوعيِّ ستالين.

***

---

(١) «محنة الشيشان» لشعبان عبدالرحمن (ص٧٥، ٧٦). و«الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين» لمصطفىٰ دسوقي كسبة - هدية مجلة الأزهر لذي القعدة ١٤١٥هـ (١٠٤) «تاريخ النفي ورد في خطاب خرتشوف السِّري - فبراير ١٩٥٦م - كان في مارس ١٩٤٤م، وتقول المصادر الغربية: إنه كان في ٢٠ فبراير عام ١٩٤٤م.

(٢) «ستالين» لبسام العسيلي نقلاً عن «الذين طغوا في البلاد» (ص١١٨).

* وا إسلاماه.. وا إسلاماه:

* مسلمو البُشناق ـ البوسنة والهِرْسك وكوسوفو ـ، ووحشيَّةُ الصِّرْب والكُرْواتِ الصليبيين أعداءِ اللَّه ورسوله ﷺ:

الصليبيون في البوشناق من القديمِ هم وحوشٌ ضوارٍ وأفاعٍ، وذئابٌ وثعالب، بلغوا أقذَرَ درجاتِ الانحطاطِ البهيميِّ.. أقاموا من المجازر ما يَعجزُ الخيالُ عن تصوُّرِه.. هم أعداءُ رسول اللَّهِ ﷺ حقًّا، وإنْ لم يكونوا هم أولَ أعدائِه، فليس على ظهرِ الأرض للرسول ﷺ عدوٌّ، هم الذين أذاقوا مسلمي البوسنةِ والهِرسك وكوسوفو أشدَّ أنواعِ العذاب في الدنيا في هذا القرن.. هم الذين اغتصبوا النساءَ جماعيًّا.. إن رجالَ الدينِ الأرثوذكس كانوا هم أنفسُهُم يُحرِّضون الجنودَ على اغتصابِ المسلمات.. وللعلم، فإن الصربَ الأرثوذكس تابعون لكاتدرائيةِ الإسكندرية وللبابا شنودة!!.

❑ تقول إحدى الصبايا المسلمات التي اعتُدِي عليها مخاطِبةً العالَم الإسلاميَّ: «إنْ عَجزتُم عن مَدِّنا بالسلاح للدفاع عن شَرفِنا وديننا، فأمِدُّونا بحبوبِ مَنعِ الحملِ حتى لا تتعاظمَ المصيبة»[1].

❑ والمقابرُ الجماعيةُ التي ستظلُّ وَصْمَةَ عارٍ لأوربا الصليبية، كلُّها أقذرُ من محاكمِ التفتيش.

(١) انظر «ملحمة البوسنة والهرسك الجريمة الكبرى» للدكتور عدنان النحوي (ص٩٦) ـ دار النحوي ـ، و«البوسنة والهرسك ـ القضية والمأساة» لعبدالعزيز المهنا، وكتاب «الصراع في يوغوسلافيا ومستقبل المسلمين» لعبداللَّه عاصم إسمايتش.

لِنرجعْ إلىٰ الوراءِ قليلاً، ونسألِ التاريخَ عن قذارةِ الصربِ والكُرْوات.

❑ قبل الحربِ العالميةِ الثانية تم هدم (١٧٠ ألف) مسجد، وقُتِل (٢٤ ألف) مسلم، وتَشَرَّد مئات الآلاف من المسلمين.

❑ وقد نَشرت صحيفةُ «لوتون» الفرنسية في أحدِ أعدادِها الصادرة في أبريل سنة (١٩١٩م) حديثًا لرئيسِ العلماء المسلمين في يوغسلافيا قال فيه: «إنه في السَّنةِ الأولىٰ من حُكمِ الصِّرب تم إحراقُ وتدميرُ (٢٧٠) قرية، وقَتلُ آلافِ المسلمين»[١].

*** الصليبيُّ مَلِكُ الصرب «كرال بيتر»:**

تتحدثُ الوثائقُ والبياناتُ الدقيقةُ عن المجازِرِ البشعةِ الكثيرةِ التي ارتُكِبت بحقِّ مسلمي كوسوفو والبوسنة في تلك الفترةِ بقيادة مَلِكِ الصِّرب «كرال بيتر».. وإليك واحدةً من تلك المجازِرِ البشعةِ الكثيرةِ التي لا تُعَدُّ ولا تُحصَىٰ.

❑ يَروي عالِمٌ يوغسلافيٌّ مشهورٌ «برانكو هورفان» - وهو كرواتي من «زَغْرب» - في كتابه «مسألة كوسوفو»: «أن مَلِكَ يوغسلافيا في الفترة ما بين الحربيْن مَرَّ في طريقه من «كوسوفو» إلىٰ «ماكدونيا» بحَشدٍ من المسلمين تحتَ رقابةِ الجنودِ الصربيِّين، فسأل مساعديه: مَن هؤلاء؟ قالوا: إنهم مسلمون. قال: إن هؤلاء لا فائدةَ للملكة منهم، ويجبُ أن يُبادوا جميعًا،

---

(١) «جمهورية البوسنة والهرسك والحقد الصليبي الصهيوني علىٰ المسلمين» لأم القعقاع (ص٣١) - دار ابن الجوزي -.

ولكنْ مِن دونِ أن نخسرَ تَكْلِفَةَ الذخيرةِ والرصاص، اقتُلوهم بالخَشَبِ على حافَّةِ الطُّرقات. . ونُفِّذت أوامرُه على الفورِ، فكانت المجازرُ الجماعيةُ سلوكًا عاديًّا في تلك الفترة»[1] .

وما زال المسلمون المتقدِّمون في السِّن يَذكُرون مواقعَ بعضِ هذه المجازرِ التي لم يكنْ عددُ الضحايا فيها يَقِلُّ عن ثمانيةِ آلافِ مسلمٍ في المذبحة الواحدة من المذابح الكثيرة، كان الجيشُ الصربيُّ يمرُّ ببعضِ القُرىٰ المسلمة فيحرقُها بكلِّ ما فيها من بَشرٍ وحيواناتٍ ومنازل. . وفي مناسباتٍ أخرىٰ كانوا يصُفُّون الذكورَ ويَعدِمُونهم جميعًا دونَ استثناء.

وعلىٰ صعيدٍ آخَرَ هدموا مساجدَ المسلمين، وحَوَّلوا بعضَها إلىٰ ملاهٍ، وانتهكوا مقابرَهم، وحوَّلوها إلىٰ ملاعبِ كرة[2] .

*** مذابحُ للمسلمين في الحرب العالمية الثانية مِن قِبلَ عِصابات «التشتنيك» الصربية والصليبي «دراجا ميخائيلوفتش» وزير حربية يوغسلافيا عدوُّ اللَّه ورسوله ﷺ :**

عندما دخلت القوّاتُ الألمانية وسائرُ قواتِ «المِحور» في الحربِ العالمية الثانية أراضي «يوغسلافيا»، ونشأ عن ذلك تشكيلُ مجموعاتِ مقاوَمةٍ تمثَّلتْ في قِسْمَيْن: الجيش اليوغسلافي أو «التشتنيك»، و«جيش التحرير الوطني» يقوده «جوزيف بروز تيتو» ـ الكرواتي الأصل ـ الذي أصبح أمينًا عامًّا للحزب الشيوعي، وتكوَّنت قوةٌ ثالثةٌ هي «الأستابشا»، وهي حركةٌ

(١) المصدر السابق (ص٣١).

(٢) المصدر السابق (ص٣١ ـ ٣٢).

مؤيِّدةٌ للنازية، ودار التنافسُ بين هذه القُوىٰ الثلاثُ، وأدَّىٰ ذلك إلىٰ حربٍ أهليَّةٍ نُفِّذت فيها عملياتُ إبادةٍ منهجيةٍ ضدَّ المسلمين، حتىٰ بَلَغ عددُ الضحايا التي قَتَلها «التشتنيك» بحدود نصفِ مليون شخصٍ في البوسنة والهرسك وسنجق وكوسوف كما يذكر الأستاذ «عبدالله عاصم» في كتابه[1]، ولكنَّ الأرقامَ تختلفُ من مصدرٍ إلىٰ مصدر، وربَّما كان العددُ النصفُ مليون يمثلُ الضحايا في المناطق كلِّها.

❑ ويذكر سماحةُ الحاج «محمد أمين الحسيني» في كلمته عن البوسنة والهرسك في مجلة «فلسطين» أن عددَ القتلىٰ أَرْبَىٰ علىٰ مِئتَيْ ألفٍ، وأن هذه الفاجعةَ كانت بتوجيهِ «دراجا ميخائيلوفتش» وزيرِ حربية يوغوسلافيا ورئيسِ العصابات الصربية للقضاء علىٰ المسلمين في «سنجق بني بازار»، وعلىٰ المسلمين والكاثوليك في «البوسنة والهرسك»، وذلك علىٰ إِثْرِ الخلافِ الشديد بين الصرب وكرواتيا ورغبةِ كلٍّ منهما بالتوسُّعِ وضمِّ عناصرِهم الموزَّعين في البوسنة والهرسك وغيرها إليهم.

لقد استَنجد أهلُ البوسنة والهرسك آنَذاك بكلِّ مَن يعرفونه لمساعدتهم علىٰ النَّجاةِ من المجازرِ المروِّعة التي يرتكبُها الصِّربُ ضدَّ المسلمين العُزَّل، فاتَّصلوا بسماحةِ مفتي فلسطين الحاج «محمد أمين الحسيني»... واهتم سماحتُه بالأمر أثناءَ وجودِه في ألمانيا، ويقول سماحته: «لقد كنتُ في روما في ١٩ كانون الأول سنة ١٩٤٢م، حينما اتَّصَل بي السيد «مصطفىٰ بوصولا جيتش» البوشناقي الطالبُ في جامعة روما، وأنبأني بالمجزرةِ

---

(١) «الصراع في يوغوسلافيا» (ص٣١-٣٥).

الوحشيةِ التي اقتُرفت ضدَّ المسلمين في منطقتي بوسنة وهرسك من قِبَلِ عصابات «التشتنيك» الصِّرْبية، ثم تتابعت الأنباءُ المُحزِنةُ تُفصِّلُ تلك الفظائعَ الرهيبة»[1].

وكان للشيخ «أمين الحسيني» جَهْدٌ مشكور مع الحكومةِ الألمانيةِ والإيطالية، ووافقت الحكومةُ الألمانيةُ على تجنيدِ الشُّبان المسلمين وتسليحِهم للدفاعِ عن أنفسِهم وعن عائلاتهم داخل بلادِهم، وتكوَّنت فِرقتانِ مدرَّبتانِ: فرقةُ «خنجر» وفرقة «قاما»، بلغ عددُ جنودهما ٣٧ ألفًا، كما تكوَّنت فِرَقٌ من الشرطة والحرس، حتى بَلغ مجموعُ المجاهدين كلِّهم بحدودِ مئةِ ألفٍ. وقفت هذه القوى في وجه السَّفَّاح «ميخائيلوفتش» قائدِ المجازر والمذابح، لَمَّا حاول العودةَ إلى الاعتداء على المسلمين، فاستطاعوا بذلك إيقافَ المجازِرِ عن جميعِ مسلمي البَلْقَان، وقد كتب سماحة المفتي الحاج «محمد أمين الحسيني» إلى «مصطفى النَّحاس باشا» يُطلِعُه على تفاصيلِ عملياتِ الإبادة، ويَطلُبُ منه التدخُّلَ مع مَلِك يوغوسلافيا الملك «بطرس» الذي كان مقيمًا في مصر، فقام مصطفى النحاس بجَهدٍ طيِّب، وزار المَلِك، وهدَّد بإخراج جميعِ اليوغوسلافيين من مصرَ إذا استمرت هذه الاعتداءات. ولقد كان «ميخائيلوفتش» من أتباعِ المَلِك»[2].

لَعَن اللَّه ميخائيلوفتش وأسكنه اللَّه سقر جزاءَ ما فَعل بأتْباعِ رسول اللَّه ﷺ.

---

(١) «ملحمة البوسنة والهرسك» (ص٧٠، ٧١).

(٢) انظر المصدر السابق (ص٧١ـ٧٤).

◻ ونُشيرُ هنا إلىٰ واحدةٍ من المذابح التي تعرَّض لها المسلمون أثناءَ الحرب العالمية الثانية ـ وذلك في شهر سبتمبر سنة ١٩٤١م حين كان الرجالُ في الحربَ، قام الصِّربُ ـ الذين يُكِنُّون للمسلمين حِقدًا وغِلاً شديدَيْن ـ بَجمعِ حوالَي تسعةِ آلافِ مسلمٍ ومسلمةٍ من النساء والأطفال والشيوخ من بعضِ المدن، ثم حَشَدوهم في سَهل «فوجا»، وأطلقوا عليهم النار، فقتلوهم جميعًا، ثم ألْقَوْا بهم في نهر «درينا»، ثم كَرَّروا المذبَحةَ مرَّةً أخرىٰ في شهر ديسمبر مع ما يَقرُبُ من (٣٠ ألف) مسلمٍ آخَرين، حيث كانت درجةُ الحرارة عِشرين تحتَ الصِّفر، ومارسوا معهم أشدَّ أنواعِ العنف، حيث كانوا يَفتِكون بالأطفال، ويَبقُرُون بطونَ النساء، ثم يُلقُونهم في النهرِ الذي تحوَّل إلىٰ مقبرةٍ مثلَّجةٍ مغمورةٍ بدمِ المسلمين الأبرياء.

لقد كانت الحربُ العالميةُ الثانية من سنة (١٩٤١م ـ ١٩٤٥م) ـ والتي راح ضحيَّتَها مئاتُ الآلاف من المسلمين في إبادةٍ جماعيةٍ من سفَّاحين وقَتَلَةٍ من تشتنيك الصرب واستاش «منظمة فاشية كرواتيه ينظمها اليهودُ» ـ من أخطرِ المراحلِ للمسلمين في يوغسلافيا.

وعلىٰ سبيل المثال نَظَّم الجنرالُ الصربيُّ «ميخائيلوفتش» في (٢٠/ ١٢/ ١٩٤١م)، عملياتِ قمعٍ وإبادةٍ رسميةً بأمرٍ رسميٍّ منه برقم (٣٧٠)، وذلك غدرًا بالمسلمين، حيث أَمَر عصابته بذَبحِ المسلمين عن بَكْرةِ أبيهم، وخلالَ بضعةِ أيامٍ ذُبح من المسلمين (١٥٠ ألف شهيد) ـ منهم الأطفال والنساء والشيوخ والشباب ـ، ومَن لم يَمُتْ ذَبْحًا مات غَرَقًا أو تحتَ الأنقاض أو حَرْقًا.

◻ وتكوَّنت منظمةٌ عالميةٌ للتنصير في أوربا، وقال رئيس المنظمة آنَذَاك - ويُدْعىٰ «جورج» -: «ينبغي محاربةُ الإسلامِ في نفوسِ المسلمين المقيمين في أوربا».

◻ وقال أيضًا: «إنَّ الملايينَ العشرةَ من المسلمين المقيمين في أوربا هديةٌ بَعَثَها اللَّهُ لنا».

وخَرَجت وسائلُ الأعلام توعِزُ لمن تبقَّىٰ من المسلمين بعدَ هذه المجازر باعتناقِ المسيحيةِ حرصًا علىٰ سلامتهم[1].

◻ لقد مارس الصربُ والكرواتُ الشيوعيون والصليبيون مع المسلمين كلَّ ما تفتَّق عنه الذهنُ الشيطاني للتنكيل بهم.

*** هذا أولُ قُربانٍ في هذا العيد:**

لما دخلت الكتائبُ الصليبيةُ مدينةَ «فوتشا بوم» يومَ عيدِ الأضحىٰ سنة (١٩٤٢م)، أخذ أميرُ الكتائبِ مفتي المدينة، وثَبَّت سنابكَ الخيلِ علىٰ رِجْلَيِ المفتي بالمسامير، ثم رَكِبَ ظَهرَه إلىٰ المسجد حيث ذَبح المفتي علىٰ عتبةِ المسجد قائلاً: «هذا أولُ قربانٍ في هذا العيد»[2].

*** مذابحُ على نهر «درينا»، وتمجيدُ الكاتبِ الشيوعيِّ «إيفوندريس» صاحبِ جائزة «نوبل» عدوِّ اللَّه ورسوله لها:**

قتل الصِّربُ علىٰ جسور نهر «درينا» في يومِ عيد الأضحىٰ سنة (١٩٤٢م) حوالَي (٢٢ ألف) مسلم، كما قتلوا إبَّانَ الحربِ العالميةِ الثانيةِ ما

(١) «جمهورية البوسنة والهرسك» (ص٣٢-٣٤).

(٢) «جمهورية البوسنة والهرسك والحقد الصليبي الصهيوني علىٰ المسلمين» (ص٥٧).

يَزِيدُ علىٰ (٢٤٠ ألف) مسلم في نفس المنطقة.. ووراءَ هذه المجازر الأصابعُ اليهودية»(١) .

فقد كتب أحدُ كُتَّابِ اليهود ـ وهو الكاتبُ الشيوعيُّ «إيفوندريس» كتاب «جسر علىٰ نهر درينا» وقد طُبع للمرة التاسعةِ حتىٰ سنة ١٩٥٣م، وتُرجِم الكتاب إلىٰ لُغاتٍ كثيرة، ونال الجائزةَ اليهوديةَ المسمَّاة «نوبل» ولا عجَب أن يَلقىٰ الكتابُ كلَّ هذه الدِّعايةِ والرَّواجِ إذا عَلِمنا أنه يتهجَّمُ علىٰ الإسلام والمسلمين، وخاصةً شعبَ البُشناقِ البطل الذي صَوَّره الكاتبُ اليهوديُّ أشنعَ تصوير، ناسبًا لهم وللإسلام الأعمالَ الوحشية، معتمداً علىٰ الأكاذيبِ والخُرافات، وقد سارعت السلطاتُ اليوغسلافيةُ الشيوعيةُ إلىٰ تشجيعِ الناس علىٰ اقتناءِ الكتاب، بل وسَخَّرت صحافاتِها وإذاعاتِها للإطراء علىٰ الكاتب الذي حَبَّذَ القتلَ الجماعيَّ، وأشاد بالمذابح التي ذهب ضحيَّتَها عشراتُ الألوف من البشناق المسلمين، وبارك ذبح المسلمين(٢) .

◻ يقول الكاتب الدكتور عدنان النحوي: «وفي بداية نوفمبر سنة ١٩٢٤م، وقعت أبشعُ جرائم الإبادةِ في قُرىٰ «صاهوبيتش» و«بافينو بوليا» في مقاطعة «بيلوا بوليا»، حيث ذَبح رجالُ الجبل الأسود (٦٠٠) مسلم في ليلةٍ واحدة، كانت أجسامُ الرجال الأحياءِ تُمزَّق، والعيونُ تُخرق، والآذانُ تُقطَع، وأجزاءُ من الجسم تُفصل، والأجهزةُ الداخليةُ ـ كالمَعِدة وغيرها ـ تُخرج، وتُرسَمُ علامةُ الصليبِ بالسكاكين علىٰ الأجسام(٣) .. ثمَّ يَتبعُ ذلك

---

(١) «الدعوة» ـ ٢٠ شوال سنة ١٤١٢هـ.

(٢) «جمهورية البوسنة والهرسك» (ص٧٣ ـ ٧٤).

(٣) نفس المصدر (٨٧ ـ ٨٨).

احتفالاتٌ حيوانيةٌ يقيمها المجرمون(١) .

ومن الوسائلِ البشعةِ للتعذيب: سَلخُ جِلدِ الوجهِ والرأسِ والظَّهرِ للمرأة المسلمة، إشارةً من الصرب المجرمين إلى انتقامهم من حِجابِ المرأةِ المسلمة . . وكذلك سَلْخُ جِلدِ اليدين إشارةً إلى انتقامهم من وضوءِ المسلم وغَسلِ يديه عند الوضوء(٢) .

وذُبِح المسلمون على ضِفافِ نهر «درينا»، حتى يُظهِر لهم المجرمون الصربُ أنه لم يَعُدْ لهم جُسورٌ تَربِطُهم بالمستقبل.

وكان يُلقَى بالمسلمين أحياءً في آبارٍ طبيعية، ويُضربُ الأطفالُ الضعفاءُ على الصخور، ويُذبَحُ بعضُهم ويُلقى في الأنهار، أو تُلقَى الجُثَثُ دونَ دفنٍ أشهراً عديدة.

أعدادٌ كثيرةٌ من الناجين لا يُعرف مصيرُهم، قَصَصٌ مُرعبةٌ تقشعرٌّ منها الأبدان، وتَشيبُ لهولها النواصي، وترتجفُ القلوبُ وتتجَمَّدُ الدماء، وتتكتَّمُ العناصرُ الصِّربيةُ على هذه الجرائِمِ، وتُعاقِبُ مَن يحاولُ الإشارةَ إليها، وتُزيلُ آثارَ أماكنها، وعجيبٌ لهم - وهم يَدَّعون انتسابهم لدينٍ - ألاَّ يعلموا أن اللَّهَ يراهم ويَعلمُ سرَّهم ونجواهم، وأن الحسابَ الحقَّ عنده والعذابَ الشديدَ للمجرمين يوم القيامة؟!.

نَبَشوا قُبورَ المسلمين وأزالوها، وحَرَقوا الكُتُبَ، ودمَّروا المكتبات،

---

(١) «البوسنة والهرسك» لوكالة الأنباء الإسلامية (ص١٦)، و«ملحمة البوسنة والهرسك» (٧٨).

(٢) المصدر السابق (ص٢٢)، و«ملحمة البوسنة والهرسك» (ص٧٨، ٧٩).

وغيَّروا أسماء الشوارع .

* **عدوُّ اللَّهِ ورسولِه القِسيس الشاعر «نيقوس» وديوانُه «انتقام الجبل» :**

لقد سَجَّل القسيسُ الشاعر «نيقوس» في ديوانه «انتقام الجبل» - أي : الجبل الأسود - الأعمالَ الإجراميةَ التي قام بها الصربُ مُنطلِقين من الجبلِ الأسود . . هذا القِسيسُ يُسوِّغُ كلَّ جرائمِ الذبحِ في المسلمين مثيراً كلَّ النعراتِ الجاهلية ، وأهدىٰ ديوانَه هذا إلىٰ القائدِ الصربيِّ الأعلىٰ لأولِ عُدوانٍ صربيٍّ ضدَّ مُسلِمي البوسنة ، وأسوأُ حالاتِ الإبادة لمسلمي البوسنة كما صوَّرها ديوان «انتقام الجبل» وَقعت عشيةَ رأسِ السنةِ الأرثوذكسية . . أيُّ دينٍ هذا؟ ! أيُّ عِيدٍ هذا؟ ! أي حضارةٍ هذه؟ ! وظَلَّت ذكرىٰ ليلةِ رأس السنة الأرثوذكسية يُحييها الصربيون بمذابحَ جديدةٍ في المسلمين كلَّما واتتهمُ الفرصةُ لذلك ، وخاصةً خلالَ سِنِي الحربِ العالمية الثانية (١٩٤١م - ١٩٤٥م)[١] .

لم تكن أعمالُ التصفيةِ مقتصرةً علىٰ مُسلمي البوسنةِ والهرسك ، ولكنها طالت المسلمين في كلِّ أرضِ البَلقان ، حيث كانت أيدي النصارىٰ الصربِ تنالُهم ، ففي (٨/ ١/ ١٨٠٧م) دخل المجرمون الصربُ مدينةَ «بلغراد» ، وأشعلوا المذابحَ بالمسلمين وغيرهم ، وهَدموا المساجدَ والمدارسَ والقبورَ ، ولم تَشهَدْ بلغراد ليلةً مِثلَ تلك الليلةِ في تاريخها المليءِ بالمآسي[٢] .

---

(١) «البوسنة والهرسك» لوكالة الأنباء الإسلامية (ص١١ - ١٢) .

(٢) «ملحمة البوسنة والهرسك» (ص٧٧ - ٧٨) .

* **السَّفَّاحُ الكُرْوَاتيُّ «تيتو» جَزَّارُ المسلمين الشيوعي عدوُّ رسول الله ﷺ :**

في عام (١٩٤٥)م أصبحت يوغوسلافيا جمهوريةً شيوعيةً تحت قيادة «تيتو»، وهنا بدأ فصلٌ جديدٌ من العنف والإرهاب ضدَّ المسلمين، فقد خَدَعَ المقاطعاتِ الإسلاميةَ، ومنَّاها بالاستقلال بعد الحرب، وقاتَلَ المسلمين حتىٰ انتصر الحلفاءُ ومعهم «تيتو»، فكانت المكافأةُ أنِ اعترف «تيتو» بالاستقلالِ الذاتي لجمهوريات يوغسلافيا وبقومياتها ما عدا المسلمين في البوسنة والهرسك، واعتَرف بقوميةِ الصِّرب والكروات، وتجاهَلَ قوميةَ البشناق المسلمين. كان الجميعُ يتمتعُ بحرياتٍ شخصيةٍ ما عدا المسلمين الذين كانت تُقامُ لهم المجازرُ بلا سبب، وكان يُزَجُّ بهم في السجون بتُهَمٍ مُفتَعَلة، ففي سنة (١٩٤٧م) حكَم علىٰ اثنَيْ عَشَرَ عالِمًا بالسَّجن مُدداً تتراوحُ بين سنتين وخَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً مع مصادرة أملاكهم.

وفي سنة (١٩٤٩م) حُوكم بعضُ الشباب المسلم بتهمةِ «محاولة قَلبِ نظام حكم تيتو»، وأُعدم منهم مَن أُعدم، وسُجن كثيرٌ منهم حيث قاسُوا داخلَ السجون صنوفًا من العذاب، فأُصيب بعضُهم بالجنون والبعضُ الآخر بالعَمَىٰ، أو تكسير العظام، وكلُّ ذنبِهم أنهم تنادَوا فيما بينهم بإقامة شعارِ الإسلام وتركِ الإلحاد[1].

وفي ظل الحكم الشيوعي أُلغي ما كان يُسمَّىٰ بمجلس العلماء المسلمين في كلٍّ من سيراييفو واسكوب والجبل الأسود وبني بازار.

---

(١) «محاضرة الطالب اليوغوسلافي» في جامعة أم القرىٰ.

وكان للمسلمين أربعَ عَشْرَةَ مدرسةً ثانويةً، واحدةٌ منها للبنات في سيراييفو سنة (١٩٣٣م) ومدرسةٌ شرعيةٌ ثانوية، وأكاديميةٌ إسلامية لإعداد المثقفين كلُّها أُلغيت.

كان للمسلمين محكمةٌ شرعيةٌ في كلِّ مركزٍ يضمُّ عددًا من المسلمين يتجاوز الخمسةَ آلاف، وكانت صِلَتُهم بالأزهر الشريف والعالم الإسلامي قويةً، ولكنْ في عهدِ الحُكم الشيوعيِّ أُلغيت المحاكمُ الشرعيةُ، ومُنع تحكيم الشرع الحنيف في مسائلِ الأحوال الشخصية والمواريث.

وصُودرت المجلات والصحف الإسلامية.

ومن القوانين التعسُّفية التي أصدرتها الشيوعية: قانونُ إجبار المسلمات على السفور، وتشجيعُ الفتياتِ المسلمات على الفساد والانحلال[1]، وصدورُ قانونِ إرغام المسلمين - سواءٌ في الجيش أو منازلِ الطلبةِ وكتائبِ العمل - على أكلِ لحمِ الخنزير وشَحمِه، وصدورُ أوامرَ بهدمِ المساجدِ أو استخدامِها كمخازنَ للغلال أو لأغراضٍ أخرى، ولا بد من الإشارةِ إلى وسائلِ التعذيبِ التي استخدمها الشيوعيون ضدَّ المسلمين الذين أوقعهم سُوءُ حظِّهم تحتَ الحُكمِ الشيوعيِّ الباغي[2].

وتجدُرُ الإشارةُ إلى أن هذه الوسائلَ الوحشيةَ هي مِن وَحيِ التوراة والتِّلمود، وهي من صُنعِ اليهود، وتدلُّ على أن أصابعَ الصهيونيةِ الخفيَّةِ وراءها.

(١) نشرة من هيئة الإغاثة العالمية.

(٢) «الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام» عبدالله التل (ص١٢٢ - ١٢٣).

نُهبت أموالُ المسلمين وأراضيهم، وسَلِمت للنصارىٰ الأرثوذكس، ثم بدأت أعمالٌ تَهدِفُ إلىٰ إفقارِ المسلمين، وإجبارِهم علىٰ اعتناقِ المسيحية، أو الرحيلِ عن البلاد[1] .

لقد هاجر قُرابةُ ستةِ ملايين مسلم بعد الحربِ العالمية الثانية من يوغوسلافيا فراراً بدينهم[2] .

أُعدَّ برنامجٌ لإرغامِ المسلمين علىٰ الإلحادِ بالقوةِ والقهر، ومَن يَرفُضُ الارتدادَ عن دينه يُقتل .

كما أُلغيت المدارسُ الخاصةُ بالمسلمين، والتي كانت تُنفِقُ عليها الأوقافُ الإسلاميةُ، والمدارسُ الثانويةُ التي يُعنىٰ فيها بتدريسِ العلوم الدينية عنايةً كاملة، وأُلغيت الكتاتيبُ، وكان عددُها قبل الشيوعية (٨٩٧) تضمُّ (٤٣) ألف طفل و (٩٤٦) معلمًا سنة ١٩٣٥م .

وهذه نصُّ المذكِّرة التي رَفعها رئيسُ جماعةِ «الكفاح لتحرير الشعوب الإسلامية» إلىٰ الأمم المتحدة :

❑ «نتشرَّف بَرفعِ هذه الشكوىٰ إلىٰ هيئتكم الموقَّرة، باسم الشعوب الإسلامية التي تَرسُفُ في أغلالِ الذُّلِّ والعبوديةِ تحتَ وطأةِ الحُكمِ الشيوعي الذي امتدَّ سلطانُه حتىٰ شَمِلَ البلادَ الواقعةَ بين شِبهِ جزيرةِ البَلْقان والمحيط الهادي .

---

(١) «محنة الإسلام في يوغوسلافيا» ـ نشرة رقم ١٧ ـ بيروت سنة ١٩٦٢م (ص١٤).

(٢) شريط كاسيت ـ محاضرة للشيخ «سلمان العودة» عن أوضاع المسلمين في البوسنة والهرسك .

ويُقيمُ على هذه الرُّقعةِ أكثرُ من مئةِ مليون من المسلمين في أحوالٍ وظروفٍ تفوقُ في فظاعتها وقسوتِها أظلَمَ عصورِ التاريخ الغابرة(١) .

حتى إن الأجيالَ المُقبلةَ ستستحي وتخجلُ من مدنيَّتِنا الحديثةِ المعاصِرة، ومِن نُظُمِنا السياسية والخُلقيةِ والفلسفية جميعًا، عندما نذكر هذه الظروفَ القاسيةَ التي يَعيشُ فيها مئةُ مليون من بني الإنسان، دون أن تتحركَ الهيئاتُ العالميةُ لنجدتهم. . تلك الهيئاتُ التي أُسِّست لحمايةِ الكرامة الإنسانية، ولضمانِ أبسطِ الحرياتِ التي نؤمنُ وتؤمنون معنا بوجوبِ توفُّرِها للناس أجمعين من غيرِ نظرٍ إلى دينهم أو جِنسِهم أو لَونِهم أو لُغتِهم، فإن هناك قاسِمًا مشتركًا بين بني البشر جميعًا ـ وهو الإنسانية ـ، إننا نجأرُ بالشكوى لدى هيئتِكم الموقَّرة ضدَّ نظامِ الحكمِ المفروضِ بقوةِ السلاح على هؤلاء الناس، وهو نوعٌ من الحكمِ يَسعى إلى هدمِ كلِّ ما بَنَتْه يدُ الإنسان منذ آلافِ السنين، ويحاولُ أن يدوسَ بأقدامِه كلَّ ما قَدَّسَتْه الإنسانيةُ منذ القِدم لِيخلُقَ عالمًا جديدًا خاليًا من الاعتقادِ باللَّه، لا عبادةَ فيه إلا للقوة الغاشمة والمادة الفانية.

إن أكثرَ من مئةِ مليون من المسلمين مُهدَّدٌ كِيانُهم في بلادٍ كانت يومًا ما مركزًا للحضارة الإسلامية ـ بل الحضارة العالمية جمعاء ـ» .

وهذه أمثلةٌ لاضطهادِ المسلمين الذين دأبت الشيوعيةُ على مَحوِ معالِمِ دينِهم ومدنيَّتِهم .

---

(١) «الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام» عبداللَّه التل (ص٢٢٦ ـ ٢٢٧) .

أباد الشيوعيون في يوغوسلافيا بعدَ الحرب العالمية الثانية مباشرةً (٢٤) ألف مسلم ـ (١٥) ألف من مقاطعة طوزلا، (٣) آلاف من مدينة سراييفو، (٦) آلاف من ماكدونيا وكوسوفا ـ، أَتَوا بهم إلىٰ مدينة «دويرونيك» ثم أبادوهم.

هَدْم المساجد، وتحويلُها إلىٰ دُورٍ للَّهوِ، واستخدامُها في أغراضٍ أُخرىٰ، وإقفالُ المدارسِ الدينية، فقد هَدَموا في مدينة «زَغْرب» في يوغوسلافيا جامعًا عظيمًا، وأغلقوا في مدينة «سراييفو» الأكاديميةَ الإسلاميةَ العليا للشريعة الإسلامية وجميعَ المدارس الدينية باستثناء واحدةٍ فقط أبقَوا عليها للدعاية[1].

قَتلُ رجالِ الدين، أو نَفيُهم، أو الحكمُ عليهم بالأشغال الشاقة، أو مَنعُهم من الحقوقِ السياسية، بل الحقوقِ الإنسانية، وإيجادُ أيةِ عقبةٍ أخرىٰ تحولُ بينهم وبين مزاولتهم لمهنتهم، ففي يوغوسلافيا قَتلوا مُفتي كرواتيا فضيلة الشيخ «عصمت منقتيشي» والعالِمَ الفاضلَ الشيخَ «مصطفىٰ حبيتش»، وحكموا بالأشغالِ الشاقة مُدَدًا مختلفة علىٰ (١٢) عالِمًا دينيًّا بعد محاكمةٍ صوريةٍ في مدينة «سراييفو»، منهم فضيلة الشيخ «قاسم دوراجا» شيخ علماء البوسنة والهرسك، وفضيلة الشيخ «عبداللَّه دروبسيوفتش» وكلاهما من علماء الأزهر.

قَتلُ الزعماءِ السياسيين أو نفيُهم. . من أمثال ذلك في يوغوسلافيا:

---

(١) «الأفعىٰ اليهودية في معاقل الإسلام» عبداللَّه التل (ص٢٣٠).

حَكمت محكمةُ «اسكوب» في «ماكدونيا» سنة ١٩٤٧م على سبعةَ عَشَرَ زعيمًا ألبانيًّا من الألبانيين المقيمين في يوغوسلافيا، وفي نفس السنة حَكمت محكمة «بريثينا» على ٣٧ من الأعيان ثلاثة منهم بالإعدام، والباقي بالأشغال الشاقة.

وفي سنة ١٩٤٩م - أي بعد انفصال يوغوسلافيا من دول الكومنيفورم - حَكمت محكمةُ سراييڤو على ١٣ زعيمًا من المنتمين إلى جمعية الشبَّان المسلمين المُنحلَّةِ أربعةٌ منهم بالإعدام، والباقي بالأشغال الشاقة.

- مَنعُ المسلمين من التمتع بالنُّظُمِ الإسلامية في دائرة الأحوال الشخصية، فقد أُلغيت المحاكمُ الشرعيةُ في كلِّ أنحاءِ البلاد التي تحكمُها الشيوعية، وفي يوغوسلافيا نَشرت جريدة «نوفودوب» الصادرة في سراييڤو - بتاريخ ١٣ مارس سنة ١٩٤٦م - قانونًا بإلغاءِ المحاكم الشرعية في جميعِ أنحاءِ يوغوسلافيا، ومعنى ذلك خروجُ الأُسرةِ الإسلامية من دائرة توجيه الشريعة الإسلامية إلى دائرةِ القوانين الشيوعية التي تُنادي بالإباحيةِ التامة، وانحلالُ روابط الأسرة.

- هذا إلى جانب نَهبِ البلادِ الإسلامية، ونَقلِ ثرواتها إلى مقاطعاتٍ أخرى وتمزيقِ أوصالِ كلِّ بلدٍ إسلامي، وخَلْقِ قومياتٍ مستقلَّةٍ على أساسِ اللهجاتِ بقصدِ تشتيتِ المسلمين، وخَلقِ منازعاتٍ مصطَنعةٍ بينهم.

- ثم نذكرُ أن الشيوعيين يقومون بشتَّى أنواعِ الدعاية اللادينية دون أن يَسمحوا بالدعايةِ الدينية.

- مِن أمثال ذلك قيامُ الشبيبةِ الشيوعيةِ وجماعةِ الملحدين الروادِ

بمظاهراتٍ لادينيةٍ صاخبةٍ في مواسمِ الأعياد الإسلامية، ويُهينون كلَّ ما يُقدِّسُه المسلمون.

بِناءً على ما سَبق، نتشرفُ برفعِ هذه الشكوى إلى هيئتكم الموقَّرة رجاءَ بحثها، واتخاذِ قرارٍ فيها يردُّ لمئةِ مليون مسلم حقوقَهم الطبيعيةَ والإنسانية، ويَرفعُ عنهم هذه المظالِمَ البشعةَ ليتمكَّنوا من الاشتراك مع غيرهم من بني الإنسان مِن بِناءِ عالَمٍ أفضلَ يسودُه العدلُ والحريةُ والمساواة، ويكونُ أساسُه تمتُّعَ كلِّ شعبٍ بحقِّ تقريرِ مصيره.

هذا وتقبَّلوا فائقَ الاحترام.

القاهرة يناير سنة ١٩٦٥م.

محمد عبداللطيف دراز[1].

*** وا إسلاماه.. وا إسلاماه.. وا إسلاماه:**

مذابحُ المسلمين في البوسنة والهرسك سنة ١٩٩٢:

أعلن الصربُ ضَمَّهم البوسنةَ والهرسكَ وعاصمتَها سراييفو إلى يوغوسلافيا الجديدة، وكان ذلك في منتصفِ مارس سنة ١٩٩٢م، وتفجَّر الموقفُ في البوسنة والهرسك في ٥ رمضان ١٤١٢هـ (٩ مارس سنة ١٩٩٢م) عندما أعلن راديو كرواتيا عن معارك يَشُنُّها الصِّربُ في جمهورية البوسنة والهرسك، وازداد القتالُ ضراوةً عندما دَخل الصِّرْبُ بالمدرَّعاتِ والدبَّاباتِ بَلدةَ «بوسانسكي برود»، فأخلى الجيشُ الصربيُّ المدينةَ من كلِّ

(١) «جمهورية البوسنة والهرسك» (٣٤-٤٠).

سكَّانها، وأحرق ٨٠٪ من مبانيها، وفي ١٨ رمضان ١٤١٢هـ (٢٢ آذار ١٩٩٢م) بدأ قصفُ مدينةِ سراييفو.

وامتدَّ الاعتداءُ واتَّسع على المسلمين، وازداد وَحْشِيَّةً وضراوةً وجنونًا، وما أتى يومُ ٢١ رمضان (٢٥ مارس) حتى عمَّ القتالُ جميعَ مُدنِ البوسنة والهرسك، وتشرَّد أكثرُ من سبعين ألفَ مسلمٍ بعد أن هُدِّمت منازلُهم ونَجَوا بأرواحهم.

وأرسل رئيسُ جمهورية البوسنة مئةَ رسالة إلى زعماءِ العالَم الإسلاميِّ والدولِ الأخرى، فلم يتلقَّ إلاَّ ثلاثَ رسائل[1].

ووَجَد الصربُ الدعمَ العلنيَّ الكاملَ من الجيشِ اليوغوسلافيِّ الاتحاديِّ الذي كان أقربَ ما يكونُ لجيشٍ صِرْبي.. وبدأت المذابحُ الوحشيةُ للأطفالِ والرجالِ العُزَّلِ المدنيِّين، وشَهدت عدةُ مُدنٍ عدةَ مذابحَ رهيبةٍ في شهر شوَّال، كان من أشدِّها ما تَمَّ في مدينة «بيلينيا».

وفي ٢٥ شوال ١٤١٢هـ (٧ إبريل ١٩٩٢م) أعلنت النمسا والولاياتُ المتحدةُ الأمريكيةُ والمجموعةُ الأوربيةُ اعترافَها بجمهورية «البوسنة والهرسك»، وازداد عددُ الدولِ المعترِفة، حتى بلغ في منتصفِ إبريل ٢٧ دولة.. ولم يُبالِ الصِّربُ بكلِّ هذا، لم يُبالوا بفَزَعِ الطفلِ الذي يذبحونه والشيخِ الذي يُقطِّعونه، ومَضَوْا في جريمتهم تزدادُ كلَّ يومٍ وحشيَّةً.

واشترك في الجريمة جميعُ أنواعِ الأسلحة التي يَملِكُها الصِّربُ أو

(١) «كتاب البوسنة والهرسك» (ص٣١) لوكالة الأنباء الإسلامية ـ إيتا.

الجيشُ الاتحاديُّ، مِن دبَّاباتٍ وطائراتٍ وقاذفاتٍ وأسلحةٍ خفيفةٍ وثقيلةٍ، حتىٰ الخناجرُ والمُدَىٰ الكبيرةُ والصغيرةُ اشتَركت في صُنع الجريمة، وحتىٰ الفؤوسُ ومختلَفُ وسائلِ التعذيب.

بلغ عددُ القتلىٰ في البوسنة والهرسك - حَسْبَ تصريحِ وزيرِ خارجيتها في مؤتمر وزراء خارجيَّةِ الدولِ الإسلامية في «جُدَّة»، في ٩ جمادىٰ الآخرة ١٤١٣هـ، ٣ ديسمبر ١٩٩٢م -: مئةَ وعشرين ألفَ قتيل تقريبًا.

كانت عملياتُ الذبحِ بالمُدَىٰ واسعةَ الانتشار، يُقيَّد الشابُّ الأَعزلُ، ويُلْقَىٰ أرضًا، ثم يُذْبَح، ثم يُلقىٰ في نهرٍ أَو في أَكوام، أو يُمَثَّلُ بالجُثَّةِ تمثيلاً قَذِرًا نستحي من وصفه، أو يُقَطَّعُ إربًا إربًا.

كانت عملياتُ الذبْحِ والتمثيلِ تَشملُ الشبابَ والشيوخَ والأَطفالَ والنساء، والصورُ التي توزِّعُها وكالاتُ الأَنباء تقشعرُّ منها الأبدان.

كان الاعتداءُ علىٰ النساءِ واغتصابُهنَّ يُمثِّلُ عمليةً مخطَّطًا لها، تتبنَّاها قيادةُ الصربِ النصرانيةِ وجنودُها، وتَنزلُ التعليماتُ الرسميَّةُ المشدَّدةُ بها.. والأَعجبُ أنَّ رجال الدين الأرثوذكس كانوا هم أَنفسُهم يُحرِّضون الجنودَ علىٰ اغتصاب المسلمات[1].

❑ ونَشرت الصحفُ الأَجنبيةُ قَصصًا مُفزِعةً عن هَولِ هذه الجرائم،

(١) «البوسنة والهرسك - القضيَّة والمأساة» عبدالعزيز المهنا. (ص٦٩)، والكتابُ يَروي مآسيَ كثيرةً في صفحاتٍ متعددة، وكذلك كتاب «وكالة الأنباء الإسلامية»، وكتاب رضا العراقي، وكتاب الصراع في يوغوسلافيا ومستقبل المسلمين لعبدالله عاصم إسمايتش.

وتقول إحدىٰ الصبايا التي اعتُدي عليها مخاطبة العالم الإسلامي: «إن عَجَزتم عن مَدِّنا بالسلاحِ للدفاع عن شَرَفِنا وديننا، فأمِدُّونا بحبوب مَنعِ الحمل حتىٰ لا تتعاظم المصيبة».

امتدَّ الاعتداءُ علىٰ المساجدِ التاريخيةِ ودُورِ العلم وتهديمُها وقَتلُ من فيها، وكم قَتلوا من أئمةٍ فيها، ثم يُعلِّقون جُثَثَهم علىٰ المنابرِ أو الشجرِ، أو يُمثِّلون بهم بصورةٍ يتفجَّرُ الحقد منها.

الهجرةُ الواسعةُ التي تَهدفُ إلى تفريغ الأَرض من سكانها المسلمين بعمليات الإِبادة الوحشيَّة أو التهجير:

كان أَهلُ البوسنة يُضطرُّون بالقوةِ والتهديدِ إلىٰ تركِ منازلهم وأَثَاثهم وثرواتهم، وربما كان يأخذُ رجالُ الصرب النَّصارىٰ توقيعَهم علىٰ التخلِّي عن ذلك كلِّه مقابلَ خروجِهم أَحياءً.

لقد امتدَّ اللجوءُ إلىٰ دول أوروبا، حيث تتلقَّف المؤسساتُ النصرانيةُ الأَعدادَ الهائلةَ لتحولِّهم إلىٰ النصرانيَّة تحت ضغطِ الحاجة أو تحتَ تأثيرِ الإغراء، ولقد كان العددُ الأَكبرُ من اللاجئين من الأطفال، وربما تجاوزت نسبتهم ٦٠٪ من مجموعِ اللاجئين، إنهم الأطفالُ الذين فَقدوا آباءهم، أو نُزِعُوا منهم حتىٰ يبقىٰ الآباءُ في ميدانِ القتال، ونسبةٌ أُخرىٰ عاليةٌ كانت من النساءِ الصبايا أو الأَيامىٰ والثكالىٰ، ممن نَجَيْنَ بأَرواحِهنَّ أو بشرفهنَّ أَو تَرَكْنَ أَزواجَهنَّ وأَبناءَهنَّ في ساحات القتال.

لقد مُزِّقت العائلاتُ المسلمةُ بين قتلىٰ ومقاتلين ولاجئين، افتَرق الابنُ

عن أبيه والزوجةُ عن زوجها في متاهةٍ مُظلِمةٍ تَلفُّها الأعاصير، وربما تجاوزَ عددُ الذين أُرغموا على ترك منازلهم ٥ , ١ مليون[1] .

وحاصر الصربُ عدداً من المُدن كان من أهمِّها «سراييڤو»، وعطَّلوا الكهرباءَ والمياهَ ومصادرَ الحياة لينشروا الموتَ والهلاكَ فيها.

كلُّ هذا يَتِمُّ على مَسمَعِ ومرأىٰ العالَم المتحضِّرِ الذي يتحدَّثُ في مؤسساته عن حقوقِ الإنسان، هذه المؤسساتُ المتحضِّرةُ التي تغضبُ وتَشغلُ العالَمَ بسبب خطفِ رجلٍ أو بِضعةِ رجال، إنها تَغضبُ وتَعتبرُ هذا إخلالاً بحقوقِ الإنسان، وتعتبرُ إسقاطَ طائرةٍ هنا جريمةً كبيرةَ وإسقاطَها هناك مسألةً بسيطةً. . قضيةُ رجلٍ أو طائرةٍ تستدعي الحصارَ والحربَ والويلَ والثبور، وقضيَّةُ شعبٍ كاملٍ يُبادُ لا يستدعي التدخلَ العسكريَّ، ولا الغضبةَ الإنسانيةَ، ولا تَحرُّكَ لِجانِ حقوقِ الإنسان:

قَتلُ امرئٍ في غابةٍ   جَريمةٌ لا تُغْتَفَرْ
وقتلُ شَعبٍ آمِنٍ   مَسْألةٌ فيها نَظَرْ

عالَم كأنَّما تموجُ به الوحوشُ الضواري والأفاعي والذئابُ والثعالبُ، ويَطْلُعُ هؤلاء بمبادئَ برَّاقةٍ كلَّ يوم: حقوق الإنسان، النظام العالَميُّ الجديد، الديمقراطية، الحرِّية، حرِّية الأديان.

في بلاد المسلمين يجبُ إعطاءُ المسيحيِّ حُرِّيَةَ دينه وإقامةَ كنائسَ ولو لم يكن من أهل البلاد، إذا مَنعتَ ذلك فهذه جريمةٌ كبيرةٌ واعتداءٌ على حقوق الإنسان وحريةِ العبادة، وأنت لا تمنعُه عادةً إلا بصورةٍ قانونيةٍ، أو

(١) «وكالة الأنباء الإسلامية ـ إينا ـ البوسنة والهرسك» (ص٥٠).

لأنهم مفسدون في الأرض، أما في البوسنة والهرسك، فتُهدمُ المساجد وتُحرق ويُقتل المصلُّون والأئمةُ والعلماء، ويُعلَّقون على الأشجارِ والأعمدةِ، أو يُقَطَّعون ويُمثَّلُ بأجسادهم، وتُغتصبُ النساء، ويَزيدُ عددُ القتلى على (١٣٠) ألف قتيل، وتُمزَّقُ العائلات، ويُقطَّعُ الأطفال، ويُحرِّكُ رجالُ الكنيسة كلَّ هذه الجرائم والعالَمُ أعمى أصمُّ أبكمُ، والخائنُ العميلُ الصليبيُّ «بُطرس غالي» أمين عام الأمم المتحدة، عدوُّ رسول اللَّه ﷺ يُصرِّح في ٢٤/ ١٠/ ١٤١٢هـ: «إن توسيعَ عمليَّاتِ حفظِ السلام ونَشرِ قوَّاتِ الأمم المتحدة في البوسنة والهرسك ليس أمرًا عمليًّا»[1] .. ثم يطلب توسيع ذلك في موزامبيق!!!.

* عدوُّ اللَّه ورسوله ﷺ السَّفاحُ والجزَّارُ البربريُّ رئيسُ الصربِ الصليبيِّ سلوبودان ميلو سيفيتش:

فَعَلَ هذا الوغدُ بالمسلمين أقذَرَ وأنكى ما فعل صليبيٌّ في هذا القرن، هذا الكافرُ الفظُّ غليظُ القلب الذي لا يُحرِّكه بكاءُ يتيم، ولا تَقَضُّه استغاثةُ أرملة أو بَقْرُ بطنِ حاملٍ أو اغتصابُ الفتيات حتى بعد موتهن، الذي لا يبالي بأنين الشيوخ.. يُشبِّهُه بعضُ السياسيين بهتلر.

لقد وُلد هذا الحاكمُ عام سنة ١٩٣٠م في بلجرد العاصمة، ولم يُكمِلْ تعليمَه الجامعي، وانخرط في قواتِ الأنصار أثناءَ الحربِ العالمية الثانية، وتدرَّج داخلَ صفوفِ الحزب الشيوعيِّ حتى صار عضواً في اللجنةِ المركزية بفَرعِ الحزبِ في صربيا أواخرَ السبعينات، ثم صار عضواً في برلمان صربيَا ثم

(١) «البوسنة والهرسك» لوكالة الأنباء الإسلامية (ص٣٩).

في مجلس رئاستها، وفي عام ١٩٨٧م تولَّىٰ «سلوبدان» قيادةَ رابطةِ الشيوعيين في صربيا، إلىٰ أن قَفَزَ إلىٰ الرئاسةِ الأولىٰ عام ١٩٨٨م[1] .

▣ يقول السياسيون: «إنه «الميكافيلي» الذي لا يَعرفُ معنىٰ الحقيقة، أو في أحسن الأحوالِ القيصرُ الصغيرُ، حيث استطاع أن يوظِّف مَلَكاتِهِ الشخصيةَ كخطيبٍ حماسيٍّ مُفوَّهٍ لِشَحذِ هِمَمِ الناس، ولَعِب في ذلك علىٰ وَتَرَينِ حسَّاسين لدىٰ الصِّرب:

أولاً: الوتر القومي. ثانيًا: الوتر الديني.

كان هذا الكافرُ يخرجُ علىٰ الناسِ مرتديًا مُسوحَ الأرثوذكسي المتديِّن، ويُخاطبُهم بآياتٍ من الكتاب المقدَّس، ويُذكِّرُهم بما تعرَّض له الأرثوذكسيون الصِّربيون علىٰ يدِ الأتراكِ والكاثوليك، ومرةً أخرىٰ تكونُ «كوسوفو» هي الضحية، فيخاطِبُ الناس مشيراً إلىٰ موقعة كوسوفو التي هُزم فيها أجدادُه أمامَ الأتراك، ويُقيم احتفالاتٍ ضخمةً في كوسوفو نفسها، ويطالِبُ بتطهيرها من المسلمين الذين استوطنوها ـ حسب زعمه ـ منذ هزيمة أجداده، وبدأت حملاتُ العنفِ والمجازرِ تُقامُ للشعب الألباني، وحاول كَسْبَ أوربا إلىٰ صفِّه بأنِ ادَّعىٰ أن حَمْلتَه العدوانيةَ علىٰ ألبان كوسوفو إنما يحمي بها البوابةَ الجنوبيةَ الغربيةَ من خطر الأصولية الإسلامية!!.

وسعىٰ «سلوبودان ميلوسيفيتش» دكتاتور الصرب إلىٰ أيِّ سلوكٍ من شأنه أن يَبعثَ الحقدَ الأسودَ في نفوس النصارىٰ ليُحفِّزَهم علىٰ الانتقام من المسلمين، فمِن أعجبِ الأمور أن يُخرجَ حاكمُ الصربِ تابوتَ الأمير

(١) «الشرق الأوسط» ـ العدد (٤٩٥٦) ـ الثلاثاء ٢٣/ ٦/ ١٩٩٢م (ص٦) مقال أسعد طه.

«لازار» آخرِ حُكَّامِ دولةِ الصِّربِ من قبرهِ، ويَطوفَ به في جميعِ المناطقِ التي يُقيمُ فيها شعبُ الصرب في يوغوسلافيا، لقد مرَّ ٦٠٠ سنة على زوال عرشِ الأمير «لازار» الذي انهزم سنة ١٣٨٩م أمامَ الفتوحِ العثمانيةِ، وسَقَط حكمُ الصربِ الذي كان يتولاه «لازار»، ولهذا سَلَك حاكمُ الصربِ ذلك السلوكَ الاستفزازيَّ ليُذكِّرَ الصربَ بذُلِّ الهزيمة وضرورةِ إعادةِ مجدِ الدولةِ الصربيةِ، وقد رافقت هذا الطوافَ هتافاتٌ بوجوبِ الانتقام من المسلمين، وطَرْدِ ما يُطلِقون عليهم «العثمانيين».

* وهذي نماذجُ مما فَعَل هذا الخنزير بالمسلمين:

المذبحة الكبرى في مدينة «مبيلينا»:

تقعُ مدينة «مبيلينا» على بعد (٢٥٠) كيلو متر من العاصمة سيراييفو «يُشكِّلُ الصربُ ٦٠٪ من السكان، والمسلمون ٤٠٪»، اقتحمت المليشياتُ الصربيةُ المسلحةُ بقيادةِ «الكوماندانت أركان» - الذي يدَّعي أن الجيشَ يَخضعُ لسلطته -، اقتحمت الحواجزَ التي أقامها المسلمون للدفاع عن أنفسهم، واستولت على وسط المدينة، وفي أيام عيدِ الفطرِ الثلاثِ ارتكب الصربُ أشنعَ مجزرةٍ عَرَفها التاريخ، وهاجم الصربُ بيوتَ المسلمين العُزَّل، وقتلوا (١٥٠) شخصاً أكثرُهم من الأطفالِ والنساءِ والشيوخ، ودخلوا القرى المحيطة بالمدينة، وفَعلوا مثلَ ذلك، ونَهَبوا الأموال، واعتدَوا على الحرائر أمامَ ذويهم، وبَقَروا بطونَ الحواملِ، وأخرجوا الأَجِنَّة، وألقَوا بها في الشوارع، وحَرَقوا المنازل بمَن فيها من الأبرياء، ومَنَعوا الناسَ مِن نَقلِ جَرحاهم إلى المستشفات، كما أمَرُوا المستشفياتِ أن لا تقبلَ جَرحى

المسلمين، وتُركت الجثثُ تملأُ الشوارعَ عدَّةَ أيام[1] .

□ المجازرُ اليوميةُ في العاصمة سيراييفو :

حاصرَ الجيشُ الاتحاديُّ عاصمةَ المسلمين سيراييفو، وغَدَتِ المجازرُ تُرتكبُ فيها يوميًّا، والمدينةُ هدفٌ لقَصفِ الطائرات والدبابات.

- شكَّل الصربُ منظَّماتٍ إرهابيةً من القَنَّاصةِ تدرَّبوا على أيدي اليهود، فاعتَلوا أسطُحَ المنازل، وكانوا يَصطادون المسلمين بأسلحتِهم ورشَّاشاتهم، وذَهب ضحيةَ هذه الأعمالِ الإرهابيةِ أعدادٌ كبيرةٌ من المسلمين.

□ في مدينة «زخورنيك» :

دخل الجيشُ الاتحاديُّ، واحتجز ثلاثةَ آلاف مسلم مِن بينهم نساءٌ وأطفال، وجَعلوهم رهائنَ مهددةً بالقتل بعدَ أن أملَوا شروطَهم على المسلمين.

- أذاع راديو «زغرب» أن المليشياتِ الصربيةَ دخلت معاركَ ضدَّ المسلمين.

- ترددت أنباءُ بوقوعِ اشتباكاتٍ ضدَّ المُدنِ الآتية : «بوسكانسكي برود» شمال البوسنة، «فوتشا» جنوب شرق العاصمة، و«موستار».

استولى الجيشُ الاتحاديُّ على «زخورنيك» وبها ٦٠٪ من السكان من المسلمين وعددُهم عشَرةُ آلافِ مسلم.

---

(١) تقرير من رابطة العالم الإسلامي/ هيئة الإغاثة الإسلامية في ١٦/ ١٠/ ١٤١٢هـ - ١٩/ ٤/ ١٩٩٢م.

ـ صرَّحت هيئةُ الإذاعةِ البريطانيةِ في تقرير لها عن «سراييڤو» أن الآلاف من أهالي البوسنةِ والهرسك يَفِرُّون من القتالِ الضاري الذي تَشهَدُه الجمهوريةُ، وأن الفارِّين لا يعرفون إلىٰ أين يتَّجِهون بعدَ أن تَدخَّل الجيشُ الاتحاديُّ إلىٰ جانبِ الصربِ في قتالهم، فأصبحوا محاصَرين من كل جانب.

*** ما أشبَهَ اليومَ بالبارحة!!:**

ومثلما فَعَلت الكتائبُ الصربيةُ في عيد الأضحىٰ سنة ١٩٤٢م في مدينة «فوتشا بوم» وذبحوا مُفتي المسلمين علىٰ عتبة المسجد، جاء دَورُ أبنائِهم ليقتفوا آثارَ آبائِهم حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّة، وها هم يُعاوِدون الكَرَّةَ بعد أن أعدُّوا العُدَّةَ منذ ٤٠ سنة لِمعركةٍ تاريخيةٍ مقدسةٍ مع المسلمين ـ كما يسمونها ـ، ففي مدينة «بيلينا» شمالَ شرق البوسنة نجا فقط ثلاثةٌ من أعضاءِ المجلسِ التنفيذيِّ للحزب الإسلامي (SDA)، وأما الآخَرون فقد ذُبحوا، ورُسمت علىٰ جُثثِهم صلبانٌ صربيةٌ أرثوذوكسيةٌ بالسكاكين، وقد وقعت المذبحةُ إثرَ هجومِ القواتِ الصِّربيةِ المكوَّنةِ من المرتزَقة المجرِمين المدرَّبين علىٰ أيدي الإسرائيليين، وسَبَق الهجومَ قصفٌ عنيفٌ بالمدافع وبالتنسيق مع الجيشِ الاتحادي بعدَ آخرِ صلاةِ التراويحِ في رمضان من السنة الجارية ١٤١٢هـ، وعَقِبَ خروجِ المُصلِّين من المسجد أَخذت القُواتُ الصربيةُ اثنين مِن المصلِّين، وذَبَحَتْهما علىٰ باب المسجد، ثم أطلقتِ النارَ علىٰ الآخرين، عندئذٍ هُرع المصلُّون إلىٰ داخل المسجد، فألقىٰ الصربُ القنابلَ في داخلِه، ثم قَضَوا الحاجةَ علىٰ جثثِ القتلىٰ المسلمين!!.

ويبدو أن الذي يُخطِّطُ لهم أحدُ شياطين بني إسرائيل، فقد نَقل تلفزيون بلغراد هذا المشهدَ المروِّعَ، وبثَّه في نشرةِ الأخبار بعد أن عَرَض القتلىٰ في الكنيسة بدلاً من المسجد المُهدَّم، وعلَّق علىٰ الصورة بأن المسلمين المدعومين من الخارج هكذا يُعامِلون أفرادَ الشعبِ الصِّربي في البوسنة والهرسك!! وأنَّ هذا هو مصيرُ ما يَزيدُ علىٰ مليونَ صربي، ولمنع هذه المجزرة ناشَدَ جميعَ شبابِ الصِّربِ سرعةَ الالتحاقِ بمراكزِ المتطوِّعين لإنقاذِ الصرب الأبرياء!!.

وفي إثرِ هذه المذبحة هاجَرَ ما يَزيدُ عن ٤٠ ألفًا من المدينة فراراً بدينهم وعِرضهم، ثم بدأ قصفُ ثلاثِ مُدنٍ حدوديةٍ أخرىٰ هي: زرونيك وفيتشغراد وفوتشا ذات الأغلبية المسلمة، وذلك مع القصف المستمرِّ علىٰ سيراييفو، والتركيزِ علىٰ الأحياءِ القديمةِ ذاتِ الآثارِ العثمانية الإسلامية.

وفي مدينة «زرونيك» وحدها أَسَرَ الصربُ المرتزقةُ ثلاثةَ آلافِ مسلمٍ كما أحرقوا نِصفَ مدينة «فوتشا»، وفي جميع هذه المُدن اغتَصب الصربُ كثيراً من النساء المسلمات، وكانوا يُجبرون الرجالَ علىٰ خَلعِ الملابس، فمَن وجوده مختونًا [أي: مسلمًا] قَتلوه ورَسموا علىٰ جُثَّته الصليبَ بالسكين.

ولم يَسْلم مسجدٌ من المساجدِ في هذه المدن التي دنَّسوها من عدوانِهم وكُفرِهم وبَغيهم.. وقد قُتل في هذه المذابح ٦٠ شخصاً، ومُثِّل بجُثَثِهم، فلم يتمكَّنِ الشهودُ من تحديدِ هُويةِ القتلىٰ، فقد اقتلع الصربُ عيونَ القتلىٰ، وقَطعوا آذانَهم، وأحيانًا يقومون بإحراقِ الجثة.

□ مذبحةِ كوبرس:

مدينةٌ واقعةٌ على بعدِ ٩٠ كيلو متر من سيراييڤو، استولت عليها قواتٌ كرواتيةٌ، وقد ذكر راديو بلغراد أن مئاتِ الأشخاصِ قد قتلوا.

□ مذبحة دو نمي فاكوف:

شهدت قتالاً عنيفًا، حيث نَصب الصربُ كمينًا لخمسِ حافلاتٍ تُقِلُّ عُمَّالاً مسلمين من سيراييڤو كانوا في طريقهم للانضمام إلى المسيرةِ السِّلْمية التي أَعلن المسلمون عن تنظيمها لتأييدِ قرارِ المجموعةِ الأوربيةِ باستقلالِ البوسنة، ففَتَح الصربُ نيرانَهم على الحافلاتِ الخمسِ مما أدَّى إلى مَصرعِ الكثيرين وإصابةِ الكثيرين بإصابات خطيرة.

وطريقةُ الذبح كما وصفها شاهدُ عِيانٍ: يُجمَع المسلمون، ويقيدون بالسلاسل، ويَذهَبُ بهم على حافةِ النهر، ثم يَتمُّ الذبحُ بالسكين كالنِّعاج، مدَّعين أن الرصاصةَ خسارةٌ في المسلم!.

□ يَروي مُفوَّضُ جمهورية البوسنة والهرسك في دُولِ الخليج قَصَصًا مروِّعةً ومخازيَ يَندىٰ لها تاريخُ البشرية، ووصمةَ عارٍ في جبينِ القرن العشرين، فيقول حسين عمر سباهيتش: «يروي شهودُ العِيانِ الذين نَجَوا من سكاكين ومناشيرِ العصابات الصربيةِ المسمَّاة «تشتنيك»[1] قصصًا بشعةً منها: قام «تشتنيك» بإحراقِ المسلمين داخلَ مساجدِهم وبيوتهم في جنوبِ شرق البوسنة، وكانوا يُمثِّلون بالقتلى بعد ذبحِهم بالسكاكين، ويَقْطَعون أثداءَ النساء بعد اغتصابهن، كانوا يَبقُرون بطونَ الحوامل للتمثيل بالأجنَّةِ

(١) مجلة المجتمع ٢٤ شوال سنة ١٤١٢هـ (العدد ٩٩٨).

أو يُلقُون بهم أحياءً في الماءِ المغلي، أو يَشوُونهم شَيَّ الذبائح، ويُرسلون هذه الرؤوس المشويةَ هديةً لذويهم، كما كانوا يَقطَعون رؤوسَ الرجالِ ويَشوونها ويُرسلونها هديةً إلىٰ قادتهم».

وقد استطاعت جريدةُ «المسلمون» أن تَدخل قُرىٰ ومُدُنَ البوسنة والهرسك، وشاهَدَ مُوفَدُها «فراج إسماعيل» أكبرَ محطةٍ لتكريرِ النفطِ في الجمهورية، وقد قَصَفَتها الدباباتُ الصربية، وقُدِّرت الخسائرُ بأكثرَ من مئةِ مليون دولار، وتُعدُّ هذه المحطةُ شُريانَ الحياةِ الرئيسيِّ في البوسنة، حيث تُولَّد بواسطتها معظمُ الطاقةِ الكهربائية، وقال شاهدُ عيانٍ: إنه شاهَد من التلفزيون الكرواتي أن سيراييڤو تحترقُ معظمُها.

وفي مدينة «بيلينا» ذَبحت المليشياتُ الصربيةُ إمامَ المسجد، وأَطلقت النيرانَ علىٰ المصلِّين، وقاموا بالتمثيلِ بالجثث، ورَفْعِ العَلَمِ الصربيِّ علىٰ المئذنة.

يُقيم الصربُ معسكراتٍ للسبايا النساء، حيث يتعرَّضْنَ للمعاملاتِ الوحشيةِ والاغتصاب، كما قاموا بتقطيعِ أثداءِ بعضِهن.

وشَهِد أيضًا مندوبُ جريدة المسلمون مذبحةً في قرية «جورنية تولبية» والتي ذُبح فيها ٢٠٠ مسلم، معظمُهم من النساء والأطفال، وقد دَمَّروا القرية تمامًا.

أذاع رئيسُ بلدية «زفورنيك» الواقعةِ قُربَ الحدودِ الصربية في الإذاعة «سيراييڤو» أن المدينة تعرَّضت لهجومٍ وحشيٍّ من قِبَلِ المليشياتِ الصربيةِ المسلَّحةِ والجيشِ الاتحاديِّ اليوغسلافي، علمًا بأن المدينةَ بها ٦٠٪ من

المسلمين، وأنه لا شيءَ يَمنعُ هذه المليشياتِ من ارتكاب جرائمِها ضدَّ المسلمين، وأن عملياتِ النهبِ والسلبِ واسعةُ النطاق[1] .

□ وقال الرئيسُ «علي عزت»: «إن قواتِ الصربِ احتَجزت في هذه المدينة - زفورنيك - ثلاثةَ آلافِ مسلمٍ، وتُهدِّدُ بقتلهم».

أصدر اتحادُ الطلابِ العربِ والمسلمين في مدينة «زَغرب» بكرواتيا البيان التالي: «نُعلِمُكم أن المسلمين يتعرَّضون في البوسنةِ والهرسك للذبح، واغتصابِ الحرائر، وتدنيسِ وتدميرِ بيوتِ اللَّه، وإلقاءِ القنابل وسط المساجد، وإطلاقِ النيران على المصلين، بل إن المليشيات الصربيةَ تقضي حاجتَها على جُثث المسلمين»[2] .

أُقيمت معسكراتٌ للفارِّين بدينهم من مذابحِ دكتاتور الصرب في كرواتيا، ولكن نَقلت وكالاتُ الأنباءِ أخبارَ ترحيلِ الأطفالِ المسلمين إلى ألمانيا وإيطاليا وبريطانيا، وأن المليشيات الصربيةَ لا تتصدَّى لهذه الأتوبيساتِ كما تتصدَّى للمهاجِرين الآخرين، وكذلك وُجد القساوسةُ يقومون بتنصيرِ المسلمين ويَطرحون إغراءاتِ التنصيرِ على المسلمين مستغلين ظروفَهم الصعبة، وبعضُهم يَعرِضُ استضافةَ الأطفال في كنائسهم[3] ، ومَن لم يستجبْ لهذه العروض يتعرضُ لسرقةِ أطفاله، فقد اشتكى الكثيرُ من المسلمين من اختفاءِ أطفالهم من المعسكرات.

---

(١) الدعوة العدد ١٣٣٧ ، ١٣ شوال سنة ١٤١٢هـ.

(٢) الإغاثة الإسلامية ٦ ذو القعدة سنة ١٤١٢هـ.

(٣) «المسلمون» العدد ٣٨١ .

قام الصربُ بتلغيم نَفَق «برادين» الواقعِ علىٰ الطريق السريع بين مدينتي «سراييڤو» و«موستار»، وأدىٰ ذلك إلىٰ إغلاقِ كافةِ المداخلِ المؤديةِ لمدينةِ «سيراييڤو» ومَنْعِ دخولِ الطعامِ ورجالِ الصحافةِ والإعلام، وتتعرضُ العاصمةُ لمجاعة.

☐ صرَّح الدكتورُ «عادل بترجي» رئيسُ «لجنةِ البر» بالندوة العالمية للشباب أنه قد قُتل في «سيراييڤو» قرابةُ خمسةِ آلاف مسلم(١).

هناك ملفٌّ فظيعٌ من الصورِ والمنشورات أحضرَها أحدُ أعضاء «لجنةِ البر» المنبثِقةِ من الندوة العالمية للشباب الذين مكَثوا عدةَ أسابيعَ في كرواتيا علىٰ مقربةٍ لِمَا يجري في جمهورية البوسنة والهرسك، وفي هذا الملفِّ الصربيون يُمزِّقون المصاحف، ويَبقُرون بطونَ النساء، ويضعُ الصربيُّ قَدَمَه علىٰ رَقبةِ المسلم ثم يذبحُه، ويقول له: «هل ترىٰ الجنةَ أم النار؟».

اعتصم بعضُ المسلمين في أحدِ المساجد يَبكُون مِن هَول ما رأوا، فهُدم المسجدُ علىٰ رؤوسهم، وفي مدينة «يانيا» شنق الصربيون إمامَ المسجد ومؤذِّنه، ثم أذاعوا من ميكرفوناتِ المسجد الأغانيَ القوميةَ لإذلال المسلمين(٢).

سَقطت مدينة «برتشكو» وفيها واحدٌ وأربعونَ ألفَ وسَبْعُمئةِ مسلم

---

(١) محاضرة للدكتور عادل البترجي مسجلة علىٰ شريط كاسيت في ذي الحجة سنة ١٤١٢هـ.

(٢) محاضرة للشيخ عائض القرني. انظر كل هذا الملف في كتاب «جمهورية البوسنة والهرسك» (ص٥٥ـ٦٦).

بعدَ أن استبسل جنودُ محمد ﷺ وهمْ يردِّدون «لا إله إلا اللَّه» تحت قَصفِ المدفعية الثقيلة .

وفي إحدىٰ القرىٰ دخلوا مدرسةَ أطفالٍ لا تتجاوزُ أعمارُهم العاشرة ، وقَتلوهم عن بكرةِ أبيهم ، ثم اتجهوا إلىٰ القرية ، ولم يتركوا بها طفلاً أو امرأةً إلا قتلوه ، وهرب البعضُ ، ولكنَّ «جماعاتِ الصقورِ البيضاء المتوحشة» من الصربيين كانت في انتظارِ الهاربين من القرية ، فأكملت المذبحة[1] .

*** تقريرٌ موجَزٌ عمَّا خَلَّفته الحربُ في غضون ٣ أسابيع[2] :**

▫ أسفرت الحربُ الصربيةُ خلالَ ثلاثةِ أسابيع عن :

١ ـ ثلاثةِ آلاف قتيل وعشرات الآلاف من الجرحىٰ .

٢ ـ تشريدِ أكثر من (٣٥٠,٠٠٠) مهاجر نَزحوا عن منازلهم إلىٰ كرواتيا .

٣ ـ اغتصابِ مئاتِ النساء ثم قَتلِهن ، واختطافِ بعضِهن ، والهربِ بهن إلىٰ صربيا .

٤ ـ تدميرِ ١٦٠ ألف منزل في المدن والقرىٰ الإسلامية .

٥ ـ تدميرِ مئات المساجدِ بالقَصف ، وإحراقٍ متعمَّدٍ لمحتوياتها .

٦ ـ تدميرِ عشراتِ المصانع ومحطاتِ الكهرباءِ والمرافقِ الحيوية الأخرىٰ .

---

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) تقرير لجنة مسلمي البوسنة والهرسك بالندوة العالمية للشباب الإسلامي ٢٢/ ٧/ ١٤١٢هـ انظر كتاب «البوسنة والهرسك» (ص٧٠ ـ ٧١) .

٧ـ تدميرِ مئاتِ المدارسِ وعشراتِ المستشفيات.

٨ ـ سقوطِ عَشْرِ مُدُنٍ وعديدٍ من القرىٰ بأيدي الصرب، ونهبِ المحلات والبنوك، وسرقةِ أغراضِ المسلمين وأموالهم من منازلهم، ونقلِها إلىٰ صربيا، ثم بيعها هناك.

٩ ـ تدميرِ عشراتِ الجسورِ التي كانت تمتدُّ فوقَ أنهارِ البوسنة وكانت تربطها بكرواتيا.

١٠ ـ إصابةِ مصفاةِ البترول الوحيدة في الجمهورية وإحداثِ أضرارٍ ماديةٍ جسيمةٍ، علمًا بأن المصفاة كُلِّفت ٦٠٠ مليون دولار.

١١ ـ ذكرت جريدة «المدينة» أن الوزير النمساوي لوزارة الداخلية صرَّح بأن عدد اللاجئين من كافةِ الجمهوريات اليوغسلافية بَلَغ (١,٣٠٠) مليون نسمة منهم (٧٠٠ألف) من البوسنة والهرسك فقط خلالَ الأسابيع القليلة الماضية[1].

١٢ ـ اعتَقلت قواتُ القائد الديمقراطي للحزب الصربي «كراجيتش» الإرهابية (٢١٨) مسلمًا في بلدة «فوتشتشت» وحَرَمتهم من الأكل.

ويُرسلُ الصليبيون المجرمون رسائلَ إلىٰ المسلمين تقول: «تقبَّلوا تهانيَنا بمناسبة العيد، وتبريكاتِنا باستقلالِ الجمهورية، والاعترافِ الدولي».

* **السفاحُ الصربيُّ الخنزير يستعين باليهود:**

لا عجبَ أن نَرىٰ الجرائمَ البشعةَ التي يَندىٰ لها جبينُ الإنسانية

(١) جريدة المدينة ذو القعدة سنة ١٤١٢هـ، وجريدة عكاظ ٢٦/ ١١/ ١٤١٢هـ.

تَستشري علىٰ أرضِ يوغوسلافيا، إذا استعان شيطانُ الصرب «سلوبدان ميلوسيفيتش» بشياطينِ اليهود. . لا عَجبَ إذا عَلِمنا أن يوغوسلافيا يعيشُ علىٰ أرضها أقليَّةٌ يهوديةٌ تعدادها (٥٥٠٠) يهودي[١] ، وهذه نماذجُ من أساليبِ التعذيب التي تُبِعت في الخمسينات والستينات من هذا القرن العشرين، أما الآن فقد تفتَّقت الوحشيةُ اليهوديةُ الصليبيةُ عن اختراعِ وابتكارِ أساليبَ أشدَّ وحسيةً وأكثرَ إمعانًا في الاستهانةِ بالإنسان الذي يُعتبر في نظرِ التوراة والتلمود حيوانًا يَحِلُّ ذبحه أو ركوبُه، واستخدامُه لتحقيقِ أهدافِ الشعب المختار! :

١ ـ دَقُّ مساميرَ طويلةٍ في الرأس حتىٰ تَصِلَ إلىٰ المخ[٢] .

٢ ـ إحراقُ المسجون بعد صبِّ البترول عليه وإشعالِ النار فيه.

٣ ـ جَعلُ المسجون هدفًا يتدرَّبُ الجنودُ عليه في إطلاق الرصاص.

٤ ـ وضعُ أَغطيةٍ معدنيةٍ علىٰ الرأسِ، وتمريرُ التيارِ الكهربائيِّ فيها لاقتلاع العيون.

٥ ـ صَبُّ الزيتِ المَغلي علىٰ جسم المعذَّب.

٦ ـ ضربُ المعذَّب علىٰ أعضائه التناسلية.

٧ ـ إدخالُ شَعرِ الخنزير في فَتحةِ العُضوِ التناسلي، وإدخالُ قضيبٍ حديديٍّ ساخنٍ في الأماكن الحساسة من الجسم.

٨ ـ تمشيطُ الجسم بأمشاطٍ حديديةٍ حادة.

---

(١) «الدعوة» العدد ١٣٣٨، ٢٠/ ١٠/ ١٤١٢هـ.

(٢) «الأفعىٰ اليهودية» لعبداللَّه لتل (ص١٢٦).

٩ ـ صبُّ موادَّ حارقةٍ وكاويةٍ في فمِ المسجون وأنفِه وعينيه بعدَ ربطِه ربطًا محكمًا.

١٠ ـ تسميرُ أُذنَيِ المسجونِ في الجدار حتىٰ يَظلَّ واقفًا ليلاً ونهاراً.

١١ ـ خياطةُ أصابعِ اليدين والرجلين، وشَبكُ بعضِها إلىٰ بعض.

١٢ ـ رَبطُ الرأسِ في طرفِ آلةٍ ميكانيكية وباقي الجسمِ في آلةٍ أخرىٰ، ثم تُدارُ كلٌّ منهما في اتجاهين متعاكسين، فيتمدَّدُ الجسمُ وينفصلُ الرأسُ عن الجسد نتيجةً للجذب المعاكس للآلتين.

١٣ ـ خَلعُ الأظافرِ، والنومُ علىٰ الثلجِ شتاءً بلا ملابس، والضربُ بالكرابيج حتىٰ يتساقطَ اللحمُ ويَبرُزَ العظم.

◻ انظر إلىٰ قذارةِ السَّفاحِ الصليبيِّ الصربيِّ ويهود: فحادث تسمُّمِ الأطفالِ بالألبانِ الشهير الذي وُضِعت فيه موادُّ سامَّةٌ في خزَّاناتِ المياه التابعة لبعضِ المدراس الابتدائية.. لا يفعلُه إلاَّ وَحشٌ كاسر لا ينتمي إلىٰ البشر، بل هو إلىٰ الخنازير أشبه، وأوردت الأنباءُ وقتَها أن هذا السُمَّ قد تَمَّ استيراده خصِّيصًا من إسرائيل[1].

*** الصربيُّ الصليبيُّ «شيشل» يقترحُ إبادةَ الألبان:**

حِقدٌ أسودُ بَثَّه هذا الصليبيُّ الصربيُّ الزعيمُ «شيشل» الذي يُشكِّلُ امتدادَ المليشياتِ الصربيةِ القوميةِ في الحرب العالمية وزعيمُ «تشتنيك» حين يُعلِنُ مراراً عن استحالةِ التعايشِ الصِّربيِّ الإسلامي، واقترح إبادةَ الشعبِ

(١) «الشرق الأوسط» الثلاثاء ٢٣/ ٦/ ١٩٩٢م (ص٦).

الألباني في كوسوفو إذا رفض مغادرة أراضيه(١) .

*** الصليب في الفلبين يُشرِفُ على قتل المسلمين:**

◘ يقول الشيخ «سلامات هاشم» رئيسُ «جبهة تحرير مورو الإسلامية»: «إنَّ السلطاتِ الفلبينيةَ كلَّها من النصارىٰ الذين يكرهون المسلمين، ويعدُّونهم العدوَّ الأولَ لهم».

◘ ثم قال: «يُمكنُ القولُ: إن عددَ الشهداء ـ منذ بدأت الحرب في عام ١٩٧٠م ـ هو (٣٢٦,٨٤٥) شهيدًا ومفقودًا من الرجال والنساء والأطفال حتىٰ نهاية ١٩٩١م، أمَّا عددُ الشهداءِ الذين استُشهدوا في ساحاتِ الجهاد، فهو (٢٤,٧٨٦) من الرجال والنساء»(٢) .

*** البوذيُّون أعداءُ رسولِ الله ﷺ في «كمبوديا» يَطردون المسلمين من المدن، ويُدبِّرون المذابحَ البشعةَ لهم:**

قررت الحكومةُ الكمبوديةُ مَنْعَ وجودِ المسلمين في العاصمةِ «فنوم نبه»، وتهجيرَ جميعِ العائلاتِ المسلمةِ إجباريًّا إلىٰ القُرىٰ النائية، وإجبارَهم علىٰ العَيشِ في منازلِ الصفيحِ والأخشاب، وذلك خوفًا علىٰ البوذيَّة من المدِّ الإسلامي!.

وتمَّ ترحيلُ المسلمين بطريقةٍ مَهينةٍ إلىٰ القُرىٰ والنجوعِ النائيةِ خَلْفَ نهرِ «الميكونج» في منطقةٍ تُسمَّىٰ «رس كيو»، وقد وَضعت الحكومةُ في المنطقة أكثَرَ من ثلاثةِ آلافِ عائلةٍ مسلمةٍ في حالةٍ سيئةٍ للغاية.

---

(١) «جمهورية البوسنة والهرسك» (ص١١٢ ـ ١١٣) لأم القعقاع.

(٢) «وجاء الدور علىٰ الإسلام» (ص١٥٤).

ويتذكَّر المسلمون في «كمبوديا» المذابحَ الإجراميَّة التي قامت بها عصاباتُ «الخمير الحمر» أواسطَ السبعينات ضدَّهم، حيث إن هذه العصاباتِ قامت بقَتلِ عشراتِ الآلافِ من المسلمين وَسَطَ تعتيمٍ إعلاميٍّ واسع، فلم يَعرف أحدٌ هذه المذابحَ إلاَّ بعد فرارِ بعضِ المسلمين الناجِين من المذابح إلى الدول المجاورة لكمبوديا[1].

والكفر ملَّةٌ واحدة.. والحقدُ على الإسلامِ والمسلمين ونبيِّهم ﷺ شعارُ القوم ودثارُهم.. فلعنة اللَّه على الجميع.

* الصليبيُّون آكلُو لحومِ المسلمين:

❑ يقول «رانسيمان» في كتابه عن الحروب الصليبية: «كان الجيشُ في «معرَّةِ النُّعْمان» يُعاني الجوعَ بعد أن نَفِدَتِ المُؤَنُ التي استولى عليها من الجوار، ولم يكنْ له من سبيل سوى أن يأكلَ لحومَ البشر»، «وهذا دَرْكٌ لا يَنحدرُ إليه الحيوان» ـ على حدِّ قولِ مترجمِ ذلك الكتاب ـ.

ثم قال «رانسيمان»: «فراح فرسانُ المسيح يَشْوُون جُثثَ قتلاهم من الرجالِ والصبيان المسلمين ليأكلوها».. واللَّهم لا تعليق!.

❑ وقد كتب المؤرِّخُ «راؤل دي كايين» المُرافق للفرنج قائلاً: «في مدينة «المَعَرَّة» كان رجالنا يقومون بِغَلْي شبانِ الوثنيِّين[2] في آزانات، ويُوثِقون الأطفالَ على الأسياخِ ويأكلونهم مَشْويِّين».

وما أكثَرَ الوثائقَ الموجودةَ عن قصصِ آكلي لحومِ البشر التي ارتكبها

(١) المصدر السابق (ص١٥٧ ـ ١٥٨).

(٢) أي المسلمين.

جنودُ «الفرنجة» الصليبيُّون في مدينة «المعرَّة» عام ١٠٩٨م، وحتىٰ القرن التاسعَ عَشَرَ كان يمكن العثورُ عليها في كتابات المؤرِّخين الأوربيِّين، وهو ما نُطالعُه في كتابِ «تاريخ الحروب الصليبية» للمؤرخ «ميشو» الفرنسي المنشور فيما بين ١٨١٧ ـ ١٨٢٢م (راجع المجلد الأول ص٣٥٧، ٥٧٧)، و«ببلوغرافيا الحروب الصليبية» صفحات (٤٨، ٧٦، ١٨٣، ٢٤٨).

أمَّا في القرنِ العشرين، فقد تمَّ التعتيمُ علىٰ مِثلِ هذه الحقائق، إذْ لا نكادُ نَجِدُ لها أثرًا، اللَّهم إلاَّ عبارةَ «رانسيمان» السالفةَ الذِّكْر، وما أكثَرَ ما اعتادوا التعتيمَ عليها[1].

✍ الصليبيُّون عارُ الإنسانية ورِجسُها ودَنَسُها ونَتْنُها ووَحْلُها، والمسلمون عبيرُ الوجود وَطُهْرُه وطِيبُه.

*** «يلتسين» المجرمُ الروسيُّ عدوُّ الرسول ﷺ والإسلام وما فَعَله بأهل الشيشان:**

شَنَّ «يلتسين» الدُّبُّ الروسيُّ حَملةَ إبادةٍ علىٰ الشعب الشيشانيِّ، شاركه فيها رئيسُ وزرائه السَّفَّاحُ المجرمُ «فلاديمير بوتين»، وهذه بعضُ آثارِ الحربِ الروسية في الشيشان التي خلّفتها الجولة الأولىٰ (١٩٩٤ ـ ١٩٩٦م) من الحربِ الشيشانية، وما تَلا ذلك من عملياتٍ سريَّةٍ وحَملاتٍ إعلاميةٍ ضدَّ الشيشانِ وشَعْبِها، هي في الحقيقة استمرارٌ للحربِ الروسيةِ التي بدأتها روسيا فورَ إعلانِ الشيشان استقلالها سنة ١٩٩١م.

---

(١) «حرب صليبية بكل المقاييس» للأستاذة الدكتور زينب عبدالعزيز (ص١٢) ـ دار الكتاب العربي ـ دمشق، القاهرة.

□ أولاً: خسائرُ فادحةٌ في الأنفس:

ففي الشيشانِ - التي لا يَزيدُ تعدادُ سكَّانها عن مليونَ وثلاثمئةِ ألفِ نسمةٍ - قَتَل الروسُ منهم أربعين ألفَ مدنيٍّ، وفُقد ألفانِ من السكان، ألقت المخابراتُ الروسيةُ القبضَ عليهم في بيوتهم وفي الشوارعِ، ولم يُعرف مصيرُهم حتى هذه اللحظة.

وعلاوةً على القتلى، خَلَّفت الحربُ ٧٤ ألف مُعاقٍ منهم ١٩ ألف طفل، وفَقد منهم ألفانِ حاسةَ الإبصار، وألفٌ وخَمْسُمئةٍ فَقدوا السمعَ والنطق، وفي الشيشان ١٢ ألف طفل يتيمٍ فقدوا آباءهم، ومن الشيشانيين ٣٥٪ دُمِّرت منازلهم، فأصبحوا بلا مأوىً، و٨٥٪ لا يَجِدون عَمَلاً، وبين كلِّ عَشَرةِ أُسرٍ شيشانيةٍ هناك تسعةُ أُسَرٍ لا تجدُ ما يكفي لطعامها اليومي، وبدأ الناسُ بالفعل يأكلون عَلَفَ الماشية، فقد دَمَّرت الحربُ المصانعَ وقَتلت معظمَ حيوانات المزارع.

□ ثانيًا: تدميرُ البِنيةِ الأساسيةِ للنظام التعليمي:

كان تدميرُ النظامِ التعليميِّ أولَ ما استهدفته القواتُ الروسية في الحرب، فقد دُمِّرت الجامعةُ الشيشانيةُ إلى جانب ثمانيةِ معاهدَ فنيةٍ للدراسات العليا، وأربعةِ مدارسَ فنيةٍ متوسطة، وأربعةِ مراكزَ للأبحاث، إلى جانب التدميرِ المتعمَّدِ لقاعاتِ المحاضراتِ والأرشيفِ الوطنيِّ والمُتحَفِ الوطني.

□ كارثةٌ بيئية وصحيَّة:

دَمَّرت القواتُ الروسيةُ آبارَ البترول، فتدفَّقت آلافُ الأطنانِ المشتعِلةِ

منه في حدائقَ لوَّثت الهواءَ والتربةَ، وأحدثت كارثةً بيئيةً لا تقلُّ عن كارثةِ الكويت في حربِ الخليج الثانية.

وتدهورت الأوضاع الصحيةُ للشعب الشيشانيِّ، خصوصًا بين الفئات الضعيفة والأكثرِ فقرًا من النساء والأطفال وكبارِ السن، نتيجةً لسوءِ التغذية وتدنِّي الخدماتِ الصحيةِ، وافتقادِ النظافةِ والمَرافقِ الصحية، والتلوُّثِ البيئيِّ الذي أصاب المياهَ والهواء.

ولذلك ارتفعت نسبةُ الوَفَياتِ بين الأطفال (١٢٠ من كل ألفِ طفلٍ يموتون)، وطبقًا لأبحاثٍ دوليةٍ أُجريت، وُجد أن كلَّ ثاني طفلٍ مولودٍ يموتُ في شهرِهِ الأول، وأن الأطفالَ الشيشانيين يُعانون من الأنيميا وفُقدانِ سوائلِ الجسم، ويُولدُ كثرةٌ من الأطفال مرضىٰ وضعافَ البِنيةِ ومشوَّهين.

وهناك قصورٌ في الخِدماتِ الصحيةِ للحواملِ والتوليد، فقد دَمَّر الروسُ المستشفياتِ متعمِّدين، ولا توجدُ في المستشفيات الباقيةِ سوىٰ (٦,٦٪) من الاحتياجاتِ المطلوبة للأطفال.

وفي السنتين السابقتين للجولة الثانية من الحرب، انخَفَض معدَّلُ المواليد مرتينِ ونصفَ مرةٍ عن معدَّلاتها الطبيعية السابقة.

ويوجدُ نَقصٌ هائلٌ في الأدويةِ والأدواتِ الطبيةِ، حتىٰ أصبحت الحُقنةُ الواحدةُ يتكررُ استخدامُها لمرضىٰ آخَرين.

وهناك يأسٌ عامٌّ ورعبٌ دفينٌ يُطِلُّ من عيونِ الأطفال الذين رَوَّعتهم أحداثُ الحربِ واجتثَّتهم من بيوتِهم وحياتِهم المستقرة، وألقت بهم في الملاجئ، وأصبحت الكثرةُ الغالبةُ منهم لا يَعرِفون طريقَهم إلىٰ المدارس

التي دمَّرتها الروس.

النساءُ الشيشانياتُ مُشكلاتُهنَّ الصحيةُ أكثرُ حَرَجًا ـ خصوصًا الحوامل منهن ـ، فقد دُمِّرت المؤسساتُ التي كانت ترعاهن، وأول ما يُعانِينَ منه إصاباتُ الجهازِ الهضميِّ التي تؤدِّي إلى الوفاة بنسبة ٨٠٪، هذا إلى جانب أمراضِ الكبدِ الفيروسية وسرطاناتِ الدم، وقد وُجد أن امرأةً من كلِّ خمسةِ نساءٍ حواملَ تحتاجُ في الولادةِ إلى عمليةٍ قيصرية.

استشرى مرضُ الدرن الرئوي (السِّل) بشكلٍ وبائي، ولا يوجدُ مكانٌ للعلاج، وإذا وُجد المكانُ فلا يوجدُ أطباءُ ولا أدويةٌ كافية، فالمستشفياتُ كلُّها تقريبًا محطَّمةٌ، والتي لم يَتمَّ تحطيمُها معطَّلةٌ، أو لا تعملُ بكاملِ طاقتها، خصوصًا بعد رحيلِ هيئةِ الصليبِ الأحمر الدولية على إِثْرِ مقتلِ ستةٍ من موظفيها على يدِ عملاءِ المخابرات الروسية.

* **الروسُ الكَفَرةُ مصَّاصو الدماء:**

يُطلِقُ الروسُ على الشيشانيين المسلمين لقب «مصَّاصِي الدماء»!! والروسُ أولى الناس بهذا، وهم ـ واللَّهِ ـ وحوشُ البشرية وأعداءُ رسولِ اللَّه ﷺ بل وأعداءُ الحياة، وإليك أنموذجًا صغيراً من مجازِرِهم:

❏ **مجزرة قرية سامشكي:**

للشيشانيين تقاليدُ راسخةٌ في كَرَمِ الضيافة، وعِشقِ الحريةِ والمساواة، ورُوحِ الفروسية، مما تردَّد صداه في الأدبِ الروسيِّ الكلاسيكيِّ والكتاباتِ الأخرى، وفي الحربِ التي فَرَضَتْها الحكومةُ الروسيةُ عليهم تصرَّفوا بشجاعةٍ وكانوا أبطالاً شرفاءَ، فلما انتهت الجولةُ السابقةُ من الحرب

وأُبرمت اتفاقيةُ سلامٍ بينهم وبين القوات الروسية، نَفَّذوا بُنودَها بأمانةٍ وشرفٍ، وأفرجوا عن جميعِ الأسرىٰ الروس دون أن يَمَسُّوا أحداً منهم بسوء، أما الروسُ، فكانوا أبعدَ ما يكونون عن الأمانةِ والشرف، فلم يعبؤوا بتنفيذِ الاتفاقيةِ التي وَقَّعوها، لم يَفُوا بوعودهم وعهودِهم، وكان لديهم ألفَا سجينٍ مدنيٍّ قتلوهم بلا محاكماتٍ ولا توجيهِ تُهَمٍ إليهم.

وكان سلوكُهم في الحرب سلوكَ قَتَلَةٍ وقُطَّاعِ طرقٍ لا سلوكَ محارِبين، وفيما يلي نموذجٌ واحدٌ من مئاتِ الجرائم التي ارتكبوها أثناءَ الحرب في حقِّ المدنيين:

فقد قامت القواتُ الروسيةُ في ٥ إبريل ١٩٩٥م باقتحامِ قرية «سامشكي» الشيشانية، وأوقعوا بالأهالي المسلمين مجزرةً وحشيةً.

◻ يقول شهود العيان: «توجَّهْنا إلىٰ القرية بعد خروجِ الروس منها لنتحققَ من خبرٍ شاع في المنطقة بأن مجزرةً ما حَدثت في مدرسةِ أطفال القرية، فلما وَصَلْنا إلىٰ المدرسة هالنا منظرُ عشراتٍ من جُثثِ الأطفال ممزَّقةٍ بالرصاص في أرجاءِ المدرسة، وكان هناك نساءٌ من أمهاتِ الأطفال وأقارِبهم يحاوِلْنَ جَمْعَ الأشلاءِ المبعثَرةِ لدفنها، ثم انتقلنا بعد ذلك إلىٰ منزلٍ أشار إليه الأهالي، فدخلناه لنُفاجأَ بمشهدٍ مروِّعٍ لجُثثِ أطفالٍ مشنوقين بأسلاك كهرباء، معلَّقين في سقف المنزل، كانت عيونُهم جاحظةً ووجوهُهم متورِّمة.. لقد هرب هؤلاء الأطفالُ من مجزرةِ المدرسة، ولكن تتبَّعهم الجنودُ الروسُ إلىٰ حيث عثَّروا عليهم مختبِئين في ذلك المنزل، فأمسكوا بهم وشَنقوهم هناك، ولم يَكتفِ الروسُ بقتلِ الأطفالِ فقط، وإنما

قاموا بإحراقِ ثلاثينَ جثةً رأيناها مبعثرةً حولَ المنزلِ المنحوس».

◘ فماذا فَعل الروسُ بعد المجزرة؟ لقد أحاطوا القريةَ بسياجٍ، ومَنعوا الدخولَ إليها لمدةِ ثلاثةِ أيامٍ في محاولةٍ لإخفاءِ معالمِ جريمتهم، ولكن يبدو أنه لم يكن لديهم الوقتُ الكافي لطَمسِ كلِّ آثارِ المجزرةِ، فأشعلوا النارَ في جُثثِ الأطفال قبلَ أن يَرحلوا (انظر في هذه الواقعة تقارير منظمة العفو الدولية في نوفمبر ١٩٩٥م).

◘ وفي الجولة الثانية من الحربِ التي بدأت في سبتمبر ١٩٩٩م - ولا تزال تطوراتُها المأساويةُ تطالِعُنا حتى اليوم -، ارتكبت القواتُ المسلحةُ الروسيةُ جرائمَ وحشيةً ضدَّ المدنيين، عَرَفنا أطرافًا منها، وخَفِيَ عنَّا الكثيرُ من حقائقها وتفاصيلها؛ وذلك بسبب التعتيمِ الإعلاميِّ الذي تَفرِضُه السلطاتُ الروسيةُ بالقوةِ والتهديد بالقتل، فالصحفيون الروس ممنوعون من دخولِ أراضي الشيشان، أو التحدُّثِ مع الشيشانيين، وقد صرح بعضُهم أن تهديداتٍ بالقتل وُجِّهت إليهم من مصادرَ أمنيةٍ إذا تحايلوا على الدخولِ إلى الشيشان أو نَشروا أخباراً أو صوراً عن الحربِ غيرَ تلك التي تنشرُها السلطاتُ الرسمية في أجهزةِ إعلامها.

◘ وفي ٣٠ ديسمبر ١٩٩٩م أَفرجت السلطاتُ الروسيةُ عن سبعةٍ من الصحفيين الأجانبِ تمكَّنوا من دخول الشيشان، وأذاعوا أخباراً عن وجودِ مقابرَ جماعيةٍ ومجازرَ وقعت في بلدةِ «خان يورت»، فقَبضت عليهم السلطاتُ الروسيةُ وحَجَزتهم عدةَ أيامٍ بحُجَّةِ التحقيق معهم لدخولهم إلى الشيشانِ بدون تصريحٍ رسميٍّ، وصادرت الأفلامَ التي كانت معهم، ولكنْ تمكَّن بعضُهم من تهريبِ بعضِ صورٍ للقتلى وللمقابر الجماعية.

☐ في «الأوبزرفر» البريطانية قصةُ المأساةِ التي تَعيشُها قريةُ «سامشكي» مرةً ثانيةً في الحرب الحالية بعد مرورِ أربعةِ أعوامٍ علىٰ مجزرتِها السابقة، فقد قامت الصحفيةُ «إميلدا جنتلمان» بتحقيقٍ تحت عنوان «أسرار الحرب الانتقامية: الرعب في الشيشان محجوب عن العالم»، تحكي فيه قصةَ القرية من خلال مأساةٍ حلَّت بأُسرةٍ فيها تقول: («مدينا عبد الرحمانوف» فتاةٌ شيشانية كَسر الروس ساقَها في الحرب السابقة، وفي هذه الحرب قَطعوا ساقَها وذراعيها جميعًا، إنها فتاةٌ في الثانيةِ والعشرين من عمرها، مكثت المرةَ الأولىٰ خمسةَ أشهُرٍ في المستشفىٰ بعد هجومِ إبريل ١٩٩٥م، وهي ترقدُ الآن في المستشفىٰ للمرة الثانية غارقةً في أوجاعٍ لا تُحتمل، أُجريت لها عدةُ عملياتٍ جراحيةٍ، ولكنها لم تَنجح، وهي لا تدري كم من الوقت ستبقىٰ في المستشفىٰ.

والدةُ «مدينا» عمرها ٤٢ سنة واسمُها «خافا» كانت تعملُ محاسبةً في مصنعِ تعليبِ أغذيةٍ، تقول: كنتُ أُجهِّزُ طعامَ العَشاءِ في مطبخٍ مُظلِم بدونِ كهرباء ولا غاز، عندما رأيتُ الطائراتِ الروسيةَ تُحلِّقُ فوقَ القرية في الشهرِ الماضي، فأَسرعتُ أنا وابنتي إلىٰ مخبإٍ بأسفلِ البيت، هو غرفةٌ صغيرة كنَّا نحفظُ فيها محصولَ البطاطس، وكنا قد أعددناه لنأويَ إليه أثناءَ الغارات في الحربِ السابقة، ولم تَزَلِ الشموعُ موجودةً به، كانت أصواتُ الانفجاراتِ تَصُمُّ الآذانَ، فكنا لذلك صامتين أثناءَ القَصْف، وبين الغارةِ والأخرىٰ كنَّا نتحدثُ أحيانًا ماذا سنفعلُ إذا نَجَوْنا من هذه الحربِ؟ وكيف سيكونُ الحالُ إذا قُتلنا؟.

«سامشكي» التي كانت رمزًا للدمار التي أحدثته القواتُ الروسيةُ في

الحرب الشيشانية الأولىٰ، أصبح سكَّانُها أشدَّ رُعبًا من القصفِ هذه المرة، ولذلك اتفقت إدارةُ القريةِ مع القواتِ الروسية أن تُخليَ القريةَ من المتمرِّدين في مقابلِ ضمانٍ من القواتِ الروسيةِ ألاَّ تهاجمَ القريةَ. تقول «خافا»: «كنا نعرفُ أنه ليس عندنا متمرِّدون ولا مسلَّحون فيما عدا بعضَ صبيانٍ كانوا يَلبَسون زِيَّ المقاتِلين ويَمشُون مزهوِّين في القرية، وقد اقتنعوا بالرحيلِ عن القريةِ والالتحاقِ بالمقاتِلين في «جروزني»، وعَلِم الروسُ بالأمر، ومع ذلك قَذَفوا القريةَ بوابلٍ من القنابل»، وهكذا قالت «إيمان أفديفيا» عندما تحدَّثْنا إليها في عَربةِ قطارٍ قديمةٍ هي ملجؤها في «إنجوشيا» بعد خروجِها من القرية لتعيشَ فيها مع أطفالها الأربعة).

❑ وتمضي «إميلدا جنتلمان» في استكمالِ قصة «سامشكي» المنكوبة، فتكتب علىٰ لسان لاجئٍ آخر كان يَعملُ بالشرطة الشيشانية هو «وحيد دربيشيف»: «حدث أعنفُ هجومٍ روسيٍّ علينا يوم ٢٣ أكتوبر استمرَّ لمدةِ ساعةٍ ونصفٍ متواصلةٍ، كانت الصواريخُ تُمزِّقُ سكونَ الليل في القرية وتتساقطُ علينا من كلِّ ناحية، وفي الصباح خرجنا إلىٰ قائدِ القُّواتِ الروسيةِ المرابِطِ خارجَ القرية، فقالت لنا: «لقد كان خطأً»، ووعد ألاَّ يتكررَ هذا الخطأ، وكان علينا أن نَقبلَ الوعد، فلم يكن في مقدورنا الخروجُ من القريةِ والرحيلُ إلىٰ «إنجوشيا»؛ لأن الطريقَ الذي كان مفتوحًا لسَفَرِ اللاجئين أغلقه الروسُ بحُجةِ أنهم لا يستطيعون التمييزَ بين الأهالي وبين الإرهابيين، وفي ٢٥ أكتوبر عاد الروسُ لقَصفِ القريةِ مرةً أخرىٰ، وفي هذا الهجومِ ارتَفع عددُ الضحايا كثيراً، وغضب الأهالي، فذهبوا يَشكُون إلىٰ إدارة القرية، فقيل لهم: «لا حيلةَ لنا مع الروس إنهم يَعِدُون ويُخلِفون».

استمرَّ القصفُ بعد ذلك لعدةِ أيامٍ دون انقطاعٍ والأهالي قابعون في المخابئ لم يجرؤ أحدٌ على الخروجِ أثناءَ النهار، كانت المحلاَّتُ التجاريةُ مغلقةً، ولم يَذهبْ أحدٌ إلى العمل، فالمصانع أيضًا كانت مغلقة».

□ وتمضي «إميلدا جنتلمان» تستكملُ قصةَ قرية «سامشكي» على ألسنةِ أهلها في المهجر: «بعيدًا في إنجوشيا التقيتُ بالطفلِ «رستم دربيشيف» ١٢ سنة كانت أسرتُه قد أرسلته إلى إنجوشيا ليعيشَ في خَيمةٍ مع إخوته الثلاثة.. يقول: بدأ الروس يَقصِفون القرية، ثم دخلوها وقتلوا ابنةَ عمَّتي، وقتلوا جدِّي برصاصةٍ في ظهرِه، وكَذَبوا علينا عندما قالوا: إنها كانت حادثةً، لقد بدأتُ أكرهُ الروسَ من قلبي.

ويعقِّبُ «وحيد أبو رستم» يَصِفُ الهجومَ الذي قُتلت فيه ابنةُ أخته: بدأ الهجومُ الساعة ١٩, ٨ مساء يوم ٢٦ أكتوبر، واستمرَّ طول الليل.. كلُّ شيء في القرية كان يحترق.. لم نكن قد تمكَّنَّا من إعادةِ قطيعِ الماشية من الحقول.. وكان الروسُ يقتُلون كلَّ شيءٍ حيٍّ يتحركُ على الأرض.. قتلوا البقرَ والكلابَ والقِططَ لم يتركوا شيئًا.. في تلك الليلة قُصف منزلُ أختي فأُصيبت في رأسها وعمودِها الفَقريِّ، وقُتلت ابنتُها على الفور.. في الصباح أسرعتُ إلى منزل أُختي، فحَمَلْتُها إلى المستشفى.. ولكني وجدتُ المستشفى مليئةً بالجرحى.. رأيتُ الجحيمَ في المستشفى: أكوامٌ من البشر بدون أذرُعٍ وبدون أرجلٍ، وأنينٌ يفوقُ الاحتمال.. نَصَحني الطبيبُ أن نَذهبَ إلى مستشفى أخرى، فأخذتُها وذهبتُ، وكانت الطائراتُ الروسيةُ تحومُ فوق رؤوسنا.. كانت أختي تُهلوسُ ودرجةُ حرارتِها مرتفعةٌ، وتقول

في أنينٍ: «كانت ابنتي بجانبي طوالَ الوقت فأين ذهبت. . أين ذهبت؟»

◻ في ذلك الصباح أُصيبت «مدينا» عندما خرجت من مخبئها تُحضِّرُ بعضَ مياهٍ للشرب، تقول أمها: «توقفَتِ الغارةُ ذلك الصباح، وظننَّا أن هذا كان نهايةَ الهجومِ فخَرَجْنا، وعندئذٍ استأنف الروسُ غاراتِهم من جديد، وكان منزلُنا أولَ منزلٍ تُصيبُه القذائف. . استعنت بجارٍ لنا، حَمَلناها في سيارته، وذهبنا نبحثُ عن مستشفى، ولكنَّ الطائراتِ كانت تَقصِفُ طريقَنا والسيارةُ تسيرُ بسرعةٍ كبيرةٍ، وظننا أن نهايتنا قد اقتربت».

◻ يتذكرُ أهالي قرية «سامشكي» المتقدمون في العُمر أنها كانت قريةً جميلةً آمنةً ترقدُ في أحضانِ النهرِ وتمتلئُ حقولُها بأشجارِ التفاح، أما اللاجؤون العائدون منها حديثًا، فإنهم يقولون: «إنها أبشعُ الأماكنِ وأكثرُها خرابًا»، ويقول أحدُهم واسمه «حسبو اللاطوف»، عمره ٦٣ سنة، رَحَل منها الأسبوع الماضي: «الذين قرَّروا البقاءَ في القرية يلاقُون أسوأَ معاملةٍ وأقسى اضطهادٍ من الجُنود الروس، فهؤلاء الجُنودُ لديهم تعليماتٌ لتطهيرِ القريةِ من سكانها. . إنهم يُفتِّشون البيوتَ كلَّ يوم، ويقرؤون كلَّ ورقةٍ فيها بحُجةِ البحثِ عن أسلحةٍ، ويَقتحِمون البيوت المهجورة، فيَسرقون كلَّ ما فيها لا يتركون شيئًا من الدقيقِ أو الأجهزة الكهربائية. . حتى لَعبِ الأطفال».

سكانُ قرية «سامشكي» عشرةُ آلافٍ، هَرَب نصفُهم لاجئين، وأما الباقي، فبعضُهم من كبارِ السنِّ أقعَدَهم العجزُ، والآخرون فضَّلوا البقاء في وطنهم مع خطرِ الموت على عذابِ اللجوء والتشرد.

* بُوتين الرئيسُ الروسي عدو اللَّه ورسوله ﷺ وعدوُّ الحياة:

المتعطِّشُ للثأر من المسلمين، وعصابتُه الذين اغتالوا كلَّ مَظهرٍ من مظاهرِ الحياة في الشيشان ـ وخاصةً عاصمتها جروزني ـ بجيشٍ روسيٍّ نظاميٍّ لا يَقِلُّ عن نصفِ مليون، كما قال المجاهد «خطَّاب» ـ رحمه اللَّه ـ وعلىٰ رأسِ الأبالسةِ من عصابة «بوتين» الجنرال «أناتولي كفاشني» رئيسُ الأركان القائل: «لابدَّ في هذه المرة من استئصالِ الداءِ من جذورِه قبل أن تستشريَ العَدْوىٰ في كلِّ مكان».

و«فيكتور كازانتسيف» قائدُ قواتِ منطقةِ شمال القوقاز (٥٤ سنة، كولونيل جنرال)، رغم أنه لم يَشتركْ في الحرب السابقة، ولكن أُصيب فيها ابنُه بجُرحٍ بليغ، ربما يفسرُّ عُنفَه وحدَّته، إنه يجيدُ الوقوفَ أمام الكاميرات والحديث إلىٰ التلفاز، وكثيراً ما صرَّح قائلاً: «لقد تعلَّمْنا من الشيشانيين أشياءَ، وجاء دَوْرنا لنعلِّمَهم الكثير».

و«فلاديمير شمانوف» قائدُ الجبهة الغربية (٤٢ سنة، جنرال بنجمة واحدة)، كان من قادةِ الحربِ السابقة، وعندما قيل له: «كن رحيمًا بالنساء البريئات»، قال ساخراً: «عن أيِّ نساءٍ بريئات تتحدثون؟! ليس في الشيشانِ إلاَّ مجرمون». . إنه من أشرسِ الشخصيات في الجيش الروسي، ويكرهُ الشيشانيين كراهيةً عمياءَ.

و«جينادي تروشيف» قائدُ الجبهة الشرقية (٥٢ سنة، جنرال بنجمتين)، من قادة الحرب السابقة، كان معتاداً علىٰ التفاوُضِ مع الأهالي لإقناعِ المتمرِّدين بالخروج من بلدةٍ ما، فإذا خَرجوا دَكَّها بالمدافع كنوعٍ من

العقوباتِ الجماعية، فهو رجلٌ لا يَرحمُ ولا يَرعىٰ شرفَ الكلمة.

أسقط المجرمون القنابلَ الإنشطاريةَ - زِنَةَ خَمْسِمئةِ كيلو جرام من المتفجِّرات -، وأَسقطت الطائراتُ الروسيةُ قنابلَ النابالمَ المحرَّمة دوليًّا، وقنابلَ الغازِ السامِّ، والأسلحةَ غيرَ التقليديةِ ذاتَ الدمار الشامل.

وقَدَّرت المصادرُ الشيشانيةُ حَجمَ خسائرِ الشيشان في الحصارِ بين حَرْبَيْ ٩٤ - ٩٩ بنحو ٢٥٠ مليار دولار.

لم يَرحمِ العدوُّ الروسيُّ الهمجيُّ أيَّ شيءٍ، وسَوَّىٰ بالأرضِ المساكنَ والمستشفياتِ والمؤسساتِ والمصانع، وأصبح الشعبُ في العَراء.

أجهزَتِ الحربُ حتىٰ ٩/ ٩/ ١٩٩٦م علىٰ كلِّ شيءٍ تقريبًا:

هنا ١١٠ آلاف راحوا شهداءَ، وبَقِيَ ١٥ ألفًا من الجرحىٰ بينهم ١٤ ألفًا من الأطفال، وتفشَّت أمراضُ الحرب، وأبرزُها مرضُ الصدر الذي افترس ٥١٠٠ شخص، ٧٠٪ منهم رجال، وهذا هو المسجَّل فقط.. ولم يَبقَ في المدينة حَجَرٌ علىٰ حجر، واختفت كلُّ مظاهرِ الحياة.

والغريبُ أن الغربَ الصَليبيَّ الذي كان يُدينُ ويُندِّد بالموقف الروسيِّ قَدَّم لروسيا مساعداتٍ في الحرب (ما بين سنة ٩٤ - ٩٦) بلغت (١١,٥) مليار دولار.. فماذا يكون الحالُ إذن في هذه الحربِ التي انقلب فيها موقفُ الغربِ الصليبي مئةً وثمانين درجةً لصالح الموقفِ الروسيِّ علىٰ الصعيد السياسيِّ والإعلاميِّ؟!.

وهل يُصدِّق عاقلٌ في هذه الدنيا ما يقولُه الدبُّ الروسيُّ - بل قل الشيطان - عن المسلمِ الشيشاني بأنه هجميٌّ، ومصَّاصُ دماءٍ، وقاطعُ طريق،

وقائدُ عصاباتِ لصوص، وإرهابيٌّ، وبربري، وكما يَصِفُهم كتابُ وزارة الداخلية الروسية «النظام الإجرامي من ١٩٩١ إلى ١٩٩٥م»؟!.

الفكرةُ الأساسية للكتاب تتركَّزُ حولَ تصويرِ الشيشان بأنها دولةُ عبيد، وأحدُ فصولِه يَحملُ عنوان «عبيد القرن العشرين»، وهو محاولةٌ للتأثير على القارئ، بل حَمْلِه على الاعتقادِ بانحطاطِ أخلاقِ الشيشانيين، حيث يَصِفُهم بالوحشيةِ والساديَّةِ والتعصُّبِ والفاشية، بل يتَّهِمُهم بأنهم مسؤولون عن إدمانِ الشبابِ الروسيِّ للفودكا وإغرائهم بالإفراطِ فيها.

الكتابُ حافلٌ بمثلِ هذه الاتهاماتِ والسِّبابِ المُقذِعِ دون تقديمِ أدلةٍ أو وقائعَ تُثبِتُ هذه الاتهامات، وتتلخَّصُ رسالةُ الكتاب في آخرِ عبارة وردت به: «لقد نَفِد صبرُ الشعب الروسي.. فمن لهؤلاء المجرمين لكي يوقفوهم عند حدودهم؟».

❑ وفي الصحافة كتب «ميخاييل بارسكوف» في «أخبار موسكو» (٢٠ يناير ١٩٩٦م) يقول: «الشيشانيُّ قادرٌ فقط على القتل، فإذا لم يَستطعْ ذلك فإنه يسطو، فإذا لم يستطعِ السطوَ يسرق، وليس هناك نوعٌ آخَرُ من الشيشانيين خلافَ ذلك».

❑ هذا ما يقولُه الدبُّ الروسيُّ «بوتين» وعصابتُه أبالسةُ البشر.. ولكنَّ اللَّهَ يُمهِلُهم.. حتى إذا أخذهم لم يُفلِتْهم لإجرامِهم في حقِّ المسلمين أتباعِ رسولِ اللَّه ﷺ.

* **عدوُّ اللَّهِ ورسولِه ﷺ المتعصِّبُ الروسيُّ الأحمقُ «جيرنيوفسكي»:**

❑ يقول المتعصِّب الروسيُّ «جيرنيوفسكي» الذي ظَهرَ أخيراً بقوةٍ

على المسرح السياسي بعد انهيارِ الاتحاد السوفيتي: «إن جميعَ مصائبِ روسيا آتيةٌ من الجنوب[١]، ولابدَّ من حملةٍ صليبيةٍ يشنُّها الجيشُ الروسيُّ للوصولِ إلى شُطآنِ المحيطِ الهنديِّ والبحرِ المتوسِّط»..

❑ ويقول أيضًا: «فالجنسُ التركيُّ الملعونُ(!!) هو الجنسُ الذي هدد أوروبَّا - ولا يزال -، وهو الجنسُ الذي دَمَّر «القسطنطينية»، وقَرَعَ أبوابَ «ڤيينا»، وشَنَّ حربَ إبادةٍ على العِرْق السُّلافي»[٢].

❑ وفي مقابلةٍ مع هذا الحاقدِ العنصري، يقول: «سنَطرحُ تجزئةَ تركيا وإيرانَ وأفغانستان بوصفِها دولاً مُصطنعةً لا آفاقَ لها، خُذْ تركيا مثلاً: فقبل خمسةِ قرون رَكِبَ الأتراكُ خيولَهم ويَمَّمُوا صَوبَ الغَرب، حيث كانت تزدهرُ الإمبراطوريةُ البيزنطيةُ بعلومها وفنونها، الآن هناك «استنابول» بدلاً من القسطنطينية، إنه اغتصابُ أراضي الغير، ينبغي أن تعودَ الأمورُ إلى نِصابها، وأن يتَّحدَ العالَمُ المسيحيُّ مجدَّدًا في القدس، وأن تصدحَ في القسطنطينية أجراسُ الكنائس.. إذا لَم نتحرَّك نحوَ الجنوبِ فإنهم[٣] سيَصعدون إلى الشمال، وليس ثَمَّةَ خِيارٌ ثالثٌ»[٤].

❑ يقول الأمير «شكيب أرسلان»: «إن الروحَ الصليبيةَ لم تَبرحْ كامنةً في صُدور النصارى كُمُونَ النَّارِ في الرَّماد، ورُوحَ التعَصُّبِ لم تنفَكَّ مُعتلِجَةً في قلوبهم حتى اليومِ كما كانت في قلبِ «بطرس الناسك» من

(١) أي: من المسلمين.

(٢) جريدة «الحياة» ٦/ ٥/ ١٩٩٤.

(٣) المسلمون.

(٤) جريدة «الحياة» ١٠/ ٥/ ٩٤، وكتاب التعصب الأوربي أم التعصب الإسلامي مقدمة لمحمد العبدة (ص١٢ - ١٣).

قبلُ، وإنَّ ما يَدْعُوه الفرنجةُ عندنا في الشرق تعصُّبًا مذمومًا، هو عندهم في بلادهم العصبيةُ الجنسيةُ المباركةُ والقوميَّةُ المقدَّسة»[١] .

*** «غودفروا كورت» الصليبي وكتابه «الصليب والهلال»:**

❑ يقول «غودفروا كورت» في كتابه «الصليب والهلال» الذي كتبه في سنة ١٨٨٩م: «إن الإسلامَ قد عَمِل ما لم يَقْدِرْ أن يَعْمَلَه ـ بل ما لم يجرؤ أن يَعملَه ـ دينٌ آخرُ؛ وذلك بأن الصليبَ تغَلَّبَ على كلِّ شيءٍ أمامه، وجاء الإسلامُ أحيانًا فتغلَّب عليه، وكان الصليبيون يقولون في قتال الإسلام: هكذا يريدُ اللَّه، ونحن يمكنُنا أن نُعيدَ اليوم العبارةَ نفسَها، وأن نحاربَ العدوَّ الذي حارَبَه آباؤنا».

❑ ولا يزال التاريخُ يذكرُ أن أولَ من دعا الأوربيين إلى حربٍ صليبيةٍ هو البابا «سلفستر الثاني» ـ وذلك سنة ١٠٠٢م ـ، ثم جاء البابا «غريغوريوس السابع»، فاستنفر جميعَ ملوكِ أوربا لحربٍ دينيةٍ ضدَّ الإسلام، وذلك سنة (١٠٧٥).

❑ ولَمَّا سقطت «عكا وصور»، كتب البابا «نيقولا الرابع» كتابًا تاريخُه ٢٣/٨/١٢٩١ إلى «فيليب لوبيل» ملك فرنسا، يُظهر له به أَلَمَه، ويستنجدُه ليجمعَ كلمةَ ملوكِ النصارى، وينتقمَ من الإسلام، ولكن البابا مات قبل تحقيقِ أمله[٢] .

❑ وتقدَّم البابا «أكليما ندوس الخامس» إلى «جاك دومولية» رئيس

(١) «حاضر العالم الإسلامي» (١/ ١٣٧).

(٢) «تعليقات الأمير شكيب أرسلان على مئة مشروع لتقسيم الدولة العثمانية» (ص٢٨).

نظام الفرسان الهيكليين «فرسان المعبد أو فرسان الهيكل» «الداوية» بترتيبِ برنامجٍ لمحاربةِ المسلمين، وذلك سنة ١٣٠٧م، فأشار هذا الرئيسُ بجمعِ كلمةِ النصرانية على قتالِ المسلمين، وأنه لا يجبُ أن يَقِلَّ الجيشُ عن خمسةٍ وستين ألفَ مقاتل، وأن يكون معزَّزًا بأسطولٍ يرسو في مياه قبرص[١] .

□ وكتب البابا «سيلفويورس» إلى السلطان «محمد الخامس» سنة ١٤٦٣م يدعوه أن يتنصَّر، وقال له: «بقليلٍ من الماءِ على بدنك تتعمَّدُ وتصيرُ نصرانيًّا خادمًا للإنجيل، فإن فعلتَ هذا لا يكونُ على وجهِ الأرض مَلِكٌ يمكنه أن يفوقَك في المجدِ والاقتدار»[٢] .

* **الصليبيُّ المجرم «بيوس الخامس»:**

ما أسمَجَ هذه الرسالة، وما أقلَّ عقولَ هؤلاء القُسُس!! .

□ ومِن أعداءِ المسلمين المتعصِّبُ الصليبيُّ القذر «البابا بيوس الخامس» الذي جَمع جيوشَ فرنسا وإسبانيا والبندقية وملوكَها لمحاربةِ العثمانيين والانتصارِ عليهم في خليج «ليبانت»[٣] سنة ١٥٧١م.

ومن أراد التوسُّعَ في عملِ الصليبيين ضدَّ الإسلام، فليقرأْ كتاب «مئة مشروع لتقسيمِ الدولة العثمانية»، يستوي في ذلك الرجال والنساء.. وما أمرُ «إيزابيللا» ملكة أسبانيا، و«كاترينا الثانية» إمبراطورة روسيا ـ الألمانية الأصل ـ منا ببعيد.

---

(١) المصدر السابق (ص٣٢) .

(٢) المصدر السابق (ص٣٤).

(٣) خليج ما بين شبه جزيرة المورة وبقية شمال اليونان عند مدينة ليبانت.

□ ضَعْ إلى جانبِ هؤلاء الأفعى اليهودية عَدُوَّةَ اللَّه ورسوله ﷺ بدءً من «هرتزل»، وبن جوريون»، ومناحم بيجين، وشارون، ورابين، وموفاز، وكيسنجر». . ولا ننسى الأفعى عدوةَّ رسولِ اللَّه ﷺ «جولدا مائير» التي وَصفها «بن جوريون» في مذكَّراته بأنها «الرجل الوحيد في إسرائيل»، وهي التي طافت بدولِ الغرب، وجَمَعت المالَ لقيامِ دولةِ «إسرائيل». . عليها لعنةُ اللَّه ولعنةُ اللاعنين.

* أمريكا عدوةُ رسولِ اللَّه ﷺ و«عاصفةُ الصحراء» أو «المَجْدُ للعذراء» «AveMary»:

لقد كان الاسمُ الكوديُّ لمعركةِ العراق كفيلاً بأن يَفهم أيُّ غَبِيٍّ مراميَه، كان «Ave Mary»، وتعني «المجد للعذراء»، فهؤلاء السِّفْلَةُ الفُجَّارُ نسبوا للعذراء الطاهرةِ ما هي منه براء[1].

□ وقال الدكتور محمد عبَّاس: «إن الاسمَ الرمزيَّ لحربِ تدميرِ العراق ليس «عاصفة الصحراء»، بل «المجد للعذراء ـ Ave Mary»، كانت هذه الترتيلةُ الكنسيَّةُ في تحيةِ وتمجيد العذراء مريم هي الصيحةُ التي أطلقها السَّفاحُ «شوارتسكوف» مع أولِ صاروخٍ في حرب الخليج، ولقد كتبوا على صاروخ منها: «إن كان محمَّدُهم لا يستجيبُ لدعائهم، فلْيَدْعوا المسيح».

وفي مخبأ «العامرية» في بغداد قُتل مئاتُ المدنيين، من بينهم أكثر من أربعمئة طفل بصاروخٍ من صواريخ المجزرة الأطلسية في حرب

---

(١) «بغداد عروس عروبتكم» (ص٢٢٣ ـ ٢٢٤) للدكتور محمد عباس ـ مكتبة مدبولي الصغير.

الخليج»[١] .

قبلَ دخول أمريكا العراق قَدَّم «رامسي كلارك» شكوىٰ جنائيةً ضدَّ الولاياتِ المتحدة الأمريكية لتسبُّبِها في موتِ أكثرَ من مليون ونصف مليون شخص - بينهم (٧٥٠, ٠٠٠) طفل دون الخامسة - عن طريق عقوباتِ الإبادة الجماعية .

❏ ماذا فعلت أمريكا بالعراقيِّين في حرب الكويت قبل غزوِها واحتلالها للعراق نفسه؟! هذا ما يقصُّه علينا الدكتور محمد عبَّاس في كتابه «بغداد عروس عروبتكم» (ص٢١٨ ـ ٢٢٠): «يقول الطيارُ الأمريكيُّ «ريتشارد وايت» عن الغارات الجوية علىٰ العراق: إنها كانت «تكاد تُشبِهُ إضاءةَ المصباحِ في المطبخِ ليلاً، فتنطلقُ الصراصيرُ مسرعةً فتقتلها» .

❏ لم يكنِ القرارُ قرارَ الأممِ المتحدة، كان قرارَ أمريكا المجرمة، ولقد نشرت صحيفةُ «الإندبندنت» أن «صدام حسين» قال للأمين العام للأمم المتحدة: «إن قراراتِ الأممِ المتحدة كانت في الواقع قراراتٍ أمريكيةً، وليست ما يُريدُه مجلسُ الأمن» . . فرد عليه: «أوافقك الرأي» .

أظهَرَ شريطُ فيديو متطورٌ التُقط ليلاً المجنَّدين العراقيين سيئي الحظِّ والنارُ تُطلَقُ عليهم في الظلام، وبعضُهم قد تمزَّق بفعل قنابلِ المدفعية .

❏ وكتب «جون بالزار» من صحيفة «لوس أنجيلوس تايمز» يقول: إن العراقيين كانوا: «مِثلَ قطيعٍ من الغنم أُخرج من حظيرته، كانوا مصعوقين

---

(١) «إني أرىٰ الملك عاريًا» للدكتور محمد عباس (ص١٥٨) .

ومرتعِبين، استيقظوا فزِعين فارِّين من خنادقِ النار، كانوا يُذبَحون واحدًا بعدَ الآخَر على أيدي مهاجمين لا يستطيعون رؤيتَهم أو فهمهم، ومزَّقت بعضَهم انفجاراتُ قذائفَ مدفعيةٍ عيار (ثلاثين ملم)، وسقط جنديٌّ وتلوَّى على الأرض وحاول النهوض، ولكنَّ انفجارًا آخَرَ مزَّقه إربًا».

◘ الطيارُ الأمريكي المجرم «رون بالاك» يفخر قائلاً: «عندما عدتُ جلستُ على جَناحِ الطائرة ورُحتُ أضحك، ربما كنتُ أسخرُ من نفسي، أتسللُ إلى هناك، وأضربُ هنا، وأضرب هناك، اقترب رجلٌ مني وربَّت كلٌّ منَّا على ظَهرِ الآخر، ثم قال: يا إلهي، ظننتُ أننا قَصَفْنا مزرعةً، بدا وكأن أحدًا قد فتح بوابةَ حظيرةِ الخراف».

◘ أما القرصانُ الضابط «براين ووكر»، فقد كان يتطلعُ إلى المزيدِ من نفسِ النوع من القتل حيث قال: «لا يوجد ما يمكنُ أن يُخرجَهم من أماكنهم مثل الآباتشي - طائرة هجومية -، سيكون الأمر مثلَ صَيدِ البط».

أحدث العَرضُ الشامل للأسلحة المتطوِّرةِ مجزرةً جماعيةً لعدوٍّ لا حول له ولا قوة، استَعملت الجيوشُ الأمريكيةُ والبريطانيةُ قاذفةَ صواريخ من طراز «MLRS»، وكلُّ عربةٍ من هذا النوع تستطيعُ إطلاق اثنَي عَشَرَ صاروخًا لمسافةٍ تزيدُ على عِشرينَ ميلاً، ويُطلِقُ كلُّ صاروخٍ من هذا النوع ثمانيةَ آلافِ قنبلةٍ مضادةٍ للأفراد».

◘ في المراحل الأخيرةِ من الحرب أطلَقَ الجيشُ الأمريكي عشَرةَ آلافِ قذيفة «MLRS»، في حين أَطلقت القواتُ البريطانية ٢٥٠٠ قذيفةٍ أخرى.

❑ قنابل «روك» ـ أي العنقودية ـ تحتوي الواحدةُ منها على (٢٤٧) قنبلةً يدويةً ضدَّ الأفراد تنفجرُ إلىٰ ألفَيْ شظيةٍ عاليةِ السرعة كالمُوسَىٰ تُمزِّق الأشخاص».

❑ ويقول: «بدأت هذه المرحلةُ من المذبحة عندما رَصدت الطائراتُ الأمريكيةُ أرتالاً من الرجالِ اليائسين في طوابيرَ من العَجَلاتِ العسكرية والمَدَنيةِ متَّجهةً صَوبَ العراق، كان العراقيون وقتَها يَلتزمون بمطالبِ الأممِ المتحدة بالانسحاب من الكويت، غيرَ أن هذا الانسحابَ الواضحَ لم يُنقِذْهم، وتعاقَبت الطائرتُ الأمريكيةُ علىٰ شنِّ الغارات، فكانت المذبحةُ كاملةً. . هُوجم العراقيون الهاربون، وأَسَرَهم الكويتيون بلا رحمةٍ بالقنابلِ العنقودية التي تَقطَعُ اللحمَ البشريَّ قِطَعًا صغيرةً. . كانت المجزرةُ جهنميةً، واستمرَّت ساعاتٍ عدةً، وتناثرت الجثثُ والأشلاءُ المقطَّعةُ في كلِّ مكان، وتَحَجَّر بعضُ الجثثِ في العجلات، واحترق بعضُها الآخر، ولم يَتبقَّ من الوجوه سوىٰ الأسنان».

❑ علَّق ضابطُ الاستخباراتِ العسكريةِ المقدَّم «بوب نجنت» أنه لم يشاهِدْ مِثلَ هذه المجزرةِ حتىٰ في «فيتنام».

❑ ووردت تقاريرُ بأن قواتِ التحالُفِ استعملت البلدوزرات لدفنِ الآلافِ من قتلىٰ العدوِّ في الخنادق، وأثناءَ تقدُّمها قُتل جنود عراقيون كثيرون بدفنهم أحياءً.

❑ العقيدُ الأمريكي «لون ماغارت» يُقدِّرُ أن القوةَ التابعةَ له قَتلت ٦٥٠ عراقيًّا[١] . . ومثالاً علىٰ البربريَّة الأمريكية:

(١) «بغداد عروس عروبتكم» (ص٢٢) للدكتور محمد عباس ـ مكتبة مدبولي الصغير.

□ تحت عنوان «المجد للشيطان» كتب الدكتور محمد عباس قائلاً:

«كان ما حَدَث في مخبأ العامرية مجداً للشيطان، وأيَّ مجد!.

هاجمت طائرةٌ أمريكيةٌ من نوع «الشبح» ملجأَ العامرية بصاروخٍ موجَّهٍ بالليزر مُحدِثًا فتحةً في السطحِ والسقفِ، وانفجر في مستشفى الملجإ، وبعد أربعِ دقائقَ وُجِّه صاروخٌ آخَرُ عَبَر الفتحةَ نفسَها التي أحدَثها الصاروخُ الأول، وأغلق انفجارُ الصاروخ الثاني الأبوابَ الفولاذيةَ التي يَبلغُ وَزنُها ستةَ أطنانٍ وسُمكُها نصفَ مترٍ، وأَحرق مئاتٍ عدةً من الأشخاص، في الطابق الأعلى، تبخَّر كثيرون منهم بالحرارةِ، التي بَلغت درجتُها آلافًا عدةً والمتولِّدةِ من الانفجار، وكان مصيرُ مئاتٍ عدةٍ من الأشخاصِ الغَلَيانَ حتى الموتِ في مياه المراجِلِ الضخمةِ المدمَّرةِ في الانفجار.

لا يُعرفُ على وجهِ التأكيد عددُ المدنيين الذين قُتلوا في ملجإِ العامرية في تلك الليلة، كان السِّجِلُّ المدوَّنةُ به أسماءُ الأشخاص الذين احتَمَوا بالملجإِ قد أُودع في الملجإِ نفسِه ولم يَعُدْ له أثرٌ، ولكن من المعروف أنه قَبل تلك الليلة، كان (١٥٠٠) شخصٍ يُوقِّعون عند دخول الملجإِ كلَّ ليلة، وعُثر بعدَ المجزرةِ على أحدَ عَشَرَ شخصًا قُذف بهم خارجَ الملجإ، وبعد ساعاتٍ عدةٍ مرعبةٍ استُخرجت من البناية البقايا السوداءُ المشوَّهةُ لأربَعِمئةٍ وثلاثةِ أشخاص، وقُدِّر أن مئاتٍ عدةً من الأشخاص قد احتَرقوا وتبخَّروا ولم تَعُدْ ثَمَّةَ وسيلةٌ لتحديدِ هُويَّتِهم أو حتى عددِهم، ووَصَف شهودٌ ـ منهم «تام دالي» العضو العمالي في البرلمان البريطاني ـ آثارَ النساءِ والأطفال المتفحِّمةَ على جُدران الملجإ، تفحَّمت طَبعاتُ أقدامٍ وأيدٍ صغيرةٍ على الجدران والسقوفِ، وانطبعت على جدرانِ الطابق الأسفل عند علامةِ الماء في

الخزانات المتفجِّرة آثارُ اللحمِ البشريِّ على ارتفاعِ خمسةِ أقدام»[1] .

*** جرائمُ الإبادةِ الأمريكية للمسلمين في العراق وأفغانستان وفلسطين وغيرها :**

إن هذه الصفحاتِ تُكتبُ بدموعِ العين ودماءِ القلوب . . كلُّ سطرٍ فيها يَنطقُ بالبربريةِ والوحشيةِ الأمريكيَّة . . كلُّ حَرفٍ فيها يُكتب بالقنابلِ العُنقودية المحرَّمة دوليًّا . . وإذا جُمعت مذابحُ المسلمين في كلِّ مكان ، فهي ضئيلةٌ بالنسبة لِمَا حَدَثَ ويَحدُثُ في العراق وأفغانستان ، والسلاحُ الأمريكيُّ في فلسطين يُسيلُ أنهارَ الدماء المسلمة ، والقتلُ الوحشيُّ والجماعيُّ للأطفال والشيوخِ ، بل ودَفنُ المسلمين أحياءً ، والاغتصابُ الجماعيُّ للفتيات والنساء ، وما سِجنُ «أبو غريب» مِنَّا ببعيدٍ . . قَتلُ الأخضر واليابس ، وقَتلُ الحياة كأبشعِ ما يكونُ القتلُ : بَقْرُ بُطونِ الحوامل ، واغتصابُ الحرائر ، وذَبحُ الشيوخِ والأطفال ، والشذوذُ مع الرجال . . رأسُ الأفعىٰ أمريكا تُهدِّدُ العالم ، ونحن قُطعانٌ تُساقُ إلىٰ المجزرة . . أجسادُنا أجسادٌ ممزَّقةٌ بمخالبِ الوحوشِ الأسطورية .

☐ لقد فعلت أمريكا بالبشر ما لا يُصدِّقه عقل ، يقول «تشومسكىٰ» عن القتلِ الذي يُمارسه الأمريكيون غِلاظُ الأكباد : «لم يكن عملُ القوَّاتِ التي حَرَّكْناها هو القتلَ العاديَّ ، ولكن كان بصفةٍ رئيسيةٍ القسوةَ والتعذيبَ الساديَّ : تعليقُ النساءِ من أقدامِهن بعد قطعِ أثدائِهن وتقشيرِ بَشَراتِهن ، قَطعُ رؤوس الناس وتعليقُها علىٰ خوازيق ، وضربُ الأطفال بالحوائط» .

---

(١) المصدر السابق (ص٢٢٤ـ٢٢٥) .

لا تكتفي فِرقُ الموت بقتلِ المواطنين، بل تَفْصِلُ رؤوسَهم وتَضعُها علىٰ خوازيق.. تَنزعُ أحشاءَ الرجال، وتَقطَعُ أعضاءَ ذكورتهم، وتَضعُها في أفواههم.. ولا يكتفي الحرسُ الوطنيُّ باغتصابِ النساء، بل بقطعِ أرحامهنَّ، ولا يَكتفي بقتل الأطفال، بل يَسحَبُهم علىٰ الأسلاكِ الشائكةِ، أمامَ أعيُنِ آبائهم»[1].

◘ واللَّهِ لو أن شياطينَ الإنسِ والجنِّ اجتمعوا لدمارِ قُطرٍ ما زادوا علىٰ ما فَعَلَتْه أمريكا بأهلِ العراق وأفغانستان.. وهي رأسُ الشرِّ ضدَّ المسلمين في كل مكان.. فلعنةُ اللَّهِ علىٰ النصارىٰ الصليبيين الذين روَّعوا ديارَ المسلمين وملؤوها دماءً ودموعًا.. واللَّهُ حسيبهم، وهو المنتقمُ منهم.. وإنَّ غدًا لموعدهم قريبًا.

*** القَسُّ المجرمُ عدوُّ اللَّه ورسوله ﷺ: زكريًا بطرس، أقذرُ أهل الأرض:**

نعم.. هو أقذرُ أهلِ الأرض وأنتنُهم وأقبحُهم وأفجرُهم، وأشدُّ أعداء النبي ﷺ، ما نال في عصرِنا أحدٌ من نبيِّنا ما نال، وما حَقد أحدٌ علىٰ نبيِّنا ما حَقَد هذا اللئيمُ، وما افترىٰ أحدٌ علىٰ نبيِّنا ما افترىٰ هذا الخنزيرُ عارُ البشرية الذي يَبُثُّ سمومَه علىٰ قناته «الحياة» وهو عدوُّ الحياةِ والبشرية.. واللَّهِ لو لَقِيتُه يومًا لَثأرتُ لرسولِ اللَّه ﷺ ثأرًا يقرِّبني من رسول اللَّه ﷺ مثلما فَعل «صلاح الدين» مع الفارس اللص «أرناط».

◘ إنَّ نهايةَ هذه الأكاذيبِ المتفشِّية، ونهايةَ هذه الغطرسةِ العنصريةِ وتلك الثرثرةِ المنشورة، نهايةُ كل هذا سُمٌّ مصفًّى يتسرَّبُ في شرايينِ هذا

(١) «بغداد عروس عروبتكم» (ص٣٣).

الوغدِ الذميم القمِيء «زكريا بطرس».

* رأسُ الأفعى الصليبيةِ المصرية بطريك الأرثوذكس :

◻ من خطابِ «البابا شنودة» لشعبِ الكنيسة في مصر نقرأُ ما يلي: «يجبُ مضاعفةُ الجهودِ التبشيريةِ الحالية، إذ إن الخُطةَ التبشيريةَ التي وُضعت على أساسٍ اتُّفق عليه للمرحلةِ القادمة، هو زحزحةُ أكبرِ عددٍ ممكن من المسلمين عن دينهم والتمسك به، على ألاَّ يكونَ من الضروريِّ اعتناقُهم المسيحية، فإنَّ الهدفَ هو زعزعةُ الدين في نفوسهم، وتشكيكُ الجموعِ الغفيرةِ منهم في كتابهم وصِدقِ محمد، ومِن ثَمَّ يجبُ عملُ كلِّ الطرقِ واستغلالُ كلِّ الإمكانيات الكَنَسيةِ للتشكيك في القرآن، وإثباتِ بطلانِه وتكذيبِ محمد.

وإذا أفلَحْنا في تنفيذِ هذا المُخطَّطِ التبشيريِّ في المرحلة المُقبلةِ، فإننا نكونُ قد نَجَحْنا في إزاحةِ هذه الفئةِ من طريقنا، وإن لم تكن هذه الفئاتُ مستقبلاً معنا فلن تكون علينا.

غيرَ أنه ينبغي أن يراعىٰ في تنفيذِ هذا المخطَّط التبشيريِّ أن يَتِمَّ بطريقةٍ هادئةٍ لَبِقَةٍ وذكيَّةٍ، حتىٰ لا يكونَ ذلك سببًا في إثارةِ حفيظةِ المسلمين أو يقظتهم»[1].

هذا الذي جاب الأرضَ شرقًا وغربًا دَعْوَةً إلىٰ التنصير.. وهو المسؤول الأوَّلُ عمَّا يفعلُه الأرثوذكس بالمسلمين وعلىٰ رأسِهم الصرب، فبكلمةٍ منه واحدةٍ كان يستطيعُ أن يمنعَ مجازرَ الصربِ للمسلمين، ولكنه لم يفعل، ولن يفعلَ مع أيِّ مجزرةٍ للمسلمين.

وللأرثوذكس في مصرَ الكذبُ الفاجرُ بادعاءِ اضطهادِ المسلمين لهم وحرمانِهم من المناصبِ العُليا في الدولة.

وهذه نسبتُهم في مصر سنة ٢٠٠٦ من موقعٍ لا يُحابي ولا يُجامل المسلمين في أي يومٍ من الأيام، وهو موقعُ جهاز المخابرات الأمريكية يوليو ٢٠٠٦.

https://www.cia.gov/cia/publications/factbook/print/eg.html

عدد سكان مصر في يوليو ٢٠٠٦ هو:

Population:78.887.007 (july 2006 est).

---

(١) انظر كامل الخطاب في كتاب «قذائف الحق» للشيخ محمد الغزالي.. وانظر «أجنحة المكر الثلاثة» لعبدالرحمن حسن بن حَبَنَّكَة الميداني ـ دار القلم ـ دمشق.

نسبة النصارى المصريين في يوليو ٢٠٠٦ هو:

Religions: Muslim (mostly Sunni) 90% Coptic 9%. Other Christian 1%

عدد النصارى الأقباط (المصريين) في يوليو ٢٠٠٦ هو أقل من: ١, ٧ مليون مسيحي قبطي.

ينقسمون إلى ثلاثة طوائف كبرى هي: الأرثوذكس (٧ طوائف)، والكاثوليك (٧ طوائف)، والإنجيليين (٧٣ طائفة)، وعشرات الطوائف الصغرى مثل الأدفنتست، وشهود يهوة، وكنيسة اللَّه الخمسينية، والعلم المسيحي، والمورمون وغيرهم(١).

❏ يقول الدكتور محمد عمارة: «إن الأرقام - التي لا تكذبُ ولا تُجامِلُ - تُعلن أن الأقليةَ القبطية - التي لا تتعدَّى الثلاثةَ الملايين - هي الحاكمةُ الفعليةُ في المجتمعِ المصري - الذي يَزيدُ تعدادُه على الستِّين مليونًا!! - فهم يملِكون ويمثلون:

- ٥, ٢٢٪ من الشركات التي تأسَّست بين عامَي ١٩٧٤م و١٩٩٥م!!.
- و٢٠٪ من شركات المقاولات في مصر.
- و٥٠٪ من المكاتب الاستشارية.
- و٦٠٪ من الصيدليات.
- و٤٥٪ من العيادات الطبية الخاصة.
- ٣٥ Percentage من عضويةِ غرفة التجـارة الأمريكيـة وغرفـة

(١) نقلاً عن مركز التنوير الإسلامي للخدمات المعرفية والنشر - لأبي إسلام أحمد عبداللَّه.

التجارة الألمانية .

ـ و٦٠٪ من عضوية غرفة التجارة الفرنسية (منتدىٰ رجال الأعمال المصريين والفرنسيين) .

ـ و٢٠٪ من رجال الأعمال المصريين .

ـ و٢٠٪ من وظائف المدراء بقطاعات النشاط الاقتصادي بمصر .

ـ وأكثر من ٢٠٪ من المستثمرين في مدينتي «السادات» ، و«العاشر من رمضان» .

ـ و٩ ، ١٥٪ من وظائف وزارة المالية المصرية .

ـ و٢٥٪ من المهن الممتازة والمتميزة ـ الصيادلة والأطباء والمهندسين والمحامين والبيطريين ـ .

أي أن ٩ , ٥٪ من سكان مصر ـ الأقباط ـ يملكون ما يتراوح بين ٣٥٪ و٤٠٪ من ثروة مصر وامتيازاتها ! ! . .

تُرىٰ كم هي نسبةُ الأقباطِ في الأميَّة وفي سُكنَىٰ المقابر وفي البطالة وفي المعتقلات وفي المقتولين من التعذيب ؟ ! . وكم نسبتُهم في الجامعات ؟ ! وكم نِسبتُهم في أصحابِ البلايين ؟ ! وكم نسبتُهم في أصحاب الملايين ؟ ! . . كم نسبتهم ؟ ! .

كم نسبةُ الكنائسِ إلىٰ عدد السكان ؟ . . وأيهما أكثر : نسبةُ الكنائس أو نسبة المساجد ؟ ! ولماذا لم يتطرَّقِ الأقباطُ إلىٰ هذه التساؤلات قط ؟ ! .

إن نسبةَ الكنائِس إلىٰ السكان أعلىٰ من نسبة المساجد ، فحسبَ التقرير

الاستراتيجي للأهرام لعام ١٩٩٩ ، فإن هناك كنيسةً لكلِّ سبعةَ عَشَرَ ألفَ قبطي ، بالمقابل هناك مسجدٌ لكل ثمانيةَ عَشَرَ ألف مسلم .

◻ ويُعلِّقُ الدكتور عمارة على ذلك قائلاً : «إذا كانت نسبةُ الكنائس لعدد النصارى تكادُ أن تساويَ نسبةَ المساجدِ لعدد المسلمين ، فإن الواقعَ يقول : إن الكنائسَ مفتوحةٌ على مدارِ النهارِ والليل . . والمساجدَ تُغلَقُ عقب الصلاة .

ومنبر الكنيسة حرٌّ كل الحرية ، ومنبرُ المسجد مؤمَّمٌ ، لا يرقاه إلاَّ من ترضاه وترضى آراءه «الأجهزة» ! . . والشبابُ القبطيُّ المتدينُ ينام في بيته آمنًا ، ونظيرُه المسلم يعيشُ في رُعبِ قوائم «الاشتباه» ! . . وأروقة الكنائس مفتوحة أمام التبتل النصراني ـ وحتى الرهبنة ـ ، بينما الشابُ المسلم إذا أراد الاعتكافَ بالمسجد في رمضان ، لا يُتاح له ذلك إلاَّ إذا تقدم بصورة البطاقة إلى «الأجهزة الأمنيَّة»(١) .

* **المسرحيةُ الملعونة «كنتُ أعمى والآن أُبصرُ» :**

مسرحيةٌ ساقطةٌ ملعونةٌ أجازها كاهنٌ أو كَهَنَةٌ ساقطين على مسرح «بيت العبادة» الذي حَوَّله أبناءُ الأفاعي ـ كما وصف أمثالَهم عيسى عليه الصلاة والسلام ـ إلى مغارةِ لصوص . . مُثِّلت المسرحيةُ المجرمة التي تسيءُ إلى الإسلام أبلغَ إساءة ، مُثِّلَتْ في إحدى الكنائس في مدينة الإسكندرية هذه المسرحية كلُّها إجرام وبَذاءةٌ وكذبٌ تُسَفِّهُ الإسلامَ وتحتقرُه وتزدريه .

---

(١) «هل أصبح المسلمون في مصر هم الأقلية» (ص٢٩ ـ ٣١) للدكتور محمد عباس ـ كتاب المختار .

إنَّ ما وَرد في هذه المسرحية الساقطة إساءةٌ للإسلام نفسِه، إساءةٌ فاجرة، للإسلام وليس للإرهاب، الإسلامِ المتمثِّلِ في القرآن الكريمِ والسنَّةِ الشريفةِ مباشرةً.. نعم.. الإهانةُ مُوَجَّهةٌ للإسلام: للقرآن الكريم وللرسولِ العظيم ﷺ(١) .

إنَّ هذه المسرحيَّةَ السافلةَ ليست سوىٰ قِمَّةِ جَبَلِ الثلجِ العائم الذي يَختفي معظمه.. هي المفضوحُ وما تُخفيه صُدُورهم أكبر.. كما أنها مُتَّصلةٌ بسياقٍ يتصلُ فيه الداخلُ بالخارج والماضي بالحاضر في منظومةٍ شيطانيَّةٍ واحدة منذ «يوحنا الدمشقي» حتىٰ الآن، سياقُ المؤامرة، سياقُ الغارة علىٰ العالم الإسلامي، سياقُ تبريرٍ للجرائم التي يوشكون علىٰ ارتكابها فيُبادرون بالتمهيدِ والتبرير لها، وفي هذا السياقِ المتَّصل يقول خنزيرٌ من خنازيرهم في مجلة «صوت مصر الحُرِّ»: «أنا القبطيُّ الفرعونيُّ صاحبُ الأرض، أنا القبطيُّ الشامخُ صاحبُ هذا الوطن الذي سُلِب مني منذ الغزو الأسباني وإلىٰ الآن، وسيرحل قريبًا كما رَحَل من أسبانيا، فلم تُعد النَّعرةُ الإسلاميةُ لها جاذبيتُها الآن في جوٍّ أصبح الغربُ المتحضِّرُ يَفهمُ أن العربَ جُرْبٌ»(٢).

فأيُّ كذبٍ فاجرٍ وخِسَّةٍ وانحطاط، وهل رأىٰ الناسُ كذبًا أكثَرَ وقاحةً وفُجْرًا؟! كَذِبُ الماضي وكَذِبُ الحاضر وكَذِبُ التاريخ.. كذبٌ يُبارزون فيه الشيطانَ فيتفوَّقون.

---

(١) المصدر السابق (ص١٠).

(٢) المصدر السابق (ص١١، ١٢، ١٣).

□ «هذه الفتنةُ التي أشعلها أعداءُ اللَّه وأعداءُ الرسل وأعداءُ البشر ليستِ طارِئًا قَطع ما اتَّصل.. بل هي انحراف ممتدٌّ عَبْرَ التاريخِ، ذلك أن هذه الحملةَ العدوانيّةَ الشرسةَ ـ المتمثّلةَ في تصوير الإسلام ونبيِّه ﷺ في صورةٍ بالغةِ البشاعةِ ومغايرةٍ تمامًا للحقيقة وقائمةٍ على التلفيق والكذب ـ حَملةٌ تعفَّنت عَبْرَ القرون حتى أصبحت أشبَهَ بالمستنقعِ الآسِنِ التي تغرفُ منه الميديا الغربية والمسيحية الصهيونية، وينشرونها عَبْرَ وسائلهم المختلفة على أنها حقائق.. ينشرونها أيضًا عَبْرَ عملائهم وجواسيسِهم مِن أقباط مَهْجَرَ في الخارج وعلمانيِّين وشيوعيين وقوميِّين في الداخل.

نعم، الحملةُ لا تقتصرُ على المسرحية السافلةِ ولا على الكاهِنِ الساقطِ الذي باركها.. الحملةُ سلسلةٌ طويلة تمتدُّ من «يهوذا الإسخربوطي» إلى كاهن الكنيسة الساقط.. الحملةُ تضمُّ الآلافَ والملايين.

الحملةُ تضمُّ خنازيرَ مثل «جيري فالويل» و«بات روبرتسون» و«فرانكلين جراهام» و«جيري فاينز» و«روبرت أوف كيتون» و«بطرس المُكرَّم»، والتي لا تزيدُ أقوالُهم عما جاء في المسرحية الملعونة.

إن عُواءَ الذِّئاب ونُباحَ الكلابِ والخنازير على الإسلام لم يتوقَّفْ أبدًا، والمسرحيةُ السافلة التي مُثِّلَت في مغارةِ اللصوص لم تكن استثناءً، بل استمرارًا لحملةٍ شيطانيةٍ بدأت منذ غزوةِ «مؤتة» ولم تنقطعْ، ولكنها لم تؤثِّرْ في الإسلام أبدًا، فقد شكَّلت تلك الحملةُ النَّجسةُ العفنةُ موردَ الماءِ الوحيدِ لقُطعانِ العلمانيين والقوميِّين والشيوعيين في بلادنا.. وإذا عُرِف المنبعُ

النَّجِسُ بَطَل العجب»[١] .

◻ جاء في النصِّ الحرفيِّ من حَيثيَّاتِ حكمِ محكمةِ القضاء الإداريِّ بتاريخ ٣ فبراير ١٩٨٢ في التظلُّم المُقدَّم من البابا شنودة ضدَّ قرار رئيس الجمهورية بعَزله من منصبه: «إن البابا شنودة خَيَّب الآمال، وتنكَّب الصراطَ المستقيمَ الذي تُمليه عليه قوانينُ البلاد، واتَّخذ من الدين ستاراً يُخفي أطماعًا سياسية، كلُّ أقباط مصر بَراءٌ منها[٢] .

وإذا به يجاهرُ بتلك الأطماعِ واضعًا بديلاً لها ـ علىٰ حدِّ تعبيره ـ بحراً من الدِّماء تَغرقُ فيه البلاد من أقصاها إلىٰ أقصاها، باذلاً قُصارىٰ جَهدِه في دَفع عَجلةِ الفتنة بأقصىٰ سرعةٍ وعلىٰ غيرِ هدًىٰ، في كلِّ أرجاءِ البلادِ، غيرَ عابىءٍ بوطنٍ يُؤويه ودولةٍ تَحميه، وبذلك يكون قد خرج عن ردائِه الذي خَلعه عليه أقباطُ مصر»[٣] .

ولعلَّه يتذكَّرُ يومًا فيرعوي ماذا فعل الرومانُ ببطريق الإسكندرية قبلَ دخولِ المسلمين لمصر، وكم سَنةً أجبَرَه الرومانُ علىٰ الاختفاءِ والتشرُّدِ، ومَن الذي رَدَّه إلىٰ مَنصبِه، حتىٰ يَعلمَ مَن هم المسلمون الطيِّبون الذي يَعبَقُ نَشْرُهم وعَبيرُهم وأريجُهم فيعطِّرَ الدنيا بأسرها، والكونَ كلَّه، ويُضْفُون بقيمهم التي استمدُّوها من دينِهم ونبيِّهم ﷺ جمالاً ونوراً وألقًا علىٰ الكون كلِّه.

---

(١) المصدر السابق (ص٤٢ ـ ٤٤).

(٢) بل والله شركاؤه فيها.

(٣) المصدر السابق (ص٦٨ ـ ٦٩).

*** الجامعاتُ التبشيريَّةُ في ديارِ المسلمين.. الكارهةُ للَّه ورسوله ﷺ وعلى رأسها «الجامعة الأمريكية»:**

مغاراتُ وأوكارُ لصوصٍ من المنصِّرين الذين يُسمُّونهم «المبشِّرين».. لا يريدون إلاَّ تذويبَ الهُويةِ الإسلامية وقطعَ الصلةِ بين أبناءِ المسلمين ورسولِهم ﷺ والتأسي به.

ولقد ذكرنا أن المبشِّرين إذا لم يستطيعوا أن يُنصِّروا المسلمين، فتَنصَبُّ جُهودُهم إلى أن يتركَ المسلمُ دينَه حتى يعيشَ بلا دينٍ ولا رسالةٍ، فيَسهلُ السيطرةُ عليه وتوجيهُه حسب مخططاتهم الخبيثة، ففي المؤتمرِ التبشيريِّ الذي عُقد في القدس سنة ١٩٣٥ صرَّح القَسُّ «صموئيل زويمر» بما يلي: «إن مهمةَ التبشير التي نَدَبَتْكم دولُ المسيحيةِ للقيامِ بها في البلاد المحمدية، ليست هي إدخالَ المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هدايةً لهم وتكريمًا، وإنما مُهمتُكم أن تُخرِجوا المسلمَ من الإسلام ليصبحَ مخلوقًا لاصلةَ له باللَّه، وبالتالي لا صلةَ تربطُه بالأخلاقِ التي تعتمدُ عليها الأمم في حياتها، ولذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعةَ الفتحِ الاستعماريِّ في الممالك الإسلامية، وهذا ما قمتم به في خلالِ الأعوام المئةِ السالفةِ خيرَ قيام، وهذا ما أُهنئكم عليه، وتهنؤكم دولُ المسيحية والمسيحيون جميعًا من أجلِه كلَّ التهنئة.

لقد قَبَضْنا ـ أيها الإخوان ـ في هذه الحِقبةِ من الدهر ـ من ثُلثِ القرنِ التاسعَ عَشَرَ إلى يومنا هذا ـ على جميع برامجِ التعليمِ في الممالك الإسلامية المستقلَّة، أو التي تَخضعُ للنفوذ المسيحيِّ، أو التي يَحكُمُها المسيحيون حُكمًا

مباشرًا، ونَشَرْنا في تلك الربوعِ مكامنَ التبشير المسيحيِّ والكنائس والجمعيات، وفي المدارس الكثيرةِ التي تُسيطرُ عليها الدولُ الأوربية والأمريكية وفي مراكز كثيرة.. إنكم أعددتم بوسائلكم جميعَ العقول في الممالكِ الإسلامية إلىٰ قبولِ السَّيرِ في الطريق الذي مهَّدتم له كلَّ التمهيد (إخراج المسلم من الإسلام)، إنكم أعددتم نشئًا لا يَعرفُ الصلةَ باللَّه، ولا يريدُ أن يعرفَها، وأخرجتم المسلمَ من الإسلام، ولم تُدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشءُ الإسلاميُّ طبقًا لما أراده له الاستعمار، لا يهتمُّ بالعظائم، ويُحبُّ الراحةَ والكسل، فإذا تعلَّم فللشهوات، وإن تبوَّأ أسمىٰ المراكزِ ففي سبيل الشهوات»[1].

ومن وسائلِ الغزوِ الصليبيِّ في العصر الحديث: التركيزُ علىٰ إفسادِ المرأةِ وإبعادِها عن دينها، وكذلك العملُ علىٰ إفسادِ أبناءِ الحُكَّام في البلاد الإسلامية بإنشاءِ معاهدَ ومدارسَ خاصةٍ لهم، يقومُ علىٰ تربيتهم صليبيون حاقدون علىٰ الإسلام وأهلِه ليجتالوهم عن دينهم[2]، وما أُنشئت كليَّة

---

(١) «جذور البلاء» لعبداللَّه التل (٢٧٥-٢٧٦).

(٢) وهؤلاء الخبثاءُ قد يَفتحون بعضَ أبواب الخيرِ للمسلمين، ليُوقعوهم في ما هو أعظمُ وأخطر.. واستمعْ معي إلىٰ هذه القصة: قال بعضُ الدعاة: (ذهبْنا إلَىٰ الدعوة في «نيجيريا»، فوجدنا مسجدًا في إحدىٰ القُرىٰ، فسألنا: مَن بَنَىٰ هذا المسجد؟ فقيل: بناه رجلٌ نصراني.. فتعجَّبنا، وقلنا: سبحان اللَّه! نصرانيٌّ يَبني مسجدًا؟! فقيل لنا: ليس هذا فحسب، بل لقد بنَىٰ مَدرسةً لأولادنا أيضًا.. فذهبنا إلىٰ هذه المدرسة، ووجدنا فيها مَجموعةً من الأولاد جالسين، فأردنا أن نَختبِرهم.. فكتَبْنا علىٰ «السبورة»: مَن ربُّك؟ فرفع الأولاد أصابعَهم طلبًا للإجابة.. فاختَرْنا صبيًّا منهم، فقام وقال: ربِّي المسيح).. ولا تعليق!!.. من كتاب: «قصص رائعة من الأشرطة»، لِمحمد بن يَحيَىٰ مفرح (٩٢، ٩٣-ط: دار العاصمة).

«فكتوريا» على يد «كرومر» إلا لإفسادِ هؤلاءِ الأبناءِ وتغريبهم ليفكِّروا بعقليةِ الغزاة الصليبيين، وهذا ما صرَّح به اللورد «لوبد» الممثل البريطاني في مصرَ، فقد قال في خُطبةٍ له في كلية «فكتوريا» بالإسكندرية سنة ١٩٣٦ عن طَلَبةِ هذا المعهد: «كلٌّ هؤلاء لا يَمضي عليهم وقتٌ طويلٌ حتى يتشبَّعوا بوجهةِ النظر البريطانية، بفضلِ العِشْرةِ الوثيقةِ بين المعلِّمين والتلاميذِ، فيصيروا قادِرين على أن يَفهموا أساليبَنا ويَعطِفوا عليها»(١) .

* **وعن الدَّورِ التبشيريِّ الخطيرِ القذرِ الذي تلعبُه الجامعةُ الأمريكيةُ بمصر، يُحدّثنا البطُل «عبدالقادر الحسيني» في تجربة خاصةٍ معه فيقول:** «تدَّعي إدارةُ الجامعةِ الأمريكية بالقاهرة أنها علميةٌ محضة، وليس لها أدنى علاقةٍ بالتبشير، وهي تتبرأُ مما حَصَل في المعادي حيث يسكنُ أساتذتُها المبشِّرون، وفيهم من أُرسل خصيصًا على حسابِ أحدِ الموسِرين الكبار للتبشير، وادعاءُ الجامعة أنها علميةٌ ليس صحيحًا، وإليك حُجَّتي وأدلتي الواضحة:

من هو رئيس الجامعة؟:

رئيسُ الجامعة هو الدكتور «شارلز واطسون» مبشِّر، ووالدُه وأُمُّه مُبَشِّرانِ، فهو من سُلالةِ مبشِّرين، وإني أَستشهدُ على ذلك بكتابه المسمى: «حروب صليبية مسيحية في مصر»، ويعني بهذا الحروبِ الحملةَ التبشيريةَ، وقد قال في مقدمةِ ذلك الكتاب: «أُهديه لأمي وأبي اللذين قضيا حياتَهما مبشِّرينَ في مصر».

(١) انظر «مجتمعنا المعاصر» (ص٢٩٤) للدكتور محمد عبدالقادر أبو فارس، نقلاً عن كتاب التبشير والاستعمار.

ويوجِّهُ فيه الدعوةَ إلى أهلِ الخيرِ والإحساس، ليَرَوا الانتصارَ الباهرَ لأعمالِ التبشير في مصر، كما أنه يوجِّهُ إلى المبشرين كلمةً مؤدَّاها: «أنهم هم الذين سوف يتمُّ تنصيرُ مصرَ بأكملِها على أيديهم»، وبذلك يُتوِّجون رؤوسَهم بأكاليلِ الظَّفَرِ والفَخَار، جزاءً لهم على جهادِهم المقدس.

أوَ تدري ماذا يقولُ هذا المبشِّرُ أيضًا في كتابه المشار إليه؟ إنه يقول: «إن للمسلمين طَقْسًا دينيًّا هو أساسُ الإسلام، وهذا الطقسُ هو الحجُّ، ويجبُ على كلِّ مقتدرٍ أن يؤدِّيَه، وهو عبارةٌ عن الذهاب إلى الكعبة، حيث تقامُ طقوسٌ دينيةٌ مُخزِية، وهذا المكانُ ـ الكعبة ـ قَلبُ العالَمِ الإسلامي، وَكرُ لصوصٍ تؤتَى فيه جميعُ أنواعِ المخازي الأخلاقية (كذا)، ولكنه يَجعلُ بين المسلمين رابطةً متينةً يُخاف منها».

وبعدُ.. فهذا رئيسُ الجامعةِ الأمريكيةِ الدكتور «شارلز واطسون» كما تراه في كتاب واحدٍ من كتبه.. والآن إليك غيرُ هذا الرجلِ من أقطاب الجامعة:

هناك قسمٌ في الجامعة الأمريكية يسمونه «مدرسة اللغات الشرقية» يؤمُّه الأجانب، ويرأسه الدكتور «جوفري» وهو رجلٌ لاهوتي، وهذا القسمُ إن هو إلاَّ معهدٌ لتدريب المبشِّرين وتعليمِهم اللغةَ العربية، وكيفيةَ مهاجمةِ الإسلامِ مهاجمةً علميةً فنيةً، ومَن يَزُرْ مكتبةَ الجامعة ويَرَ الكتبَ التي نُقلت من هذا القسم إليها يُحقِّقْ صِدقَ قولي.

وهذه الكتبُ تؤلِّفُ الآنَ قسمًا كبيرًا من المكتبة، وكلُّها تبشيرية، بعضُها يبحثُ الحركاتِ التبشيريةَ ـ تاريخَها ونجاحَها وأعمالَها ـ في الشرقَينِ

الأدنى والأقصى، وبعضُها يبحثُ في كيفيةِ التنصير، والبعضُ ـ وهو أكثرُها ـ يَحتوي على شتائمَ في الإسلام والمسلمين.

والدكتور «جوفري» رئيس هذا القسم هو مبشِّرُ الجامعةِ الأكبر، ويليه المستر «مولر»، وكلاهما قاطنٌ بالمعادي، حيث المبشِّر «بطرس عيان» صديقُهم الأعزُّ وبطلُ الحادثة المشهورة.

والدكتور «جوفري» يُصلِّي بطلبة الجامعة أيامَ الآحاد وهم مُجبَرون على الاستماعِ لطعنِه في الإسلام والمسلمين ونبيِّهم، بل في المذاهب المسيحية التي لا تتفقُ مع مذهبِه، وأذكرُ أنه قال يومًا في إحدى عِظاته وعنوانها: «النبي الكاذب»: «إن محمداً لا يمكن أن يكون نبيًّا؛ ولأن مستوى أخلاقِه العادي (كذا)، إذ أباح لنفسه أن يتزوجَ من عدةِ نساء (كذا)، كما اختَصَّ نفسَه بأثمنِ أسلابِ الحرب، فهو رجلٌ شهواني (كذا)».

وفي عِظةٍ أخرى ألقاها هذه السنة، أتانا ببراهينَ واهيةٍ ليُقنعَنا بأن القرآنَ ليس من كلام اللَّه، كما أنه ليس كلُّه من كلام محمد؛ لأنه أُدخل عليه كثيرٌ من الآيات التي ثَبت علميًّا أنها لا يمكنُ أن تكونَ من رُوحِ محمد.

هذا عدا ما يقولُه في الدروسِ اليومية التي يسمُّونها «علم الأخلاق وفلسفة الديانات، وعلم النفس وعلم الاجتماع» من الافتراءات والشتائم، مما لا يتلفَّظُ به مسيحيٌّ؛ لأن الدين المسيحيَّ نفسَه دينُ سماحةٍ ولُطف، أما ما يفعلُه هؤلاء فتحاملٌ وشتائمُ وسبابٌ وبثٌّ كراهية وإشعالُ حروب، فالإسلامُ في رأيهم دينٌ وحشيٌّ بربريٌّ، يحثُّ على القتال والسَّلْب والنهب، ولن يرتقيَ الشرقُ ويَسعدَ حالاً إلا إذا تخلَّص من هذا الدين،

والكَثلكةُ لديهم عبادةُ أوثانٍ وخرافاتٌ وأساطيرُ مضرةٌ مخلَّةٌ بالآداب.. إلخ.

أكتفي بهذا القدر الآن مشيراً إلى أن هذه الحركةَ التي تقومُ بها الجامعةُ الأمريكيةُ غيرُ محمودة، بل هي تَخلُقُ رُوحًا سيئةً في البلاد، فالواجبُ على كلِّ وطنيٍّ ـ مسلمًا كان أم مسيحيًّا ـ أن يحاربَ هذه الفكرةَ ليعيشَ المسلمون والمسيحيون أهلُ هذا البلد وغيرِه من الأقطار هانئين آمنين».

عبدالقادر الحسيني

خريج الجامعة الأمريكية بمصر

وقد كان للبطلِ الفلسطيني المحبِّ لدينه ورسوله ﷺ أكبرُ الأثرِ في فَضحِ هؤلاءِ الدجاجلةِ الصليبيين، إذ إنه في حفلةِ تخرُّجه من الجامعة الأمريكية بعد انتهاء دراسته، وعندما نوديَ على اسمه ليصعد إلى منصة التكريم ويتسلم شهادةَ التخرُّجِ، ألقى قنبلةً مُدَوِّيةً عن نشاطِ الجامعةِ التبشيريِّ وكُرهِهم للإسلام ونبيِّه ﷺ، وأنه لا يُشرِّفُه تسلُّم هذه الشهادةِ.. وأُسقط في أيدي القوم بعدما فضحهم هذا البطلُ الغيُور على دينه.

وعلى إثر ذلك اتصلت إدارةُ الجامعةِ بالإنجليز والأمريكان، الذين اتَّصلوا بدَورهم بالحكومة المصرية وأخبروها بالأمر، وطلبوا منها إخراجَ عبدالقادر من مصر، فما كان من الحكومةِ المصرية إلا أن أصدرت قراراً يقضي بوَضعِه في سجنِ الأجانب كإجراءٍ احترازي، ثم بطردِه من مصرَ خلالَ أربع وعشرين ساعة، وبعد ذلك أصدرت الحكومةُ المصريةُ قراراً موقَّعًا من رئيس الوزراء الطاغية «إسماعيل صدقي» بإخراج عبدالقادر

وترحيلِه إلىٰ فلسطين في تموز ١٩٣٢م[1] .

أسكنه اللَّه فسيحَ جِنانه وكَتَب له الشهادةَ إن شاء اللَّه بعد أن سَقَط البطلُ في ساحةِ القتال علىٰ أبوابِ القدس .

* * *

(١) انظر «الصراع مع الصليبيين» (ص٢٧٤ ـ ٢٧٦) .

مؤتمرات المُبشِّرين

مَرَّت أعمال المبشِّرين في مراحلَ تكاملت فيها خُططُهم وبرامجُهم وأعمالُهم الراميةُ إلىٰ تحقيقِ أهدافهم، وأخذوا خلالَ هذه المراحلِ يُعدِّلون فيها ويُحسِّنون، فيَحذِفون أشياءَ ويُضيفون أخرىٰ، وجَعلوا يُطوِّرون وسائلَهم، ويَبتكرون فيها أشياءَ جديدةً تُوصِّلُ إليها حِيَلُ الذكاء والتجاربُ والاختباراتُ ورَصدُ نتائجِ الأعمال، أو تُرشِدُ إليها مداولاتُ الآراءِ في المؤتمرات التي يعقِدونها لهذه الغاية.

ولَمَّا كانت مؤتمراتُهم تُمثِّلُ جانبًا مُهمًّا من تاريخِ التبشير والمبشِّرين، اقتضىٰ البحثُ في تاريخ التبشير عَرضَ أمثلةٍ موجَزةٍ منها، وفيما يلي طائفةٌ من ذلك:

١ ـ المؤتمر التبشيري الذي انعَقد في القاهرة سنة (١٩٠٦م):

كان «زويمر» رئيسُ إرسالية التبشير في البحرين أوَّلَ مَنِ ابتَكر فكرةَ عقدِ مؤتمرٍ عامٍّ يَجمعُ إرسالياتِ التبشيرِ البروتستانتية، للتفكير في مسألةِ التبشير بين المسلمين.

وفي سنة (١٩٠٦م) أذاع اقتراحَه، وأبانَ الكيفيَّةَ التي يكونُ بها، فوُضعت هذه الفكرةُ علىٰ بِساطِ البحثِ في «ميسور» من ولايةِ «كرناكا» في الهند، نظرًا إلىٰ أنَّ هذه الولايةَ كانت ذاتَ أهميةٍ كُبرىٰ عندَ المبشِّرين فيما يتعلَّقُ بالمسائلِ الإسلامية، لوجودِ مدرسة «عليكرا» هناك.

ثم عُرِض الاقتراحُ علىٰ مؤتمر التبشير الذي كان يَنعقدُ في مدينة

«مِدراس» الهندية كلَّ عشر سنوات، فأقرَّ المؤتمِرون عقدَ المؤتمر الذي قَدَّم «زويمر» الاقتراحَ بشأنه.

ولما تقرر عقدُ المؤتمر شَرَع المبشِّرُ «زويمر» مع زميلٍ له يَعُدَّان ما يلزمُ لتأليف لجنةٍ مؤقتةٍ تضعُ جدولَ أعمالِه، وتدعو المبشِّرين المنتشرين في كل البلادِ للاشتراك فيه.

وفي اليوم الرابع من شهرِ نيسان «إبريل» من سنة (١٩٠٦م) تم انعقادُ المؤتمر في القاهرة، وحَضر فيه ممثِّلون عن إرسالياتِ التبشيرِ الأمريكية، والإنكليزية، والإسكتلندية، والألمانية، والهولندية، والسويدية، وعن إرسالية التبشير الدانمركية الموجودةِ في بلاد العرب.

❑ وانتُخب «زويمر» رئيسًا للمؤتمر، وقد تناول جدولُ أعمالِ المؤتمرِ مداولةَ المسائل التالية:

١ ـ ملخَّص إحصائي عن عدد المسلمين في العالم.

٢ ـ الإسلام في إفريقية.

٣ ـ الإسلام في السلطنة العثمانية.

٤ ـ الإسلام في الهند.

٥ ـ الإسلام في فارس.

٦ ـ الإسلام في الملايو.

٧ ـ الإسلام في الصين.

٨ ـ النشرات التي ينبغي إذاعتُها بين المسلمين المتنوِّرين والمسلمين العوام.

٩ ـ الارتداد.

١٠ ـ وسائل إسعاف الذين يُضطهدون بسبب تركهم للإسلام.

١١ ـ شؤون نسائية إسلامية.

١٢ ـ موضوعات تتعلقُ بتربيةِ المبشرين، والعلاقات بينهم، وكيفية التعليم في الإسلام.

◻ ومن البحوث التفصيليةِ التي دارت في المؤتمر: الصعوباتُ التي تَحُولُ دونَ تبشيرِ المسلمين العوام، والوسائلُ التي يمكنُ استجلابُهم بها، وتُحبِّبُ المبشِّرين إليهم، وقد وُجِّه المؤتمِرون لضرورةِ استخدامِ الوسائل التالية في التبشير:

أ ـ استخدام وسيلة العزفِ بالموسيقىٰ الذي يَميل إليه الشرقيون كثيراً.

ب ـ عرض مناظرِ الفانوسِ السحري علىٰ المسلمين.

جـ ـ تأسيسُ الإرساليات الطبيَّةِ التي يجبُ أن تَنبَثَّ بينهم.

د ـ ضرورةُ تعلُّمِ المبشرين لهجاتِ المسلمين العامية، واصطلاحاتِها نظريًّا وعمليًّا، وضرورةُ دراستهم للقرآن حتىٰ يَقِفوا علىٰ ما يحتويه.

هـ ـ أن يخاطبَ المبشرون عوامَّ المسلمين علىٰ قَدْرِ عقولهم ومستوىٰ علمهم.

و ـ ينبغي أن يُلقِيَ المبشرون الخُطبَ علىٰ عوامِّ المسلمين بأصواتٍ رخيمة، وبفصاحةٍ، وينبغي أن يَخطُبَ المبشِّرُ وهو جالس، ليكونَ تأثيرُه أشدَّ علىٰ السامعين، وأن لا تتخلَّلَ خطاباته كلماتٌ أجنبيةٌ عنهم، وأن يَبذُلَ عنايتَه في اختيارِ الموضوعات، وأن يكونَ بصيراً بآياتِ القرآنِ والإنجيل،

عارفًا بمحلِّ المناقشة، وأن يستعملَ التشبيهَ والتمثيلَ أكثرَ مما يَستعملُ القواعد المنطقية.

ز ـ ضرورةُ كونِ المبشِّرِ خبيرًا بالنفس الشرقية.

وناقَشَ المؤتمرُ الصعوباتِ التي يُلاقيها المبشِّرون لدىٰ تبشير المتنوِّرين من المسلمين، وهذه الصعوباتُ هي التي جَعلت المؤتمرُ يَبحثُ في الوسائلِ التي يكونُ لها تأثيرٌ ما علىٰ عقيدةِ الأجيالِ الناشئةِ الإسلاميةِ المتنوِّرة.

◻ وهنا قال أمين سر المؤتمر: «إن الخُطةَ العَدائيةَ التي انتهجها الشُّبَّانُ المسلمون المتعلِّمون ضدَّ المبشرين؛ اضطَرَّتِ المبشِّرين في القُطرِ المِصريِّ إلىٰ محاولةِ إعادةِ ثقةِ الشُّبانِ المسلمين بهم، فصار هؤلاء المبشرون يُلقُون محاضراتِهم في موضوعاتٍ اجتماعيةٍ وخُلُقيةٍ وتاريخية، ولا يستطردون فيها إلىٰ مباحثَ دينية، رغبةً في جلبِ قلوبِ المسلمين إليهم».

وأنشؤوا بعدَ ذلك في القاهرة مجلَّةً أسبوعيةً اسمها: «الشرق والغرب»، افتتحوا فيها بابًا غيرَ ديني، وأخذوا يبحثون فيه أمورًا تتعلقُ بالشؤون الاجتماعية والتاريخية، وأسَّسوا أيضًا مكتبةً لبيعِ الكُتب بأثمانٍ قليلة، والغرضُ من ذلك اجتلاب الزبائن، ومحادثتهم أثناء البيع.

◻ وبعدَ ثلاثِ سنواتٍ فقط تَسنَّىٰ للمبشِّرين أن يَتوصَّلوا إلىٰ النتائج التالية:

الأولى: أنهم عَرفوا أحوالَ البلاد، وأفكارَ المسلمين، وشُعورَهم، وعواطفَهم، وميولَهم.

الثانية: أنهم حَصلُوا علىٰ ثقةِ عددٍ من المسلمين بهم.

الثالثة: أن المبشِّرين تحقَّقوا أنهم بتظاهُرِهم في وِدادِ المسلمين، ومَيلِهم إلىٰ ما تَطمحُ إليه نفوسُهم من الاستقلالِ السياسيِّ والاجتماعيِّ والنشأةِ القومية، يمكنُهم أن يَدخلوا إلىٰ قلوبهم.

ثم عَرَض أمينُ سرِّ المؤتمر اقتراحًا بتأسيسِ مدرسةٍ جامعةٍ تشتركُ فيها المؤسساتُ التبشيريةُ كلُّها؛ علىٰ اختلافِ مذاهبِها، لِتتمكَّنَ من مزاحمةِ الجامع الأزهر بسهولة، وتتكفَّلُ هذه المدرسةُ الجامعةُ بإتقانِ تعليمِ اللغة العربية، وقال: «إن في الإمكانِ مباشرةَ هذا العملِ في دائرةٍ صغيرة».

ثم اقتَرح أحدُ المندوبين في المؤتمرِ أن تُراجَعَ المؤلَّفات التي قَدُم عليها العهدُ لإصلاحها، واستخدامِها في تبشيرِ المسلمين المتنورين، الذين اقتبسوا علومَهم في المعاهدِ العصرية، مثل مدرسةِ أكسفورد وبرلين، وأشار إلىٰ وجوب تخفيفِ اللهجةِ في المجادلاتِ الدينية.

ثم بَحَث المؤتمرُ بعد ذلك في مسألةِ إرسالياتِ التبشيرِ الطبية، فقام المستر «هارير» وأبان عن وجوبِ الإكثارِ من الإرسالياتِ الطبية، لأن رجالَها يحتكُّون دائمًا بالجماهير، ويكونُ لهم تأثيرٌ علىٰ المسلمين أكثرَ مما للمبشِّرين الآخرين.

ثم قام الدكتور «اراهارس» طبيبُ إرسالية التبشير في طرابلس الشام، فقال: إنه قد مرَّ عليه اثنان وثلاثون عامًا، وهو في مِهنته التبشيرية عن طريقِ الطب، فلم يَفشَلْ إلاَّ مرتينِ فقط، ذلك عَقِبَ مَنع الحكومةِ العثمانيةِ أو أحدِ الشيوخ لاثنين من زبائنه من الحضورِ إليه.

❏ وأورد إحصاءً لزبائنِه فقال: «إن (٦٨) في المئة منهم مسلمون،

ونصفُ هؤلاءِ من النساء».

❑ ثم قال: «يجبُ على طبيبِ إرساليات التبشير أن لا يَنسى ولا في لحظةٍ واحدةٍ أنه مُبشِّرٌ قبلَ كلِّ شيءٍ، ثم هو طبيبٌ بعد ذلك».

ثم تكلَّم المبشِّرُ الطبيبُ الدكتور «تمباني»، وذَكَر الصعوباتِ التي يلقاها الطبيبُ في التوفيق بين مِهنتَيِ التبشيرِ والطب، كما حَدَث معه هو، إلا أن ما بَذَله من المجهوداتِ قد أعانه على النجاح، حتى تمكَّنَ من تأسيسِ مستشفى التبشير عن طريق التبرعات، وكان أولُ متبرعٍ لهذا المستشفى التبشيري رجلاً من المسلمين.

❑ وخَطب الأستاذ «ممبسون» بعد ذلك، فتحدَّث عن فضلِ الإرساليات الطبية، ومما قاله: «إن المرضى والذين يُنازِعُهم الموتُ بوجهٍ خاصٍّ لابدَّ لهم من مراجعةِ الطبيب، وحَسَنٌ أن يكونَ هذا الطبيبُ في جانبِ المريضِ حينما يكون في حالةِ الاحتضار، التي لابد أن يَبلُغَها كلُّ واحدٍ من أفراد البشر».

❑ ثم خطبت المبشِّرةُ «أناوستون»، فتحدَّثت عن إرساليةِ التبشيرِ الطبيةِ في مدينة طنطا قائلة: «إن ثلاثين في المئةِ من الذين يُعالَجون في مستشفى هذه الإرسالية، هم من الفلاَّحين المسلمين، وأكثرُهم من النساء».

وتحدَّث المؤتمرُ عن الأعمالِ النسائية في التبشير، وكان لهذا الأمرِ اهتمامٌ كبير من قِبَلِ الأعضاء؛ لأنَّه خاصٌّ - كما قالوا - بنصفِ مُسلِمي العالَم.

❑ فقالت المبشِّرةُ «ولسون»: «إن النساءَ المبشِّراتِ يَسْتَعِنَّ في الهندِ بالمدارس وبالعياداتِ الطبية، وزيارةِ قرى الفلاحين، لِيَنْشُرنَ أفكارَهنَّ بين طبقاتِ الناس».

ثم حثَّتِ المبشِّرةُ «هلداي» على الرفقِ بالمرأة المسلمة.

❑ ثم تناوبَ الحديثَ عددٌ مِن لمبشرات، فتحدثْنَ عن نجاحِهِنَّ في المناطق التي انتُدبنَ للتبشير فيها، وقالت إحداهنَّ: «إن المسلِماتِ الفارسيات يُظهِرْنَ ميلاً شديدًا للعلم، بالرغم من جَهْلِهِنَّ باتساع نطاقه، وهن يعتقدنَ أن الذي يعرفُ جغرافيةَ البلاد نابغةٌ».

❑ ثم انتقل المؤتمرُ إلى بحثِ موضوعِ «تربية النساء اللاتي يتطوَّعن للتبشير». . وناقش المؤتمرُ بعد ذلك بعضَ وسائلِ التبشير الحكيم، فعَرض المبشِّرُ القسيس «هاريك» على المؤتمر نتائجَ أبحاثِه التي أجراها في بلادِ السلطنةِ العثمانية، فكان مما عَرَضه أنه لا فائدةَ تُرجى من استخدامِ وسيلةِ المناظرةِ والجدل التي وضعها المبشرُ الدكتور «فاندر»، وذكر أن نَشْرَ الكتبِ التبشيرية بدون مناقشةٍ أو مجادلةٍ أكثرُ فائدةً وأعمُّ نفعًا، وقال: «إن الجدلَ والمناظرةَ يُبعِدانِ المحبة لتي لها وقعٌ كبير على قلوبِ الأغيار. . فالمحبةُ والمجاملةُ هما آلةُ المبشِّر؛ لأن طريقَ الاعتقادِ غايتُه دائمًا هي قلب الإنسان».

وأكَّد المبشِّرُ «هاريك» على أنه يجبُ على المبشِّر أن يتحلَّى بمبادئِ الدعوة التي يُبشِّرُ بها، قبل أن يُعنَى بالأمور النظرية.

❑ ثم عَرض المبشِّرُ القسيسُ «ثرونتن» على المؤتمر بعضَ النظرياتِ الأوليةِ في أساليبِ التبشيرِ بين المسلمين، واستنتج منها القواعدَ التالية:

القاعدة الأولى: يجبُ على المبشِّر أن لا يُثيرَ نزاعًا مع مسلم.

القاعدة الثانية: يجبُ على المبشِّر أن لا يُحرِّضَ المسلمَ على الموافقةِ والتسليم بالمبادئِ التي تخالفُ دينَه إلاَّ عَرَضًا، وبعد أن يَشعُرَ المبشِّرُ بأن

الشروطَ الطبيعيةَ والعقليةَ والروحيةَ قد توافرت في ذلك المسلم.

القاعدة الثالثة: إذا حَدث سُوءُ تفاهمٍ حولَ المبادئ التي يُدْعىٰ المسلمُ إلىٰ الاعتقاد بها، فيجبُ أن يُزالَ في الحال، ولو أفضىٰ الأمرُ إلىٰ ترك المناقشة.

□ ثم أكد أسقفُ «لاهور» ضرورةَ استخدامِ الوسائلِ اللينةِ في التبشير، فكان مما رآه ما يلي:

١ - أن المبشِّر الذي يُعدُّ نفسَه لمجادلةِ المسلمين في أمورِ الدين، يجبُ أن تتفوق فيه الصفاتُ الخُلقيةُ والاستقامةُ التامةُ علىٰ المزايا العقلية.

٢ - أن يكون صحيحَ المجاملة، وأن يَضَعَ الأملَ بالفوزِ علىٰ خَصمه نُصبَ عينيه.

ثم أبدىٰ استنكارَه لقسوةِ التعاليمِ القديمة، وأنها كانت تَرمي إلىٰ التغلُّبِ علىٰ العدوِّ، لا إلىٰ اكتسابِ مودَّته.

□ ثم قال: «ويظهرُ لي أن كثيراً من إخواننا المبشِّرين يريدون أن يُبشِّروا الناس برَشقِهِم بالحجارة».

□ وختم كلامه بقوله: «يجبُ علىٰ المبشِّرِ أن يتذرَّعَ بالصبرِ والسكينة، وأن يكونَ حاكمًا علىٰ عواطِفه إلىٰ الغايةِ القصوىٰ، وأن لا يُخالِجَ نفسَه أقلَّ ريبٍ في أنه هو الذي سيفوز».

□ ثم انتهىٰ المؤتمر، وختمه رئيسُه المبشر «زويمر» فقال: «إن انعقادَ هذا المؤتمرِ كان بالتقريبِ نتيجةً لأعمال «شبان التبشير المتطوعين»، أما البحثُ في أحوال العالم الإسلامي وتبشيرُه، فقد سبق الخوضُ فيه في مؤتمر

«كلفلند»، وهذه الخريطةُ التي نراها أمامنا الآن موسومةً باسم «خريطة تنصير العالم الإسلامي في هذا العصر» قد بَعثت الأملَ في قلوبِ ألوفٍ من الطلبة في مؤتمر «ناشفيل» الذي انعقَد في شهر فبراير (شُباط) الماضي (أي: من سنة ١٩٠٦م)، والتبشيرُ متوقفٌ على وجودِ زُمرةٍ من المبشِّرين المتطوِّعين الذين يَقفِون حياتَهم ويُضحُّونها في هذا السبيل».

ثم خَتم كلامَه راجيًا أن يكونَ لندائِه صدًى في المدارس والجامعات في أوربا وأمريكا.

* * *

٢ ـ مؤتمر «إدنبرج» التبشيري:

في شهر أيلول (سبتمبر) من سنة (١٩١٠م) انعقد مؤتمرُ «إدنبرج» التبشيري، وكان للمسائلِ الإسلامية حظٌّ كبيرٌ من مداولاتِ أعضائه، وقد تفرَّغت فيه لجنتانِ من أهمِّ لجانِه للبحث في أمرِ الإسلام والمسلمين، وكيفيةِ القيامِ بمهامِّ التبشير بينهم.

◻ وقد نُشرت أعمال هذا المؤتمر في تِسعِ مجلدات، وتحدَّثت ثلاثُ مجلاتٍ تبشيريةٍ عن بعضِ ما جَرىٰ فيه من بحوث، وهي:

١ ـ «مجلة الشرق المسيحي» التابعة لجمعية التبشير الشرقية الإلمانية.

٢ ـ «مجلة العالم الإسلامي» التبشيرية الإنكليزية.

٣ ـ «مجلة إرساليات التبشير البروتستانتية» التابعة لجمعية التبشير في «بال» بسويسرا.

❏ وقد جاء في مجلة «العالم الإسلامي» الفرنسية التبشيرية لدىٰ حديثِها عن هذا المؤتمر: «وأعمالُ مؤتمرِ إدنبرج لم تكن حِبْرًا علىٰ ورق، بدليلِ أن المؤتمرَ الاستعماريَّ الألمانيَّ الذي عُقد عقِبَ مؤتمرِ إدنبرج التبشيري اهتمَّ بأمرِ إرسالياتِ التبشير الجرمانية، حتىٰ خُيِّل إلىٰ الناسِ أن هذا المؤتمرَ الاستعماريَّ السياسي تحوَّل إلىٰ مؤتمرٍ تبشيريٍّ دينيٍّ».

ونشرت «مجلة الشرق المسيحي» التابعةُ لجمعية التبشير الشرقيةِ الألمانية مقالةً بقلم المبشِّر الألماني «فون لبسيوس» تحتَ عنوان «دخول التبشير العام في طور جديد»، ذكر فيها أهميةَ مؤتمرِ إدنبرج الذي أبان عن ارتقاءٍ في أعمال المبشرين، وقد حَضر في هذا المؤتمر مئتانِ وألفُ مندوبٍ، منهم بعض كبارِ السياسيين في دول عالمية كبرىٰ.

واقتبس صاحبُ هذه المقالة من مستندات مؤتمر «إدنبرج» أنَّ عددَ جيشِ المبشرين البروتستانت قد بَلَغ (٩٨٣٨٨) ثمانيةً وتسعين ألفًا وثلاثَمِئةٍ وثمانيةً وثمانين، تَعضُدُهم لِجانٌ يبلغُ عددُ أعضائِها خمسةَ ملايين ونصف المليون، يُضافُ إلىٰ ذلك أعدادٌ كثيرةٌ أخرىٰ من رجالٍ ونساءٍ وطلابٍ وأساتذةٍ وأطباءَ وممرِّضاتٍ وغيرهم.

وقد كان هذا كلُّه في سنة (١٩٠٢م)، ومَن يقارنُ بينه وبين ما وصل إليه إحصاءُ العاملين في مهمات التبشير سنة (١٩١١م) يلاحظُ ارتقاءً باهرًا؛ لأنَّ عددَ إرسالياتِ التبشيرِ العامةِ في هذه السنة قد بَلَغ (٣٨٣٨)، وأما الإرسالياتُ التي هي في الدرجة الثانية، فقد بلغ عددُها (٣٤٧١٩)، وعددُ الأساتذةِ والتلاميذِ قد بلغ مليونًا ونصفَ المليون تقريبًا، ووصل عددُ الجامعاتِ والكلِّياتِ إلىٰ ثمانيةٍ وثمانين، وصار لدىٰ المبشرين خَمْسُمِئةٍ

واثنتانِ وعشرون مدرسةً دينيةً لتخريجِ المبشرين، هذا إلىٰ جانبِ حشدٍ كبير من المدارس العُليا والابتدائيةِ والمستشفياتِ والصيدليات، ويُشرِفُ علىٰ إرساليات التبشيرِ نحوُ ألفِ جمعيةٍ ما بين جمعياتٍ عموميةٍ عاملة، وجمعياتٍ لإعانتها، وجمعياتٍ أخرىٰ.

□ وجاء في «مجلة العالم الإسلامي» الإنكليزيةِ التبشيريةِ التابعةِ لإرسالية البحرين ما يلي: «ومجلتُنا تَستحسنُ الاهتمامَ الشديدَ الذي أبداه مؤتمر «إدنبرج»، وستجتهدُ في متابعةِ البحثِ والمداولةِ في المسائلِ التي بَحث المؤتمرُ فيها».

□ وقد نَشرت هذه المجلةُ مقالةً بقلم المبشِّر المستر «تشارلس وطسون» تحت عنوان «العالم الإسلامي» قال فيها: «إن من الخطإِ الحُكمَ علىٰ مؤتمرِ «إدنبرج» بأنه لم يهتمَّ بالمسائل الإسلامية. . فقد كان المؤتمرُ مؤلَّفًا من ثماني لجان، اختُصت الأولىٰ والرابعة منها بالتوسُّعِ في بحثِ المسألة الإسلامية، أما مهمةُ اللجنةِ الأولىٰ، فهي أن تَبحثَ في المسائلِ الإسلاميةِ من الوجهةِ الخارجية، وفي إيجادِ ميدانٍ عامٍّ مشتركٍ لأعمالِ المبشِّرين، واختيارِ خُطةِ الهجوم والغارة، وتقريرُ هذه اللجنة يتضمن إحصاءً متعلِّقًا بالمسلمين وعددِهم ومَبلغِ ارتقائهم في كلِّ قُطر؛ ثم تناولت اللجنةُ البحثَ في الأمورِ الاجتماعية الإسلامية التي تُمهِّدُ السبيلَ لتحويلِ المسلمين عن دينهم، فحَضَّت جمعياتُ التبشير علىٰ توسيعِ نطاقِ التعليم الذي يُشرِفُ عليه المبشِّرون، وحَصرت قراراتِها بجُملَتَينِ اثنتين:

□ وقد جاء في الجُملةِ الثانيةِ منهما ما يلي: «إن المسائلَ الإسلاميةَ في

الشرق على الخصوصِ صار لها مكانٌ هامٌّ في أعمالِ المبشرين، عَقِبَ الانقلاباتِ التي حَدثت في بلادِ الدولةِ العثمانيةِ وفارسَ، ولذلك أصبح من مقتضياتِ الظروفِ أن تقومَ إرسالياتُ التبشيرِ بعملٍ ينطبقُ على المسائلِ الإسلامية».

❑ وقالت اللجنةُ الثالثة في تقريرها: «اتفقت آراءُ سُفراءِ الدولِ الكبرىٰ في عاصمةِ السلطنةِ العثمانيةِ علىٰ أن معاهدَ التعليمِ الثانويةِ التي أسَّسها الأروبيون كان لها تأثيرٌ في حلِّ المسألة الشرقية، يَرْجَحُ علىٰ تأثيرِ العملِ المشتَرَكِ الذي قامت به دولُ أوربا كلها».

وتداولت اللجنةُ الخامسةُ في كيفيةِ تعليمِ المبشِّرين وتربيتهم، وألَحَّتْ علىٰ ضرورةِ تعليمِ الذين يَقومون بالتبشيرِ في البلادِ الإسلامية دينَ الإسلام ولغةَ البلاد.

❑ وجاء في تقريرِ اللجنة الثامنة قولها: «الأمرُ الذي لا مِريةَ فيه أن المهمةَ الصعبةَ التي يقومُ بها المبشِّرون في البلادِ الإسلاميةِ لم تَظهَرْ في غايةِ الصعوبة إلاَّ لأنه يَعسُرُ علىٰ جميعةِ تبشيرٍ واحدةٍ أن تقومَ بها، ولكنَّ وِحدةَ العمل ستكونُ أحسنَ وأسرَعَ حلٍّ لهذه المُعضِلةِ في إكمالِ مهمةِ التبشير».

❑ وتحدَّثت «مجلة إرساليات التبشير البروتستانتية» التابعةُ لجمعيةِ التبشير في مدينة «بال» بسويسرا عن مؤتمرِ «إدنبرج» في سلسلةِ مقالات، ومنها مقالةٌ بقلم المبشِّر «شلاثار»، وجاء فيها ما يلي: «ولما انتهت اللجنةُ السابعةُ من أعمالِها قال «اللورد بلفور» رئيس الشرف: «إن المبشرين هم ساعِدٌ لكلِّ الحكومات في أمورٍ هامة، ولولاهم لتعذَّر عليها أن تقاوِمَ كثيراً

من العقبات، وعلىٰ هذا فنحن في حاجةٍ إلىٰ لجنةٍ دائمةٍ يُناطُ بها التوسُّطُ والعملُ لِمَا فيه مصلحةُ المبشِّرين»، فأجيب «اللورد بلفور» إلىٰ اقتراحه، وتألَّفت لجنةٌ مختلِطةٌ، ولجنةٌ لمواصلةِ العمل»[١].

*** نتائج مؤتمر «إدنبرج»:**

وعلىٰ إثْرِ انتهاءِ أعمالِ مؤتمر «إدنبرج» تألَّفت لجنةٌ لمواصلةِ الأعمالِ التي بدأ بها، وانبَثَق عن هذه اللجنة فروعٌ كثيرة، بعضُها للإحصائيات، وبعضُها للنشر والمطبوعات، وبعضُها للتربية والتعليم، وآخَرُ لحسمِ المشكلاتِ بين المبشِّرين، وفرعٌ خاصٌّ لدراسةِ علاقاتِ المبشِّرين بالحكوماتِ (أي: الاستعمارية)، كما خُصِّص أحدُ الفروعِ لدراسةِ العقباتِ التي تَحولُ دونَ التبشير بين المسلمين.

وفي شهرِ أيار (مايو) من سنة (١٩١١م) اجتمعت لجنةُ مواصلةِ أعمالِ المؤتمر، وبَحثت في طرائقِ التربيةِ والتعليمِ التي يَنبغي للذين يقومون بمهمةِ التبشير بين المسلمين أن يتبِعوها، وقرَّرت أن تنتهزَ الفرصَ، وتنتفعَ بالظروف السانحة، وأن تنشر مجلةً مشتركةً تصدُر سنة (١٩١٢م) مرةً في كلِّ ثلاثةِ أشهر.

□ وتقول مجلة «العالم الإسلامي» الإنكليزية التبشيرية: «إنَّ أوَّل ما يُنفَّذُ من قراراتِ مؤتمر «إدنبرج» إنشاءُ مدرسةِ تبشيرٍ مشتركةٍ بين كلِّ الفرق البروتستانتية، وتكونُ خاصةً بتعليمِ مبشِّري الأقطار الإسلامية، وهذه المدرسةُ يُحتفل بافتتحها في خريف سنة (١٩١١م) وتَقبَلُ النساءَ والرجال،

---

(١) وهذا يكشف لنا العلاقة الوثيقة بين التبشير والاستعمار.

وتُعلَّمُ فيها اللغةُ العربية والعلومُ الإسلامية، وتاريخُ الأوضاع الإسلامية، والأمورُ الاجتماعيةُ التي اقتبسها المبشِّرون من بلاد الإسلام، وسيكونُ لهذه المدرسةِ مكتبةٌ تحتوي على أمهاتِ الكتبِ العربيةِ وغيرِ العربية المتعلِّقةِ بالإسلام.

* * *

٣ ـ مؤتمر «لكنو» التبشيري:

في مَطلَعِ سنة (١٩١١م) انعقَد في الهندِ مؤتمرُ «لكنو» التبشيري، وتداول المؤتمِرون أموراً كثيرةً تتعلقُ بالعالَم الإسلامي، وكيفيةِ إحكامِ الخَناقِ عليه، وتفكيكِ أواصرِ وِحدةِ المسلمين.

◻ فكان ممن تكلَّم فيه المبشِّرُ القسيسُ «سيمون»، فتحدث عن فكرةِ الجامعة الإسلامية التي تُهيمنُ على الشعوبِ المسلمةِ في مختلَفِ بلادِ الإسلام، ثم قال: «ولكنْ عبثًا يَبني هؤلاء آمالَهم على الجامعةِ الإسلامية؛ لأنَّ التربيةَ غيرَ الإسلامية قد انبَثَّت في دمائِهم بفضلِ مدارس التبشير».

◻ وتحدَّث في المؤتمر المبشِّرُ الأستاذ «مينهُف» فكان مما قاله: «ينبغي لإرسالياتِ التبشير أن تحتكَّ بالمسلمين، وتتسلَّحَ بالمعدَّاتِ الكافيةِ لقتالهم، وأن لا تَخشَىٰ ذلك كما كانت تفعلُ حتىٰ الآن، وينبغي لهم أن لا تكونَ أعمالُهم لاهوتيةً فقط، بل يَنبغي أن يَطرُقوا أبوابَ الطبِّ والصناعةِ وكُلِّ الأعمال التي يتفوقُ فيها الأوربيُّ على الشرقي».

◻ أما المبشِّرُ الأستاذ «استِورَدْ كرَوْفورد»، فقد علَّق في المؤتمر المذكور

أهميةً كبرىٰ لدىٰ تبشيرِ المسلمين علىٰ أسلوبِ التدرُّجِ والصبر، ثم قال: «إن المسلمين يقتبسون من حيثُ لا يَشعرون شَطْرًا من المدنيَّةِ المسيحية، ويُدخلونها في ارتقائِهم الاجتماعيِّ، وما دامت الشعوبُ الإسلاميةُ تتدرَّجُ إلىٰ غاياتٍ ونزعاتٍ ذاتِ علاقةٍ بالإنجيل؛ فإن الاستعدادَ لاقتباسِ المسيحيةِ يتولَّدُ فيها من غير قصدٍ منها».

وفي تقريرِ المبشِّر القسيس «ويلسون» ما يُفصِحُ عن أن «ويلسون» هذا لا يشكُّ في أن التربيةَ الغربيةَ هي بمثابةِ قوةٍ تنحلُّ بها عُرىٰ الروابطِ الإسلامية.

❑ وقال المبشِّرُ القسيسُ «جون تكل» في تقريره: «إن الوقوفَ علىٰ أسبابِ نموِّ الإسلام يُمهِّدُ للحصولِ علىٰ وسائلِ توقيفِ تياره».

ثم أورد بعضَ مقترَحاتٍ تتعلقُ بالاحتياطاتِ التي يجدُرُ بالمبشِّرين اتخاذُها، وأهمُّها ضرورةُ زيادةِ القوىٰ البشرية الاختصاصية.

❑ أما القراراتُ التي دوَّنها هذا المؤتمرُ التبشيريُّ في مَحضرِ جَلْساتِه، فقد كان منها ما يلي:

١ ـ يُعقَدُ المؤتمرُ مرةً أخرىٰ في القاهرة سنة (١٩١٦م)، وإذا طرأت أمورٌ سياسية، أو أمورٌ أخرىٰ تحولُ دون اجتماعِه في هذه المدينة، فيُعقَدُ في لندن.

٢ ـ مؤتمر «لكنو» يوافقُ مؤتمرَ إرسالياتِ التبشير الذي عُقد سنة (١٩١٠م) علىٰ ضرورةِ حصرِ الجهودِ في القارَّةِ الإفريقية، دون أن تُمسَّ الجهودُ التي تُبذلُ في البلاد الأخرىٰ.

ولذلك فهو يرىٰ أنه يَجدُرُ بالجمعيات التبشيرية، أن تتكاتفَ وتتعاضدَ لكي تؤلِّفَ سلسلةً قويةً من إرساليات التبشير، تطوفُ كلَّ إفريقية، وتؤسِّسُ مراكزَ قويةً في الأماكنِ التي هي موطنُ الخطر.

ويجبُ أن يكونَ إخراجُ هذه الفكرةِ إلىٰ حيِّز الفعلِ موضعَ بحثٍ أهمَّ وأوسعَ مما كان في السابق، سواءً من جهةِ تربيةِ المبشرين، أو من جهةِ حُسنِ اختيارهم، الأمرُ الذي يُحتِّمُ اتخاذَ التدابيرِ بلا تأخيرٍ لإتمامِ المشروعات التي بُوشر بها.

٣ ـ ويرىٰ المؤتمرُ أنه من الضروري العاجلِ تأسيسُ مدرسةٍ في مصرَ خاصةٍ بالتبشير، تكونُ عامةً لكلِّ الفِرَق البروتستانتية، ويُشدِّدُ بلزومِ التدقيقِ التامِّ في انتقاءِ المبشِّرين الأَكْفاء المتازِين بصفاتِهم ومواهبِهم العقلية، وبلزوم تعليمِهم اللغةَ العربيةَ بوجهٍ خاص.

* * *

٤ ـ مؤتمر القدس التبشيري:

كان القسيسُ الدكتورُ «صمويل زويمر» رئيسَ إرسالية التبشير في البحرين منذ مَقْدَمِه إلىٰ الشرقِ في أوائلِ القرنِ العشرين، إلاَّ أن نشاطَه التبشيريَّ الزائدَ وسَعْيَه لعقدِ مختلفِ المؤتمراتِ التبشيرية، جَعله يرتقي في المراتبِ بين المبشرين، حتىٰ صار رئيسَ المبشرين في الشرق، وحتىٰ صاروا يُلقِّبونه بـ «الرسول المختارِ إلىٰ العالم الإسلامي»، أي: حاملُ رسالةِ تحويلِ المسلمين عن دينهم.

فمن المؤتمراتِ التبشيرية التي دعا إليها هذا القسيسُ: مؤتمرُ «القدس»

الذي تمَّ انعقادُه برئاسته في نِيسان سنة (١٩٣٥م) إبَّانَ الاحتلالِ البريطاني لفلسطين.

وبعد أن شَرح أعضاءُ المؤتمر العقباتِ الكثيرةَ التي اعتَرضت سبيلَ المبشرين، والتي لم تَسمحْ لهم بأن يُخرِجوا المسلمين عن دينهم، ويُدخلوهم في المسيحيَّة، وبعدَ أن خَطَب كثيرٌ منهم خُطَبَهم اليائسة، قام «زويمر» رئيس المؤتمر، وألقىٰ علىٰ المؤتمرين الخطبة التالية[1]: «أيها الإخوانُ الأبطال، والزملاءُ الذين كَتب اللَّه لهم الجهادَ في سبيل المسيحية، واستعمارِها لبلادِ الإسلام، فأحاطتكم عنايةُ الرَّبِّ بالتوفيقِ الجليلِ المقدَّس، لقد أدَّيتمُ الرسالةَ التي نِيطت بكم أحسَنَ أداءٍ، ووُفِّقتم لها أسمىٰ توفيق، وإن كان لَيُخَيَّلُ إليَّ أنه ـ مع إتمامِكم العملَ علىٰ أكملِ الوجوه ـ، لم يَفطِنْ بعضُكم إلىٰ الغايةِ الأساسية منه، إنني أُقِرُّكم علىٰ أنَّ الذين دَخلوا من المسلمين في حظيرةِ المسيحيةِ لم يَكونوا مسلمين حقيقيين، لقد كانوا كما قلتم أحدَ ثلاثة:

ـ إما صغيرٌ لم يكنْ له من أهلِه مَن يُعرِّفُه ما هو الإسلام.

ـ أو رجلٌ مستخفٌّ بالأديان لا يبغي غيرَ الحصولِ علىٰ قُوْتِه، وقد اشتدَّ به الفقر، وعَزَّت عليه لُقمةُ العيش.

ـ وآخَرُ يَبغي الوصولَ إلىٰ غايةٍ من الغايات الشخصيَّة.

ولكنَّ مهمةَ التبشيرِ التي نَدَبَتْكم دولُ المسيحيةِ للقيام بها في البلاد

---

(١) انظر كتاب «جذور البلاء» لعبداللَّه التل (ص٢٧٥).

المحمَّدية، ليست هي إدخالَ المسلمين في المسيحية، فإنَّ في هذا هدايةً لهم وتكريمًا، وإنَّما مهمتُكم أن تُخرجوا المسلمَ من الإسلام، ليصبحَ مخلوقًا لا صِلةَ له باللَّه، وبالتالي فلا صِلةَ تَربِطُه بالأخلاق التي تعتمدُ عليها الأمُ في حياتها، وبذلك تكونون أنتم بعَمَلكم هذا طليعةَ الفتحِ الاستعماريِّ في الممالك الإسلامية، وهذا ما قمتُم به خلالَ الأعوامِ المئةِ السالفةِ خيرَ قيام، وهذا ما أُهنِّؤُكم عليه، وتُهنِّؤُكم دولُ المسيحيةِ والمسيحيون جميعًا عليه كلَّ التهنئة.

لقد قَبَضنا ـ أيها الإخوان ـ في هذه الحِقبةِ من الدهر مِن ثُلُثِ القَرنِ التاسعَ عَشَرَ إلىٰ يومِنا هذا علىٰ جميعِ برامجِ التعليم في الممالكِ الإسلامية، ونَشَرنا في تلك الربوعِ مكامِنَ التبشير، والكنائسِ، والجمعياتِ، والمدارسِ المسيحيةِ الكثيرةِ التي تُهيمنُ عليها الدولُ الأوربيةُ والأمريكية، والفضلُ إليكم وحدَكم أيها الزملاء.

إنكم أعددتُم له بوسائِلِكم جميعَ العقولِ في الممالكِ الإسلامية إلىٰ قبولِ السير في الطريقِ الذي مَهَّدتم له كلَّ التمهيد.

إنكم أعددتُم شبابًا في ديار المسلمين لا يعرفُ الصِّلةَ باللَّه، ولا يريدُ أن يَعرِفَها، وأخرجتم المسلمَ من الإسلام، ولم تُدخلوه في المسيحية، وبالتـالي جاء النشءُ الإسـلاميُّ طبقًا لما أراده له الاسـتعمارُ، لا يَهتمُّ للعظائمِ، ويحبُّ الراحةَ والكسل، ولا يُصرِّفُ هَمَّه في دنياه إلاَّ في الشهوات، فإذا تَعلَّم فللشهوات، وإذا جَمَع المال فللشهوات، وإن تَبوَّأَ أسمىٰ المراكزِ فللشهوات، ففي سبيل الشهوات يجودُ بكلِّ شيء.

إنَّ مهمتكم تمَّت على أكملِ الوجوه، وانتهيتم إلى خيرِ النتائج، وباركَتْكم المسيحية، ورَضِي عنكم الاستعمار، فاستمِرُّوا في أداءِ رسالتِكم، فقد أصبحتم ـ بفضلِ جهادكم المبارك ـ موضعَ بركاتِ الربِّ».

وبهذه الكلماتِ انتهى خطابه، وما أحسَبُ هذا الخطابَ بحاجةٍ إلى أي تعليق عليه، ولكنَّني لستُ أدري ما هو هذا الربُّ الذي تُلتمسُ بركاته ثوابًا على تضليلِ الناس، وإخراجِهم من دينِهم وعقائدِهم باللَّه وبرسالاته، وغمسِهم بالشهواتِ والموبقات والرذائل؟!.

* ويكفيني عن أيِّ تعليق قولُ اللَّه تعالى في سورة «الجاثية/ ٤٥ مصحف/ ٦٥ نزول»: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وقد بلغ القسيسُ «زويمر» الخامسةَ والثمانينَ، ومات سنة (١٩٥٢م) دون أن يَظفرَ بما كان يصبو إليه، إلاَّ أنه قد لَقِي عند ربِّه جهنَّمَ وبئسَ المصير، إذ كرَّس حياتَه لتضليلِ أهلِ الإيمان، وتحويلِهم عن صراطِ اللَّه.

* * *

٥ ـ مؤتمرات أخرى:

وما يزال المبشِّرون يَعقِدون المؤتمراتِ لتطويرِ وتحسينِ وسائلِهم لتنصيرِ العالم الإسلامي.

❑ ومن هذه المؤتمراتِ مؤتمرٌ كَنَسيٌّ عُقد في ولية «كولارادو» بأمريكا في عام (١٩٧٧م)؛ وموضوع هذا المؤتمر هو ما يلي: «العملُ على اكتشافِ

وتحديدِ المسؤوليات المسيحيةِ في أمريكا الشمالية تُجاهَ تنصيرِ المسلمين» .

وهذا المؤتمرُ امتدادٌ لمؤتمراتٍ أخرىٰ عُقدت لهذا الغرضِ في «لوزان» عام (١٩٧٤م) بهدفِ تنصيرِ شعوبِ العالم .

وتمَّ اختيارُ المرشَّحين لهذا المؤتمر من المبشِّرين المهتِّمين بتنصيرِ المسلمين .

وكان الإحساسُ السائدُ بين المشارِكين في المؤتمر أنه يجبُ تغييرُ طريقةِ العملِ الرئيسة وفقًا لوضعِ العالَمِ الإسلاميِّ المعاصر ؛ وأنه يجبُ قبولُ مبدإِ قُدرةِ اللَّه وسيطرتِه وتحكُّمِه ، لإزالة الشكِّ الذي لدىٰ المسلمين الذي يَرىٰ أن العالَم المسيحيَّ يُشجِّعُ بقوةٍ عمليةِ توجيهَ العالَمِ الإسلاميِّ إلىٰ العِلمانية .

ووافق المشتركون في المؤتمر علىٰ أنَّ الموقفَ المتشدِّدَ تُجاهَ العالَم الإسلامي لن يُعينَ في عمليةِ تنصيرِ العالم الإسلامي ، لذلك فهم يَعتقدون أنه يجبُ العملُ علىٰ إيجادِ جوٍّ وُدِّيٍّ بينهما .

❑ ومن مقررات هذا المؤتمر ما يلي :

١ ـ يجبُ بذلُ الاهتمامِ الكافي والتركيزُ بقوةٍ علىٰ زَرعِ جالياتٍ مسيحيةٍ في قلب العالم الإسلامي ، وهم سيُحاولون بدَورهم تطويرَ وإيجادَ وسائلَ منهجيةٍ جديدةٍ أكثَرَ ملاءمةً عند تقديم الإنجيل للمسلمين .

ويجبُ الاهتمامُ الشديدُ باستخدام الآياتِ القرآنيةِ ذات الصلةِ بهذه الموضوعات ، وخاصةً في المراحلِ الأوليةِ لعمليةِ التنصير .

٢ ـ بناءُ وزَرعُ الكنائس التي تهتمُّ بالمتنصِّرين ، والترتيباتِ الخاصة بهم ، والشعائرِ الدينية .

إلىٰ غير ذلك من مقررات .

مجالات أنشطة المبشرين

١ ـ التحدِّي المباشِرُ للإسلام عن طريقِ المُناظرة لعلماء المسلمين:

كان المجالُ الأولُ الذي بدأ به المبشرون (المنصِّرون) هو مجالُ التحدِّي المباشِرِ للإسلام، عن طريقِ المناظَرةِ لعلماء المسلمين.

وقد بدأ هذا التحدِّي القَسُّ «فاندر» أحدُ مؤلفي كتاب «ميزان الحق» عمدةُ المبشرين والمستشرقين في مناظراتهم للمسلمين.

وتصدَّىٰ له في الهند الشيخ «رحمة اللَّه الهندي» (الكيرانوي) (١٢٣٣ ـ١٣٠٨هـ) صاحب كتاب «إظهار الحق».

قامت بينهما مناظرةٌ علنيةٌ في (١١ رجب سنة ١٢٧٠هـ) الموافق لـ(١٠ نيسان ١٨٥٤م) في مدينة «أكبر آباد آكره» إحدىٰ مجالاتِ النشاطِ التبشيري في الهند، وقد حَضَرَ هذه المناظرةَ ولاةُ المديرية، وموظَّفو الثكنةِ الإنكليزية من الإنكليز، وعددٌ كبيرٌ من أعيانِ البلد ووجهائه.

وقد أَسفرت هذه المناظرةُ في يومها الأول عن اعترافِ القَسِّ «فاندر» بوقوعِ التحريفِ في ثمانيةِ مواضعَ من الإنجيل.

وفي اليوم التالي تزايد عددُ الذين حَضروا المناظرة من الحُكَّام الإنجليز والمسيحيين والهنادك والسيخ، وظَهر ضَعفُ القَسِّ «فاندر» في المناظرة وظَهر تعنُّته.

وفي اليوم الثالث لم يَعُدِ القَسُّ إلىٰ مجلسِ المناظرة التي لم تَنْتَهِ، وكان

كلَّما عَلم بوجود الشيخ ـ رحمه اللَّه ـ في مكانٍ غادره[1] .

ثم عَدَل المبشِّرون عن مِثلِ هذه المواجهةِ الصريحة، وانطلقوا في المجالاتِ الأخرىٰ غيرِ المباشرة .

٢ ـ مجالُ الخِدماتِ الصحية :

وكان ذلك بتأسيسِ المستشفياتِ والمستوصفاتِ التبشيرية، وتوجيهِ الأطباءِ المتنقِّلين، والمستوصفاتِ المتنقِّلة، وقد تحمَّلوا في ذلك مشقاتِ الدخولِ في أصعبِ الأماكنِ الإفريقية، وغيرها .

وقد وَجَّهوا اهتماماتٍ كبرىٰ لتنصيرِ المسلمين في مجالِ خِدماتِهم الطبية، في معظمِ بلدانِ العالم الإسلامي الكبرىٰ والصغرىٰ، واستثمروا مؤسساتِهم الطبيةَ استثماراً اقتصادياً واسعاً مع قيامهم بمهمَّاتِ التنصير .

٣ ـ مجالُ تأسيسِ الكنائسِ والأديرة والرهبنات :

وذلك في كلِّ بلدٍ إسلامي يوجَدُ فيه نصارىٰ، ولو لم يتجاوزوا عددَ أصابع اليدين، لتكونَ هذه المؤسساتُ الدينيةُ بؤرةً للتنصير، ومسوِّغًا للادعاءاتِ المستقبليةِ بحقوقٍ تاريخيةٍ في بلاد المسلمين .

٤ ـ مجال تأسيس المدارس :

وذلك في المرحلةِ دون المرحلةِ الجامعيـة التي هي من اختصاصِ المستشرقين، وقد أسَّسوا في هذا المجالِ مدارسَ كثيرةً في بلدانِ العالم

---

(١) انظر ما كتبه الشيخ «أبو الحسن الندوي» في مجلة البعث الإسلامي بعددها الممتاز رمضان وشوال من سنة (١٤٠٢هـ).

الإسلامي، مِن دُورِ الحضانة حتىٰ شهادةِ الدراسة الثانوية، وأتقنوا بناءَها ونظامها، واجتَذبوا إليها أعداداً هائلةً من أبناءِ وبناتِ المسلمين، وكان من ثمراتِها إخراجُ أجيالٍ متنكِّرةٍ لدينها، ولأُمَّتها، ولأوطانها، تابعةٍ للغرب، متشبِّثةٍ بذيولِ الحضارةِ الأوربية وبريقِ ألوانها، مع ما فيها مع انحلالٍ وفوضىٰ خُلُقيةٍ وسلوكية، دون الأخذِ بعواملِ النهضةِ الماديَّةِ الحقيقة.

ومن الأمثلة على ذلك: ما تَكشِفُه الإحصائياتُ عن وجودِ قُرابةِ (١٤٠) مدرسةً طائفيةً وأجنبيةً في الأردن في السبعيات من القرن العشرين الميلادي الجاري، وعددُ الطُّلابِ والطالباتِ فيها يَزيدُ علىٰ ثلاثين ألفًا، معظمُهم من أبناءِ وبناتِ المسلمين، والمعلِّمون والمعلِّماتُ فيها معظُمهم من غيرِ المسلمين.

٥ ـ مجال الخدمات الاجتماعية المختلفة:

كدُورِ الأيتام، والعَجَزةِ، والأراملِ، والمطلَّقاتِ، ونحو ذلك.

٦ ـ مجالُ العلاقات الاجتماعية:

فمن ذلك الصِّلاتُ الوديَّةُ الشخصيةُ والصداقاتُ والزياراتُ العائلية، والعلاقاتُ الاجتماعيةُ والاقتصاديةُ والثقافيةُ المختلفةُ، واتخاذُ هذه الأمورِ وسيلةً لإفسادِ المسلمين والمسلمات.

٧ ـ استغلالُ الأزماتِ والكوارثِ الفرديةِ والاجتماعية:

ويتجلَّىٰ ذلك بتصيُّدِ اللقطاءِ والمشرَّدين والمشرَّداتِ وأصحابِ الأزمات المختلفة من أبناءِ وبناتِ المسلمين، وكذلك الذين فَقَدوا أهليهم في

الحروب، والفتن، والمجاعات، والكوارثِ الطبيعية، والأزماتِ الأخرىٰ، وإيوائهم لتنصيرهم.

ومن أمثلة ذلك: الحملاتُ المكثَّفةُ التبشيريةُ لتنصيرِ أطفال المسلمين اللاجئين في الصومال، التي نَشرت الصحفُ عنها في عام (١٤٠٢هـ).

والحملاتُ التبشيريةُ لتنصيرِ أطفال لاجِئي الأفغانِ في باكستان، الذين فرَّ بهم أهلُوهم، خوفًا عليهم من التدميرِ الشيوعي الأحمر، وقد نُشر عنها في عام (١٤٠٣هـ).

وهذه الحملاتُ تأتي تحتَ قناعِ هيئةِ «الصليب الأحمر».

وكذلك الحملاتُ التبشيريةُ لتنصيرِ أطفال من إندونيسيا، ليكونوا إذا كَبِرُوا مبشِّرين بالنصرانية بين ذَويهم، وقد أسمَوا هذا المشروعَ بمشروعِ «الأسر البديلة».

وحَصَل ما هو أشنعُ من ذلك في أطفال المسلمين اللبنانيين، وذلك في الفِتن السياسية التي قامت بين الطوائفِ اللبنانيةِ المختلفة، في السبعينات، وأوائلِ الثمانيناتِ من القرنِ العشرين الجاري، إذْ كانوا يُلتقطون ليؤخذوا إلىٰ معسكراتِ وملاجئ التنصير، أو إلىٰ القتل.

ونشرت الصحفُ أنَّ بعضَ النصارىٰ اللبنانيين باعُوا ألفين من أطفال المسلمين في لبنان إلىٰ المؤسَّساتِ التنصريةِ في أوربا وأمريكا.

ونَشرت الصحفُ أيضًا ما يُثبتُ أنَّ هناك منظماتٍ سريةً يُشرِفُ عليها قساوسةٌ لشراءِ أطفالٍ من أبناءِ المسلمين، بُغيةَ أخذِهم إلىٰ معسكرات التنصير.

٨ ـ تأسيسُ الإذاعات:

وهي الإذاعاتُ الخاصةُ بالدعوةِ إلى النصرانية، ونشرِ الإنجيلِ بصورةٍ علنيةٍ ظاهرة، أو بصورةٍ خفيةٍ متوارية.

□ ومن هذه الإذاعات:

١ ـ إذاعة «مونت كارلو».

٢ ـ إذاعة «صوت الغفران».

٣ ـ إذاعة «مركز النهضة».

٤ ـ إذاعة «قبرص» في نيقوسيا.

٥ ـ إذاعة «فيبا» بجمهورية السيشيل في المحيط الهندي.

٩ ـ توزيعُ المطبوعات والنشورات الداعية إلى النصرانية:

وذلك ببثِّها بين صفوفِ المسلمين، مقرونًا بالأساليب الوديِّة، والوعد بتلبية المطالب.

والمبشِّرون بالنصرانية يستغلُّون إمكاناتِهم الواسعةَ المادِّيَةَ والعلميةَ والبَشَريةَ، لطبعِ ملايينِ الكتبِ، والرسائلِ، والمنشوراتِ، وتوزيعِها بين المسلمين.

ومع ما لديهم من أموالٍ وفيرةٍ، تُحوَّلُ إليهم فوائد ودائع المسلمين في البنوك الغربية، الذين يُودِعون أموالَهم فيها، ولا يأخذون فوائدَها الربوية، وهم بذلك قد ساعَدوا أعداءَ الإسلام بأموالهم مرَّتين.

١٠ ـ الإغراءُ بين الجنسين:

وذلك بتصيُّدِ الشبابِ عن طريقِ الفتياتِ الحسناواتِ المرضياتِ بصداقاتهن الخاصة، والآسِراتِ للنفوس، والباذلاتِ أجسادَهنَّ ولو بطرقٍ محرَّمةٍ.

١١ ـ تأسيسُ الجمعياتِ والمنظماتِ والنوادي:

ومن مجالاتِ أنشطةِ المبشِّرين بالنصرانية، الجمعياتُ والمنظماتُ والنوادي ذاتُ النشاطِ الاجتماعي أو الأدبي أو الثقافي، أو الفني أو الرياضي.

□ ومن هذه المنظمات ما يلي:

١ ـ منظمة «نداء الرجاء» بمدينة «شتوتكارت» الألمانية.

٢ ـ منظمة «بعثة الصداقة» التي لها فروعٌ في لبنان، وهولندا، وألمانيا، وفرنسا، وأمريكا.

٣ ـ منظمة «مركز الشبيبة النصراني» ومركزُها الرئيسيُّ بألمانيا الغربية، ومؤسِّسُها «فالتر فاشرمان» الألماني الجنسية.. إلى غيرها من المنظمات.

١٢ ـ المساعدة على افتتاحِ أكبرِ عددٍ ممكنٍ من دور الخمور:

وقد تمَّ ذلك في بلدانِ العالم الإسلامي، لنشرِ معاقرةِ الخمورِ بين المسلمين.

وقد لاحَظَ المتتبِّعون في السودان أنَّ الكنيسةَ والمؤسَّساتِ التبشيريةَ وراءَ تعطيلِ أيِّ مشروعٍ لتحريم الخمر، فعندما أعلَن مجلسُ منطقةِ أمِّ درمانَ تحريمَ بَيعِ الخمور، قامت الكنيسةُ بمعارضةِ ذلك، واضطَربت، ودَفعت

الأموالَ الطائلةَ لتعطيلِ تنفيذ القرار.

١٣ ـ الاهتمامُ بالمجتمعات الإسلامية النامية والنائية:

تهتمُّ حركاتُ التنصيرِ بالمجتمعاتِ النائيةِ والنامية، والتي تكثُر فيها الأُمية، ويَنتشرُ فيها الفقرُ والمرض، لاستغلالِ حاجاتهم والبؤسِ الذي يعانون منه، الأمرُ الذي قد يُسهِّلُ عليهم بَيعَ دينِهم لتحصيلِ الغذاءِ والدواءِ والكِساءِ، والعملِ الذي يُحصِّلون عن طريقِه أرزاقَهم.

ويَقْنَعُ المنصِّرون بمن يتنصَّرُ طمعًا بتأمينِ حاجاته، لا عن إيمان بالنصرانية، ولا عن اعتقادٍ بصحتها.

١٤ ـ استغلالُ أشرطة «الكاسيت»:

واستَخدمت حركاتُ التنصير ـ مع انتشارِ آلاتِ التسجيل على نطاقٍ واسع في العالم ـ طَبْعَ أشرطةِ «الكاسيت» وحَشْوَها بما يريدون بثَّه من أفكار، وتوزيعَها في مجالات أنشطتهم.

١٥ ـ تأسيس منظمات سِريةٍ تعمل في الخفاء:

ومن أمثلةِ هذه المنظماتِ السرِّيةِ ما أعلنته الصحفُ السودانيةُ في أواخرِ السبعينات من أن سُلطاتِ الأمنِ السودانية اكتَشفت خليَّةً سرِّيةً تعملُ في الخفاء لبثِّ الدسائسِ والأفكارِ المعاديةِ للإسلام، والداعيةِ إلى النصرانية، وذلك إذْ داهمت هذه السلطاتُ وَكرَ خليةٍ من خلايا هذه المنظمة في «الخرطوم» العاصمة السودانية.

وزعيمُ هذه الخليةِ طبيبٌ سويسري يعملُ في «الخرطوم»، وهي تابعةٌ لمنظمةٍ دوليةٍ مركزُها في «بازل» بسويسرا، ولهذه المنظمةِ فروعٌ في ألمانيا،

والنمسا ولبنان.

وحين تمّت مداهمةُ هذا المركز عُثر على (٢٠٠) ألف كتابٍ من الكتب المعادية للدين الإسلامي، والمحرِّفةِ له، والمشوِّهةِ لصورتهِ الحقيقية، والداعيةِ إلى الردَّة عنه.

وضُبطت فيه أيضًا كمِّياتٌ كبيرة من الأشرطة التي سُجِّلت فيها موضوعاتٌ وأحاديثُ مناوئةٌ للإسلام، وبعضُها يشتملُ على تلاواتٍ شبيهةٍ بالتلاوات القرآنيةِ - وهي ليست قرآنًا - بل معاديةً ومناقضةً له، بُغيةَ تضليلِ عوامِّ المنتمين إلى الإسلامِ في إفريقيةِ وغيرها، حيث الجهلُ بالإسلام منتشر.

وذَكرت الصحفُ السودانيةُ آنئذٍ أن رئيسَ هذه المنظمةِ هو الألماني «فالتر فشرمان»، وأنه كان قد بَعث بخطابٍ إلى الطبيبِ السويسريِّ مديرِ الخليةِ في «الخرطوم» يدعوه فيه إلى تكثيفِ النشاطِ للحدِّ من المدِّ الإسلامي.

١٦ - مجالُ المسابقات بأنواعها:

ومِن هذه المسابقاتِ الإعلانُ عن مسابقاتٍ عن طريقِ المراسلة، ومضامينُ هذه المسابقاتِ تتطلبُ التعرفَ على موضوعاتٍ يُهِمُّ المبشِّرين التعريفُ بها.

وتُرصَدُ لهذه المسابقات جوائزُ مادِّيةٌ وعَينيةٌ قيِّمة، بُغيةَ شدِّ انتباهِ الناس إليها، وتحريكِ مطامعِ ذَوِي المطامعِ للمشاركةِ فيها.

١٧ - تأليف الكتب:

وهي الكتبُ المعدَّةُ لتكونَ مراجعَ للبحوث الدينية، ومنها الكتبُ

التالية:

١ ـ «ميزان الحق» مؤلَّف من ثلاثة أجزاء.

٢ ـ «تنوير الأفهام، في مصادر الإسلام».

٣ ـ «الهداية» مؤلَّف من أربعة أجزاء.

٤ ـ «مقالة في الإسلام».

٥ ـ «الباكورة الشهية في الروايات الدينية».

٦ ـ «دعوة الحق».

٧ ـ «أصول الإيمان».

٨ ـ «الصليب في الإنجيل والقرآن».

٩ ـ «دين المسيح لم ينسخ».

١٠ ـ «شخصية المسيح في الإنجيل والقرآن».

١٨ ـ مجال الفنادق العالمية الكبرى:

وذلك باستغلال الفنـادقِ العالميةِ الكبرىٰ ذاتِ الفروعِ في مُعظَمِ عواصمِ العالم، ودَسِّ ما يمكنُ عن طريقِها من غزوٍ تبشيريٍّ صليبيٍّ، وسلوكٍ غربيٍّ يخدم مصالحَ الاستعمارِ الغربي، ويُحوِّلُ المسلمين عن مفاهيمِهم الإسلامية، وأنواعِ سلوكهم الإسلامي.

١٩ ـ استخدامُ الأسواقِ المُجمَّعة «السوبر ماركت»:

يتمُّ ذلك باستغلالها لترويجِ ما يَخدُمُ أفكارَ الغزاة، ويُشجِّعُ علىٰ ممارسةِ أنواعِ سلوكِهم وطرائقِ حياتهم.

٢٠ ـ إنشاءُ معاهدَ لإعدادِ المنصِّرين المتخصِّصين بتنصيرِ المسلمين:

مثل: «معهد صمويل زويمر» الذي أُنشئ في شمال «كاليفورنيا»، وقرروا إنشاءَ معهدٍ آخَرَ، ورصدوا له مليارَ دولار أمريكي.

وهنالك مجالاتٌ كثيرةٌ أخرىٰ قائمة، أو يمكن أن تتفتَّقَ أذهانُ أعداء الإسلام لاستخدامها.

***

التآزُرُ بين المبشِّرين والمستعمرين

١ ـ تتابعت مخططاتُ المبشِّرين الهادفةُ إلىٰ محوِ الإسلام من الوجود، وتمزيقِ وحدةِ المسلمين، واتَّسعت دوائرُ أعمالِهم وملاحقتِهم للإسلام في كل بلدٍ اتساعًا كبيرًا، ولكنهم لم يَظفَروا بكلِّ ما يُريدون تحقيقَه داخلَ المجتمعاتِ الإسلامية، عن طريقِ أعمالِهم ونشاطاتِهم الخاصةِ المنفصلةِ عن الحكوماتِ الاستعمارية، فلجؤوا إلىٰ هذه الحكوماتِ يلتمسون منها العَونَ والتأييدَ المالي والسياسيَّ والعسكري.

فرأت الدولُ الاستعماريةُ جيوشَ المبشرين كَنزًا ثمينًا لها، فقررت أن تُدعِّمَها في أهدافِها التبشيرية، لتستخدمَها في الأهداف الاستعمارية.

وقد كان المبشِّرون الذين يَفِدُون إلىٰ البلاد الإسلامية، يأتون أولَ الأمر متستِّرين بأسماءٍ مختلفة، فإذا استقرُّوا في البلاد أَخذوا يقُومون بالتبشيرِ علىٰ مقدارِ وُسعِهم، فإذا وَجدوا من الدولِ الإسلاميةِ مراقبةً لهم وتذمُّرًا من

أعمالِهم وملاحقةً لتصرفاتهم لجؤوا إلىٰ قناصلهم طالبين حمايتَهم، وكان المسؤولون في القنصلياتِ الأجنبيةِ يُدافعون عنهم ويَحمُونهم بوصفِهم من رعاياهم، وكلما ضَعُفت الدولُ الإسلاميةُ إمامَ نفوذِ الدولِ الأجنبيةِ زادت هذه الدولُ في دعمِ المبشِّرين داخلَ البلادِ الإسلامية، وفي حمايتهم وتأييدهم.

ومن أمثلةِ ذلك: لَمَّا أراد الخديوي «إسماعيل باشا» أن يُغلِقَ مدارسَ المبشرين البروتستانت في مصر؛ لأن هؤلاء كانوا يتدخَّلون في السياسة، ويُثيرون الاضطراباتِ في البلاد، ويَزيدون مشاكلَ الحكومة، تدخَّلت في الأمر قنصليتانِ تابعتانِ لأكبرِ دولتينِ يومئذٍ، فأيَّدتَا المبشِّرين، وحَمَلتا الحكومةَ المصريةَ علىٰ أن تتقيدَ بالخطِّ الهمايوني (أي: بالدستور) الذي ينصُّ علىٰ احترامِ الحريةِ الدينية، عِلمًا بأن احترامَ الحريةِ الدينيةِ لا يتعارضُ مع الأمرِ بإغلاقِ مدارسَ تبشيريةٍ أجنبية، تحاولُ أن تَعبَثَ بعقائدِ المسلمين وتُخرِجَهم عن دينهم، ولكنَّ سياسةَ دعمِ المبشرين هي التي حَرَّضت الدولَ الأجنبيةَ علىٰ أن تتدخلَ لصالحِ التبشيرِ هذا التدخُّلَ السافر.

٢ ـ ويكشفُ سياسةَ التآزرِ بين المبشرينِ والمستعمرين ما جاء في الكتابِ المئوي للمبشِّرين اليسوعيين، بعد أن أَمسَتْ سورية ولبنان تحتَ الانتداب الفرنسي، وهو قولهم: «أجل، لقد كنا نعتمدُ علىٰ مساعدةِ فرنسا الظافرة، والآن ها هي فرنسا هنا».

٣ ـ وفي المؤتمر الذي أقامة المبشِّرون علىٰ ظَهرِ الباخرة «غالف» في البحر الأحمر، صَرَّح حاكمُ إفريقية الشرقية: بأنه يجبُ علىٰ الحكومةِ وعلىٰ

المبشرين أن يَشتركوا في العملِ ضدَّ الإسلام.

٤ ـ وفي سبيل مؤازرةِ المبشِّرين للدول الاستعمارية المتربِّصة، أَخَذَ المبشرون يفتعِلُون داخلَ البلاد الإسلامية الأسبابَ التي تقودُ إلى الحرب؛ لأن الحربَ ستُضعِفُ الدولَ الإسلامية، ومِن خلال ذلك يجدُ المبشرين منافذَ واسعةً لهم، كي يَقوموا بمهمةِ التبشير بين المسلمين على ما يُحبُّون، ويحاولُ المستعمرون مِن جهتهم تحقيقَ أهدافِهم الاستعمارية، بينما يحاولُ المبشِّرون تحقيقَ أهدافِهم التبشيرية.

وهذا ما أَعطى الحروبَ التي كانت تُشنُّ ضدَّ العالمِ الإسلاميِّ صفةً دينيةً صليبيةً، بما في ذلك الحروبُ التي شنَّتها الدولُ الأوربيةُ على الحكوماتِ الإسلاميةِ في القرنين التاسعَ عَشَرَ والعشرين.

◘ يقول المبشر «لورانس براون»: «وكذلك شَنَّت الدولُ الأوربيةُ في القرن التاسعَ عَشَرَ والقرن العشرين حروبًا عُدوانيةً على الحكوماتِ المسلمة، ثم انتَزعت منها أراضيَ ضمَّتها إلى سُلطانها هي، ولقد كانت النتائجُ في أحوالٍ كثيرةٍ غيرَ سارةٍ لبعضِ الشعوب التي استُعبدت، وخصوصًا من المسلمين، ولكنَّ هذه الشعوبَ لم تَصِلْ بعدُ إلى درجةٍ تَشعُرُ فيها بأنها أصبحت أقلياتٍ مضطهدةً».

◘ ويقول «وليم كاش» في كتابٍ صغير له: «قبلَ هذه التطوراتِ التي طرأت على العالَم الإسلامي بعدَ الحربِ العالمية الأولى، كان المبشِّرون قد اتخذوا مراكزَ استراتيجيةً في العالَم الإسلامي، واستطاعوا في أثناءِ الثورات والحروبِ والاضطراباتِ أن يُتابعوا عَمَلَهم بهدوءٍ وثبات، ولقد

كُتب هذا الكتاب الصغير ليدلَّ على هذه التطوراتِ التي حَدثت، وليبين للكنائسِ تلك الحاجةَ المُلحَّةَ للتقدُّمِ بمشروعِها في يومِ الفرصةِ السانحة».

وقبل أن يحتلَّ الاستعمارُ الإيطاليُّ «إرِتْرِيا» استَخدم الطليانُ المبشِّرَ الطلياني الأب «سابيتو» ليبتاعَ لهم «عَصَب» من الأريتريين، ففعل، وكان ذلك هو البدايةُ للاحتلال الاستعماري.

وكذلك كانت للمبشرين أدوارٌ كثيرةٌ مماثلةٌ في التمهيد للاستعمار، كما كان للدول الاستعمارية أدوارٌ كثيرةٌ في مساعدة المبشرين ومؤازرتهم وحمايتهم لهم، وخُططُ العملِ من الفريقين يُكمِّلُ بعضُها بعضًا.

٥ ـ ونجدُ الآنَ بعد استقلالِ البلادِ الإسلاميةِ من الاستعمارِ المباشر، نشاطًا كبيرًا للمبشرين في بلادٍ كثيرةٍ من بلاد المسلمين، وهذا النشاطُ تُدعِّمُه الدولُ الاستعمارية الكبرى، منه نشاطُ المبشِّرين في إفريقية، ونشاطُ المبشرين الكبير في إندونيسيا، إذ تتزايدُ فيها الإرسالياتُ التبشيريةُ تزايدًا كبيرًا.

نشرت صحيفة «واشنطن بوست» في عددها الصادر في (٧/ ٩/ ١٩٧٣م) تعليقًا بعنوان: «تعاظُمُ التنصير في إندونيسيا» أشارت فيه إلى ازديادِ عددِ الكنائسِ في أوساط إندونيسيا المسلمة.. وذكرت أن «جاوه» ـ وهي أكثرُ الجُزرِ ازدحامًا بالسكان، إذ تبلغُ نسبةُ عددِ سكانها (٦٥٪) من مجموعِ سكانِ إندونيسيا ـ أصبحت تربةً صالحةً لنشاطِ الإرسالياتِ التبشيرية، وقد تضاعَف عددُ كنائس البروتستانت والكاثوليك في «جاوه الوسطى والشرقية» إلى أربعةِ أضعافِ ما كان عليه. ويبلغ عددُ أعضاء كنيسة «جاوه الشرقية» وحدها (٢١٠٠٠) واحدًا وعشرين ألف

شخص.. ورغم ما يواجهُ رجالَ التبشير في بعضِ المناطقِ الإسلاميةِ من مقاومةٍ وإعراض، إلاَّ أنهم بالإغراءِ الماديِّ المسيحيِّ استطاعوا أن يتغلَّبوا على هذه المصاعب.

☐ وقالت الجريدة: «إنه توجدُ في إندونيسيا الآن جريدتانِ إحداهما للبروتستانت، والأخرى للكاثوليك».

☐ وقالت: «إن المسيحيين الذين تبلغُ نسبتُهم (٥٪) من مجموعِ سكان البلاد يُسيطرون على بعض المرافق».

وأعادت الصحيفةُ إلى الأذهانِ أن طلائعَ البعثاتِ التبشيريةِ دَخلت إندونيسيا في عام (١٥٠٠م) مع البرتغاليين الذين استعمروا جُزر البهارات.. وقد استَمرت الحملاتُ التبشيريةُ وبعثاتُها تتوالى على البلاد في مختلفِ العهودِ التي مرَّت بها[١].

ومع تزايُدِ النشاط التبشيري في إندونيسيا أَخذت الأموالُ تتدفقُ عليها من دولِ الغربِ ومن أمريكا بالذات، ومعظمُ هذه الأموالِ لخدمةِ أهدافِ المبشِّرين الراميةِ إلى تنصيرِ الشعبِ المسلمِ في إندونيسيا.

٦ ـ ومما يدلُّ على أن التبشيرَ تمهيدٌ للاستعمار ومقدمةٌ له، ما جاء في خطاب القسيس «زويمر» الذي ألقاه في مؤتمرِ القدس التبشيري، الذي سبق بيانه، إذ قال فيه للمؤتمرين: «وبذلك تكونون أنتم بعَملكم هذا طليعةَ الفتحِ

---

(١) مقتبس من مقال كتبه الدكتور محمد ناصر رئيس وزراء أندونيسيا الأسبق وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، نشر قسم منه في جريدة أخبار العالم الإسلامي، العدد ٣٥٣ في ٢٤/ ١٠/ ١٣٩٣هـ.

الاستعماري في الممالك الإسلامية».

□ ويقول المبشر «لورنس براون» ـ وهو أحدُ أقطابِ المبشرين في العالم ـ: «.. ولكنَّ الخَطرَ الحقيقيَّ كامنٌ في نظام الإسلام، وفي قُوَّته على التوسعِ والإخضاع، وفي حيويتِه، إنه الجدارُ الوحيدُ في وجهِ الاستعمار الأوربي».

□ وتقول مجلة «العالم الإسلامي» الإنكليزية: «إن شيئًا من الخوف يجبُ أن يُسيطرَ على العالَم الغربي، ولهذا الخوفِ أسبابٌ، منها: أن الإسلامَ منذُ أن ظَهر في مكةَ لم يَضعُف عدديًّا، بل هو دائمًا في ازديادٍ واتساع، ثم إن الإسلامَ ليس دينًا فحسب، بل إن من أركانِه الجهادَ، ولم يَتَّفِقْ قطُّ أن شعبًا دخلَ في الإسلام ثم عاد نصرانيًّا».

٧ ـ ويكشفُ سياسةَ التآزرِ بين المبشِّرين والمستعمِرين ما جرى في المؤتمر الاستعماري الألماني.

فقد نشرت «مجلة إرساليات التبشير البروتستانتية» التابعةُ لجمعية التبشير في مدينة «بال» بسويسرا مقالةً ذاتَ شأنٍ عن موقفِ إرساليات التبشير في المؤتمر الاستعماري الألماني، ومما يَزيدُ في أهميةِ هذه المقالة أنها مكتوبةٌ بقلم المبشر «م. ك. اكسنفلد» صاحبِ التقرير عن الفرعِ المختصِّ بالإسلام في المؤتمر الاستعماري المذكور، وهو أيضًا أمينُ سرِّ جميعةِ التبشير في برلين.

□ قال صاحب المقالة: «إنَّ المؤتمر الاستعماري امتاز بِمَزِيَّتين:

الأولى: أنه بَحث في الشؤونِ الصناعيةِ والاقتصادية.

الثانية: إجماعُه على وجوبِ ضمِّ المقاصِدِ السياسيةِ والاقتصاديةِ إلى

الأعمالِ الأخلاقيةِ والدينيةِ في سياسةِ الاستعمارِ الألماني.

واستَشهد بقول «شنكال» رئيسِ غرفةِ التجارةِ في «همبرغ»: «إنَّ نموَّ ثروةِ الاستعمار متوقفٌ على أهميةِ الرجال الذين يَذهبون إلى المستعمراتِ، وأهمُّ وسيلةٍ للحصول على هذه الأمنية إدخالُ الدينِ المسيحي في البلادِ المستعمَرة؛ لأن هذا هو الشرطُ الجوهريُّ للحصول على الأمنيةِ المنشودة، حتى من الوِجهة الاقتصادية».

ثم حَضَّ «اكسنفلد» على تقديرِ عملِ المبشرين، وإحلالِه في مَحلِّه اللائق به، وعندما أَخذ المؤتمرُ الاستعماريُّ يبحثُ في أعمالِ فرعِه الرابع الخاصِّ بالمسألة الإسلامية، أفاض المبشرون المشتركون في المؤتمر، وتوسَّعوا في القول، حتى خُيِّل للجميع أن المؤتمرَ الاستعماريَّ تحول إلى مؤتمرٍ تبشيري.

□ وجاء في قرارات المؤتمر الاستعماري المذكور ما يلي: «إن ارتقاءَ الإسلام يُهدِّدُ نموَّ مستعمراتنا بخطرٍ عظيم، ولذلك فإن المؤتمرَ الاستعماريَّ يَنصحُ الحكومةَ بزيادةِ الإشرافِ والمراقبةِ على أدوارِ هذه الحركة».

والمؤتمرُ الاستعماريُّ - مع اعترافِه بضرورة المحافظة على خُطَّة الحِيادِ تمامًا في الشؤون الدينية - يُشيرُ على الذين في أيديهم زِمامُ المستعمراتِ أن يقاوِموا كلَّ عملٍ من شأنِه توسيعُ نطاقِ الإسلام، وأن يُزيلوا العراقيلَ من طريقِ انتشارِ المسيحية، وأن يَنتفعوا من أعمالِ إرسالياتِ التبشيرِ التي تَبُثُّ مبادئَ المدنيَّة، خصوصًا بخدماتهم التهذيبيَّة والطبيَّة.

ومِن رأيِ المؤتمر «أن الخطر الإسلامي يدعو إلى ضرورةِ الانتباه لاتخاذ التدابير - من غيرِ تسويفٍ - في كلِّ الأرجاء التي لم يَصِلْ إليها الإسلامُ بعد».

☐ وجاء في خِطابٍ ألقاه الأستاذُ «باكر» أحدُ أعضاءِ المؤتمرِ الاستعماري الألماني: «إنَّ السياسةَ التي يَنبغي الجريُ عليها في معاملةِ المسلمين، تُحتِّمُ علينا وَضْعَ خُطةٍ جديدةٍ في مَجرىٰ سياسةِ حكومتنا.. والمبشِّرون هم الذين اختَصُّوا وحدَهم بالاهتمامِ بأمرِ الإسلام، والبحثِ في شؤونه في كلِّ مستعمراتنا الألمانية إلىٰ هذه الأيامِ الأخيرة.. وأنا لا أرىٰ أن تَظَلَّ الحالةُ علىٰ ما هي عليه، بل مِن رأيي أن تَنتقلَ أزمةُ السياسةِ الإسلامية منذُ الآن وبعد الآن إلىٰ يدِ الحكومةِ في مستعمراتنا، ويجبُ علىٰ حكومتنا في هذه الخطة الجديدة التي أُشير إليها أن تَستعينَ بالوجهةِ الوطنيةِ لا بالوجهةِ الدينية، كيما تتوصَّلُ إلىٰ مقاصدها».

☐ ثم قال: «وأنا أقترحُ علىٰ حكومتنا أن تضعَ خُطةً موطَّدةَ الأركان في الأمور الآتية:

الأول: في الخُطةِ العامةِ للنظامِ الإداريِّ والديني.

الثاني: في علاقةِ الشرعِ الإسلامي بالقوانين الأوربية.

الثالث: في نظامِ التعليم».

☐ ثم خَتَم خطابه بقوله: «يجبُ علينا بالرغم من العنايةِ برعايةِ الإسلامِ أن نهتمَّ بمقاومةِ انتشارِه في مستعمراتِنا علىٰ قَدْرِ الإمكان، وليس هنالك غيرُ واسطةٍ واحدةٍ توصِّلُنا إلىٰ هذه الغاية، وهي إنشاءُ مراكزَ ثابتةِ الأركان، كما تفعلُ إرساليات التبشير».

٨ ـ ويكشفُ سياسةَ التآزر بين المبشِّرين والمستعمِرين ما قاله القَسُّ اليسوعي «مييز» في معرض حديثه عن سياسة فرنسا الدينيَّة في الشرق: «إنَّ

الحربَ الصليبيَّةَ الهادئةَ الَّتي بدأها مبشِّرونا في القرن السابعَ عَشَرَ، لا تزالُ مستمرَّةً إلىٰ أيَّامِنا هذه، ولقد احتَفظت فرنسا طويلاً بُروحِ الحربِ الصليبيَّة، وبالحَنين إلىٰ تلك الحروبِ حيَّةً في نفسها، وكان من غاياتِ الامتيازات الأجنبيَّةِ دائمًا أن تحتفظَ فرنسا بالدَّور الذي يلعبُه رُهبانُها، وقد اعتُرِفَ لقناصِلنا وسُفرائنا بالحمايةِ للنصارىٰ، وكثيراً ما اختارت فرنسا قناصِلَها وسفراءَها من رجال الدين»(١) .

٩ ـ ويكشفُ سياسةَ التآزُرِ بين المبشِّرين والمستعمِرين الكتابُ الذي أصدرته لجنةُ التبشير الأمريكي، والتي تهتمُّ بالاستفادةِ من الحروبِ في أعمال التبشير في عام (١٩٢٠م).

▫ وقد جاء في مقدمة هذا الكتاب: «من أبرز الأمور المتعلِّقة بدخولِ الولاياتِ المتحدة في الحرب العالمية الأولىٰ، أنَّ الآراءَ والمبادئَ الَّتي كانت تهدفُ إليها الإرساليات التبشيريةُ، قد تَبنَّتها الآن الأُمَّةُ الأمريكيَّة، ثم أعلنت أنها هي أهدافُها الأخلاقية، وغاياتُها من خوضِ تلك الحرب، إنَّ هذه المبادئَ التبشيريَّةَ قد سُمِّيت الآن أسماءً سياسيَّةً فقط»(١) .

* * *

(١) أخذًا مما نقله الطاهر المعموري في بحثه الذي تحدَّث عنه عبدالله الرفاعي في جريدة المسلمون (العدد: ٦٣) تاريخ (١٠ ـ ١٦) شعبان ١٤٠٦هـ.

الأموالُ التي تُجمع للتنصير مع إعدادِ المنصِّرين ووسائلِ التنصير

(١) إينا «نيويورك»: ذَكرت مجلة أمريكيَّة أنَّ ما تَمَّ جمعُه خلالَ العامِ الماضي من تبرُّعاتٍ لأغراضٍ كنسيَّةٍ من غربِ أوروبَّا وشمالِ أمريكا بلغ (١٥١) بليون دولار، وذلك لتمويلِ النشاطِ الكنسيِّ في إفريقية، ولدى المؤسساتِ التنصيرية (١٩٠٠) محطةِ إذاعةٍ وتليفزيون، ولديهم أربعةُ ملايين وعشرون ألفَ منصِّر متفرِّغ، وأربعمئة مجلَّة دوريةٍ مسيحية[٢].

(٢) وجاء في مقال كتبه: «د. كامل الدقس»[٣]: «إن مجلسَ الكنائس العالميَّ رَصَد (١٣٠) بليون دولار أمريكي لتنصير قارَّةِ آسيا وأفريقية، وقد رَصدوا لجزيرةِ «جاوة» وحدها بليون دولار، لكي تكونَ مسيحيَّةً بحلول سنة (٢٠٠٠م)، وقد جَمع «بيل جراهام» زعيمُ البروتستانتيين في أمريكا بليونَيْ دولارٍ أمريكيٍّ لتمويلِ مشروعاتِه التنصيريَّة في أفريقية وآسيا؛ ولدى الفاتيكان ميزانيةٌ ضخمةٌ للتنصير، قَدَّرها بعضُ الاقتصاديِّين بأنَّها تجعلُ من العالم الثالثِ أغْنَى دول العالم»[٤].

***

---

(١) المصدر السابق.

(٢) نقلاً عن إحدى صحف المملكة العربية السعودية.

(٣) انظر: جريدة «الندوة» العدد (٩٣٨٦) الخميس ٩/ ٥/ ١٤١٠هـ.

(٤) انظر: «أجنحة المكر الثلاثة» (٨٩: ١١٨) للعلامة عبدالرحمن بن حسن حبنَّكة الميداني.

* ولنختم أخيراً بهذا الخبر: «بيت الساحر»:

☐ قال الشيخ عمر سليمان الأشقر ـ حفظه اللَّه ـ: «في حديقةٍ عامةٍ في مدينة «روما» في إيطاليا مبنىً مسجدٍ يُشبهُ مساجدَ المسلمين، كُتب عليه «بيت الساحر»، لم يُبْنَ لتُقامَ فيه الصلاة، ويرتفعَ من مئذنته صوتُ المؤذِّنِ مناديًا إلىٰ الصلاة والفلاح، ولكنه شُيِّد للصدِّ عن دينِ اللَّه، وتشويهِ صورةِ الإسلامِ والمسلمين.

تدخُلُ ذلك المبنىٰ الذي دُعي بـ «بيت الساحر»، فلا تخطو خُطوةً إلاَّ قابلَكَ أمرٌ مُفزِعٌ مرعِبٌ مصنوعٌ بطريقةٍ سِحرية، وهكذا يرتبطُ اسمُ المسجدِ بالسِّحرِ والسَّحَرة، حتىٰ تَنفرَ نفوسُ الذين لا يَعرِفون حقيقةَ المسجدِ ورسالتِه من كلِّ مسجد، فيُصَدُّ الناسُ عن الهداية والرشاد.

ولم يَكتفِ مُشيِّدو هذا المبنىٰ بِمَلْئِه بالحِيَلِ السِّحريةِ المرعبة، بل نَصَّبوا فوقَه صُوَرَ ثلاثةِ أشخاصٍ صُنعوا ليتحرَّكوا في دائرة، صورةَ امرأةٍ عربية، يتبعُها عبدٌ، وخَلْفَهما عربيٌّ يُمسِكُ بسَوطٍ غليظٍ مُلاحِقًا المرأةَ والعبدَ لِيهويَ عليهم بسوطه.

وفي البناء الذي سَمَّوه «بيت الساحر» مئذنةٌ، تُفتحُ فيها نافذةٌ بين الفَينةِ والفَينة لِتَبرُزَ من خلالها صورةُ امرأةٍ عربيةٍ جميلة.

إنها مَشاهِدُ يُرادُ لها أن تَغرِسَ في نفوسِ مُشاهِديها صُوراً مُشوَّهةً للمسلمين، فالغربيُّون الذين جَعلوا المرأةَ سِلعةً يُداسُ عفافُها باسم «الحرية والحضارة والرقي» يَسِمُون المسلمين بظُلمِ المرأة!!.

والغربيون الذين لا يزالون بين الفَينةِ والفَينةِ يُقيمون أعراسًا حُمْرًا لكلِّ مَن كان لونُه أسودَ، يَعيبوننا بأننا نَقهرُ ونسترقُّ الجِنسَ الأسود!!.

والمرأةُ في المِئذنةِ صورةٌ يُراد لها أن تُقرِّرَ في نفوس مِن يُشاهدونها أن المرأةَ تَعيشُ في الأغلال والقيود، فلا يؤذَنُ لها أن تَخرجَ إلىٰ سَعَةِ الحياة.

لقد حاولتُ أن أعترضَ لدىٰ القائمين علىٰ ذلك المبنىٰ، ونقلتُ تألُّمي لإحدىٰ السفاراتِ الإسلاميةِ مطالبًا تدخُّلَهم لإيقافِ هذا الباطل، ولا أدري هل لا يزالُ «بيت الساحر» يقومُ بدَوره في تشويهِ صورةِ الإسلامِ والمسلمين، أم أنه أُوقِفَ وأُزيل، فقد كانت رؤيتي له من عَشْرِ سنوات تقريبًا.

لقد وصل الغربيون إلىٰ مراحلَ متقدمةٍ في تشويهِ صورتِنا في عقولِ الذين لا يعرفوننا، وبخاصةٍ شبابِهم الذين يَخشَون عليهم من الإسلام.

وقد اطَّلعتُ في الوقت الذي شاهدتُ فيه ما دَعَوه «ببيت الساحر» في مجلة «العربي» الكويتية في عددها (٣٦٤) مارس ١٩٨٩ علىٰ مقالٍ كتبه الأستاذ «عبدالرحمن حمادي» تحدَّث فيه عن تشويهِ صورةِ الإسلامِ في نفوسِ الناشئةِ عن طريقِ الأفلامِ التي تُبذلُ فيها الأموالُ والجهودُ الهائلةُ لتحقيقِ هذ المَقصِدِ الخبيث.

وقد تحدَّث الأستاذُ «عبدالرحمن» عن ثلاثةِ أفلامٍ من هذا النوع، الأول منها يسمىٰ بـ«القط لطائر».

□ يقول الأستاذ في حديثه عن هذا الفيلم: «أذكرُ أنني في بيروت بَقِيتُ أسبوعًا أحاولُ الدخولَ للصالة التي تَعرِضُ فيلم «القط الطائر»، وما نَجحتُ إلاَّ بالحصولِ علىٰ بطاقةٍ من السوق السوداء؛ ولقد ذُهلتُ حينما اكتَشفتُ أنني أمامَ أحدِ أسوإِ الأفلام عَدائيةً وتشويهًا لصورة العربي.

الفيلمُ من إنتاج شركة «مترو غولدن ماير» الشهيرة، وهو موجَّهٌ للأطفال والناشئة أساسًا، بَيْدَ أنه بتقنياتِه وطَرافةِ موضوعِه يجعلُ الكبارَ

ـ قبلَ الصغار ـ يتسابقون لمشاهدته، ويتحدثُ عن قطٍّ صغيرٍ جميلٍ يأتي من كوكبٍ بعيدٍ ـ كلُّ سُكَّانه من القِطط ـ، وهذا القِطُّ يَملِكُ قوةً خارقةً في السيطرة على الأشياء، وذلك بسِوارٍ مُعلَّقٍ في عنقه.

ويَسعى عالِمٌ أمريكيٌّ للاستفادة من السِّوارِ بعدَ أن يُقيمَ علاقةَ صداقةٍ مع القط، وهدفُ العالِمِ الأمريكيِّ أن يَحُلَّ مُشكلةَ المجاعاتِ في العالَمِ الثالث (لنلاحظ الصورة المشرقة للإنسان الغربي)، بَيْدَ أن عِصابةً خطيرةً تظهرُ فجأةً، وتُحاولُ السيطرةَ على السِّوارِ لتسيطرَ به على العالَم، وهذه العصابةُ تَلبَسُ اللباسَ العربيَّ التقليدي، وتتسلَّحُ بالسيوف المعقوفة، ويتخاطبُ أفرادُها بأسماءٍ إسلاميةٍ عربية «أحمد ـ محمَّد ـ جعفر»، لكن «لابدَّ للشرِّ العربيِّ أن ينهزم» ـ كما يقول الفيلم ـ، وذلك من خلال تصدِّي العالِمِ الأمريكيِّ للعصابة «المسلمة» وتدميرها.

إنه فيلم لا يَذكر العربَ مباشرةً، ولكنْ من الواضح أنهم ما صَنعوه إلاَّ لِيُشوِّهوا من خلاله صورةَ العرب، ولِيُقنعِوا أطفالَهم وناشِئَتَهم ـ قبلَ بالِغِيهم ـ أن الخطرَ في العالَم مصدرُه العرب، وعلى الغربِ أن يَسعى لتدميرِ هؤلاء العربِ قبل أن يُدمِّروا العالَم».

◻ ويتحدثُ الكاتبُ عن الفيلم الثاني فيقول: «هو من إنتاج شركة «مترو غولدن ماير» أيضاً، يتحدثُ عن رِحلةٍ عِلميةٍ لعلماءَ أمريكيين في مِنْطاد، ومعهم مساعِدةٌ شقراءُ جميلة، وفي رِحلتهم يتعرَّضُ مِنطادُهم لعُطلٍ، فيَقَعون في أَسْرِ جماعةٍ من المتوحِّشين آكِلِي لحوم البشر في إفريقيا، بَيْدَ أنهم بعدَ سلسلةٍ من المغامرات يَنجحون في الهربِ بمنطادهم، وقد هَمَّ الأفارقةُ بطَهيهم وأكلِ لحومهم.

ثم يَصِلُ بهم مِنطادُهم إلىٰ صحراءَ شاسعةٍ، ويُحلِّقُ فوقَ مدينةٍ إسلاميةٍ ترتفعُ فيها المآذن بكثرة، وحين يَرىٰ سكانُها المنطادَ يظنونه شيطانًا سماويًّا، فيخِرُّون ساجِدِينَ برُعبٍ، ويَهرعُ المؤذِّنون للمآذِنِ يُكبِّرون ويبتهلون للَّه أن يَصُدَّ عنهم هذا الشيطان.

ويَهبِطُ العلماءُ بمنطادهم ليتزوَّدوا بالمؤونة من هذه المدينةِ العربيةِ التي تَسْرَحُ فيها الجِمالُ، ويَعيشُ سكَّانُها وَسَطَ القاذوراتِ والبهائم، والذين ما إن يطمئنوا إلىٰ أنَّ هؤلاء الهابطين عليهم بَشَرٌ مِثلُهم، حتىٰ يقودهم إلىٰ أميرِهم في قَصْرِه الكبير.

والأميرُ المسلمُ هذا محاطٌ بالحريم ورجالِ الدينِ الإسلامي، ويقرأُ القرآن، ويرتكبُ الفواحش ـ هكذا يقول الفيلم ـ، وما إن تَقَعْ عيناهُ علىٰ المساعِدةِ الشقراءِ حتىٰ يَسيلَ لُعابُه علىٰ لحيته، ويُقرِّرُ اغتصابَها وضَمَّها إلىٰ حريمِهِ (لنراجع الأفلام التي حللها الدكتور جاك شاهين، وكيف أنها تُصوِّرُ العربي شَبِقًا)، ثم تدورُ مغامراتٌ يُجابِهُ فيها الأمريكيون سُكانَ المدينةِ المسلمةِ الذين كلما شَعُروا بالهزيمة سَجدوا مبتهِلين للَّه أن يَنصُرَهم، وفي النهاية ينجحُ العلماءُ في إنقاذِ مساعِدتهم الشقراء (بالطيران بها)، وقد أوشك الأميرُ المسلمُ أن يفترسَها.

إنه فيلمٌ مملوءٌ حقدًا وعُدوانيةً علىٰ العرب، ولا يوفِّرُ وسيلةً في تشويهِ الإسلام والمسلمين، مُصوِّرًا إياهم بصورةٍ أسوأَ بكثيرٍ من صورةِ آكِلِي لحومِ البشر المتوحِّشين، وخلافًا لِمَا عَهِدناه في هذا النوع من الأفلام، لا ينتهي الفيلمُ بتدميرِ المدينةِ العربيةِ المسلمة، بل يتركُها في محاولةِ إقناعِ ناجحةٍ للمشاهِدِ بأنَّ المسلمين والعرب خَطَرٌ قائمٌ مستمرٌّ، يجبُ أن تتكاتفَ الجهودُ

لصدِّه وإنهائه.

❑ أما الفيلمُ الثالثُ فهو: «مغامرات في مصر» للثنائي «بود سبنسر» و«ترانسس هيل»، حيث مغامراتُهما الشيِّقةُ هذه المرةَ تدورُ على أرضِ «مصر»، وتبدأُ بهبوطهما في «مطارِ القاهرة الدولي» بكل حداثتِه وحضاريَّتِه وسعَتِه، ثم ينتقلانِ لمدينة «القاهرة» التي هي عبارةٌ عن خيَمٍ وإبلٍ تسيرُ في شوارعَ صحراوية، وأناسٌ بعباءاتهم العربيةِ التقليديةِ يُحاربون بالسيوف المعقوفةِ ويَمْتَطُون الإبل، ويَهربون عند سماعِهم أصواتَ الطلَقاتِ النارية من مسدس سبنسر وهيل!!».

❑ ويقول الأستاذ «عبدالرحمن» في خاتمة مقاله: «وحتى أفلامُهم التي تظاهروا فيها بالحياديةِ، لم يَخرجوا فيها من أَسْرِ نظرتِهم العَدائيةِ للعرب، ومحاولاتِهم الدائبةِ لتشويههم، كما في فيلم «عملية ميونخ»، فقد عُرض الفيلمُ في جميعِ الأقطار العربية وفي «إسرائيل»، كفيلمٍ تحدَّث بحياديةٍ عن «عملية ميونخ» الشهيرة، لكنَّ الحقيقةَ أنَّ الهَمْسَ استمرَّ على العرب طوالَ مَشاهدِ الفيلم بشكلٍ غيرِ مباشر، قد لا ندركُه نحن العرب، لكن يدركُه المشاهدُ الغربيُّ الذي هيَّأته السينما الأمريكيةُ والغربيةُ بصورةٍ سابقةٍ عن العرب، فقائدُ العمليةِ العربيُّ مثلاً حينما يَفْشَلون بالتفاوُضِ معه أو جَعْله يَلِينُ، يُرسِلون له مُضيفةً شقراءَ، وسَرعانَ ما يَلِينُ أمامَها، ويكادُ يستسلمُ لها وللمطالبِ التي تنقلُها.. ويُعلنُ الفيلمُ مرةً أخرى أن العربيَّ لا يَستطيعُ مقاومةَ شَبَقِه تُجاه الأنثى، وهي الصورةُ التقليديةُ عن العربيِّ في السينما الغربيةِ والأمريكية»..»[1].

---

(١) «جولة في رياض العلماء»، للشيخ عمر سليمان الأشقر (ص١٢٣ ـ ١٢٧).

* دعاةُ السُّفور والتبرُّج والإباحيَّة:

أَنْكَىٰ مكيدةٍ ضدَّ الحجاب - وهو من ثوابت هذا الدين الطاهر -، ونَزَعاتٌ شيطانيةٌ سافلةٌ، وتخانيثُ المدنيَّة الأوربيةِ الشاذَّة، ومدنيَّةُ الدجَّالِ القبيحة، تُظهِر التبرُّجَ وكأنه أجملُ الأشياء يقودُها شياطينُ الإنسِ من أقزامِ التغريب، وأبواقُ الإفرنج التي:

تُرَمــرِمِ مِن فُتَــاتِ الكُفْـرِ قوتًا   وتَلْعَـقُ من كؤوسِــهم الثُّمَــالَةْ
تُـقَبِّــلُ رَاحَــةَ الغَــربيِّ دَومًــا   وتلثُـمُ دونَـمــا خَـجَـلٍ نِعَالَهْ

▫ شياطينُ من شياطينِ الإنسِ خبيثةٌ تبتدعُ فكرةَ عَرضِ الآثامِ مكشوفةً في أجسامها.. شياطينُ تتألَّىٰ أن تُفسِدَ الآدابَ الإنسانيةَ كلَّها بفسادِ خُلُقٍ واحد، هو حياءُ المرأة.

▫ كُلٌّ منهم جَزَّارٌ يُريدُ أن يسلُخَ المرأةَ مِن ثيابِها ليمضيَ بها بعدَ ذلك إلىٰ المواخير.

▫ يُريد هؤلاء الشياطينُ أن يُحَوِّلوا جماعةَ المسلمين إلىٰ سائمةٍ تُسامُ، وقطيعٍ مهزوزٍ اعتقادُه، غارقٍ في شهواته، مستغرِقٍ في ملذَّاته، مُتَبَلِّدٍ في إحساسِه، لا يعرفُ معروفًا ولا يُنكِرُ مُنكَرًا.

▫ يريدُ دُعاةُ الفتنةِ هؤلاء أن يَزُجُّوا بنساءِ المسلمين إلىٰ مدارجِ الفتنةِ ويَسْعَوْن إلىٰ إشاعةِ الفاحشةِ ونشرِها، وزلزلةِ نقاءِ الأعراضِ، وفتح أبواب الأطماع إلىٰ اقتحامها بدَعَواتٍ آثمة، وشعارات مُضَلِّلَة ترفعها عقولٌ صغيرة، وأفكارٌ مريضة لُمخَنَّثون وشواذ يَدْعون لإسقاط الحجاب وخلعه، ونشر التبرُّجِ والسُّفور، والعُرْي، والخلاعة، والاختلاط.

□ يريدون أن يُخرِجوا المرأة المسلمة من طُهْرِها وعِفَّتِها وحيائها لِتُصبح أُنْثَىٰ مُتَرَجِّلَةً تنظرُ إلىٰ الرجل نظرةَ الرجل إلىٰ الأُنْثَىٰ.

□ كلماتٌ شيطانيَّة تَخْرُج كأنها فحيح الثعبان، وبعض هذه الكلمات هي أنيابُ الثعلب وصلاةُ الثعْلَب حين يتظاهَرُ بالتقوىٰ أما الدجاجة.

□ كَلِماتٌ خادعة تُقال للغافلات، هي أُختُ الكلمة التي تُقالُ ساعةَ إنفاذِ الحُكْمِ للمحكومِ عليه بالشنق.

□ نَشرت صحيفة «المصري اليوم» يوم الخميس ١٦ نوفمبر تحت باب «قضايا ساخنة» للمحرِّرة «فتحية الدخاخني» تصريحات لفاروق حسني وزيرُ الثقافة المصري.. وبدأت المحررة موضوعها كالتالي: «اعتبر فاروق حسني وزيرُ الثقافة حجابَ المرأة تأخُّرًا وعودةً للوراء، وقال في تصريحٍ خاصٍّ لـ «المصري اليوم»: «النساء بِشَعْرِهِنَّ الجميل كالورود التي لا يجب تغطيتها وحجبها عن الناس».

□ وقال: «الحجاب يعود بنا إلىٰ الخلف وبسببه لن نتقدَّم، ومصر المحروسة يجبُ أن تَكُفَّ عن تقليدِ العَرَب ـ ربَّما علىٰ اعتبارِ أننا أحفادُ فراعنةٍ ـ، لأن مصر ـ التي تخلَّفت بلُبسِ الحجاب ـ كانت في وقتٍ من الأوقات قطعةً من أوروبا»!!.

واسترسل الوزيرُ في تصريحاتِه التي حَمَلت معانيَ أن الحجابَ هو حجابُ القلب، واللبسُ لا علاقةَ له بالتصرُّفاتِ، والبنات علىٰ الكورنيش مع الأولاد وهُنَّ بالحجاب، وأنَّ الجرائمَ تُرتكب اليومَ باسمِ الحجاب والنِّقاب، وسنغافورة تقدَّمت وعمرُها مئةُ سنةٍ فقط، ونحن تخلَّفنا

بسبب الحجاب[١] .

❑ وقال: «الدينُ الآن أصبحَ مرتبطًا بالمظاهرِ فقط، رغمَ أن العلاقةَ الإيمانيةَ بين العبدِ وربِّه لا ترتبطُ بالملابس. . أعتقدُ أن الأمرَ ليست له علاقةٌ بالتقوىٰ والورع، وإلاَّ فما تفسيرُ مشاهدةِ مناظرِ الشبابِ والبناتِ علىٰ الكورنيش وعددٌ كبير منهن محجَّبات. . إن الجرائمَ اليوم تُرتَكَب باسمِ النقاب والحجاب»[٢] .

❑ وقال: «العالَمُ يسيرُ للأمام، ونحن لن نتقدَّم طالما بَقِينا نُفكِّرُ في الخَلْف، ونذهبُ لِنستمعَ إلىٰ فتاوَىٰ شيوخ بـ (تلاتة مليم)» .

❑ واستطرد: «نحن عاصَرْنا أمهاتِنا وتربَّيْنا وتَعلَّمْنا علىٰ أيديهنَّ عندما كُنَّ يذهبْنَ للجامعاتِ والعملِ دون حجاب، فلماذا نعودُ الآنَ إلىٰ الوراء؟»[٣] .

❑ وفي «الأهرام العربي» كان «موضوعُ الغلاف» في العدد (٥٠٥) الصادر في ٢٥/١١/٢٠٠٦ تحت عنوان «وزير الأزمات. . ومشايخ التكفير. . !!» جاء: «من جديد تُطِلُّ علىٰ مجتمعاتِنا العربية تلك الأفكارُ الشاردةُ، وكأننا علىٰ قَدَرٍ مع تلكِ الهمومِ الثقيلة. . فها هو أقدمُ وزيرٍ بالحكومة المصرية «فاروق حسني» وزير الثقافة، رَغم كِبَرِ سِنِّه ـ ٦٨ عامًا، فهو من مواليد ١٩٣٨م ـ يُجَدِّدُ أفكارَه القديمةَ عن الحجابِ والزيِّ الإسلاميِّ

---

(١) جريدة «الأسبوع» العدد (٥٠٣) ـ ٢١ من شوال ١٤٢٧هـ ـ ١٣ من نوفمبر ٢٠٠٦م (ص٥) تحت عنوان «وزير الثقافة يسخر من الحجاب» للمحررة نفيسة عبدالفتاح .

(٢) جريدة «العربي» العدد (١٠٣٤) (ص١٤) ١٩/١١/٢٠٠٦ .

(٣) المصدر السابق .

للمرأةِ رافضًا ـ مثلما رَفَض قديمًا ـ تلك الحِشمةَ وذلك الوقارَ الذي تَربَّت عليه مجتمعاتُنا التي تَعرفُ جيِّدًا كلمة «العيب».

وكأننا به من جديدٍ يُفجِّرُ أزمتَه القديمةَ حين ضَحِك هازئًا للمذيع على شاشةِ التلفزيون المصري منذ أكثرَ من عَشْرِ سنوات مُعلِّقًا على سؤالٍ عن عدمِ زواجِه قائلاً: «امرأةٌ واحدةٌ لا تكفي.. وإن الفنانَ مِثلُ الفراشة ينتقلُ من زهرةٍ إلى زهرة...، وبهذا المفهوم كثُرت زهورُ الوزير وربما زهراته».

◻ وقولُ فاروق حسني إنكارٌ لمعلومٍ من الدين بالضرورة وثابتٍ من ثوبت الإسلام، والحجابُ فرضٌ بالكتابِ والسُّنَّةِ وإجماعِ علماءِ الأمة.

◻ وتَبِعه في مقالته كظيظٌ من زِحامِ المعدومين المجهولِين من أهلِ الرِّيَب والفِتَن، المُسْتَغرِبين المُسَيَّرين بحَملِ الأقلامِ المتلاعِبةِ بدينِ اللَّهِ وشَرعِه، يختالون في ثيابِ الصحافةِ والإعْلام، وقد شَرحوا بالمنكَرِ صدراً، فانبَسَطت ألسنتُهم بالسُّوء، وجَرَت أقلامُهم بالسُّوأَى، وجميعُها تلتئمُ على معنًى واحدٍ: التطرُّف الجنوني في مزاحمةِ الفِطرَة، ومنابذةِ الشريعة، وجَرِّ أَذيال الرذائلِ على نساء المسلمين، وتفريغِهِنَّ من الفضائلِ، بدعوتهم الفاجرةِ في بلاد الإسلامِ إلى التبرُّجِ والاختلاط و«خلع الحجاب»، ونداءاتهم الخاسرة من كُلِّ جانبٍ بتفعيلِ الأسبابِ لخلعهِ من البقيَّةِ الباقية في نساءِ المسلمين، اللائي أسلَمْنَ الوجهَ للَّه ـ تعالى ـ وسَلَّمْنَ القيادةَ للنبيِّ محمدٍ ﷺ.

---

(١) «الأهرام» العربي ـ العدد (٥٠٥) (ص٤٢) بتاريخ ٢٥/ ١١/ ٢٠٠٦.

(٢) جريدة «العربي» ـ العدد (١٠٣٤) (ص١٤).

◘ وهؤلاء الرُّماةُ الغاشُّون لأُمَّتِهم، المشؤومون على أهليهم وبني جنسِهم ، بلْ على أنفُسِهم، قد عَظُمَت جَرَاءَتُهم، وتلوَّن مَكْرُهم بكلماتٍ تخرُجُ من أفواهِهم، وتَجْرِي بها أقلامُهم؛ إذْ أخذوا يهدِمُون في الوسائل، ويَخترقون سَدَّ الذرائع إلى الرذائِل، ويتقحَّمون الفضائل، ويُهَوِّنون من شأنها ، ويسخرون منها ومِن أهلها.

◘ كلُّ هذا البلاء المتناسِل، واللغوِ الفاجر، وسَقَطِ القولِ المتآكِلِ تَفيضُ به الصحفُ حتى يَقيلَ ذوو الفَسَالةِ المُسْتَغْرِبون إلى هذه الغاية الآثمة: تفرنُج المرأة.

◘ وإذا خُلع الحجاب فلا تسألْ عن انكسارِ عيونِ أهلِ الغَيرة، وتقلُّصِ ظِلِّ الفضيلةِ وانتشارِ الرذيلة، والتحللِ من الدِّين، وشيوعِ التبرُّج والسُّفُورِ والتهتُّكِ والإباحيَّةِ بين الزُّناةِ والزَّواني وأن تَهَبَ المرأةُ نفسَها لِمَن تشاءُ.. . قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾ [لنساء: ٢٧].

◘ قال مجاهد: «﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ قال: الزُّناة، ﴿أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾ ، قال: يزني أهلُ الإسلام كما يزنون، قال: هي كهيئة ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]».

◘ يريدون واقعًا إباحيًّا أثيمًا، وانتصارًا فاجرًا للرذيلة، وتجاوزًا لحدود الله، وانتهاكًا لحُرُمات شرعه المطهَّر.

وإذا كان هؤلاءِ الذين في قلوبهم مرضٌ يأبَون إلاَّ الإعلانَ بهَدمِ ثوابتِ الدين، وإعلانِ المنكر، وهَضمِ المعروفِ والصدِّ عنه، فلابدَّ من كلمةِ حقٍّ

ترفعُ الضَّيمَ عن نساءِ المؤمنين، وتدفعُ شرَّ هؤلاءِ المستغربين المُعْتدين على الدِّين والأُمَّة، فلابُدَّ من صوتٍ جهيرٍ بإحسانٍ يَبْلُغ الحاضرَ والباديَ، إقامةً لشعيرة الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي به يُنافَحُ عن الدينِ، ويَنصحُ للمسلمين عن التردِّي في هُوَّةِ صيحاتِ العابثين، وبه تُحْرَسُ الفضائل، وتُكبَتُ الرذائل، ويُؤخَذُ على أيدي السفهاءِ الأُجَراءِ المستغربين وأتباعِهم الأُجراء من سَذَجة الفُسَّاق، أتباعِ كلِّ ناعقٍ الذين يُفوِّقون سِهامَهم لاستلابِ الفضيلةِ من نساءِ المؤمنين.

هؤلاء تعرَّوا من كلِّ فضيلةٍ، وعَادَوا رسولَ اللَّه ﷺ في الطعنِ في الثوابتِ من دينِه، فلزامٌ أن نُعَرِّيَهم ونفضَحهم.. والجزاء من جنس العمل.

◻ مجلة «روزاليوسف» - ومعروفٌ توجُّهها البغيضُ الكارهُ لثوابتِ الإسلام، الساخرُ منها أبداً وعلى الدوام، الشانئُ لرسول اللَّه ﷺ - يَصدرُ عَددُها (٤٠٩٤) يتصدَّره عنوان «الإرهاب.. بالحجاب»:

- «حماستُنا في الدفاع عن موقفِ فاروق حسني ضدَّ هجمةِ التطرُّف والتطاولِ عليه» بقلم رئيس التحرير (ص٥).

- كيف تجرَّأ أحمد عمر هاشم وأعلن «دولة الحجاب» من قاعة كبارِ الزُّوَّار في مجلس الشعب (ص١٢)؟ وانظروا إلى مقالِ عبداللَّه كمال بروزاليوسف (٤٠٩٤): «إنَّ الاختلافَ مع الحجابِ له ما يُبرِّره.. ويَنبغي توضيحُه في النقاطِ التالية:

١ - في الذهنيَّة العامة، أنه تمَّ التخلُّصُ من الحجاب في غضونِ سقوطِ دولةِ الخلافةِ العثمانية، ومع صُعودِ المدِّ الحَداثي.. ومِن ثَمةَ فإن العودةَ إليه

تُعيدُ في الأذهانِ هذه الذكرىٰ الأليمة. . لمجتمعٍ تمَّ فيه حَجْبُ النساءِ خَلْفَ ستارٍ بعيد. . وظَلَّت فيه المرأةُ مجرَّدَ جاريةٍ أو زوجة. . أو كأيٍّ كَمٍّ مهمَل.

٢ ـ إن هناك مَن يحاولُ الربطَ بين المستوىٰ الدينيِّ للمرأة وبين ما تَرتديه. . في حين أن ذلك غيرُ صحيح علىٰ الإطلاق.

٣ ـ إن الحجابَ إذا كان يُعبِّر عن التزامٍ ديني، إلاَّ أنه زيٌّ. . تبدو له أبعادٌ طائفيةٌ. . لأنه يَفصِلُ بين المصريةِ المسلمة والمصريةِ المسيحية من حيثُ الشكلُ.

٤ ـ إن الدعوةَ للحجابِ تُمثِّل في كثيرٍ من الأحيانِ مدخلاً إلىٰ إبعادِ المرأةِ عن الحياةِ العامَّةِ. . وتقويضِ مشاركتها. . وإرجاعها إلىٰ الوراء.

٥ ـ القولُ بأن الحجابَ فريضةٌ. . هو أمرٌ خطيرٌ جدًّا؛ لأنَّه يُوجدُ خلافٌ عميقٌ حول ذلك. . والقولُ بأنه فريضةٌ قد يَدفعُ إلىٰ عنفٍ وتوترٍ إذا ما رأىٰ فريقٌ من الناس أنه ينبغي تطبيقُ الفريضة»[1] .

□ روزاليوسف في حوارها مع وزير الثقافة المصري: «هل ترىٰ في الفترة المقبلةِ أن الحجابَ كقطعةِ قماشٍ سيكونُ مقدَّسًا مثل عَلَم الدولة لا يجوز الاقترابُ منه؟»[2] .

□ وفي بيانٍ أصدره ١١٣ من الكُتَّابِ والفنَّانين والمثقَّفين قالوا عن حديث فاروق حسني بأنه: «لم يخرج عن كونه مجردَ رأيٍ شخصيٍّ في

---

(١) انظر مقال عبداللّه كمال «الإرهاب بالحجاب» (ص١٢ ـ ١٩) روزاليوسف عدد (٤٠٩٤).

(٢) «روزاليوسف» عدد (٤٠٩٤) (ص٢٧).

قضيةٍ لا تُمثِّلُ جَوهرَ الدينِ وأهدافه»[١] !!.

وعلى نفسِ النهجِ كان بيانُ حِزبِ التجمُّعِ اليساريِّ الخط، والحزبِ الدستوريِّ ويُمثِّله ممدوح قناوي[٢].

◻ وعلى نفس الخط سار محمد مستجاب، ويوسف القعيد الذي قال: «إن الحجابَ يدعو للتفرقة».

◻ ودكتور عبدالأحد جمال الدين ممثل الأغلبية بالبرلمان يقول: «إن الحجابَ قضيةٌ خلافيَّةٌ بين علماءِ الدين»! فثار عليه الأعضاءُ من كافةِ الاتجاهات، خاصةً من داخل الحزبِ الوطني ذاته، وهو ما دعا دكتور سرور إلى إنهاء كلمته[٣].

◻ المكارثيون الجُدد يُعلِنون الحربَ على كلٍّ مَن يتمسَّكُ بالثوابتِ ويُمارسون الإرهابَ الفكري[٤].

◻ حسين فهمي الممثلُ في برنامج (٩٠ دقيقة) على قناة المحور، يُدافعُ عن موقف فاروق حسني ويقول: «إن الفتاةَ المحجَّبَةَ معاقةٌ ذهنيًّا»، ثم يَنفي كلَّ ما قاله في الصحف[٥].

◻ وتقول إقبال بركة: «السؤال الآن أصبح، هل أتحجَّب أم أتنقَّب؟! الخطوةُ خطيرةٌ وتعيدُنا للوراء، وأتوقعُ أن يتفشَّى النقابُ كما النارُ في

(١) «روزاليوسف» عدد (٤٠٩٤) (ص٣٠).
(٢) المصدر السابق (ص٣١، ٣٢).
(٣) جريدة «الأسبوع» - العدد ٥٠٥ (ص٣) - ٦ من ذي القعدة ١٤٢٧هـ - ٢٧/ ١١/ ٢٠٠٦.
(٤) المصدر السابق.
(٥) «الأهرام العربي» عدد (٥٠٥) (ص٥٧) تحت عُنوان «أصداء».

الهشيم؛ لأننا لدينا عقليَّاتٌ هشَّةٌ وفارغةٌ، وتستطيعُ أن تملأَها بما تشاءُ من أفكار».

❑ ثم قالت حين سُئلت: «كيف تَرَيْنَ الفترةَ المقبلةَ في معركةِ الحجاب والنقاب؟.

فأجابت: ما لم يَنتفِضِ المثقَّفُون المصريُّون من سُباتهم العميقِ وما لم يَخلَعوا عنهم رداءَ اللامبالاة والسَّلبية، ستتواصلُ مرحلةُ الإظلامِ في مصر، وانظر ماذا حَدَث في القضيَّةِ الأخيرة.. أين أصدقاءُ فاروق حسني وزيرِ الثقافة الذين كانوا يُحيطون به ليلَ نهارَ إحاطةَ السِّوارِ بالمِعصم، لماذا لم يَهُبُّوا للدفاعِ عنه؟ إنها السلبيةُ في الشخصية المصرية، وأن يُفضِّلوا الابتعادَ عن المشاكل»[1].

❑ «وأضافت ـ إقبال بركة ـ أنها تَشعرُ بحزنٍ عميقٍ عند رؤيتها للشارع المصري المليءِ بالمحجبات، وترىٰ أن دَورَها كمُفكِّرةٍ وكاتبةٍ وصاحبةِ قلمٍ، يُلزِمُها أن تجتهدَ وتحاولَ أن تَصِلَ لأيٍّ حقيقةٍ مؤرِّقةٍ للعقل، فهذا أمرٌ سامٍ لا ينبغي أَن تُلم عليه، وأفادت أنها تَشعرُ بحالةِ رضا مع نفسِها، ومع اللَّهِ تشعرُ أنها سوف تُجازَىٰ خيراً علىٰ ذلك».

والدكتورة الكاتبة نوال السعداوي التي أَعلنت أكثر من مَرَّةٍ عن وجهةِ نظرِها في رفضِ الحجابِ والاستنادِ دائمًا أننا نحيا في مجتمعٍ ذكوريٍّ يريدُ أن يطمسَ النساء[2].

(١) «روز اليوسف» عدد (٤٠٩٤) (ص٤١ ـ ٤٣).

(٢) جريدة «الأسرة العربية» عدد (٢٩٨٥) (ص٤) الاثنين ٢٧ نوفمبر ٢٠٠٦ ـ ٦ من ذي القعدة ١٤٢٧هـ.

◘ وجمال البنا يقول: «بناتُ حسن البنا لم يكنَّ يرتدين الحجابَ أو النقاب»!! فيما نَسَبه إليه عاصم حنفي نقلاً عن حمدي رزق نقلاً عن جمال البنا شقيق الشيخ حسن البنا[١].

◘ وعندما سُئل: هل قضيةُ الحجاب تُعلي من شأنِ العنصريَّة الدينية؟ قال جمال البنا: «بالطبع؛ لأن الحجابَ كان دائمًا مَطلَبًا للرجل في كلِّ الأديان؛ لأنه يدخلُ من باب السيطرةِ على المرأة ليس إلاَّ، وقد تخلَّصت منه كلُّ الأديان السماوية، ما عدا الدينَ الإسلاميَّ الذي كُلَّما تخلَّص منه رجع له مرةً أخرى»[٢].

◘ وعلى نفسِ الخطِّ سارت مديحة يسري التي قالت: «تزوَّجت من قُطْبٍ صوفي[٣]، ورفض أن أرتديَ الحجاب»[٤].

◘ وسارت على نفس الخطِّ سكينة فؤاد، وفريدة الشوباشي، وإنعام محمد علي المخرجة، وسلمى الشماع، وهالة حشيش رئيس قناة النيل للأخبار، وسمية الألفي تؤمن بحجابِ الأخلاق!! والمستشار سعيد العشماوي ـ وما أدراك ما العشماوي ـ! اقرأ له مقالة «الحجاب فريضة سياسية» بروزاليوسف عدد (٤٠٩٤) (ص٦٢ ـ ٦٤)، وارجع إلى كتابَيْه «حقيقة الحجاب وحُجِّيَّة الحديث»، ومقال «وفاء حلمي» في «العربي» العدد (١٠٣٤) (ص١٤).

---

(١) «روز اليوسف» عدد (٤٠٩٤) (ص٧١).

(٢) المصدر السابق (ص٤٥).

(٣) تعني الشيخ إبراهيم شيخ الحامدية الشاذلية.

(٤) «روز اليوسف» عدد (٤٠٩٤).

▫ وممن تولَّىٰ كِبْرَ هذا التجرُّؤ علىٰ ثوابتِ هذا الدين والدعوةِ إلىٰ التبرج ومناصرته جريدة «الفجر» في العدد (٧٧) الصادر في يوم الإثنين ٢٧/ ١١/ ٢٠٠٦م وقولهم: «تقرير شارك فيه محرِّرو الفجر ووافقوا عليه»، وظهرت العناوينُ الوقحةُ التي تدلُّ علىٰ سُوءِ طَوِيَّةِ مَن قالوها ومرضِ قلوبهم ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠]، وانظر إلىٰ بعضِ هذه العناوين:

ـ وزير مجلس الشعب السابق[١] يقول: «إن البنتَ التي تحترمُ دينَها تتَّجهُ للحجاب»، و«الأهالي» تسألُ سوزان مبارك عن رأيها فيما قال ورجمه المحصنات؟[٢].

ـ زكريا عزمي يقول: «نصف نساء الوزراء محجَّبات والناسُ تسأل: ولماذا لا يتحجَّبُ النصف الآخر؟.. بل ولماذا لا تتحجَّبُ السيدةُ الأولىٰ ومَن حولها؟»[٣].

ـ «لو كان رمزًا للفضيلة لدَعَوْنا الرجالَ إليه أيضًا.. الرذيلة تحت الحجاب» مقال لمحمد الباز بنفس الجريدة (ص٤).

ـ ومقال عادل حمودة ـ وما أدراك ما عادل حمودة ـ: «الحجاب ليس دليلاً علىٰ الفضيلة.. أحيانًا»! (ص٥).

ـ ومرةً أخرىٰ يقول جمال البنا: «إن شقيقَه حسن البنا لم يكن يهتمُّ

---

(١) يعنون: كمال الشاذلي.

(٢) جريدة «الفجر» العدد (٧٧) مقال «النظام يركع للإخوان».

(٣) المصدر السابق (ص٣).

كثيراً بمشكلةِ الحجاب وغطاء الرأس؛ لأن الأمور كانت طبيعية على الفطرة. فقال له المحرر عبدالحافظ سعد: وهل أَمَرَ حسن البنا بناته بالحجاب وغطاءِ الرأس أو طلبه منهن؟ قال: مطلقًا الإمامُ حسن البنا لم يَطلُبْ من بناته أن يتحجَّبن، وكان يتركُهنَّ على حريتهنَّ؛ لأنَّه علَّمهنَّ صحيحَ الإسلام».

□ ويُضيف البنا: «إن بعضَ بناتِ العائلةِ لم تَرْتَدِ أيَّةُ واحدةٍ منهنَّ الحجابَ، وكان هذا أمرًا عاديًا للغاية».

□ وقبلها قال: «الحجابُ ليس فرضًا إسلاميًّا»[1].

ـ ومقالٌ آخر لمنال لاشين: «الفاسدون يدافعون عن الحجاب» (ص٧)، ومقال أكرام القصاص في نفس الصفحة.

ـ والمقالُ الفاجرُ الساخرُ لوائل عبدالفتاح ـ عامله اللَّهُ بما يستحقُّ ـ: «إعلانُ الدولة الدينية.. الحزبُ الوطني الديمقراطي يقدِّمُ مسرحيةَ الموسم: «إحنا بتوع الحجاب».. وقال فيه: «هل الحجابُ هو بديل «الميني جيب»؟ ليس صحيحًا بالطبع.. كما أنه ليس الفرضَ السادس في الإسلام.. إنه اختيارٌ شخصيٌّ.. والمشكلةُ ليست فيه أو في الموديل الذي تختارُه امرأةٌ من موديلاته الحديثة لكن في أن يكونَ الموديل الوحيد.. أن يكونَ علاقةَ الإيمانِ الوحيدة، علاقةَ الفصل العنصريِّ بين المسلمين والمسيحيين..»[2].

---

(١) جريدة «الفجر» ـ العدد (٧٧) (ص٦).

(٢) انظر هذا المقال القبيح للجاهل وائل عبدالفتاح ـ جريدة «الفجر» عدد ٧٧ (ص٩).

ـ ومقال «الدنيا تحت النقاب . . رجل وامرأة وخطيئة» ليسرا زهران (ص٨) .

ـ ومقال نبيل عمر : «برلمان الغيبوبة والعودةِ إلى الوراء» (ص٩) .

ـ ومقال إبراهيم خليل «اليوم ذُبح فاروق وغدًا مصر» (ص١٠) .

ـ وممدوح البلتاجي وزير الإعلام السابق يقول : «يجبُ ألا نتوقَّف عند مسائلَ شكليةٍ كالحجاب ، ولكننا نُحذِّرُ من وقوعِ فتنٍ طائفيةٍ في مصر»[1] .

ـ وكلام إسماعيل منتصر في مجلة «أكتوبر» : «حجاب فاروق حسني مسرحية رديئة . . لعب فيها الجميعُ أسوأَ أدوارِهم بلا استثناء»[2] .

✍ هكذا قال دعاةُ التغريبِ والسفور والتبرُّج . . وحسابُهم على اللَّه .

✍ ونقول لهم : «هذه دناءةٌ وسقوطٌ وتبذُّلٌ وسُعارٌ ونزوات ، ووقاحةٌ وخلاعةٌ وخِزيٌ وعار ، وإنكارٌ للمعلوم من الدين بالضرورة» .

✍ ونقول : لو كان العارُ والتبرُّج في بئرٍ عميقةٍ لَقَلَبها الشيطانُ مئذنةً ووقف يؤذِّنُ عليها . . ليس أفظعُ من الزلزلةِ المرتجة تشقُّ الأرض إلاَّ تبرج المرأة .

إذا خرجت المرأة من حدودِ دينها وشريعتها وتبرَّجت ، فلا يبقى منها إلاَّ أنثى مجردةٌ تجريدَها الحيوانيَّ المتكشِّف .

وهي حين تُطالع مرآتَها لتتبرَّج وتخرجَ في زينتها ، تنظر إلى خيالها في المرآةِ بأهواءِ الرجال لا بعَينِ نفسِها .

---

(١) جريدة «الفجر» (ص٩) نقلاً عن ندوة «شركاء التنمية» .

(٢) مجلة «أكتوبر» العدد (١٥٧٠) (ص٤ ـ ٥) .

لا تنظرُ المتبرجةُ ـ حين تتبرجُ ـ في مرآتها إلاَّ ابتغاءَ أن تتعهَّدَ من جمالها ومن جسمِها مواقعَ نظراتِ الفجور وأسبابِ الفتنة، وما يَستهوي الرجلَ وما يُفسدُ العفَّةَ عليه، فكأن المتبرجةَ وخيالَها في المرآة رجلٌ فاسقٌ ينظرُ إلى امرأة، لا امرأة تنظر إلى نفسها، قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦].

لقد كان العُرْيُ وتكشُّفُ السوآت، والخَصفُ من ورق الجنة ثمرةً لمعصية اللَّه، وفي مواجهةِ مشهدِ العُري الذي أَعقب خطيئةَ آدم، ومواجهةِ العري الذي كان يزاولُه المشركون في الجاهلية، يذكر السياقُ في هذا النداء نعمةَ اللَّهِ على البشر، وقد علَّمهم ويَسَّر لهم، وشَرَع لهم اللباسَ الذي يَسترُ العوراتِ المكشوفة، ثم يكون زينةً بهذا السِّترِ وجمالاً، بدل قُبحِ العُريِ وشناعته.

والللباس: قد يُطلَقُ على ما يُواري السوأة، وهو اللباس الداخلي.

والرياش: قد يُطلَقُ على ما يسترُ الجسمَ كلَّه ويَتجمَّلُ به، وهو ظاهرُ الثياب، كما قد يُطلق «الرياش» على العيش الرغد، والنعمةِ والمال، وهي كلُّها معانٍ متداخلةٌ متلازمة.

* قال تعالى: ممتنًّا على عباده باللباس والزينة: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١].

* وقال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ..﴾

[الأعراف: ٢٦]. الآية؛ فهناك تلازمٌ بين شرعِ اللَّهِ اللباسَ لستر العورات والزينة، وبين التقوىٰ، كلاهما لباسٌ، هذا يَسترِ عورات القلبِ ويُزيِّنه، وذاك يَستُر عوراتِ الجسمِ ويُزيِّنه، وهما متلازمان، فعن شعورِ التقوىٰ للَّه والحياءِ منه يَنبثقُ الشعورُ باستقباحِ عُريِ الجسدِ والحياءِ منه، ومَن لا يَسْتَحِ من اللَّه ولا يَتَّقِه، لا يُهِمُّه أن يتعرَّىٰ وأن يدعوَ إلىٰ العُرْي. . العريِ من الحياء والتقوىٰ، والعريِ من اللباس وكشف السوأة!.

إن سَترَ الجسدِ حياءً ليس مجردَ اصطلاحٍ وعُرفٍ بيئيٍّ، كما تزعمُ الأبواقُ المُسَلَّطةُ علىٰ حياءِ الناس وعفَّتهم لتدميرِ إنسانيتهم، وفِقَ الخُطَّةِ اليهوديةِ البشعةِ لتي أعلنتها مُقرَّراتُ حُكماءِ صهيون، إنما هي فطرةٌ خَلَقها اللَّهُ في الإنسان، ثم هي شريعةٌ أنزلها اللَّه للبشر، وأقدَرَهم علىٰ تنفيذها بما سَخَّر لهم في الأرض مِن مُقدَّراتٍ وأرزاق، واللَّهُ يُذكِّرُ بني آدمَ بنعمتهِ عليهم في تشريعِ اللباس والسِّتر؛ صيانةً لإنسانيتهم من أن تتدهورَ إلىٰ عُرفِ البهائم، وفي تمكينِهم منه بما يسَّر لهم من الوسائل، ﴿**لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾ [الأعراف: ٢٦].

*** إنَّ التبرج كبيرةٌ مُهْلكة:**

● جاءت أُميمةُ بنتُ رُقَيْقَةَ إلىٰ رسول اللَّه ﷺ تُبايعُه علىٰ الإسلام، فقال: «**أُبايعُكِ على أنْ لا تُشركي باللَّه، ولا تَسرِقي، ولا تَزني، ولا تَقتُلي ولَدَكِ، ولا تأتي ببهتان تَفترِينَهُ بين يديكِ ورجْلَيكِ، ولا تنوحِي، ولا تتبرَّجي تبرُّجَ الجاهليةِ الأولى**»(١).

(١) صحيح: رواه أحمد والطبراني. . وقال الهيثمي في «المجمع»: «رجاله ثقات». . وصححه الشيخ شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٢/ ١٩٦).

* والتبرجُ يَجلِبُ اللعنَ والطردَ من رحمةِ اللَّه:

● قال رسولُ اللَّه ﷺ: «سيكونُ في آخرِ أُمَّتي نساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ، على رؤُوسِهِنَّ كأسْنِمَةِ البُخْتِ، العَنُوهنَّ فإنهن ملعوناتٌ»(١) .

* والتبرُّجُ من صفاتِ أهلِ النار:

● قال رسولُ اللَّه ﷺ: «صنفانِ من أهلِ النار لم أَرَهُمَا: قومٌ معهم سِياطٌ كأذنابِ البَقَرِ يَضرِبون بها الناس، ونساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ، مُميلاتٌ مائلاتٌ، رؤوسُهنَّ كأسنمةِ البُختِ المائلة، لا يَدْخُلْنَ الجنةَ، ولا يَجِدْنَ رِيحَها، وإنَّ ريحَها ليُوجَدُ من مَسيرةِ كذا وكذا»(٢) .

* التبرُّجُ نفاق:

● فقد قال رسولُ اللَّه ﷺ: «خيرُ نسائكم الودودُ الولودُ، المواتيةُ المواسية، إذا اتَّقَيْنَ اللَّهَ، وشَرُّ نسائكم المتبرِّجاتُ، المتخيِّلاتُ، وهُنَّ المنافقاتُ، لا يدخلُ الجنةَ منهنَّ إلاَّ مِثلُ الغرابِ الأعصم»(٣) .

والغرابُ الأعصم: هو أحمرُ المِنقارِ والرِّجلَيْن، وهو كنايةٌ عن قِلَّةِ مَن يدخلُ الجنةَ من النساء؛ لأن هذا الوصفَ في الغِربانِ قليل.

* والتبرجُ تهتُّكٌ وفضيحة:

● قال رسولُ اللَّه ﷺ: «أيُّما امرأةٍ وَضعت ثيابَها في غيرِ بيتِ زوجِها

---

(١) صحيح: انظر «الصحيحة» (٢٦٨٣) . . والبخت نوع من الإبل.

(٢) رواه مسلم.

(٣) صحيح: رواه البيهقي في «الكبرىٰ»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٣٣٠).

فقد هتكت سِتْرَ ما بينها وبين اللَّه عزَّ وَجَلَّ»(١) .

* والتبرجُ فاحشةٌ ومقتٌ، فالمرأةُ عورة، والشيطانُ يأمرُ بهذه الفاحشة. . قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

* والتبرجُ سنَّةٌ إبليسية؛ فقصةُ آدمَ وحوَّاءَ مع إبليس تكشِفُ لنا مَدَىٰ حِرصِ إبليس علىٰ كشف السوءات، وهتك الأستار، وإشاعة الفاحشة، وأن التهتكَ والتبرُّجَ هدفٌ أساسي له، قال اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا﴾ [الأعراف: ٢٧].

فإبليسُ إذن هو مؤسِّسُ دعوةِ التبرج والتكشف، هو زعيمُ زعماءِ ما يُسمىٰ بتحرير المرأة، وهو إمامُ هؤلاء المتبرجات الداعياتِ إلىٰ التبرج عدوَّاتِ رسولِ اللَّه ﷺ: صفية زغلول، وهدىٰ شعراوي، ودريَّة شفيق، وسيزا نبراوي. . والكشفُ طويل. . في مقدمته قاسم أمين.

والتبرجُ طريقةٌ يهودية، واليهودُ هم أصحابُ الباعِ الأكبرِ في التبرج.

● قال رسول اللَّه ﷺ: «فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أولَ فتنةِ بني

---

(١) صحيح: رواه أحمد والأربعة إلاَّ النسائي. . وحسَّنه العلامة شعيب الأرنؤوط في «المسند» (٦/ ٤١).

إسرائيل كانت في النساء»[١] . . »[٢] .

إنَّ الذين يُريدون تعريةَ المرأة من حِجابها ونقابها، يريدون تعريتَها من تقواها، وحيائها، بل وتعريتَها من دينها.

وهؤلاءِ لابدَّ أن يُعرِّيَهم ويفضحَهم كلُّ صادق، حتىٰ يعلمَ كلُّ غافلٍ أن هؤلاء المسوخين المشوَّهين، ما هم إلاَّ صبيانٌ لإباحيةِ الغرب، وأقزامٌ تُرمرِمُ من فُتاتِ مدرسةِ العُرْيِ الصليبية، وتشربُ من كؤوسهم حتَّىٰ الثمالة، يَنعِقُ هنا الأقزام، وتتصدَّىٰ دولةٌ صليبيةٌ كبرىٰ لفتاةٍ مسلمةٍ تريدُ ارتداءَ الحجاب، وتمنعُها من دخولِ المدرسة، دولةٌ صليبية كفرنسا ترتعشُ من حجاب امرأةٍ ارتدته لباسًا وريشًا؛ تعبيراً عن لباس التقوىٰ لباطنها. .

قَمَــــرٌ تَوَشَّـــحَ بالسَّـــحَــابْ
غَبَشٌ تَوَغَّـــلَ حَالمًا بِفِجَــاجٍ غَابْ
فَجْـــرٌ تَحَمَّـــمَ بِالنَّدَى
وَأَطَلَّ مِنْ خَلْفِ الْهِضَــابْ
الْــوَرْدُ فِي أَكْمَــامِــــه
أَلَــقُ اللآلئ في الصَّـدَفْ
سُــرُجٌ تُرَفْرِفُ فِي السُّـدَفْ
ضَحِكَاتُ أَشْرِعَةٍ يُؤَرِّجُـهَا الْعُبَــابْ

(١) رواه مسلم.
(٢) انظر «الحجاب لماذا؟» لشيخنا محمد إسماعيل المقدم ـ طبع دار ابن الجوزي.

وَمَـرَافِـئُ بـيـضَـاءُ
تَنْبُضُ بالنَّقَاءِ الْعَذْبِ مِنْ خَلَلِ الضَّبَابْ
مِنْ أَيِّ سِحْرٍ جِئْتِ أَيَّتُهَا الْجَمِيلَةْ؟
مِنْ أَيِّ بَـارِقَـةٍ نَبِـيـلَـةْ
هَطَلَتْ رُؤَاكِ عَلَى الْخَمِيلَةِ فَانْتَشَى عِطْرُ الْخَمِيلَةْ؟
مِنْ أَيِّ أُفُقٍ ذَلِكَ الْبَرْدُ الْمُتَوَّجُ بِاللَّهِيبِ
وَهَـذِهِ الشَّـمْسُ الظَّـلِـيـلَـةْ؟
مِنْ أَيِّ نَبْعٍ غَافِلِ الشَّفَتَيْنِ تَنْدَلِعُ الْوُرُودُ؟
مِـنَ الْفَـضِـيـلَـةْ
هِيَ مُمْكِنَاتٌ مُسْتَحِيلَةْ
قَمَرٌ عَلَى وَجْـهِ الْمِيَـاه
يَلُمُّهُ الْعُشْبُ الضَّئِيـل
وَلَيْسَ تُدْرِكُـهُ الْقِبَـابْ
قَمَـرٌ عَلَى وَجْـهِ الْمِيَاه
سُـكُونُـهُ فِي الاضْطِرَابِ
وَبُعْـدُهُ فِي الاقْتِـرَابْ
عَيْبٌ يَمُـدُّ حُضُـورَهُ وَسْطَ الْغِيَابْ
وَطَنٌ يَلُمُّ شَـتَاتَهُ فِي الاغْتِـرَابْ
رَوْحٌ مُجَنَّحَـةٌ بِأَعْمَـاقِ التُّرَابْ

وَهِيَ الْحَضَــارَةُ كُلُّـــهَا
تَنَسَــلُ مِنْ رَحِم الْخَرَابْ
وَتَــقُــومُ سَــافِــرَةً
لِتَخْتَزِلَ الدُّنَــا فِي كَلِمَتَيْنِ
(أَنَــا النِّــقَــابْ)
الْحُسْنُ أَسْـفَرَ بِالْحِجَـابْ
فَمَـا لَهَـا حُجَبُ النُّفُــورْ
نَزَلَتْ عَلَى وَجْه السُّفُورْ وَاهًــا.....
أَرَائِحَــــةُ الــزُّهُــور
تَضِيــرُ عَاصِمَةَ الْعُطُــورْ؟
أَتَعِفُّ عَنْ رَشْف النَّــدَى شَفَةُ الْبُكُورْ
أَيَضِيقُ دَوْحٌ بِالطُّيُــورْ؟
يَــــا لِلْغَـــرَابَـــــة
لا غَـــرَابَــــــــةْ
أَنَــا بَسْمَةٌ ضَاقَتْ بِفَرْحَتِهَا الْكَآبَــةْ
أَنَــا نَغْمَــةٌ جَرَحَتْ خُدُودَ الصَّمْتِ
وَازْدَرَتِ الرَّتَـــابَــةْ
أَنَــا وَقْــدَةٌ مَحَتِ الْجَلِيــدَ
وَعَبَّأَتْ بِالرُّعْبِ أَفْئِــدَةَ الذِّئَابْ

أَنَا عِفَّةٌ وَطَهَارَةٌ بَيْنَ الْكِلَابْ
الشَّمْسُ حَائِرَةٌ
يَدُورُ شِرَاعُهَا وَسْطَ الظَّلَامِ
بِغَيْرِ مَرْسَى
اللَّيْلُ جَنَّ بِأُفْقِهَا وَالصُّبْحُ أَمْسَى
وَالْوَرْدَةُ الْفَيْحَاءُ تَصْفَعُهَا الرِّيَاحُ
وَيَحْتَوِيهَا السَّيْلُ دَوْسَا
وَالْحَانَةُ السَّكْرَى تُصَارِعُ يَقْظَتِي
وَتَصُبُّ لِي أَلَمًا وَيَأْسَا
سَأُغَادِرُ الْمَبْغَى الْكَبِيرَ وَلَسْتُ آسَى
أَنَا لَسْتُ غَانِيَةً وَكَأْسَا
نَعْلَاكِ أَوْسَعُ مِنْ فَرَنسَا
نَعْلَاكِ أَطْهَرُ مِنْ فَرَنْسَا كُلِّهَا
جَسَدًا وَنَفْسَا
نَعْلَاكِ أَجْمَلُ مِنْ مَبَادِئِ ثَوْرَةٍ
ذُكِرَتْ لِتُنْسَى
مُدِّي جُذُورَكِ فِي جُذُورِكِ
وَاتْرُكِي أَنْ تَتْرُكِيهَا
قِرِّي بِمَمْلَكَةِ الْوَقَارِ

وَسَـــفِّهِي المَلِك السَّـــفيها

هي حرَّةٌ ما دامَ صوتك مِـــلءَ فيهَا

وَجَمِيـــلَةٌ مَا دُمْت فيهَا

هِيَ مَا لَهَا مِنْ مَالِهَا شَيء

ســـوَى (سيدا) بَنِيـــها

هِيَ كُلُّهَا ميرَاثُك الْمَسْرُوقُ

أَسْـــفَلْتُ الدُّرُوب

حجـــارَةُ الشُّرُفَات

أَوْعِيَـــةُ الْمَعَاصِـــرْ

النِّفْـــطُ زَيْتُ الْعِطْـــرِ

مَسْـــحُوقُ الغَسِـــيلِ

صَفَائِـــحُ الْعَرَبَات

أَصْبَـــاغُ الأَظَافِـــرِ

خَشَبُ الأَسِـــرَّة

زِئْبَـــقُ الْمِـرْآة

أَقْمشَـــةُ السَّـــتَائِرِ

غَـــازُ المَـدَافِـــئِ

مَـعْـدَنُ الشَّـفَـرات

أَضْـــوَاءُ الْمَتَـــاجِـرِ

وَسِوَاهُ مِنْ خَيرٍ يَسِيلُ بِغَيرِ آخِــرِ
هِيَ كُلُّهَا أَمْلاكُ جَدِّكِ
فِي مرَاكِــــشَ
أَوْ دِمَشْــــقَ
أَوْ الْجَــزَائِــرَ
هِيَ كُلُّهَـــا مِيرَاثُكِ المغصُوبُ
فَاغْتَصِبِي كُنُوزَ الاغتصَابِ
زَادَ الْحِسَابُ عَلَى الْحِسَابِ
وآنَ تَسْدِيدُ الْحِسَــابِ
فَإِذَا ارْتَضَتْ.. أَهْــلاً
وَإِنْ لَمْ تَرْضَ
فَلْتَرْحَلْ فَرَنْسَا عَنْ فَرَنْسَا
نَــفْــسِــهَــا
إن كانَ يُزْعِجُهَا الحجابُ(١)

***

(١) قصيدة «الحسن أسفر بالحجاب» نقلاً عن مجلة هاجر ملحق «مجلة المختار الإسلامي لنساء المسلمين» العدد الأول ربيع الأول ١٤١١ هـ (ص١٧).

* قال تعالىٰ: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣١-٣٣].

◘ من عجيبِ ما رُوي من حالِ المشركين الذين خُوطبوا بهذه الآيات أولَ مرةٍ، ووُجِّه إليهم هذا الاستنكارُ الواردُ في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ..﴾: ما رواه الكلبيُّ قال: «لَمَّا لَبِس المسلمون الثيابَ، وطافوا بالبيت، عيَّرهم المشركون بها.. فنزلت الآية».

* فانظر كيف تَصنعُ الجاهليةُ بأهلها، ناسٌ يطوفون ببيتِ اللَّه عرايا، فسدَت فِطرتُهم، وانحرفت عن الفطرةِ السليمة التي يَحكيها القرآنُ الكريم عن آدم وحواء في الجنة: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٢]، فإذا رَأَوُا المسلمين يطوفون بالبيت مَكْسُوِّينَ في زينةِ اللَّه التي أنعم بها علىٰ البشر؛ لإرادته بهم الكرامةَ والسِّتر، ولتنموَ فيهم خصائصُ فِطرتِهم الإنسانية في سلامتها وجمالِها الفِطريِّ، وليتميَّزوا عن العُرْيِ الحيوانيِّ الجِسميِّ والنفسيِّ، إذا رأوا المسلمين يطوفون ببيت اللَّه في زينةِ اللَّه وفِقَ فِطرةِ اللَّه، عيَّروهم!!.

هكذا تصنعُ الجاهليةُ بالناس، هكذا تمسخُ فِطَرَهم، وأذواقَهم، وتصوُّراتِهم، وقِيَمَهم، وموازينَهم، وماذا تصنعُ الجاهليةُ الحاضرةُ بالناس

في هذا الأمر غيرَ الذي فعلته بالناس في جاهلية المشركين العرب، وجاهليةِ المشركين الإغريق، وجاهليةِ المشركين الرومان، وجاهليةِ المشركين الفُرس، وجاهليةِ المشركين في كلِّ زمانٍ وكلِّ مكان؟!.

ماذا تصنعُ الجاهليةُ الحاضرةُ بالناس إلاَّ أن تُعرِّيهم من اللباس، وتُعرِّيهم من التقوىٰ والحياء؟ ثم تدَّعي أنَّ هذا رُقيٌّ وحضارةٌ وتجديد، ثم تُعيِّر الكاسياتِ من الحرائرِ العفيفات المسلمات، بأنهن رجعيات.. تقليديات.. ريفيات.

المَسخُ هو المسخ، والانتكاسُ عن الفطرة هو الانتكاس، وانقلابُ الموازين هو انقلاب الموازين، والتبجُّحُ بعد ذلك هو التبجح، ﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٣].

وما الفَرقُ كذلك في علاقةِ هذا العُريِ، وهذا الانتكاسِ، وهذه البهيميةِ، وهذا التبجُّحِ، بالشرك، وبالأربابِ التي تَشرعُ للناس من دون اللَّه؟.

لئن كان مُشركو العرب قد تلقَّوا في شأنِ ذلك التعرِّي من الأرباب الأرضية، التي تستغلُّ جهالتهم، وتستخفُّ بعقولهم لضمانِ السيادةِ لها في الجزيرة؛ فإنَّ مُشركي اليوم ومشركاتهِ يتلقَّون في هذا عن الأربابِ الأرضيةِ كذلك، ولا يَملِكون لأمرهم ردًّا.

❑ إنَّ بيوتَ الأزياءِ ومُصمِّميها وأساتذةَ التجميل ودكاكينَها، لهي الأربابُ التي تَكمُنُ وراءَ هذ الخَبَلِ الذي لا تُفيقُ منه نساءُ الجاهليةِ الحاضرة، ولا رجالُها كذلك.

❑ إن هذه الأربابَ تُصدِرُ أوامرَها، فتُطيعُها القُطعانُ والبهائمُ العاريةُ في أرجاءِ الأرض طاعةً مزريةً صاغرةً، تُطيعُ تلك الأرباب، وإلاَّ عُيِّرت من بقية البهائم المغلوبة على أمرها.

❑ ومَن الذي يَقْبَعُ وراءَ بيوتِ الأزياء، ووراءَ دكاكينِ التجميل، ووراءَ سُعارِ العُريِ والتكشُّف، ووراء الأفلام، والروايات، والمجلات، والصحف التي تقودُ هذه الحملةَ المسعورة؟ الذي يَقبَعُ وراءَ هذه الأجهزة كلِّها يهود؛ يهودُ يقومون بخصائصِ الربوبية على البهائمِ المغلوبة على أمرها.

❑ إن قضيةَ اللباس ليست مُنفصلةً عن شرع اللَّه ومنهجِه للحياة، ومِن ثَمَّ ذلك الربطُ بينها وبين قضية الإيمان والشركِ في السياق.

❑ إنها ترتبطُ بالعقيدة والشريعة بأسباب شتى.

❑ إنها تتعلَّقُ قبلَ كلِّ شيءٍ بالربوبية، وتحديدِ الجهة التي تَشرعُ للناس في هذه الأمور، ذاتِ التأثير العميق في الأخلاق والاقتصادِ وشتى جوانبِ الحياة، كذلك تتعلقُ بإبرازِ خصائصِ الإنسانِ في الجنس البشري.

❑ وبعد ذلك عندنا جاهليون يقولون: «ما للدين والزيِّ؟ ما للدين وملابسِ النساء؟ ما للدين والتجميل؟»! إنه المَسخُ الذي يُصيبُ الناسَ في الجاهلية في كلِّ زمان، وفي كل مكان!!.

❑ ولأن هذه القضيةَ التي تبدو فرعيةً، لها كلُّ هذه الأهميةِ في ميزانِ اللَّه، وفي حسابِ الإسلام لارتباطِها أولاً بقضية التوحيد والشرك؛ فإن السياقَ يُعقِّبُ عليها بإيقاعٍ قويٍّ مؤثِّر، يُوقِّعُ به عادةً في مواقفِ العقيدةِ

الكبيرة . . إنه تعقيبٌ بتنبيه بني آدم إلىٰ أن بقاءهم في هذه الأرض محدودٌ مرسوم؛ وإنه إذا جاء الأجل، فلا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون .

❑ يقول سيدنا الشيخ محمد بن إسماعيل المقدم: «التبرج جاهلية مُنْتنة :

* قال تعالىٰ : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

وقد وصف النبيُّ ﷺ دعوىٰ الجاهلية بأنها مُنتنة ، أي : خبيثة ، وأَمَرنا بَنْبذِها ، وقد جاء في صفته ﷺ في التوراة أنه ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

فدعوىٰ الجاهلية شقيقةُ تبرجِ الجاهلية ، كلاهما مُنتِنٌ خبيث ، حَرَّمه علينا رسولُ اللَّه ﷺ ، وقال ﷺ : «كلُّ شيءٍ من أمرِ الجاهلية موضوعٌ تحتَ قَدَمَيَّ»(١) .

سواءٌ في ذلك : تبرجُ الجاهلية ، ودعوىٰ الجاهلية ، وحُكمُ الجاهلية ، وظنُّ الجاهلية ، وحَمِيَّةُ الجاهلية ، وربا الجاهلية .

* التبرج تخلُّفٌ وانحطاط :

إن التَكَشُّفَ والتعرِّيَ فِطرةٌ حيوانيةٌ بهيمية ، لا يَميلُ إليها الإنسانُ إلا وهو يَنحدرُ ويرتكسُ إلىٰ مَرتبةٍ أدنىٰ من مرتبةِ الإنسان الذي كرَّمه اللَّه ، وأنعَمَ عليه بفِطرةِ حُبِّ السِّتْر والصيانة ، وإن رؤيةَ التبرجِ والتهتُّكِ والفضيحةِ جمالاً ما هي إلا فسادٌ في الفطرة ، وانتكاسٌ في الذَّوق ، ومؤشِّرٌ

---

(١) متفق عليه .

على التخلف والانحطاط»[1] .

□ فانظر كيف باء بها الذي تولَّىٰ كِبْرَه، ودعا المرأةَ إلىٰ كشفِ رأسها؛ لأن شَعْرَها كالورود! وانظر كيف مَدَحَه الفرنسيون بقولهم: إنه «أفضلُ وزيرِ ثقافةٍ في العالم، وهو وزيرٌ مستنير يَرُدُّ جحافلَ التخلف»! وتابعه الكثير.. وقد أظهرت هذه الفتنةُ الكثيرَ والكثيراتِ ممن يحبونَ أن تشيعَ الفاحشةُ في الذين آمنوا، تَصيحُ إحدىٰ الممثِّلات بهذا الوزير في مهرجان القاهرة السينمائي عام ٢٠٠٦م مناديةً عليه قائلةً له: «يا كايدهم»!.

رسام كاريكاتوري «مصطفىٰ حسين» - يرسمُ حالَ الناس سنة ٢٠٠٢٨ وقد ظهرت بنتٌ كاشفةً عن بطنها، وفي الرسم يقول صاحبُها لها - أو تقول هي له -: «تصورْ، إنه كان هناك من ٢٢ سنةً فتنةُ أو مشكلةُ الحجاب»، وكأنه يُعرِبُ عن أمله في أن تتبرجَ النساءُ في المستقبل حتي تُصبحَ الدعوة إلىٰ الحجاب وقد ذهبت أدراجَ الرياح، ونقول له: ذلك ظن الجاهلية، ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ [الفتح: ١٢].

* ونقول لهم جميعًا: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٩].

□ نقول للمحجبات[2] والمنتقبات هذه القصيدة «لآلئ الأصداف» (الحجاب):

إليْهَا

تِلْكَ الرَّافِلَةُ في جِلْبَابِهَا الهَادِئِ الفَضْفَاضِ، تُطَاوِلُ السَّمَاءَ رِفْعَةً وسُمُوًّا،

---

(١) «الحجاب لماذا» (ص٢٤ - ٢٥).

(٢) لشقيقي عبدالله بن حسين العفّاني - حفظه الله -.

وتَفُوقُ الجِبَالَ رُسُوخًا وثَبَاتًا، وتُشَابِهُ الطُّيُورَ رِقَّةً، وتُمَاثِلُ الغُيُوثَ طُهْرًا،
تَقْتَفِي أَثَرَ خَدِيجَةَ، وتَسْتَشْرِفُ دَرْبَ فاطِمةَ..

إِلَيْهَا.. أُهْدِي هَذِه الخَاطِرَةَ..

رُوحٌ يُجَنِّحُهَا الهُدَى،
فَتَبُذُّ سَفْسَافَ الضَّلال،
تَطِيرُ تَرْفُلُ فِي الفَضَا،
تَسْمُو..، وتَحْتَضِنُ السَّمَاءَ..،
يُلَثِّمُ الوَجْهَ الرَّبَابْ..
ولآلِئٌ تَأْوِي إِلَى أَصْدَافِهَا،
وتَعِيشُ طُهْرَ الطُّهْرِ بَيْنَ شِغَافِهَا،
مُتَسَتِّرَاتٍ عن ذِئَابِ البَحْرِ،
عَنْ زَبَدٍ يَمُورُ بِهِ العُبَابْ.
وقُلُوبُ نَخْلاتٍ
تَفِيضُ رَهَافَةً..،
وتَذُوبُ مِن فَرْطِ الحَيَاءِ،
تَغُوصُ فِي أَكْمَامِهَا،
وتُطِلُّ مِنْ خَلْفِ الهِضَابْ
وجَدَاوِلٌ تَسْرِي رَوَافِدُ شَهْدِهَا،
مَا بَيْنَ صَفْصَافٍ وغَابْ.

تَنْسَابُ بيْنَ زُهُوره وظلاله،
لِتُنَمِّقَ الجَنَّات في الصَّخْرِ اليبَابْ..
هِيَ أَنْت، يَا أُمَّاهُ،
يَا أُخْتَاهُ، يَا بِنْتَاهُ، يَا...،
هِيَ أَنْت،
يَا كُلَّ النِّسَاء بِأَعْيُنِي،
يَا سِرَّ أَسْرَارِ الحَيَاة بِمُهْجَتِي،
يَا رَبَّةَ الطُّهْرِ العَتِيق بِعَالَمِي،
هِيَ أَنْت،
يَا ذَاتَ الحِجَابْ.

* * *

أَنْت الحَضَارَةُ صَدِّقِينِي،
فَالحَضَارَةُ ـ في حَقِيقَتِهَا ـ العُلا،
فَوْقَ الجُسُومِ وطِينِهَا..،
فَوْقَ النُّفُوسِ وغَيِّهَا..،
وحُشَاشَةُ المَجْدِ الفَلاحْ.
مَاذَا يَعُوقُكِ
إنْ سَمَوْت إِلَى الذُرَا،
في ذَلِكَ الثَّوْبِ الَّذِي،

يَسْمُو..، ويَقْطُرُ عفةً..،

ويَشي بِذَا السَّمْتِ الوَقُورِ..

عَنِ الفَضِيلَةِ والصَّلاحْ؟!

أنَا لَسْتُ أَدْرِي،

كَيْفَ يَرْتَبِط التَّقَدُّمُ عِنْدَنَا،

بتَبَرُّجِ الحُمُرِ الرَّقِيعِ..،

وبالتَّهَتُّك.. بالنُّبَاحْ؟!

أَمْ أَنَّهُمْ يَرْمُونَ عِفَّتَنَا

بِقَيْحِ فُجُورِهِمْ؟!

ويُلَبِّسُونَ عَلَى الوَرَى،

بِالزُّورِ..، بِالدَّجَلِ الرَّخِيصِ..،

وبالصِّيَاحْ؟

فَلْيُخْبِرُونِي،

أَيْنَ كَانَ تَمَدُّنُ العُرْيِ الدَّنِيءِ بِغَرْبِهِمْ؟

أَيَّامَ عِشْنَا الدِّينَ مَلْحَمَةً،

ورَفْرَفَ ـ مِنْ حَضَارَتِنَا ـ

عَلَى الدُّنْيَا جَنَاحْ؟!

وإذَا رَأَوْا في العُرْيِ أَصْلَ حَضَارَةٍ!

فَهَلِ ارْتَقَى عُرْيُ البَهَائِمِ رَبْوَةً؟!

وقَد اعْتَلَتْ،

أَعْلَى ذُرَا العُرْيِ المُبَاحْ؟!

وَالهفَ قَلْبِي،

حِينَ يُصْبِحُ مَجْدُنَا

رَهْنًا بِعَارِيَة وغَانِيَة وراحْ!!!

تَبًّا لمَجْد

نَعْتَليه بعُرْيِنَا،

ونَعُودُ مِنْهُ بعَارِنَا،

بِالعُرْيِ يَلْتَزِمُ السِّفَاحْ!!!

لا تَذْهَلي أُخْتَاهُ،

لا تَتَعَجَّبِي لبِذَائِهِمْ،

فَشِعَارُ أَرْبَابِ الفُسُوقِ تَبَجُّحٌ،

مُذْ كَانَت الدُّنْيَا،

فَمَا رَضَعُوا حَيَاءَ الآيِ،

أَوْ خَفَرَ الصِّحَاحْ.

فِي كُلِّ ثَانيَة

تَتِيهُ بِعُرْيِهَا،

مِنْ قَوْمِ لُوطٍ طُغْمَةٌ،

وتُعَيِّرُ الطُّهْرَ العَفِيفَ بِطُهْرِهِ!

وَتَوَدُّ لَوْ تَنْفِي

مِنَ الدُّنْيَا طَهَارَتَهَا،

وَلَوْ تَئِدُ الصَّبَاحْ!!!

فِي كُلِّ ثَانِيَة

يُعَرْبِدُ أَسْوَدٌ،

وَيُجَاهِرُ الكَذَّابُ يَنْشُرُ زُورَهُ،

وَتُفَاخِرُ الدُّنْيَا - بِسَوْأَتِهَا - سَجَاحْ!!

لا تَحْزَنِي،

هِيَ رِدَّةُ الأَخْلاقِ..،

نَكْسَةُ عَقْلِهَا..،

فِي وَجْهِ طُوفَانِ الجُسُومِ،

وَثَوْرَةِ الشَّهَوَاتِ،

وَالعُهْرِ الصُّرَاحْ!!!

هِيَ جَاهِلِيَّةُ قَرْنِنَا العِشْرِينَ،

تُعْلِنُ عُرْيَهَا،

وَتُسَفِّهُ المُتَطَهِّرِينَ لِطُهْرِهِمْ،

وَهُنَالِكُمْ

مِنْ أَلْفِ عَامٍ «بِنْتُهَا»،

طَافَتْ بِبَيْتِ اللَّهِ عَارِيَةً،

وعَيَّرَت الوِشَاحْ!
فَلْيُخْبِرُونِي
أَيُّنَا رَجْعِيَّةٌ؟!
تَهْفُو إِلَى طَبْعِ البَهَائِم رُوحهُ!
بَلْ أَيُّنَا ارْتَكَسَتْ إِلَى
دَرْكِ البَهَائِم ذَاتُهُ؟!
ومَضَى يُدَنِّسُ كُلَّ سَاحْ!
هِيَ سُنَّةُ الشَّيْطَانِ،
أَسْكَنَهَا شِغَافَ قُلُوبِهِمْ،
فَعَدَوْا بِهَا بَيْنَ الوَرَى،
يَسْتَحْقِرُونَ «جِهَادَهُ» لِجِهَادِهِمْ،
يُحْيُونَ سُنَّةَ غَيِّه،
ويُطَوِّرُونَ فُنُونَهَا،
ويُجَدِّدُونَ لِشَرْعِه،
مَا رَاحَ أَدْرَاجَ الرِّيَاحْ!!!
هِيَ خِسَّةٌ، ونخَاسَةٌ،
يُسبِي الحَرَائِرَ زُورُهَا،
وَيَقُودُهَا
نَحْوَ الشَّوَارِعِ والمَتَاجِرِ كَالدُّمَى،

بَلْ كَالرَّقِيقِ بِعُرْيِهَا وطِلائِهَا،
سِلَعٌ يُبَاعُ عَفَافُهَا،
لَمنِ اشْتَرَى،
ومَنِ اكْتَرَى،
ومَنِ اسْتَبَاحْ!!!

* * *

أُخْتَاهُ
لاتَسْتَيْئِسي،
مِنْ تُرَّهَاتِ هُرَائِهِمْ،
وعُوَائِهِمْ،
فَلَكَمْ تَزِيدُ تَيَقُّظَ الرَّاعِي
عُوَاءَاتُ الذِّئَابْ.
لا تَفْزَعِي لِدُخَانِهِمْ،
فَهُمُ الدُّخَانُ لَمجْمَرٍ،
حِقْدًا تَمَيَّزُ نَارُهُ،
تَحْتَ التُّرَابْ!
لَكِنَّنَا اليَاقُوتُ،
تَصْقُلُهُ مَجَامِرُ نَارِهِمْ،
تَنْفِي الدَّخِيلَ الغَثَّ،

تَسْتَصْفِي مَعَادِنَهُ الصِّلابْ.

لا تَحْزَنِي،

ولْتَفْرَحِي،

فَاللَّهُ نَاصِرُ دِينِه،

أَنَّى ارْتَضَى،

ولْتَفْقَهِي:

لا تُنْجِسُ الأَنْهَارَ أَذْيَالُ الكلابْ،

لا تُنْجِسُ الأَنْهَارَ أَفْوَاهُ الكلابْ(١)

☐ ونقول أخيراً لخير أُمَّةٍ أُخرجت للناس:

يـا أُمَّـةَ الحـقِ والآلامُ مقبلـةٌ ... متى تَعينَ ونـارُ الشـرِّ تَسـتَعِرُ
متى الخـلاصُ وقد طَمَّتْ مُصيبتُنا ... متى النجـاةُ وقـدْ لـمَّتْ بنا العِبَـرُ
متى يعـودُ إلى الإسـلام مسجدُهُ ... متى يـعـودُ إلى مـحرابه عُمَـرُ؟!
أَكُـلَّ يومٍ يُـرى للـدينِ نـازِلَـةٌ ... وأُمَّـةُ الحـقِّ لا سمـعٌ ولا بصرُ؟!

* * *

(١) السبت ٤ من ذي القعدة سنة ١٤٢٧هـ (٢٥/ ١١/ ٢٠٠٦م).

❑ وما أروعَ قولَ القائل:

إنا سَمِعنا أُخْتَنا شيئًا عُجابْ قالوا كلامًا لا يَسُرُّ عن الْحِجابْ
قالوا خيامًا عُلِّقَتْ فوقَ الرِّقَابْ
قالوا ظلامًا حالكًا بين الثيابْ قالوا التأخُّرُ والتخلُّفُ في النِّقابْ
قالوا الرَّشاقةُ والتَّطوُّرُ في غيابْ
نادَوْا بتحرير الفتاة وألَّفُوا فيه الكتاب رَسَموا طريقًا للتبرُّجِ لا يُضيِّعُه الشَّبابْ
يا أُخْتَنا هم ساقِطون إلَى الحضيضِ إلَى التُّرابْ
يا أختنا هم سافِلون بِغيِّهِمْ مثلَ الكلابْ يا أُختنا هذا عُواءُ الحَاقدينَ من الذِّئابْ
يا أختنا هذا نُباحٌ لا يؤثِّرُ في السَّحابْ
يا أختنا صبراً تذوبُ بِبَحرِه كلُّ الصعابْ يا أختنا أنتِ العفيفةُ والمصونةُ بالحجابْ
يا أختنا فيك العزيْمةُ والنَّزاهةُ والثوابْ
فالنارُ مَثوى الظالمين لَهم عقابْ واللَّهُ يكشفُ ظُلْمَهُم يوم الحسابْ
والْجَنة الْمأوَى ويا حُسْنَ الْمَآبْ

* * *

وَهَلْ يَخْفَى القَمَـــرُ؟!

الثنـــاء على رسول الله ﷺ
مِن
أكابـــر مُـفكّـري الغرب

وهل يَخفَى القمر؟!!

لا يستطيعُ أيُّ مُنصِفٍ أن يحجُبَ الحقيقةَ والنور.. ومَن يحاولُ حَجْبَ النورِ فهو كمن يحاولُ بكفِّ طفلٍ صغيرٍ أن يُخفِيَ شُعاعَ الشمسِ أو ضوءَ القمرِ أو إدراجَ الشمسِ في قبرٍ أو كهفٍ من كهوفِ الزمن.. ولقد مَدَح وأثنىٰ علىٰ رسولِ اللَّه ﷺ كثيرٌ من مُفكِّري الغرب، وعَدَلتُ في عنوان هذا الفصل عن تسميته «المنصفون للنبي ﷺ في الغرب».. فإنَّ قولَ بعضِ أهلِ الفكرِ فيه بأنه كان «عبقريًّا، عظيمًا، ما شَهِدت مِثلَه البشرية، أو مُصلِحًا عظيمًا ما جاء مِثْلُه مَدَىٰ الأيام في بلادِ العرب».. هذا ليس إنصافًا، بل حَطًّا من مرتبته، فهو رسولُ اللَّه ﷺ إلىٰ الناس كافةً، وهو خاتَمُ النبيِّين.. وأيُّ إنكارٍ لهذه المرتبةِ والمنزلةِ ليس إنصافًا، فتمامُ الإنصاف الاعترافُ بنبوَّتِه الخاتمةِ والدخولُ في دينه.

● قال رسول اللَّه ﷺ: **«والذي نفسُ محمد بيده، لا يَسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة، لا يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثم يموتُ ولم يُؤمنْ بالذي أُرسِلتُ به، إلاَّ كان من أصحابِ النار»**[1].

وأيُّ ثناءٍ علىٰ الإسلامِ والقرآنِ أذكرُه هنا، فهو ثناءٌ علىٰ رسولِ اللَّه ﷺ، فلا يمكنُ الفَصلُ بين الرسولِ ﷺ، وبين الدينِ العظيمِ الذي جاء به، وبين الكتابِ المُبين والذِّكْرِ الحكيمِ الذي أُنزل عليه.

ولكنْ قبلَ الشروع في بيانِ أقوال هؤلاء؛ لابدَّ من ذِكرِ أصلٍ وقاعدةٍ

---

(١) رواه أحمد ومسلم.

في غاية الأهمية . . وهي أن الإسلامَ ليس بحاجةٍ إلىٰ شهادةِ غيره من أهل المِلَلِ الأخرىٰ، ذلك لأن «الإسلام يعلُو ولا يُعلَى» ـ كما قال الحبيبُ المصطفىٰ ﷺ[1] ـ، وإنما أوردنا شهادتَهم من باب ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [يوسف: ٢٦]، وليكون كلامُهم حجَّةً علىٰ أنفسهم أولاً، ثُم حُجَّةً علىٰ بَنِي قومهم ثانيًا عند اللَّه تبارك وتعالَىٰ غدًا. . وقد كفانا اللَّه سبحانه بإسلامنا العظيم عن شهادة أيِّ مِلَّةٍ ونَهجٍ آخرَ.

* قال سبحانه مُمتنًّا علىٰ عباده: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ونحن ـ بحمد اللَّه ـ نكتفي ونرضَىٰ بما رَضِيَ لنا به ربُّنا العظيمُ جلَّ جلالُه، ولو فَرَضْنا أن الكلماتِ القادمةَ في مدح الإسلام ونبيِّه ﷺ لَم تصدُرْ من هؤلاء، فإن نبيَّنا ﷺ لن ينقُصَ قَدْرُه، ولن يَنْزِلُ ـ قِيْدَ شَعْرةٍ ـ من سُمُوِّه. . وسيظلُّ دينُه ـ رغمَ أنفِ الدنيا كلِّها ـ هو الدينَ الحقَّ المصانَ من التبديل والتحريف. . وسيظلُّ مُحمَّدٌ ﷺ ـ شاء المتكبِّرون أم أبَوْا ـ خاتَمَ الأنبياء والمرسلين، والمبعوثَ بالحقِّ من عند ربِّ العالَمين، وشريعتُه الغرَّاءُ ناسخةً لِجميع الشرائع من قبله. . ومَن زكَّاه اللَّهُ عزَّ وجل لا يَحتاجُ لتزكيةِ مَن فوقَ التراب. . وكيف وهو الشاهدُ علىٰ الأُمِم والرُّسُلِ يومَ القيامة!!.

فذكرُنا لكلام هؤلاء إذن ليس احتجاجًا به، ولا تعظيمًا له، وإنَّما هو زيادةٌ في الحُجَّةِ والبيان. . علىٰ أن مَدحَ هؤلاء له ﷺ مدحٌ ناقص. . إذ لا

---

(١) حسن: رواه الدارقطني (٣/ ٢٥٢) والبيهقي (٦/ ٢٠٥). . وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٧٧٨).

يتمُّ المَدحُ والتعظيمُ إلاَّ بالدخول في دينه والانصياع لأمره.. واللَّه المستعان، وعليه التُّكلان.

وها نحن نَشرعُ في ذكرهم:

*** چورچ بِرنارد شو:**

كاتبٌ ومفكِّرٌ أيرلنديٌّ، وُلد عام ١٨٥٦ في مدينة «كانيا»، وتُوفِّي عام ١٩٥٠، اشتُهر بنقدِه اللاذعِ للمجتمعِ البريطانيِّ، وخاصةً في عصرِ الملكة فكتوريا (تُوِّجت ملكةً عام ١٨٣٧، وتُوفيت عام ١٩٠١)، وقد بلغت الإمبراطوريةُ البريطانيةُ أَوْجَهَا في العصرِ الفِكتوري، كذلك اشتُهر «برنارد شو» بنَقده للغربِ بوجهٍ عام، وقد حَصل على جائزة «نوبل» في الأدب عام ١٩٢٥م.

◻ يقول چورچ برنارد شو: «لقد كنتُ دائمًا أحتفظُ لدينِ محمدٍ عندي بأعلىٰ التقدير، وذلك بسببِ حيويتِه المدهشة، إنه الدينُ الذي يبدو لي أنه يَمتلِكُ القُدرةَ علىٰ استيعابِ تغيُّرِ أطوارِ الحياة، بما يَجعلُه مَحلَّ إعجابٍ لكلِّ العصور.

لقد دَرستُ محمداً ـ ذلك الرجلَ العجيبَ ـ، وفي رأيي أنه أبعدُ ما يكونُ عمن يُسمَّىٰ «ضد المسيح»[١]، ويجبُ أن يُسمَّىٰ: «مُنقذَ الإنسانية».

إني أعتقدُ لو أن شخصًا مِثلَه تولَّىٰ الحُكمَ المُطلَقَ للعالَم المعاصِر، لَنَجَح في حلِّ مشاكله بطريقةٍ تجلِبُ له ما هو في أشدِّ الحاجة إليه من سلامٍ وسعادة.

(١) -He must be called the Savior of Humarity.

لقد تنبَّأتُ بأن دينَ محمدٍ سيكونُ مقبولاً في أوربا الغد، كما أنه بدأ يكونُ مقبولاً في أوربا اليوم»(١) .

□ وله مؤلَّف أسماه «محمد» أحرقته السلطةُ البريطانيةُ . . قال برنارد شو: «إنَّ العالمَ أحوجُ ما يكونُ إلىٰ رجلٍ في تفكير محمد، هذا النبيُّ الذي وَضع دينَه دائمًا موضعَ الاحترامِ والإجلال، فإنه أقوىٰ دينٍ علىٰ هَضمِ جميع المدنيَّات، خالدًا خلودَ الأبد، وإني أرىٰ كثيراً مِن بني قومي قد دخلوا هذا الدينَ علىٰ بيِّنةٍ، وسيجدُ هذا الدينُ مجالَه الفسيحَ في هذه القارة - يعني أوروبا -، وإذا أراد العالَمُ النجاةَ من شروره، فعليه بهذا الدين، إنه دينُ السلام والتعاونِ والعدالةِ في ظلِّ شريعةٍ متمدِّنةٍ محكمة، لم تَنْسَ أمرًا من الدنيا إلاَّ رسمَتْه ووزنته بميزانٍ لا يُخطئُ أبدًا، وقد ألَّفتُ كتابًا في «محمد»، ولكنه صُودِر لخروجه عن تقاليد الإنكليز» .

*** هاملتون جب :**

يُعتبر واحدًا من أكبرِ المستشرقين الإنجليزِ في العصر الحديث، وهو عضوُ المجمعِ العِلميِّ العربيِّ في دمشق ومجمعِ اللغةِ العربيةِ في القاهرة، وهو أستاذُ الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة «هارفارد» الأمريكية، ومن كبارِ محرِّري وناشري «دائرة المعارف الإسلامية» .

□ يقول «هاملتون جب» في كتابه : «الإسلام إلىٰ أين؟» : «لا يزالُ لدىٰ الإسلامِ فَضلٌ آخرُ يبذُله مِن أجل قضيةِ الإنسانية، فهو يَقفُ - علىٰ كلِّ حال - أقربَ إلىٰ الشرقِ أكثَرَ من موقفِ أوربا منه، كما أنه يَمتلكُ تقاليدَ

---

(١) - G. B. Shaw: the Genuine Islam, Vol.I, No. 81938

رائعةً فيما يتعلَّقُ بالتفاهم والتعاونِ بين أجناسِ البشر، فلم يُحرِزْ أيُّ مجتمعٍ آخَرَ - غير إسلامي - مثلَ هذا السِّجِلِّ من النجاح في التوحيدِ بين ذلك القَدْرِ الهائلِ والمتنوِّعِ من الأجناسِ البشريةِ بتحقيق المساواة أمامَ القانون، وتكافؤِ الفُرصِ للجميع.

ولا يزالُ الإسلامُ قادراً على تحقيقِ مُصالحةٍ بين عناصرِ الجِنسِ البشريِّ وتقاليدِها التي تَستعصي على التصالح[1].

وإذا قُدِّر أن يَحِلَّ التعاونُ يوماً ما مَحلَّ التعارضِ القائمِ بين المجتمعاتِ الكبيرة في الشرق والغرب، فإنَّ وساطةَ الإسلامِ تُصبحُ شَرطاً لا غِنَى عنه، إذ يَكمُنُ بين يديه - إلى حدٍّ كبيرٍ - حلُّ المشكلةِ التي تواجِهُ أوربا في علاقتِها بالشرق»[2].

*** مايكل هارت:**

عالمٌ أمريكيٌّ معاصِر، يتمتعُ بسَعَةِ تخصُّصِه في مجالاتٍ علميةٍ متعددةٍ مثل الفَلَك والرياضياتِ والفيزياء، كما أنه مُحامٍ ومؤرِّخٌ من الهُواة، يَعملُ في وكالةِ أبحاثِ الفضاءِ الأمريكية المعروفة اختصاراً باسم: «ناسا».

☐ يقول «مايكل هارت» في كتابه: «المائة: تصنيف لأعظم

---

(١) - If ever the opposition of the great societies of East and West is to replacced by cooperation, the mediation of Islam is an indispensible condition. In its hands Lies very largly the solution of the problem with which Europe is faced in its relation with East.

(٢) - H. Gibb: Whither Islam?, London, 1932, P. 379

الشخصيات أثرًا في التاريخ» ـ وقد وضع محمدًا رسولَ اللَّه على رأس هذه القائمة ـ: «إنَّ اختياري محمدًا ليكونَ على رأسِ القائمة لأعظمِ الشخصيات العالَمية في التاريخ، قد يُدهِشُ بعضَ القُرَّاء، كما أنه قد يكونُ مَحلَّ تساؤلٍ من البعضِ الآخر، لكنَّ محمدًا كان هو الإنسانَ الوحيدَ في التاريخ الذي بَلَغ أعلى درجاتِ النجاحِ على المستويَينِ الدينيِّ والدنيويِّ.

لقد استطاع محمدٌ ـ رغمَ أنه جاء من أصولٍ متواضعة[1] ـ أن يؤسِّسَ وينشرَ واحدةً من أعظمِ دياناتِ العالَم، كما أصبح زعيمًا سياسيًّا ذا تأثيرٍ هائل، واليوم ـ وبعدَ مرورِ ثلاثةَ عشَر قرنًا على وفاته ـ لا يزالُ تأثيرُه قويًّا واسعَ الانتشار.

إن أغلبَ الشخصياتِ المذكورةِ في هذا الكتاب «المئة» تتميَّزُ بأنها وُلدت وتربَّت في مراكزِ الحضارة، ونشأت في أُممٍ عاليةِ الثقافة، أو ذاتِ أهميةٍ عُظمى في السياسة، لكنَّ محمدًا وُلد عام ٥٧٠ في مدينةِ «مكة»، جنوبَ بلادِ العرب التي كانت آنَذاك منطقةً متخلِّفةً بين بلاد العالم، وبعيدةً عن مراكزِ التجارةِ والفنِّ والمعرفة، ولقد أصبح يتيمًا وهو في السادسةِ من عُمره، ونشأ في بيئةٍ متواضعة، وكان أغلبُ العرب آنَذاكَ وثنيِّينَ يَعبدون آلهةً كثيرةً، وعندما بَلَغ محمدٌ الأربعينَ مِن عُمرِه صار مقتنعًا بأن الإلهَ الواحدَ الحقَّ ـ اللَّه ـ يُكلِّمُه، وأنه اختاره لنشرِ الدين الحق، غيرَ أن تلك الجيوشَ العربيةَ الصغيرة ـ وقد وَحَّدها محمدٌ لأولِ مرةٍ في التاريخ، ونَفَخ

(١) بل هو أشرفُ الناس نسبًا ﷺ.

فيها الإيمانَ بالإلهِ الواحدِ الحقِّ رُوحًا جديدة - ما لبثت أن قامت بسلسلةٍ من الفتوحات تُعتبر واحدةً من أكثرها مَدْعاةً للدهشةِ في تاريخ البشرية، وعلى الرغم مِن أن القوةَ العدديةَ للعرب في مَيدانِ المعركةِ لا يُمكنُ أن تكونَ مَحلَّ مقارنةٍ مع القوةِ العدديةِ الهائلةِ لخصومهم، فإنَّ أولئك العربَ المتحمِّسينَ سَرعانَ ما فَتحوا كلَّ بلاد ما بين النَّهرين وسوريا وفلسطين، وفي عام ٦٤٢ كانت مصرُ قد انتُزعت من قبضة الإمبراطورية البيزنطية، بينما تم سَحقُ الجيوشِ الفارسيةِ في المعارك الحاسمة: في «القادسية» عام ٦٣٧، و«نهاوند» عام ٦٤٢.

لكنَّ هذه الفتوحاتِ العظيمةَ - التي تمَّت تحتَ قيادةِ صاحِبَيْ محمدٍ الحميمَينِ وخليفتَيهِ المباشِرَينِ، وهما أبو بكرٍ وعمـرُ بن الخطاب - لم تكن هذه الفتوحاتُ نهايةً لزحفِ العرب، ففي عام ٧١١ اكتَسحت الجيوشُ العربيةُ شَمالَ إفريقيا بالكامل حتى وصلت إلى المحيطِ الأطلسي، ومِن هناك استدارت شَمالاً، فعَبَرت مَضيقَ جبل طارق، ثم سَحقت مملكة «القوط الغربيين» في أسبانيا، ولقد بَدا آنَذاك أنَّ المسلمين على وَشَك أن يَسحقوا أوربا المسيحيةَ بالكامل، ولكنْ أخيراً - وفي عام ٧٣٢ - هَزم الفرنجةُ جيشًا إسلاميًّا كان قد زَحف إلى قلبِ فرنسا، وذلك في معركة «بواتيه» الشهيرة.

وعلى الرغم من ذلك، فإنَّ أولئك البَدْوَ القَبَليِّينَ الذين نَفَخت فيهم كلماتُ النبيِّ رُوحًا جديدةً، قد استطاعوا خلالَ أقلَّ مِن قَرنٍ من الحرب أن يُقيموا إمبراطوريةً تمتدُّ مِن حدودِ الهندِ إلى المحيطِ الأطلسي، وكانت أكبَرَ

الإمبراطوريات التي عَرَفها العالم.

وخلالَ القرونِ المتلاحقة، كان من الطبيعيِّ أن يستمرَّ الدينُ الجديدُ في الانتشار بعيداً فيما وراءَ الحدودِ الأصلية للفتوحاتِ الإسلامية.

ويَعتنقُ هذا الدينَ حاليًا عشراتُ الملايين في إفريقيا وآسيا الوسطى، وأيضًا في باكستان وشمالِ الهند وأندونيسيا، ولقد كان هذا الدينُ الجديدُ عاملاً لتوحيدِ أندونيسيا.

ونظرًا لأن عددَ المسيحيين في العالَم يُقدَّرُ تقريبًا بضِعفِ عددِ المسلمين، فقد يَبدو غريبًا أنْ يُوضَعَ محمدٌ في القائمةِ قبل عيسى، لكنْ هناك سببانِ رئيسانِ لهذا القرار:

أولهما: أن محمداً لَعِب دوراً هامًّا أبعَدَ أثرًا في نَشرِ الإسلام وبيانِه أكثَرَ مما فعله عيسى في المسيحية، فعلى الرغم من أن عيسى كان مسؤولاً عن المبادئِ الأساسيةِ للسلوك والتعاليم الأخلاقية في المسيحية، فإنَّ القديسَ «بولس» كان هو المسؤول عن وضعِ قواعدِ اللاهوت المسيحي، وناشرَ المسيحيةِ الأول، ومؤلِّفَ الجزءِ الأكبرِ من أسفارِ العهد الجديد.

أما محمدٌ، فقد كان هو المسؤولَ عن وضعِ قواعدِ الإسلام والمبادئِ الأساسيةِ والتعاليمِ الأخلاقية، وبجانبِ هذا، فقد لَعِب الدورَ الرئيسيَّ في نشرِ العقيدةِ الجديدةِ وترسيخِ الممارسةِ الدينيةِ للإسلام، والقرآنُ يُمثِّلُ كلماتِه بالضبط إلى حدٍّ بعيد، على حينِ أنه لم يَبْقَ لنا مِثلُ هذا التصنيفِ التفصيليِّ لكلماتِ المسيح وتعاليمه.

وربَّما كان التأثير النِّسبيُّ لمحمدٍ على الإسلام أكبرَ من التأثيرِ المشتركِ

ليسوعَ المسيح والقديس بُولس علىٰ المسيحية، وعلىٰ المستوىٰ الدينيِّ الخالص، يُمكن أن يكونَ تأثيرُ محمدٍ في تاريخِ الإنسانية مِثلَ تأثيرِ عيسىٰ ـ وأكثر من هذا ـ.

وعلىٰ العكس من عيسىٰ، فإن محمداً كان زعيمًا دنيويًّا كما كان زعيمًا دينيًّا، وفي حقيقةِ الأمر وبصفته القوةَ المحرِّكةَ للفتوحات العربية، يمكنُه أن يكونَ أكثرَ الزعماءِ السياسيين تأثيراً عَبْرَ كلِّ العصور، وقد يمكنُ القولُ: إن كثيراً من الأحداثِ التاريخيةِ الهامةِ كان محتَّمًا وقوعُها حتىٰ دونَ وجودِ الزعيمِ السياسيِّ المعيَّن الذي وَجَّهها، ولكنْ مِثلُ هذا القولِ لا يُمكنُ أن يَنطبقَ علىٰ الفتوحاتِ العربية، فلم يَحدُثْ مِثلُ ذلك قبلَ محمدٍ، ولا يُوجد سببٌ يدعو للاعتقادِ بأن تلك الفتوحاتِ كان يُمكنُ حدوثُها دونَ محمد.

إن الفتوحاتِ الوحيدةَ في تاريخِ البشرية ـ والتي يمكنُ مقارنتُها بالفتوحاتِ العربية ـ، هي فتوحاتُ «المغول» في القرنِ الثالثَ عشَر، والتي يَرجعُ الفضلُ فيها إلىٰ تأثيرِ «چنكيزخان»، لكنَّ فتوحاتِ المغول ـ رغمَ امتدادِها أكثَرَ من الفتوحاتِ العربية ـ لم يُكتب لها الدوام، ويحتلُّ المغولُ اليومَ نفسَ المساحةِ التي كانوا فيها قَبلَ عصرِ «چنكيزخان».

إنَّ هذا يختلفُ تمامًا عمَّا حَدَث للفتوحات العربية، إذ تمتدُّ من العراق إلىٰ المغربِ سلسلةٌ متَّصِلةٌ من الأمم العربية، لم تتَّحِدْ فقط في إيمانِها بالإسلام، ولكنْ وَحَّدها أيضًا لُغتُها العربيةُ وتاريخُها وثقافتها، وفوق ذلك، نرىٰ أن الفتوحاتِ العربيةَ التي حَدَثت في القرنِ السابع، لا تزالُ

تلعبُ دوراً هاماً في تاريخِ البشرية حتى اليوم[١] .

وبسبب هذا الجَمْعِ الذي لا نَظيرَ له بين الدين والدنيا، أرى أن محمداً من حقِّه أن يُعتبَرَ أعظمَ الشخصياتِ البارزةِ أثراً في تاريخ الإنسانية»[٢] .

* برنارد لويس:

وُلد عام ١٩١٦، وحَصل على الدكتوراة من جامعة «لندن» عام ١٩٣٩م، وهو أستاذُ دراساتِ الشرقِ الأدنى بجامعةِ «برنستون»، وأستاذٌ زائر في كاليفورنيا وكولومبيا وإنديانا، وعُضوُ شرفٍ في الجمعية التاريخية التركية، وعضوُ الجمعيةِ الفلسفيةِ الأمريكية والمعهدِ المَلَكيِّ للشؤون الدولية، وعددٍ آخَرَ من الجمعيات العلمية العالمية.

☐ كَتَب «برنارد لويس» عن الإسلام يقول: «أرسَلَ اللَّهُ المَلَكَ جبريلَ ليُمليَ القرآنَ على محمد، وبهذا يُكمِلُ القرآنُ سلسلةَ الوَحْيِ التي سَبَقت إلى أنبياءِ اليهودِ وإلى عيسى، ومِن ثَمَّ يكونُ محمدٌ أعظمَ الأنبياءِ وخاتَمَهم، ويكونُ القرآنُ هو «الكتابَ» الأخيرَ والتعبيرَ الكاملَ عن إرادةِ اللَّهِ فيما يتعلَّقُ بحياة الناس.

إنَّ المسيحيةَ في إخلاصِها إلى «إنسان ـ إله» إنما تُلهِمُ مُثُلاً عُلْيا دنيويةً،

(١) It is this umparalled combination of secular and religious influence which I feel entitles Muhammad to be considered the most influential single figure in human history.

(٢) M. Hart: the 100: A Ranking of the Most influential persons in History, pp. 33-40

بينما الإسلامُ في إخلاصِه للقرآن، إنما هو حضارةٌ، إذ لا يُمكنُ فَصلُ محتواه الدينيِّ عن تنظيمِ حياةِ البشر، ذلك التنظيمُ الذي كان يُوضَعُ مَوْضعَ التنفيذِ فوراً بمجرد التنزيل.

لقد كان «قيصر» هو إلهَ روما الإمبراطورية، وبالنسبة للمسيحيِّ، يَعترفُ بأنْ «يُعطَىٰ ما لقيصرَ لقيصر، وما للَّه للَّه»، أما بالنسبة للمسلم، فإن اللَّهَ هو قيصر[1]، لن يعترفَ بأيِّ مصدرٍ آخَرَ للسلطةِ سوىٰ اللَّه.

ويتَّفقُ المسلمون وغيرُ المسلمين ـ بوجهٍ عامٍّ ـ علىٰ إعطاءِ كلمةِ «الإسلام» معنىٰ «التسليم للَّه»، وبخاصةٍ استسلام المؤمن لمشيئةِ اللَّه، ولقد فُهِم الإسلامُ ـ في نظر محمدٍ نفسِه، وفي نظرِ المسلمين الأوائل ـ علىٰ إنه ليس دينًا جديدًا، وإنما هو استمراريةٌ تمثِّلُ المرحلةَ الأخيرةَ في الصِّراع الطويلِ بين الشِّرك والتوحيد، ولقد كان الأنبياءُ الكثيرون الموحِّدون وتلاميذهم ـ الذين شاركوا في هذا الصراعِ قَبْلَ محمدٍ ـ، كانوا جميعًا مسلمين، وتدلُّ كلمةُ «الإسلام» علىٰ الدينِ الحقِّ الذي دعا إليه كلُّ المرسَلين الذين اختارهم اللَّه.

واليهوديةُ مَثَلُها مَثَلُ المسيحية، كانت كلٌّ منها مرحلةً سابقةً في نفسِ سلسلةِ الوحي الإلهيِّ، وكانتا في أولِ أمرِهما ديانتَينِ صحيحتَينِ، ولكنْ بالنسبة للمسلمين فإن بَعثةَ محمدٍ قد نسختهما، فما كان فيهما من حقٍّ، قد

---

(١) يقصد أن المسلم يعتقد أن اللَّه سبحانه هو الحاكم الأوحد.. ولكنَّ المسلمَ لا يُمكنُ أن يُشبِّه اللَّه جل جلاله بقيصرَ أو بغيره.. تعالىٰ اللَّه عن ذلك.. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

احتَوَتْه رسالةُ النبي، وما كان فيهما من غيرِ الحق، إنما جاء نتيجةً لِمَا لَحِقَ بهما مِن تحريفٍ.

وعلىٰ المستوىٰ الديني، يُعتبر الإسلامُ هو النهاية، ولكنْ من الجهة التاريخية يمكنُ النظرُ إليه باعتباره بداية، فقد كان تأسيسًا لدينٍ جديد، وإمبراطوريةٍ جديدة، وحضارةٍ جديدة[1] .

وهنا نقطةٌ هامةٌ كان بناءً عليها قَدَرُ محمدٍ مختلفًا جذريًا عمَّا قُدِّرَ لعيسىٰ والأنبياءِ الآخرين، وهي أن حياتَه قد تميَّزت بالنجاحِ الزمَني، ومن المؤكَّدِ أنه لم يكنْ في بَدءِ رسالته إلاَّ داعيةً متواضعًا ومضطَهداً ـ مِثلَ بقيةِ رُسلِ اللَّه ـ، ولكنه بدلاً من أن يُقاسيَ الاستشهادَ، فإذا به يرتفعُ إلىٰ السلطة[2] ، إنَّ الإسلامَ منذ بدايتِه وهو مرتبطٌ بممارسةِ السلطةِ السياسية، والذي حَدَث أنَّ جماعةَ المسلمين بالمدينة كَوَّنت أيضًا دولةً، ثم كان علىٰ الأحداثِ التي تَعقُبُ ذلك أن تَجعلَ منها نَواةً لإمبراطوريةٍ.

لقد كان اللَّهُ في نظرِ المسلمين هو المصدرَ الأسمىٰ للسلطة، ومنه استمدَّ النبيُّ سُلطتَه وشريعتَه في نفسِ الوقت، ولقد كان النبيُّ هو مُبلِّغَ وَحيِ اللَّه، ورسولَ العنايةِ الإلهية، والرئيسَ المفوَّضَ من اللَّهِ لقيادة جماعةِ

---

(١) - Ia fondation d`une nouvelle religiorr, d`un mouvel empire, d`une nouvelle civilisation.

(٢) - L` Islam, des ses debuts, s`engagea dans l`exercice du pouvoir politique. Il se trouvait que la communatue musulmane de Medine constituait aussi un Etat; les evenements qui allaient suivre devaient en faire le noyau d`un empire.

المؤمنين، لقد عَلَّم يسوعُ المسيحيين أن يُعطُوا لقيصرَ ما لقيصر، وأن يُعطوا للّه ما للّه، وخلالَ ثلاثةِ قرونٍ من الصراعات والاضطهادات، تَوطَّد بصلابةٍ هذا الفَصلُ بين السلطتينِ الدينيةِ والزمنيةِ في العقيدة المسيحية وممارستها، ولقد أقامت الديانةُ المسيحيةُ مؤسساتِها المنفصلةَ عن مؤسساتِ الدولة، إذ أقامت الكنيسةَ وطبقةَ الكهنوت المسيحي.

ولقد حَدَث التغييرُ الكبيرُ مع تحوُّلِ الإمبراطور الروماني «قسطنطين» إلى المسيحية، وابتداءِ علاقاتٍ سيئةٍ في صَدرِ المسيحيةِ بين الكنيسة والدولة[1].

إن هذا الفَصلَ بين السُّلطَتَين (الدينية والزمنية) غيرُ موجودٍ على الإطلاق في الإسلام، كما أن هناك زَوجَينِ من الكلماتِ مثل: «دنيويٌّ نجِسٌ، وديني»، «رُوحيٌّ، وزمني»، لا يوجَدُ لهما مكافِئٌ في العربية الفصحى، وفي «روما» كان «قيصر» هو اللّه، وفي المسيحية تقاسَمَ قيصرُ واللّهُ المسيحيةَ، أما في الإسلام، فاللّهُ هو قيصر.

وعندما مات محمد، كانت بَعثتُه الروحيةُ والنبويةُ قد اكتملت، وكانت مُهمتُه ـ التي حَدَّدها اللّه ـ هي: استعادةُ التوحيدِ الحقيقيِّ الذي علَّمه الأنبياءُ السابقون ـ لكنه ما لَبِث أن تَعرَّض للتحريفِ والفساد ـ، ثم القضاءُ

---

(١) - Cette separtion de deux pouvoirs n`existe nullement dans l` Islam; d`ailleurs, des couples de mots tels que "profane et religieux", "spirituel et temporel" n`ont pas d`equivalents en arabe classique. A Rome, Cesar Etait Dieu; dans la chretiente, Dieu et Cesar se partageaient le pouvoir. Dans l'Islam, dieu est Cesar.

علىٰ الوثنية، وتبليغُ الوحي الذي جَدَّد الدينَ الحقيقيَّ والشريعةَ الإلهية، وكان هذا ما فَعله محمدٌ أثناءَ حياته، وعند موته عام ١١هـ - ٦٣٢م كانت إرادةُ اللَّه قد أَوحىٰ بها كاملةً إلىٰ البشرية، ولن يكون بعد ذلك نبيٌّ أو وحيٌ آخَر.

وإذا كانت المهمةُ الروحيةُ قد انتَهت، فلا تزالُ هناك مهمةٌ دينيةٌ أخرىٰ يجبُ تحقيقُها، ألاَ وهي الحِفاظُ علىٰ الشريعةِ الإلهيةِ، والدفاعُ عنها، وإخضاعُ بقيةِ البشريةِ إلىٰ الدين(١)، ولقد تَطلَّب إنجازُ مثلِ هذا العملِ ممارسةَ قوةٍ سياسيةٍ وعسكرية، أو باختصارٍ ممارسةَ سيادةٍ داخلَ دولة(٢).

ويُزعَمُ أحيانًا أن الدينَ الإسلاميَّ قد فُرض بالقوة؛ لكنَّ هذا القولَ غيرُ صحيح - ولو أن عملياتِ الفتحِ قد ساهمت إلىٰ حدٍّ كبيرٍ في امتداد الإسلام والعروبة -، فبعد وفاةِ النبيِّ بقرن، وفي إمبراطوريةٍ واسعةٍ يحكمُها وَرَثةُ محمدٍ، وتَضُمُّ العديدَ من الأقطارِ والشعوب، كان الإسلامُ هو الدينَ السائدَ، وكانت اللغةُ العربيةُ تَحُلُّ سريعًا مَحلَّ اللغاتِ الأخرىٰ، وتَفرِضُ نفسَها، وخاصةً في الإدارة والتجارة والتعليم.

لقد قامت حضارةٌ أصيلةٌ مستوحاةٌ من العقيدة الإسلامية، ومتمتِّعةٌ بحمايةِ الدولةِ الإسلامية، ومدعَّمةٌ بثَراءِ اللغة العربية، حضارةٌ تنمو وتتَّسعُ

(١) - L` accomplissement d`une telle tache exigeait l`exercice d`une pouvoir politique et militaire - en un mot, d`une souverainete - au sein d`un Etat.

(٢) - On Pretend parfois que la religion islamique s`est imposee par la force. Cela est inexact.

وتَعيشُ طويلاً وقد صنَعها الرجالُ والنساءُ من مختلفِ الأعراق والديانات، وقد اصطبغ كلُّ شيءٍ فيها بالعروبةِ والمبادئِ والقِيَمِ الإسلامية»[١].

* الفيلسوف الشهير لاون تولستوي الروسي:

تولستوي (١٨٢٨ - ١٩١٠) مؤلِّفٌ قَصَصيٌّ، اشتَغل بالإصلاح، وهو كاتبُ روسيا الأعظم، ثار على الزعماءِ من حُكَّام «وا كليروس»، فمَهَّد السبيلَ للثورةِ ولانتشار الشيوعية.

❑ قال في كتابه «الإنسان والحياة»: «وقد صَدَّقَتْ عائلةُ النبيِّ محمدٍ برسالته، وكذلك عليُّ بنُ أبي طالب وزَيدٌ، وانضم إليه أبو بكر وخديجةُ بنتُ خويلد ـ وهي أولُ مَن أسلم من النساء ـ».

❑ إلى أن قال: «إنَّ محمداً نبيَّ الإسلام ـ الذي آمن به الآن أكثرُ مِن مِئَتَيْ مليون نَفْس ـ، قد قام بعملٍ عظيمٍ جداً، فإنه هَدَىٰ الوثنيين ـ الذين قَضَوا حياتَهم بالحروب الأهلية وسَفكِ الدماء وتقديمِ الضحايا البشرية ـ إلى معرفةِ الإلهِ الواحد، وأنار أبصارَهم بنورِ الإيمان، وأعلن أن جميعَ الناس متساوون أمامَ اللَّه سبحانه.

والحقُّ الذي لا مِراءَ فيه، أن محمداً قام بعملٍ عظيمٍ وانقلابٍ كبيرٍ في العالم».

❑ وقال في كتابه «حكم محمد»: «ومَن أراد أن يَتحققَ ما عليه الدينُ الإسلاميُّ من التسامُح، عليه أن يُطالعَ القرآنَ الكريم بإمعان، ذلك الكتابُ

---

(١) - Bernard Lewis: L`Islam d`hier a Aujourd`hui,pp. 9-11, 16, 20

الذي جاء به محمدٌ، وقد جاءت فيه آياتٌ كريمةٌ تدلُّ علىٰ رُوحِ الإسلام السامية، فمنها الآية الكريمة: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ٢]».

□ يقول الدكتور عبدالحليم محمود: «ومن مآثِرِه الكريمة أنه حينما رأىٰ الحَمْلَةَ الظالمةَ علىٰ الإسلام، وعلىٰ رسولِ الإسلام ﷺ، كَتَب رأيَه في هذا الدين الذي أُعجب به، وتحدَّث عن رسوله الذي نال إكبارَه، وكان جزاؤه علىٰ ذلك ـ أي علىٰ كلمةِ الحق التي يَدينُ بها ـ أنْ حَرَمه البابا من رحمة اللَّه، فكان ذلك ـ كما يقول الشيخ محمد عبده مخاطبًا الأديب الكبير ـ: فليس ما حَصَل لك من رؤساءِ الدين سوىٰ اعترافٍ منهم ـ أعلنوه للناس ـ أنك لستَ من القومِ الضالِّين».

□ يقول «تولستوي»: «لا ريبَ أن النبيَّ محمدًا عليه السلام من كبار (عظمـاءِ) الرجال المُصلِحين الذين خَدَموا الهيئـةَ الاجتماعيـةَ خِدمةً جليـلة.

ويكفيه فخرًا أنه هَدَىٰ أُمَّةً برُمَّتها إلىٰ نورِ الحقِّ تجنَحُ (تخضع) للسكينةِ والسلامِ، وتُفضِّلُ عِيشةَ الزهد، وتكفُّ عن سَفكِ الدماء وتقديمِ الضحايا البشرية.

ويكفيه فخرًا أنه فَتَح لها طريقَ الرُّقِيِّ والتقدُّم والمدنيَّة، وهذا عملٌ عظيمٌ لا يفوزُ به إلاَّ شخصٌ أُوتِي قوَّةً وحكمةً وعِلمًا، ورجلٌ مِثلُه جديرٌ

بالاحترامِ والإجلال»[(١)] .

* توماس كارليل الإنجليزي :

توماس كارليل (١٧٦٢ ـ ١٨٠٥م) مستشرقٌ إنجليزي، أحدُ كبارِ كُتَّاب الإنجليز، أخذ العربيةَ في بغداد، وكان أستاذًا للعربية في «كمبردج» ببريطانيا.

و«كارلايل» أحدُ كِبارِ كُتَّابِ الإنجليز، شاعريُّ النَّزْعةِ والفِطرة، متحرِّرٌ من الرياء والخَبَث، يتتبعُ البطولة، فيكتبُ عنها ويَمتدحُها، ويُحبِّبُ الناسَ في السموِّ بأنفُسهم إلىٰ منازلِ الأبطال ـ أو علىٰ الأقل إلىٰ التشبُّه بهم ـ، وقد أثار كتابه : «الأبطال» إعجابًا في ميدانِ الفكر العالمي، وتُرجم إلىٰ كلِّ اللغات الحية، وحينما ترجَمه محمدُ السباعي ـ رحمه اللَّه ـ إلىٰ اللغةِ العربية، أثار الكثيرَ من الإعجاب، وقد كان لأسلوب الأستاذِ «السباعي» البارعِ أثرٌ في انتشارِ الكتاب، ومَن لم يقرأه لمعانيه قرأه لأسلوبه، وفي هذا الكتاب فَصلٌ مستفيضٌ عن حياة الرسول ـ صلوات اللَّه وسلامه عليه ـ، نقتطفُ منه ما يلي :

◻ «مِن العار أن يَصغَىٰ أيُّ إنسانٍ متمدِّنٍ من أبناءِ هذا الجيل إلىٰ وَهمِ القائلين : «إن دينَ الإسلام كَذِبٌ، وإن محمدًا لم يكن علىٰ حق» .

لقد آن لنا أن نحاربَ هذه الادعاءاتِ السخيفةَ المُخجِلة، فالرسالةُ التي

---

(١) «أوربا والإسلام» للدكتور عبدالحليم محمود (ص٦٤ ـ ٦٥) ـ دار المعارف، و«آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم الغرب» (ص١٢٠) للأستاذ أنور الجندي ـ مؤسسة الرسالة.

دعا إليها هذا النبيُّ، ظَلَّت سراجًا منيرًا أربعةَ عَشَرَ قرنًا من الزمان، لملايينَ كثيرةٍ من الناس، فهل من المعقول أن تكونَ هذه الرسالةُ التي عاشت عليها هذه الملايينُ وماتت، أكذوبةً كاذبةً، أو خديعةَ مُخادعٍ؟ ولو أن الكَذِبَ والتضليلَ يَرُوجانِ عند الخَلقِ هذا الرَّواجَ الكبيرَ، لأصبحت الحياةُ سُخفًا وعبثًا، وكان الأجدرُ بها ألاَّ توجد.

هل رأيتم رجلاً كاذبًا يستطيعُ أن يَخلُقَ دينًا، ويتعهَّدَه بالنشرِ بهذه الصورة؟!.

إن الرجلَ الكاذبَ لا يستطيعُ أن يَبنيَ بيتًا من الطوب، لجهلِه بخصائصِ موادِّ البناء، وإذا بناه فما ذلك الذي يَبنيه إلاَّ كَومةً من أخلاطِ هذه المواد، فما بالُك بالذي يَبني بيتًا دعائمُه هذه القرونُ العديدة، وتَسكنُه هذه الملايينُ الكثيرةُ من الناس؟!.

وعلىٰ ذلك، فمن الخطإ أن نَعُدَّ محمدًا رجلاً كاذبًا متصنِّعًا متذرِّعًا بالحِيَلِ والوسائلِ لغايةٍ أو مَطْمَع، أو يَطمحُ إلىٰ درجةِ مَلِكٍ أو سلطانٍ أو غيرِ ذلك من الحقائرِ والصغائر.. وما الرسالةُ التي أداها إلاَّ الصدقُ والحقُّ الصُّراحُ، وما كَلِمتُه إلاَّ صوتُ حقٍّ صادقٍ صادرٍ من العالَم المجهول.. كلاَّ، ما محمدٌ بالكاذب، ولا الملفِّق، وإنما هو قطعةٌ من الحياة قد تفطَّر عنها قلبُ الطبيعة، فإذا هو شهابٌ قد أضاء العالَمَ أجمعَ، ذلك أمر اللَّه.. وذلك فَضلُ اللَّهِ يؤتيه من يشاء.

أُحبُّ محمدًا لبراءةِ طبعِه من الرياء والتصنُّع، ولقد كان ابنَ الصحراء، مستقلَّ الرأي، لا يَعتمدُ إلاَّ علىٰ نفسه، ولا يَدَّعي ما ليس فيه،

ولم يكن متكبِّرًا ولا ذليلاً، فهو قائمٌ في ثوبِه المرقَّع، كما أوجَده اللّهُ يُخاطِبُ بقوله الحُرِّ المبينِ أكاسرةَ العَجَم وقياصرةَ الروم، يُرشِدُهم إلىٰ ما يجبُ عليهم لهذه الحياةِ والحياةِ الآخرة.

وما كان محمدٌ بعاشقٍ قط، ولا شابَ قولَه شائبةُ لَعِبٍ ولهو، فكانت المسائلُ عنده مسألةَ فَناءٍ وبقاء.. أما التلاعبُ بالأقوال، والعبثُ بالحقائق، فما كان من عادتِه قط.

ويَزعُمُ المتعصِّبون أن محمدًا لم يكن يريدُ بدعوته غيرَ الشهرةِ الشخصيةِ ومفاخرَ الجاهِ والحياةِ والسلطان.. كَلاًّ واسمِ اللّه، وأيمِ اللّه، لقد كان في فؤادِ ذلك الرجل الكبير، ابنِ القفارِ والفَلَواتِ، المتوقِّدِ المُقلَتَيْنِ، العظيمِ النفسِ، المملوءِ رحمةً وخيرًا وحَنانًا وبرًّا وحِكْمةً وحِجًىٰ: أفكارٌ غيرُ الطمعِ الدنيويِّ، وأهدافٌ ساميةٌ، (ونواياه) غيرُ طلبِ الجاهِ والسلطانِ، وكيف وتلك نَفسٌ صافيةٌ كبيرةٌ، ورجلٌ من الذين لا يُمكنُهم إلاَّ أن يكونوا مخلِصِين جادِّين، فبينما ترىٰ آخَرين يَرضَوْن بالاصطلاحاتِ الكاذبة، إذْ ترىٰ محمَّدًا لم يَرْضَ أن يلتفَّعَ بمألوفِ الأكاذيب، ويتوشَّح بمتَّبَعِ الأباطيل، لقد كان منفردًا بنفسِه العظيمةِ وبحقائقِ الأمور.

ويزعمُ الكاذبون أن الطمعَ وحُبَّ الدنيا هو الذي أقام محمدًا وآثارَه»!! حُمقٌ وسخافةٌ وهَوَسٌ إنْ رَأَيْنا رأيَهم، أيَّةُ فائدةٍ لرجلٍ علىٰ هذه الصورةِ في جميعِ بلاد العرب، وفي تاجِ قيصرَ وصَوْلَجانِ كسرىٰ جميعُ ما بالأرض من تِيجان؟!.

لم يكن كغيره يَرضىٰ بالأوضاعِ الكاذبة، ويَسيرُ تَبَعًا للاعتبارات

الباطلة، ولَم يَقبَلْ أن يتَّشحَ بالأكاذيب والأباطيل.

لقد كان منفردًا بنفسه العظيمة، وبخالِقِ الكونِ والكائنات، لقد كان سِرُّ الوجودِ يَسطَعُ أمامَ عينِه بأهوالِه ومحاسنِه ومخاوفه.

لهذا جاء صوتُ هذا الرجلِ منبعِثًا من قلبِ الطبيعةِ ذاتها.. ولهذا وَجَدْنا الآذانَ إليه مُصغِيةً، والقلوبَ لِمَا يقولُ واعيةً.

لقد كان زاهدًا متقشِّفًا في مَسكنِه ومأكلِه ومَشْرَبِه ومَلْبَسِه وسائرِ أموره وأحواله، فكان طعامُه عادةً الخبزَ والماء، وكثيرًا ما تتابعت الشهورُ ولم تُوقَدْ بداره نار.

فهل بعد ذلك مَكرُمةٌ ومَفْخَرةٌ؟ فحبَّذا محمدٌ من رجلٍ متقشِّفٍ، خَشِنِ الملبسِ والمأكل، مجتهدٍ في طاعةِ اللَّه، دائبٍ في نشرِ دينِ اللَّه، غيرِ طامعٍ إلىٰ ما يَطمعُ إليه غيرُه من رتبةٍ أو دولةٍ أو سلطان.

ولو كان غيرَ ذلك، لَمَا استطاع أن يَلْقَىٰ من العربِ الغِلاظِ احترامًا وإجلالاً وإكبارًا، ولَمَا استطاع أن يقودَهم ويُعاشرَهم مُعظَمَ وقتِه، ثلاثًا وعشرين حِجَّةً وهم ملتفُّون حولَه، يقاتِلون بين يديه ويجاهدون معه.. لقد كان في قلوبِ العرب جَفَاءٌ وغِلظة، وكان من الصعبِ قيادتُهم وتوجيُههم، لهذا كان مَن يَقدِرُ علىٰ ترويضِهم وتذليلِهم بطلاً ـ وأيم اللَّه ـ.

ولو لا ما وَجدوا فيه من آياتِ النُّبلِ والفضلِ لَمَا خضَعوا لإرادته، ولَمَا انقادوا لمشيئته.

وفي ظنِّي أنه لو وُضع قيصرُ بتاجِه وصَوْلجانِه وَسَطَ هؤلاءِ القومِ بَدَلَ هذا النبي، لَمَا استطاع قيصرُ أن يُجبِرَهم علىٰ طاعتِه، كما استطاع هذا النبيُّ

في ثوبه المرقَّع».

□ وقال (ص٧) منه: «لقد أصبح من العار على أيِّ متمدِّنٍ أن يُصغيَ إلى ما يُظنُّ من أن دينَ الإسلام كذب، أو أنَّ محمداً كذاب، وقد آن لنا أن نحاربَ ما يُشاعُ مِن مِثلِ هذه الأقوالِ السخيفة، فهل رأيتم رجلاً كاذبًا يستطيعُ أن يُوجِدَ دينًا؟! واللّه إن الرجلَ الكاذبَ لا يستطيعُ أن يبنيَ بيتًا من الطوب».

□ وقال (ص٥٣) منه ـ تحت عنوان: تأثيرُ الإسلام على العرب، وفضلُه عليهم ـ: «لقد أخرج اللّهُ العربَ بالإسلام مِن الظلمات إلى النور، وأحيا به من العربِ أُمةً هامدةً، وهل كانت إلا فئةً من جوَّالةِ الأعراب، خاملةً فقيرةً تَجوبُ الفَلاة، منذُ بَدءِ وجودها لا يُسمع لها صوت، ولا تُحَسُّ منها حركة، فأرسل اللّهُ لهم نبيًّا بكلمةٍ من لدُنْه، ورسالةٍ مِن قِبَله، فإذا الخمولُ قد استحال شُهرةً، والغموضُ نباهةً، والضَّعَةُ رفعةً، والضَّعفُ قوةً، وَسع نورُه الأنحاءَ، وعَمَّ ضَوؤُه الأرجاء، وعَقَد شعاعُه الشمالَ بالجنوب، والمَشرِقَ بالمغرب، وما هو إلاَّ قرنٌ بعد هذا الحادث، حتى أصبح لدولةِ العرب رِجلٌ في الهند ورِجلٌ في الأندلس، كلُّ ذلك بنورِ الفضلِ والنُّبلِ والمروءةِ والبأسِ والنجدة ورَونَقِ الحقِّ والهدى، وما زال للأمةِ العربية رقيٌّ في دَرَجِ الفضل، وتَعريجٌ إلى ذُرى المَجد، ما دام مذهبُها اليقين، ومنهاجها الإيمان».

وقد وَصف المستشرقُ المذكور (محمدًا) أكمل وصفٍ، وأثنى عليه أعظمَ الثناء في كتابه «الأبطال»، فقد أسهب في وصفِ عبقريتهِ وبطولتِه في نبوته.

* ڤولتير:

بعد أنْ كَتب «ڤولتير» مسرحيتَه الشهيرةَ «التعصب أو محمد النبي»، ووَصَفه بأنه كان «دجَّالاً، ومستبدًّا، تُحرِّكه الشهواتُ الحسِّيةُ، ومتعطِّشًا للدماء». . تراجع «ڤولتير» رويدًا رويدًا عن أباطيله في الإسلام ونبيِّه.

لقد جَمع «القاموسُ الفلسفيُّ» لـ «ڤولتير» مقالاتِه في مختلفِ الموضوعات، مرتبةً ترتيبًا أبجديًّا، ونجدُ في «المجلد السابع» من هذا القاموس حديثًا عن القرآن، يقول فيه «ڤولتير»[(١)] : «لا يزالُ القرآنُ في واقعِ الأمر يَشتهرُ إلىٰ اليوم بأنه الكتابُ الأكثرُ تميُّزًا وسُمُوًّا، الذي كُتب بهذه اللغة «العربية»، لقد أَلْصَقْنا بالقرآنِ ما لا نهايةَ له من السفاهاتِ التي لم تكن به علىٰ الإطلاق، لقد كان هذا موجَّهًا بالدرجةِ الأولىٰ ضدَّ التُّركِ الذين أصبحوا من أتباعِ محمدٍ، فكَتب رُهبانُنا الكثيرَ من كُتبِ المطاعِنِ هذه، إذ لم تكن هناك وسيلةٌ تُمكِّنُهم من مواجهةِ فاتِحِي القسطنطينية خلافَ ذلك، كما أن مؤلِّفينا والذين هم في كثرتهم الهائلةِ أكبرُ عددًا من جنودِ الإنكشارية، لم يَجدوا صعوبةً تُذكرُ في جعل نسائنا تقفُ في صَفِّهم[(٢)] .

(١) En effet, l`Alcoran passe encore aujourd`hui pour le livre le plus el- egant et le plus sublime qui ait encore ete ecrit dans cette langue. Nous avons impute a l`Alcoran une infinite de sottises qui n`y furent jamais.

(٢) ils leur persuaderent que Mahonet ne les regardait pas comme des animaux intelligeents; qu` elles etaient toutes es- chaves par les lois de l`Alcoran; qu`elles ne possedaient aucun bien dans ce monde, et que dans l` auter elles n`avaient aucun part au pardis. Tout cela est une faus- sete, evidente; et tout cela a ete cru fermement.

لقد أقنعوهنَّ بأن محمداً لم يَعْتَبِرْهُنَّ ضَمْنَ الحيوانات الذكية، وأنهنَّ جميعًا إماءٌ وِفقَ شريعةِ القرآن، ولن يَنَلْنَ أيَّ خيرٍ في هذه الحياة، وفي الحياةِ الأخرىٰ لا نصيبَ لهنَّ في الفِردوس علىٰ الإطلاق!.

مِن الواضح أن كلَّ هذا كَذِبٌ وبطلانٌ اعتقدوا فيه بكلِّ قوة.

كان يَكفي مع ذلك قراءة السورتين ـ الثانية والرابعة ـ من القرآن، حتىٰ يَهتديَ الناسُ إلىٰ الحق، ففيهما التشريعاتُ التالية(١) التي تَرجَمَها كلٌّ مِن:

---

(١) ذكر «ڤولتير» ثماني مجموعات من الآيات نوردها كما هي، مع بيان اسم السورة ورقم الآية في الهامش:

[١]

﴿وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾ [البقرة: ٢٢١].

[٢]

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ [البقرة: ٢٢٦].

[٣]

﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا.. ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾

[البقرة: ٢٢٩ـ٢٣٠].

[٤]

﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً .. وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٣٤ـ٣٥].

[٥]

﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ..

«دي رير» الذي عاش مدةً طويلةً في القسطنطينية، و«ماراكي» الذي لم يَزُرْها أبدًا، ثم «سال» المستشرقُ (الإنجليزي) الذي عاش خمسةً وعشرين سنةً بين العرب.

إن في هذا ما يكفي لعملِ مُصالحةٍ بين النساءِ ومحمدٍ الذي لم يعامِلْهُنَّ أبدًا بمِثلِ تلك الشِّدةِ المزعومة، كما أننا لا نستطيعُ أن نُدينَه على عقيدته في الإله الواحد، فهذه هي كلماتُ السورة رقم (١١٢) تقول: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[1].

وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً.. وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: ٣-٥].

[٦]

﴿لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ.. وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ [النساء: ١٩-٢٠].

[٧]

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ.. وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النساء: ٢٥].

[٨]

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ.. فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

(١) - Ces paroles dis - je, lui ont soumis l` Orient encore plus que son epee.

إنني أقولُ: إن هذه الكلماتِ أَخضعت له الشرقَ أكثَرَ مما فَعَل سَيفُه.

وفي كلمةٍ موجزةٍ، فإن شريعتَه صالحة، وعقيدتَه تدعو إلىٰ الإعجاب»[(١)].

▢ كذلك كَتَب «ڤولتير» مقالاً جاء في «المجلد الثامن» من قاموسه الفلسفي، بعنوان: «المحمديين»، قال فيه مخاطبًا مواطِنيه - وخاصةً طبقةَ الكهنوت الذين يَتزعَّمون حَمْلَةَ التشهيرِ بمحمدٍ ودينِه وأتباعه -[(٢)] : «أُكرِّر لكم القولَ - أيها الجَهَلَةُ الأغبياءُ الذين خَدَعهم جَهَلَةٌ آخَرون، إذ أقنعوكم بأن الديانةَ المحمديةَ ديانةٌ شهوانيةٌ ولذَّاتٌ جَسَدية، بينما هي ليست شيئًا من ذلك، ولقد خُدعتم في هذا الموضوع، كما خُدعتم في موضوعاتٍ أخرىٰ كثيرة -:

أيها الأساقفةُ والرهبانُ والقُسُس، إذا فَرض عليكم الإيمانُ أن تَمتنِعوا عن الطعامِ والشرابِ من الساعةِ الرابعةِ صباحًا حتىٰ العاشرةِ مساءً في شهر يوليو، عندما يَحِلُّ الصومُ في هذا الوقت القائِظ، وإذا حُرِّم عليكم لَعِبُ الميسر وإلاَّ حَلَّت بكم اللعنةُ، وإذا حُرمت عليكم الخمرُ تحت التهديدِ بالجزاءِ نفسه، وإذا فُرض عليكم الحجُّ مرةً في الصحارِي المُحرقة، وإذا فُرض

---

(١) - DICTIONNAIRE PHIL OSOPHIQUE de VOLTAIRE, TOME VII, PP. 46 - 8

(٢) - Je vous le dis encore, ignorants, imbeciles, a qui d`autres ignorants ont fait accroire que la religion mahometane est vo- lupteuse et sensuelle, il n`en est rien; on vous a trompes sur ce point comme sur tant d`autres.

عليكم إعطاءُ ٥ , ٢٪ علىٰ الأقلِّ من دَخْلِكُمُ السُّنَوِيِّ إلىٰ الفقراء، وإذا كنتم معتادِين علىٰ التمتُّعِ بثمانيةَ عَشَرَ امرأةً، فإذا بمن جاء في ضربةٍ واحدةٍ ليَقتطعَ منهن أربع عَشْرَةَ امرأةً (ليبقىٰ منهنَّ أربعةٌ فقط)، فهل تجرؤُون بعد ذلك علىٰ القولِ ـ مُخلصِين ـ: إن هذه الديانةَ ديانةٌ شهوانية؟!.

إنني أَمقتُ الافتراءَ علىٰ الناس، لدرجةِ أني لا أَقبلُ إلصاقَ التُّهَمِ حتىٰ بالأتراكِ ـ مهما كانت كراهيتي لهم لسوء معاملتهم للنساء، ولعداوتهم للفنون ـ، لكن هناك مَن يؤمنون بضرورةِ القتالِ دون توقُّف! وإذا ما تم هَدمُ ضلالةٍ، فإنه يُوجَدُ دائمًا مَن يَعملُ علىٰ بَعثِها من رَقْدَتِها واستبقائها!»(١).

☐ لقد دافع «ڤولتير» عن الإسلام ونبيِّه والمسلمين قَدْرَ استطاعته، وحَسْبَ ما توافَرَ لديه من معلوماتٍ ودراسات، وذلك في عصرِ الاستعمار العاتي وسَطْوَةِ الكنيسةِ وشيوعِ التعصُّبِ الأعمىٰ، وإذا كان «ڤولتير» قد أبطل الفِرْيَةَ التي تَزعُمُ أنه لا مكانَ للمرأة في الجَنَّة، وأنها في الإسلام حِكْرٌ علىٰ الرجال، فمِن عَجَبٍ أنَّ هذا الزعمَ الباطلَ لا يزالُ يتردَّدُ إلىٰ الآن في الغرب!!.

☐ ففي يناير ١٩٩٣ يسأل شابٌّ مسلمٌ في ألمانيا كاتبَ هذه السطور عن لردِّ العلمي علىٰ ذلك الزعم الباطل!!.

لقد أجاب «ڤولتير» عن ذلك قبلَ أكثَرَ من مِئَتَيْ عام، وأجاب غيرُه إجاباتٍ أخرىٰ أكثَرَ استفاضةً وتنوُّعًا.

☐ ويقول «ڤولتير» عن الإسلام والقرآنِ ومحمدٍ: «إنَّ معتقداتٍ بمِثلِ

(١) ibid, TOME VIII, P. 43 -

هذه البساطة قد جَذَبت بسرعةٍ الاحترامَ والثقةَ في دينه، وإنَّ عقيدةَ الإيمانِ بوحدانية اللَّه دونَ غموض - والتي هي متوافِقةٌ مع الفَهم البشري - قد جَلبت تحتَ شريعتِه جماهيرَ كبيرةً من الأمم ما بين الشعوبِ السوداء في إفريقيا إلىٰ شعوبِ الجُزر المتناثرةِ في المحيط الهندي.

هذا الدينُ يُسمَّىٰ «الإسلام» - أي: الخضوعُ لإرادة اللَّه -، وهذه الكلمة الفريدة - «الإسلام» -، لابد لها أن تَجلِبَ مُهتدينَ كثيراً إلىٰ هذا الدين(١).

إنَّ الإسلامَ الذي يَعتنقُه أكثرُ مِن نصفِ مَن يَعيشون في نصفِ الكرةِ الأرضيةِ، ما كان أبداً باستخدامِ السلاح، وإنما انتشر بالحماس، وبالقدرةِ علىٰ الإقناع، ثم علىٰ وجهِ الخصوص بالمثال الذي ضَرَبه المنتصِرون.

فبمجرد أنِ اجتازَ العرب (المسلمون) حدودَ بلادهم التي لم يكونوا قد بارحوها مِن قبلُ حتىٰ ذلك الوقت، فإنهم لم يُجبروا أحداً من الأجانب علىٰ الدخول في الإسلام، لقد أعطَوُا الشعوبَ التي خَضعت لهم حُرِّيَّةَ الاختيار ما بين أن يكونوا مسلمينَ، أو أن يَدفعوا لهم الجزية.. وعندما فقدوا حيازتَهم بعد ذلك لأقاليمَ في آسيا استولىٰ عليها الأتراكُ والتتار، فإنهم جَعلوا من قاهِريهم مهتدِين جُدُداً إلىٰ الإسلام، وصار الفوضويون التتارُ شَعبًا مُسلِمًا كبيراً، ومِن هنا يَظهرُ الواقعُ أنهم حوَّلوا إلىٰ الإسلام شعوبًا أكثَرَ في البلادِ التي لم تَخضعْ لهم.

---

(١) - Ce ne fut point par les armes que l`Islamisme s`etait dans plus de la moitie de motre hemisphere, ce fut par l`entheɔusiasme, par la persuation, et surtout par l`exemple des vainqueurs.

والقليلُ الذي أريدُ أن أقولَه إنما يُكذِّبُ تمامًا كلَّ ما يقولُه لنا مؤرِّخونا وخُطباؤنا وأحكامُنا المسبقة، ولكنَّ الحقيقةَ لابد أن تُقالَ وأن تصفعهم».

❑ وفي استعراضٍ مقارنٍ لِمَا يُوجَدُ في بعضِ الدياناتِ، يقول «ڤولتير»: «لا توجدُ أبدًا ديانةٌ لم تأمرْ بإعطاءِ الصدقات، لكنَّ الإسلامَ هو الدينُ الوحيد الذي جَعل منها أمرًا شرعيًّا إيجابيًّا لا غنًى عنه.

وبينَ القواعدِ السلبية - وأعني بذلك التي تحضُّ على الامتناعِ عن فِعلِ شيءٍ ما -، سوف لا نجدُ سوى التحريمِ العامِّ على كلِّ الأُمةِ المسلمةِ أن تشربَ الخمر، وهذا شيءٌ جديدٌ بين الديانات، وتشريعٌ خاصٌّ بالإسلام والمسلمين فقط.

ولربما كان تحريمُ جميعِ أنواعِ المَيسرِ والقمارِ هو التشريعُ الإسلاميُّ الذي لا نجدُ له نظيرًا في أيِّ دينٍ آخَرَ سوى الإسلام»[1].

❑ وقال في كتابه «محمد»: «إنَّ في نفس محمدٍ لشيئًا عجيبًا طريفًا رائعًا، يَحملُ الإنسانَ على الإعجابِ والتقدير، ولعَمْري إن الرجلَ وَقف وحدَه يدعو إلى اللَّه، ويتحمَّلُ الأذى في سبيل هذه الدعوة سنواتٍ عديدةً، وأمامَه الجُموعُ المُشركة، تَعملُ جَهْدَها لمعاكستِه وقَتلِ فكرتِه، إنه إذًا يستحقُّ كلَّ تقديرٍ وتمجيد، ثم إنك لتراه في أدوارِ حياته هو نفسُه لا يَسحبُ يدَه مِن صديقٍ، محبَّبٌ للأطفال الذين كان لا يمرُّ بهم إلا تلطَّف معهم ووقف بينهم باسمًا متواضعًا، والواقعُ أن المزايا التي كان يَنعتُهم بها محمدٌ تَمحَقُ الانتقادَ مَحْقًا، ولا تتركُ مكانَه إلاَّ الإعجابَ به والتقديرَ لِشخصيَّته»اهـ.

(١) OEUVRES de VOLTAIRE, TOME 3, PARIS, 1835, PP.99 ` 100 -

* إدوارد جيبون:

وُلد «إدوارد جيبون» في إنجلترا عام ١٧٣٧، كان عضواً في البرلمان، وقد بدأ حياتَه الأدبيةَ عام ١٧٦١، وظَهر الجزءُ الأولُ من مُصنَّفه الضخم «انحدار الإمبراطورية الرومانية وسقوطها» عام ١٧٧٦، ثم استكمل بقيةَ الأجزاء حتى ظَهر آخِرُها عام ١٧٨٨، وقد تُوفِّي في لندن عام ١٧٩٤.

أفرَدَ «إدوارد جيبون» البابَ الخمسينَ من كتابه «انحدار الإمبراطورية الرومانية وسقوطها»، للحديث عن الإسلام، وقد كَتب مُصنَّفه هذا في عصرِ حروبٍ وتوسُّعٍ استعماريٍّ، ووَسَطَ مخارفَ تجتاحُ أوربا من قوةِ الإسلام المتمثِّلةِ آنذاك في الإمبراطورية العُثمانية التي كانت قد تَوسَّعت في بلادٍ أوربيةٍ كثيرة، فاحتلَّت شِبْهَ جزيرةِ «البلقان»، وهَدَّدت إيطاليا والفاتيكان، وأخضعت المَجَرَ، وحاصرت فِيينَّا عام ١٦٦٣.

❑ فكان الخوفُ من الإسلام هو الشغلَ الشاغلَ لصانِعي القرارِ في الغرب، وكانت محاولاتُ التشويهِ ونَشرِ الأكاذيبِ حولَ الإسلامِ ونبيِّه هي السلاحَ الرخيصَ في أيديهم، ولم يستطع «جيبون» التخلُّصَ من أَسرِ الأفكارِ الشائعةِ حولَ الإسلام ونبيِّه ـ مِثلَ كثيرٍ غيرِه ـ، ومع ذلك، فهذا بعضُ ما كتبه: «إن عبقريةَ النبيِّ العربيِّ، وسلوكياتِ أُمَّته، ورُوحَ ديانتِه، كلُّ ذلك يتضمَّنُ أسبابَ انحدارِ الإمبراطوريةِ الرومانيةِ الشرقيةِ وسقوطِها، وإنَّ أنظارَنا لَتتَّجهُ في دهشةٍ نحوَ واحدةٍ من أكبرِ الثَّوْراتِ الجديدةِ بالذِّكرِ في العالَم، والتي طَبعت بعمقٍ أثراً جديداً وخالداً في أُمم الأرض.

❑ إنَّ مسيحيِّي القرنِ السابع (عند ظهور الإسلام) قد ارتدُّوا ـ دون أن

يَذْرُوا - إلىٰ ما يُشبهُ الوثنيةَ، وكانوا يَحلِفون - في أمورِهم الخاصةِ والعامة - بالصورِ والآثارِ الدينيةِ التي كانت تَملأُ بالخِزي كنائسَ الشرق، وبَدَتْ أسرارُ التثليثِ والتجسُّدِ في تناقضٍ مع توحيد اللَّه، فالمعنىٰ الواضحُ لذلك هو القولُ بثلاثةِ آلهةٍ متساوية، وتحويلُ الإنسانِ «يسوع» إلىٰ جَوهرِ ابنِ اللَّه، وكانت كلُّ طائفةٍ من الطوائفِ الشرقيةِ في هَوَسٍ بالغٍ مِن أجل الإقرار بأنَّ جَميعَ مَن عداها من المسيحيين يستحقُّون اللَّومَ والخِزْيَ بسببِ وثنيَّتهم وشِرْكِهم(١) .

◻ إن عقيدةَ محمدٍ خاليةٌ من الشكِّ أو الغموض، والقرآنُ شهادةٌ مجيدةٌ علىٰ وحدانيةِ اللَّه، ومِن الهند حتىٰ مراكشَ يَشتهرُ المهتدون إلىٰ دِينه باسم «الموحِّدين»، وقد انزاح خطرُ الوثنيةِ بتحريم الإسلام للصور.

إن مواهبَ محمدٍ تجعلُنا نَكيلُ له المديحَ، إلاَّ أن نَجاحَه ربما كان هو الذي جَذَب بقوةٍ انتباهَنا إليه، وإن ما يَستحقُّ إعجابَنا ليس انتشارَ ديانته، وإنما استمراريتُها(٢) ، إنَّ نَفْسَ الانطباعِ النَّقِيِّ الكاملِ الذي حَفَره في الأذهانِ في مكةَ والمدينةِ لا يزالُ مَصونًا إلىٰ اليوم - بعد انقضاءِ اثنَيْ عَشَرَ قَرْنًا - عند الذين اهتَدَوا بالقرآن من هنودٍ وأفارقةٍ وتُرْكٍ، ولو عاد الرسولانِ المسيحيانِ - القدِّيس بطرس، والقديس بولس - إلىٰ الفاتيكان اليومَ، فلربَّما تساءلاَ عمَّ يكونُ ذلك الإلهُ الذي يَعبدونه بمِثلِ تلك الطقوسِ التي تكتنفُها

(١) The creed of Mahomet is free from suspicion or am ty; the - bigui - Koran is a glorious testimony to the unity of Cod.

(٢) The same pure and perfect impression which he en- graved at Mec- - ca and Medina is preserved after the revolutions of twelve centries.

الأسرارُ في هذه الكنائسِ الفخمة! ولعلَّه من الواجبِ عليهما أن يَدرُسَا بتمعُّنٍ كتابَ «تعاليم أساسيات العقيدة» الذي تُصدِرُه الكنيسةُ، وأن يَدرُسَا كذلك شروحَ المفسِّرين وتعليقاتِهم علىٰ ما كتباه، وعلىٰ كلماتِ مُعلِّمِهما! .

لقد قاوم المسلمون باستمرارٍ غِوايةَ النزولِ بجوهرِ إيمانِهم وعبادتِه إلىٰ مستوىٰ حواسِّ الإنسانِ وتخيُّلاته، وإن إعلانَ الإسلامِ البسيطَ الثابتَ بلا تغيُّرٍ هو: «أشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللَّه، وأن محمداً رسولُ اللَّه» . . إنَّ الصورةَ الذهنيةَ عن الإلهِ لم تَنحطَّ علىٰ الإطلاق إلىٰ صورةِ صنمٍ يُرىٰ، وإنَّ مظاهرَ التكريم للنبيِّ لم تَتجاوزْ أبداً معاييرَ الفضائلِ البشرية، ولقد أَبْقَتْ تعاليمُه الأخلاقيةُ الحيَّةُ اعترافَ تلاميذِه بفضلِه في حدودِ العقلِ والدين.

لقد أُثيرت في مدارسِ المسلمين الفكريةِ تلك الأسئلةُ التي تتعلَّقُ بما وراءَ الطبيعة عن خواصِّ الإلهِ وحريةِ الإنسان، كما أُثيرت في مدارسِ المسيحيين، لكنها عند المسلمين لم تَشغَلْ أبداً عواطفَ الناس، ولم تُعكِّرْ صَفْوَ الدولة.

إنَّ سببَ هذا الاختلافِ الهامِّ بين الفكرِ المسيحيِّ والفكرِ الإسلاميِّ، يُمكنُ إرجاعُه إلىٰ مبدإِ الفصلِ بين الشخصياتِ القائمةِ بأمورِ المُلْك، والشخصياتِ القائمةِ بأمورِ الكهنوت، أو مبدإِ التوحيد بينهما.

لقد كان اهتمامُ الخلفاءِ الذين تَولَّوُا الحكمَ بعد النبيِّ، وكانوا أمراءَ المؤمنين: أن يَكبِتوا البِدَعَ الدينية، ذلك أن الرَّهْبَنَةَ وطموحَ الإكليروس الزمنيَّ والروحيَّ غيرُ معروفٍ عند المسلمين، وإن فقهاءَ الشريعةِ هم مُرشِدوهم وِفقَ الضميرِ والعقلِ، وهم المُجيبون علىٰ الأسئلةِ المتعلِّقةِ بأمورِ دينِهم.

ونجدُ أنه من المحيطِ الأطلسيِّ غربًا إلىٰ أقاصي الهندِ شرقًا يُعترفُ بأن القرآنَ هو الدستورُ الأساسي، ليس فقط في مسائلِ الإلهياتِ، ولكنْ فيما يتعلَّقُ بالقوانينِ المَدَنيَّةِ والجنائيةِ، والقوانينِ التي تُنظِّمُ سلوكياتِ البشر.

لقد نَفَثَ محمدٌ بين المؤمنين رُوحَ الأُخوَّةِ والإحسان، وأوصىٰ بممارسةِ الفضائل الاجتماعية، وكَبَحَ بشريعته وتعاليمه الأخلاقيةِ التعطُّشَ إلىٰ الانتقامِ وظُلمِ الأراملِ واليتامىٰ، ولقد تَوحَّدتِ القبائلُ التي كانت في عَداءٍ تحتَ مَظلَّةِ الدينِ والطاعة، وتوجَّهت شجاعةُ المقاتلين - التي أُنفقت هَدَرًا في صراعاتٍ داخلية - نحوَ العدوِّ الخارجيِّ، فانتَشرت بذلك أمصارُ الأمَةِ الإسلامية شرقًا وغربًا»[١].

إنَّ سُموَّ إحساسِ محمدٍ جَعَله يحتقرُ بَهْرَجَ المُلْك، وكان رسولُ اللَّه ﷺ يُخضعُ نفسَه لِمَا تَتطلَّبه حياةُ الأُسرةِ مِن عمل، فقد أَوقد النارَ، وكَنَس المنزل، وحَلَب الشاة، وخَصَفَ بيديه نَعْليه، ورَتَق ثوبَه، لقد كان قانعًا يأكلُ كما يأكلُ العربيُّ والجنديُّ، وكان في مناسباتٍ قليلةٍ يُولِمُ لرفاقِه في سَعَةٍ، ولكنَّ الأسابيعَ الكثيرةَ كانت تَنقضي ولا يوقَدُ في بيتِه نارٌ لطعام، وكان يُحرِّمُ الخمر، كما يَقضي بذلك الدِّينُ، وكثيرًا ما كان يُخفِّفُ وطأةَ الجوعِ بكِسرةٍ من خُبزِ الشَّعير[٢].

---

(١) E. Gibbon: Decline and Fall of the Roman Empire, pp. 649, 665-9, 693-5 -

وانظر «الإسلام في الفكر الغربي» للواء أحمد عبدالوهاب (ص٣٥-٣٨).

(٢) «آفاق جديدة للدعوة الإسلامية» للأستاذ أنور الجندي (ص١١٧-١١٨).

* **المسيو «إميل درمنجم»:**

«إميل درمنجم» (١٧٩٠ ـ ١٨٥٧م)، وُلِد في «تولوز»، وله عِدَّةُ مؤلَّفاتٍ، منها «حياة محمد»، وهو من كِبارِ الفرنسيين ورجالِ الفكر.

❑ قال في مقدمة كتابه المذكور: «لا يُوجد في الدنيا واحدٌ يُمكنه أن يُنكِرَ وجودَ محمد، ولكنْ وُجِد مَن يُنكِرُ بعضَ ما جاء في ترجمةِ محمدٍ في الكُتب العربية، ومِن الناس مَن يتجاوزُ الحدَّ والنقدَ والاعتراضَ حتىٰ يَقَعَ في الظلم، أمَّا أنا، فقد جَعلتُ كتابي هذا سيرةً حقيقيةً، مبنيةً علىٰ المنابعِ العربيةِ الأصلية، بدونِ إهمالِ جميعِ ما وَصَلَت إليه تدقيقاتُ المتخصِّصين في هذا الموضوعِ في الأزمنةِ الأخيرة، وقد أردتُ أن أُمثِّلَ لمحمدٍ ـ نبيِّ المسلمين ـ صورةً مطابقةً له بقَدْرِ الاستطاعة، كما فهمتُه من الكتبِ التي قرأتُها وأنعمتُ النظرَ فيها، ومن مشافهةِ الأحياءِ من المؤمنين، فإذا كانت كلُّ حياةٍ بشريةٍ تَنطوي علىٰ تعليم، وكانت كلُّ حادثةٍ تَشتملُ علىٰ مَشهدٍ يُمثِّلُ حقيقةً من الحقائق، فكم يكونُ مؤثِّرًا ومفيدًا التلاقي مع رجلٍ عظيمٍ من الرجالِ العِظامِ الذين يَقتدي بهم جانبٌ عظيمٌ من الإنسانية»!.

❑ وقال (ص١٨٣): «وإن كان بَعضُهم يَعيبُ محمدًا في كثرةِ مَيله إلىٰ النساء، فإنه مما لا مُشاحَّةَ فيه أن محمدًا لم يكن شَرِهًا ولا فخورًا ولا متعصبًّا ولا منقادًا للمطامع، بل كان حليمًا، رقيقَ القلب، عظيمَ الإنسانية، وكان بشوشًا دَمِثَ الأخلاق، حَسَنَ المُعاشرة، ساذَجَ المَعيشة، يَكنِسُ غُرفتَه بيده، ويُصلِحُ ثيابَه، ويَخصِفُ نَعْلَه، ويَحلِبُ شياهَه، ويَضطجعُ في أرضِ المسجد، وينهضُ ويَفتحُ البابَ لأجلِ هِرَّةٍ تُريدُ أن

تدخل، ويَمسحُ ببُرْدَتِه عَرَقَ جوادِه، ويُوزِّعُ الصدقات، ويَتجنَّبُ كلَّ شيءٍ يَظهرُ فيه بمَظهرٍ دنيويٍّ، وكان يَمنعُ الناسَ أن يَجعلوه سيِّدًا».

*** وليم موير:**

❑ قال «وليم موير»: «امتاز محمدٌ بوضوحِ كلامِه، ويُسرِ دِينه، وقد أتمَّ من الأعمالِ ما يُدهِشُ العقول، ولم يَعْهَدِ التاريخُ مُصلِحًا أيقظَ النفوس، وأحيا الأخلاق، ورَفَع شأنَ الفضيلة في زمنٍ قصيرٍ كما فعل محمد».

❑ وقد سُئل السير «وليم موير» الإنجليزي عن محمدٍ نبيِّ المسلمين، فقال: «كان من عقيدةِ محمدٍ أنَّ الإنسانَ عاجزٌ عجزًا تامًّا أمامَ اللَّه سبحانه، وأنه لا عُذرَ له بين يديه، ولكنه يعفو عن كثير، ومن عقيدته أنَّ الإنسانَ أخو الإنسان(١)، وأن يومَ الدينونة لا يُضيعُ اللَّهُ مِثقالَ ذرَّةٍ علىٰ كلِّ عاملٍ مع اللَّه يومَ كان يَعيشُ في ظلِّ الحياة»(٢).

*** دوزي:**

❑ عُني «دوزي» في بعضِ فصوله من كتاب «ملوك الطوائف» بالردِّ علىٰ ما رَدَّده خصومُ الإسلامُ فقال (ص٤٠٥): «لو صحَّ ما قاله القساوسةُ من أنَّ محمدًا نبيٌّ منافقٌ كذَّاب، فكيف نُعلِّلُ انتصارَه؟! وما بالُ فتوحاتِ أتباعِه تترىٰ، وتتلو إحداها الأخرىٰ؟! وما بالُ انتصاراتُهم علىٰ الشعوب لا تَقِفُ عند حدٍّ؟! وكيف لا يَدُلُّ ذلك علىٰ معجزةِ هذا الرسول؟! لقد كانوا

(١) بل: «المؤمن» أخو «المؤمن».

(٢) المجلد الرابع من مجلة «الهلال» ـ الجزء السابع.

يعتقدون أوَّلَ أمرِهم أنَّ خُذلانَ المسلمين سيتمُّ بمعجزةٍ قريبة، فطالَما سَمِعوا عن مُعجزاتِ الكنيسة، وانتظروا هذه المعجزةَ التي تُخلِّصُ البلادَ المسيحيةَ من غَزواتِ المسلمين، ولكنَّ انتظارَهم هذه المعجزةَ قد طال، وذهب أدراجَ الرياح، وأعجبُ مِن ذلك أنَّ مُعجزةً أعظمَ قد حَدَثت، وكانت معجزةً أعظمَ مما كان يتوهَّمُه القدِّيسُون أنفسُهم، وأيُّ معجزةٍ أعظمُ وأروعُ من أن نَرىٰ شعبًا كان إلىٰ زمنٍ قليلٍ في غايةٍ من الخمول، ثم ظَهَر إلىٰ الدنيا فجأةً، وظَلَّ يتقدَّمُ بسرعةٍ لا مَثيلَ لها؟!».

* المؤرخ سيديو الفرنسي:

مستشرقٌ ومؤرِّخٌ كبير، وأحدُ أعضاء «جمعية العلماءِ الفرنسية»، وُلِد عام ١٨١٧م، وتُوفِّي عام ١٨٩٣، وله كتاب «خلاصة تاريخ العرب».

◻ رَدَّ المؤرِّخُ «سيديو» علىٰ اتهامِ النبيِّ ﷺ بالقسوةِ أو الجُبنِ مما جاء في كتاباتِ خصومِ الإسلام فقال: «مِن التجنِّي علىٰ حقائقِ التاريخ ما كان مِن عَزْوِ بعضِ الكُتَّابِ إلىٰ محمدٍ القسوةَ والجُبْنَ، فقد نَسِيَ هؤلاء أنَّ محمدًا لَم يَألُ جَهدًا في إلغاءِ عادةِ الثأرِ الموروثةِ الكريهةِ التي كانت خُطوةً لدىٰ العرب، كخُطوةِ المبارزاتِ بأوروبا فيما مضىٰ، وكأنَّ أولئك الكُتَّابَ لَم يَقرؤوا آياتِ القرآن التي قَضىٰ محمدٌ فيها علىٰ عادةِ الوأْدِ الفظيعة، وكأنهم لم يُفكِّروا في العَفْوِ الكريمِ الذي أنعَمَ به علىٰ ألدِّ أعدائه بعدَ فتح مكة، ولا في الرحمةِ التي حَبَا بها كثيراً من القبائل عند ممارسةِ قواعدِ الحرب الشاقة، ولا إلىٰ ما أبداهُ من أسفٍ علىٰ بعضِ الأحكامِ المبتسَرة، وكأنهم لم يَعلَموا أنَّ محمدًا لم يُسِئِ استعمالَ ما اتُّفق له من السلطان العظيم، قضاءً لشهوةٍ

القسوةِ الدنيئة، وأنه لَم يَألُ جَهدًا ـ في الغالب ـ في تقويمِ مَن يجورُ من أصحابه، وكلٌّ يَعلمُ أنه رَفَض بعد غزوة «بدر» رأيَ عمرَ بنِ الخطاب في قَتلِ الأسرىٰ، وأنه عندما حَلَّ وقتُ مُجازاةِ بني قُريظةَ تَرَك الحُكمَ في مصيرِهم لحليفِهمُ القديمِ سعدِ بنِ معاذ، وأنه صَفَح عن قاتلِ عمِّه حمزة، وأنه لَم يَرفضْ قَطُّ ما طُلب إليه من اللطف والسماح، وليس بمجهولٍ أن خالدَ بنَ الوليد ـ الذي كان من أشجعِ قُوَّادِه ـ لَم يستطعْ أن يَرعويَ ـ بعد إسلامه ـ عن رُوحِ القسوةِ والصَّولةِ التي كانت تُلازمُه في زمنِ الجاهلية، فلاحت له الفرصةُ بأن يثأرَ لقريبه القتيلِ، فأثخَنَ في بني خُزيمة، فأجمعَ المسلمون علىٰ استفظاعِ عَمَلِه، فلمَّا نُبِّئ محمدٌ بما صَنَع خالد، أسرع في ذَمِّه جهاراً، فرفع يَدَيه إلىٰ السماء قائلاً: «اللَّهم إنِّي أبرأُ إليك مما صَنَع خالد». . ».

◻ وقال في كتابه «خلاصة تاريخ العرب» (ص٥٤): عن نومِ عليٍّ ﷺ في فِراشِ النبيِّ وحِفظ اللَّه له: «دعا محمدٌ ابنَ عمِّه عليًّا، وأمره أن ينامَ علىٰ فراشه، مُتَّشِحًا ببُرد، فدَفع اللَّهُ شرَّهم عنه، وهو أوْلىٰ أن يَحفظَ نبيَّه القائمَ بالدعوة له، وأحقُّ أن يَجعلَ كَيدَهم في نحورهم، وما زال آخذًا بيمينه، حتىٰ غنَّىٰ له الزمنُ وصفَّق له الدهر».

◻ ثم قال: «وبعدَ ظهور محمدٍ ﷺ الذي جَعل مِن قبائلِ العربِ أُمَّةً واحدةً، تقصِدُ مقصداً واحدًا، ظهرت للعيانِ أمةٌ كبيرة مَدَّت جَناحَ مُلكِها من «نهر تاج» في إسبانيا حتىٰ «نهر المانج» في الهند، ورَفعت علىٰ منارِ الإشادة أعلامَ التمدُّن في أقطار الأرض أيامَ كانت أوربا مُظلِمةً بجهالاتِ أهلِها في القرون المتوسطة».

* المستشرق الإنجليزي «بودلي»:

◘ رَدَّ المستشرقُ الإنجليزيُّ «بودلي» علىٰ الزعمِ القائلِ بأن محمَّدًا سَرَق ما في الإنجيلِ من تعاليم، فقال: «الزعمُ بأنه قد سَرق الإنجيلَ زَعمٌ باطل، فإنه ما رأىٰ الإنجيلَ أبدًا، والقولُ باطِّلاعِه علىٰ ترجمةِ الإنجيلِ الناقصةِ التي قام بها وَرقةُ بنُ نَوفلٍ لا يَضَعُ أمامَه إنجيلاً ليراه، وحتىٰ هذه الترجمةُ لم يَرَها، فإنَّ أولَ ترجمةٍ عربيةٍ رسميةٍ للعهدَين - القديم والجديد - ظَهرت بعد وفاةِ محمدٍ بِعِدَّةِ قرون».

◘ وقال الكولونيل «بودلي» في كتابه «حياة محمد»: «إنَّ محمداً لَم يَدَّعِ لنفسهِ صِفةً إلهيةً، وإنه صَرَّح كثيراً بأنه بشرٌ يُوحَىٰ إليه، وإن السببَ في سرعة انتشارِ الإسلام عن غيره من الأديان، هو عدمُ ادِّعاء النبيِّ صفةً إلهيةً، وعدمُ دعوتهِ إلىٰ عبادةِ شخصِه، وكذلك تسليمُ القرآنِ بصحَّةِ الديانات المنزَّلة من قبلُ».

ونحا باللائمةِ علىٰ الذين لم يفهموا محمداً وشريعته.

* الكاتبة الإيطالية الدكتورة لورا فيتشيا:

◘ دافعت الكاتبةُ الإيطاليةُ الدكتورة «لورا فيتشيا» عن الرسول ﷺ بحماسٍ بالغٍ، فقالت: «قام أعداءُ الإسلامِ الألدَّاءُ الذين أعماهم الحِقدُ والتعصُّب، واتَّهموا رسولَ اللَّه ﷺ، ذلك الرجلُ النبيلُ الذي كان يُنظَرُ إليه قبلَ الرسالةِ نَظرةَ إكبارٍ وإجلالٍ من جميعِ مواطنيه لِمَا تَحلَّىٰ به من الأمانةِ والسجايا الكريمة، وكانت هذه التهمةُ التي رَموه بها مما لا يَقبَلُه عَقلٌ، ولا يُمكنُ أن يُسلِّمَ به عاقلٌ، فضلاً عن أنها لا تقومُ علىٰ أيِّ أساس، وهي تهمةُ

الغِشِّ والخداع، وليتَ شِعري كيف أن هؤلاء الناسَ لم يسألوا أنفسَهم إذا كان النبيُّ في الحقيقةِ كاذبًا، فكيف اجترأ على أن يُوجِّه في القرآن إلى الكذَّابين والخادِعين أشدَّ عباراتِ الذمِّ وأقساها؟! وكيف تَوعَّدهم بالنار وسُوءِ العذاب؟! وإذا كان كاذبًا في دعوته - كما يَفترُون -، فكيف صَمَد للمقاومة أكثَرَ من عَشْرِ سنين، وهو في مكةَ احتَمل في أثنائها الشيءَ الكثيرَ من صُنوفِ الاضطهادِ والآلام، وهو ذلك الرجلُ الوديعُ الهادئُ الطباع؟! وكيف تَهيَّأ له أن ينحازَ إليه طواعيةً واختياراً - بل وبمنتهى التحمُّسِ - جماعاتٌ كبيرةٌ من رِجالاتِ قريشٍ ونُبلائهم، وأن يَنضَوُوا تحتَ لوائِه مع غيرِهم من السُّوقة والعَبيد.

أمَّا تهمةُ القَسوةُ التي يُوجِّهونها إليه، فمِن السهلِ دَفعُها، لأنَّ محمداً الذي كان على رأسِ حُكومةٍ، ويتولَّى الدفاعَ عن حياةِ الشعبِ وحُرِّيته، كان يُحاكِمُ الخارجين على القانون بصرامةٍ وشدةٍ اقتضتهما ظروفُ البيئةِ التي كان يَعيشُ فيها.

ولقد كان محمدٌ - كرسولٍ يدعو إلى اللَّه - رجلاً رحيمًا، ليِّنَ الجانب حتى لأعدائِه الشخصيِّين، وبذلك اجتَمَعت فيه فضيلتانِ كلتاهما أكبرُ الفضائلِ التي يتصوَّرُها العقلُ البشريُّ، وهما الرحمةُ والعدالة.

وبحَسْبه أنَّ الحربَ - التي هي أقصى ضروراتِ الحياةِ الإنسانية - قد صارت - بفضلِه - أقلَّ وحشيةً وقسوةً، إذ إنه كان يَطلبُ إلى جنوده ألاَّ يَقتُلوا شيخًا ولا امرأةً ولا طفلاً، ولا يَهدِموا بيوتًا لم تُتَّخذْ كمعاقلَ حربية، وقد أراد أعداءُ الإسلام أن يُظهِروا النبيَّ في صورةِ رجلٍ شَهْوانيٍّ إباحيٍّ، بأن اتَّخذوا مِن زِيجاته المتعدِّدةِ حِجَّةً لاتِّهامه بضَعفٍ خُلُقِيٍّ لا يَتَّفق ومركزَ النبوة.

ولكنْ فاتهم أمرٌ هامٌّ لم يَحسِبوا له حسابًا، وهو أن النبيَّ أيامَ فُتُوَّتِه وعُنفوانِ شبابه لم يتزوَّجْ إلاَّ مِن امرأةٍ واحدة، ولم يتزوَّجْ من غيرِها حتىٰ ماتت، مع أنه كان يَعيشُ بين قومٍ سادت فيهم كثرةُ الطلاق والزواج، وكان يَندُرُ أن يَقتصرَ الرجلُ منهم علىٰ زوجةٍ واحدة، ولَمَّا فُقدت زوجتُه ـ وكانت سِنُّهُ حين ذاك خمسينَ سنةً ـ تزوَّج من أخرىٰ، كما عَقَد زِيجاتِه المختلفةَ التي كانت في أغلبِ الأحيان لدواعٍ اجتماعيةٍ أو سياسية؛ لأنه كان يُريدُ بهذه الطريقةِ أن يكتسِبَ إلىٰ صَفِّهِ رجالاً أو نساءً تقيَّاتٍ، ويرتبطُ بروابطِ المصاهرةِ بأُسرٍ قويةٍ، وكان كلُّ ذلك بقَصْدِ نشرِ الإسلام»[1] .

* **الدكتور وغسطون كرستا الإيطالي:**

وُلد في «ترياسته» ١٨٤٠، وتوفي فيها ١٨٩٧.

◘ قال في كتابه «الكياسة الاجتماعية»: «كان محمدٌ يُعلِنُ أنه رسولُ اللَّه تعالىٰ، لإصلاح دينِ إبراهيمَ المطهَّرِ الذي أفسده أبناؤه، وأقام العبادةَ الزكيةَ التي أنشأها ذلك النبيُّ، ثم فَسدت علىٰ مَمرِّ الزمن، وليؤيِّدَ ـ وهو خاتمةُ الرسل ـ ما كان اللَّهُ أنزله علىٰ مَن سَلَفه من الأنبياء موسىٰ وداودَ وإشعيا وعيسىٰ.

إنَّ هذه الجُدرانَ العاديَّة، لدليلٌ علىٰ قوةٍ عظيمةٍ لمحمد، مِثالَ القيادةِ ورَمزَ السياسة».

* * *

(١) كتاب «محاسن الإسلام» ترجمة طه فوزي.. انظر «آفاق جديدة للدعوة» (ص١٢٠ـ ١٢٢).

* **الكونت هنري دي كاستري:**

لقد دَرَس الكونت «هنري دي كاستري» الإسلامَ دراسةً عميقةً، وكَتَب عنه كتابًا قيِّمًا، ترجمه فتحي زغلول، ونُشر بعنوان «الإسلام سوانحُ وخواطر».

▫ تحدَّث الكونت «هنري» في هذا الكتاب عن كثيرٍ من جوانبِ الإسلام، سواءٌ أكان ذلك فيما يتعلَّقُ بالرسول ﷺ، أم فيما يتعلَّقُ بالتعاليمِ الإسلامية، وقد تحدَّث ـ فضلاً عن ذلك ـ عن آراءِ مواطِنِيه، خصوصًا القدماءَ منهم في صورةٍ من السخرية والتهكُّم: «وذهبوا إلىٰ أن محمداً وَضَع دينَه بادعائه الألوهية!.

ومن المستغرَبات قولُهم: «إن محمداً ـ الذي هو عدوُّ الأصنام ومُبيدُ الأوثان ـ كان يدعو الناسَ لعبادتِه في صورةِ وَثَنٍ من ذهب، كما كان يعتقدُ «والكر لوفنجيون»!.

بل لقد أغرق خيالُهم في الضلال، فذَهبوا إلىٰ أبعدَ مِن ذلك، وذهبوا إلىٰ أن صُورةَ «ماهوم»[1] كانت تُصنعُ من أنفَسِ الأحجار والمعادنِ بأحكمِ صُنعٍ وأدقِّ إتقان!».

▫ وبعد أن ذكر الكثيرَ من آرائهم قال: «ولقد أطَلْنا القولَ في تلك الأضاليل، لأن تاريخَ «إسكندر»[2] المذكور لم يُزِلْها، ولأنها تَركت أثرًا في

---

(١) المقصود محمد ﷺ.

(٢) ألف القسيس «إسكندر دويون» كتابًا ١٢٥٨م عن محمد، وكان الناس يعدونه تاريخًا صحيحًا للرسول مع أنه ليس كذلك.

الأذهانِ وَصَلَ إلىٰ أهلِ هذه الأيام، وتَشبَّعت به أفكارُهم في النبيِّ وكتابه.

ولكنْ ما سِرُّ هذه الحَمْلةِ الشَّعواءِ الشَّعواءِ الضالَّةِ التي تَهزأُ بالحقِّ والضمير، والتي لا يُقِرُّها دينٌ أيًّا كان؟!».

□ «ولو سأل سائلٌ: هل كان أولئك المفسِّرون يَعتقدون صحةَ ما يقولون؟ لأجبناه جوابَ أهل «نورمندة»: «لا ـ ونعم»، إذ من المحقَّق أنَّ الاختلاطَ بين المسيحيين والمسلمين سَهلٌ للمُنشِدين معرفةَ الدينِ المحمديِّ علىٰ حقيقته، ولكنهم ما كانوا يقصِدون الحقائقَ التاريخيةَ في أناشيدهم، بل حِفْظَ رُوحِ البغضاءِ في نفوس قومهم.

هل هذه الروحُ التي كانت سائدةً عند المسيحيين تُجاهَ الإسلام، اقتَصرت علىٰ العصورِ الوسطىٰ؟ كلاًّ.

فلم يَزَل هذا الروحُ سائدًا عند المسيحيين، حتىٰ إن المستشرق «بريدو» الإنكليزي ألَّف سنة ١٧٣٣ كتابًا في سيرة النبي ﷺ عنوانه: «حياة ذي البدع محمد»!.

وترجَمَه بعضُهم إلىٰ لُغتنا، وجَعل له مقدمةً بيَّن فيها مَقْصِدَ المؤلِّفِ، فقال: إنَّ غَرضَ واضعِ هذا الكتاب، هو خِدمةُ المَقصِدِ المسيحيِّ الحكيم».

□ ثم يُعقِّبُ «الكونت» علىٰ ذلك بهذه الكلمة الحكيمة: «أولئك كُتَّابٌ ما قَصدوا التاريخ، ولكنهم أرادوا خِدمةَ المَقصِدِ المسيحيِّ الحكيم ـ كما يقولون ـ، وكان سلاحُهُمُ الوحيدُ في تأييدِ سواقِطِ حُجَجِهم، أنْ يُشبِعوا خَصْمَهم سَبًّا وشَتْمًا، وأن يُحرِّفوا في النَّقل مهما استطاعوا».

ثم يأخذُ «الكونت» في الردِّ علىٰ الافتراءات، ومِن أولىٰ هذه

الافتراءات: أن الرسولَ صلواتِ اللَّه وسلامه عليه، كان يَقرأُ ويكتب، فقرأ التوراةَ، وقرأ الإنجيل، وأخذ تعاليمَه منهما!.

* وقد رد القرآنُ على هذه الفِرْيَةِ فقال: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

◻ ويقول «الكونت» في هذا المعنى: «ما كان يقرأُ ولا يكتب، بل كان ـ كما وَصَفَ نفسَه مراراً ـ نبيًّا أميًّا، وهو وَصفٌ لم يُعارِضْه فيه أحدٌ من مُعاصرِيه، ولا شك أنه يستحيلُ على رجلٍ في الشرقِ أن يتلقَّى العِلمَ بحيثُ لا يَعلمُه الناسُ؛ لأنَّ حياةَ الشرقيين كلَّها ظاهرةٌ للعِيان، على أنَّ القراءةَ والكتابةَ كانت معدومةً في ذلك الحينِ من تلك الأقطار، ولم يكن بمكةَ قارئٌ أو كاتبٌ سوى رجلٍ واحدٍ، ذَكَره «جارسين دي تارس» في كتابه الذي طبعه سنة ١٨٧٤.

كذلك مِن الخطإِ ـ مع معرفةِ أخلاقِ الشرقيين ـ أن يُستدلَّ على معرفةِ النبيِّ للقراءةِ والكتابةِ باختيارِ «السيدة خديجة» ﵂ إياه لِمَتاجرِها في الشام، ولم تكن لِتعهدَ إليه أعمالَها إن كان جاهلاً غيرَ مُتعلِّم.

فإنا نشاهدُ بين تُجَّارِ كلِّ قومٍ غيرِ العرب وُكلاءَ لا يقرؤون ولا يكتبون، وهم ـ في الغالب ـ أكثَرُ أمانةً وصدقًا».

◻ ويقول: «أما فكرةُ التوحيد: فيستحيلُ أن يكونَ هذا الاعتقادُ وَصَل إلى النبيِّ ﷺ من مطالعتِه التوراةَ والإنجيل، إذ لو قرأ تلك الكُتبَ لَرَدَّها لاحتوائها على مذهبِ «التثليث»، وهو مُناقِضٌ لفطرته، مخالفٌ لوجدانِه منذ خِلْقته، فظهورُ هذا الاعتقادِ بواسطتِه دَفعةً واحدةً هو أعظمُ مَظهرٍ في

حياته، وهو بذاته أكبرُ دليلٍ على صدقِه في رسالتِه وأمانته في نبوته».

◻ أمَّا صِدقُ الرسولِ وسُموُّ رسالته، فقد أَخذ كثيرٌ من رجالِ الكنيسة ومِن رجالِ الاستعمار يُشكِّكون فيهما، وبرغمِ الوضوحِ الواضحِ في صِدقِ الرسولِ وفي سُموِّ الرسالةِ الإسلامية، فإنَّ رِجالَ الدينِ المسيحيين ورجالَ الاستعمارِ لا يزالون يُبدؤون ويُعيدون في تِردادِ التشكيك.

◻ إلى هؤلاء وأولئك يقول الكونت: «والعقلُ يَحارُ كيف يتأتَّى أن تَصدُرَ تلك الآياتُ عن رجلٍ أُمِّيٍّ، وقد اعترَف الشرقُ قاطبةً بأنها آياتٌ يَعجِزُ فِكرُ بني الإنسانِ عن الإتيانِ بمِثلها لفظًا ومعنًى، آياتٌ لَمَّا سمعها «عُتبةُ بن ربيعة» حار في جَمالها، وكَفَى رفيعُ عبارتها لإقناع «عمرَ بنِ الخطاب» ﷺ، فآمَنَ بربِّ قائلِها، وفاضت عينُ نجاشيِّ الحبشةِ بالدموع لَمَّا تلا عليه «جعفرُ بن أبي طالب» سورةَ «مريم»، وما جاء في ولايةِ «يحيى»، وصاح القسيس[1] : «إنَّ هذا الكلامَ واردٌ من مواردِ كلامِ عيسى!»..».

◻ قال ناقلُ هذه الرواية: «كوزان دي بير سوفال»: «فلمَّا كان اليومُ الثاني طَلَب النجاشيُّ جعفراً، وأشار إليه بتلاوةِ ما في القرآن عن المسيح، ففعل، واستَغرب المَلِكُ لَمَّا سَمع أن «المسيحَ» عبدُ اللَّه ورسولُه ورُوحٌ منه نَزَل في أُمِّه «مريمَ»، وأُعجب أشدَّ الإعجابِ بهذه المعاني، وحَمَى المسلمين، ولَم يُسَلِّمْهم إلى رُسُلِ قريش، ولم يَنْفِهم من بلاده».

أما هؤلاء الذين بَلَغ بهم التعسُّفُ مداه، فظنُّوا أن هذه الفَترَاتِ التي يَغيبُ فيها الرسولُ عن هذا العالَم ليكونَ بكُلِّيَّته مستغرِقًا في الملإ الأعلى،

(١) أي: النجاشي.. وانظر الخبر في «المسند» (١/ ٢٠١)، و«السيرة النبوية» (١/ ٣٧٥).

إنما هي فتراتٌ مَرَضيَّةٌ، أو هي الصَّرَعُ، وبرغمِ تكذيبِ الطبِّ لمزاعمهم مستنِدًا إلى الاختلافِ الكُلِّيِّ بين أعراضِ الصَّرَعِ وأعراضِ الوحي، فقد أعماهم التعصُّبُ عن رؤيةِ الحقيقة.

◘ وإليهم يقول الكونت: «ومن ذلك الحِينِ - أي البَعثة - أخذت شفتاه تَنطلقُ بألفاظٍ بعضُها أشدُّ قوةً وأبعدُ مرمًى من بعض، والأفكارُ تتدفَّقُ من فَمِه على الدوامِ، إلى أن يَقِفَ لسانُه ولا يُطيعه الصوت، ولا يَجِدُ من الألفاظِ ما يُعبِّرُ به عن فِكرٍ قد ارتفع عن مداركِ الإنسان، وسما عن أن يُترجِمَه قَلَمٌ أو لسان.

وكانت تلك الانفعالاتُ تَظهرُ على وجهِه باديةً، فظَنَّ بعضُهم أن به جِنَّةً!! وهو رأيٌ باطل؛ لأنه بدأ رسالتَه بعد الأربعين، ولم يُشاهَدْ عليه قَبلَ ذلك أيُّ اعتلالٍ في الجسمِ أو اضطرابٍ في القوة المادية، وليس مِن الناس مَن عَرَف الناسُ جميعًا أحوالَه في حياته كلِّها مثلُ النبيِّ ﷺ، فلقد وَصل المُحدِّثون عنه إلى أنهم كانوا يَعُدُّون الشَّعْرَ الأبيضَ في لِحيته، ولو أنه كان مريضًا لَمَا أَخفى مَرَضَه؛ لأن المرضَ في مِثلِ تلك الأحوالِ يُعتبرُ أمرًا سماويًّا عند الشرقيين.

وليست حالةُ محمدٍ ﷺ وانفعالاتُه وتأثُّراتُه بحالةِ ذي جِنَّة، بل كانت مِثلَ التي قال نبيٌّ بني إسرائيلَ في وصفها: لقد شَعُرتُ بأن قلبيَ انكسَرَ بين أضلُعي، وارتَعَشت منِّي العِظام، فصِرتُ كالنَّشوان، لِمَا قام بي من الشعورِ عند سماعِ صوتِ اللَّه وأقواله المقدسة»[1].

(١) «أوروبا والإسلام» (ص٥٣ - ٥٨).

❑ ويردُّ «الكونت» على اتهامِ النبيِّ ﷺ بتأليفِ القرآن ويقول: «وكيف يُعقلُ أن النبيَّ ﷺ ألَّف هذا الكتابَ باللغة الفصحى، مع أنها في الأزمانِ الوسطى كاللغةِ اللاتينية، ما كان يَعقِلُها إلاَّ القومُ الصالحون(١)، وقد شاهَدْنا أُناسًا ـ وكان أكثرُهم أُمِّيين ـ قاموا في أُمَّــةِ العَرَب وادَّعَوُا النبــوةَ ـ منهم «مُسيلِمة» الذي زَعَم أنه قَرينُ محمدٍ ﷺ ـ أتى بسُورٍ سَخِر منها العربُ، ولو لم يكن في القرآن غيرُ بهاءِ معانيه وجمالِ مبانيه، لكفى بذلك أن يستوليَ على الأقطار، ويأخذَ بمجامعِ القلوب.

أتى محمدٌ بالقرآن دليلاً على صِدقِ رسالته، وهو لا يزالُ إلى يومنا هذا سِرًّا من الأسرارِ التي تَعذَّرَ فَكُّ طَلاَسِمِها، ولن يَسبِرَ غَوْرَ هذا السرِّ المكنون إلاَّ مَن يُصدِّقُ بأنه مُنزَّلٌ من اللَّه؛ اللهمَّ إلاَّ إذا اعتَمَدْنا على قولِ مُمجِّدي الدينِ المسيحيِّ مما كنَّا نرتاحُ إليه أيامَ شبيبتنا (وهو يَرجعُ إلى أن القرآنَ تأليفُ فاتحٍ أراد تأييدَ سُلطته، فجَمَع مِن كُتب اليهود والمسيحيين قانونًا أودعه بعضَ قواعدِ الأدبِ والدين، وأضاف إليه قَصصَ الوقائعِ العظيمةِ لتأييدِ رسالته).

وعلى كلِّ حال ـ أي سواءٌ توصَّلْنا إلى معرفةِ حقيقةِ القرآن أم لا ـ، فلا يُنكِرُ أحدٌ أنَّ مَظهَرَ محمدٍ كان مَظهَرَ نبوَّةٍ بالفعل ـ بقَطعِ النظرِ عن صِدقِ تلك النبوة ـ وعدمِ صِدقها ـ، لأن النبوة ـ مِن حيث هي ـ عبارةٌ عن قيامِ رجلٍ يُملي على الناس أمرَ ربِّه، ويَعتقدُ حقًّا أن ما يقولُه آتٍ من عند اللَّه.

(١) هذا كلام غير صحيح. . فإن العرب كانوا جميعًا فصحاء، ولم يكن عندهم لهجةٌ عاميةٌ مثل لهجاتنا اليوم. . بل كل «لغاتهم» كانت فصيحةً، كما قال نابغة العربية مصطفى صادق الرافعي في كتابه «تاريخ آداب العرب» (ج١).

ومحمدٌ ـ كما قال «إيوالد» عن أنبياءِ بني إسرائيل ـ أعتقدُ أن رُوحًا من اللَّه استولت علىٰ لُبِّه، فلم يَشعُرْ بأن له فِكرًا خاصًّا، بل إنه أُوتِيَه من عندِ ربِّه، واختَفت في نظرِه أنانيَّته، ولم يَعُدْ يَسمعُ غيرَ صوتِ ذاتٍ فوقَ ذاته، ومِن ذلك الحِينِ أَخذت شَفَتاهُ تَنطِقُ بألفاظٍ بعضُها أشدُّ قوةً وأبعدُ مرمًىٰ من بعضٍ، والأفكارُ تتدفَّقُ مِن فَمِهِ علىٰ الدوام، وكانت تلك الانفعالاتُ تَظهرُ علىٰ وجهه، فظنَّ بعضُهم أن به جِنَّةً، وهو رأيٌ باطل؛ لأنه بدأ رسالتَه بعد الأربعين، ولم يُشاهَد عليه قبلَ ذلك أيُّ اعتلالٍ في الجِسمِ، أو اضطرابٍ في القوة المادية».

□ ويقول: «إذن فليس محمدٌ من المبتدِعين، ولا من المنتحلين كتابَهم، وليس هو نبيًّا سلاَّبًا ـ كما يقول «سايوس» ـ، نعم، قد نرىٰ تشابُهًا بين القرآنِ والتوراةِ في بعضِ المواضع، إلاَّ أن سَبَبه ميسورُ المعرفة، ذلك أن محمدًا كان يُلصِقُ ديانةَ الإسلام بالديانتين المسيحية واليهودية (كذا)؛ وحينئذٍ لا عَجَبَ إذا تشابهت تلك الكتبُ في بعضِ المواضع، خصوصًا إذا لاحَظْنا أن القرآنَ جاء ليُتمِّمَها، كما أن محمدًا هو خاتمُ الأنبياء»[1].

□ يقول الدكتور عبدالحليم محمود: «ونختمُ الحديثَ عن آراء «الكونت» بهذا الوصفِ الرائعِ لتلك الساعةِ الأليمة التي فارق فيها الرسولُ عالَمنا الدنيويَّ، ليَلحقَ بالرفيق الأعلىٰ، ولينعمَ برِضوانِ اللَّه، إذ يقول: ولَمَّا أَحسَّ بقُربِ الأجل، ذَكَر الفقراءَ، فإنه لم يَرغبْ طُولَ حياتِه في المال،

---

(١) «آفاق جديدة للدعوة الإسلامية» (ص١٢٢ ـ ١٢٤) نقلاً عن «الإسلام سوانح وخواطر» للكونت هنري ترجمة أحمد فتحي زغلول.

بل كان كلَّما جُمع إليه شيءٌ منه أنفقه في الصدقات، وكان قد أَعطىٰ عائشةَ مالاً يسيراً لِتَحفَظَه، فلما حَضَره المرضُ أَمَر بإنفاقِه علىٰ المُعوزِين لساعته، وغاب في سِنَةٍ، ولَمَّا أفاق سألها إن كانت أنفَذَت أمرَه، فأجابته: «كلاَّ»، فأمر بالنقود وأشار إلىٰ الأُسَرِ المُعوِزات، فَوزَّع عليهم، وقال: «الآن استراح قلبي، فإنني كنتُ أخشىٰ أنْ أُلاقِيَ ربِّي وأنا أَملِكُ هذا المال».

وكان في مرضه يَخرجُ كلَّ يومٍ لِيُصلِّيَ الظُّهرَ بالناسِ، وآخِرُ يومٍ خَرَجَ فيه هو الثامنُ من شهرِ يونية سنة ٦٣٢م، وكانت مِشيَتُه مضطربةً، فتوكَّأَ علىٰ الفَضلِ بن العباسِ وعليِّ بنِ أبي طالب، وقَصَد مِنبرَ الخطابةِ الذي كان يَعِظُ الناسَ عليه قَبْلَ الصلاة، وحَمِدَ اللَّهَ، وأثنىٰ عليه، ثم خَطب في المسلمين بصوتٍ رفيعٍ سَمِعه مَن كان خارجَ المسجد، فقال: «يا أيها الذين تسمعون قولي، إن كنتُ ضَربتُ أحدَكم علىٰ ظَهرِه، فدونَه ظَهري فلْيَضْرِبْه، وإن كنتُ أسأتُ سُمعةَ أحدٍ فلْينتقمْ مِن سُمعتي، وإن كنتُ سَلبتُ أحداً مالَه، فإليه مالي يقتصُّ منه، وهو في حِلٍّ من غَضَبي، فإنَّ الغِلَّ بعيدٌ عن قلبي».

ثم نَزَل مِن علىٰ المنبر، وصلَّىٰ بالجماعة، ولَمَّا أراد الانصرافَ أَمسك به رجلٌ مِن إزارِه، وطلب منه ثلاثةَ دراهمَ دَينًا له، فأدَّاها علىٰ الفور قائلاً: «لَخِزيُ الدنيا أهونُ من خِزي الآخرة».

ثم دعا لِمن حارَبَ معه في «أُحُد»، وسأل اللَّهَ لهم الرحمةَ والغفران.

وكان مَشهدُ النبيِّ ﷺ بين المؤمنين في ذاك اليومِ مَشْهَدَ جلالٍ ووقار، والناسُ يَلمَحون علىٰ وجهِه تأثيرَ السُّمِّ الذي شَرِبه من يدِ يهوديةِ خيبر، وقلوبُهم مُنفطِرةٌ من الوَجدِ عليه، ذلك أنه لَمَّا كان في واقعةِ «خيبر» قَدَّمت

إليه يهوديةٌ ـ اسمها «زينب» ـ شاةً مَشْوِيةً أضافت إليها سُمًّا، فأخذ منه النبيُّ قِطعةً واحدةً بين شفتيه، وأحسَّ بأنها مسمومة، فألقاها، ثم لَمَّا حَضَرَتْه الوفاةُ بعدَ حينٍ، كان يقول: «ما زالت تُعاوِدُني أَكْلَةُ خَيبر».

وكان أبو بكرٍ ﷺ نفسُه يبكي، ويقول للرسول ﷺ: «هلا افتَدَينا رُوحَك بأرواحنا؟».

ثم أوصله الصحابةُ إلىٰ بيتِ عائشةَ ﷺ، واضْطَجَع تَعِبًا مهزولاً، وصار المرضُ يشتدُّ عليه، فتَخلَّف عن الصلاةِ بالمسلمين، وقيل له: «قد جاء وقتُ الظهر»، فأشار إلىٰ أبي بكرٍ لِيُصلِّيَ بالناس، فكان مِن وراءِ هذه الإشارةِ خلافةُ أبي بكر بعد النبي ﷺ.

◻ وأَخبرت عائشةُ ﷺ عن حالةِ الاحتضارِ، فقالت: «كان رأسُ رسولِ اللَّه ﷺ مُسنَدًا علىٰ صدري، وبقُربِهِ قِدْرُ ماءٍ، وكان يقومُ لِيضعَ فيها يَدَه ويَمسحَ جَبينَه، ويقول: «ربِّ أعنِّي علىٰ تحمُّلِ سَكراتِ الموت، ادْنُ منِّي يا جبريل، ربِّ اغفِرْ لي، واجمَعْ بين أصحابي في السماء»، ثم ثَقُلت رأسُه، ومال ثانيةً إلىٰ صَدري». . !»[1].

*** فارس الخوري اللبناني:**

◻ يرىٰ «فارس الخوري» أنَّ محمَّدًا أعظمُ عظماءِ العالم، إذ يقول: «لم يَجُدِ الدهرُ بعدُ بمثله، والدينُ الذي جاء به أوفىٰ الأديانِ وأكملُها».

◻ ويقول: «إن محمداً أودَعَ شريعتَه المطهَّرةَ أربعةَ آلافِ مسألةٍ علميةٍ

---

(١) «أوروبا والإسلام» (ص٥٨ ـ ٦٠).

واجتماعيةٍ وتشريعية، ولم يَسَع عُلماءَ القانون المُنصِفين إلاَّ الاعترافُ بفضلِ الشريعة التي دعا الناسَ إليها باسم «اللَّه»، وبأنها متَّفِقةٌ مع العلم، مطابقةٌ لأرقىٰ النُّظُم.

إن محمداً ـ الذي يَحتفِلون به ـ أعظـمُ عظماءِ الأرض ـ سابقِهم ولاحقِهم ـ، فقد استطاع توحيدَ العربِ بعد شتاتهم، وأنشأ منهم أُمةً واحدةً فَتحت العالَمَ المعروفَ يومئذٍ، وجاء لها بأعظمِ ديانةٍ عَيَّنت للناس حُقوقَهم، وواجباتِهم، وأصولَ تعامُلِهم علىٰ أُسسٍ مِن أرقىٰ دساتيرِ العالَم وأكملِها»[1] .

* **بشارة الخوري اللبناني:**

❏ قال صاحب جريدة «البرق» لمناسبة حفلة ذِكري مولدِ الرسول محمد ﷺ ـ نقلاً عن المجلد السابع والعشرين من مجلة «العرفان» ـ: «إنَّ للرسول محمدٍ في عُفنوان شبابه من المعجزاتِ ما يَقِفُ دونَه الفكرُ صاغراً، ولكنْ له ـ وهو في حَداثته ـ ما تَصغُرُ عندَه عَظَمةُ العظيم، ويَبطُلُ عنده سِحرُ الساحر، إنه وقد أَخرج أُمةً بأسرها من ظُلماتِ الجاهلية إلىٰ أضواءِ المدنيَّة، إنه وقد أبدَلَ معائبَ الجاهليةِ بمحاسِنِ الإسلام، إنه وقد أبطَلَ وأدَ البناتِ، وحَرَّم الزنىٰ، ونَقَّىٰ القلوبَ من العداوات، إنه وقد أذلَّ لِسَيْفِه كلَّ سيف، ولعرشه كلَّ عرش، إنه ـ وهو كذلك ـ ليس في عيني أعظمُ منه، وهو الابنُ الناشئُ فقيراً، الدارجُ يتيماً، الحاملُ السَّعْدَ في وجهه، والطُّهْرَ في قلبه، والأملَ في عينيه، والحكمةَ في شفتيْه».

(١) «آفاق جديدة للدعوة» (ص١٢١).

* **الدكتور شبلي شميِّل اللبناني:**

طبيب لبناني شقيق «أمين شميِّل»، وُلد سنة ١٨٦٠م، وتُوفِّي سنة ١٩١٧.

❑ كتب إلىٰ صاحب «المنار» ـ كما ورد في المجلد الثالث العدد العاشر منها ـ قال: «أنت تنظرُ إلىٰ محمدٍ [كنبيٍّ] وتجعلُه عظيمًا، وأنا أنظر إليه كرجُلٍ وأجعلُه أعظمَ».

* **الدكتور نظمي لُوقا:**

❑ قال في كتابه «محمد الرسالة والرسول» المطبوع في مصر الطبعة الأولىٰ ١٩٥٩م صفحة (٢٥): «إن موقفَ الناسِ من الوحي واحد، أيًّا كانت الرسالةُ المُوحَىٰ بها والرسولُ المخبِرُ عنها، لم يُطلَبْ مِن رسولٍ قَبْلَ محمدٍ بُرهانٌ عيانيٌّ علىٰ وَحيه كي يطالَبَ به محمد، فمَن اعترف بوحيٍ من السماءِ إلىٰ رسولٍ من البشر، لَزِمَتْه الحُجَّةُ أنْ لا يُنكِرَ نزولَ الوحيِ علىٰ محمدٍ من حيثُ المبدأ، فوجهُ الامتناعِ هنا غيرُ قائمٍ بمبررٍ نزيهٍ، ومِن هنا وَجب النظرُ النزيهُ في رسالةِ محمدٍ، والبحثُ في مضمونها، لنلتمسَ فيها آياتِ الصدقِ التي صَدَّق الناسُ بِمثلها مَن سَبَقه من المرسلين، ولنرىٰ هل فيها ما يدعو للرِّيب، ويُبرِّرُ دَمْغَها بالزيف أو الدَّجَلِ أو البطلان.

ذلك هو الحدُّ القوَّامُ الذي لا افتئاتَ فيه علىٰ إنصاف، ولا يَنبغي أن يَحيدَ عنه مَن له في النزاهة مَطْمَع».

❑ وقال صفحة (٨٨) ـ منه: «صَدَقَ رسولُ الإسلام، وما غادره

صِدقُ الإلهام، وهو القائل: «مَن رأى منكم منكراً فلْيُغيِّرْه بيده، فإن لم يَستطعْ فبلسانه، فإن لم يَستطعْ فبقلبه ـ وذلك أضعف الإيمان ـ»، أجل ـ يا رسولَ الخير والصِّدقِ والحقِّ، فالناسُ بخيرٍ وحكومتُهم ما بَقِيَ للحقِّ في قلوبهم مكان، وللغَيرةِ على العَدلِ في قلوبهم الكلمةُ والسلطان».

❑ وقال صفحة (٥٦): «إن رسولَ الإسلام هو أولُ رسولٍ بُعث إلى الناس، وانبَرى لدعوتهم إلى دينه، مِن غير مَدَدٍ من المعجزاتِ الخاطفةِ للأبصار الخالبةِ للألباب، فقد أُريد للناس أن يَشعُروا أن رسولَهم مِثلُهم حقًّا وصِدقًا ـ كما جاء في سورة «الكهف» ـ، لا يَملِكُ من الخوارقِ أكثرَ مما يَملِكون، وليس له مِن سلطانٍ عليهم، وإنما الأمر إليهم».

❑ وقال صفحة (٩٧): «وليس التنظيمُ الإسلاميُّ لأُمورِ الدنيا بنظامٍ مُقفَلٍ جامد، بل هو التنظيمُ الجوهريُّ الذي لُبابُه قولُ صاحب الرسالة الكريم: «لا ضررَ ولا ضرار»، و«أنتم أعلمُ بأمورِ دُنياكم»، فما لم يَرِدْ فيه نصٌّ بتحريمٍ لسببٍ من أسبابِ العقيدةِ الروحيةِ، فلا بأسَ على الناس فيه، ما لم يكن فيه ضررٌ لصاحبه، أو إضرارٌ بسواه.

خُلقٌ كريم، وإيثارٌ، ونجدةٌ ابتغاءَ وجهِ اللّٰه واتقاءً لغضبه في معاملةِ الناس، وإصلاحٌ لحال الدنيا من غيرِ إضرارٍ بالناس، وحِرصٌ على مصالحِ الجماعة، وتعاوُنٌ على البرِّ والتقوى، وترفُّعٌ عن التَّرَفِ والإسرافِ في البَذَخ، حتى لا تَستسلِمَ الروحُ لشهوات الجسد، فذلك هو النموذجُ الكاملُ للإنسان».

□ وقال صفحة ١٠٧ : «فإذا نظرنا إلىٰ الرسالة الإسلامية، وجدناها أبعدَ ما تكون عن شُبهةِ تَعلُّقِ الشهوات، أو إباحةِ الأهواء، أو رِشوةِ المنافع.

كان العربُ في الجاهلية أهلَ إباحة، لا رادعَ لهم ولا وازع، قَصْفهم مُجون، ولَهوُهم فجور، وحياتُهم عدوان، وكَسبُهم سُحْت، ولَيلُهم خَمرٌ وميسر، فكيف يقالُ [ما يُقال] عن دينٍ اقتَلَع جُذورَ هذا كلِّه، ووَضع الحدودَ لكلٍّ وجهٍ من وجوهِ النشاط البشري؟! إنْ لم يكن هذا الدينَ والتنظيمَ والسموَّ، فما عسىٰ أن يكون؟!».

* **الشاعر بولس سلامة اللبناني:**

□ قال في مقدمة ملحمته المعروفه باسم «ملحمة الغدير» - صفحة (٢٤) -: «إن العروبةَ المستيقظةَ اليومَ في صُدورِ أبنائها من المغربِ الأقصىٰ إلىٰ جزيرة العرب، لأَحوجُ ما تكونُ إلىٰ التمثُّلِ بأبطالها الغابرين، وهم كثيرون، علىٰ أنه لم يَجتمعْ لواحدٍ منهم ما اجتَمع لعليٍّ من بطولةٍ وعِلمٍ وصلاح، ولم يَقُمْ في وجهِ الظالمين أشجعُ من الحُسين، فقد عاش الأبُ للحقِّ، وجَرَّد سَيفَه للدفاعِ عنه، واستُشهد الابنُ في سبيلِ الحُرية يومَ «كربلاء»، ولا غَرْوَ، فالأولُ ربيبُ محمدٍ، والثاني فَلْذَةٌ منه».

□ وقال صفحة (٢٦): «مسيحيٌّ يَنحني أمامَ عظمةِ رجلٍ يَهتفُ باسمه مئاتُ الملايين من الناس في مشارقِ الأرض ومغاربها خمسَ مراتٍ كلَّ يوم، رجلٌ ليس في مواليد حَوَّاءَ أعظمُ منه قَدْرًا وأخلَدُ ذِكرًا وأبعدُ أثرًا، رجلٌ أطلَّ من غياهبِ الجاهليةِ، فأطَلَّتْ معه دنيًا أظلَّها بلِواءٍ مَجيد، كَتب عليه بأحرُفٍ من نور: لا إلهَ إلَّا اللَّه، اللَّه أكبر».

❑ وقال في «ملحمته» المشهورة صفحة (٤٧) - تحت عنوان «مولد محمد» -:

مَن تُرى ذلك الصبيُّ الذي إنْ ... ذَرَّ دَمْعًا فالجوُّ في إعطاء؟
مَبْسَمٌ من لآلئِ الفجرِ أنقى ... وجبينٌ كالنَّجمةِ الغَرَّاءِ

❑ إلى أن قال:

هلَّ يومٌ في صفحةِ الدهرِ فذٌّ ... طيِّبُ الفَوحِ رافلٌ بالبهاءِ
لم يَشُبْ ذلك النهارَ مساءٌ ... فهو يومٌ مُسْمِرُ الأضواءِ
وانزوى الليلُ خاشعًا كيتيمٍ ... ضَيَّعته مباهجُ الأغنياءِ
أرهفَ الكونُ سَمْعَه وتَمشَّتْ ... في الجمادات نَشوةُ الصهباءِ
واستفاقت جزيرةُ العُرْبِ حَيرى ... «فمَناة» و«اللاتُ» في الدقعاءِ
أخرسَ الناسَ خَطبُها فتباروا ... في استلامِ الآلهة الصماءِ
أين «ودٌّ» وأين بطش «سُواعٍ» ... كان ذاك النذيرُ بَدْءَ انتهاءِ
وتوالت في أرضِ فارسَ أرزا ... ءٌ جسامٌ فنارُها في انطفاءِ
وارتجاسُ الإيوانِ هَزَّ قلوبَ الفُر ... سِ هَزَّ السَّنابلِ العَجْفاءِ
تُحفةُ العالَمِ القديمِ ومَجدُ الـ ... ـعَيْنِ والفنِّ والعُلى والبناءِ
إنْ تداعى فشمسُ كسرى كَسُوفٌ ... مؤذنٌ بالنهايةِ السوداءِ
حُلْمُ الموبذانِ بالنورِ يَجري ... والصحاري مَرْعَةٌ بالرُّغاءِ
والخيولُ العرابُ سَيلٌ أتى ... ضابحات في مَسْمَعِ الزَّوراءِ
أجفلَ السُّورُ في المدائن خوفًا ... مِن صَهيلِ السوابحِ الجَرْداءِ
وإذا الفُرسُ والمدائنُ صرعى ... في مجالِ السنابكِ الحمراءِ

***

حُسب الرملُ ذلك اليومَ تِبْرًا ... يُنبتُ الحُلْمَ في عيونِ الرائي
فسهولُ الحجاز بحرٌ نُضارٌ ... من نثيرِ السبائك الصفراءِ
ضَحك السَّبْسَبُ الخليُّ وشَقَّت ... أنمُلُ الوردِ صفحةَ الدهناءِ
ذاك عُرسُ الدنيا ولا غَرْوَ أنْ ... بَثَّتْ صلاها وتمنمت في الكساءِ
رَحَّبت بالوليدِ جاء يتيمًا ... فهو والفقرُ توأمٌ في رِداءِ
يا فقيرًا ودونَه الشمسُ عزًّا ... سوف تعلُو مناكبَ الجَوزاءِ
خَلْفَك النسرُ والسُّها والثريَّا ... سائراتٌ في الركبِ سَيْرَ الإماءِ
فقرُ كَفٍّ والنَّفسُ كَنزٌ خَلودٌ ... هكذا كان مولدَ الأنبياءِ

* * *

☐ وقال فيها (ص٥٤) تحت عنوان «البعثة»:

وأشبَّ الغلامُ فامتدَّ صيتًا ... كامتداد الشُّعاعِ في الدَّيجورِ
طَبعُه الصدقُ والأمانةُ فالآ ... راءُ تَهدي هَدْيَ الصباحِ المنيرِ
واصطفته خديجةُ لاتِّجارٍ ... عاد منه والربحُ فَيضُ بُحورِ
فاصطفته لنفسها فحَبَاها ... شرَفًا أن تكونَ فوقَ الحُورِ
كلَّ عامٍ يرتادُ غارَ حراء ... مُفعَمَ الروحِ مُلهَمَ التفكيرِ
يُرسلُ الطرْفَ في السماءِ كلامًا ... ليس تجلُوه صَنعةُ التعبيرِ
ذلك الصمتُ دونَه جهرُ موسى ... بالدعاءِ الحميمِ فوقَ الطُّورِ
فالصلاةُ الصلاةُ خفقةُ قلبٍ ... وهُيامٌ مُغلغَلٌ في الشعورِ
قال عيسى مُلكُ الإله لديكم ... لو نَبَشتمُ عن كَنزِه في الصدورِ

* * *

هدأ الكونُ وامَّحى الصوتُ حتى | لَتُحسَّ الآذانُ هَمْسَ العصورِ
وإذا صوتُ هاتفٍ يهتفُ: «اقرأ» | فيردُّ الصَّـــدى نــداءَ البشيرِ
فتــهــادى محمـــدٌ وتمشَّت | في حـنـايـاه رعشــةُ المَقـــرورِ
قال جـبريل: يا محمدُ كبِّــــرْ | باسمِ ربٍّ ملْءَ الوجودِ قديــرِ
صفحةُ الكونِ بَدَّلَت في ثـوانٍ | بين مرآتها ضميــرَ الدهـــورِ
فإذا أحمـــدُ العظيـــمُ نبــيٌّ | والمجيـدُ القرآنُ حُلمُ العصورِ

* صموئيل زويمر الإنكليزي:

البروتستانتيُّ الإنكليزي المبشِّرُ، وهو مستشرقٌ، محرِّرُ مجلة «عالم الإسلام» الإنكليزية، له مؤلفاتٌ ذاتُ شأنٍ في العلاقات بين الإسلام والمسيحية، منها: «يسوع في «إحياء» الغزَّالي». . تُوفي في بلدته «ليدس» ١٩١٤.

□ قال ـ وهو من أشدِّ الناسِ عداوةً للنبي ﷺ ـ في كتابه «يسوع في «إحياء» الغزَّالي»: «إن عبقريةَ محمدٍ هي السببُ في نجاحهِ واستطارةِ شأنِه، يُضافُ إلىٰ هذا كلِّه معرفتُه العظيمةُ بالدياناتِ في عصرِه، وقُوَّتُه في اجتذابِ القلوبِ إليه، ومقدرتُه في الإدارة والحرب، ولباقتُه في السياسةِ الفائقة، لم يَكَدْ يَقْدِرُ علىٰ البرِّ وإسداءِ المعرفةِ وإظهارِ شكرِه للنعمة واعترافِه بالجميلِ حتىٰ ضَرَبَ للناس في ذلك أروع الأمثال».

* المسيو ديسون الألماني:

وُلد في مدينة «كولونيا» عام ١٨١٧، ولم نعثُرْ علىٰ تاريخ وفاته.

□ قال في كتابه «الحياة والشرائع»: «وليس يَزعمُ أحدٌ اليومَ أن محمداً

راح يُزوِّرُ دينًا، وأنه كاذبٌ في دعواه وأفَّاكٌ في دعوته، إذا عَرَف محمداً ودَرَس سيرتَه، وأشرف على ما يتمتَّعُ به دينُه من تشريعاتٍ تَصلُحُ أن تَظَلَّ مع الزمن مهما طال، وكلُّ مَن يكتبُ عن محمدٍ ودينِه ما لا يجوز، فإنما هو من قِلَّةِ التدبُّرِ وضَعفِ الاطلاع».

* برتلمي سانت هليار السويسري:

أستاذ الفلسفة الإغريقية في «كوليج دي فرانس»، وقد وُلد عام ١٨٠٧، وتوفي ١٨٧٣.

□ قال في كتابه «مع الشرق»: «لقد كان محمدٌ أذكى العربِ في عهدِه، وأكثرَهم تقوىً ودينًا، وأرحَبَهم صدراً، وأرفقَهم بأعدائهِ وخصومِ دِينه، وما استقامت إمبراطوريتُه إلاَّ بسبب تفوُّقِه على رجالِ عصره، وأما الدينُ الذي راح يدعو إليه، فقد كان خيراً كثيراً على الشعوب التي اعتنقته وآمنت به».

* القَسُّ لوازون الفرنسي:

□ قال في إحدى محاضراته: «وآخِرُ جميعِ الأنبياء ـ كما يعتقد المسلمون ـ هو محمدٌ الذي وُلد في مكة لعشرِ ليالٍ مَضَت من أبريلَ سنة ٥٧٠ للميلاد، وكانت عائلتُه أشرفَ عائلةٍ في قريش، وهي إحدى القبائلِ الشهيرة في بلادِ العرب، وصاحبُ النسب المرتقي إلى إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ الخليل، وقد كان جَدُّه متولِّيًا سَدَانَةَ الكعبة، وكانت دارَ حكومتهم، ومَعبَدَ ديانةِ العرب الوثنية، وتُوفِّي والدُه عبدالله قبلَ ولادته، وتُوفِّيت أُمُّه وهو ابنُ ستَّةِ أشهرُ، وكان على أعظمِ ما يكونُ من كريمِ الطِّباعِ، وشريفِ

الأخلاق، ومنتهى الحياء، وشدَّة الإحساس، وقد كَفَله عمُه وهو ابنُ ستٍّ سنواتٍ، وأثناءَ كَفالته بدأت تظهرُ من محمدٍ علاماتُ الذكاء ورَجاحةُ العقلِ، ومرَّ بصِبيانٍ يلعبون، فدَعَوه للَّعبِ معهم، فأجابهم: «إن الإنسانَ خُلق للأعمال الجليلة، والمقاصِدِ الشريفة، لا للأعمالِ السافلةِ والأمورِ الباطلة»، وكان على خُلقٍ عظيم، وشِيَمٍ مَرضيَّة، شَفُوقًا على الأطفال، مطبوعًا على الإحسان، غيرَ مُتمشدِقٍ في نفسه، ولا صَلِفٍ في معاملته مع الناس، وكان حائزًا قوةَ إدراكٍ عجيبة، وذكاءً مُفرِطًا، وعواطفَ رقيقةً شريفة»[١] .

□ وقال في كتابه «الشرق» (ص٦١): «إنَّ محمداً ـ بلا التباسٍ ولا نُكران ـ كان من النبيين والصِّدِّيقين، وهو رسولُ اللَّه القادرِ على كلِّ شيء، بل إنه نبيٌّ جليلُ القَدْر، ومهما تحدَّثْنا عنه، فليس بالكثير في حقِّه، لأنه جاء إلى العالَم بدينٍ جَمَع فيه كلَّ ما يَصلُحُ للحياة».

* **چورچ سيمون:**

□ قال: «إنَّ محمداً قد رَفَع أعلامَ التمدُّن».

* **اللورد هيدلي وإسلامه:**

□ قال الشيخ الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الأزهر: «كان لإسلام اللورد «هيدلي» ضجَّةٌ كبيرة ـ لمركزه، ولِمَا يَعلمُه فيه عارفوه من نُضجٍ في التفكير، وتَروٍّ في الأمور ـ، وحينما أراد الحجَّ مرَّ بالإسكندرية، فأقام له أهالي الثغرِ حَفلةً كُبرى وُضعت تحت رعايةِ الأمير السابق «عمر طوسون»

(١) نقلاً عن مجلة «المقتطف» ـ المجلد الرابع ـ العدد السابع .

الذي ألقىٰ كلمةً حيَّا فيها الضيفَ الكريمَ، ابتدأها بقوله: «مرحبًا مرحبًا وأهلاً وسهلاً، لقد خفَّت مصرُ إلىٰ استقبالكم، وابتهجت بمقدَمِكم الكريم، وكان سُرورُها بذلك عظيمًا، حتىٰ لقد تمنَّت كلُّ مدينةٍ أن تسعىٰ بأهلِها إليكم، أو يكونَ لكم مُتَّسَعٌ من الوقتِ لزيارتها، فتقومُ بما يجبُ لكم من الإجلالِ والإعظام، والترحيبِ والإكرام».

وكانت الحفلةُ برئاسةِ صاحب الفضيلة الشيخ «عبدالغني محمود» شيخِ علماء الإسكندرية».

* **كيف أسلم اللورد «هيدلي»؟.**

ما هي العواملُ التي دَعَتْه إلىٰ اعتناق الإسلام؟.

إننا في الصفحاتِ التاليةِ سنذكرُ جُملةً من النصوص تُرشِدُ القارئَ إلىٰ سبب رفضِه المسيحيةَ وإلىٰ سببِ إسلامه، وإلىٰ تصوُّره لكثيرٍ من وجهاتِ النظر الإسلامية.

☐ يقول اللورد: «عندما كنتُ أقضي - أنا نفسي - الزمنَ الطويلَ من حياتي الأولىٰ في جوِّ المسيحية، كنت أشعُرُ دائمًا أن الدينَ الإسلامي به الحُسنُ والسهولةُ، وأنه خِلْوٌ من عقائدِ الرومانِ والبروتستانت.

وثَبَّتني في هذا الاعتقاد زيارتي للشرقِ التي أعقَبَت ذلك، ودراستي للقرآن المجيد».

له اللَّه.. لكم تألَّم وقاسىٰ في سبيلِ وصوله إلىٰ الحق.

☐ استمعْ إليه يقول: «فكَّرتُ وصلَّيتُ أربعين سنةً، كي أصلَ إلىٰ حَلٍّ صحيح، ويجبُ عليَّ أن أعترفَ أيضًا أن زيارتي للشرق ملأتني احترامًا

عظيمًا للدين المحمديِّ السَّلِسِ الذي يَجعلُ الإنسانَ يَعبدُ اللَّهَ حقيقةً طُولَ مُدَّةِ الحياة، لا في أيامِ الآحاد فقط».

◻ ويرىٰ أن الإسلامَ هو الدينُ العالَميُّ حقًّا، إذ يقول: «أيُمكنُ إذن أن يوجَدَ دينٌ يُمكِّنُ العالَمَ الإنسانيَّ من أن يُجمعَ أمرَه علىٰ عبادةِ اللَّه الواحدِ الحقيقي - الذي هو فوقَ الجميع وأمامَ الجميعِ - بطريقةٍ سهلةٍ خاليةٍ من الحشو والتلبيك؟.

فكِّرْ لحظةً - وذلك تفكيرٌ لازمٌ لكمالِ البشر في الحقيقة -، إنه إذا أصبح كلُّ فردٍ في الإمبراطوريةِ الإنجليزيةِ محمديًّا حقيقيًّا - بقلبه ورُوحه -، أصبحت إدارةُ الأحكامِ أسهلَ من ذلك؛ لأن الناسَ سيُقادون بدينٍ حقيقي».

◻ وها هو ذا يُعبِّرُ عن الشكرِ حينما هداه اللَّه: «رُوحُ الشكرِ هي خلاصةُ الدينِ الإسلامي، والابتهالُ أصلٌ في طلب الهداية والإرشاد من اللَّه.

إنه - وإن كان شُكري للَّهِ علىٰ كَرَمِه وعنايتِه كان متأصِّلاً فيَّ من صِغَري وأيامِ حداثتي -، فإنني لا أستطيعُ أن أشاهِدَ ذلك من خلال السنينَ القليلةِ الماضية، التي قَرَع فيها الدينُ الإسلاميُّ لُبِّي حقًّا، وتَمَلَّك رُشدي صِدقًا، وأقنعني نقاؤُه، وأصبح حقيقةً راسخةً في عقلي وفؤادي، إذِ التقيتُ بسعادةٍ وطمأنينةٍ ما رأيتُهما قطُّ مِن قبلُ، كما أستنشقُ هَواءَ البحرِ الخالصَ النقيَّ، وبتحقُّقي من سلاسةِ وضياءِ وعَظمةِ الإسلام ومَجْدِه، أصبحتُ كرجلٍ فَرَّ من سِردابٍ مُظلِمٍ إلىٰ فسيحٍ من الأرضِ تُضيؤُه شمسُ النهار».

☐ ومما يَذكرُ من تعاليم الإسلام مُشِيدًا به: «ليس هناك في الإسلام إلاَّ إلهٌ واحد، نَعبدُه ونَتْبَعُه، إنه أمامَ الجميع، وفوقَ الجميع، وليس هناك قُدُّوسٌ آخَرُ نُشرِكُه معه، إنه لَمِنَ المُدهِشِ حقًّا أن تكونَ المخلوقاتُ البشريةُ ذواتُ العقول والألباب على هذا القَدْرِ من الغَباوةِ، فيسمحون للمعتقَداتِ والحِيَلِ الكهنوتيةِ أن تَحجُبَ عن نظرِهم رؤيةَ السماء، رؤيةَ ربِّهمُ القَهَّار، المتَّصِلِ دومًا بكلِّ مخلوقاتِه، سواءٌ كانوا عاديِّين، أو أولياءَ مقدَّسِين.

مفتاحُ السماء موجودٌ دائمًا في مكانه، ويُمكنُ إدارتُه بأذلِّ وأقلِّ المخلوقاتِ دون أيَّةِ مساعدةٍ من نبيٍّ أو كاهنٍ أو مَلَكٍ، إنه كالهواء الذي نَستنشقُه مجانًا لكلِّ خَلقِ اللَّه.

أما هؤلاء الذين يَجعلونَ الناسَ يَفهمون غيرَ ذلك، ما دعاهم إلى هذا العملِ إلاَّ حبُّ الفائدة.

ليس غَرضي الرئيسيُّ أن أُهاجمَ أيَّ فرعٍ معيَّنٍ من فُروع الديانة المسيحية، لأُبيِّنَ جلالَ وسلاسةَ الديانةِ الإسلامية - التي هي خاليةٌ في نظرِ الكاتبِ المُنصِفِ من العوائقِ الظاهرةِ - جليًّا في كثيرٍ من الدياناتِ الأخرى».

☐ ولقد افترى كثيرون على الإسلام، وها هو ذا يَردُّ على افتراءاتهم: «ليس في وُسعِ الإنسان في الحقيقةِ إلاَّ أن يَعتقدَ أنَّ مُدبِّجي وناسِجي هذه الافتراءاتِ، لم يتعلَّموا، حتى ولا أولَ مبادِئِ دينِهم، وإلاَّ لَمَا استطاعوا أن يَنشُروا في جميع أنحاء العالم تقاريرَ معروفٌ لديهم أنها مَحضُ كذبٍ واختلاق.

إنَّ تعاليمَ القرآنِ الكريم قد نُفِّذت ومُورست في حياة محمدٍ الذي ـ سواءٌ في أيامِ تَحمُّلِه الألمَ والاضطهادَ، أم في زمنِ انتصارِه ونجاحِه ـ أظهَرَ أشرفَ الصفاتِ الخُلقيةِ التي لا يَتسنَّىٰ لمخلوقٍ آخَرَ إظهارُها.

فكلُّ صفاتِ الصبرِ والثباتِ في عصرِه كانت تُرىٰ في أثناء الثلاثَ عَشْرةَ سنةً التي تألَّمَها في مُجاهداته الأولىٰ بمكة، ولم يَشعُرْ في كلِّ زمن هذا الجهادِ بأيِّ تزعزُعٍ في الثقةِ باللَّه، وأَتمَّ كلَّ واجباته بشَمَمٍ وحَمِيَّة.

كان ﷺ مثابِراً، ولا يَخشىٰ أعداءَه؛ لأنه كان يَعلمُ بأنه مكلَّفٌ بهذه المأمورية مِن قِبَلِ اللَّه، ومَن كَلَّفه بهذا العمل لن يَتخلَّىٰ عنه.

لقد أثَّرت تلك الشجاعةُ التي لا تَعرفُ الجُفولَ ـ تلك الشجاعةُ التي كانت حقًّا إحدىٰ مميِّزاتِه وأوصافِه العظيمة ـ إعجابَ واحترامَ الكافرين، وأولئك الذين كانوا يَشْتَهون قَتْلَه.. ومع ذلك فقد انتبهت مشاعرُنا وازدادَ إعجابُنا به بعد ذلك في حياتِه الأخيرة، أيامَ انتصارِه بالمدينة، عندما كانت له القوةُ والقُدرةُ علىٰ الانتقامِ واستطاعتُه الأخذَ بالثأرِ ولم يفعل، بل عفا عن كلِّ أعدائه.

العفوُ والإحسانُ والشجاعة، ومِثلُ هاتيكَ الصفات، كانت تُرىٰ منه في كلِّ تلك المُدَّة، حتىٰ إنَّ عدداً عظيماً من الكافرين اهتَدَوا إلىٰ الإسلامِ عند رؤية ذلك.

عفَا بلا قَيدٍ ولا شَرطٍ عن كلِّ هؤلاء الذين اضْطَهَدوه وعَذَّبوه، آوىٰ إليه كلَّ الذين كانوا قد نَفَوه من مكة، وأغنىٰ فقراءَهم، وعفَا عن ألدِّ أعدائه، عندما كانت حياتُهم في قبضةِ يَدِه وتحتَ رحمته.

تلك الأخلاقُ الربانيةُ التي أظهرَها النبيُّ الكريمُ، أقنَعت العربَ بأن حائزَها يجبُ ألاَّ يكونَ إلاَّ مِن عندِ اللَّه، وأن يكونَ رجلاً علىٰ الصراطِ المستقيم حقًّا، وكراهيتُهم المتأصِّلةُ في نفوسهم حوَّلتها تلك الأخلاقُ الشريفةُ إلىٰ مَحبَّةٍ وصداقةٍ متينة».

◻ محمدٌ المَثَلُ الكامل: «نحن نعتبرُ أن نبيَّ بلادِ العربِ الكريمَ ذو أخلاقٍ متينة، وشخصيةٍ حقيقةٍ وُزِنَت واختُبِرت في كلِّ خُطوةٍ من خُطَىٰ حياته، ولم يُرَ فيها أقلُّ نقصٍ أبدًا.

وبما أننا في احتياجٍ إلىٰ نموذجٍ كاملٍ يَفي بحاجاتِنا في خُطواتِ الحياة، فحياةُ النبيِّ المُقدَّسِ تَسُدُّ تلك الحاجة.

حياةُ محمدٍ كمرآةٍ أمامنا تَعكِسُ علينا التعقُّلَ الراقيَ، والسخاءَ والكرمَ، والشجاعةَ والإقدام، والصبرَ والحِلمَ، والوداعةَ والعَفْوَ، وباقيَ الأخلاق الجوهريةِ التي تُكوِّنُ الإنسانية، ونرىٰ ذلك فيها بألوانٍ وَضَّاءة.. خُذْ أيَّ وجهٍ من وجوهِ الآدابِ وأنت تتأكَّدُ أنك تَجِدُه موضَّحًا في إحدىٰ حوادثِ حياته.

ومحمدٌ وَصَل إلىٰ أعظمِ قوةٍ، وأتىٰ إليه مُقاوِموه، ووَجدوا منه شَفقةً لا تُجَارَىٰ، وكان ذلك سببًا في هدايتهم ونقائهم في الحياة».

رَحِم اللَّه اللورد «هيدلي»، وجزاه عن الإسلام خير الجزاء[1].

* **چون وانتبورت السويسري:**

وُلِد في مدينة «لوزان» سنة ١٧٩٥م، وتُوفِّي سنة ١٨٦٣م.

---

(١) «أوروبا والإسلام» (ص٦٧ - ٧٢).

□ قال في كتابه «محمد والقرآن»: «بقَدرِ ما نرىٰ صفةَ محمدٍ الحقيقيةَ بعين البصيرة والترويِّ في المصادر التاريخية الصحيحة، بقَدْرِ ما نرىٰ مِن ضَعفِ البُرهانِ وسُقوطِ الأدلةِ لتأييدِ أقوالِ الهَجْوِ الشديدِ والطعنِ القبيحِ الذي اندفن علىٰ رأسه وانهار عليه من أفواه المُغرضين والذين جَهِلوا حقيقةَ محمدٍ ومكانتَه، ذلك الرجلُ العظيمُ عند كلِّ مَن دَرَس صفاتِه العظيمةَ، كيف لا، وقد جاء بشرعٍ لا يَسَعُنا أن نتَّهمَه فيه؟!».

* البرنس كاتيان الإيطالي:

□ قال في كتابه «أديان العرب» (ص٣٤): «إن مَزِيَّةَ محمدٍ هي كفاءتُه العجيبةُ كسياسيٍّ محنَّكٍ أكثَرَ منه كنبيٍّ موحًىٰ إليه!! وليس في وُسعِ أحدٍ فَهِمَ محمداً أن يَحُطَّ مِن كرامته، ومَن فعل ذلك فقد ظَلَم نفسَه وظَلم محمداً».

* العلاَّمة كارل ماكس الألماني:

ولد العلاَّمة «كارل ماكس» في «تريف» بألمانيا ١٨١٧، توفـي ١٨٨٣، من رجـال السياسـة والفلسفة الاجتماعـية، ومحـرِّر «البيان الشيوعـي».

□ قال في كتابه «الحياة»: «إن الرجلَ العربيَّ الذي أدرك خطايا المسيحيةِ واليهودية، وقام بهمةٍ لا تخلو من الخطرِ بين أقوامٍ مُشرِكين يَعبُدون الأصنام، يدعُوهم إلىٰ التوحيد، ويَزرعُ فيهم أبَدِيَّةَ الروح، ليس من حقِّه أن يُعدَّ بين صفوفِ رجالِ التاريخ العِظامِ فقط، بل جَديرٌ بنا أن نعترفَ بنُبوَّته، وأنه رسولُ السماء إلىٰ الأرض».

ومن ألمانيا

* الشاعر المعروف جايتي الألماني:

◻ قال في كتابه «الإسلام» (ص٦٧) بعد تِعدادِ ما جاء به الإسلام: «إذا كان ذلك هو الإسلام، فَكُلُّنا إذًا مسلمون، نعم كلُّ مَن كان فاضلاً شريفَ الخُلُقِ فهو مسلم، ألاَ إنَّ دينَ محمدٍ كلُّه إخلاصٌ ودينُ اجتماعٍ وأخلاقٍ ورعايةٍ لبني الإنسان، فإذًا يمتازُ شرعُ محمدٍ ودينُه عن غيره».

* الكاتب الشهير دريترسي الألماني:

وُلِد في «برلين» ١٨٢١م، وتُوفِّي ١٨٨٨م، مستشرقٌ ألماني.

◻ قال: «إنَّ علومَ الطبيعةِ والفَلَكِ والفلسفةِ والرياضياتِ التي أَنْعَشَتْ أوروبا في القرن العاشرِ للميلاد مُقتبسةٌ من قرآنِ محمد، بل إن أوروبا مَدِينةٌ للإسلام الذي جاء به محمد».

◻ وقال: «إننا لو أنصفنا الإسلامَ، لاتَّبَعْنا ما عنده من تعاليمَ وأحكام، لأن الكثيرَ منها ليس في غيره، وقد زاده محمدٌ نموًّا وعَظَمةً، بحُسنِ عنايتِه وعظيمِ إرادته، ويَظهرُ من محمدٍ أن دعوتَه لهذا الدينِ لم تكن إلاَّ عن سببٍ سماويٍّ.. إننا نقول هذا لو أنصفناه فيما دعا إليه ونادىٰ به، وإنَّ مَن اتَّهم محمداً بالكذب، فليتَّهم نفسَه بالوَهْن والبلادةِ وعدمِ الوقوفِ علىٰ ما صَدَع به من حقائق».

* الهر ماركوس الألماني:

دكتور بالفلسفة، وُلد في «تريف» عام ١٨١٨، وتوفِّي عام ١٨٨٤، محرِّر «البيان الشيوعي»، ومن رجال السياسةِ والفلسفة.

◻ قال في محاضرةٍ له ألقاها عام ١٨٧٢ نقلتها عنه مجلة «المقتطف» المصرية المجلد الخامس منها: «تعالَوا إلىٰ كلمةٍ سواءٍ بيننا نُنصِفْ بها الإسلامَ الحنيفَ، ونَبيَّه العظيمَ محمدًا، ولْنَجعــلْ موضوعَنــا اليومَ «الحكومــة الإسلامية في صدر الإسلام»، ولْنستعرضْ تنظيماتِها في عهدِ سيِّدها وقائدِها وزعيمِها ذلك الرسولِ الكريم، لنبيِّنَ أن الصحابةَ والخُلفاءَ الراشدين وقادةَ الإسلام كانوا يقُومون بواجباتهم بكلِّ أمانةٍ ودقَّةٍ، وفِقًا للشريعة الغرَّاء التي جاء بها محمدٌ، لم يكنْ في فجرِ الإسلام شِيَعٌ ولا أحزاب، بل علىٰ العكسِ من ذلك، كانت الحكومــةُ الإسلاميةُ تُمثِّلُ جَميعَ لمسلمين تمثيلاً صحيحًا، وهي عبارةٌ عن هيئةٍ منظَّمةٍ مشتَرَكة، تَنطِقُ بحقٍّ بلسان كافةِ المسلمين، كلٌّ مسلمٍ يَشُدُّ أَزْرَ أخيه المسلم، وكان عَدلُ محمدٍ منتشرًا بين المسلمين، بحيث كان المسلمُ الواحدُ مطمئنًّا إذا كان هو رافلاً في بُحبوحةٍ من العَيش، وهناءِ بالٍ، ولم يكن مُخطئًا في ذلك، بل كان هذا هو الحقَّ الواقع».

◻ إلىٰ أن قال: «وهذه البدعةُ التي اشتَرَعها محمدٌ، كانت بمثابةِ يُنبوعٍ فيَّاضٍ يَكفُلُ حاجةَ المسلمِ الفقير، فيتناولُ نصيبَه من بيتِ المال بانتظامٍ، وفي ذلك مساعدةٌ عظمىٰ لأمته».

* **العلامة برتلي سانت هيلر الألماني:**

مستشرقٌ ألماني، ولد في «درسدن» ١٧٩٣، وتُوفي ١٨٨٤.

◻ قال في كتابه «الشرقيون وعقائدهم»: «كان محمدٌ رئيسًا للدولة، وسـاهرًا علىٰ حيــاةِ الشعبِ وحُرِّيتـه، وكان يعاقِبُ الأشخاصَ الذين

يَجترِحون الجنايات حَسبَ أحوالِ زمانه وأحوالِ تلك الجماعاتِ الوحشية التي كان يَعيشُ النبيُّ بين ظَهرانَيها، فكان النبيُّ داعيًا إلىٰ ديانة الإلهِ الواحد، وكان في دعوته هذه لطيفًا ورحيمًا، حتىٰ مع أعدائه، وإنَّ في شخصيته صِفَتَينِ هما من أجلِّ الصفاتِ التي تَحمِلُها النفسُ البشريةُ، وهما العدالةُ والرحمة».

* **الدكتور تيودور نولدكه الألماني:**

◻ هو من مشاهير المستشرقين الألمان، وُلد في «همبورغ» عاصمة ألمانيا التجارية عام ١٨٣٦، وتُوفي ١٩٢٠، اشتَغل في اللغاتِ السُّريانيةِ والفارسيةِ والعربية. . له «تاريخ القرآن»، قال فيه، (ص٨٣): «نزل القرآنُ علىٰ محمدٍ نبيِّ المسلمين ـ بل نبيِّ العالَم ـ؛ لأنه جاء بدينٍ إلىٰ العالَم عظيم، وبشريعةٍ كلُّها آدابٌ وتعاليمُ، وحَرِيٌّ بنا أن نُنصِفَ محمداً في الحديثِ عنه؛ لأننا لم نقرأْ عنه إلاَّ كلَّ صفاتِ الكمالِ، فكان جديراً بالتكريم».

* **العلامة كارل هينرش بكر الألماني:**

مستشرق ألماني، وُلد في بلدته «لا كازا» من ألمانيا الغربية عام ١٨٧٦، وتُوفي ١٩٣٧، له عِدَّةُ مؤلَّفاتٍ، وهو المؤسِّسُ لمجلة «العالم الإسلامي»، وكان يُفضِّلُ الأدبَ الإسلاميَّ علىٰ الأدب المسيحي.

◻ قال في كتابه «الشرقيون»: «لقد أخطأ مَن قال: إن نبيَّ العرب دَجَّالٌ أو ساحرٌ؛ لأنه لم يَفهم مَبدأه الساميَ، إنَّ محمداً جديرٌ بالتقدير، ومبدؤه حَرِيٌّ بالاتباع، وليس لنا أن نحكمَ قبلَ أن نَعلم، وإن محمداً خيرُ رجلٍ جاء إلىٰ العالَمِ بدينِ الهدىٰ والكمال، كما أننا لا نرىٰ أن الديانةَ

الإسلامية بعيدةٌ عن الديانة المسيحية».

* ويلكي كولنز الألماني:

◻ الرُّوائي المعروفُ. . قال في كتابه «جوهرة القمر»: «لقد جاء محمدٌ بصيانةِ النساءِ وحثِّهِنَّ على العفاف، وحَذَّر من السير على خلافِهما، مُشيراً إلى ما في هذين من النقصِ والخِسَّة، وكم لِمِثلٍ هذا من نظيرٍ في شريعته السامية».

* القَسُّ ميشون الألماني:

◻ قال في كتابه «سياحة دينية في الشرق» (ص٣١): «إنه لَمِنَ المُحزِنِ أن يتلقَّى المسيحيون عن المسلمين رُوحَ التعاملِ وفضائلَ حُسنِ المعاملة، وهما أقدسُ قواعدِ الرحمةِ والإحسانِ عند الشعوبِ والأمم، كلُّ ذلك بفضلِ تعاليم نبيِّهم محمد».

* شاعر ألمانيا الكبير «جوته» (١٧٤٩ ـ ١٨٣٢):

◻ مَرَّ بنا سابقًا ما قاله «جوته» عن القرآن الكريم: «إنه الكتاب الذي يكرِّرُ نفسَه تكراراتٍ لا تنتهي، فيُثيرُ اشمئزازنا دائمًا كُلَّما شَرَعنا في قراءته».

◻ وهو القائلُ عن رسولِ اللَّه ﷺ ـ كما سَبَق ـ: «نَصَبَ حَولَ العربِ غُلافًا دينيًّا كئيبًا، وعَرَف كيف يَحجُبُ عنهم الأملَ في أيِّ تقدمٍ حقيقيٍّ»[1].

وهنا وِجهةُ نظرٍ أخرى لدى الباحثةِ الألمانية «د. كاثرينا ممسين» عن

(١) «صورة الإسلام في التراث الغربي» (ص٥٧).

«جوته» في كتابها «جوته والإسلام»، ترجمة «شيرين حامد فهمي»، وأصدرته مكتبة «الشروق الدولية»، تتحدثُ «د. كاثرينا ممسين» عن إعجابِ «جوته» بالقرآن. . وكان مفهومُ «التسامح» هو الذي جَذَب «جوته» إلىٰ الإسلام، ولكي يَفهمَ لُغةَ القرآن تَعلَّم اللغةَ العربيةَ والخطَّ العربي، وكان يَصِفُ لُغةَ القرآنِ بالقوَّةِ والعظمةِ والرهبةِ والسكونِ في خليطٍ عجيب.

☐ وتذكرُ «د. كاثرينا ممسين» أمثلةً من كتاباتِ «جوته» ورسائلِه التي تدلُّ علىٰ مدىٰ احترامِه للإسلام؛ فقد كتب رسالةً وهو في الثانية والعشرين من عمره قال فيها: «أُريد أن أدعوَ كما دعا موسىٰ ربَّه في القرآن ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه: ٢٥]»، مما يدلُّ علىٰ أنه قرأ القرآن وتأثَّر به.

وعندما بَلَغ السبعين أَعلن عن قرارِه بالاحتفال بتلك الليلةِ المقدَّسةِ التي نَزل فيها القرآنُ مِن أعلىٰ السماوات إلىٰ النبيِّ محمدٍ ﷺ، وهذه اللغةُ في الحديث عن الإسلام كانت بعيدةً كلَّ البُعدِ عن اللغة التي كان العالَمُ الغربيُّ يتحدَّثُ بها عن الإسلام.

☐ تقول «د. كاثرينا ممسين»: «إن «جوته» رأىٰ ـ خلافًا للعالَم الغربي ـ التأثيرَ الإلهيَّ للقرآن علىٰ البشرية، وإن اقتباسات «جوته» من القرآنِ في مواضعَ كثيرةٍ في كتاباتِه تَعكِسُ تقديرَه الشخصيَّ واقتناعَه بأمورٍ كثيرةٍ في الإسلام، وكانت سورةُ «البقرة» من أكثرِ السورِ التي أثَّرت في هذا الشاعر الكبير، وهو يذكُرُ عدَّةَ آياتٍ يتوقفُ عندها ويُشيدُ بما فيها من الفكرِ الرائعِ العميق[1] مثل: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا

(١) القرآن ليس فكرًا، بل هو كلامُ العليِّ الكبير، وهو سبحانه لا يُوصَفُ بالتفكير.

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢].

* كما يتحدَّثُ عن آيةٍ أخرىٰ من نفسِ السورة، يقول: إنها تُعبِّرُ عن دليلِ وجودِ اللَّه في الكون كلِّه: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]. والآية: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

* وسَجَّل «جوته» إعجابَه بما في الإسلام من الدعوةِ إلىٰ الخير، فقال: «إنَّ اللَّه يقولُ في القرآن: إنه لم يَبعث رسولاً إلىٰ قومٍ إلاَّ أن يكونَ منهم، ويتحدَّثَ بلُغتهم، ويَعرفَ ثقافَتهم».. ويَستشهدُ بالآية: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]. والآية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤].

❑ وكتب «جوته» رسالةً إلىٰ المفكِّر والمؤرِّخ البريطاني «توماس كارليل» في سنة ١٨٢٧م قال له فيها: «إن القرآنَ يقول: إن اللَّه أرسلَ لكلِّ قومٍ رسولاً يتحدَّثُ بلُغتهم»، وأشار إلىٰ الكفار الذين طالبوا الرسولَ محمداً ﷺ بأن يأتيَ بمعجزات، وعلَّق علىٰ ذلك بأبياتٍ من الشِّعر قال فيها: قال لهم: المعجزاتُ لا أستطيعُ الإتيانَ بها، المعجزةُ الكبرىٰ هي وُجودي بينكم رسولاً»(١).

(١) «المنصفون للإسلام في الغرب» (ص٢١٦ ـ ٢١٧) لرجب البنا ـ دار المعارف.

□ كان للشاعرِ الفرنسيِّ الشهير «فولتير» مسرحيةٌ بدأ عَرضُها عام ١٧٤٢، واشتُهرت في الغرب، اسمها «تطرُّف النبيِّ محمد»، وأعلن «جوته» أن هذه المسرحيةَ قَدَّمت أبشَعَ صُورةٍ يمكنُ تصورُّها عن نبيٍّ، وألَّف مسرحيةً تُعارضُها بعنوان «الدراما المحمدية» من مشهَدين:

في المشهد الأول: يُصوِّرُ بَعثةَ النبيِّ محمدٍ ﷺ، وكيف جاءه الوحيُ بتكليفِه بالرسالة.

والمشهد الثاني: يُصوِّرُ معاناةَ الرسولِ ﷺ مع قومِه في تبليغِ رسالةِ التوحيد، وقَدَّم «جوته» بعد ذلك «أغنية محمد» التي تُعتبر أولَ تبجيلٍ للرسول ﷺ من شاعرٍ أوروبي.

وفي هذه الأغنية يَظهرُ انبهارُ «جوته» بشخصيةِ النبيِّ ﷺ، ثم انبهارُه بجهادِه وعدمِ اكتفائه بالدعوةِ، وكفاحِه لتأسيسِ مجتمعٍ قائمٍ على مبادئِ الدينِ الذي جاء به، وربَط بين النبيِّ ﷺ المُعلِّم الرُّوحيِّ، والنبيِّ الإنسانِ ذي الصفاتِ العالية.

ويَعكِسُ «جوته» في أشعاره عُمومًا إعجابَه بما في شخصِ الرسول ﷺ من المَزْجِ بين الشخصيةِ التي تؤسِّسُ دِينًا جديدًا، وبين نفسِ الشخصيةِ وهي تُكرِّسُ جَهدَها لتربيةِ البشرِ رُوحيًا.

وجاء في أشعارِ «الدراما المحمدية» الكثيرُ من تعبيراتِ الإعجابِ والتقديرِ للرسول ﷺ مثل:

بين مضايقِ الجبالِ سار

وبخُطى أقدامِ القائدِ شدَّ معه أصحابَه

تنتعشُ الورودُ تحت أقدامه

وفي غيرِ ظِلِّه لا توجدُ الورود

وها هو ذا يسيرُ في الوادي متلألئًا بهيًّا

والأنهارُ والجداولُ تهتفُ به صائحةً: يا أخانا

خُذ إخوانَك وخُذْنا معك إلى ربِّك الدائم

والآن يعلُو ويُكبِّرُ ويَحملُ معه الأمراء

وفي وسطِ انتصاراته دانت المُدنُ تحتَ قدميه وهو يسيرُ تاركًا التَّرَفَ والثراء

لا يَعبأُ بهما.. وهكذا حَمَل أصحابَه وأطفالَه

✍ ولا يكتبُ هذه الصورةَ المليئةَ بالتقديرِ إلاَّ مَن يؤمنُ بأن محمداً ﷺ رسولٌ بحقٍّ، وأن دينَه هو دينُ الحق.

◻ وتذكرُ «كاثرينا ممسين» مواقفَ كثيرةً تدلُّ على اعتقادِ «جوته» بالتسليم للَّه كما في العقيدة الإسلامية؛ ففي عام ١٨٢٠م مَرِضت أختُه غيرُ الشقيقة بمرضٍ خطيرٍ، فكتب إلى صديقٍ له: «لا أستطيعُ إلاَّ أن أقول: إنني أجدُ نفسي - مرةً أخرى - باحثًا عن الإسلام».

◻ وفي عام ١٨٣١ انتشر وباءُ الكوليرا، فكتب: «هنا لا يستطيعُ أحدٌ أن يَنصحَ غيرَه فيما يفعلُه، فنحن جميعًا نَعيشُ في الإسلام الذي يُعطينا الشجاعةَ في مواجهةِ الحياة».

◻ وقبل موته بأربعةِ أسابيع - وهو في عامِه الثاني والثمانين - كتب: «من أجلِ أن يتحرَّر البشرُ من الخوف انتهوا بإلقاءِ أنفُسِهم في حِضنِ الإسلام واثِقين في اللَّهِ وفي أقدارِه غيرِ المكشوفة لنا».

□ فهو مؤمنٌ بما في الإسلام من الخضوعِ للَّه والرضا بما كتبه، ويُعَبِّرُ عن ذلك بقوله: «إنه لمن اللافتِ للانتباه أن نرىٰ كيف كان المؤمنون بمحمدٍ ﷺ يقومون بتربيةِ الأجيالِ المسلمة، وكان الدرسُ الأولُ هو تثبيتُ عقيدةِ القضاءِ والقدر، والإنسانُ لا يواجهُ أمرًا إلاَّ وقد كَتَبه اللَّهُ له، ومِن ثَمَّ يعيشون حياتَهم آمنين مطمئنين».

□ ولقد واجه «جوته» الكثيرَ من الانتقاداتِ والاتهاماتِ لإعجابهِ بالإسلام، ومعارضتِه للتيارِ العَدائيِّ الغالبِ للإسلام وللرسول ﷺ، وكان ردُّه علىٰ ذلك في كتاب «المقولات» بأبيات قويةٍ وصريحةٍ قال فيها:

مِن حماقة الإنسانِ في دنياه
أن يتعصَّبَ كلٌّ منا لرأيه
وإذا كان الإسلامُ معناه التسليمُ للَّه
فعلى الإسلام نحيا ونموتُ أجمعون

✍ هل كان الشاعرُ العظيم «جوته» معجَبًا برُوحانيةِ الإسلام فقط ـ وهو الذي نشأ في أُسرةٍ بروتستانتية ـ؟ أو كان مسلمًا بقلبه ـ كما يقول البعض ـ؟.

□ تقول الباحثة الألمانية: «د. كاثرينا ممسين»: «إن «جوته» عندما أصدر ديوان «الغرب والشرق» في مايو ١٨١٤ ثار معظمُ الألمان عليه؛ لأن هذا العملَ لا يَصدرُ إلاَّ عن شخصٍ علىٰ علاقةٍ رُوحيةٍ وثيقةٍ بالإسلام، ثم ازدادت ثورتُهم عليه عندما قال بعد ذلك بعامَين ـ أي في عام ١٨١٦ ـ: «إن مؤلِّفَ هذا العمل لا ينَفي الفكرةَ بأن يكون هو نفسُه مسلمًا».

وهو يتحدَّثُ في هذا الديوانِ عن الأصالةِ الدينيةِ في الشرق، وعن رغبتهِ في تجاوزِ التناقضاتِ العَدائيةِ بين الديانتين، والجمعِ بين هذين العالَمين تحتَ مَظِلَّةٍ واحدة، كما يتحدَّثُ به عن شخصياتٍ إسلاميةٍ أحبَّها مثل: السلطان سليم، والمتنبي، وحاتم الطائي، والفردوسي وغيرهم».

ويبدو في ديوان «الغرب والشرق» أن «جوته» كان دارسًا للقضايا التي شَغلت المُفكِّرين المسلمين على مدَىٰ العصور، فهو ـ علىٰ سبيل المثال ـ يُشيرُ إلىٰ المعركةِ التي قامت حول «هل القرآن مخلوق أو هو قديم»، والتي تعرَّض فيها الإمامُ أحمدُ بنُ حنبل للتعذيبِ لأنه تمسَّك برأيه في أن القرآنَ قديم.

❑ يقول جوته في إشارته إلىٰ «القرآن المقدس»:

هل القرآنُ قديم؟[1]
شيءٌ لا أسألُ عنه
هل هو مخلوقٌ
شيء لا أدريه

وكثيرٌ من أبيات الديوان عن القرآن، فهو يَستلهمُ من الآية ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ في سورة الفاتحة مناجاته:

يُنازعنُي الغَيُّ والضلال
لكنك تعرفُ كيف تَهديني

(١) هذا ما يقوله.. وهي مسألة هامة في عقيدة أهل السنة والجماعة.. والقرآن من كلام اللَّه وكلام اللَّه غير مخلوق، كما أنه لا يوصف اللَّه سبحانه ولا كلامه ولا سائر صفاته بوصف «القديم».

اهدني أنت في أعمالي الصراطَ المستقيم

ويُردِّد «جوته» الآية: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] فيقول:

للَّه المشرق

للَّه المغرب

وله الأرض شَمالاً وجنوبًا

وكان «جوته» يُعبِّرُ دائمًا عن حُبِّه للحروف العربية والخطِّ العربي.

❑ وفي كتابات «جوته» ما يدلُّ على تأثُّره بالقرآن ويقول: «إنه كتابٌ ليس له مثيلٌ على وجه الأرض، ولا مثيلَ لِمَا فيه من ذِكرٍ لأسماءِ اللَّه الحسنى».

❑ وقد رأى في القرآنِ الرؤيةَ الإسلاميةَ للذاتِ الإلهية، كما كان أسيرَ الإعجابِ بشخصيةِ الرسول ﷺ، ويقول: «إنه جَمَع بين الإنسان والنبي».

❑ وقد اكتشف أحدُ الباحثين مخطوطةَ ديوانٍ لم يُنشر كَتَبه «جوته» بعنوان «بعثة محمد»، نُشرت في باريس عام ١٩٠٧م يقول فيها:

حينما كان يتأمَّلُ في الملكوت

جاءه المَلاكُ ومعه النور

اضطَرَب، فهو لم يقرأ أبدًا

كلمة «اقرأ» تعني الكثيرَ بالنسبة له

---

(١) كيف هذا.. أهو مذهب وحدة الأديان الذي دعا إليه من بعد رجاء جاروي!!.

لكنَّ المَلاَكَ بَلَّغه الرسالةَ وبدأها بالأمر «اقرأ»

واستَمَع إلى الأمر.. وبدأ طريقه

☐ وعلى رغم إعجاب «جوته» بالإسلام وكتابِه ورسوله، فإنه يُوجِّهُ اللَّومَ إلى المسلمين لابتعادِهم عن رُوح الإسلام، ويوجِّهُ هذا اللومَ إلى المسيحيين أيضًا، ويتَّهمُهُم بالابتعادِ عن رُوح المسيحية، مقارنًا بين ما كان عليه المسيحيون عند ميلادِ المسيحية، وما صاروا إليه بعد ذلك، عندما تحوَّلت الكنيسةُ إلى سُلطةٍ سياسةٍ وانشغلت بجَمعِ الأموالِ وتملُّكِ الأراضي وبَحثِها عن أمور الدنيا، وهو ينتقدُ الانقسامَ الذين حَدَث بين الكاثوليك والبروتستانت، وفي ذلك كَتب في عام ١٨١٦م يقترحُ إقامةَ احتفالٍ واحدٍ يَجمعُ المؤمنين بالأديان جميعًا أسماه «احتفال الإنسانية النقية»، وفيه لا يُسأل أحدٌ عن دينه، «الجميعُ يذهبون يتلمَّسون الضَّوءَ من شُعاعٍ واحد، وتَسمُو أرواحُهم، ويتذكَّرُ كلٌّ منهم عِيدَه فيحتفلُ به»[١].

☐ ولقد كان تأثيرُ «جوته» عظيمًا، وما زال كذلك حتى اليوم، فقد تأثر به الشاعرُ الروسي الكبير «ألكسندر بوشكين» (١٧٩٩ ـ ١٨٣٧م)، والشاعرُ البولندي «آدم ميليفكس» (١٧٩٨ ـ ١٨٥٥)، فكانت أشعارُهما تعكِسُ تعاطُفًا تُجاهَ العالَم الإسلامي، وامتَدَّت أصداءُ شِعرِ «جوته» إلى آسيا، فتأثَّر به الشاعرُ والفيلسوف الباكستاني «محمد إقبال» (١٨٧٧ ـ ١٩٣٨م)، وله كتابٌ شهير باسم «سفارة الشرق» يعتبرُه النقَّادُ الصَّدَى الصافيَ لديوان «الغرب والشرق».

(١) «المنصفون للإسلام في الغرب» (ص٢١٧ ـ ٢٢١).

◻ ونَختمُ الحديثَ عن «جوته» بما قاله في مقدِّمة كتاب «المحمديَّات» «للديسون» الألماني، والذي عرَّبه عن الفرنسية إلىٰ العربية الكاتبُ الشهير «عمر أبو النصر».

◻ قال تحت عنوان ـ نشيد محمد أو فيض الإسلام ـ: «انظر إلىٰ يُنبوعِ الجَبَل يضطرِبُ مليئًا صافيًا، كأنما هو شُعاعٌ دُرِّيٌّ فوقَ السُّحب، أَرْضَعَتْ ملائكةُ الخيرِ طفولتَه في مَهدِهِ يومَ كان بين أفلاقِ الصخور المُعْشَوْشِبة، إنه يَنحدرُ من السحابةِ فتيًّا نقيًّا، ثم يَتنزَّىٰ منها جَذلانَ فَرِحًا، إنه يَسيرُ في الأخاديدِ الوَعْرة، جارِفًا أمامَه مِن ألوان الحَصباءِ ما لا يُحصىٰ، ساحبًا في إثرِه أخواتٍ من العيونِ الثرَّارة، كأنما هو مُرشِدُها الأمين، وأما في الوادي، فالرياحينُ تنبثقُ عند قدميه، والمُروجُ تحيا من أنفاسه، لا يَثنيه الوادي الظليل، ولا الرياحينُ التي تُطوِّق ساقيه، وتحاولُ أن تَسبِيَه وتستهويَه بلِحاظها الفواتِن».

◻ إلىٰ أن قال: «وها هو العُبابُ طاميًا زاخرًا، تَرفِدُه الروافدُ، فيَخلعُ في مجراه علىٰ الأمصار أسماءَها، وتَنشأُ عند أقدامه المُدُنُ، بَيْدَ أنه لا يَني، فلا يَبرحُ هادرًا يَندفعُ، لا يَثنيه ثانٍ، مُخلِّفًا وراءَه المنائرَ والصروح، نِتاجَ خِصبه وانتاجِه، ذلك هو محمدُ بن عبداللّه».

* **العلاَّمة ديسون الفرنسي:**

◻ قال في كتابه «المحمديَّات» تعريب البحَّاثة «عمر أبو النصر» (ص١٩): «لقد وُلد محمدٌ نبيُّ العرب في قلبِ البلاد العربية عام ٥٧٠ بعدَ المسيح، وتَمكَّن الإسلامُ في أواخِرِ القرن السابع أن يَقتحمَ سوريا وفارسَ

ومصرَ والمغربَ، وأن يَمتدَّ إلىٰ إفريقيا الشمالية، وأن يَحتلَّ كلَّ الجُزرِ الواقعةِ في البحرِ المتوسط، وأن يتَّصلَ بالهندِ والصينِ، فلما آذَنَت شمسُ القرنِ الثامن بشروقٍ، اقتَحم الإسلامُ إسبانيا، وأخذ «شارلمان» و«هارون الرشيد» يتبادلانِ السفراءَ والهدايا».

◘ إلىٰ أن قال (ص٢٢) منه: «وليس يصحُّ أن يُنظرَ إلىٰ دينِ محمدٍ كدينٍ مليءٍ بالخرافات والأكاذيبِ وغيرِ ذلك، فهذا مخالفٌ للحقيقةِ بعيدٌ عن الواقع، فإن التعاليمَ الإسلاميةَ شريفةٌ سامية، والأخلاقَ رفيعةٌ عالية، وفي الإسلام من العقائدِ والآراءِ ما يستحقُّ احترامَ الفلاسفةِ وعُلماءَ الاجتماعِ له».

ثم يذهبُ «المسيو ديسون» إلىٰ أنَّ بَعضَ المؤرِّخين يَذكرُ عن محمدٍ أنه كان كارهًا للأصنام بعيدًا عن عبادتها والتقرُّبِ منها، وإن كان لا يَعلمُ أنه سيُنشئُ في مُقبلاتِ الأعوامِ دينًا يُبدِّلُ الأرضَ غيرَ الأرض، ويُحدِثُ في العالَم ظاهرةً جديدةً لا تزالُ آثارُها بعيدةَ المدىٰ عظيمةَ الخطورة.. إلىٰ آخرِ كلامه.

*** الفيلسوف الألماني شبلنجر:**

◘ قال الفيلسوفُ الألماني «شبلنجر» في كتابه «أُفُول الغرب»: «إنَّ حضارةَ الإسلام حضارةٌ جديدةٌ أوشكت علىٰ الظهورِ في أروعِ صورةٍ، والإسلامُ يَملِكُ اليومَ أقوىٰ قوةٍ رُوحانيةٍ عالَميةٍ نقيَّةٍ»(١).

---

(١) «المنصفون للإسلام في الغرب» (١٩).

* **بول ديورانت:**

قال المُفكِّرُ الكبيرُ «بول ديورانت»: «إذا حكَمنا على العَظَمة بما كان للرجلِ العظيم مِن أثرٍ في الناس، فلابُدَّ أن نقولَ: إن محمداً ﷺ كان أعظمَ عظماءِ التاريخ»(١).

* **أنَّا ماري شيمل أعظم مَن أنصفَ الإسلامَ في ألمانيا:**

«أنَّا ماري شيمل» أعظمُ المستشرقات اللاتي أنصفن الإسلامَ في الغرب.. وما تقولُه له تأثيرٌ على كثير من المستشرقين والألمان بصفةٍ خاصة، ويمتدُّ تأثيرها إلى بقيةِ دول أوروبا، وهي حائزةٌ على جائزة «السلام للناشرين الألمان»، وهي أهمُّ الجوائز الثقافية ولفكرية في ألمانيا.

وبسبب موقفها من «سلمان رشدي» وروايته تعرَّضت لحملةِ اضطهادٍ شديدةٍ في ألمانيا.

تقولُ: «ولولا أن الرئيسَ الألمانيَّ في ذلك الوقت كان يُساندني لكانت الذئابُ قد افترستني، ولكنني مع ذلك قضيتُ في هذه المِحنة ستةَ شهور»(٢).

حَصَلت «أنَّا ماري شيمل» على جوائزِ تقديرٍ عديدةٍ من أنحاءِ العالَمِ يَصعُبُ حَصرُها، منها وِسامُ «الاستحقاق الكبير»، أعلى وسامٍ ألماني في عام ١٩٨١، وإنتاجُها المنشورُ عن الإسلام والشرقِ بَلَغ أكثرَ من ثمانينَ مُجلَّدًا، وصَدَر أكثرُ من ٢٠٠ كتاب عنها وعن أبحاثها وأفكارها، وهي

(١) «المنصفون للإسلام في الغرب» (١٩).
(٢) المصدر السابق (ص١٩).

معروفةٌ عالميًّا ومقروءةٌ باللغات الإنجليزية، والفرنسية، والفارسية، والتركية، والأوردو، والعربية، والإندونسية، وتُوفِّيت يومَ الثلاثاء ٤ فبراير ٢٠٠٣.

◻ وإجابةً عن سؤالٍ عن رأيها في الإسلام قالت بوضوح: «إنني أُحبُّ الإسلام، ولولا أنني أُحبُّه ما كتبتُ عنه أكثَرَ من ثمانينَ كتابًا، وقد وَجدتُ فيه دينَ تسامُحٍ وروحانيةٍ، وتوقَّفتُ كثيراً عند كلماتِ القرآن: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقد قلتُ لمن وجَّهوا إليَّ النقد: إني أحبُّ الرسول محمداً ﷺ»[١].

◻ وفي رأيها أنَّ التشهيرَ بالإسلامِ والمسلمين في الغرب قضيةٌ لها جُذورٌ وعُمقٌ تاريخي[٢].

◻ وتقول: «الإساءةُ إلىٰ الإسلامِ كانت شائعةً في القرون الوسطىٰ، ويَظهرُ ذلك في الشِّعر الفرنسيِّ من القرن الحادي عشر إلىٰ القرن الرابعَ عَشَر، كما يَظهرُ في الأدبِ الإنجليزيِّ والأسكتلندي، حتىٰ إنهم حرَّفوا اسم النبي «محمد» إلىٰ «Mahaund»، وهم اسمٌ يتكوَّن من مَقطعين، والمقطع الثاني «haund» يعني «كلب»، وفي نصوصٍ أخرىٰ نجدُ أن اسمَ النبي محمدٍ ﷺ تحوَّل إلىٰ اسمٍ معناه «الشيطان»، وحتىٰ في الأشعار الألمانيةِ الرومانسيةِ سنة ١٨٠١ نجدُ اسم محمدٍ ﷺ وقد تحوَّل إلىٰ «Mahom» «ماحوم»، وإشاراتٌ إلىٰ أن المسلمين يَعبُدون أصنامًا ذهبيةً لمحمدٍ ﷺ . . وهكذا لا

(١) المصدر السابق (ص١٨ ـ ١٩).
(٢) المصدر السابق (ص١٩).

يوجَدُ شيءٌ سلبيٌّ لم يُلصِقْه الغربيون بالإسلام من القرن الثامن حتىٰ القرنِ العاشر، وازدادت مع بدايةِ الحروب الصليبية، وفي نوفمبر سنة ١٩٩٥ تحدَّث الكُتَّابُ الغربيُّون بفخرٍ عن ذِكرىٰ مرور ٩٠٠ سنة علىٰ انطلاقِ أوَّلِ حَمْلةٍ صليبية، ممَّا يدلُّ علىٰ أن تلكَ الحِقبةَ ما زالت حَيَّةً في عقولِ الغربيين»(١) .

◻ وأجملُ ما قالته «أَنَّا ماري شيمل»: «إنَّ وسيلتها للحديث عن الإسلامِ ليست بإصدارِ البيانات، أو بالظهورِ المسرحيِّ، ولكنها تؤمنُ بأنَّ المياهَ التي تسيرُ سيرًا هادئًا وباستمرارٍ قادرةٌ مع الزمن علىٰ أن تُذيبَ الحَجَرَ الصَّلب»(٢) .

◻ وفي حديثٍ لها مع الدكتور «ثابت عيد» نُشِر في «مجلة أكتوبر» في عدد ١٠ مارس ١٩٩٦ أكَّدت «أَنَّا ماري شيمل» استنكارها لسلوكِ الغرب تُجاهَ الإسلام، ووجَّهت إنذارًا شديدَ اللهجة إلىٰ أعداءِ الإسلام؛ لأنهم علىٰ باطلٍ، قالت فيه: «إن الفكرةَ السائدةَ في الغرب بأن الإسلامَ يُعادِي المرأةَ فِكرةٌ خاطئة، بل إنَّ في الغرب مفكِّرين يقولون: «إنَّ المرأةَ في الإسلامِ كائنٌ بلا روح».. ولكي نعرفَ كَذِبَ هذا الادِّعاءِ، نعودُ إلىٰ القرآن الكريم، وسوف نرىٰ أنه يُسوِّي بين الذكر والأنثىٰ، وبين المؤمنين والمؤمنات، ولم يفرِّقْ بينهما في مجالِ الفرائضِ الدينية.. وإذا قيل: «إنَّ للمرأةِ نصفَ نصيب الرجل في الميراث»، فإن ذلك لسببٍ عَمَليٍّ، فالمرأةُ

(١) المصدر السابق (ص٢٥-٢٦).
(٢) المصدر السابق (ص٣٠).

حين تتزوجُ تحصلُ على مهرٍ مناسبٍ، والزوجُ هو المسؤول شرْعًا عن الإنفاقِ عليها، وهكذا تظهرُ العدالةُ في توزيعِ الأعباء والمسؤوليات، وفي النهاية سنجدُ أن المرأةَ هي الرابحة»[1].

❑ وقالت: «إنني أقولُ دائمًا للغربيين الذين يُشوِّهون صورةَ الإسلام: إنَّ الإسلام مَنَحَ المرأةَ حقَّ الاحتفاظِ باسمها، وبما تَملِكُه من مالٍ قبلَ زواجها، وبما تَكسِبُه بعد الزواج، وهذا يتضمَّنُ حقَّ المرأةِ في أن تعملَ وتكسِبَ من أيَّةِ مهنةٍ أو تجارة، والمرأةُ في أوروبا لم تتوصَّلْ إلىٰ حقِّ الاحتفاظ بما تَملِكُه من مالٍ بعدَ زواجها إلاَّ منذ فترةٍ قريبة».

❑ وتقول: «إنني كمؤرخةٍ للأديان أقفُ بإعجابٍ عند الآية (١٨٧) من سورة البقرة التي تحدِّدُ العلاقةَ بين الرجل والمرأة في إطارِ الزواج: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾، و«اللباس» يعني الذات الأخرىٰ أو النفْسَ الأخرىٰ، وبذلك يكون معنىٰ الآية: أن الرجل والمرأة يكمِّلُ كلٌّ منهما الآخرَ، وأنَّ كُلاًّ منهما هو النِّصفُ الأفضلُ للآخر، وأعتقدُ أنه يَجبُ تسليطُ الضوءِ علىٰ هذه الآية ـ عند الحديث علىٰ مكانةِ المرأة في الإسلام ـ»[2].

❑ وتقول: «إنَّ ما يُقالُ في الغرب من أنَّ العقيدةَ الإسلاميةَ عقيدةٌ منحرفةٌ، اتهامٌ باطلٌ وجَّهه مسيحيُّو القرونِ الوسطىٰ إلىٰ الإسلام، ومسيحيُّو القرونِ الوسطىٰ اعتَبروا الإسلامَ هرطقةً مسيحية، بل إن بعضَ الأساطير في القرون الوسطىٰ تقول: «إنَّ محمدًا كاردينال مسيحي، استاء

---

(١) المصدر السابق (ص٢٢ ـ ٢٣).

(٢) «المنصفون للإسلام في الغرب» (ص٢٣).

لعدم اختياره بابا، فقام بالانفصال عن الكنيسة، وأسَّس لنفسه ديانةً جديدةً»، وقد أثارت مِثلُ هذه الكتاباتِ الفَزَعَ من الإسلام ومن الرسولِ في نفوسِ المسيحيِّين العاديِّين في الغرب؛ لأنهم اعتقدوا أنهم ليس من الممكن أن تَظهرَ ديانةٌ سماويَّةٌ أخرىٰ بعد المسيحية، وهذا الرأيُ ما زال شائعًا بين الكثير من الأوساطِ المسيحية حتىٰ يومِنا هذا. . ومن المؤسِف أنَّ مِثلَ هذه الأفكارِ الخاطئةِ تبقىٰ إلىٰ وقتٍ طويلٍ في ذاكرةِ الأفراد، وفي «الوَعْي الجماعي» و«اللاشعور الجماعي» في الغرب، ويمكنُ إحياؤها في أيِّ وقت!»(١) .

☐ وتَردُّ «أنَّا ماري شيمل» علىٰ المقولةِ الكاذبةِ القائلة بأنَّ الإسلام انتشر بحدِّ السيف، فتقول: «هذا ادِّعاءٌ شائعٌ في الغرب. . إنَّ الإسلامَ لم ينتشر بحدِّ السيف في شِبهِ القارَّة الهندية، وماليزيا، والصين، وغربِ أفريقيا، بل انتشر عن طريقِ الصوفيِّين والتجَّار الذين قدَّموا العقيدةَ الإسلامية بطريقةٍ بسيطةٍ لهذه الشعوب»(٢) .

* المؤرخ ديكنز:

☐ يقول المؤرخ «ديكنز» في كتابه «معالم تاريخ الإنسانية»: «إنَّ الإسلامَ ساد لأنه خيرُ نظامٍ اجتماعيٍّ وسياسيٍّ ظَهَر في التاريخ»(٣) .

(١، ٢) المصدر السابق (ص٢٤).

ويُؤخَذ عليها اهتمامها بجلال الدين الرومي، والحلاج وابن عربي وإعجابُها الكبير بقول ابن عربي:

لقد صار قلبي قابلاً كلَّ صورةٍ ... فمَرعىً لغـزلانٍ ودَيرٌ لرهبـانِ
وبيتٌ لأوثـان، وكعبةُ طائفٍ ... وألواحُ توراة، ومصحفُ قرآنِ

(٣) المصدر السابق (ص٢٠).

* المفكِّر الألماني الدكتور مراد ويلفريد هوفمان:

وُلِدِ عام ١٩١٠، حاصلٌ علىٰ الدكتوراة في القانون من إحدىٰ جامعاتِ الولايات المتحدة، عمل خبيراً نوويًّا في حِلف الأطلنطي، وعمِل سفيراً لبلاده في الجزائر والإمارات والسعودية، واعتَنق الإسلامَ، وأصبح واحداً من أشهر المُنصِفين للإسلام والمسلمين في الغرب، وله كُتبٌ عديدةٌ، منها «الإسلام كبديل» و«الإسلام عام ٢٠٠٠»، و«يوميات ألماني مسلم»، و«الإسلام في الألفية الثالثة».

❑ يقول «د. مراد هوفمان»: «إنَّ المستشرقين حاولوا إثبات أن القرآنَ ليس من عند اللَّه، وفشِلوا، كما فشِلوا في إثباتِ حُدوثِ تغييرٍ في أيِّ حرفٍ أو كلمةٍ فيه»[1].

وهو يردُّ علىٰ المستشرقين ردًّا مفحِمًا، ويدافعُ عن الإسلامِ ورسولهِ ﷺ.

* السير وليم سوير الإنكليزي:

❑ قال في كتابه «سيرة محمد» (ص٣١): «امتاز محمدٌ بوضوحِ كلامِه ويُسرِ دينهِ، وأنه أَتَمَّ من الأعمال ما أدهش الألباب، ولم يَشهدِ التاريخُ مُصلِحًا أيقظ النفوسَ، وأحيا الأخلاقَ الحسنة، ورَفَع شأنَ الفضيلةِ في زمنٍ قصيرٍ كما فَعل محمد».

* السير وليام ميو الإنجليزي:

❑ قال في كتابه «محمد»: «ومِن صفـاتِ محمـدِ الجليلةِ الجديـرةِ

---

(١) المصدر السابق (ص١٠٩).

بالذِّكر والحَرِيَّةِ بالتنـويه: الرِّقَّـة والاحترام، اللتانِ كان يُعامِلُ بهما أصحابَه، حتىٰ أقلَّهم شأنًا، فالسماحةُ والتواضعُ والرأفةُ والرِّقةُ تغلغلت في نفسه، ورَسَّخت محبتَّه عند كلِّ مَن حولَه، وكان يَكرهُ أن يقول: «لا»، فإنْ لم يُمكِنْه أن يُجيبَ الطالبَ علىٰ سؤاله، فضَّل السكوتَ علىٰ الجواب، ولقد كان أشدَّ حياءً من العذراءِ في خِدْرِها، وقالت عائشة ﵂: «وكان إذا ساءه شيءٌ تبيَّنَّا ذلك في أسارير وجهه، ولـم يَمَسَّ أحدًا بسُوءٍ إلاَّ في سبيل اللَّه».

ويؤثَرُ عنه أنه كان لا يَمتنعُ عن إجابةِ الدعـوةِ من أحـدٍ ـ مهما كان حقيراً ـ، ولا يَرفضُ هديةً مُهداةً إليه مهما كانت صغيرةً، وإذا جَلس مع أحدٍ ـ أيًّا كان ـ لَم يَرفعْ نحوَه رُكبتَه تشامُخًا وكبراً.

وكان سهلاً لَيِّنَ العريكة مع الأطفال، لا يأنَفُ إذا مرَّ بطائفةٍ منهم يلعبون أن يُقرِأَهم تحيةَ السلام، وكان يُشرِكُ غيرَه في طعامه، وعامَلَ حتىٰ ألدَّ أعدائِه بكلِّ كرمٍ وسخاءٍ حتىٰ مع أهلِ مكة، وهم الذين ناصَبوه العَداءَ سِنين طوالاً، وامتَنعوا من الدخولِ في طاعته، كما ظَهر حِلمُه وصَفحُه حتىٰ في حالَتَيِ الظَّفَرِ والانتصار، وقد دانت لطاعته القبائلُ التي كانت مِن قبلُ أكثرَ مناجَزةً وعَداءً له».

* **المؤرخ الكبير فتلي الإنجليزي:**

مستشرقٌ بحَّاثةٌ، وُلِد سنة ١٨١٥، وتُوفِّي سنة ١٨٩٠م.

◻ قال في مقدمـة كتابـه «الحيـاة» ـ تعريب الدكتور «سامي العشا» المصري ـ: «قد يَنحرفُ المؤرِّخُ عن موضوعِه ليتأمَّلَ حياةَ رجلٍ نال سُلطةً

خارقةً على عقولِ أتباعِه وأعمالِه، ووَضعت عبقريتُه نظامًا أساسيًّا دينيًّا ساميًا سياسيًّا، وما زال يَحكُمُ الملايينَ من البشر من أجناسٍ مختلفةٍ وصفاتٍ متباينة.

إنَّ نجاحَ محمدٍ كُمشرِّعٍ بين أقدمِ الأمم الأسيوية، وثباتَ نُظُمِه على مدى أجيالٍ طويلةٍ في كلِّ نواحي الهيكلِ الاجتماعي، دليلٌ على أن ذلك الرجلَ الحاذقَ قد كوَّنه مزيجٌ نادرٌ من الكفاءات».

* الليدي إيفيلين كوبرلد:

❑ قالت الشاعرة الليدي «إيفلين كوبرلد» البريطانية في كتابها «الأخلاق» (ص٦٦): «لعمري لقد استطاع محمدٌ القيامَ بالمعجزاتِ والعجائب، لَمَّا تمكَّن من حَملِ هذه الأُمةِ العربيةِ الشديدةِ العنيدةِ على نَبذِ الأصنام، وقبولِ الوحدانيةِ الإلهيةِ، ولقد كان محمدٌ شاكرًا حامدًا، إذ وُفِّق إلى خَلْقِ العرب خَلْقًا جديدًا، ونَقَلَهم من الظلماتِ إلى النور، ومع ذلك كان محمدٌ سيِّد جزيرةِ العرب، وزعيمَ قبائلِهم، فإنه لم يُفكِّرْ في هذه، ولا راح يَعملُ لاستثمارها، بل ظَلَّ على حالِه، مكتفيًا بأنه رسولُ اللَّه، وأنه خادمُ المسلمين، يُنظِّفُ بيتَه بنفسِه، ويُصلِحُ حِذاءَه بيده، كريمًا بارًّا كأنه الريحُ الساريةُ، لا يَقصِدُه فقيرٌ أو بائسٌ إلاَّ تفضَّل عليه بما لديه، وكان يَعملُ في سبيلِ اللَّه والإنسانية».

* جون أروكس الإنجليزي:

❑ قال في كتابه «عظماء التاريخ» (ص٨٣): «لم نَعلمْ أنَّ محمدًا تسربَلَ بأيَّةِ رذيلةٍ مُدَّةَ حياته؛ لذلك نراه عظيمًا».

* **العلاَّمة إلياس جون جيب الإنجليزي:**

من مشاهير مُستشرقي الإنكليز، تُوفِّي في مدينة «كردف» بلدته ١٩٠٣.

□ له مؤلَّفاتٌ عديدة ظَهرت بعد وفاته، منها «العرب قبلَ الإسلام وبعده»، قال فيه: «عقيدةُ محمدٍ خالصةٌ، ليس فيها لَبسٌ ولا إبهام، ومَن يتَّهِمُها بما يتنافى مع كرامتها، فإنما هو متَّهمٌ في فَهمِه ووجدانه».

* **المسيو مار كودار الإنكليزي:**

□ وُلد في بلدته «بلاما» ١٨٣٧م، وتُوفي ١٨٩٣م - نقلاً عن مجلة «الهلال» المجلد الرابع الجزء ٩ -، وهو أحدُ مستشرقي الإنكليز قال: «كان محمدٌ يعامِلُ الغنيَّ والفقيرَ على السواء، وإنه لنبيٌّ مبارَكٌ أرسله اللَّه للبشر».

* **السير هربرت سبنسر الإنكليزي:**

فيلسوفٌ إنكليزي تأثَّر بمذهبِ التطوُّر، مِن آرائه أنَّ المرءَ لا يَستطيعُ الوصولَ إلى معرفةِ اللَّه، وُلد في مدينة «كرودف» من مُدن بريطانيا عام ١٨٢٠، وتُوفِّي عام ١٩٠٣.

□ قال في كتابه «أصول الاجتماع» (ص٣٧): «فدونَكم محمداً، إنه رَمزٌ للسياسةِ الدينيةِ الصحيحة، وأصدقُ مَن نَهَج مِنهاجَها المقدَّسَ في البشريةِ كافةً، ولم يكن محمدٌ إلاَّ مثالاً للأمانةِ المُجسَّمةِ والصِّدقِ البريء وما زال يَدأبُ لحياةِ أُمتِه ليلَه ونهارَه».

* المسيو بالمر الإنكليزي:

□ مستشرقٌ إنكليزي، وُلد في بلدة «باركا» عام ١٧٩٥، وتُوفِّي ١٨٨٣، تَرجَمَ القرآنَ إلىٰ اللغةِ الإنكليزية، قال في مقدمته: «لقد جاء محمدٌ بمبدإٍ للعالَمِ عظيم، ودينٍ لو أنصفَتِ البشريةُ لاتخذَتْه لها عقيدةً ومنهاجًا تسيرُ علىٰ ضوئه، وقد كان محمدٌ عظيمًا في أخلاقه، عظيمًا في صِفاته، عظيمًا في دينه وشريعته، وإنني لا أُبالغُ إذا قلتُ: إن شريعته تَحملُ إلىٰ الناسِ تعاليمَ ونُظُمًا وقوانينَ ليس في غيرها مما سَبَق مِثلُها، ولقد كانت الأممُ السابقةُ تعتنقُها مَبدأً وعقيدةً لأنها لَمَست ما فيها من حياةٍ رُوحيةٍ وركائزَ رصينةٍ».

* البحَّاثة ستانلي جيفونس البريطاني:

مستشرقٌ بريطاني، وُلد في بلدته «كانالي» عام ١٨٤١، وتُوفِّي ١٩٠٤، من مشاهيرِ الرُّوَّاد، توغَّل في مجاهلِ إفريقيا.

□ قال في كتابه «الديانات والعصور» (ص٥١): «إن دراستَنا لعصورِ بَعثاتِ الأنبياء تدلُّ علىٰ أنهم جاؤوا ليَحُلُّوا مشاكلَ عَجزَت عقولُ البشرِ عن الاهتداءِ إلىٰ حُلولٍ لها، فلم توجَدْ لدىٰ الإسرائيليين - قبلَ رسالة موسىٰ - طريقةٌ للخلاص من اضطهادِ الفراعنة، ولا توفيرُ رخاءِ الشعب إلىٰ آخرِ الحالاتِ المستوجبةِ للعلاج، ولا وُجِد - قبل بَعثة المسيح - طريقٌ لإدخالِ الأملِ علىٰ النفوس اليائسة، في عصرٍ كانت تتألَّفُ فيه الجماعاتُ السرِّيَّةُ لتنظيمِ الانتحار، ولقَتلِ المُترَفين، لأن الشعوبَ كانت تَئِنُّ من الحِرمانِ والفقر، وكان المُلوكُ وبطاناتُهم يَمضَغُون الذهب، وكانت المادةُ تَطغىٰ علىٰ

الفضيلة، فلذا بُعث عيسىٰ مخلوقًا روحيًّا، فجاء عيسىٰ بحَلٍّ عجيبٍ، ليس من صُنع العقلِ البشريِّ، جاء يقول للناس: «لا يَلزمُكم مِزوَدٌ للطريق، ولا اقتناءُ ثوبَينِ ولا عصًا»، وجاء يُزهِّدُ الناسَ في الغِنىٰ، بل يُنفِّرُهم منه، فقال لهم: «لا يدخلُ غنيٌّ إلىٰ ملكوتِ السموات».

ونبوَّةُ محمدٍ جاءت لتعالجَ كلَّ جوانبِ الحياةِ العموميةِ جميعًا، ومما لا ريبَ فيه أن دعوةَ محمدٍ قد زَلزلت أركانَ الدنيا، وقد استَولت علىٰ القِسمِ المُهمِّ منها».

* **المسيو صموئيل مارغوليوث الإنكليزي:**

❑ مستشرقٌ إنكليزي، وُلد عام ١٨٦٨، وتُوفِّي ١٩٤٠، عضوُ المَجمع العِلميِّ في دمشق، نَشر «مُعجمَ الأدباء» لياقوت الحموي، و«الأنساب» للسمعاني، و«رسائل المَعري» بترجمةٍ إنكليزية، دُعي لحفلةٍ ميلاديةٍ في دمشق عام ١٩٢٧ قال فيها: «إن يومَ ميلادِ محمدٍ لَيومٌ عظيمٌ علىٰ العالَم ـ لا علىٰ العرب فقط ـ؛ لأنه لم يُولَدْ إلاَّ لأمرٍ عظيم، ألاَ وهو رسالتُه التي بَلَّغها للعالَم، فاعتنقها قومٌ وتركها آخرون، وهي طافحةٌ بالحضارةِ والتعاليمِ التي تَخدُمُ البشريةَ وتُوليها زِمامَ الحياة، ولكنها رسالةٌ أَخذت بها أُمةٌ جَهِلت ما فيها، وخيرُ ما فيها طابعُ صلاحيةِ البقاء مع الزمن مهما طال وامتد».

* **السير موير الإنجليزي:**

❑ قال في كتابه «تاريخ محمد» (ص٢٠) المطبوع عام ١٩١٢: «إن محمدًا ـ نبيَّ المسلمين ـ لُقِّب «بالأمين» منذ الصِّغر بإجماعِ أهلِ بلده لشرفِ

أخلاقه، وحُسنِ سُلوكه، ومهما يكنْ هناك من أمرٍ، فإنَّ محمداً أسمىٰ مِن أن ينتهيَ إليه الواصفُ، ولا يَعرِفُه مَن جَهِله، وخبيرٌ به مَن أنعم النظرَ في تاريخ المجد، ذلك التاريخُ الذي تَرَك محمداً في طليعةِ الرسلِ ومفكِّري العالَم».

* **العلاَّمة هيليار بلاون البريطاني:**

مستشرقٌ بريطاني، وُلد في بلدته «كوارير» عام ١٨٤٧.

□ قال في كتابه «فكرة الحياة» (ص٦٣ و٦٤): «بينما كانت مُدُنُ الإمبراطوريةِ البيزنطيَّة تَحتفلُ بانتصاراتِ الإمبراطور هرقل علىٰ الفرس، وبينما كان الناسُ في سرورٍ وجَذَلٍ عظيمَينِ، حَدَثت المعجزةُ المحمديَّةُ، حَدَث شيءٌ لم يكنْ أحدٌ ينتظرُه ولا يَفطِنُ له، حَدَث أمرٌ كان أقربَ إلىٰ الهزَّةِ الأرضيةِ أو الفيضانِ العامِّ في سُرعتِه وشِدَّته ووقوعِه دونما سابقِ إنذارٍ ولا إشارة.

لم تكن هناك أعراضٌ سَبَقت هذا الحدثَ العظيمَ الضخم، ولا أماراتٌ تدعو إلىٰ انتظارِه والتهيُّؤِ له، ولم يكن مَضَىٰ علىٰ انتصاراتِ هرقلَ إلاَّ سنواتٌ قلائل، لَمَّا مشىٰ إلىٰ أرضِ الإمبراطورية فِرسانٌ من الصحراء، ما سَمِع عنهم أحدٌ شيئاً إلاَّ ما كان يُقالُ مِن أنهم جماعةٌ يضربون أرضَ الصحراء علىٰ خُيولهم وإبِلِهم طلباً للكَلإِ والماء، وأنهم قومٌ من البدو».

□ ويمضي «هيليار بلاون» فيقول: «إني أقول: إنَّ معجزةً كهذه من حيثُ خطَرِها، وبُعدِ أثرِها، وعظيمِ نتائجِها، كانت مَسُوقةً بقوَّةٍ لا يُستطاعُ تفسيرُها، وإنْ كان ما لدينا من المصادر والوثائقِ يُساعدُنا علىٰ تفهُّمِ

الأسبابِ التي جعَلَتْها أمرًا واقعًا منظورًا».

* السير تشارلز إرمان البريطاني:

☐ مؤرِّخٌ بريطانيٌّ معروف، وُلد عام ١٨٨٦، وتُوفِّي ١٩٤٠، له كتابٌ صغير عن الإسلام، قال فيه: «إن شخصيةَ محمدٍ ثوريةٌ وانقلابية، تفوقُ مَقدِرةَ الشخصِ الموهوبِ العادي، فلم تُنتجْ بلادُ العرب قَبلَه ولا بعدَه فَردًا أثَّر في مجموعِ تاريخِ العالَم، ويكونُ مِن المُضحِك حقًّا الادعاءُ إنه نتيجةٌ محتَّمةٌ لحالةِ بلادِ العربِ الفكريةِ والاقتصاديةِ في القرنِ السابعِ بَعد المسيح، بل إن مَبدأه الذي جاء به هو مبدأٌ اعتنقته أممٌ، وسَرعانَ ما تحقَّقت فكرتُه في بلادِ العرب لأنها نافعةٌ، ولم يكن فيها ما يُحارِبُ لأجله غيرَها من الدياناتِ السابقةِ».

* العلاَّمة ماكس موللر الإنكليزي:

مستشرقٌ إنكليزي، وُلد في بلدته «تكيا» سنة ١٧٩٠، وتُوفِّي ١٨٦٥، مؤرِّخٌ قَصصيٌّ، له جَولةٌ واسعةٌ في بلاد العرب، وله مؤلَّفاتٌ، منها «محمد والمحمدية».

☐ قال فيه (ص٢٧): «سوف يَعلمُ المسيحيُّون بدَهَشٍ عظيمٍ أنَّ محمَّدًا أَحدُ معضِّدي يسوع، وأن الديانةَ المحمَّديةَ ما هي إلاَّ شيعةٌ من شِيَعِ الديانةِ النصرانية[1]، وإذ ذاك يَندهشُ المسلمون والمسيحيون مما يُسبِّبُ ما جاء في

(١) بل هي الرسالةُ الخاتمةُ لرسالات البشر، وهي المهيمنةُ على ما قبلَها من الشرائع، ومحمدٌ ﷺ مُصدِّقٌ لِما قبلَه من إخوانِه الأنبياءِ، وهو أفضلُهم عند اللّه تعالى.

تاريخهما من الخِصامِ والعَداءِ بسببِ الدِّين الذي جاء به محمدٌ، وسوف يَعلمُ المسيحيون في العالَم أن دينَه خالٍ من كلِّ غُشٍّ، وأن فيه كلَّ ما يَصلُحُ للبشر».

*** بوسورت سمث البريطاني:**

☐ عالمٌ كبير إنكليزي، وُلد في بلدته «نيوكاسل» عام ١٨١٥، وتُوفِّي في ١٨٩٢م، وهو من كبارِ رجالِ الفِكرِ وعالِمٌ كيميائيٌّ، وله كتابٌ عن الشرقيين اسمه «الأدب في آسيا»، قال في مقدمته: «إنَّ المعجزةَ الخالدةَ التي ادَّعاها محمدٌ هي القرآن، والحقيقةُ إنها لكذلك، وإذا قَدَّرْنا ظروفَ العصرِ الذي عاش فيه، واحترامَ اتباعِه له احترامًا لا حَدَّ له، ووازنَّاه بآباءِ الكنيسة أو بقِدِّيسي القرونِ الوسطىٰ لَتبيَّنَ لنا أن أعظمَ ما هو معجزٌ في محمدٍ نبيِّ المسلمين أنه لم يَدَّعِ القُدرةَ علىٰ الإتيانِ بالمعجزاتِ، وما قال شيئًا إلاَّ فَعَله وشاهَده منه في الحال أتباعُه، ولم يَنسِبْ إليه الصحابةُ معجزاتٍ لم يأتها أو أنكر صدورَها منه، فأيُّ برهانٍ أقطعُ من ذلك؟ ولقد كان محمدٌ يَدَّعي مِن آخرِ حياته ـ كما ادَّعىٰ من مبدإ أمره ـ أنه رسولُ اللَّه حقًّا، وإني أعتقدُ أن الفلسفةَ المسيحيةَ العاليةَ ستَعترفُ له بذلك يومًا من الأيام».

☐ وقال في كتابه «محمد والإسلام»: «إذا قَدَّرْنا تاريخَ الإسلام ـ إذ نظرُ إليه من نافذةِ الإنصاف ـ فإنما نُقدِّرُ صاحبَه الذي أسَّسه ووَضَع حَجَرَه الأساسيَّ، وهو محمدٌ الذي لا نستطيعُ أن نقولَ في حقِّه إلاَّ أنه رجلٌ عظيم بعَقلِه وعَمَلِه وأخلاقِه وبلاغتِه وتديُّنِه، وسيَحملُ له المُنصِفون من النصارىٰ وغيرِهم الإخلاصَ متىٰ عرَفوه في المستقبل».

□ وقال في كتابه «حياة محمد» (ص٣٤٦): «إن محمداً جاء بكتابٍ مشتملٍ على دستورِ الشرائعِ والعباداتِ وأخبار الأُمم، نَقِيٍّ العبارةِ من الألفاظِ المستهجَنة، باهرُ الحِكمةِ والحقائق، وهو أعظمُ معجزةٍ للنبيِّ محمدٍ، والحقُّ يقال: إنَّه لَمعجزة».

* جورج بروك عُضْوُ البرلمان الإنجليزي:

□ جاء في مجلة «العالم الإسلامي» لمؤسِّسها القَسِّ «صموئيل زويمر» الإنجليزي، في عددها السابع الصادر باللغة الإنكليزية من سَنَتِها الخامسة، نقلاً عن العدد الرابع من مجلة «الأزهر» لعام ١٩٥٢ (ص١٠٥): «إن جَمعيةَ المسلمين في مدينة «برد فورد» بإنجلترا قد أقامت منذُ قريبٍ حفلاً، فكان من خُطبائه المستر «جورج بروك» عضوُ البرلمان الإنكليزي، وقد نَوَّه في خطابه بما يَبُثُّه الإسلامُ من شعورِ الإخاءِ بين أبنائه».

□ وقال: «إنه يستطيعُ أن يردَّ الاهتمامَ بالدينِ الإسلاميِّ إلى أنه دينٌ عالَميٌّ بطبيعته».

□ ثم قال: «إن الإسلامَ دينُ السلامِ والمحبةِ بين البشر، وإنه يَلعبُ دَوراً خطيراً الآن في شؤون العالَم، وإني أعتقدُ أن خَطَرَه وتأثيرَه في مستقبلِ العالم سيزدادُ جيلاً بعد جيل».

* المستر داز الإنكليزي:

مستشرقٌ إنكليزيٌّ ومؤرِّخٌ كبير، ولد في «منشستر» ١٨٢٣، وتُوفي ١٩٠٧.

□ قال في كتابه «مع الشرق والغرب» ـ وهو أحدُ مؤلَّفاته ـ: «إن

محمداً كان مجموعةً من الخيال والنبوغ والبحث.. كان محمدٌ زراعيًّا وطبيبًا وقانونيًّا وقائدًا، اقرأْ ما جاء في أحاديثه، تعرفْ صِدقَ ما أقول، ويكفي أنَّ قوله المأثور عنه: «نحن قومٌ لا نأكلُ حتىٰ نجوع، وإذا أكَلْنا لا نشبع»(١) هو الأساسُ الذي بُني عليه عِلمُ الصِّحة، ولا يَستطيعُ الأطباءُ ـ علىٰ كثرتِهم ومهارتِهم حتىٰ اليوم ـ أن يأتوا بنصيحةٍ أثمنَ من هذه».

◘ ثم قال: «إن محمداً هو الذي استطاعَ في مدةٍ وجيزةٍ ـ لا تَزيدُ علىٰ رُبعِ قرنٍ ـ أن يَكتسحَ دولتَينِ من أعظمِ دُولِ العالَم، وأن يُحدِثَ ذلك الانقلابَ المدهشَ، وأن يَكبَحَ جِماحَ أُمةٍ اتخذَتِ الصحراءَ المحرقةَ سكنًا لها، واشتُهرت بالشجاعة والغزوِ ورَباطةِ الجأشِ والأخذِ بالثأر.. فمَن الذي يَشكُّ أن القُوَّةَ الخارقةَ للعادةِ التي استطاعَ بها محمدٌ أن يَقهرَ خصومَه هي من عند اللَّه؟!».

* مرة أخرى مع بوسورت سميث الإنكليزي:

مؤرِّخ إنكليزي، وُلد ١٨٣٣، وتوفِّي ١٨٩٧.

◘ قال في مؤلَّفٍ له أسماه «الأدب في التاريخ»: «مِن حُسنِ الحظِّ الوحيدِ في التاريخ ـ دون غيره ـ هو أن محمدًا أَسَّس في وقتٍ واحدٍ ثلاثةً هي من عظائمِ الأمور وجلائلِ الأعمال، فإنه مؤسِّسٌ لأُمةٍ إمبراطوريةٍ وديانة، وقلَّما كان يقرأُ ويكتبُ(٢)، وكان داعيًا إلىٰ الرحمة والعدلِ والكرمِ والشجاعةِ والصبرِ علىٰ المكاره والصِّدقِ وغير ذلك من مكارمِ الأخلاق».

---

(١) لا يصح عن رسولنا ﷺ.

(٢) بل لم يكن يقرأويكتب إطلاقًا.

□ وقال: «إن الدينَ وحدَه هو القانونُ الطبيعيُّ الذي يَجبُ على الناسِ أن يَتَّبعوه».

* **المستر جون ديفولبوت البريطاني:**

مستشرقٌ بريطاني، وُلد سنة ١٨٣٢، وتوفِّي ١٩٠٢، وهو من علماءِ الطبيعة، وأستاذٌ في علمِ الچيولوچيا.

□ قال في أحد مؤلَّفاته «العجائب»: «هل بالإمكانِ إنكارُ فضلِ محمدٍ نبيِّ العرب الذي قام بإصلاحاتٍ غريبةٍ وعظيمةٍ، فكانت خالدةً لبلادِه؟! فقد جَعَل أهلَها يَعبُدون اللَّه، ويهجُرون عبادةَ الأصنام، وهو الذي مَنَع قَتلَ الموؤودةِ، وحَرَّم شُربَ الخمر وفِعْلَ الميسر، وتَرَك لأُمَّته مَبدأً لا يزال، وعليه يَعملُ الملايينُ من الناس».

* **إدوارد لين الإنجليزي:**

□ مستشرقٌ عاش رَدْحًا من الوقتِ في القاهرة، وُلِد عام ١٨٠٣م، وتُوفِّي سنة ١٨٧٧م، وذلك في بلدته «إكسياد»، له عدَّةُ مولَّفاتٍ، منها: «أخلاق وعادات المصريين» جاء فيه: «إنَّ محمدًا كان يَتَّصفُ بكثيرٍ من الخِصالِ الحميدة، كاللُّطفِ والشجاعةِ ومكارمِ الأخلاق، حتى إنَّ الإنسانَ لا يَستطيعُ أن يَحكمَ عليه دون أن يتأثَّر بما تتركُه هذه الصفاتُ في نفسِه من أثرٍ، كيف لا! وقد احتَمل محمدٌ عَداءَ أهلِه وعشيرتِه بصبرٍ وجَلَدٍ عظيمين، ومع ذلك فقد بَلَغ من نُبْله أنه لم يكن يَسْحَبُ يَدَه من يدِ مصافِحِه ـ حتى ولو كان يُصافحُ طفلاً ـ، وأنه لم يَمرَّ يومًا من الأيام بجماعةٍ ـ رجالاً كانوا أو أطفالاً ـ دونَ أن يُقرِأَهم السلامَ وعلى شَفَتَيه ابتسامةٌ حُلوة، وقد كان محمدٌ

غَيُوراً ومتحمِّسًا، وكان يُحارِبُ الباطل، وكان رسولاً من السماء، وكان يُريدُ أن يؤدِّيَ رسالتَه على أكملِ وجهٍ، كما أنه لم يَنْسَ يومًا من الأيام الغرضَ الذي بُعث لأجله، ودائمًا كان يَعملُ له ويتحمَّلُ في سبيله جَميعَ أنواعِ البلايا، حتى انتهى إلى إتمامِ ما يُريد».

* والفضل ما شهدتْ به الأعداء:

نَقلت مجلة «العرفان اللبنانية» في آخر الجزءِ الثالث من المجلد (٣٢١) عن مجلة «العالم الإسلامي» الإنجليزية لصاحبها القَسِّ «زويمر» ما يلي: «فالقرآن الذي نَزل على محمدٍ بدلاً مِن أن يكونَ ضربةً قاضيةً على التقدُّمِ، هو كتابٌ ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، فيه آياتٌ بينات، ودلائلُ واضحات، وأخبارٌ صادقة، ومواعظُ رائعة، وشرائعُ راقية، صالحةٌ لكلِّ أُمةٍ ولكلِّ زمان».

* العلاَّمة لين بول البريطاني:

مستشرقٌ بريطاني، وُلد عام ١٨٥٣، وتوفِّي عام ١٩١٧، له اطِّلاعٌ واسعٌ على تاريخ العرب، وهو واضعُ فهرست المسكوكات المحفوظة في دار الكتب المصرية عام ١٨٩٧، وله رسالةٌ في تاريخ العرب، قال فيها: «إنَّ ما اتَّصف به محمدٌ من الصبر واحتمالِ المكارِه والعفوِ عند المقدرة، لَبرهانٌ لنا واضحٌ على أنه كان صادقًا، إذ يقول: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فمحمدٌ ذو يقينٍ راسخٍ وقوةِ عزمٍ هائلة».

* * *

* الراهبة البريطانية كارين أرمسترونج تدافعُ عن الإسلام:

من هؤلاء المُنصِفِين للإسلامِ الكاتبةُ البريطانية «كارين أرمسترونج»، وهي في الأصل راهبة، تحوَّلت إلىٰ البحثِ في تاريخ الأديان، وقد تَركت الرَّهْبنةَ بعدَ أنْ وَجَدت أن حياةَ الأديرةِ لا تُناسبُ طبيعتَها وتمسُّكها بحريةِ التفكير للوصول إلىٰ الحقيقة دون ضغطٍ عليها، وقد توصَّلت إلىٰ أن هناك قاسمًا مشتركًا بين الدياناتِ الثلاثة، وأن القِيَمَ الجوهريةَ في كلِّ الديانات واحدة.

«وكارين أرمسترونج» تُقدِّمُ الدليلَ للغربِ علىٰ أن الإسلامَ دينٌ من عند اللَّه، وأن محمداً ﷺ رسولٌ بعَثه اللَّهُ بدينِ الإسلام، وأن هذا الدينَ للبَشَـر جميعًا ـ وليس للعرب وحدَهم ـ، وبموضوعيـةٍ ملحوظـةٍ قامت بتصحيحِ المفاهيمِ المغلوطةِ عن الإسلام، وقد اتَّخذت مِن رُدودِ فِعلِ المسلمين إزاءَ كِتابِ سلمان رشدي «آيات شيطانية» ومبالغةِ الغرب في الدعايةِ لهذا الكتاب، مُنطلقًا لكتابِها «محمد. . سيرة النبي»، ولحُسن الحظِّ أن هذا الكتابَ ترجَمَه إلىٰ العربية اثنانِ من أكفإِ المترجِمين وأكثرِهم خِبرةٍ ودِقةً، هما الدكتورة «فاطمة نصر»، والدكتور «محمد عناني»، وقدَّما للكِتابِ بمقدِّمةٍ مهمةٍ، قالا فيها: «إن حافزَهما علىٰ ترجمةِ هذا الكتاب ليس الزهوَ بذلك الصوتِ الغربيِّ المسيحيِّ الذي حاول إنصافَ الرسول ﷺ وقدَّم شهادةً موضوعيةً عنه وعن الإسلام، فهما لن تَضيرَهما عداوةٌ أو تُنصِفَهما صداقةُ أحد».

والكتابُ موجَّهٌ إلىٰ القارئِ الغربيِّ، وليس إلىٰ القارئِ العربيِّ المسلم،

فلن يُضيفَ إليه جديدًا، ولكنه نموذجٌ للكتابةِ الموضوعيةِ غير المتحيِّزة، خاصةً وأنها تكشفُ في هذا الكتاب التناقضَ في العقليةِ الغربيةِ بين ادِّعائها بأنها عقليةٌ علميةٌ وموضوعيةٌ ومُحايِدة، وبين تحيُّزِها المبدئيِّ ضدَّ الإسلامِ ورسولِه دونَ دراسةٍ أو تحليلٍ كافيَينِ لعقائدِ الإسلامِ وسيرةِ الرسول ﷺ وتاريخِ الحضارة الإسلامية.

◻ تقول «كارين أرمسترونج»: «إنَّ لدينا في الغربِ تاريخًا طويلاً من العَداءِ للإسلام، راسخَ الجذور، ولم يَعُدْ يَمنعُ الناسَ شيءٌ عن مهاجمةِ هذا الدين، حتىٰ لو كانوا لا يَعرِفون عنه غيرَ أقلِّ القليل! ويرجعُ هذا العَداءُ إلىٰ الفترة التي نشأت فيها الإمبراطوريةُ الإسلامية في القرنِ السابعِ الميلادي، وكانت أوربا منطقةً متخلِّفةً، وامتَدَّت الفتوحاتُ الإسلاميةُ بسرعةٍ إلىٰ مُعظَمِ مناطِقِ العالَم المسيحيِّ في الشرق الأوسط، وإلىٰ الكنيسةِ المسيحيةِ العظيمةِ في شمالِ إفريقيا، وكان زَحفُ الإسلام بهذه القوةِ والسرعةِ خطرًا داهمًا يتهدَّدُ الغرب، إذ تساءلوا: هل تخلَّىٰ اللَّهُ عن المسيحيين، ومَنَح رضاه لهؤلاء (الكفار)؟، وحتىٰ بَعَد أن خَرَجت أوربا من عصورِها المُظلِمة وأنشأت حضارتَها العظيمةَ، ظلَّ لديها الخوفُ من توسُّع الإمبراطوريةِ الإسلامية، خاصةً وقد تأكَّد لأوربا عَجْزُها عن التأثيرِ في تلك الثقافةِ القوية، وكان الفشلُ هو نهايةَ المشروع الصليبيِّ في القرنين الثاني عَشَر والثالثَ عَشَرَ، ولم يَلبث العثمانيون أن جاؤُوا بالإسلام إلىٰ داخلِ أوربا نفسِها، وكان مِن المُحالِ علىٰ المسيحيين الغربيين أن يلتزموا بالعقلانية أو الموضوعية تُجاهَ العقيدةِ الإسلامية، فكانوا يَنسجون مِن خيالهم صُورًا

مخيفةً عن اليهود، ويرسُمون في نفسِ الوقت صُورةً شائهةً (قبيحةً) للإسلامِ تُعبِّرُ عن الشعورِ بالقلق في أعماقهم من هذا الدين».

☐ وتقول «كارين أرمسترونج»: «إن علماءَ الغرب كانوا يُهاجمون الإسلامَ، ويَصِفون محمداً ﷺ بأنه «المدَّعِي الأكبر»، ويتَّهمونه بأنه أنشأ ديناً قائماً على العُنفِ والسَّيفِ لفَتحِ العالم، وحَرَّفوا اسمَ محمدٍ ﷺ إلى «ماهوميت» تعبيراً عن كراهيتهم للاسم ولصاحبه.. وقد أصبح اسمُ «ماهوميت» البُعُبعَ الذي يُخيفُ الناسَ في أوربا، حتى إنَّ الأمهاتِ كنَّ يَستعمِلْنَ الاسمَ لتخويفِ أطفالِهن، وكانت المسرحياتُ الغربيةُ تُصوِّرُ «ماهوميت» ودعوتَه في صورةِ العدوِّ للحضارة الغربية، حتى أصبحت هذه الصورةُ الزائفةُ للإسلام من الأفكارِ الراسخةِ التي لا تزالُ توثِّرُ حتى اليومِ في آراءِ ونَظرةِ الغربيين إلى العالم الإسلامي، وزاد مِن تعقيدِ المشكلة أن المسلمين قابلوا عَداوةَ الغربِ لهم بالعداوةِ للغرب».

☐ وتُشير «كارين أرمسترونج» إلى الكتاباتِ السابقة عن محمد ﷺ، وأهمُّها كتابَيْ «مونتجومري وات» وهما «محمد في مكة»، و«محمد في المدينة»، وتقول عنهما: «أنهما كتابان دراسيَّان موجَّهان للطلبة، وكلٌّ منهما يَفترضُ معرفةَ القارئِ بحياةِ محمدٍ وهي غائبةٌ عن كثيرين»، وكتاب «مارتن لنجز» وهو بعنوان «محمد. سيرة حياته استناداً إلى أقدم المصادر»، وفيه معلوماتٌ باهرةٌ استقاها من كُتبِ السيرة من القرنِ الثامنِ الميلادي إلى القرن العاشر، ولكنَّ هذا الكتاب موجَّهٌ إلى المقتنعين بالإسلام ورسوله، ولا يناقشُ المخالِفين والرافضين، وكتابُ المستشرق الفرنسي «ماكسيم

رودنسون» وهو بعنوان «محمد».

❑ وتقول «كارين أرمسترونج»: «لقد تعلَّمتُ من كِتابِ «رودنسون» كثيرًا، ولكنه كَتَبه من وِجهةِ نظرِ المتشكك، وركَّز على الجوانبِ السياسيةِ والحربيةِ في حياة النبي ﷺ، ولذلك لا يُساعِدُ قارئَه الغربيَّ على تفهُّمِ الرؤية الرُّوحيةِ للنبيِّ محمد ﷺ».

❑ وبَعد هذا الاستعراضِ تتحدَّثُ عن منهجِها في دراسةِ الرسول ﷺ، فتقول: «إن نقطةَ الانطلاق هي أننا نَعرفُ عن محمد ﷺ أكثَرَ مِمَّا نعرفُ عن أيِّ مؤسِّسٍ لأيِّ دينٍ من الأديان الرئيسة الأخرى، وإنَّ دراسةَ حياتِه يُمكنُ أن تَهَبَنا إدراكًا عميقًا ومُهِمًّا لطبيعةِ التجربةِ الدينية».

وترى «كارين أرمسترونج» أن التجرِبةَ الدينية التي خاضها محمدٌ ﷺ تتشابهُ مع تجارِبِ أنبياءِ بني إسرائيل ومع تجربةِ القِدِّيسة «تيريزا»، ولقد نَجَح محمدٌ ﷺ نجاحًا سياسيًّا غير عاديٍّ، ويَميلُ المسيحيون إلى التشكيكِ في الطابع الإلهيِّ لهذا الانتصارِ الدنيوي.

❑ وتتسائل: «ألاَ يوجدُ طريقٌ آخَرُ يوصِّلُنا إلى اللَّه سوى طريقِ الإخفاقِ الذي سَلَكه المسيح؟».

❑ الفصل الأول من كتاب «كارين أرمسترونج» بعنوان «العدو محمد»، تقول فيه: «إن الغربيين أدانوا المَشهدَ الذي ظَهَر فيه المسلمون في إحدى المُدنِ البريطانيةِ وهم يَحرِقون روايةَ «سلمان رشدي»، ولكنهم لم يتذكَّروا حوادثَ إحراقِ الكُتبِ في أوربا المسيحية على مرِّ القرون! وعلى سبيل المثال، فقد قام المِلكُ «لويس التاسع» ـ ملك فرنسا ـ بإدانةِ التِّلمود

اليهوديِّ باعتبارِه هجومًا خبيثًا علىٰ شخصِ السيد المسيح، وكان المَلِك «لويس التاسع» يَشغَلُ منصبَ قدِّيسٍ رسميٍّ في الكنيسة الكاثوليكية، وأصدر أمرًا بحَظْرِ الكِتاب، وأُضرِمَتِ النارُ في جميعِ النُّسخِ أمام المَلِك، ولم يَقبلْ مناقشةَ خلافاتِه مع الجالياتِ اليهوديةِ في فرنسا بالوسائل السِّلمية، وقال: «إن الأسلوبَ الوحيدَ للمناقشةِ مع اليهوديِّ أن تقتلَه بطعنةٍ نافذةٍ في بطنه بأقصىٰ ما يَصِلُ إليه السيفُ».

وكان «لويس التاسع» هو الذي بدأ الحملةَ الأولىٰ من محاكم التفتيش، ولم يكتفِ بإحراقِ كُتبِ مَنِ اعتَبَرهم المارقينَ من المسيحيين، بل أحرَقَ المئاتِ من الرجالِ والنساءِ منهم، كما كان يَكرهُ المسلمين، وقاد حَمْلَتَينِ من الحَمْلاتِ الصليبيةِ ضدَّ العالم الإسلامي».

وتَعتبرُ «كارين أرمسترونج» أن التاريخَ المريرَ للعلاقاتِ بين المسلمين والغربِ بدأ بالهجوم علىٰ النبيِّ محمد ﷺ في الأندلس، ففي عام (٨٥٠) ميلادية خَرَج راهبٌ اسمه «بير فكتوس» إلىٰ السوق في «قُرطبة» - وكانت عاصمةَ الأندلس الإسلامية، فقابلَ بعضَ المسلمين، وسألوه أن يُفاضلَ بين النبيِّ عيسىٰ والنبيِّ محمد، فانطلق يَصُبُّ وابلاً من الشتائم، زَعَم مِن خلالِها أن نبيَّ الإسلام دجالٌ ومُولَعٌ بالجنس، وأنه هو المسيحُ الدجال، وسُرعانَ ما أُلقي به في السجن.

وكانت تلك حادثةً شاذةً في «قرطبة»، لأن العلاقاتِ كانت طيبةً بين المسلمين والمسيحيين، وكان الحُكمُ الإسلاميُّ في الأندلس يُعطِي الحريةَ الدينية للمسيحيين واليهود، وكانت الحضارةُ الإسلاميةُ ورُوحُ التسامحِ

الدينيِّ فيها سابقةً لجميع دول أوربا .

وعندما وصل «بير فكتوس» إلىٰ القاضي كان يَرتعدُ خوفًا ورُعبًا، ولكنَّ القاضي لم يُصدِرْ حُكمًا بإعدامِه لإهانتِه الإسلامَ ورسولَه، لأنه رأىٰ أنه كان ضحيةَ استفزازٍ من المسلمين، ولكن «بير فكتوس» بعد إطلاقِ سراحِهِ ظل يَسُبُّ نبيَّ الإسلام سبًّا بذيئًا، فلم يَجِدِ القاضي بُدًّا من الحُكم بإعدامه، فَتجمَّع عددٌ من المسيحيين، وكوَّنوا جماعةً اعتَبرت «بير فكتوس» شهيدًا، وبعدها بأيامٍ ظَهَر راهبٌ آخرُ يُدعىٰ «إسحاق» ظَلَّ يَسُبُّ الإسلامَ ونبيَّ الإسلام بحرارةٍ جَعلت القاضي يظنُّ أنه مخمورٌ أو مختلٌّ عقليًّا، ولمَّا استمرَّ في السِّباب - وهو في كامل وعيه - لم يَجِدَ القاضي بُدًّا من الحُكم عليه، ولم يكن المسلمون يَضيقون بمعتقداتِ الديانات الأخرىٰ بما فيها نقاطَ الخلافِ مع الإسلام، لأن الإسلامَ وُلِد في ظلِّ التعدُّديةِ الدينية، وتَعايَشَ مع جميعِ العقائد علىٰ مرِّ العصور، ولم يكن القانونُ في الإمبراطوريةِ الإسلاميةِ يُحَرِّمُ الدعوةَ المسيحيةَ، وكان يَشترطُ فقط ألاَّ يتعرَّضَ المسيحيون في دعوتهم للهجوم علىٰ النبيِّ محمدٍ ﷺ .

ولم تَمضِ أيامٌ علىٰ إعدامِ «إسحاق» حتىٰ وصل سِتَّةُ رُهبانٍ من الدَّيرِ نفسِه، وقاموا بالتهجُّمِ علىٰ النبيِّ محمد ﷺ بصورةٍ مُقذِعة، وانتشرت هذه الظاهرةُ حتىٰ بَلَغ عددُ من حُكم عليهم خمسين، واشترك أسقفُ قرطبة في إدانتِهم، ولكنهم اعتُبِروا «شهداءَ قرطبة»! وانتَشرت هذه القصَّةُ في الغرب، وكان الإسلامُ في ذلك الوقتِ قوةً عالميةً، وكانت أوربا قد اكتَسحتها القبائلُ الهمجيةُ، وأصبحت بِرْكةً راكدةً، وكان العالَم يبدو كأنه

قد أصبح كلُّه إسلاميًّا، كما نرىٰ العالَمَ اليومَ كأنه أصبح كلُّه غربيًّا، وظلَّ الإسلامُ في كلِّ العصور يُمثِّلُ التحدِّي للغرب.

□ وكانت صيحاتُ التهجُّمِ علىٰ الإسلامِ ورسولِه التي أطلقها «شهداء قراطبة» تَستندُ إلىٰ وَهمٍ في عقولٍ (سيطر عليها الرعبُ) أن محمدًا دجَّال، نَصَّب نفسَه نبيًّا لِيخدعَ العالَم، وأنه فاسقٌ يدفعُ أتباعَه إلىٰ محاكاتِه، وأنه يُجبِرُ الناسُ علىٰ اعتناق عقيدتِه بحدِّ السيف. وانتهت هذه الأوهامُ إلىٰ القولِ بأن الإسلامَ ليس دينًا، بل هو بدعةٌ، أو صورةٌ مشوَّهةٌ من المسيحية.

هذه الصورةُ التي تكونت من الأوهام في الأندلس، أُسدل عليها سِتارُ النسيان، ثم عادت بعد (٢٥٠) سنةً لتُردِّدَ نفسَ هذه الأوهام، وهناك بعضُ الباحثين المتعمِّقين حاولوا وضعَ تصوُّرٍ موضوعيٍّ لنبيِّ الإسلام وللدينِ الذي أتىٰ به، لكنَّ الصورةَ المشوَّهةَ استمرَّت علىٰ المستوىٰ الشعبي، وما تزالُ آثارُ هذه الأوهامِ القديمةِ موجودةً حتىٰ يومِنا هذا، وما زال شائعًا في الغربِ القولُ بأن محمدًا ليس سوىٰ رجلٍ قام باستغلال الدين لتحقيق الفتوحاتِ وسيادةِ العالم، وأنَّ الإسلامَ دينُ عُنفٍ وحرب، علىٰ الرغمِ من ظهورِ دراساتٍ تُبَيِّنُ خطأَ وفُحشَ هذه الأسطورة.

□ وكان جَهلُ الأوروبيِّين بالإسلام في زمنِ الحربِ الصليبية يَصِلُ إلىٰ تصوُّرِهم للمسلمين بأنهم يركعون أمامَ ثلاثةِ آلهة هي «أبولو» و«تيرفاجان» و«محمد»، ولم يعتبروا المسلمين بَشَرًا مِثلَهم، ولذلك قاموا بارتكابِ مذبحةٍ لا مَثيلَ لها في التاريخ لسُكَّان القُدسِ المسلمين، وقالوا: «إن

المسلمين وَباءٌ لا بدَّ من تطهيرِ الأماكنِ المقدَّسةِ منه»، وكانوا عندما يتحدَّثون عن المسلمين يُطلقون عليهم اسم «القذارة».

□ وتُشير «كارين أر مستروبخ» إلىٰ أن اهتمامَ أوربا بالنبيِّ محمدٍ ﷺ يكادُ يكونُ معدومًا حتىٰ عام (١١٠٠) ميلادية، وشاعت المعرفةُ به في (١١٢٠) علىٰ أنه «ماهاوند» عدوُّ الممالكِ المسيحية، وتنقلُ عن الباحث البريطاني «د. و ساذرن» سُطوراً عن دراسته بعنوان «صور الإسلام في الغرب في العصور الوسطىٰ»، يقول فيها: «لا شك أنهم عندما وَضعوا هذه الأساطيرَ والأوهام، كانوا يَرَون أنها الصورةُ الحقيقية، ولم تتغيَّرْ صورةُ محمدٍ وأتباعِه كثيراً عن كونهم أبناءَ الصحراء».

وتُعلِّقُ علىٰ ذلك بأن هذا الطابعَ الخياليَّ لشخصيةِ «ماهاوند» هو الذي أدَّىٰ إلىٰ صعوبة النظر إلىٰ النبي محمدٍ ﷺ في الغرب علىٰ أنه شخصيَّةٌ تاريخيةٌ جديرةٌ بالدراسة كما يفعلون مع «نابليون» أو «الإسكندر الأكبر»، ولهذا كانت الصورةُ الخياليةُ لشخصية «ماهاوند» في رواية «سلمان رشدي» متَّفقةً مع هذه الأوهامِ الغربيةِ الراسخةِ بعُمق، ومن ذلك الزعم أن الرسول ﷺ كان ساحراً خَدَعَ الناسَ بمعجزاتٍ زائفة، وأنه قام بتدريب حَمامةٍ علىٰ التقاط حَبَّاتِ البازلاَّء من أُذنيه، حتىٰ يبدوَ للرائي كأنَّ رُوحَ القدسِ تتنزَّلُ عليه وتَهمِسُ له بالوحي، وقالوا أيضًا: «إنه ﷺ كان يُعاني من الصرع»، وأفاضوا في الحديث عن حياتِه الجنسيَّة.

تُعلِّقُ «كارين أرمستروبخ» علىٰ كل ذلك بأن المسيحيين الغربيينَ لم يستطيعوا تفسيرَ الرؤيةِ الدينيةِ الرائعةِ والمُقنِعةِ التي أتىٰ بها محمدٌ ﷺ وسرِّ

نجاحِها إلاَّ بإنكارِ الوحي والقولِ بأن الإسلامَ فِرقةٌ خارجةٌ على المسيحية، كما تُفسِّرُ قَلَقَ المسيحيين من الإسلام بالأعمالِ العُدوانيةِ التي ارتكبوها باسمِ المسيحية ضدَّ المسلمين في الحروب الصليبية، وهي ممارساتٌ لا علاقةَ لها بدعوةِ السلام التي جاء بها المسيح.

◘ وتقول: «إن الكنيسةَ كانت تَفرِضُ على رجالِ الدينِ الامتناعَ عن الزواجِ مع رغبتِهم فيه، فكانت المبالغةُ في الرواياتِ عن الحياةِ الجنسيةِ للنبيِّ محمدٍ ﷺ تعبيراً عن الكَبْتِ الذي يُعاني منه هؤلاء أكثَرَ ممَّا هي تعبيرٌ عن الحقائق.. أما اتهامُهم للإسلام بأنه لا يَعترفُ بالحريةِ الدينيةِ، فهو نوعٌ من إلقاءِ التُّهمة على الآخر؛ لأن الغربَ ـ وليس الإسلام ـ هو الذي مَنَع حريةَ المناقشةِ في المسائلِ الدينية، وكان يُعاقِبُ كلَّ مَن يَخرجُ على الفِكرِ الذي تَفرِضُه الكنيسةُ بالحَرْقِ على أيدي «محاكم التفتيش»، وكذلك قامت بعد ذلك حركةُ اضطهادِ البروتستانت والكاثوليك بعضِهم لبعضٍ بسبب الخلافاتِ الدينية بين الطائفتين.

ولَمَّا كانت اليهوديةُ هي الدينَ الأجنبيَّ الوحيدَ في أوروبا في ذلك الوقت، فقد بدأت الحَمْلاتُ الصليبيةُ بمَذابحَ لليهود في «وادي نهر الراين»، وكانت تلك أولى المذابحِ الجماعيةِ في أوروبا، وأصبح العَداءُ للساميةِ مرضاً مُزمنًا، حتى إن الأساطيرَ الأوروبيةَ وَصلت في عَدائها لليهود إلى حدِّ القولِ بأن اليهودَ يَقتُلون الأطفالَ ويَمزجُون دماءَهم بخبزِ «عيدِ الفِصح» العبراني، وأنهم يُدبِّرون مؤامرةً دوليةً للإطاحة بالمسيحية».

◘ وتقولَ «كارين أرمسترونج»: «إن مِثلَ هذه الأساطيرِ المُعاديةِ لليهود

لم يَظهرْ مثلُها في العالَم الإسلامي في أيِّ عصرٍ من العصور، لكنَّ التعصُّبَ كان في أوروبا، حتىٰ إنه بَعد الاستيلاءِ علىٰ الأندلس وجنوبِ إيطاليا وصقلية وعودتِها إلىٰ المسيحية، بَقِيَ في هذه المناطقِ مسلمون ويهود فُرضت عليهم العُزلة، ومَنعت الحكومةُ المسيحيين من التعامُل معهم، وصَدرت تشريعاتٌ كَنَسيَّةٌ خاصةٌ في المجلسَينِ البابويَّينِ، أحدُهما عُقد سنة ١١٧٩، والثاني في سنة ١٢١٥ تَعتبرُ اليهودَ والمسلمين «العدوَّ»، وتَفرضُ هذه التشريعاتُ عقوباتٍ علىٰ كلِّ مَن يتعاملُ مع المسلمين واليهود أو يُشارِكُه الطعــامَ بالطردِ من الكنيسـة ومصادرةِ الممتلكات، وقد أصـدر البابا «جريجوريوس التاسع» في عام ١٢٢٧ مراسيمَ بابَويةً تَفرضُ علىٰ المسلمين واليهودِ أن يَرتَدُوا ملابسَ مميَّزةً، ويَحظُرُ عليهم الظهورَ في الشوارع أثناءَ الأعياد المسيحية، ويُحرِّمُ تولِّيَهم مناصبَ حكوميةً في البلادِ المسيحية، ومَنَع الجَهْرَ بالأذان حتىٰ لا يؤذيَ أسماعَ المسيحيين.

وبعد ذلك أعلن الباب «كليمنت الخامس» (١٣٠٥ ـ ١٣١٤) أنَّ وجودَ مسلمٍ علىٰ الأرضِ المسيحيةِ يُعتبرُ إهانةً للَّه.

وقبل ذلك قام مَلِكُ فرنسا «شارل آنشوا» عام ١٣٠١ بإبادةِ مَن بَقِيَ من المسلمين أبناءِ صقلية وجنوب إيطاليا.

وقد ظَلَّت محاكمُ التفتيش في إسبانيا تضطهدُ المسلمين وذريَّتَهم علىٰ مَدىٰ ٣٠٠ سنة».

وسِجِلُّ العَداءِ أكبرُ مِمَّا يَصِلُ إليه الخيال، ويمكنُ لمن يريدُ معرفةَ المزيدِ العودةُ إلىٰ كتاب «كارين أرمسترونج»، ففيه الكثير.

وهي بعدَ ذلك تتحدَّثُ في فصلٍ بعنوان «محمد رجل اللَّه» عن معجزاتِ الرسول ﷺ:

وأولُها: أنه أصبحت كلمة «اللَّه» تتردَّدُ لأولِ مرةٍ في بلاد العرب.

وثانيها: أن الرسول ﷺ حَقَّق معجزةً بتوحيدِ العربِ، وكان مستحيلاً أن تتوحَّد هذه القبائلُ المتحاربة.. وعلى هذا فإنْ كان ذلك النصرُ السياسيُّ هو الإنجازَ الوحيدَ لمحمدٍ ﷺ، فمن حَقِّه علينا أن يَحوزَ إعجابَنا، لكنَّ النجاحَ الأكبرَ لمحمدٍ ﷺ كان في نَشرِ الإيمانِ بالدينِ الذي غَيَّر مَجرَىٰ التاريخ.

أمَّا شخصُ محمدٍ ﷺ - كما تقول، وكما تُظهِرُ الكتابات - فإنه يختلفُ كلَّ الاختلافِ عن شخصيةِ المسيح المثاليَّةِ الخارقةِ للطبيعية - كما يُظهِرُها الإنجيل -، وعلىٰ رَغمِ أنه أصبح لمحمدٍ ﷺ عند المسلمين هالةٌ رمزيةٌ إلاَّ أنهم لم يَدَّعوا أبدًا أنه مقدَّس، بل إنه - كما تُقدِّمُه السِّيَرُ الأولىٰ - شخصيةٌ إنسانية، ليس فيها تشابُهٌ مع شخصياتِ القدِّيسين المسيحيين، وتُماثِلُ شخصيةُ محمدٍ ﷺ شخصياتِ التوراةِ النابضةَ بالحياة من أمثالِ موسىٰ، وداودَ، وسليمانَ، وإلياسَ، وإسحاقَ، وتبدو شخصيةُ محمدٍ ﷺ شخصيةً قويةَ المشاعر ذاتَ أبعادٍ مركَّبةٍ، ويتمتَّعُ بمواهبَ رُوحانيةٍ وسياسيةٍ عظيمة، وكان يتملَّكُه الغضبُ أحيانًا، كما كان شديدَ التأثرِ والرحمة.

وتقول: «لم نقرأْ أبدًا أن المسيحَ ضَحِك، ولكنْ كثيرًا ما نقرأ أن محمدًا ﷺ كان يبتسمُ ويُداعِبُ الأطفالَ والصحابة، ويختلفُ مع زوجاته، ويَبكي لموتِ أحدِ أصحابه، ويَعرِضُ ابنَه الوليدَ مزهوًّا كأيِّ أبٍ، فإذا نظرنا

إليه كشخصيةٍ تاريخيةٍ عظيمةٍ، فمن المؤكَّد أننا سنراه من أعظمِ العباقرةِ الذين عَرَفهم التاريخ؛ ولكي نُوفِّيَ عبقريتَه حقَّها، علينا أن ندرُسَ المجتمعَ الذي وُلد فيه، والقُوىٰ التي كان عليه أن يدخلَ معها في صِراع، فقد كان اليهودُ يؤمنون بإلهٍ واحد «يهوه»، لكنهم كانوا يعتقدون في وجودِ آلهةٍ أخرىٰ، والوصايا العشرُ في التوراة تعترفُ ضِمنًا بوجودِ آلهةٍ أخرىٰ يعبدونها، مِثلِ الوصية التي تقول: «لا يكنْ لك آلهةٌ أُخرىٰ أمامي»، ولم تتحقَّقِ الوحدانيةُ في اليهودية إلاَّ علىٰ يد «إشعيا الثاني» بعد ٧٠٠ سنةٍ من خروج الإسرائيليين من مصرَ عام ١٢٥٠ قبل الميلاد.. أما محمدٌ ﷺ، فقد انطلق ليجعلَ العرَبَ يؤمنون بالتوحيدِ في فترةٍ لا تتعدَّىٰ ٢٣ عامًا، وهذه عمليةٌ صعبةٌ تتطلَّبُ تغييرَ الوعي الإنسانيِّ نفسه».

◻ وتقف «كارين أرمسترونج» عند مسألةٍ حسَّاسةٍ في السِّيرة النبوية، عندما حاولَتْ فهم الآيات: ﴿**وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ﴿٧٣﴾ وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا**﴾ [الإسراء: ٧٣ ـ ٧٥].

◻ فتقول: «إن الدارِسينَ في الغرب يَفترِضون أن تلك الآيةَ تشيرُ إلىٰ حادثةٍ ما يُدعىٰ «آيات شيطانية» يدَّعون بها أن محمدًا ﷺ قَدَّم تنازلاتٍ مؤقَّتةً للمشركين، والقصةُ ـ كما في «طبقاتِ ابن سعدٍ» و«تاريخِ الطبري» ـ أن الشيطانَ تدخَّل في إحدىٰ المناسبات، وتقول المأثورات: إن محمدًا ﷺ أثناءَ تلقيه سورة «النجم» شَعُر بإيحاءٍ أن ينطقَ بآيتين تقولانِ: إن الآلهةَ

الثلاثَ «ألَّلات وألعُزَّىٰ ومناة» من الممكن أن يكنَّ وسيطاتٍ بين اللَّه والبشر، وبما أن قريشًا كانت تعتقدُ أنهن «بناتُ اللَّه»، وأنهن مقدَّسات، فقد ظنُّوا خطأً أن القرآنَ قد وَضع هذه الآلهةَ في منزلةٍ واحدةٍ مع اللَّه، واعتقادًا منهم أن محمدًا ﷺ قد تَقبَّل آلهتَهم سَجَدت قريشٌ لتؤدِّيَ الصلاةَ مع المسلمين، وبدا وكأنَّ الخلافَ قد انتهىٰ، وتقول القصة: «إنَّ محمدًا ﷺ تلقَّىٰ الوَحيَ الإلهيَّ بأن قَبولَه الظاهريَّ لهذه الآلهةِ كان وحيًا من الشيطان، وبِناءً علىٰ ذلك حُذفت الآيتانِ من القرآن، واستُبدلتا بآياتٍ أخرىٰ تَلعنُ الآلهةَ الثلاث»!!».

◻ وتُعلِّق «كارين أرمسترونج» علىٰ هذه الرواية التي يُروِّجُ لها كثيرٌ من الغربيين فتقول: «إن هذه القصةَ غيرُ صحيحةٍ ومشكوكٌ في صحَّتِها لدىٰ المسلمين، ولا توجدُ إشارةٌ واضحةٌ إليها في القرآن، وفي التسجيل المبكِّرِ للسيرةِ «في سيرة ابن إسحاق» لا توجدُ أيَّةُ إشارةٍ إلىٰ هذه الواقعة، كما أنها لم تُذكر في مجموعاتِ الأحاديثِ الكبيرةِ التي جَمَعها البخاريُّ ومسلمٌ في القرنِ التاسع الميلادي، وحينما يَرفضُ المسلمون شيئًا من التراث، فإنهم لا يَفعلون ذلك بدافعِ احتمالِ التأويلاتِ النقديَّةِ لِمَا يرفُضون، لكنْ لعدم كفايةِ الأدلة، ومع ذلك فإنَّ أعداءَ الإسلام في الغرب ـ كما تقول ـ رَأَوا في هذه القصةِ مناسبةً كي يُشكِّكوا في محمدٍ ﷺ، وليقولوا: كيف لرجلٍ قام بتغييرِ الكلماتِ السماويةِ طِبقًا لِمَا ارتآه أن يكون نبيًّا؟ وعلىٰ رغمِ ذلك فقد حاول باحثون ـ مِثلُ ماكسيم رودنسون، ومنتجومري ـ مؤخَّرًا أن يُبرهنوا علىٰ أنَّ القصةَ في صياغتِها لا تَحتملُ تأويلاً سلبيًّا، ولكنَّ هذه القصةُ التي لم يَهتمَّ

بها المسلمون ظَلَّت علىٰ قَدرٍ كبيرٍ من الأهمية في الغرب، وتفجَّرت عام ١٩٨٨ ، وهو العامِ الذي نَشر فيه «سلمان رشدي» روايته «آيات شيطانية»، وجَعل من هذه القصةِ محوراً لروايته.

وهذه القصةُ - كما تقول كارين أرمسترونج - تُكرِّرُ الأساطيرَ الغربيةَ القديمةَ عن محمدٍ ﷺ، وتُكرِّرُ القولَ بأنه مُدَّعٍ ذو طموحاتٍ سياسية، والأكثرُ إيلامًا للمسلمين أنها تُشوِّهُ صِدقَ القرآن، وهذا ما أثار المسلمين، فقد رأىٰ المسلمون أن كِتابَ «سلمان رشدي» اتَّخذ من القصةِ المدسوسةِ عن الآياتِ الشيطانيةِ عنوانًا له، وقد وَظَّف «سلمان رشدي» هذه القصةَ لِيُبرهِنَ علىٰ أن القرآنَ المقدَّسَ عند المسلمين لا يُميِّزُ بين الطيِّب والخبيث، وأن ما يُقال: «إنه مشيئة اللَّه»، ما هو إلاَّ إيحاآتٌ إنسانيةٌ - كما يدَّعي النُقَّادُ الغربيون -».

❑ وتَصِلُ «كارين أرمسترونج» إلىٰ أن الذين أيَّدوا «سلمان رشدي» استغلُّوا ما جاء في كتابه ليكرِّروا الادِّعاءَ بأن الإسلامَ ضدُّ حريةِ الإبداع وحريةِ البحثِ العِلميِّ، وقد تبنَّىٰ «سلمان رشدي» الرؤيةَ الغربيةَ القائمةَ علىٰ الكراهيةِ للمسلمين ورسولِهم، وقد فَتح ذلك جِراحًا عميقةً - كما تقول - بين الغربِ والإسلام.

❑ وتقول: «إن هذه القصةَ تتعارضُ مع الرواياتِ الموثَّقةِ ومع القرآنِ نفسِه، ومِن الثابتِ أن الرسولَ ﷺ رَفض عروضًا من قريشٍ دون تردُّدٍ بأنْ يَسمحَ لهم بعبادةِ آلهتهم مع عبادةِ اللَّه، ولكنْ في الغربِ - كما تقول - مَن تأثَّر بفكرةِ «السقوط» - بمعناها المسيحيِّ - لِيخلَعها علىٰ محمدٍ ﷺ، كما أن

آدمَ استَسلم لغوايةِ الشيطان، وفي روايةِ الطبري إنكارٌ لهذه الواقعة، ومكانةُ هذه الآلهة حدَّدها القرآنُ بصورةٍ قاطعة: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣]».

◻ وتقول: «هذه هي أكبرُ إدانةٍ قرآنيةٍ لتلك الآلهة، كما أن الإسلامَ جاء برسالةِ توحيدٍ لا تَقبلُ أن يكونَ مع اللَّهِ إلهٌ آخر، وليس أدلُّ على ذلك من سورة «الإخلاص» التي يَقرؤُها المسلمون في صلاتهم اليومية: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص]. فكيف يُمكنُ مع هذا التوحيدِ الخالصِ أن يأتيَ ذِكرُ آلهةِ قريشٍ وأصنامِها على لسانِ الرسول ﷺ على أنَّ لها مكانةً أو شفاعةً؟!».

◻ وتُخصِّصُ «كارين أرمسترونج» صفحاتٍ من كتابها للتدليلِ على عدمِ صحةِ هذه الروايةِ المدسوسةِ على النبي ﷺ، وتقول: «إن تاريخَ محمدٍ ﷺ منذُ بدايته فيه كراهيةٌ لآلهةِ قريش، ومن الأدلة على ذلك أن كبارَ قريشٍ ذَهبوا إلى أبي طالب - عمِّ الرسول ﷺ -، وقالوا له: «يا أبا طالب، إنَّ ابنَ أخيك قد سَبَّ آلهتَنا، وعاب دينَنا، وسَفَّه أحلامَنا، وضَلَّلَ آباءنا، فإما أن تَكُفَّه عنَّا، وإما أن تُخلِّيَ بينَنا وبينه، فإنك على مِثلِ ما نحن عليه من خِلافه، فَنكْفِيْكَه».

وبعد فترةٍ عادوا إلى أبي طالبٍ ثائرين، وقالوا له: «إنا واللَّه لا نَصبرُ على هذا مِن شَتمِ آبائنا، وتَسفيهِ أحلامِنا، وعَيبِ آلهتِنا، حتى تَكُفَّه عنَّا،

أو ننازِلَه وإياك في ذلك حتىٰ يَهلِكَ أحدُ الفريقين» .

ونستدلُّ من هذا الموقف أن محمداً لم يتنازَلْ عن مُحاربةِ آلهةِ قريش، بل إن قريشًا عَرضت عليه أن يكونَ مَلِكًا عليهم، وأن يَجعلوه أكثرَهم ثروةً مقابلَ التنازلِ عن دينِه، فقال: «واللَّهِ لو وَضعوا الشمسَ في يميني، والقمرَ في شِمالي، علىٰ أن أتركَ هذا الأمرَ ما تركتُه حتىٰ يُظهِرَه اللَّهُ أو أهلِكَ دَونَه» . . » .

▫ بهذا المنطق تُدافع «كارين أرمسترونج» عن الرسول ﷺ، وتَكشِفُ عدمَ صحَّةِ هذه الرواية التي أقام عليها «سلمان رشدي» كتابَه، وهي تفعلُ ذلك من مُنطلِق البحثِ العلميِّ النزيه، فهي ليست مسلمةً، ولا صِلَةَ لها بالدولِ الإسلامية، ولكنها قرأت كلَّ ما كُتب عن سيرةِ الرسول ﷺ بعقليةٍ ناقدة، وكَتبت عن الرسولِ ﷺ بمنهجٍ علميٍّ مدقِّقٍ لا يَخضعُ لأحكامٍ مُسبَقةٍ، وهي تُسجِّلُ بموضوعيةٍ نجاحَ المشروعِ الإسلاميِّ بعد وفاةِ النبي ﷺ كدليـلٍ علىٰ صِدقِ الرسالة، وتتحدَّثُ عن الرُّوحانيـةِ التي أسَّسها دون أن يَعتزلَ الحياة، ولم يَنتظرْ إلىٰ حين حلولِ عالمٍ يخلو من الشرورِ والصراعات، وسَعىٰ إلىٰ إقامـةِ مجتمعِه المثـاليِّ في المدينـة، واحتَذىٰ المسلمون حَذْوَه منذ البداية .

● وتُسجِّل «كارين أرمسترونج» مشاعرَ الحبِّ الجارفِ لمحمدٍ ﷺ لدىٰ المسلمين، ومع ذلك فإنهـم يؤكِّدون أنه لم يكنْ إلاَّ رجـلاً، ولم يكنْ إلهًا أو ملاكًا، والنبيُّ ﷺ هو الذي قال عن نفسه: «**إنْ أنا إلاَّ ابنُ امرأةٍ كانت تأكلُ القَديدَ في مكة**»، وذلك حرصًا منه علىٰ تأكيدِ طبيعتِه كإنسان، وبذلك أصبحت حياةُ محمدٍ آيةً من الآياتِ في العالَم التي يدعو القرآنُ المسلمين

إلىٰ التأمّلِ فيها وتفهُّمِها، فإن رسالتَه النبويةَ «رمزٌ» يَعكِسُ الاستسلامَ التامَّ للَّه، وحُبُّ المسلمين له هو ارتباطٌ بالرمزِ الذي يُضيءُ لهم حياتَهم، ويُضيفُ إليها معنًى جديدًا.

□ وتقول «كارين أرمسترونج»: «إنَّ محمدًا ﷺ يُعتبر علىٰ المستوىٰ الرمزي «الإنسانَ الكامل» و«النموذج»، وتنظرُ إلىٰ رحلة «الإسراء والمعراج» علىٰ أنها المثالُ الكاملُ للفَناءُ في اللَّه، والمسلمون يَسْعَون إلىٰ محاكاةِ الرسول في حياتِهم اليوميةِ لكي يقتربوا مِن هذا الكمالِ بقَدْرِ الإمكانِ ويقتربوا من اللَّه».

□ وتختم «كارين أرمسترونج» كتابَها بقولها: «إن الإسلامَ والغربَ يشتركانِ في أمورٍ كثيرة، والمسلمون عَرفوا ذلك منذ زمنِ محمدٍ ﷺ، إلاَّ أن الغربَ غيرُ قادرٍ علىٰ تقبُّلِ هذه الحقيقة، والمسلمون يَشعرون أن حضارةَ الغربِ امتَهنت كرامتَهم واحتَقرتهم، ونحن في الغربِ بحاجةٍ إلىٰ أن نُخلِّصَ أنفسَنا من بعضِ أحقادِنا القديمة، ولعلَّ شخصَ محمدٍ ﷺ يكون مناسبًا للبَدءِ، فقد كان ذا عبقريةٍ تستعصي علىٰ الإدراك، وأسَّس دينًا وحضارةً للإسلام، ولَفظُ «الإسلام» ذو دِلالةٍ علىٰ السلام والوفاق مع سائرِ البشر».

أليس من واجبِ المسلمين أن يُقدِّموا التحيةَ لهذه الراهبة التي قالت كلمةَ الحقِّ بجرأةٍ وبراعةٍ تفوقُ ما فعله المسلمون للدفاع عن دينِهم في الغرب؟ ![1].

---

(١) انظر «المنصفون للإسلام في الغرب» من (ص١٨٤ - ١٩٧).

ومن فرنسا

* القَسُّ إسحاق تيلر الفرنسي:

مستشرقٌ فرنسيٌّ، وُلد في بلده «بوردو» ١٨١٠، وتُوفِّي ١٨٩٧، له مؤلَّفٌ أسماه «حقائق التاريخ».

□ قال فيه (ص٧٦): «إننا إذا قَلَّبنا الطَّرْف، لا نَجدُ في أعمالِ محمدٍ ونبوَّته شيئًا يناقِشُ النصرانية الحساب، ويَقِفُ لها بالمرصاد، بل نراها الحدَّ الفاصلَ بين اليهوديةِ والنصرانية، وإن الإسلام منه أتت السعادةُ وأفاد المَدَنيَّة، وإن محمداً شابَهَ موسىٰ في تعدُّدِ الزوجات والاسترقاق، والاسترقاقُ ليس من العقيدةِ الإسلاميةِ في شيءٍ، فأباحه محمدٌ للضرورة، أما تعدُّدُ الزوجات، فإنه لم يُحرِّمْه موسىٰ في «توراته» ولا داودُ في «زَبُوره»، وعلينا أن نفهمَ أن آدابَ الإسلامِ أسمىٰ من آدابِ النصرانية».

* المسيو إميل برنامكام الفِرنسي:

وُلد في «بركادا» ١٨٥٧، وتُوفِّي عام ١٩٢٤.. وهو من مشاهيرِ كتَّابِ القرن التاسعَ عَشَرَ للميلاد.

□ قال في كتابه «الشرق والإسلام» ـ وهو أحدُ مؤلَّفاته ـ: «إنني أردتُ أن أُصوِّرَ محمداً صورةً مطابِقةً للواقع على قَدْرِ الإمكان ـ كما فهمتُها ممَّا قرأتُه عنه في الكتب، وكما رأيتُها في أرواحِ أتباعِهِ الحيَّة ـ».

□ إلىٰ أن قال: «نشأ معتمِداً علىٰ نفسه، يَرجعُ إليها في الكبيرة والصغيرة، ويَجْهَدُ ويَعملُ لكسبِ رِزقِه من عَرَقِ جبينه، إذ لم يكنْ ذا ثروةٍ

تَكفيه مُؤنةَ السَّعي، فكانت ثروتُه عند نشأته: صِدقَه وأمانتَه ونزاهتَه وإخلاصَه، وتلك ـ لَعَمْرُ اللَّهِ ـ أسمىٰ الثرْواتِ وأغلاها، تلك كانت صفاتِ محمدٍ في وَسَطٍ مُنْحَلٍّ لا يَعرفُ أخلاقًا ولا نُبلاً».

* **العلاَّمة الكبير غوستاف لوبون الفرنسي:**

وُلد عام ١٨٤١ في «تولوز»، وتوفي ١٩٣١، فرنسيٌّ من فلاسفةِ عِلمِ الاجتماع، نَقل بعضَ مؤلَّفاته إلىٰ العربية.

□ قال في كتابه «الحياة» عند حديثِه عن العرب في الشرق (ص٤٣):

«إن محمداً ـ رَغم ما يُشاعُ عنه علىٰ وجهٍ عام ـ، قد ظَهَر بمظهرِ الحُكْمِ الوافرِ والرَّحابةِ الفسيحةِ إزاءَ أهلِ الذِّمَّة، وحَرَّر بلاداً واسعةً من الرومِ والفُرسِ، وتَرَك أهلَها في طليعة الأمم».

□ وقال في كتابه «التمدُّن الإسلامي» ـ وهو ٨٠٠ صفحة، والمنقول من اللغة الفرنسية إلىٰ اللغة الفارسية ـ (صفحة ٦٧): «إنني لا أدعو إلىٰ بدعةٍ مُحدَثةٍ، ولا إلىٰ ضلالةٍ مُستهجَنةٍ، بل إلىٰ دينٍ عربيٍّ قديمٍ أوحاه اللَّهُ إلىٰ نبيِّه محمدٍ، فكان أمينًا علىٰ بثِّ دعوته بين قبائلَ رُحَّلٍ تلهَّت بعبادةِ الأحجارِ، وتلذَّذت بتُرَّهاتِ الجاهلية، فجَمَع صفوفَهم بعدَ أن كانت مُبعثَرةً، ووَحَّد كلمتَهم بعدَ أن كانت مُتفرِّقةً، ووجَّه أنظارَهم لعبادةِ الخالق، فكان خيرَ البَرِيَّةِ علىٰ الإطلاق حَسَبًا ونَسبًا وزعامةً ونبوَّةً، هذا هو محمدٌ الذي اعتَنق شريعتَه أَربَعُمِئةِ مليون مسلم، منتشرِين في أنحاءِ المعمورة، يُرتِّلون قرآنًا عربيًّا مُبينًا».

□ إلىٰ أن قال: «فرسولٌ كهذا جديرٌ باتِّباع رسالته، والمبادرةِ إلىٰ

اعتنـاقِ دعوتـه، إذ إنها دعـوةٌ شـريفة، قِوامُهـا معرفةُ الخالق، والحضُّ علىٰ الخيرِ، والرَّدعُ عن المنكَر، بل كلُّ ما جـاء فيها يرمي إلىٰ الصلاحِ والإِصـلاح، والصـلاحُ أنشــودةُ المؤمن، وهو الذي أدعـو إليه جميـعَ النصارىٰ».

□ وفي كتابه «الدين والحياة» قال: «إن محمداً حَصَل علىٰ طاعةِ قومه، ولَم يَحصُلْ نظيرُها لأيِّ مَلِكٍ أو أمير، أو أيِّ فاتح، وقد كان ذا أخلاقٍ عاليةٍ، وحِكمةٍ، ورِقَّةِ قلبٍ، ورأفةٍ، ورحمةٍ، وصِدق، وأمانة».

□ وقال: «كان عقلُ محمدٍ من أكبرِ العقول، وكانت آراؤه من أسدِّ الآراء».

□ وقال في كتابه «الآراء والمعتقدات» (ص٦): «لقد اعتَنَقت قبائلُ البَدْوِ في جزيرةِ العرب دِينًا أتىٰ به أُمِّيٌّ، فأقامت ـ بفضل الدِّينِ ـ في أقلَّ من خمسين سنةً، دولةً عظيمةً كدولةِ الإسكندر، وزَيَّنت جيدَها بقلادةٍ من المباني الفخمةِ التي هي آيةٌ في الإِعجاز».

□ ثم قال: «ولو لم يكنْ أميًّا لَمَا استطاعَ أن ينشرَ دينَه».

□ إلىٰ أن قال: «ينشأُ من المعتقَدِ القوميِّ يقينٌ لا يُزعزعُه شيءٌ، ومِن مِثلِ هذا اليقينِ تُشتقُّ أكثرُ حوادثِ التاريخ أهميةً، فقد أيقن محمدٌ أن اللَّه أَمَره بالدعوة إلىٰ دينٍ جديدٍ أُوحي إليه لتجديدِ العالَم، فاستطاع بفضلِ يقينِه أن يَقلِبَ الدنيا».

□ وقال في كتابه «التمدُّن الإسلامي» (ص١٢٧): «البابُ الثاني في القرآن: القرآنُ هو الكتابُ المنزَّلُ من السماءِ، الذي فيه مباحثُ وقوانينُ

دينيةٌ وسياسيةٌ واجتماعية، والقرآنُ ـ وإنْ نزل من عند اللَّه ـ لكنه في بعضِ المقاماتِ لم تكنْ بعضُ آياتِه مرتبطةً ببعض[1]، وعِلَّةُ ذلك أن آياته نَزلت على التوالي المقتضِي الحاجاتِ في ذلك الزمن، وكان جبريلُ المَلَكُ يَنزلُ به على محمدٍ من عندِ اللَّه فتُحفظ، ولم تُجمع إلاَّ بعد وفاةِ محمدٍ، وكانت سُورُه (١١٤) سورة، ويَعتقدُ المسلمون أن القرآنَ حتى الآنَ لم يَنزلْ كتابٌ من السماء مِثلُه، والحقُّ أن في القرآن مِن المعاني الشِّعريةِ والنثريَّةِ وحُسنِ البيانِ ما لم يُوجَدْ في غيره، أما عقائدُه ونظرياتُه وما يَرجعُ إلى عالَم الكائناتِ، فهو موجودٌ تقريبًا في دين اليهود والنصارى، والقرآنُ ممَّا لا شكَّ أنه نَزل على محمد» اهـ.

* إدوار مونتيه الفرنسي:

وُلد في «ليون» ١٨٥٦، وتوفِّي ١٩٢٧، أستاذُ اللغاتِ الشرقيةِ في جامعةِ «چينف»، مستشرقٌ فرنسي.

◻ قال في كتابه «حاضر الإسلام ومستقبله»: «أما محمدٌ، فكان كريمَ الأخلاقِ، حَسَنَ العِشرة، عَذْبَ الحديث، صحيحَ الحُكم، صادقَ اللفظِ، وقد كانت الصِّفةُ الغالبةُ عليه هي صِحَّةُ الحُكمِ، وصراحةُ اللفظ، والاقتناعُ التامُّ بما يَقبَلُه ويقولُه، إن طبيعةَ محمدٍ الدينيةَ تُدهِشُ كلَّ باحثٍ مدقِّقٍ نزيهِ القصد، بما يتجلَّى فيها من شِدَّةِ الإخلاص، فقد كان محمدٌ مُصلِحًا دينيًا، ذا عقيدةٍ راسخةٍ، ولم يَنهضْ إلاَّ بعد أن تأمَّلَ كثيرًا، وبَلَغ سنَّ الكمالِ

(١) كلاَّ.. بل آيات القرآن جميعًا بينها روابطُ عميقةٌ يفهمُها أهلُ الغوص على المعاني.

بهاتيك الدعوةِ العظيمة، التي جعَلَتْه من أسطعِ أنوارِ الإنسانية، وهو في قتالِه الشِّركَ والعاداتِ القبيحةَ التي كانت عند أبناءِ زمنه، كان في بلادِ العرب أشبَهَ بنبيٍّ من أنبياء بني إسرائيل الذين كانوا كباراً جداً في تاريخ قومهم، ولقد جَهِل كثيرٌ من الناس محمداً، وبَخَسوه حقَّه، وذلك لأنه من المصلِحين الذين عَرف الناسُ أطوارَ حياتهم بدقائقها».

* **ألفُونس دي لا مارتين الفرنسي:**

وُلد في بلده «بوردو» ١٧٩٠، وتُوفِّي ١٨٦٩، وهو من مشاهيرِ الشُّعراء الفرنسيين، ومِن ممثِّلي المذهب «الرمانتيسم»، ومن مؤلَّفاته الشَّعرية «التأملات» والنثريةِ «السفر إلى الشرق»، نُقل إلى العربية.

❑ قال فيه (ص٤٧): «إنَّ محمداً فوقَ البَشَر ودُونَ الإله، فهو رسولٌ بحكمِ العقل، ودلالاتُ المعجزاتِ تَعضُدُ ذلك، وإنَّ اللغزَ الذي حلَّه محمدٌ في دعوتِه، فكَشَف فيها عن القيم الرُّوحية، ثم قدَّمها لأُمَّته العرب ديناً سماوِيًّا، وسَرعانَ ما اعتَنقوه، هو أعلى ما رَسَمه الخالقُ لبني البشر».

❑ وقال في «السفر إلى الشرق» (ص٨٤): «أتَرَون أن محمداً كان أخا خِداعٍ وتدليس، وصاحبَ باطلٍ ومَيْن؟! كلاَّ.. وبعدما وَعَينا تاريخه، ودَرَسْنا حياتَه، فإن الخِداعَ والمَينَ والباطلَ والتدليسَ، كلُّ أولئك مِن نفاقِ العقيدة، كما أنه ليس للكذبِ قُوَّةُ الصِّدق».

❑ إلى أن قال: «إن حياةَ محمدٍ وقُوَّةَ تأمُّله، وتفكيرَه، وجهادَه، وثَبَتَه على خرافاتِ أمته وجاهليةِ شعبه، وشهامتَه وجُرأتَه، وبأسَه في لقاءِ ما لَقِيه مِن عَبَدةِ الأوثان، وثباتَه، وتَقبُّلَه سخريةَ الساخرين، وحَميَّتَه في

نَشرِ رسالته، وحروبَه التي كان جيشُه فيها أقلَّ نفيرًا من عدوِّه، ووثوقَه بالنجاحِ، وإيمانَه بالظفَر، وتطلُّعَه إلىٰ إعلاءِ الكلمةِ وتأسيسِ العقيدة، ونجواه التي لا تنقطعُ مع اللَّه، كلُّ هذا لأَعظمُ دليلٍ علىٰ أنه لم يكنْ يُضمِرُ خِداعًا أو يَعيشُ علىٰ باطلٍ أو مَيْن، بل كان وراءَها عقيدةٌ صادقة ويقينٌ مضيءٌ في قلبه، وهذا اليقينُ الذي ملأ رُوحَه هو الذي وَهَبه القوة علىٰ أنْ يَردَّ الحياةَ فكرةً عظيمةً، وحُجَّةً قائمةً، ومبدأً مزدوجًا، وهو وحدانيةُ اللَّه سبحانه».

* **المسيو جول لابوم الفرنسي:**

وُلد في بلده «كاساريا» ١٧٩١، وتُوفِّي ١٨٦٨.

▫ قال في مقدمة الفهرس الذي وضعه للقرآن الكريم المترجم إلىٰ اللغة العربية (ص٦٣): «لأجلِ أن يَفهمَ الإنسانُ تمامَ الفهمِ أيَّ دعوةٍ من الدعوات، يَلزمُه أولاً الإلمامُ بحالِ الداعي بذاته».

▫ إلىٰ أن قال: «ومِن هذه النُّبذةِ الوجيزةِ التي خصَّصناها لمحمدٍ المُشرِّعِ العربي، مؤسِّسِ ما يُمكنُ تسميتُه بالجامعةِ الإسلامية حوالَي ميلادِ محمد، وإذا بالعالَم يتَّسعُ لأضواءِ هُداه، فكأني بالعالَم وقد خُلق من جديد، وفَتح عينيه علىٰ مبادئَ عاليةٍ سامية».

* **المسيو ميسمر الفرنسي:**

▫ قال في كتابه «العرب في عهد محمد» المعرَّب إلىٰ اللغة العربية عام ١٩٢٢ بقلم «فؤاد بطرس السوري»: «إنَّ مَن تَسافَهَ وأنكر صِدقَ محمدٍ، فقد بَتَّ بهذه المسألة دون أن يَحُلَّها، وحَمَّل ضميرَه مسؤوليةَ المكابرة،

ورمى بنفسه إلى نهايةٍ سيئة، إذ ليس من وحي الضمير الحرِّ ما يُقارفُه أولئك المُغرِضون على محمدٍ الذي اتَّصف بكلِّ صفات الكمال».

* **الأب إسكندر دوماس الفرنسي:**

◻ وُلد ١٨٠٣، وتوفِّي ١٨٧٠، مؤلِّفٌ قصصيٌّ، له كتاب «الفرسان الثلاثة»، قال فيه: «كان محمدٌ معجزةَ الشرق لِمَا في دينه من معالم، وفي أخلاقِه من سُمو، وفي صفاتِه من محامد».

* **جان بروا الفرنسي:**

وهو من كبار المستشرقين الفرنسيين، له مؤلَّفاتٌ عديدة، منها «محمد نابليون السماء»[١]، نقله عن الفرنسية «محمد صالح البنداق».

◻ قال (ص٥٢) منه: «إن إبلاغَ الرسالةِ إلى العالَم هو الهدفُ الأولُ والأخيرُ للنبيِّ محمد، ولم تكن مشاغلُ الأسرةِ والحياةِ لِتَحُولَ بينَه وبين أدائها أبدًا، وإنك إذا نظرتَ إلى عُنفِ قريشٍ ومؤامراتِها الدمويةِ ورَبْطِ جأشِها على اغتيالِه مراراً، بل إذا نظرتَ إلى كلِّ القبائلِ العربيةِ حينَذاك، ألفَيْتَ الغزوَ جُلَّ عمَلِها، ولم يكن النبيُّ إلى ذلك الوقتِ - وإن كثُر حولَه الرجال - قد أُذن له في النِّضال ودَفعِ العُدوان بالعدوان، ولكنْ بعدَ كلِّ تلك الاعتداءاتِ جاء الوحيُ الإلهيُّ يُبيحُ له حَربَ المعتدين: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ**

---

(١) معاذ اللَّه أن يُشبَّه رسولُ اللَّه ﷺ الذي قال عنه ربُّه: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ بنابليون المجرم سَفَّاكِ الدماء الظلُوم الذي قَتل من الشعوب ومن المسلمين ما قتل، والذي غَدَر بأسراه في عكا بعد إعطائهم الأمان:

أَلَم ترَ أنَّ السيفَ يَنقُصُ قَــدرُه ... إذا قيل: إن السيفَ أمضى من العصَا؟

بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٣٩-٤٠]، وجاء أيضًا: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]».

◘ إلىٰ أن قال: «وكان محمدٌ نبيًّا، ومُشرِّعًا، وسياسيًّا، وملِكًا عظيمًا، وخطيبًا مفوَّهًا، وقائدًا خطيرًا محنَّكًا، وإنْ كان لم يَدخُلْ جامعةً من جامعاتِ الرومان، ولا مدرسةً من مدارسِ فارس، إن محمدًا قد كَبُر اسمُه، واعتزَّ بربِّه، حتىٰ عُرف باسمه وحدَه دون ذِكرِ أسرته - كما عرف نابليون -، إنَّ محمدًا لَنابليون السماء[1]، ولم يكن لمحمدٍ من عدوٍّ لدودٍ قد استباح المحرَّمات، وأعدَّ الأُهبةَ للبطش به وبدعوته سِوىٰ مكة».

* المسيو برتلمي سانت هيليار الفرنسي:

مستشرق فرنسي شهير، وُلد في بلدته «كلدا» ١٨١٧، وتُوفِّي ١٨٩٢.

◘ قال في كتابه «مع الحياة»: «كان محمدٌ أزكىٰ العربِ في عهده، وأكثرَهم تقوىً ودينًا، وأرحبَهم صَدرًا، وأرفقَهم بأعدائه وخصومِ دينه، وما استقامت إمبراطوريتُه الخارقةُ إلا بسبب تفوُّقه علىٰ رجالِ عصره، وأما الدينُ الذي راح يدعو إليه، فقد كان خيرًا عظيمًا علىٰ الشعوب التي اعتنقته وآمنت به».

* المؤرِّخ الشهير لاتيس الفرنسي:

وُلد في مدينة «بورود» ١٨٤٧، وتُوفِّي ١٩٠٩.

◘ قال في مقالٍ له نشرته عنه مجلة «الهلال» المصرية - المجلد الثالث،

(١) نفس الهامش السابق.

الجزء الثامن ـ: «إن محمدًا كان مشهوراً بالصِّدق منذ صباه، حتىٰ كان يُلقَّبُ بـ «الأمين»، وما زال يَسهرُ لحياةِ دينِه والعربِ حتىٰ مات، وما مات حتىٰ أسَّس دينًا وأقام دولة».

* **العلاَّمة كليمان هوار الفرنسي:**

وُلد ١٨٥٤، وتوفِّي ١٩٢٧، مستشرقٌ فرنسي، وقَضىٰ مدةً في دمشق تُرجمانًا لقنصل فرنسا فيها ولسفير فرنسا في «الأستانة»، ورئيسُ مجمع الكتاباتِ والآداب في باريس، وأستاذُ اللغاتِ الشرقيةِ فيها، وله كتاب «تاريخ العرب».

◻ قال في الجزء الأول منه: «كيف تَعرَّف محمدٌ إلىٰ خديجة، وكيف أمكن أن يَحصُلَ علىٰ ثِقتها ويتزوَّجَ بها؟! الجواب علىٰ الشقِّ الأول لا يزالُ غيرَ معروفٍ عندنا، وأمَّا علىٰ الشقِّ الثاني، فقد اتَّفقت الأخبارُ علىٰ أن محمدًا كان في الدرجة العُليا من شرفِ النفس، وكان يُلقَّبُ بـ «الأمين»، أي بالرجل الثقةِ المعتَمَدِ عليه إلىٰ أقصىٰ درجة، إذ كان المَثَلَ الأعلىٰ في الاستقامة».

* **الكاتب المعروف ديسون الفرنسي:**

◻ قال في حديثٍ له عن النبيِّ محمدٍ ﷺ: «ليس يصحُّ أن يُنظر إلىٰ دينِ محمدٍ كدينٍ مليءٍ بالخرافات والأكاذيب، فهذا مخالفٌ للحقيقة، وإن محمدًا نفسَه قد راح يُصرِّحُ بأن الإسلامَ يُتمِّمُ المسيحية»[1].

---

(١) إن كان يَقصِدُ أنه يُتمِّمُ ديانة التوحيد فنعم.

* الأستاذ دافيد دي لويس الفرنسي:

وُلد في بلدته «ساماتا» ١٨٤٨، وتوفِّي ١٩٢٥.

◻ قال في كتابه «الإسلام»: «إنَّ محمداً قد ذَكر المجتمعَ العربيَّ بأشكاله الابتدائية، وشَيَّد بنيانًا اجتماعيًّا على الأُسسِ التي كانت توافقُ أعمَقَ غرائزِ ذلك المجتمع، فالذين يؤمنون باللَّه الواحد وبنبوَّةِ محمدٍ يُصبحُ لهم حقُّ الانتسابِ إلى أُمةِ محمد، ومحمدٌ هو الشهيدُ بين العربِ أمامَ اللَّه».

◻ إلى أن قال: «ولا يُمكنُ للَّه أن يَبعثَ أو يختار رسولاً ومبشِّرًا بعدَ أن أرسلَ محمداً مبشِّرًا للناس ومنذِرًا بكلمته النهائية».

* المسيو شانليه الفرنسي:

◻ قال في مجلسٍ ـ وقد سُئل عن رسالةِ الإسلام ـ، نقلاً عن مجلة «المقتطف» ـ المجلد الثالث ـ عدد ٧: «إن رسالةَ محمدٍ هي أفضلُ الرسالاتِ التي جاء بها الأنبياءُ قبلَه، لأنها جاءت إلى الشعوبِ نقيةً من كلِّ عيبٍ، وخاليةً من كلِّ نقص، بل إنه يُوجدُ فيها من التعاليم القيِّمة ما لا يوجدُ في غيرها من الديانات».

* الفيلسوف إدوار مونته الفرنسي:

مستشرقٌ فرنسي، وُلد في بلدته «لوكادا» ١٨١٧، وتُوفِّي ١٨٩٤.

◻ قال في آخرِ كتابه «العرب»: «عُرِف محمدٌ بخُلوصِ النيةِ والملاطفةِ وإنصافِه في الحُكم، ونزاهةِ التعبير عن الفِكرِ والتحقُّق، وبالجملة كان محمدٌ أزكى وأدينَ وأرحمَ عربِ عصره، وأشدَّهم حِفاظًا على الذِّمام، فقد

وجَّههم إلىٰ حياةٍ لم يَحلُموا بها من قبلُ، وأسس لهم دولةً زمنيةً ودينيةً لا تزالُ إلىٰ اليوم».

*** العلاَّمة رينيه غروسه الفرنسي:**

مستشرقٌ ومؤرِّخٌ وأديبٌ فرنسي، له عِدَّةُ مؤلَّفاتٍ، منها «تاريخ الحروب الصليبية»، ومنها «مدنيات الشرق».

◻ قال في الأخير: «كان محمدٌ لَمَّا قام بهذه الدعوةِ شابًّا كريمًا نجدًا، ملآنًا حماسةً لكلِّ قضيةٍ شريفة، وكان أرفعَ جدًّا من الوسط الذي يَعيشُ فيه، وقد كان العربُ يومَ دعاهم إلىٰ اللَّه منغمِسين في الوثنية، وعبادةِ الحجارة، فعَزَم علىٰ نَقلِهم من تلك الوثنية إلىٰ التوحيدِ الخالِصِ البحت، وكانوا يهتِفون بالفوضىٰ وقتالِ بعضِهم بعضًا، فأراد أن تؤسَّسَ لهم حكومةٌ ديموقراطيةٌ موحَّدة، وكانت لهم عاداتٌ وحشيةٌ همجيةٌ صِرفة، فأراد أن يُلطِّفَ أخلاقَهم، ويُهذِّبَ من خشونتهم».

*** العلاَّمة لا بلابس الفرنسي:**

من مشاهيرِ علماءِ الفَلَك الفرنسيين، صاحبُ الرأي المعروف أن العالَم تكوَّن في بَدئِه كرةً ضبابيةً انفَجرت وصَدَرت منها الأجرامُ السماوية ـ ومنها أرضنا ـ.

◻ قال في كتابه «الأديان»: «إننا ـ وإن لم نعتقدْ بالأديان السماوية ـ، ولكنَّ دينَ محمدٍ وشريعتَه مِثالانِ اجتماعيانِ لحياةِ البشر، فنحن نعترفُ لمحمدٍ بأنه عظيمٌ بدينِه ومبدئِه وعقليَّتِه، فلا مَحيصَ عن الأخذِ بتعاليمه».

* المسيو بوستل غليوم الفرنسي:

مستشرقٌ فرنسي، وُلد عام ١٥٨١، وتوفِّي ١٦٥٤، ألَّف أبجدياتٍ في اثنَتيْ عَشْرةَ لغةً ـ منها العربية ـ، طُبع بعضها.

◻ قال فيما كتبه باللغة العربية: «اللغةُ العربيةُ أفصحُ اللغات آدابًا، وهي لغةُ أُمةٍ على رأسِها محمدٌ النبيُّ العربي، وهو أفصحُ مَن نطق بالضاد، ولقد جاء بأفصحِ ما يُمكنُ في خلالِ كلماتهِ المأثورةِ عنه، لذلك نحترمُه ونحترمُ لغتَه».

* ويغان مكسيم الفرنسي:

◻ ولد في «بركسل» ١٨٦٧، قائدٌ فرنسيٌّ، ومندوبٌ ساميٌّ في سوريا ولبنان ١٩٢٣، له مذكراتٌ قيِّمة، دُعي إلى حفلةٍ لذكرى ميلاد الرسول محمد ﷺ في بيروت سنة ١٩٢٥.. قال فيها: «مهما احتَفل المسلمون بعيدِ ميلاد محمدٍ، فهو قليل؛ لأنه جاءهم بدينٍ هو فوقَ الأديان، وهو في نفسِه كبير، وفي أخلاقه عظيم، وفي شريعتِه سيِّدُ الأنبياء، فعلى المُنصِفين أن يحتفِلوا بذكرى عظماءِ التاريخ، وفي طليعتهم محمدٌ الرسولُ العربيُّ والقائدُ الأعلى لتحقيق شريعةِ اللَّه على الأرض، وتركيزِها في صدور الناس».

* رينيه ديكارت الفرنسي:

وُلد عام ١٥٩٧، وتُوفِّي ١٦٥٠، اشتُهر بكتابه «مقالة الطريقة» الذي كان له الأثرُ البيلغُ في الفِكرِ العربي، نقله إلى العربية «جميل صليبا» عام ١٩٥٠، وهو مَصدرُ الفلسفة الحديثة.

◘ قال فيه: «نحن والمسلمون في هذه الحيـاة، ولكنهم يعمـلون بالرسالتين العيسوية والمحمَّدية، ونحن لا نعملُ بالثانية، ولو أنصَفْنا لكنَّا معهم جنبًا إلىٰ جنب؛ لأنَّ رسالتَهم فيها ما يتلاءمُ مع كلِّ زمانٍ، وصاحبُ شريعتهم محمدٌ الذي عَجَز العربُ عن مباراتِ قرآنِه وفصاحته، بل لم يأتِ التاريخُ برجلٍ هو أفصحُ منه لسانًا، وأبلغُ منه منطقًا، وأعظمُ منه خُلقًا، وذلك دليلٌ علىٰ ما يتمتَّعُ به نبيُّ المسلمين من الصفاتِ الحميدةِ التي أهَّلته لأن يكون نبيًّا في آخرِ حَلْقاتِ الأنبياء؛ ولأنْ يَعتنقَ دينَه مئاتُ الملايين من البشر».

*** دي سلان ماك غوكين الفرنسي:**

وُلد في «باماكو» ١٨١٠، وتُوفِّي ١٨٧٩، مستشرقٌ فرنسي، وَضع فهرس المخطوطات الشرقية الموجودة في المكتبة الوطنية في باريس، أتمَّ ترجمـةَ «مقدمة ابن خلدون»، ونقلهـا إلىٰ الفرنسـية، وعُني بنشـرِ كتبٍ عديدة.

◘ قال في الترجمة (ص١٠٧): «إن العربَ أُمةٌ تمتازُ بكثيرٍ من الصفات، ولها دينٌ جامعٌ شامل، لا يَعيبُه إلاَّ مَن يَجهلُه، وصاحبُ دينهم محمدٌ الفقير، وقبلَ أن نعرفَ الدينَ يجبُ أن نعرفَ مَن أتىٰ به، وحقًّا أقول: ليس كمحمدٍ في سلسلةِ الأنبياء، ولا كشريعتِه في سلسلةِ الشرائع، ولا نبالغُ إذا قلنا: إن محمداً خيرُ مَن أتىٰ بشريعة، ولقد وَقف في وجهِ الطغاة من قريش، حتىٰ أتمَّ ما أراد، وبَلَغ منتهىٰ الطريقِ الذي سلكه وعَمِل له، وإذا به وبشريعتِه يَتمتَّعانِ بذِكرٍ عاطرٍ وحديثٍ حَسَنٍ، وليس باستطاعتنا

أن نُثيرَ عليهما غُبارَ الانتقاص».

* المسيو سيفتر دي ساسي الفرنسي:

وُلد في بلده «سيلوم» ١٧٥٠، وتُوفي ١٨٣٨، مستشرقٌ فرنسي، أنشأ «الجمعية الأسيوية الفرنسية»، وبَعَث في قلوبِ معاصريه الغيرةَ على الدروس الشرقية ـ ولا سيَّما العربية ـ، له المؤلَّفاتُ العديدة في الشؤونِ الشرقية.

◻ قال في كتابه «الحياة» (ص٢٦): «لست أرى بُدًّا مِن القول بأن الإسلامَ جامعٌ مانع، وفيه التعاليمُ الحيوية، كيف لا وبانيه محمدُ بنُ عبدِاللَّه المفكِّرُ العظيم والفيلسوفُ الكبير(١)، ودينُه صالحٌ لأن يبقى ولا يتغيَّر، ومِن المعلوم أن محمداً كان معروفًا منذ الصِّغرِ بالصدقِ والأمانةِ والوفاءِ والتواضُع، وقد عُرف عنه أنه بليغٌ في منطقِه، سديدٌ في رأيه، نشيطٌ في دعوته».

* هيليار بلوك الفرنسي:

الكاتبُ الفرنسيُّ الشهير، والمؤرِّخُ الكبير، وُلد عام ١٨١٥، وتُوفي ١٨٩٥، بَحَثَ أديانَ الشرقِ، له مؤلَّفان «بوذا الهندي» و«محمد والقرآن».

◻ قال في الأخير (ص٣٧): «إني أقول: إن معجزةً كهذه من حيثُ خطرُها وبُعدُ أثرِها وعظيمُ نتائجِها، كانت مَسوقةً بقوَّةٍ لا يُستطاعُ تفسيرُها، وإن كان ما لدينا من المصادرِ والوثائق يُساعدُنا على تفهُّمِ الأسبابِ التي

---

(١) لم يكن محمدٌ ﷺ مفكرًا ولا فيلسوفًا، بل كان نبيًّا رسولاً.

جَعَلَتْها أمرًا واقعًا منظورًا.

كانت الحركةُ دينيةً ـ ما في ذلك شك ـ، فلم يَخرجِ العربُ من جزيرتهم للنَّهْب والسَّلْب، وإنما خرجوا لنشرِ الدينِ الجديد الذي جاء به محمدٌ، والتبشيرِ بالمُثُلِ العليا التي نادىٰ بها محمدٌ، والصفاتِ الجليلة التي دعا إليها محمدٌ».

*** المسيو برتلمي هربلو الفرنسي:**

مستشرقٌ فرنسي، وُلد عام ١٦٩٥، وتُوفِّي ١٧٧٦، جَمع المخطوطات العربية، ودَرَس اللغةَ العربية في باريس، له كتاب: «المكتبة الشرقية»، وهو معجمٌ جامع لِما في الشرق من فلسفةٍ وأدب.

◻ قال فيه: «إنَّ اللغةَ العربيةَ هي أعظمُ اللغات آدابًا، وأسماها بلاغةً وفصاحةً، وهي لغة الضاد، ولقد تغنَّىٰ محمدٌ نبيُّ الإسلام بما يدلُّ علىٰ شرفِ هذه اللغة بقوله: «أنا أفصحُ مَن نطق بالضاد»[١]، وصحيح عنه ذلك لأن كلماتِه المأثورةَ تدلُّ عليه».

*** الدكتور وايل الفرنسي:**

مستشرقٌ فرنسي، وُلد عام ١٨١٨، وتوفي ١٨٨٩، دَرَس في باريس العربيةَ والسريانية، اشتَغل في الجزائر مدرِّسًا ومترجِمًا، ترجم «أطباق الذهب» للزمخشري، وله «تاريخ الخلفاء».

◻ قال في الأخير: «إنَّ محمدًا يستحقُّ كلَّ إعجابِنا وتقديرنا كمُصلحٍ

(١) لا يصحُّ عن رسولنا ﷺ.

عظيم، بل ويستحقُّ أن يُطلَقَ عليه أيضًا لقب «النبي»، ولا يُصغَىٰ إلىٰ أقوالِ المُغرِضين وآراءِ المتعصِّبين، فإن محمدًا عظيمٌ في دينه وفي شخصيته، وكلُّ مَن تحامَل علىٰ محمدٍ، فقد جَهِله وغَمَطه حقَّه».

* **المسيو كوسان دي برسفال الفرنسي:**

مستشرقٌ فرنسي، وكاتبٌ معروف، ومؤرِّخ مشهور، وُلد في بلدته «لاتاي» عام ١٨٦٨، ألَّف في العربية عِدَّةَ كتب، وله مؤلَّفاتٌ بالفرنسية منها «تاريخ العرب».

◘ قال فيه: «الذي ثَبَت عندي أن محمداً نبيَّ العرب وُلد في ٢٠ آب سنة ٥٧٠م، ذلك الرجلُ الذي جاء إلىٰ قومه بدينٍ جديد بعدَ أن توفَّرت دواعي النبوة، وإن دينَه خالٍ من الشكوك والأضاليل، وقد جاء بالمعجزاتِ دليلاً علىٰ دعوته المباركة، ثم سار لانتشارِ دينه القويم متحمِّلاً من قومِه الاضطهادَ المتزايدَ، ثم ارتحل إلىٰ المدينة، وبعد فَتحِ مكةَ عفا عنهم، فآمنوا به».

* **العلاَّمة ساديو لويس الفرنسي:**

وُلد في باريس عام ١٨٠٨، وتوفِّي ١٨٧٥، له كتاب «تاريخ العرب».

◘ قال فيه (ص٣٧): «لم يكن محمدٌ نبيُّ العرب بالرجل الفاتحِ للعربِ فحسب، بل للعالَم ـ لو أنصفه الناس ـ؛ لأنه لم يأتِ بدينٍ خاصٍّ بالعرب، وإن تعاليمَه الجديرةَ بالتقدير والاعجابِ تدلُّ علىٰ أنه عظيمٌ في دينه، عظيمٌ في أخلاقه، عظيمٌ في صفاته، وما أحوجَنَا إلىٰ رجالٍ للعالم

أمثالِ محمدٍ نبيٍّ المسلمين، وعلىٰ العربِ خاصةً أن يحتفِلوا لذكراه كلَّ عام؛ لأنه هو الذي رَفَعهم من حضيضِ الجهالة، وإذا هم أمةٌ لها شأنُها في عِدادِ الأمم الراقية»(١) .

* **العلاَّمة لوزن الفرنسي:**

وُلد في بلدته «لورد» ١٧٨٦، وتُوفي ١٨٣٧، وهو أستاذٌ في علوم الكيمياء والفلك.

❑ قال في كتابه «اللَّه في السماء»: «لقد بُعث محمدٌ رسولاً إلىٰ العرب، وعاشت بلادُ العرب الأزمانَ الطويلةَ عاكفةً علىٰ عبادة الأصنام، وتَوغَّلت في ذلك حتىٰ احتاجت إلىٰ انقلابٍ ديني عظيم».

❑ إلىٰ أن قال: «ولمَّا فتح محمدٌ مكة، جاء بيتَ اللَّه ـ الكعبةَ ـ في احتفالٍ عظيم، وفيها ٣٦٠ صنمًا، فكان محمدٌ يقفُ أمامَ كلِّ صَنمٍ، ثم يضربُه بعصاه ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:٨١] ثم يَهوي إلىٰ الأرض تحت أقدامه، وليس محمدٌ نبيَّ العرب وحدَهم، بل هو أفضلُ نبيٍّ قال بوحدانيةِ اللَّه، وإنَّ دينَ موسىٰ ـ وإنْ كان من الأديان التي أساسُها الوحدانيةُ ـ إلاَّ أنه كان قوميًّا محضًا وخاصًّا ببني إسرائيل، وأما محمد، فقد نَشر دينَه بقاعدتَيهِ الأساسيتين ـ وهما الوحدانية والبَعث ـ، وقد أعلنه لعمومِ البشر في أنحاءِ المسكونةِ، وإنه لَعملٌ عظيمٌ يتعلَّقُ بالإنسانيةِ جُملةً وتفصيلاً عند مَن يُدرِكُ معنىٰ رسالةِ محمدٍ الذي

(١) تعظيم النبيِّ ﷺ لا يكون بعصيانه، فلا نحتفل بميلاده كي نظهر له التعظيم، وإنما التعظيم في اتباعه فيما أمر، لا فيما نهىٰ عنه.

اعتَنق مبدأه وعَمِل علىٰ رسالته أرْبَعُمئة مليون من الناس».

☐ إلىٰ أن يقول: «فرسولٌ كهذا الرسول يَجدُرُ باتِّباع رسالته والمبادرةِ إلىٰ اعتناق دعوته، إذ إنها دعوةٌ شريفة، قِوامُها معرفةُ الخالق، والحثُّ علىٰ الخير، والرَّدعُ عن المنكر، بل كلُّ ما جاء به يَرمي إلىٰ الصلاحِ والإصلاح، والصلاحُ أنشودةُ المؤمن، هذا هو الدينُ الذي أدعو إليه جميعَ النصارىٰ».

*** الدكتور موريس أندارا الفرنسي:**

مؤرِّخٌ كبير، وله عدَّةُ مؤلَّفاتٍ، وُلد في بلدته «يلي» ١٧٩٥، وتُوفِّي ١٨٧٢.

☐ قال في أحد مؤلَّفاته، وهو «الإنسان والحياة» (ص١٣): «إنَّ محمداً يَرىٰ أمرَ الحياة جسيماً، ويَرىٰ لكلِّ عملٍ إنسانيٍّ ـ مهما حَقُر ـ خطارةً كبرىٰ، فما كان من سيِّءٍ فله السوءُ نتيجةً أبدية، وما كان صالحًا فله من الصلاح ثمرةٌ سَرْمَدِيَّة، وإنَّ المرءَ قد يسمُو بصالحاتِه لأعلىٰ عِلِّيين، ويَهبِطُ بموبِقاته إلىٰ أسفل السافلين.

كلُّ ذلك كان يَلتهبُ في نفسِ ذلك الرجل القَفْرِيِّ كأنما قد نُقش ثَمَّةَ بأحرُفِ النار، وتَوجَّه إلىٰ بني قومِه بكلماتِ النور، وأيُّ ثوبٍ لَبِسَتْه هذه الحقيقة، وأيُّ قالبٍ صبَتْه فيه، فلا تزالُ أولىٰ الحقائقِ مَقدَّسةً في أيِّ أسلوب وأيِّ صورة».

*** المسيو جان تورنون كرو الفرنسي:**

مستشرقٌ فرنسي، وُلد في بلده «كراي» ١٨٦٧، وتُوفِّي ١٩٢٤، أَلَّف كتابًا أسماه «العرب» وذَكر فيه وقائعَ الحربِ العامة، وتحرَّىٰ فيه إلىٰ أقصىٰ

درجاتِ التحرِّي.

◻ قال في مقدمته: « إنَّ اللَّه اصطفى محمداً لإرشادِ أمَّته، وعَهِد إليه هَدْمَ ديانتِهم الكاذبةِ وإنارةِ أبصارِهم بنورِ الحق، فأخذ مِن ذلك العهدِ يُنادي باسمِ الواحدِ الأحد، بحسبِ ما أُوحي إليه، وبمقتضى عقيدتِه الراسخة».

◻ إلى أن قال: «وقُذف في نفسِ محمدٍ مجموعُ كتابٍ ملآنٍ بالأسرار الإلهية، وأُوحي إليه مجموعةُ حقائقَ تجتازُ مسافةَ عقلِه الطبيعي، لذلك اللَّهُ عَلَّم الإنسانَ بالقلم، علَّمه ما لم يَعلم.. هذا هو سِرُّ الوحيِ، وهو سِرُّ الكلمةِ المكتوبة، وكانت الكلمةُ المكتوبة وحيًا إلهيًّا».

◻ وقال (ص٦٥) منه: «وفي نواحي سنة ٦١٠ للمسيح، بَلَغ محمدٌ أَشُدَّه، فكان لا يَقدِرُ أَنْ يتصوَّرَ حالَ قومِه بدون أن يتألَّم، وكان يَرى أن أمرًا ضروريًّا يَنقُصُه ويَنقُصُ قومه، وكان العربُ كلُّ قبيلةٍ منهم عاكفةٌ على صَنَمِها، وكانوا يقولون بالجنِّ والأشباحِ والغيلان، ولكنهم كانوا في غَفلةٍ عنها، وكانت هذه الغفلةُ هي الموتَ الرُّوحيَّ، وكان قلبُ محمدٍ قد خلا من كلِّ فِكرٍ غيرِ الفكرِ باللَّه، وكان قد تجرَّد من كلِّ قوةٍ غير هذه القوة، وكان ليس في نظرِه غيرُ واجبِ الوجود الأحدِ الصمد».

◻ إلى أن قال: «وأَحَبَّ محمدٌ في تلك الفترة العُزلةَ، فكان يَشعرُ في خَلْوته في جبل «حِراء» بسرورٍ عميق، يَتزايدُ يومًا فيومًا، فكان يَقضي هناك الأسابيعَ، وليس معه إلاَّ قليلٌ من الغذاء؛ لأن نفسه كانت تلتذُّ بالصوم والتهجد[1] ..» إلى آخر ما كتب.

---

(١) ما عرف النبي ﷺ التهجّد إلا بعد نزول الوحي إليه وعرف كيفية الصلاة والتهجد.

* المسيو ديته فنان الفرنسي:

مستشرقٌ فرنسي جال في بلادِ الشرق عام ١٨٥٧، وقد وُلد ١٨٢٣، وتُوفِّي ١٨٧٩، له كتاب «أشعة خاصة بنور الإسلام».

▫ قال فيه (ص٢٩): «إن القرآنَ الذي جاء به محمدٌ هو دونَ الكُتبِ المقدَّسةِ الأخرىٰ، فهو الكتابُ الوحيدُ الذي يأمرُ بالرِّفق والإحسان».

* البَّحاثة كاوادوفو الفرنسي:

وُلد عام ١٨٧٢، وتُوفِّي ١٩٣٣ في بلدته «ماريانا»، وهو مستشرقٌ عريقٌ بالأدب الفرنسي، وقد اضطَلَع في «تاريخ العرب»، فألَّف كتابًا اسمُه «العرب».

▫ جاء في مقدمته: «كان محمدٌ أُميًّا لا يَقرأُ ولا يَكتب، ولم يكن فيلسوفًا، ولكنه لم يَزَلْ يُفكِّرُ في هذا الأمر إلىٰ أن تكوَّنت في نفسه بطريق الكشفِ التدريجي المستمرِّ عقيدةٌ كان يراها الكفيلةَ بالقضاء علىٰ الوثنية[1] ومن المعروف عن محمد أنه مع أمَّتِـهِ كان أرجـحَ الناس عقلاً وأفضـلَهم رأيًا، دائمَ البِشْـر، مُطيـلَ الصمت، ليِّنَ الجانب، سَهْلَ الخُلق، يُكثِرُ الذِّكر، ويُقِلُّ اللغوَ، يَستوي عندَه في الحقِّ القريبُ والبعيـد، والقـويُّ والضعيفَ، يُحبُّ المساكين، لا يَحقرُ فقيرًا لفقره، ولا يَهابُ مَلِكًا لِمُلكه، يؤلِّفُ أصحابَه ولا يُنفِّرُهم، ويُصابرُ مَن جالَسه أو قاومه، ولا يَحيدُ عمَّن صافَحه حتىٰ يكونَ الرجلُ هو المنصرف، يَجلسُ علىٰ الأرض، ويَخصِفُ

---

(١) إنها النبوة لا الكشف التدريجي.

النَّعل، ويُرقِّعُ الثوب».

* البحَّاثة ليون دوني الفرنسي:

مستشرقٌ فرنسيٌّ كبير، وُلد ١٨٤٥، وتُوفِّي ١٩٠٨.

□ نقل «محمد فريد وجدي» في كتابه «الإسلام في عصر العلم» (ص٣٦٧) من الجزء الأول قال: «لقد نَقلت «المجلة الروحية» في جزئها الصادر في يوليو سنة (١٩٠٣) من مُلَخَّصِ خطبةٍ خَطَبها فيلسوف الإسبرتزم وخطيبُها المُفوَّهُ «ليون دوني» في غرفةِ الزراعة بباريس، تكلَّم الخطيبُ في أثناء الخطبةِ عن وظيفةِ رجالِ القرائحِ الكبرىٰ في العالَم الإنساني، وعلىٰ مكانهم في هِدايةِ الخَلق، وإرشادهم».

□ ثم قالت المجلة: «المسيو «ليون دوني» استعرض أمامَ سامِعيه كبارَ الوسطاءِ بين الملإِ الأعلىٰ والناس، وهم الذين خَلَّد لنا التاريخُ أسماءهم، وسَرَد أدلَّةً وحُجَجًا استملاها من الحوادث ومن تفاصيل حياتهم، وذَكر من أولئك: المسيح ومحمدًا».

□ إلىٰ أن قال: «إنَّ كلَّ العامِلين العِظامِ علىٰ ترقيةِ النوع الإنساني، كان يُـوحَـىٰ إليـهم مِن قِبَـلِ الأرواح العاليـة النيِّـرة، هذه الخاصيةُ كانت دائمًا المِدَّةَ للقرائحِ العالية، والمهذِّبــةَ للعالم، والمُعلِّمةَ المُرشدةَ للأمم والشعوب» اهـ.

* الفيلسوف الفرنسي رُوجيه جارودي:

أشهَرُ مَن أنصف الإسلامَ في الغرب في القرن العشرين الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي، الذي كان من أكبر المتحمِّسين للشيوعية والفلسفة

الماركسية المادية، وأُصيب بصدمةٍ بعدما اكتشف زَيْفَ الشيوعية بدايةً من عام ١٩٥٦ بعد أن كَشَفَ الرئيس الروسيُّ «خرشوف» فضائح عهدِ «ستالين».

وبدأ جارودي ـ كمفكِّرٍ ـ رحلةَ الشكِّ بحثًا عن اليقين بدراسةِ الأديان، إلى أن توقَّفَ عند الإسلام لدراسته كدينٍ وحضارة، وقارَنَ بينَ ما في القرآن مِن الإشاراتِ العلميةِ والاكتشافات العلميةِ الحديثة.

◻ وعَبَّر عن هذه المرحلةِ من حياتِه قائلاً: «كلَّما تعمَّقتُ في الدراسةِ والمقارنةِ، ازددتُ اقتناعًا بأن الإسلامَ هو الدينُ الذي أبحثُ عنه».

◻ وأعلن «جارودي» إسلامه[1] في شهر رمضان عام ١٩٨٢، وأصبح اسمُه «رجاء جارودي»، وأصدر كتابَه الشهير «وعود الإسلام»، فكان ذلك الكتابُ بدايةَ حربٍ شعواءَ شُنَّت عليه مِن أكثرَ مِن جهة، خاصةً أنه قد أعلن في كتابه هذا «أنه لا توجدُ اليومَ أمةٌ تَحملُ كلمةَ اللَّه بأمانةٍ وصدقٍ غيرُ الأمةِ الإسلامية، ولا يوجدُ كتابٌ سماويٌّ يُمثِّلُ كلمةَ اللَّه بحقٍّ ـ دون تحريفٍ ـ إلاَّ القرآن، ولا أملَ في إنقاذ الغربِ إلاَّ بأن يعترفَ بأنه مَدِينٌ لحضاراتٍ أخرىٰ، ويُغيِّرُ موقفَه المعنِّتَ من الإسلام؛ لأن الغربَ الذي رَفَض رُوحانياتِ الإسلام هو اليومَ أحوجُ ما يكونُ إليها، ورَفَض الغربُ عقيدةَ التوحيد، وغَرِق في المادةِ، فانتهىٰ به الأمرُ إلىٰ خَواءٍ رُوحيٍّ وتمزُّقٍ بين الأيديولوجيات.. والإسلامُ ليس كُفرًا ـ كما رَوَّج المُغرِضون القُدامىٰ في الحرب الصليبية ـ، وليس إرهابًا ـ كما يُصوِّرُه المُغرِضون الجُدد ـ. إنه الدينُ العَمليُّ الذي يُقدِّمُ للإنسان نظامًا كاملاً شاملاً لحياةٍ إنسانيةٍ بكلِّ

(١) انظر «حول إسلام جارودي» جمعي وكتابي «أعلام وأقزام في ميزان الإسلام».

احتياجاتِها، وليس مجردَ عقيدةٍ منعزلةٍ عن دنيا الناس».

◻ ويُرِكِّزُ جارودي على أن الإسلامَ هو الدينُ الذي يَعترفُ بالديانات السماوية، والمبدأُ الذي قرَّره الرسولُ ﷺ سَبَق به الدعوةَ إلى حقوقِ الإنسان بقرونٍ، وهو «**لا فضل لعربيٍّ على أعجميٍّ، ولا لأعجميٍّ على عربيٍّ إلاَّ بالتقوى**»، فليس في الإسلامِ تمييزٌ على أساسِ اللون أو الجنس.

◻ وقد تولَّى «جارودي» في كتابه «وعود الإسلام» تفنيدَ الاتهامات التي تُردَّدُ في الغربِ ضدَّ الإسلام.

◻ ويقول «جارودي»: «إن الغربَ غَرِق في الفَردية، فلم يَعُدْ للأسرةِ ولا للصداقةِ ولا للأُخوَّةِ الإنسانيةِ وجود، وتحوَّل الإنسانُ إلى ذئبٍ أمامَ أخيه، بينما يُعلِّمُ الرسولُ ﷺ المسلمين: «**لا يؤمنُ أحدُكم حتى يُحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه**»، و«**المسلمُ أخو المسلم، لا يَظلِمُه، ولا يَخذُلُه، ولا يَكذِبُه**»، و«**كلُّ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ، دمُه ومالُه وعِرضُه**»، و«**المؤمنُ للمؤمن كالبُنيانِ يَشُدُّ بعضُه بعضًا**».

هذا هو دستورُ الإسلام لبناءِ مجتمعٍ متماسكٍ يَصُونُ حقوقَ أفراده».

◻ ويَحكي «جارودي» تجربةَ دخولِه في الإسلام منذ بدايتها، فيقول: «بدأتُ إسلامي بالشهادتين، وهذا ركنُ الإسلام الأولُ، وبه يُسلِمُ الإنسانُ قلبَه للَّه الواحدِ الخالقِ المدبِّرِ الجديرِ بالعبادةِ وحدَه دون شريك.. ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام: ١٠٣].

ومحمدٌ ﷺ رسولُ اللَّه المبعوثُ من اللَّه للناس كافةً.. ووَجدتُ في الصلاةِ تعبيراً جميلاً عن اتصالِ الإنسانِ باللَّه، وتَشعُرُ بعظمةِ الإسلام حين

ترىٰ المسلمين وقد وَقفوا في وقتٍ واحدٍ صفوفًا منتظمةً متَّجهينَ إلىٰ قِبلةٍ واحدة، وقبلَ الصلاة يكونُ الوضوءُ ـ وهو نوعٌ من الطهارةِ الجسديةِ ـ تمهيدًا للوقوف بين يَدَي اللَّه».

❑ ويتحدَّثُ عن الزكاة فيقول: «إنها في الإسلام لا تُعتبرُ صدقةً.. بل هي حقٌّ معلومٌ للفقراء من أموالِ الأغنياء، والمالُ كلُّه للَّه في مفهومِ الإسلام، فالزكاةُ وسيلةُ التكافلِ والتضامنِ الاجتماعيِّ في المجتمعِ الإسلاميِّ، تُزيلُ الحقدَ من نفوسِ الفقراء، كما تُزيلُ الجَشعَ من نفوسِ الأغنياء.. أمَّا الحج، فإنه يَجمعُ المسلمين في وقتٍ واحدٍ ومكانٍ واحدٍ أمامَ اللَّهِ بلا تمييزٍ طَبَقيٍّ، ليُشعرَهم بعظمةِ دينِهم، ويُقوِّي فيهم الإحساسَ بالترابطِ، ويؤكِّدَ المساواةَ بين المسلمين أمام اللَّه».

❑ وعن الاقتصاد في الإسلام يقول: «إنه يقومُ علىٰ مبادئَ، مِثلِ: التوازن في توزيعِ الدخل، وتحريم الاحتكار، وجَعلِ الملكيةِ الفرديةِ لصالح الفرد والجماعة، واعتبارِ السُّوقِ وسيلةً وليس غاية، وأهمُّ من كلٍّ ذلك أن المسلمَ يَجعلُ اللَّهَ أمامَ عينيه في كلِّ ما يقول وكلِّ ما يعمل، ولا يَسمحُ لنفسه بأنْ يتعدَّىٰ حدودَ اللَّه. أما في الغرب فإن الهدفَ هو السَّعيُ إلىٰ المَزيدِ من الربح، والمزيدِ من الإنتاج، والمزيدِ من الاستهلاك».

❑ ويَعتبر «جارودي» أن وَضْعَ المرأةِ في الإسلام هو الوضعُ الأمثلُ، فقد رَفع الظُّلمَ عنها، وساوىٰ بينها وبين الرجل في الحقوقِ والواجبات.. وصان المرأةَ، وحافَظَ علىٰ كرامتها.

❑ ويُشير إلىٰ وضعِ المرأة في الغربِ علىٰ مدىٰ العصور؛ فقد أباح

«سقراط» أن يُقرِضَ الزوجُ زوجتَه لمن يشاء من أصدقائه، «وأفلاطون» قرَّر ضرورةَ شيوعِ النساء، أي: أن تكونَ كلُّ النساء لكلِّ الرجال، ولا يكونَ لرجلٍ امرأةٌ بعينها، والأبناءُ هم أبناء المجتمع!!.

◻ وقد أعطىٰ الإسلامُ للمرأةِ حقوقًا لأولِ مرةٍ، منها: حقُّ التملُّك، وجَعَل لها نصيبًا في الميراث بعد أن كانت هي نفسُها ضِمنَ التركة، وأعطاها حقَّ التعلُّم والعملِ واختيارِ الزوجِ وطلبِ الطلاق، وقرَّر الإسلامُ للمرأةِ حقوقًا بعد الطلاقِ، منها: النفقة، وحِضانةُ الصغار.

◻ ويَسخرُ «جارودي» من زيادةِ الأطفالِ غيرِ الشرعيين في المجتمعاتِ الغربيةِ والتفاخُرِ بحريةِ العلاقات الجنسيةِ خارجَ الزواج، ويتساءل: «أيهما أفضلُ وأكثرُ حمايةً للمرأة وللأبناء: تعدُّد الزوجات في إطار الشرعية أو تعدد العلاقات غير الشرعية؟!»[1].

◻ ويتكلَّمُ «جارودي» عن الأفكارِ الرائجةِ في الغرب التي تَدفعُ الشبابَ إلىٰ الإحباطِ واليأس، ويَشعرون ـ كما قال فلاسفة الوجودية ـ بأن الحياةَ ليست سِوىٰ جَحيمٍ، وأن الآخَرين هم أيضًا جحيم، وأن الإنسانَ يَسيرُ في حياتِه ـ بعينٍ مُغمضةٍ ـ نحوَ هاويةٍ لابد منها، ومن هؤلاء مَن حَصل علىٰ جائزةِ نوبل أو رُشِّح لها، ولهم تلاميذُ كثيرون اعتَنقوا أفكارهم، ويتجرَّأ أحدُهم إلىٰ حدِّ إعلانِ موتِ اللَّه، كما فعل الفيلسوف الألماني «نيتشه» من قبلُ، وبعضُهم يَصِفُ الإنسانَ بأنه مجردُ دُميةٍ علىٰ مسرحِ العرائس الذي نُسميه الحياة!.

---

(١) «المنصفون للإسلام في الغرب» (ص٢٢١ـ٢٢٥) باختصار.

❑ يقول «جارودي»: «كيف أصفُ هؤلاء المفكِّرين والكُتَّاب؟ إنهم سفَّاحو الثقافةِ والفكر، بينما عقيدةُ الإسلام قادرةٌ على إعطاءِ الأملِ للإنسان، وشَحْذِ عزيمتِه، وإرشادِه إلى طريقِ الخيرِ والفضيلةِ، ووعودُ الإسلام بالحسابِ في الآخرة ثوابًا أو عقابًا تكفي لإعطاءِ الحياةِ أعظمَ المعاني».

ويدعو «جارودي» مفكِّري الغربِ إلى تفهُّمِ الإسلام، وأن يتعلَّموا كيف يُمكِنُهم الوصولُ إلى الرُّوح ـ رُوحِ الإسلام ـ، وحينئذٍ سوف تمتلئُ نفوسُهم بالأملِ في الحياةِ وما بعدَ الحياة.

❑ وفي نفس الوقت يدعو «جارودي» المسلمين إلى أنْ يتحرَّكوا ويُجدِّدوا حياتَهم في ظلِّ الإسلام، وألاَّ يستسلموا للجمودِ ويقعوا في عبادة الماضي، ويَستشهدُ على ذلك بعبارةٍ بليغةٍ لمفكِّرٍ فرنسيٍّ شهيرٍ هو «جورس» الذي قال: «إن إخلاصَ المرءِ لأجداده لا يكون بالإبقاءِ على رَمادِ المدفأة التي كانوا يستعملونها. . بل بإذكاءِ جَذوةِ النارِ فيها».

❑ وفي محاضرةٍ شهيرةٍ في جامعة الأزهر في مارس ١٩٨٣، بدأ «روجيه جارودي» حديثَه بعباراتٍ قاطعة فقال: «إن الإسلامَ اليوم هو الدينُ الذي ما زال في حالةِ تقدُّم مستمر، وإنْ كان قد أصاب المسلمين الضعفُ في القرن الثامن في الأندلس، إلاَّ أن الإسلامَ ما زال ينتشرُ في آسيا، والهند، وأندونيسيا، وفي أماكنَ أبعدَ مِثلِ ماليزيا، وبورما، وتايلاند، والصين، وكوريا، واليابان، وفي الفترة التي وقف فيها «عبدُالناصر» في مواجهةِ الغرب حَدَث اندحارٌ للاستعمار في أفريقيا، وتحرَّر كثيرٌ من الدول، وأصبحت القارةُ الإفريقيةُ بأكملها في سبيلها لأن تكونَ قارَّةً إسلاميةً، كما

وصلت هذه المَوجةُ أيضًا إلىٰ الولاياتِ المتحدة وآسيا الوسطىٰ. . وهكذا فإنَّ هناك صورةً جديدةً للإسلام بدأت في الظهور تُكمِلُ نَهضَته وتَفتُّحَه حتىٰ في البلادِ التي تَسُودُها الضغوطُ السوفيتية، وعندما تتفجَّرُ هذه الآفاق سيظهرُ للعالَم أنَّ الإسلامَ حيٌّ يستطيعُ مواجهةَ تحدياتِ القرن، كما استجاب في الماضي لمتطلَّباتِ عصورٍ ومجتمعاتٍ عديدة».

وانتشارُ الإسلام ـ في رأي جارودي ـ هو ردُّ فعلٍ لطغيانِ الغرب. . فالغربُ يسيطرُ علىٰ العالم بدونِ شريكٍ منذ خمسةِ قرون، وفَرَض نموذجَه الحضاريَّ والثقافي، والنموذجُ الغربيُّ للتنميةِ قائمٌ علىٰ نَهبِ الثرْواتِ المادية البشريةِ التي تمتلكُها الشعوبُ الأخرىٰ، مع أن شعوبَ الغربِ تعادِلُ خُمْسَ سُكَّانِ الكرةِ الأرضية فقط، والغربُ يُنتِجُ أيَّ شيءٍ بكمياتٍ كبيرة، سواءٌ كانت مفيدةً أم ضارةً أم قاتلةً، مثلَ الأسلحةِ المدمِّرة التي تُعدُّ سُوقًا رائجةً يعتمدُ عليها الغربُ في تحقيق الرخاء الذي يَنعَمُ به حاليًا.

وذلك النموذجُ المخيفُ للتنميةِ يَكشفُ طبيعتَه الانتحارية، ففي عام ١٩٨٢ مثلاً بَلَغ الإنفاقُ علىٰ الأسلحة ٦٥٠ مليار دولار، وكان لكلِّ فردٍ في العالَم ما يُوازِي أربعةَ أطنانٍ من المتفجِّرات التقليدية، وأصبح مِن الممكن نظريًّا تدميرُ كلِّ أثرٍ للحياة في هذه الأرض، وذلك الاحتمالُ ـ وإن كان بعيدَ الوقوع ـ إلاَّ أنه يَحدُثُ لأولِ مرةٍ في تاريخ البشرية، أي منذ ثلاثةِ ملايين سنةٍ علىٰ الأقل! بينما تشيرُ إحصاءاتُ الأممِ المتحدة عن نفسِ العام (١٩٨٢) إلىٰ أن الذين ماتوا جُوعًا بلغوا ٥٠ مليونَ إنسانٍ في العالم الثالث، ولا يمكنُ تخيُّلُ صورةٍ أبشعَ من هذه الصورة التي وَصل إليه العالَمُ بعد خمسةِ قرونٍ من الحضارة والتقدُّم ـ كما يقولون في الغرب ـ.

☐ ويَرصُد «جارودي» كتاباتٍ في الغرب اتَّجهت إلى إنصافِ الإسلام ومحاولةِ فهمه، ويقول: «إن هذه الكتاباتِ كانت في ألمانيا فقط؛ لأنها لم تَستعمرْ بلادَ المسلمين كما فعلت بريطانيا وفرنسا، وهذا ما جَعل المفكِّرَ «هيردر» (١٧٤٤ ـ ١٨٠٣) يعترفُ بأن العربَ هم «أساتذة أوروبا»؛ فنجدُ «فردريك شليجل» يُشيدُ بالفنون الشرقية الإسلامية، والشاعرَ الألماني الكبير «جوته» الذي كَتب عام ١٧٧٤ قصيدةً في تمجيدِ محمدٍ ﷺ، ودعا في كتابه «الديوان الشرقي» إلى الهجرةِ إلى الشرقِ لِينهلَ الغربُ منه شبابًا جديدًا، وقد أُعجب «جوته» بالشعراء الصوفيين الكبارِ أمثال ابن الرومي، وحافظ الشيرازي، والسعدي، وكان المستشرق «سلفستر دي ساسي» قد تَرجم بعضَ أشعارهم، كما كان «جوته» أولَ مَن قال في الغرب: «إذا كان الإسلامُ يعني التسليمَ للَّه، فإننا جميعًا نعيشُ ونموتُ على الإسلام».

وأبدى الفيلسوفُ الألماني «هيجل» تقديرَه للإسلام؛ لأنَّ اللَّهَ الواحدَ الأحدَ في الدين الإسلامي يُحرِّمُ التميزَ العِرْقيَّ والطائفي، ويُحرِّمُ استعلاءَ طبقةٍ على أساسِ المِلكيةِ وحدها، ويُعوِّدُ المسلمين الدقَّةَ في حياتِهم بفروضٍ أهمُّها الصومُ والصلاةُ والزكاة.

☐ وكان الفيلسوف الألماني: «أوزوالد شبلنجر» أكثَرَ جُرأةً في إنصافِهِ للإسلام في كتابِه الشهير «سقوط الغرب» عام ١٩١٧، حيث قال: «لم يكن لغزُ النجاحِ الخارقِ للإسلام بسبب اندفاعِه الحربي؛ ولكن لأنه استوعب كلَّ الديانات».

☐ أين هذا من نظرةِ الاستعلاءِ والصَّلَفِ عند الصليبيِّ «لورانس العرب» ـ رجل المخابرات البريطانية ـ الذي يقولُ في كتابه «أعمدة الحكمةِ

السبعة»: «إنَّ جميعَ ولاياتِ الإمبراطورية العثمانيةِ لم تكنْ تُساوِي - في نظري - حياةَ إنسانٍ بريطانيٍّ واحد»؟!.

▫ ويعارضُ «جارودي» التيارَ الغربيَّ الذي يتهمُ الإسلامَ بأنه دينٌ ينتمي إلىٰ الماضي، فيقول: «إنَ الإسلامَ قوةٌ رُوحيَّةٌ عظيمةٌ للإصلاح والتقدم في المستقبل كما كان دائمًا».

▫ ولَمَّا دوَّىٰ صوتُ «جارودي» في الغرب دِفاعًا عن الإسلام، تحمَّل بسببِ ذلك الكثيرَ من الاضطهاد والمطاردة إلىٰ حدٍّ محاكمته والتهديدِ بسجنه.

* **الدكتور جرينييه:**

▫ قال الرحَّالة السيد «محمود سالم» في مقالٍ له نُشِر في مجلة «المنار»، مجلد ١٤ (ص٥١٨): «قَصَدتُ في سياحاتي مدينةَ «بونتارليه» لمقابلة الدكتور «جرينييه» المسلمِ الفرنساويِّ الشهير، الذي كان في السابق عُضواً في مجلس النوَّاب، قابلتُه لأجلِ أنْ أسألَه عن سببِ إسلامه، فقال: «إني تتبَّعت كلَّ الآياتِ القرآنيةِ التي لها ارتباطٌ بالعلوم الطبيَّةِ والصحيَّة والطبيعية، والتي دَرستُها من صغري وأعلمُها جيِّدًا، فوجدتُ هذه الآيات منطبقةً كلَّ الانطباقِ علىٰ معارِفنا الحديثة، فأسلمتُ لأني تيقَّنتُ أن محمداً ﷺ أتىٰ بالحقِّ الصُّراح مِن قبلِ ألفِ سَنة، مِن قَبْل أن يكونَ مُعلمٌ أو مدرِّسٌ من البشر، ولو أن كلَّ صاحبِ فنٍّ من الفنون، أو عِلمٍ من العلوم قارن كلَّ الآياتِ القرآنيةِ المرتبطةِ بما تعلَّم جيِّدًا كما قارنت أنا، لأَسلم بلا شك.. إنْ كان عاقلاً خاليًا من الأمراض»[1].

(١) «أوربا والإسلام» للشيخ د. عبدالحليم محمود (ص٨٧-٨٨).

ومن أمريكا

* **الدكتور ليتنز الأمريكي:**

❑ قال في موضوعٍ له في مجلة «المقتطف» ـ المجلد الخامس ـ الجزء ٤، عَرَّبه الأستاذ «وليم باسيلا» المصري: «إنَّ محمداً نبيٌّ، وقد أوحىٰ اللَّه إليه، ومرةً أوحىٰ إليه وحيًا شديدَ المؤاخذة؛ لأنه أدار وجهَه عن رجلٍ فقيرٍ أعمىٰ، ليُخاطبَ رجلاً غنيًّا مِن ذَوِي النفوذ، وقد نَشَر ذلك الوحيُ، فلو كان كما يقولُ أغبياء النصارىٰ بحقِّه، لما كان لذلك الوحيِ من وجود، ولَتَركَتْه العصورُ التي مرَّت عليه أنقاضًا».

* **أندرا وليامس الأمريكي:**

❑ مستشرقٌ أمريكي، قال في كتابه «أميركي في البلاد العربية» ـ تعريب عمر أبو النصر ـ: «قد يكونُ اسم «محمد» أكثرَ الأسماء شيوعًا في العالمَ، وأشهرُ مَن حَمَل هذا الاسمَ علىٰ الإطلاق عربيٌّ أبصر النورَ في قريةٍ نائيةٍ من أرض الجزيرة العربية ـ وهي «مكة» ـ عام (٥٧١) للميلاد، إليه أوحىٰ اللَّهُ كلمتَه فأجراها في كتاب، ونَشَرها بين الناس، ودعا أصحابَه للإيمان بالإله الواحد ربًّا، وبمحمدِ بنِ عبداللَّه رسولاً، وبالعملِ الصالح والنَّهيِ عن المنكر قِبلةً ومُصلًّى، وآذنت حياتُه بمغيبٍ في الثالثة والثلاثين بعد السِّتمئة من البلاد، تاركًا لقومه دينًا جديداً، وكتابًا منزَّلاً، ورسالةً ضخمةً لنشرِ الدين وإقامةِ الحضارة، ولقد دعا محمدٌ في عهدِه إلىٰ أَخَوِيَّةٍ جديدة، أخويةِ المسلم لأخيهِ المسلم، لا فَرقَ بين أولٍ وآخر، سواءٌ أكان أميرًا أم عبدًا إلاَّ بالعملِ الصالحِ والخيرِ والإحسانِ، ثم أرسل قومَه بعد هذا لغزوِ العالَم،

وتوحيدِ الأرض في صعيدٍ واحد، فإذا تَقطَّعت سنواتٌ بعد وفاته، نجدُ الإسلامَ ينتقلُ من نصرٍ إلىٰ نصر، ومِن فتحٍ إلىٰ فتح، وإذا هو يضمُّ العالم المعروفَ في عهدِه إلىٰ سلطانه، وإذا به يَجمعُ بين الشرق والغرب».

*** العلاَّمة واشنطن إروينك الأمريكي:**

□ قال في محاضرةٍ ألقاها في حفل ميلاد الرسول ﷺ في «ديترويت» سنة ١٩٣٤ ـ نقلاً عن مجلة «الرفيق»، المجلد الثالث العدد الرابع ـ: «لم يكن محمدٌ محبًّا للدنيا قط، وقد لَقِي من الاستهزاءِ مِن قومه والإهانات، حتىٰ اضطُرَّ إلىٰ الهرب، ولم يكن في نَظَرِه إلاَّ تقويمُ دينه، وكانت له آراءُ عاليةٌ، واعتقادٌ حسنٌ بربِّه، ويقينٌ بشريعتِه فوقَ يقينِ أيِّ رسولٍ من الرسل، ويَدُلُّنا علىٰ ذلك قوله: **«لو وَضعوا الشمسَ في يميني والقمرَ في يَساري على أن أتركَ هذا الأمرَ، ما تركتُه»**[1] . . ».

*** هارونِ ماركوس الأمريكي:**

وُلد ١٨١٢، وتُوفي ١٨٨٧ . . دكتور بالفلسفة.

□ قال في كتابه «حياة محمد نبيِّ المسلمين»: «تعالوا إلىٰ كلمةٍ سواءٍ بيننا نُنصِفْ بها الإسلامَ الحنيف، ونَبيَّه العظيمَ محمداً، ولْنجعلْ موضوعَنا اليوم «الحكومة الإسلامية في صدر الإسلام»، ولْنستعرضْ تنظيماتِها في عهدِ سيِّدها وزعيمِها وقائدِها ـ ذلك الرسولِ الكريم ـ، لنبيِّنَ أن الصحابةَ والخلفاءَ وقادةَ الإسلام، كانوا يقومون بواجباتهم بكلِّ أمانةٍ ودقَّةٍ وفقًا للشريعة الغرَّاءِ التي جاء بها محمد، لم يكن في فجرِ الإسلام شِيَعٌ ولا

---

(١) هذا لفظ ضعيف.

أحزاب، بل على العكس من ذلك، كانت الحكومةُ الإسلاميةُ تُمثِّلُ جميعَ المسلمين تمثيلاً صحيحًا، وهي عبارةٌ عن هيئةٍ منظَّمةٍ مشتركة، تنطقُ بحقٍّ، بلسانِ كافةِ المسلمين، كلُّ مسلمٍ يَشُدُّ أَزْرَ أخيه المسلم، ويَشعرُ بأنَّ منَ الحق والواجبِ عليه أن يتوجَّعَ لوجعه، وكان عَدلُ محمدٍ منتشرًا بين المسلمين».

□ إلى أن قال: «فقد كان محمدٌ زعيمًا وقائدًا سياسيًّا بما في أسمى معاني الزعامةِ السياسيةِ من معنًى وسيادة، هذه كانت تتجلَّى في أروعِ المظاهرِ التي عَرَفها بنو الإنسان، وخَليقٌ بي - وأنا في صَدرِ الكلام من الزعامة السياسية - أن أدحَضَ فِريةً وأرُدَّ بهتانًا، لا يزالانِ عالِقَينِ في أذهانِ قاصِري العقول، الذين لا يَملِكون ذرَّةً من حصافةِ الرأي، وتلك الفريةُ وذلك البهتانُ هما ما يُردِّدُه أولئك الأغبياءُ، الذين يَزعُمون أنْ لا علاقةَ بين الدين والسياسة، وأنْ لا رابطةَ تربِطُ أحدَهما بالآخر!! إنَّ من الخطأ أن يَظنَّ ظانٌّ هذا».

* **جورج دي تولدز الأمريكي:**

□ وُلد في «شيكاغو» ١٨١٥، وتُوفي ١٨٩٧، كان رئيسَ بنكِها التجاري، وله مؤلَّفات عديدة استعرض فيها عاداتِ العرب، ومنها كتاب «الحياة»، قال فيه: «إنَّ من الظُّلمِ الفادحِ أن نَغمِطَ حقَّ محمدٍ - والعربُ على ما علِمناهم من التوحُّش قبلَ بعثته -، ثم كيف تبدَّلتِ الحالةُ بعدَ إعلانِ نبوَّته، وما أورَثَته الديانةُ الإسلاميةُ من النور في قلوبِ الملايين من الذين اعتنقوها بكلِّ شوقٍ وإعجابٍ من الفضائل، لذا فإن الشكَّ في بَعثةِ محمدٍ إنما هو شكٌّ في القُدرة الإلهية التي تشتملُ الكائناتِ جَمعاءَ».

* المؤرِّخ الكبير المستر أورينج الأمريكي:

❑ قال في أول كتابه «الحياة والإسلام»: «كان النبيُّ لأخيرُ بسيطًا خلُوقًا، ومفكِّرًا عظيمًا، ذا آراءَ عالية، وإنَّ أحاديثَه القصيرةَ جميلةٌ ذاتُ معانٍ كبيرة، فهو إذًا مقدَّسٌ كريم».

* المستر ستنلي لبن بول الأمريكي:

وُلد في بلدته «لاكاسا» ١٨٨٠.

❑ قال في كتابه «أقوال محمد»: «كان محمدٌ رؤوفًا شفيقًا، يعودُ المريضَ، ويَزورُ الفقير، ويُجيبُ دعواتِ العبيدِ الأرقَّاء، وقد كان يُصلحُ ثيابَه بيده، فهو إذًا لا شك نبيٌّ مقدَّس، نشأ كيتيمٍ مُعوِزٍ حتىٰ صار فاتحًا عظيمًا».

* العلاَّمة ماكس الأمريكي:

مستشرق، ولد في «غرونلندا» ١٧٩٥، وتوفي ١٨٦٨، وله مؤلَّفاتٌ قَصيصةٌ وكتابُ «عظماء الشرق».

❑ قال فيه (ص٩٣): «لقد نَفَذت روحُ الإسلامِ من محمدٍ رسولِ اللّه إلىٰ المسلمين، إلىٰ الهُداة والصالحين، وإنَّ هذه الرُّوحَ القويةَ حَدَتْ بالنبيِّ إلىٰ الهجرةِ من مكةَ إلىٰ المدينة، بينما كان أعداؤه مِن المشركين يَجِدُّون في البحثِ عنه ليؤذوه، بل ليُذيقوه رَيبَ المنون، ومِن الغريب أن أعداءَ النبيِّ لم يُقنِعوا أنفسَهم بتركِ مكة، بل تَعقَّبوه في هِجرته، وهناك ضَربوا علىٰ نُزله سِياجًا من الحَيطةِ لأجلِ القبضِ عليه، ولكنَّ رُوحَ الإسلامِ الدفينةَ في أعماقِ الهِمَّة، ألهمته أن يتناولَ قبضةً من ترابٍ، فتناوَلها ورَمَىٰ بها عليهم،

فأخذتهم سِنَةٌ مِن النوم، تمكَّن خلالَها النبيُّ من النجاةِ منهم في الصحراء حيث اختفى في غارٍ هناك، ولا تَقُلْ: إن اختفاءَه في الغار يَحُولُ دون هلاكه وحَتْفه، ولكنَّ الإسلامَ وما في ثناياه من رُوحانيةٍ وقوَّة، جَعل الحمامَ يَبيضُ على بابِ الغار[1]، ولَمَّا أفاق أعداؤُه من غَشَيانهم تتبَّعوا أثَرَه إلى الغار، وأخذتهم هواجسُ الظنِّ، لِعلمهم بأنَّ النبيَّ لا يُمكنُ بأيِّ حالٍ أن يكونَ في الغار، فمَن يُرِدْ أن يؤمنَ بوحدانيةِ اللَّه، فعليه أن يشاهدَ بسهولةٍ يدَ اللَّهِ المحرِّكةَ للكائنات مِن غيرِ أن تُبصِرَها العينُ المجرَّدة، وبخاصةٍ عندما أُحيطت حياةُ النبيِّ مِن يدِ العدوانِ برعايةِ الطيرِ الذي اندَفَع إلى حمايةِ محمدٍ بيدِ الإلهِ الخافيةِ عن الأبصار».

* المستر سنكس الأمريكي:

مستشرقٌ أمريكي، وُلد في بلدته «بالاي» عام ١٨٣١، وتُوفي ١٨٨٣، له كتاب «ديانة العرب».

☐ قال في مقدمته: «ظهر محمدٌ بعد المسيح بخَمْسِمئةٍ وسبعين سنةً، وكانت وظيفتُه ترقيةَ عقول البشر، بإشرابها الأصولَ الأوليةَ للأخلاقِ الفاضلة، وبإرجاعها إلى الاعتقادِ بإلهٍ واحد، وبحياةٍ بعد هذه الحياة».

☐ إلى أن قال: «إنَّ الفكرةَ الدينيةَ الإسلامية، أحدثت رُقيًّا كبيرًا جدًّا في العالَم، وخلَّصت العقلَ الإنسانيَّ من قيودِه الثقيلة، التي كانت تأسِرُه حولَ الهياكلِ بين يَدَي الكُهَّان، ولقد توصَّل محمدٌ بمَحوِه كلَّ صورةٍ في المعابد وإبطالِه كلَّ تمثيلٍ لذاتِ الخالقِ المُطلَق: إلى تخليصِ الفِكرِ الإنسانيِّ من عقيدةِ التجسيدِ الغليظة».

(١) الحديث الوارد في قصة العنكبوت والحمامتين لا يَصِحُّ.

* **الدكتور بيرودج الأمريكي:**

◘ رئيس الجامعة الأمريكية في لبنان، وقد احتفل شبابُ الجامعة المسلمون بعيد ميلاد «محمد» ﷺ عام ١٩٢٣، قال فيها ـ نقلاً عن مجلة «العرفان»، المجلد الثالث والثلاثين، العدد السابع ـ: «إنكم تجتمعون اليـوم ـ مُحتفِلين بمولدِ مُصلحٍ عظيم، ألاَ وهو النبيُّ محمد، فهل لكم أنْ تتشرَّبوا مِن رُوحِ الإصلاحِ الذي يَحمِلُه محمدٌ، فتَخرجوا لإصلاحِ مجتمعٍ مِلؤُه الجهلُ والاضطرابُ؟!».

* **المؤرِّخ إريك بنتام الأمريكي:**

مبشِّرٌ مسيحي، أنفق فترةً طويلةً في أعمال التبشير في الشرق الأوسط، له كتاب«الوصول إلىٰ الإسلام»، وقد حاوَل فيه أن يردَّ بطريقةٍ غيرِ مباشرةٍ المصاعبَ التي تُواجُهها بَعثاتُ التبشير في عالَم الإسلام، وحاول المؤلِّفُ فيه أيضًا أن يَشرحَ لقُرَّائِه كيف أن الإسلامَ وتعاليمَ الرسولِ الكريم محمد ﷺ قد تأصَّلت في نفوسِ المسلمين، وخَلَقت فيهم مَناعةً ضدَّ قبولِ المذاهبِ الدينيةِ المسيحيةِ التي تَولَّىٰ صاحبُنا المؤلِّفُ الدعوةَ إليها في أوساط المسلمين.

◘ ولقد قال ـ بعدَ بيانٍ مُسهَبٍ في الموضوع السابق ـ: «إنَّ الخلافَ الجوهريَّ بين الإسلامِ والمسيحيةِ يعودُ إلىٰ أن الإسلامَ لا يَرضىٰ بأن يُشركَ مع ربِّه أحداً، فنظرية «الثالوث المقدس» التي يَستندُ إليها دعاةُ المسيحية بين الإسلام، لا تَجِدُ أيَّ صدًىٰ بين الجماعات الإسلامية مهما كانت عليه هذه الجماعات من جهلٍ أو معرفة».

▫ ثم قال: «هذا الاعتقادُ بين المسلمين مِن أهمِّ الأمور التي سَبَّبت فشلَ الدعوةِ المسيحيةِ في العالم الإسلاميِّ».

ثم استَعرض موجزَ العقيدةِ الإسلامية، وأثنىٰ علىٰ صاحبها محمدٍ ﷺ بما لم يَسبق إليه أحد.

ومِن سويسرا

* **الدكتور بندلي جوزي السويسري:**

وُلِد في بلدته «لوزان» (١٨٠٣م)، وتُوفي في (١٨٨٣م).

▫ قال في كتابه «الجاهلية والإسلام» (ص٢٣): «إننا لو بَحَثْنا عمَّا تمَّ علىٰ يدِ النبيِّ الأُمِّي محمدٍ من الإصلاح، لَمَا استطعنا أنْ نُنكرَ أنه قام بأكثرِ وعوده، وحَقَّق قِسمًا كبيرًا من أمانيه، ولو قُدِّر له أن يعيشَ أكثرَ مما عاش، لكان الإصلاحُ الذي أدخله علىٰ حياةِ الأمةِ العربيةِ أتمَّ وأوسعَ، ومع ذلك فإنَّ عَمَلَه الذي عَمِلَه في هذه السنينَ القلائلِ التي قضاها في المدينة بين الحروب والمنافساتِ الشخصية والدسائسِ والحربِ والمكرِ والنفاقِ، لهو شيءٌ عظيمٌ لا يُنكِرُه إلاَّ مكابرٌ عنيدٌ، أو متصِّبٌ أعمىٰ».

* **المستر هربرت وايل السويسري:**

▫ قال في كتابه «المعلِّم الأكبر»: «ظهر محمدٌ، فأزال كلَّ الأوهام، وحَرَّم عبادةَ الأصنام، فهو الذي أرشَدَ أهلَ الضلال إلىٰ الصراطِ المستقيم، ورَفَع عن كاهلِ العرب كابوسَ الجاهليةِ، وأخرجهم إلىٰ حيِّز الرُّقيِّ من الجهلِ المسيطر».

* **المسيو حنا دا كنبرت السويسري:**

وُلد في بلدته «لاون» التابعة لمدينة «لوزان» ١٨٣٦، وتُوفِّي ١٩١٢.

❑ قال في كتابه «محمد والإسلام»: «كلَّما ازداد الباحثُ تنقيبًا في الحقائق التاريخيةِ الوثيقةِ المصادرِ فيما يَخصُّ الشمائلَ المحمَّدية، ازداد احتقاراً لأعداءِ محمدٍ ـ مثل: ماركس، وبريدر، وشلجل، وغيرهم ـ الذين أشرَعوا أَسِنَّةَ الطعنِ في محمدٍ قبلَ أن يعرِفوه، ونَسبوا إليه ما لا يَجوزُ أن يُنسبَ إلىٰ رجلٍ حقيرٍ فضلاً عن رجلٍ كمحمدٍ الذي يُحدِّثنا التاريخُ عنه أنه رجلٌ عظيم».

* **المسيو ميسمر السويسري:**

وُلد في جنيف ١٨٢٧، وتُوفي في ١٨٩٨.

❑ قال في كتابه «الإسلام في الشرق»: «لقد نَجح صاحبُ الشريعةِ الإسلامية».. إلىٰ أن قال: «وعند الفلاسفةِ المحقِّقين أن الرجالَ أُولي العَظمةِ الذين تَبقَىٰ أعمالُهم علىٰ مَدىٰ الدهر، هم من أهلِ النباهةِ الكبرىٰ الذين يَجيؤون لإصلاح العالم، وشِفاءِ عَصرِهم من مَرَضِه، وما فعله محمدٌ هو أنه لَمَّا رأىٰ ضلالَ الناس في معرفةِ الخليقة، عَزَم علىٰ إرشادِها، وتطبيقِ قوانينِ الطبيعةِ علىٰ أُمورِ العالَم، بقَدرِ ما كان معروفًا في ذلك الوقت، لذلك أعلن الوحدةَ الإلهية، بدلاً من الخرافاتِ التي مقتضاها تَثليثُ إلهٍ وجَعلُه مركَّبًا من «الأب والابن وروح القدس»، فالوحدانيةُ هي أساسُ دينِ الإسلام، وسببُ نُصرةِ محمدٍ».

* المسيو سيدللو السويسري:

وُلد في «كونتاي» ١٨٨٧ .

◻ قال في كتابه «تاريخ العرب» ـ الطبعة الثانية عام ١٨٧٧ الجزء الأول (ص٥٨) ـ: «ولَمَّا بَلَغ محمدٌ من العمرِ خَمسًا وعشرينَ سنةً، استَحقَّ بحُسنِ سيرته واستقامتِه مع الناس أن يُلقَّب بـ «الأمين»، ثم استمرَّ على هذه الصفاتِ الحميدةِ حتى نادىٰ بالرسالة ودعا قومَه إليها، فعارضوه أشدَّ معارضة، ولكنْ سَرعانَ ما لَبَّوا دعوتَه وناصَروه، وما زال في قومِه يَعطِفُ على الصغيرِ ويحنو على الكبير، ويَفيضُ عليهم من عَمَلِه وأخلاقه».

* ر. ف: بودلي السويسري:

◻ قال في كتابه «حياة محمد» المترجَم إلى العربية ـ تعريب محمد فرج وعبدالحميد جودة (ص٦): «إنَّنا لا نجدُ ما دَوَّنه معاصِرو موسىٰ أو كونفوشيوس أو بوذا، ولا نعرفُ إلاَّ شَذَراتٍ عن حياةِ المسيح بعدَ رسالته، ولا نعرفُ شيئًا عن الثلاثين سنةً التي مَهَّدت الطريقَ للسنواتِ الثلاثة التي بَلَغ بها أَوْجَهُ، ولكننا نجدُ أن قصةَ محمدٍ واضحةٌ كلَّ الوضوح، ففي سيرةِ محمدٍ نجدُ التاريخ بدَّلَ الظلال والغُموض، ونعرفُ الشيءَ الكثيرَ عن محمدٍ، كما نعرفُ ذلك عن رجالٍ عاشوا في أزمانٍ أكثرَ قُربًا من زماننا، وما كان تاريخُه الخارجيُّ وشبابُه وأقرباؤُه وعاداتُه خرافةً من الخرافات، ولا شائعةً من الشائعات، وما كان تاريخُه الداخليُّ بروايةٍ مُبهَمةٍ لمبشِّرٍ غامض أو مشوِّش، فبين أيدينا الآن كتابٌ معاصِر ـ وهو القرآن ـ، فريدٌ في أصالته وفي سلامته».

* **العلاَّمة ماكس فان برشم السويسري:**

مستشرقٌ وُلد في «لوزان» ١٨٦٣ ـ وتُوفِّي ١٩٢١م، جالَ في بلاد الشرق، له عدَّةُ مؤلفات: منها «العرب في آسيا»، ومنها «الإنسان»، ومنها «مجموع الكتابات العربية القديمة»، وهو على جانبٍ عظيمٍ من الأهمية لمعرفةِ تاريخِ الشرق العربي السياسي والثقافي.

◻ قال في مقدمة «العرب في آسيا»: «إن محمداً نبيَّ العرب من أكبر مُريدي الخير للإنسانية، إنَّ ظهورَ محمدٍ للعالم أجمعَ إنما هو أثرُ عقلٍ عالٍ وإنِ افتَخَرْت آسيا بأبنائها، فيَحقُّ لها أن تفتخرَ بهذا الرجلِ العظيم، إنَّ من الظلم الفادحِ أن نَغمِط حقَّ محمدٍ الذي جاء من بلاد العرب، وإليهم وهم على ما عَلِمنَاه من الحقد البغيض قبلَ بعثته، ثم كيف تبدَّلت أحوالُهم الأخلاقيةُ والاجتماعيةُ والدينية بعد إعلانه النبوة، وبالجملة مهما ازداد المرءُ اطلاعًا على سِيرتِه ودعوتِه إلى كلِّ من يَرفعُ من مستوى الإنسان، إنه لا يجوزُ أن يَنسبَ إلى محمدٍ ما يَنقُصُه، ويدركُ أسبابَ إعجابِ الملايين بهذا الرجل، ويَعلمُ سببَ محبتهم إياه وتعظيمِهم له».

* **العلامة فونالبس السويسري:**

مستشرقٌ سويسري، وُلد عام ١٧٩٣، وتُوفي ١٨٦١، من أدباء القرن التاسعَ عَشَرَ، له عدةُ مقالاتٍ نُقل بعضُها عنه كتاب «مجالي الغرر لكتَّاب القرن التاسع عشر» لجامعِه «يوسف صفير».

◻ وقد قال في إحدى مَقالاته: «أليس الإيمانُ هو المُعجزةَ الحقَّةَ الدالةَ على اللَّه؟ فشعورُ محمدٍ إذ اشتَعلت رُوحُه بلهيبِ هذه الحقيقةِ الساطعة بأن

الحقيقة المذكورةَ هي أهمُّ ما يجبُ على الناسِ عِلمُه، لم يكن إلاَّ أمرًا بديهيًّا».

☐ إلى أن قال: «فحبَّذا محمدٌ من رجلٍ خَشِنِ اللباس خَشِنِ الطعام، مجتهدٍ في الليل، قائمِ النهار، ساهرِ الليل، دَئِبٍ في نشرِ دينِ اللَّه، غيرِ طامحٍ إلى ما يَطمحُ إليه أصاغرُ الرجال من رُتبةٍ أو دولةٍ أو سلطان، غير متطلِّعٍ إلى ذِكرٍ أو شُهرةٍ كيفَما كانت، وإلاَّ فما كان ملاقيًا من أولئك العرب الغِلاظِ توقيرًا واحترامًا وإكبارًا وإعظامًا، وما كان يقودُهم ويُعاشرُهم معظمَ أوقاته مدَّةَ ثلاثٍ وعشرين سنةً وهم ملتفُّون به، يُقاتِلون بين يديه ويُجاهدون حوله، لقد كان في هؤلاء العربِ جَفاءٌ وغِلظةٌ وبادرةٌ وعجرفة، وكانوا حُماةَ الأنوفِ، أباةَ الضيم، صِعابَ الشكيمة، حتى قَدَر على رياضتِهم وتذليلِ جانبِهم، حتى رَضَخوا له، فذلكم - وأيم الحق - بطلٌ كبير: ولولا ما أبصَروا فيه من آياتِ النُّبلِ والفضلِ لَمَا خَضَعوا له ولَمَا أذعَنوا، كيف وقد كانوا أطوعَ إليه من بَنانه؟ وظنِّي أنه لو أتيح لهم بَدَلَ محمد قيصرٌ من القياصرة بتاجِه وصَولجانه، لَمَا كان مصيبًا من طاعتهم مِثلَ ما ناله محمدٌ في ثوبه المرقَّع بيده، فكذلك تكونُ العَظمةُ، وهكذا تكونُ الأبطال».

☐ ثم قال: «إن ما اتَّصف به محمدٌ من محامدِ الصفات يُرينا فيه أخا الإنسانية الرحيمَ، أخانا جميعًا، وإني لأُحبُّ محمدًا لبراءةِ طبعِه من الرياءِ والتصنع، ولقد كان ابنَ القِفارِ، لا يقول إلاَّ على نفسِه، ولا يدَّعي ما ليس فيه، ولم يكن متكبِّرًا، ولم يكن ذليلاً ضَرِعًا، فهو قائمٌ في ثوبه المرقَّع كما أوجده اللَّه وكما أراد، يخاطِبُ بقوله الحُرِّ المبينِ قياصرةَ الروم وأكاسرةَ

الفُرس، ويُرشدُهم إلىٰ ما يجبُ عليهم لهذه الحياةِ وللحياةِ الآخرة».

* ومن سويسرا أيضًا:

إدوار مونته السويسري مدير جامعة «جنيف»، ولد ١٨١٠، ١٨٨٢.

❑ قال في كتابه: «المدنية الشرقية» (ص٤٧): «كان محمدٌ نبيًّا بالمعنىٰ الذي كان يعرفُه العبرانيون القدماء، ولقد كان يدافعُ عن عقيدةٍ خالصةٍ لا صِلَةَ لها بالوثنية، وأَخذ يَسعىٰ لانتشالِ قومِه من ديانةٍ جافةٍ لا اعتبار لها بالمرة، ليخرَجهم من حالةِ الأخلاقِ المنحطَّةِ كلَّ الانحطاط، ولا يمكنُ أن يُشكَّ لا في إخلاصِه، ولا في الحَمِيَّةِ الدينيةِ التي كان قلبُه مُفعمًا بها».

ومِن كندا

* المستر جيبون الكندي:

المُعاصِرُ لأوائلِ القرنِ التاسعَ عَشَر، وقد وُلِد عام ١٧٧٣، وتُوفي عام ١٨٢٧م في بلدته «كيبيك»، ألف كتابًا أسماه «محمد في الشرق».

❑ قال فيه (ص١٧): «إن دينَ محمدٍ خالٍ من الشكوك والظنون، والقرآنُ أكبرُ دليلٍ علىٰ وحدانية اللَّه، بعد أن نهىٰ محمدٌ عن عبادةِ الأصنام والكواكب، وبالجملةِ دينُ محمدٍ أكبرُ من أن تدرِكَ عقولُنا الحاليةُ أسرارَه، ومَن يتهمُ محمداً أو دينَه فإنما ذلك من سُوءِ التدبر، أو بدافعِ العصبية، وخيرُ ما في الإنسان أن يكونَ معتدِلاً في آرائه، ومستقيمًا في تصرفاته».

* المستر داور أرلوهات الكندي:

وُلد في «كيبيك» عام ١٨٤٣، وتوفي عام ١٩٠٤، له كتاب «الإسلام

والعرب»، نُقل إلىٰ اللغتين الفرنسية والعربية.

◻ قال فيه: «إن محمداً الذي هُدمت لبعثته الأصنام، وتمزَّق لنبوته رِداءُ الجهل الذي كان كغشاوةٍ علىٰ أبصار العرب، قد أشرق قرآنُه بصَقْعهم نوراً يا له من نور! وهو نورُ حكمة، وهو الذي أنزله علىٰ صَدْرِ نبيِّه المبعوثِ لا محالةَ لإرشادِ البشر، واللَّهُ يعلمُ حيث يجعلُ رسالتَه».

* **الدكتور زويمر الكندي:**

مستشرقٌ كندي، ولد عام ١٨١٣، وتوفي عام ١٩٠٠.

◻ قال في كتابه «الشرق وعاداته» (ص٢٧): «إنَّ محمداً كان - ولا شك - من أعظمِ القُوَّاد المسلمين الدينيين، ويَصدقُ عليه القولُ أيضًا: إنه كان مصلِحًا قديراً، وبليغًا فصيحًا، وجريئًا مغواراً، ومفكِّراً عظيمًا، ولا يجوزُ أن نَنسِبَ إليه ما يُنافي هذه الصفات، وهذا قرآنُه الذي جاء به وتاريخُه يشهدانِ بصحة هذا الادعاء».

ومِن إسبانيا

* **العلامة ليبيار الأسباني:**

وُلد ١٨٣٧، وتوفي عام ١٩٠٢، له عدَّةُ مؤلفات، منها «الحياة والشرق».

◻ قال فيه: «كان محمدٌ - صاحبُ الرسالةِ الإسلامية - يجعلُ الحكمَ شورىٰ بينه وبين أصحابـه، وقد جـرىٰ العلمـاءُ المسـلمون علىٰ هذا النهـج، وهـم أقطابُ الدين وذادةُ الشرع، وما بَرِحوا هكذا يتشاورون حتىٰ اليوم».

* **الدكتور تورتو كرو الإسباني:**

مستشرق إسباني، ولد في «أشبيليا» ١٨١٠، وتُوفِّي عام ١٨٧٥.

❑ قال في إحدىٰ محاضراته ـ كما نقلت عنه مجلة «الهلال» العدد العاشر من المجلد الثالث ـ: «إن محمدًا لم يَعتمِدْ في نبوته علىٰ المعجزات، وكانوا يقولون له: «إنْ كنتَ نبيًّا، فاعملْ لنا من خوارقِ العادات ما هو كذا وكذا»، فكان يُجيبهم: «إن رسلاً كثيرين جاؤوا بالمعجزات، وكَذَّبهم البشرُ، وأنا مهما جئتُكم بالمعجزات فلن تؤمنوا ما دامت قلوبُكم قاسية، وما معجزتي إلاَّ القرآن»..».

❑ إلىٰ أن قال: «ولَمَّا كان لكل نبيٍّ معجزة، كانت معجزتي القرآن»[1].

* **العلامة جولد تسيهر الإسباني:**

مستشرق إسباني، ولد عام ١٨٣٦، وتوفي ١٩٠٣، ومؤرِّخٌ معروف له القِدْحُ المُعَلَّىٰ في الكيدِ للإسلام ولرسولِه ﷺ وسُنَّته، له عدَّةُ مؤلفات، منها «العقيدة والشريعة في الإسلام» ترجمة علماء الأزهر.

❑ قال في كتابه المذكور (ص٥ ـ ٦): «يمكننا أن نُلقيَ نظرةً عامةً شاملةً في الأثرِ التاريخي الذي قامت به الدعوةُ إلىٰ الإسلام، خاصةً أثرُها في الدائرةِ القريبة، التي كان تبشيرُ محمدٍ موجَّهًا إليها بطريقٍ مباشر قبلَ غيرِها، حقًّا لا جِدَّةَ ولا طرافةَ في هذه الدعوة، ولكن قد استُعيض عنها بأن محمدًا قد بَشَّر بمذهبه للمراة الأولىٰ بحماس، لم يَفتُرْ، ولم تُعوِزْه المثابرة، وبعقيدةٍ ثابتةٍ بأن هذا المذهبَ يُحقِّقُ صالحَ الجماعةِ الخاصة، وقد كان في

(١) ما قال هذا رسول اللَّه ﷺ، بل معجزاته كثيرة، وسنفرد لها مُجَلَّدًا كبيرًا خاصًّا بها.

ذلك كلِّه مُظهِراً إنكار الذات، برغم سخريةِ الجمهور، إذِ الحقُّ أن محمداً كان بلا شك أولَ مُصلحٍ حقيقيٍّ في الشعبِ العربي من الوجهة التاريخية، تلك كانت طرافتَه برغم قلَّةِ المادةِ[1] التي كان يُبشِّرُ بها».

* **المؤرِّخ الكبير الدكتور ريتين الإسباني:**

مستشرقٌ إسباني، له مقالاتٌ قيمة في أحوالِ العرب، وتاريخٌ خاصٌّ لسوريا ولبنان.

❑ قال فيه: «دينُ محمدٍ قد أكَّد إذًا من الساعةِ الأولىٰ لظهوره - وفي حياة النبي - أنه عامٌّ، فإذا كان صالحًا لكلِّ جنس، كان صالحًا بالضرورةِ لكلِّ عقل، ولكلِّ درجةٍ من درجات الحرارة».

❑ ثم قال: «إليك يا محمدُ - وأنا الخادمُ الحقيرُ - أقدِّمُ إجلالي بخضوعٍ وتكريم، إليك أُطأطِئُ رأسي، إنك لَنبيٌّ حقٌّ من اللَّه، قوتُك العظيمةُ كانت مستمدَّةً من عالَمِ الغيب الأزلي الأبدي».

* **المستر إريك بنتام الإسباني:**

المستر «إريك بنتام» مستشرق إسباني، وُلد في غرناطة سنة ١٨١٥، وتوفي ١٨٨٧، له كتاب أسماه «الحياة».

❑ قال فيه: «إن الإسلامَ وتعاليمَ الرسولِ الكريم محمدٍ قد تأصَّلت في نفوس المسلمين: وخَلَقت فيهم مناعةً ضدَّ قبول المذاهب الدينيةِ المسيحية».

❑ وقال: «إن الخلافَ الجوهريَّ بين الإسلام [والمسيحية] يعودُ إلىٰ أن

---

(١) هذا واللَّه هو العمىٰ.. فدين محمد ﷺ ثَرٌّ غزيرٌ شاملٌ للدنيا والآخرة.

الإسلامَ لا يَرضىٰ أن يشرِكَ مع ربِّه أحدًا، وإن دين الإسلامَ هو دينُ الوداعةِ والوِفاقِ والصدقِ والأمانة، وكلُّ ما جاء به لا تُنكرُه الأذواقُ السليمة والعقولُ النَّضِجة، لذلك فإننا لو أنصفنا أنفسَنا لوحَّدنا صفوفَنا مع المسلمين، ولَنَبَذْنا ما بنا من عصبيةٍ عمياء خَلَقها لنا ذوو الأطماع، وسنَّها لنا مَن دفعت به شهواتُه، وفي النفس ما فيها من التأثرِ البالغِ من تلكم الفوارق التي أثبتها الدينُ المسيحيُّ، ومَنَعها الشرعُ الإسلاميِّ، وأَرَىٰ أنَّ غَضَّ النظرِ عن التصريحِ، والضربَ صَفْحًا عن المُكاشَفة، أوْلىٰ وأليق».

* **المستر ألبيلير إنكولوبيديا الإسباني:**

ولد في بلدته «جاكاي» ١٨١٠، وتوفي ١٨٧٢.

☐ قال في (ج٨/ ٣٢٦) من كتابه «المعارف»: «إن لغةَ القرآن هي أفصحُ لغاتِ العربِ وأساليبه، وبلاغتُه تَسْحَرُ الألباب بحُسنها، وسيبقىٰ غيرَ معارَضٍ إلىٰ الأبد، ومواعظهُ ظاهرةٌ، وكل مَن يَتبعُها يحيا حياةً طيبةً، وأخيراً أقول: إن القرآن يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، ويقول: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

فعلىٰ هذا يلزمُ علىٰ كلِّ فردٍ من البشر أن يستغفرَ لذنبه ويعملَ صالحًا كي يتأهَّلَ لدخولِ الجنة، كل هذا جاء به محمدٌ نبيُّ العرب، ولا يَسَعُنا إلاَّ أن نحترمَه ونحترمَ ما جاء به لما فيه مِن خيرٍ عميم».

* **المستر جان ليك الإسباني:**

مستشرقٌ إسباني، وُلِد في بلدة «ملعة» عام ١٨٢٢م، وتُوفي ١٨٩٧م، كان شغوفًا بالكتابة واستطلاعِ التاريخِ العربي، ألَّف كتابًا اسمه

«العرب».

□ قال فيه (ص٤٣): «ما أجملَ ما قاله المعلِّمُ العظيمُ «محمد» ﷺ «الخَلقُ كلهم عيالُ اللَّه، وأحبُّ الخلق إلى اللَّه أنفعُهم لعياله»(١) !.

□ ثم أطال في الثناء على الرسول قائلاً: «أليس من المعجزاتِ الباهرات، أنَّ محمدًا بالقوة الأدبية، وبلفظٍ واحدٍ جَعَل الصادقين من أتباعه في حِرزٍ حريزٍ من شرِّ المُسكِرات جيلاً بعد جيل؟ فسَلِم من هذا الشرِّ مئاتُ الملايينِ من البشر؟ حياةُ محمدٍ التاريخيةُ لا يمكنُ أن تُوصَفَ بأحسنَ مما وَصَفها اللَّهُ نفسُه بألفاظٍ قليلةٍ، بيَّن فيها سببَ بَعثةِ النبيِّ محمدٍ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].. كان محمدٌ رحمةً حقيقةً لليتامى والفقراء وابنِ السبيل والمنكوبين والضعفاءِ والعُمَّال وأصحابِ الكدِّ والعناءِ، وإني بلهفةٍ وشوقٍ أُصلِّي عليه وعلى أتباعه».

* **العلاَّمة سان إليار الإسباني:**

□ قال في كتابه «تعاليم اللغة العربية» نقلاً عن كتاب «أشعة خاصة بنور الإسلام» للعلاَّمة «ألفونس إتيين دينييه الفرنسي» إنَّ أوضحَ مبادئ الحريةِ الفكريةِ قد كُسفت أمثال «لوثير وكالفين»، وعاد الفضلُ فيها إلى رجلٍ عربيٍّ من رجالِ القرنِ السابعِ، ذلك هو صاحبُ شريعةِ الإسلامِ».

* * *

---

(١) ضعيف جدًّا: روه أبو يعلى والبزَّار عن أنس.. والطبراني عن ابن مسعود.. وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٩٤٦) و«الضعيفة» (١٩٠٠).

وَمِن روسيا

مَرَّ بنا مِن قبلُ قولُ الأديب الروسي الكبير «تولستوي».

* **ماكس مايرهوف الروسي:**

وُلد في مدينة «ساراتوف» ١٨١٥، وتُوفِّي عام ١٨٨٧.

◻ قال في كتابه «العالم الإسلامي»: «إن محمداً عام ٦١٠ للميلاد كان كثيرَ التفكير والانفراد، وكان يقصِدُ إلى البادية، ويخلو بنفسه فِي جبل «حراء» قُربَ مكة، فرأى ذاتَ يوم رؤيا هي أن المَلَكَ «جبريلَ» تجلَّى له، وناوله كتابًا[1] وقرأَ عليه هذه الآياتِ هي السورة السادسة والتسعون من القرآن: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ إلخ، نزل عليه هذا الكلامُ وحيًا، فأخبر امرأتَه بما وقع، ثم جاء وحي آخر فيما بعد، فلمَّا شَعُر تغطَّى بثوبٍ فسمع هذه الكلمات: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾، ومنذ ذلك الوقتِ اقتَنع بأن اللَّهَ اختاره مبشِّرًا بعقيدةٍ جديدة، وتَسمَّى بـ«رسول اللَّه» ليدعوَ إلى اللَّهِ بلسانٍ عربي مبين».

* **آرلونوف الروسي:**

◻ لقد جاء في مجلة «الثقافة» الروسية المجلد السابع عدد ٩ ـ تحت عنوان «النبي محمد» ـ لكاتب اسمه «آرلونوف» تَصدُرُ في مدينة «اركنجل»: «في شِبهِ جزيرة العرب المجاورة لفلسطين، ظَهرت ديانةٌ أساسها الاعترافُ بوحدانية اللَّه، وهذه الديانةُ تُعرفُ بالمحمدية، أو كما يُسمِّيها أتباعُها

---

(١) كلاَّ.. بل أقرأه شفاهًا دون كتاب.

الإسلام، وقد انتَشرت هذه الديانةُ انتشاراً سريعًا، ومؤسِّسُ هذه الديانة هو العربيُّ محمد، وقد قَضىٰ علىٰ عاداتِ قومِه الدينية، ووَحَّد قبائلَ العرب، وأنار أفكارَهم وأبصارَهم بمعرفةِ الإله الواحد، وهَذَّب أخلاقَهم، ولَيَّن طِباعَهم وقلوبَهم، وجَعَلها مستعدَّةً للرقيِّ والتقدم، ومنعهم من سَفكِ الدماء ووأدِ البنات، وهذه الأعمالُ العظيمةُ التي قام بها محمدٌ تدلُّ علىٰ أنه من المصلِحين العِظام، وعلىٰ أنَّ في نفسِه قوةً فوقَ قوةِ البشر، وكان ذا فكرٍ نيِّرٍ وبصيرةٍ وقَّادةٍ، واشتُهر بدماثةِ الأخلاقِ ولِينِ العَريكة والتواضعِ وحُسنِ المعاملةِ مع الناس، قضىٰ محمدٌ أربعين سنةً مع الناس، قضاها بسلامٍ وطمأنينة، وكان جميعُ أقاربه يُحبُّونه حُبًّا شديداً، وأهلُ مدينته يحترمونه احترامًا عظيمًا، لِمَا كان عليه من المبادئِ القويمةِ، والأخلاقِ الكريمةِ، وشرفِ النَّفسِ والنزاهة».

* **العلامة جان ميكائيليس الروسي:**

مستشرق روسي، ولد في بلدته «بروا» ١٧١٧، وتوفي ١٧٩١، له تصانيفُ في أصول العربية وآدابها وآداب السريانية والعبرانية، له مؤلفات عدَّة.

◻ قال في بعض مؤلفاته في «أصول اللغة العربية» واسمه «آداب اللغة العربية»: «إن الدينَ الإسلاميَّ له فضلٌ عظيمٌ علىٰ الشرق؛ لأنه أكسَبَهم حضارةً ذاتَ قيمة، وفضلُ مَن جاء به أعظمُ، لأنه عَرَضه عليهم فرفضوه، وتحمَّل في سبيله المَضَضَ وكابَدَ كثيراً، ولقد كان فقيراً يتيمًا مضطهداً، ولدىٰ ثباتِه أَخذ النتائجَ الكافيةَ في أداءِ رسالته التي هي مدنيَّة وحضارة، وما

مات محمدٌ نبيُّ العرب وصاحبُ هذه الرسالة حتىٰ أحدَثَ انقلابًا هائلاً في عاداتِ وأديانِ الجزيرةِ العربية».

❑ وقال في كتابه «العرب في آسيا»: «لم يكن محمدٌ نبيُّ العربِ المشعوذَ ولا الساحرَ ـ كما اتهمه السفهاءُ في عهده ـ، وإنما كان رجلاً ذا حِنكةٍ وإدارةٍ وبطولةٍ وقيادةٍ وأخلاقٍ وعقيدة، فلقد دعا لدينه بكلِّ صفات الكمال، وأتىٰ للعرب بما رَفَع به شأنَهم، ولم نَعرفْ عن دينِه إلاَّ ما يتلاءَمُ مع العصور ـ مهما تطورت ـ، ومَن يَتَّهِمْ محمداً ودينَه بخلافِ هذا، فإنه ضالٌّ عن الطريقةِ المُثلىٰ.. وحَريٌّ بكلِّ الشعوب أن تأخذَ بتعاليمه».

ومن الهند

*** جواهر لال نِهْرو الهندي:**

رئيس وزراء الهند، وهو هندوكيٌّ العقيدة، ولد عام ١٨٨٩، وتُوفي عام ١٩٦٤.

❑ قال في كتابه «لمحات من تاريخ العالم» (ص٥٤): «إن الإسلامَ هو الباعثُ لهذه اليقظةِ العربية، بما بَثَّه في أتباعِه من ثقةٍ ونشاط، حَمَل رسالةَ الإسلام إلىٰ العرب نبيٌّ جديدٌ اسمُه «محمد»، ولد في مكة عام ٥٧٠ للميلاد، ولم يكن محمدٌ عجولاً في نَشرِ رسالتِه، بل ظلَّ زمنًا يَعيشُ حياةً هادئةً، يَعجَبُ بها مواطنوه، ويَثِقون به حتىٰ لَقَّبوه بالأمين، فلما قام يُبَشِّرُ برسالته ويُهاجمُ الأوثان، قام الناسُ عليه وآذَوه، فاضُطرَّ لأن ينجوَ بحياته، وأن يهاجِرَ من مكة، وكانت رسالتُه (لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه)».

❑ وقال (ص٢٦): «كان محمدٌ واثقًا بنفسه ورسالته، وقد هيأ بهذه

الثقةِ وهذا الإيمانِ لأمته أسبابَ القوةِ والعزَّةِ المَنعة، وحَوَّلهم من سُكانِ صحراءَ إلىٰ سادةٍ يفتحون نصفَ العالم المعروفِ في زمانهم، كانت ثقةُ العرب وإيمانُهم عظيمَين، وقد أضاف الإسلامُ إليها رسالةَ الأخوَّة والمساواة والعدلِ بين جميعِ المسلمين، وهكذا وُلد في العالم مبدأ ديموقراطيٌّ جديد . . وثَب الشعبُ العربيُّ بنشاطٍ فائقٍ أدهَشَ العالَمَ وقَلَبه رأسًا علىٰ عقب، وإن قصةَ انتشارِ العربِ في آسيا وأفريقيا وأوروبا والحضارةِ الراقية، والمدنيَّةِ الزاهرةِ التي قدَّموها للعالَم هي أُعجوبةٌ من أعجوباتِ التاريخ» .

ومِن هولندا

* **العلامة «وث» الهولندي:**

☐ مستشرقٌ وُلِد في مدينة «اوترخت» ١٨١٤ ، وتوفي عام ١٨٩٩ ، وقد كان عضواً عام ١٨٦٤ في المجمع العلمي، جاء إلىٰ بلاد الشرق عام ١٨٦٧ ، وتجوَّل فيها، وقد نَقل القرآنَ إلىٰ اللغةِ الهندية، وله عدَّةُ مؤلَّفات، منها «محمد والقرآن» قال فيه (ص٧٨) : «لقد جاء قرآنُ العرب علىٰ لسانِ نبيِّهم محمدٍ العظيم، وعلَّمهم كيف يَعيشون في هذه الحياة، وقد وَحَّد محمدٌ صفوفهم، وجَمَع كلمتهم، وأدَّبَهم، حتىٰ لا ترىٰ أُمةً من الأمم أحسَنَ منهم، وبالنهاية اعتمدوه في كل أمورهم، وكان يتلقَّىٰ الوحيَ من ربِّه الذي يُوحِي إليه، ثم ينقلُه إلىٰ الناس بعد أن يكتبَه له الكُتَّابُ الذي انتدبهم لذلك، وابتدأت دعوتُه لدينه الجديد من تاريخ ٦١٠م حتىٰ قبضه ربُّه إليه، وذلك سنة ٦٣٣م» .

* **العلامة فلوتن يان الهولندي:**

ولد في مدينة «لاهاي» ١٨٠٧، وتوفي عام ١٨٧٩.

وهو مستشرق هولندي، له عدةُ مؤلفات، منها «مفاتيح العلوم»، وكتاب «الفصول».

□ قال في الأخير (ص١٠٣): «إن محمداً لم يَلبثْ أن أصبحَ له تفوُّقٌ رُوحيٌّ وزمنيٌّ بعدَ سنين قلائلَ من الجهادِ والاضطهاد، كما يدلُّ علىٰ ذلك غيرُ آيةٍ من القرآن، وذلك بتحوُّلِ أهلِ المدينةِ إلىٰ الإسلامِ بفضلِ ذلك النفوذِ الذي كان يتمتعُ به الرسولُ دينًا قويًّا، وقد انتَشر بينَ الشعوب عن طريقِ الإنذارِ والوعيد[1]، ولم يتردد النبيُّ في رَمْيِ أهلِ الكتابِ بالكذبِ والتضليل، واتهامِهم بالتحريفِ في كُتبهم، حين رأىٰ دينَه الذي كان يَرمي إلىٰ نَشرِه لم يُرضِ اليهود، كما أنه لم يَرُقْ للنصارىٰ، هكذا استطاع أن يُحاجَّ أهلَ الكتاب بتصريحه أنه أرقىٰ الأديان، وأن دينَه وحدَه دينُ الحق، وكان من أثرِ اصطدام محمدٍ بالنصارىٰ واليهودِ في بلاد العرب أن طَردوا اليهودَ من المدينة، وشُنَّت الغارات علىٰ المسيحيين في بلاد بيزنطة في اللحظةِ التي انتقل فيها محمدٌ إلىٰ جِوارِ ربِّه».

* **المسيو راينهارت دوزي الهولندي:**

مستشرق هولندي، ولد في «اتروخت» ١٨٢٠، وتوفي عام ١٨٨٤، مدرس للغة العربية في «لايدين»، اشتغل في تواريخ الدول الإسلامية في

(١) ما انتشر الإسلام بالإنذار والوعيد، وإنما دخل الناس في دين اللَّه أفواجًا؛ لأنه الحق، وما سواه باطل.

الأندلس والمغرب، له عدَّةُ مؤلفات، منها «عرب إسبانيا».

▫ قال فيه: «كان يوجدُ علىٰ عهدِ محمدٍ في بلادِ العرب ثلاثُ ديانات؛ المُوسَوية والعيسوية والوثنية».

▫ ثم بَسَط القولَ خصوصًا في عاداتِ الوثنيين الذميمة إلىٰ أن قال: «في عهد هذه الأحوالِ الحالكة، ووَسَط هذا الجيلِ الشديدِ الوطأة، وُلِد محمدُ بنُ عبداللَّه في شهرِ أغسطس ٢٩ منه عام ٥٧٠، من هذا نرىٰ أن العالم الإنسانيَّ كان بحاجةٍ إلىٰ حادثٍ جَلَلٍ يُزعِجُ الناسَ عما كانوا فيه، ويضطرُّهم إلىٰ النظرِ والتفكير في أمرِ الخروجِ من المأزقِ الذي تورَّطوا به، وللَّهِ في خلقه شؤون».

▫ إلىٰ أن قال: «لقد جاء محمدٌ بتعاليمَ رَفعت مستوىٰ البشرِ إلىٰ عالَمِ الكمال».

ومن إيطاليا

* **العلامة لورافكشيا فاليبري الإيطالي:**

مستشرق إيطالي، ولد عام ١٨٣٩، وتوفي ١٨٩٧.

▫ قال في مقدمة كتابه «الأديان» المترجَم إلىٰ الفرنسية (ص٩٦): «إنه مما لا شك فيه أنَّ وَصفَ «محمد» بتلك الأكاذيب التي كانوا يُشيعونها في القرون الوسطىٰ عنه وعن ديانته، قد خَفَتَ كثيرًا في هذا العصر، وصاروا يَنشُدون الحقيقةَ التاريخيةَ عن محمدٍ وعن الإسلام الذي قَلَب وجهَ العالم، وإنَّ جماعةً من المستشرقين يؤيِّدون رسالةَ محمد، ويقولون: إنه خاتَمُ الرسل».

* **المحامي العلامة غوسطن كرستا الإيطالي:**

أحدُ رجالِ الفكرِ الإيطاليين، وُلد في بلدته «كيا» ١٨٤٠، وتوفي ١٨٩٧.

◻ قال في كتابه «الكياسة الاجتماعية»: «وإنك لَتجدُ في كلِّ موضعٍ من القرآنِ الذي جاء به محمدٌ إلى العرب آياتٍ تحثُّ عن فِعل الخير، وأما هو، فقد كان أمينًا وأعدلَ رجلٍ، ولا يَسَعُنا إلاَّ أن نُقدِّرَ له جهودَه في سبيلِ دينهِ وعقيدتهِ».

◻ إلى أن قال: «لقد جَعل محمدٌ الإخاءَ والمحبةَ رُكنَينِ للمجتمع الإسلامي، وهذا لَعَمري تقدُّمٌ باهر إذا قابلنا عَهْدَ الإسلامِ بعهدِ الجاهلية أيامَ كان أربابُ الثروةِ والسيادةِ يَزدرون بصَلَفِهم المساكينَ ويَسُومونهم الخَسْفَ».

* **المسيو ميخائيل أماري الإيطالي:**

مستشرق إيطالي، ولد في بلده «بالرمو» في «فبرنزة»، درس اللغات العربيةَ والفارسيةَ والتركية في مدينة باريس «فرنسا»، وانتهى إلى التخصص بالأدب العربي وتاريخِه، له مؤلفاتٌ كثيرة، منها «تاريخ المسلمين».

◻ قال فيه: «لقد جاء محمدٌ نبيُّ المسلمين بدينٍ إلى جزيرةِ العرب يَصلُحُ أن يكونَ دينًا لكلِّ الأمم؛ لأنَّه دينُ كمالٍ ورُقي، دينُ دَعَةٍ وثقافة، دينُ رِعايةٍ وعناية، ولا يَسَعُنا أن نَنقُصَه، وحَسْبَ محمدٍ ثناءً عليه أنه لم يُساوِمْ ولم يَقبَلِ المساومةَ لحظةً واحدةً في موضـوعِ رسـالته، على كثرةِ فنـونِ المساوماتِ واشتدادِ المحن، وهو القائلُ: «لو وضعوا الشمسَ في يميني والقمرَ في يساري على أن أتركَ هذا الأمر، ما تركتُه»[١] .. عقيدةٌ راسخة،

(١) إسناده ضعيف.

وثباتٌ لا يُقاس بالنظير، وهمَّةٌ تَركت العرب مَدِينين لمحمد بن عبداللَّه، إذ تركهم أُمةً لها شأنُها تحت الشمسِ في تاريخ البشر».

ومن بلجيكا

* **الدكتور هنري ماسه البلجيكي:**

وُلد في «بروكسل» ١٨٢٠، وتوفي ١٨٨٦، علاَّمةٌ في الكيمياء والتاريخ.

▫ قال في كتابه «حول الإسلام» (ص١١): «إذا بَحَثنا عن محمدٍ بحثًا إجماليًّا، نجِدُه ذا مِزاجٍ عصبي(١)، وفكرٍ دائم التفكير، ونفسٍ باطنُها حُزن، وأمَّا مداركُه، فهي تمثِّلُ شخصًا يعتقدُ بإلهٍ واحد، وبوجودِ حياةٍ أخرىٰ، ويتَّصفُ بالرحمةِ الخالصة، والحزمِ في الرأي والاعتقاد، ويُضافُ إليه أنه رَجلُ حكومة، وأحيانًا رجلُ سياسةٍ وحَربٍ، ولكنه لم يَكن ثائرًا، بل كان مسالِمًا».

* **ألفرد ألفانز البلجيكي:**

▫ قال في كتابه «علم النفس»: «شَبَّ محمدٌ حتىٰ بَلَغ، فكان أعظمَ الناسِ مروءةً وحِلمًا وأمانةً، وأحسنَهم جوابًا، وأصدقَهم حديثًا، وأَبعَدَهم عن الفُحش، حتىٰ عُرِف في قومه «بالأمين»، وبَلغت أمانتُه وأخلاقُه المَرضيةُ خديجةَ بنتَ خويلد القرشية ـ وكانت ذاتَ مال ـ، فعَرَضت عليه خروجَه إلىٰ الشام في تجارةٍ لها مع غلامها «ميسرة»، فخَرج ورَبِح كثيرًا،

(١) حاشا للَّه أن يكون رسول اللَّه ﷺ هكذا.

وعاد إلىٰ مكة، وأخبرها ميسرةُ بكراماته، فعَرضت نفسَها عليه ـ وهي أيِّم، ولها أربعون سنة ـ، فأصْدَقَها عشرين بَكْرةً، وتزوَّجها وله خمسٌ وعشرون سنةً، ثم بَقيت معه حتىٰ ماتت»[1] .

* **العلامَّة إدوار جيبون البلجيكي:**

ولِد ١٧١٥، وتوفي ١٧٨٣ في بلدته «دوداف».

☐ قال في كتابه «الحضارة الشرقية» (ص٢٧): «إن دينَ محمدٍ خالٍ من كلِّ شيءٍ يَشينه، وإن القرآنَ لأكبرُ دليلٍ علىٰ وحدانية اللَّه، وقد نهىٰ محمدٌ عن عبادةِ الأصنام والكواكب».

ومن أسكتلندا

* **روبرستن سميث الأسكتلندي:**

مستشرقٌ أسكتلندي، وُلد في بلدته «بروزا» ١٨٥٦، وتوفي ١٩١١، جاب بلادَ الشرق، له كتابٌ في «أنساب العرب وزواجِ الجاهلية»، قال فيه: «من حُسنِ الحظ الوحيدِ في التاريخ أن محمداً أتىٰ بكتابٍ هو آيةٌ في البلاغة، دستورٌ للشرائع والصلاة والدين في آنٍ واحد».

* **وليم موير الأسكتلندي:**

مُستشرق شهير، وُلِد في «أديبورك» عام ١٨٢٩م، وتوفِّي في عام ١٩٠٥م، وله مؤلَّفانِ: «حياة محمد» و«التاريخ الإسلامي».

☐ قال في كتابه «حياة محمد» ـ وذلك عند كتابته عن رحلتِه مع عُمَرَ

---

(١) هذه القصة ضعيفة السند.

إلىٰ الشام (ص٤٢ و٤٣) ـ: «إن الذين دوَّنوا سيرةَ الرسولِ قد ذَكروا تفاصيلَ كثيرةً تدلُّ علىٰ عظمةِ نبوَّته المنتظَرة، وأنه في نفسِه عظيمٌ، وفي رسالتِه عظيم، وما عسىٰ أن نتحدَّثَ عن سيرةٍ لرجلٍ خَلق أمةً مترامية بعد أن كانت خاملةً، وإذا بها ذاتُ كِيانٍ عظيم».

□ وقال في كتابه «حياة محمد» المترجَم إلىٰ اللغة الفارسية عام ١٩٣٤ (ص٤٦): «لقد جاء محمدٌ بتوجيهاتٍ رائعةٍ وتعاليمَ قيمةٍ، تحدَّىٰ ببلاغتها العَهدَين التوراةَ والإنجيل، وترك لهما الغبارَ في سباقِ التعاليمِ الرسولية، وإن مَن يعرفُ محمداً في عقيدتِه باللَّه، وعَطْفَه علىٰ الفقراء، وزُهدَه في دنياه، ومُضيَّه لتركيزِه مبدأَه وإدارتَه وحِنكتَه وبطولته، يَشرُفُ علىٰ الاعتقاد بدينه والتصديقِ برسالته التي ما جاء بها إلىٰ العالَم إلاَّ لرفعِ مستوىٰ الإنسان».

* **العلامة: روبر أسميث الأسكتلندي:**

مستشرق، ولد في «أديمبورغ» عام ١٨٥٦، وتوفي ١٩٠١، كان رئيساً لواضعي «دائرةِ المعارف البريطانية» عام ١٨٨٧، جاء إلىٰ بلاد الشرق، وتعرَّف علىٰ بيئتهم وعاداتهم، وله مؤلَّفٌ في أحوالِ لعرب قبلَ الإسلام وبعده.

□ قال فيه (ص١٧ و١٨): «لقد كان العربُ قبلَ الإسلام علىٰ جانبٍ من الغِلظةِ والخشونة، ويَعيشون عن طريقِ الغزو، وكان قد نُزعت الرحمةُ من صدورهم، وكانوا يَعبدون الأصنامَ، ولكلِّ قبيلةٍ صَنَمٌ، حتىٰ جَمَعوا في كَعبتهم ثلاثَمئة ستينَ صنماً، وقد جاء محمدٌ في أواخرِ القرن السادس، فدعاهم إلىٰ دينه، وأعلن أنه لا يجوزُ أن تتخذوا أصنامَكم أرباباً من دونِ

اللَّه، وكان محمدٌ علىٰ خُلقٍ عظيم، فاتبعوه بعد أن لاقىٰ منهم الأذىٰ، حيث دعاهم إلىٰ دينه القويم، وعَرَفوا أنه دينٌ لا يُصادِمُ الخيرَ والإنسانية، وأنه جاء لصلاحِ المجتمع».

ومن أيرلندا

*** جون ديفو الأيرلندي:**

مستشرق معروف، له قلمٌ سيَّال في التاريخ والرياضيات، ولد في بلده «دبلن»، وتوفي فيها عام ١٩٠٦.

□ قال في كتابه «العرب وعاداتهم»: «ما كان محمدٌ بعد هجرته إلىٰ المدينة يستقرُّ قرارُه حتىٰ أصبحَ مع القيامِ بالأعباء الإلهية والدعوةِ الدينية محاربًا وفاتحًا، وصاحبَ دولةٍ ونظامِ جماعةٍ تزدادُ كل يوم، فاصطبغ الإسلامُ بصبِغته الأخيرة، وأُسِّستِ القواعدُ الأولىٰ لأوضاعه الدينية والسياسية والاجتماعية، فكانت هذه الأسسُ نبراسًا يُستضاءُ به في تشريعِ الأجيال المقبِلة، واقتفىٰ آثارَها العلماءُ والفقهاءُ، فانتشرت المذاهبُ الإسلاميةُ ذلك الانتشارَ الرائع». اهـ.

*** المستر موير الأيرلندي:**

وُلِد في بلدته «ليشكانا» عام ١٨٠٨م، وتُوفي سنة ١٨٦٧م.

□ قال عند ذِكرِه رحلةَ الرسولِ ﷺ سنةَ ٥٩٥ للميلاد من كتابه «الإسلام» (ص١٠٣): «إن محمداً لم يكن في وقتٍ من الأوقات طامعًا في الغنىٰ، إنما سَعيُه كان لغيره، ولو تَرك الأمر لنفسِه لآثر أن يعيشَ في هدوءٍ وسلامٍ قانعًا بحالته، ولَمَا فكَّر في رِحلةٍ كهذه، ولكنه لَمَّا عَرض عليه عمُّه

السفر، شَعُرت نفسُه الكريمةُ بضرورةِ تفريجِ كُربةِ عمِّه، فأجاب طلبَه مسرورًا».

◘ إلىٰ أن قال: «إن محمدًا إنما لُقِّب «بالأمين» بإجماعِ أهلِ بلدِه لشرف أخلاقه وحُسنِ سلوكه بين قومه، ولذا سَرعانَ ما انقلبوا عن عبادةِ الأصنامِ ورَحَّبوا بتعاليمه المباركة».

* **المستر هربرت وايل الأيرلندي:**

◘ قال في كتابه «المعلِّم الأكبر» (ص١٧): «بعد ستِّمئة سنةٍ من ظهور المسيح، ظَهَر محمدٌ، فأزال كلَّ الأوهام، وحَرَّم عبادةَ الأصنام، وكان يُلقِّبُه الناس بالأمين، لِمَا كان عليه من الصدقِ والأمانةِ، وهو الذي أرشد أهلَ الضلال إلىٰ الصراطِ المستقيم».

ومن الأرجنتين

* **البحاثة جون ديفو الأرجنتيني:**

وُلد عام ١٨٤٥، وتوفي ١٩١٧.

◘ قال في كتابه: «الحياة تبدأ بالأربعين»: «ولما استكمل محمدٌ أربعين سنةً، جاء بدينٍ للعالَم يدعو فيه إلىٰ الإصلاحِ وتركِ العاداتِ التي كان عليها أهلُ الجاهلية من وأدِ البنات وغيره، ومحمدٌ نبيُّ المسلمين عُرف منذ الصغر بالصدقِ والأمانةِ والعفَّةِ والنزاهة».

* **دون بايرون الأرجنتيني:**

ولِد في بلده «آنسيكار» عام ١٨٣٩م، وتُوفي عام ١٩٠٠.

◘ قال في كتابه «أَتِح لنفسك فرصةً» تعريب «عبدالمنعم محمد الزيادي»: «لا يَبعُد أن يكونَ محمدٌ يُحسُّ بنفسه أنه في طينته أرقىٰ من

معاصِرِيه، وأنه يفوقُهم جميعًا ذكاءً وعبقريةً، وأن اللّهَ اختارَه لأمرٍ عظيم، وقد اتَّفق المؤرِّخون جميعًا على أنَّ محمدًا بن عبداللّه كان ممتازًا بين قومه بأخلاقٍ جميلة، مِن صدقِ الحديث والأمانــةِ والكرم وحسنِ الشمائلِ والتواضعِ، حتى سمَّاه أهلُ بلدِه «الأمين»، وكان مِن شدَّةِ ثقتِهم به وبأمانته، يُودِعون عندَه ودائعَهم وأماناتهم، وكان لا يَشربُ الأشربةَ المُسْكِرَة، ولا يحضرُ للأوثانِ عيدًا ولا احتفالاً، وكان يَعيشُ مما يُدِرُّه عيه عَمَلُه من خير».

ومن المَجَر

* **الدكتور إيليوس جرمانوس المَجَري:**

وُلد عام ١٨٨٤، أستاذٌ بجامعة «بودابست ـ المجر»، مستشرقٌ هنغاري، جال في البلادِ الإسلامية في آسيا ومصر، وخَبَر الديانةَ الإسلامية، فأسلَمَ وحَجَّ إلى مكةَ، له كتاب «اللّه أكبر» ترجَمه إلى العربية الأستاذ «فتحي رضوان» قال فيه: «إن تعاليمَ القرآنِ هي أوامرُ اللّه، وهي مُرشِدٌ أبديٌّ للبشر، إنه كتابٌ ملؤُه الصراحةُ والوضوحُ لمن صَدَقَت رغبتُه في تفهُّمه، وإنَّ محمدًا لأَعظمُ مُصلِحٍ ثوريٍّ عَرَفه التاريخُ مؤيَّدٍ بوحيٍ من عند اللّه، ونحن مأمورون أن نفهمَ تعاليمه، ونُطبِّقَها على شؤون حياتنا الدنيوية، مع الإيمان بأن ما أُوحي به إليه إنما هو أساسٌ لا يهتزُّ ولا يتعثَّرُ لكونه إلهيًّا.

ولقد أخطأ المسيحيون إذ لم يَفهموا الإسلامَ على حقيقته، وبالتالي لم يتشبَّعوا برُوحه، إن ما يُميِّزُ الإنسانَ عن الحيوان هو إدراكُه أن الكونَ تحكمُه قوانينُ روحيةٌ، وتُسيِّرُه قوىً غيرُ محسوسة.

وهذه الحقيقةُ هي أساسُ كلِّ دين، ولكنه لا يُوجَدُ دينٌ يؤكِّدُها أكثرُ

من دين الإسلام، الذي يُبسِّطُ أمامَ الإنسان طريقًا وَسَطًا لا تتجرَّدُ فيه الروحُ عن البَدَن، ولا البدنُ عن الروح، بل يكونُ وسطًا بين المادة والروح، على أن لا يَنسىٰ أنه كائنٌ رُوحيٌّ قبلَ كلِّ شيءٍ».

ومن أسوج

*** كازانوفا الأسوجي:**

وُلد عام ١٨٣٧، وتوفي ١٩٠٣.

◻ قال في كتابه «حضارة الشرق» (الجزء الأول، ص٢٣): «يُهمُّني أن أَجْهَرَ أولاً بأنني لا أُسلِّمُ أصلاً بكلِّ نظريةٍ يُفهم منها الريبُ بصِدقِ محمد، إن سيرةَ النبيِّ العربيِّ من بدايتها إلىٰ نهايتها تدلُّ علىٰ أنه ثَبْتٌ رصينٌ أمين، ولا مَناصَ من الإقرارِ بأن محمداً كان علىٰ ذكاءٍ عظيم.

إن التعقلَ ونضوجَ الفكرِ اللذَينِ دلَّ عليهما، إذ أظهَرَ الآياتِ الأُولىٰ الموحاةَ إليه، وحُسْنَ سياستِه في توحيدِ القبائل العربية، رَغمَ الخرافات المتأصِّلة، وفي تمييزِ ما ينبغي الإبقاءُ عليه من تقاليدِها القديمة، كلُّها أدلةٌ علىٰ أنه كان له في الأُمور نَظَرٌ سديد، كان يَرىٰ الغايةَ ويَسعىٰ إليها بغريزةِ السياسيِّ العاقل، ونُورانيةِ النبيِّ الصادقِ علىٰ السواء.

*** العلاَّمة سينرستن الأسوجي:**

مستشرق أسوجي، وُلد عام ١٨٦٦، أستاذ اللغات السَّاميَّة، ساهَمَ في «دائرةِ المعارف»، وجَمَع المخطوطاتِ الشرقيةَ، محرِّرُ مجلَّة «العالم الشرقي» له عدَّةُ مؤلَّفات، منها «القرآن الإنجيل المحمدي»، ومنها: «تاريخ حياة محمد».

◻ قال في الأخير (ص١٨): «إننا لم نُنصِفْ محمداً إذا أنكرنا ما هو

عليه من عظيمِ الصفات وحَميد المزايا، فلقد خاض محمدٌ معركةَ الحياةِ الصحيحةَ في وجه الجهل والهمجية، مُصرًّا علىٰ مبدئه، وما زال يُحاربُ الطغاةَ حتىٰ انتهىٰ به المطافُ إلىٰ النصرِ المبين، فأصبحت شريعتُه أكملَ الشرائع، وهو فوقَ عظماءِ التاريخ».

* **رودلف دتوراك الأسوجي:**

مستشرق أسوجي، ولد في «سلمو» ١٨٥٢، وتوفي ١٩٢٠، أستاذ اللغات الشرقية في «براغ» عاصمة «تشكوسلوفاكيا»، من مؤلَّفاته كتابٌ في شِعر «أبي فِراس الحمداني» وترجمةِ حياتِه باللغةِ الألمانية.

❑ قال فيه (صفحة ١٣): «ليس بالبعيد، بل ولا شكَّ أن محمداً نبيَّ العرب كان يتحدَّثُ إلىٰ الناس عن وحيٍ من السماء؛ لأنَّه أتىٰ إلىٰ العالَم بدعوةٍ ومِن ورائها المعجزاتِ والآيات، وهي أعظمُ شاهدٍ علىٰ مُدَّعاه، ولا يجوزُ لنا أن نُفنِّدَ آراءَه، بعد أن كانت آياتُ الصدقِ باديةً عليها، فهو نبيٌّ حقٌّ، وأولَىٰ به أن يُتَّبَع، ولا يجوزُ لمن لم يَعرفْ شريعتَه أن يتحدثَ عنها بالسوء، لأنها مجموعةُ كمالاتٍ إلىٰ الناس عامةً».

* **ماكس سايكس الأسوجي:**

ولد في بلدته «ملمو» سنة ١٨٧٦، وتوفي ١٩٢٧ ـ نقلاً عن مجلة «الهلال» المجلد الخامس (العدد ٣)ـ.

❑ قال: «إن محمداً قد استطاع بعبقريته الفذَّةِ والتعليماتِ الواسعةِ المعنىٰ أن يَجمعَ التفكيرَ إلىٰ العمل، فكانت مملكتُه من هذا العالم، كان نبيًّا ثاقِبَ الفِكر، وكان مُشرِّعًا، وكان حاكمًا بين الناس».

* غوستاف الأسوجي :

◻ وُلد في «ملمو» عام ١٧٤٦ ، وتوفي ١٧٩٢ ، حارَبَ روسيا ، ونَشَر في أسوج مبادئَ الثورةِ الفرنسية، قال في مقدمة كتابه «الإسلام في الحجاز» : «إن الأساسَ للدين الإسلاميِّ بسيطٌ جداًّ، وهو «لا إله إلا اللَّه» ، وإن محمداً هو الذي أتىٰ بهذه الحقيقة ، ولا يوجدُ في هذه الحقيقة ما يُصادِمُ ويُخالِفُ علومَ العصرِ الحالي ، فحريٌّ بهذا الدين أن يُتَّبَع» .

ومن يوغوسلافيا

* الدكتور ألتر بتكين اليوغسلافي :

ولد في «مكدونيا» ١٨٣٣ ، وتوفي ١٩٠٧ ، وله مؤلَّفاتٌ قيمة ، منها «الحياة تبدأ بالأربعين»

◻ قال فيه : «في إحدىٰ ليالي شهرِ رمضانِ ، بينما كان محمدٌ نائمًا في أحدِ كهوفِ حِراء ، عاد فتجلَّىٰ عليه ذلك الشَّبح ، وفي يدِه قِطعةٌ من الحرير عليها كتابة ، وقال له ذلك الشخصُ : «اقرأ» فأجابه : «لست بقارئ» ، فأعاد عليه القولُ ثانيًا : «اقرأ» ، ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ ، إلىٰ آخرِ السورة ، فردَّد محمدٌ هذه الكلمات ، وأحسَّ بالنورِ قد أَشرق علىٰ قلبه» .

* الدكتور ويلسن اليوغسلافي :

ولد في مدينة «زارا» ١٨١٥ ، وتوفي ١٨٨٧ .

◻ قال في إحدىٰ محاضراته : «إننا إذا لم نَعتبر محمداً نبيًّا ، فإننا لا نَستطيعُ أن نُنكِرَ أنه مُرسَل من اللَّه ، ذلك أنه ليس هناك غيرُه قد راح يُفسِّرُ المسيحيةَ الأولىٰ تفسيراً رائعًا صادقًا ، وإنَّ دينَه الذي جاء به لا يُعارِضُ

الديانةَ المسيحية[1] ، وكلُّ ما جاء به حسن» .

ومن لبنان

* **الأستاذ رشيد سليم الخوري اللبناني :**

الشاعرُ المعروفُ بالملقَّبُ بالشاعرِ القَرَوي، ولد في «البربارة» لبنان ١٨٨٧ ، له ديوان «الرشيديات» ١٩١٦ و«القرويات» ١٩٢٢ .

◻ قال في إحدىٰ محاضراته : «فلا «وليم شكسبير» ولا «فكتور هوغو» ولا «لاون تولستوي»، ولا غيرهم من أمثالهم يطولون مهما اشرأبت أعناقُهم إلىٰ الدرجةِ السُّفلىٰ من تلك المنصَّةِ العالية التي يقفُ عليها محمدُ بنُ عبدالله؛ لأنَّه الرجلُ الذي تلتقي أكملُ الصفاتِ في قلبِه الكبير، وعقلِه الفريد، ورِقَّتِه المتناهية ورُوحِه المتدفِّقة بشرفِ الإحساسِ ورُوحِ العاطفة» .

◻ وقال في قصيدته اليائية المعروفة :

عِيدُ البريةِ عيـدُ المولدِ النبـوي ... في المَشْـرِقَينِ له والمَغْـرِبَـينِ دَوِي
عِيدُ النبيِّ ابنِ عبد الله مَـن طَلَعت ... شمسُ الهدايةِ من قُرآنه العُـلْوي
بَدا مِن القفرِ نـوراً للورَىَ وهُدًى ... يا للتمدُّنِ عـمَّ الكونَ مِن بـدوي
يا فاتحَ الأرضِ مَيداناً لقـوتـه ... هذي بـلادُك مَيـدانٌ لكلِّ قوي
يا شـاهرَ السيفِ للفتـحِ المُبينِ به ... اليـومَ يَندى حياءً سَيفُكَ الدموي
يا قومُ هذا مـسيحي يـناشـدُكم ... لا يُصلِحُ الشرقَ إلاَّ حُبُّنا الأَخَوي
إذا ذكرتـم رسـولَ الله تكرمـةً ... فبلِّغـوه سـلامَ الشاعرِ القَرَوي

* **جورج جرداق اللبناني :**

◻ الكاتبُ الشهيرُ البحَّاثة . . قال في كتابه : «الإمام علي صوت

---

(١) إن قصد شريعة المسيح النازلة من السماء، نعم . . وأما غير ذلك، فلا .

العدالة الإنسانية» (١/ ٣١) تحت عنوان: «صوت محمد»: «مِن لهيبِ الصحراء المُحرقةِ وَهَجٌ في عينيه، ومن انبساطِ الرمالِ أمامَ وَهَجِ الشمس صراحةٌ علىٰ شفتيه، ومن جنائنِ يثربَ وخمائلِ الطائفِ ومِن واحاتِ الحجازِ السابحةِ في الفضاءِ كأنها الجُزُرُ المتناثرةُ في محيطٍ من الرمل تحتَ ضوءِ القمر، نداوةٌ في قلبه ورِفقٌ في دمه، ومِن عَصْفِ الريحِ الهُوْجِ ثورةٌ في خياله، ومِن بيانِ الشِّعر ونورِ السماءِ سِحرٌ في لسانه وقَبسٌ في روحه، ومِن صِدقِ العزيمةِ ولغةِ اللَّه مَضاءٌ في حسامه ورسالة في يمينه.

ذاك هو محمدُ بنُ عبداللَّه نبيُّ العرب ومُحطِّمُ الوثنية، التي أقْصَتِ الإنسانَ عن أخيهِ الإنسان، وثنيَّةِ المال ووثنيةِ العادة ووثنية العنصر الخرقاء».

إلىٰ أن قال (ص٣٥): «واتسع ظلُّ محمدِ بن عبدِاللَّه وتعاظَمَ حتىٰ اكتَنَف العالَمَ القديم، فإذا هو مِن مَطْلَع الشمس إلىٰ مغربها أرضٌ تُنبتُ الخيرَ والمعرفةَ والسِّلم، وإذا بنبيِّ الصحراء يَمُدُّ يَدَه فوقَ الدنيا لِيبذُرَ في أرضِها بُذورَ الإخاءِ والحبِّ، يَمُدُّها حتي تُطاوِلُ الأُفق، وهي ما زالت في امتدادٍ، وصار لدولةِ العرب رِجلٌ في الهند ورِجلٌ في الأندلس، وعُقد علىٰ جَبينِ الشمسِ تاجُ شعب عظيم».

* **أمين بك نخلة اللبناني:**

الأستاذ المعروف، والشاعر المحلِّق أمين بن رشيد نخلة.

□ قال في مقدمة كتاب الأستاذ لبيب الرياشي «نفسية الرسول العربي» (ص١٦): «محمد نغمةٌ لا كلمة، لفَرط ما مسحت علىٰ شفاه الخلائق، تأخذُ بالسمع قبلَ الأخذِ بالذهن، وتُفيدُ خفَّةَ الحُروفِ وحلاوةَ اللفظاتِ قبل

أن تُفيدَ العلاقةَ باللَّه، وليس على الأرضِ بسيطٌ لا ينفتحُ لها صدره، ولا تَرُجُّ جوانبَ نفسه، فمن لم تأخذْه بالإسلام أخَذَتْه بالعروبة، ومَن لم تأخذْه بالعروبة أخذته بالعربية».

* لبيب الرياشي اللبناني:

□ قال في أول كتابه «نفسية الرسول العربي»: «لِنتجرَّدْ ولنتطَّهر من جُذام التعصُّب وأَثَرَةِ الجنسية».

□ وقال في أولِ كتابِه «فلسفة الرسول العربي» (ص٦) تحت عنوان «اعتراف قبل التحلل وقبل الدرس»: «ما نَدِمتُ على شيءٍ في حياتي ندمًا عصبيًّا ساحقًا، مثلَ نَدَمي على جَهل نفسيةِ الرسول العربي والإمامِ الأعظمِ العالمي».

□ وقال في آخر كتابه المذكور: «حقًّا يا محمدُ، إنك رسولُ الثقافة والعلم، رسولُ الهداية والتضحية، رسولُ الفلسفة الجديدة، رسولُ الإنسانيةِ الجديدة».

□ وقال في (ص١١): «أمَا لو أدرك المسلمون سِيرةَ الرسول بجَوهرها، وشَرْعَ الرسولِ بسَنائه، وحِكَمَ الرسول بجلالها، وإبداعَ الضمائرِ الجديدةِ التي ابتدعها الرسولُ بجدَّتها الوضَّاءة، وعَمِلوا بما أدركوا، لكان المسلمون غيرَ هؤلاء المسلمين، ولكان العالَمُ غيرَ هذا العالم».

□ ثم قال: «أمَا لو دَرَس عُشَّاقُ الرسولِ وعُشَّاقُ العظماء والحكماء والمُبدِعين غيرِ العرب، بطهارةِ وجدانٍ وبراءةِ سريرة، وتَحليلٍ عبقريٍّ، حياةَ الرسول العربي، وسُمُوَّ الرسول العربي، وبراءةَ سريرته وأعمالِه

وشَرعِه، لاستكشفوا أعظمَ شخصيةٍ وأقدَسَ رسالةٍ للتاريخ الإنساني، ولقد طالعت مئات المجلَّدات وقرأتُ حياةَ ألوفِ العظماء والرسل، ولكنَّ مئاتِ المجلدات وحياةَ ألوفِ العظماء والرسلِ ما فَعَلت بنفسي وأثَّرت في دماغي، وهَذَّبت وثقَّفت وأدهشَت، مثلما فَعَلت حياةُ الرسولِ العربيِّ العالمي، محمد بن عبدالله».

* **الكاتب ميخائيل طعمة:**

◻ نَشر الصحافي المعروف «نجيب نصار» صاحب جريدة «الكرمل» التي كانت تَصدُرُ في «حيفا»، نَشر فيها مقالاً للكاتب «ميخائيل طعمة»، جاء فيه: «لو لم يكن خُلُقُ محمدٍ عظيمًا لانقلب عليه مُحيطُه، ولو لم يكن خُلُقُ محمدٍ عظيمًا لَضَعفُ أمامَ ما اعتَرضه من العقبات، ولرأىٰ نفسَه مضطرًّا إلىٰ مُجاراتِ محيطِه، ولَمَا قَوِيَ علىٰ إحداثِ ما أوجَدَه من الانقلابِ العظيم، فبدَّل الضلالَ بالهدىٰ، والجَهلَ بالعلم، والهمجيَّة بالمدنية».

* **الدكتور شبلي شمِّيل اللبناني:**

وُلِد في «كفر شيما» بلبنان عام ١٨٦٠، وتوفي ١٩١٧م، له مؤلَّفات عديدة ـ «الأهوية» و«المياه» و«البلدان» لأبي الطب أبقراط الحكيم، ورسالةُ «الحقيقة»، وكان يَرىٰ فيها مذهبَ «دارون».

◻ قال في إحـدىٰ مقالاته ـ مأخوذة عن «المقتطف»، المجلد السابع عدد ٦ـ: «لقد أصبح من أكبرِ العارِ علىٰ أيِّ فرد متمدِّن من أبناءِ هذا العصرِ أن يُصغيَ لِما يُظنُّ من أن دينَ الإسلام كَذِبٌ، وأن محمدًا خَدَّاعٌ مزوِّر، وآن لنا أن نُحاربَ ما يُشاعُ مِن مِثلِ هذه الأقوالِ السخيفةِ المُخجِلة، فإن

الرسالةَ التي أدَّاها ذلك الرسولُ ما زالت السراجَ المنير».

☐ وقال في قصيدةٍ له:

دَعْ من محمــد في سُدى قرآنـه ... ما قد نَحـاه للحمــة الغـايــاتِ
إني وإن أكُ قــد كَرتُ بدينــه ... هل أكفــرنَّ بمُحــكَمِ الآيــاتِ
أو ما حوَت في ناصعِ الآيـاتِ من ... حِـكَمٍ روادعَ للهــوى وعـظـاتِ
وشـــرائعَ لو أنهم عَـقَـلـوا بها ... ما قـيَّــد العـمــرانُ بالـعـــادتِ
نِعمَ المدبِّـرُ والحكيــمُ وإنــــه ... ربُّ الفصـاحة مُصطفَى الكلماتِ
رجلُ الحِجى رجلُ السياسةِ والنهى ... بطـــلٌ حليفُ النصــرِ والغاراتِ
ببلاغـــةِ القرآن قد غَلَـب النهـى ... وبســـيفه أنـحى على الهامـــاتِ
مِن دونـه الأبطــالُ في كلِّ الورى ... مِن غـــائبٍ أو حـاضــرٍ أو آتــي

* الأستاذ حنَّا خير اللَّه اللبناني:

☐ قال في إحدىٰ حفلات ذكرىٰ ميلاد الرسول ﷺ نقلاً عن مجلة «العرفان» ـ المجلد السابع والعشرين الجزء ٣ ـ: «يكفي النبيَّ العربيَّ عظمةً أنه خَلَّد اللغةَ العربيةَ وقُدْسَها، وأوجب علىٰ جميعِ أتباعِه تَعلُّمَها».

☐ إلىٰ أن قال: «إننا نُعظِّمُ ذِكْرَ مَن خَلَّد لأُمَّتنا أعظمَ مجد، وأشرفَ تاريخ، وأسمىٰ منزلةٍ، وحَفِظ لغتَنا مقدَّسةً إلىٰ أبدِ الدهر، لِنُبرهنَ علىٰ أننا نُكرِّمُ محمَّدًا ـ النبيَّ العربي ـ ونحتفلُ بذكرىٰ مولِدِه المبارَك، إنا نقدِّرُ محمداً، وأعمالَ محمد، وعظمةَ محمد، وغاية محمد».

* شبلي الملاط اللبناني:

☐ من قصيدةٍ قالها في مهرجانٍ أُقيم لأميرِ الشعراء «أحمد شوقي» في

القاهرة:

مَن للزمـانِ بمثـلِ فَضـلِ محمد وعَدالـةٍ كعـدالـةِ الخَطَّـابِ
رَفَـعَ الرسولُ عمادَ أُمـةِ يَعربٍ وأعـزَّهـا بالآلِ والأصـحـابِ
فَشَتِ الفتـوحُ وصَفَّقت راياتُهـا في الشرقِ فـوقَ أباطحٍ وهـضابِ
وتَغلغلت في الغَربِ طائـرةً على أكتافِ صـقـرٍ جـارحٍ وعُقـابِ

◻ إلى أن قال:

أخذت قريشُ بحُزنها وبكَتْ بهـا غـرناطـةٌ في رِقَّـةٍ وعتـابِ
لولا يـدُ الإسـلامِ لم يَسْلَـمْ بما فـيهـا مـن الأخـلاقِ والآدابِ
مَن لم يُطِقَّ لغـةَ الجدودِ فليس مِن قوميـةٍ تَنسِـبُه في الأنسـابِ

* الشاعرُ محبوب الخوري الشرتوني اللبناني:

هو شاعرٌ معروف من أُدباء «عالية لبنان» ١٨٨٦، تُوفي ١٩٣١، له ديوانٌ طُبع في نيويورك، ومِن شعرِه قصيدتُه المعروفة:

قالوا: تُحِبُّ العُرْبَ قلتُ أُحِبُّهُـمْ يَقضي الجِـوارُ عليَّ والأرحـامُ
قالوا: لقد بَخِـلوا عليكَ أَجبتُـهُـم أهــلي وإن شـحُّوا عليَّ كـرامُ
قالوا: البداوةُ، قلتُ: أطهـرُ عُنصرٍ صَفَتِ القلوبُ هناك والأجسـامُ
ومحـمـدٌ بطـلُ البـريَّةِ كلِّهاَ هو للأعاربِ أجمـعين إمـامُ

* إلياس فامور السوري:

«إلياس فامور» شاعرٌ وأديب، وُلد في «اللاذقية» ١٨٩٧، نَشرت له بعضُ الصحفِ السوريةِ قصيدةً قالها في حَفلٍ أُقيم لميلادِ الرسول عام ٩٣٤، منها:

بَزَغَتْ ولكن في جَبـــينِ محـمدٍ شَــمسٌ تــدلُّ على سَناهُ الأنور
فتهلَّلت بشراً ملائكـــةُ الســماً في يومِ مَولدِه العظيـمِ الأكبـــرِ
أمحــمدُ ولأنت أرفـــعُ رتبـةً من كلِّ ســامٍ في الـورى ومُوقَّـرِ
إني لأعـجِزُ عن مديحــك عالمًا أني أعـــودُ بصفـقـةِ المتـحيِّـرِ
أطلعتَ شمسَك فاختفت وتضاءلَتْ كلُّ النجــومِ وسال ذَوبُ المرمـرِ
وملأتَ أفئدةَ الخصــومِ بحِكمـةٍ فيَّاضــةٍ وبَـهَـــرتَ كلَّ منـكَّرِ
وشَقَقْتَ جِلبابَ الظـلامِ بصـارمٍ تجلُو مضاربُه ضَبــابَ العَثْـيَــرِ
وبَذَلْتَ نفسَك للصـوارمِ والقَنـــا بين الجحافلِ في العِجــاجِ الأكدرِ
نفسٌ بشامخةِ النجـــومِ مُهمَّـــةٌ أَزْرَتْ بسابقةِ العتــاقِ الضُّـــمَّرِ
فُرقانُه كالشمسِ يَسطعُ في الضحى وحديثُه كضــيـاءِ بَدرٍ مُقـــمرِ
ذو طَلعةٍ رَدَّت ظــلامَ زمانــــه صُبْحًا بمثلِ ظلامِ ماضي الأعـصُرِ
لو شئتَ نَظْــمَ فرائــدَ مِن نثرِه أعيَتْ وضــاقَ بها مِــدادُ الأبحُرِ

* قسطاكي الحِمْصي السوري:

☐ وُلد في «حلب» ١٨٥٨، وتُوفي في «حمص» ١٩٤١، عُضوُ المجمع العلمي في دمشق، وصديقُ إبراهيم اليازجي، له مؤلَّفاتٌ عدَّةٌ، منها «أدباء حلب ذَوُو الأثر»، وهو شاعرٌ معروفٌ وكاتبٌ لا يُنكرُه أحد، وقد نَشرت له «مجلةُ الفتح» التي تَصدُر في القاهرة عام ١٩٣٠ ما يلي: «إذا كان سيِّدُ قريشٍ نبيَّ المسلمين ومؤسسَ دينهم، فهو أيضًا نبيُّ العرب ومؤسسُ جامعتِهم القومية، وكما أنه منَ الحُمق والمكابرةِ أن نُنكرَ ما لسيدِ قريشٍ مِن بعيدِ الأثرِ في توحيدِ اللهجاتِ العربية، وقتلِ العصبياتِ الفرعيةِ

في نفوسِ القبائل، بعدَ أن أنهكَها القتالُ في قتالِ الصحراء، وتناحَرَ ملوكُها في الشامِ والعراقِ تناحُرًا طالَ أَمَدَ الحمايةِ الرومانية والفارسية في البلدَين العربيِّينِ الشقيقَينِ حتىٰ الفتحِ الإسلاميِّ، فمن الخَطَلِ أن تُنكرَ ما للرسولِ العربيِّ الكريم وخُلفائِه من يدٍ علىٰ الشرق في إثارةِ تلكِ الحَمَاسةِ والبطولةِ النادرةِ المتدفِّقةِ في صُدورِ أولئك النَّفَر الميامين - الذين كانوا قابِعين في حُزونِ الجزيرة وبِطاحِها - في سبيلِ الفتح، والمنافحةِ لتحرير الشرقِ من رِقِّ الرومان وأسرِ الفرس.

إن سيدَ قريشٍ هو المُنقذُ الأكبرُ للعرب مِن فَوضىٰ الجاهلية، وواضعُ حَجَر الزاويةِ في صَرحِ نَهضتِهم الجبارةِ المتأصِّلةِ في تُربةِ الخلود، ولقد بَنيتُ قصيدتي الآتية، وحَذَوتُ فيها حَذْوَ «البردة» في مناجاةِ رسولِ العرب وحارسِ العرب «بالمصحف الخالد الآيات والكلم»، وإذا حُقَّ لأولئك الأعلام - وهم من حُماةِ الإسلام - إطلاقُ اسم «البردة النبوية» علىٰ قصائدهم، فقد حُقَّ لي - وأنا من شباب العرب المنادين في سبيل الجامعة القومية - أن أُطلِقَ علىٰ قصيدتي اسمَ «البردة العربية»، وأصُبَّ حِممَها علىٰ المستعمِرين الطغاة.

❑ وإذا كان فقيدُ الإسلام محمد علي يقول: «الإسلامُ أولاً والهندُ ثانيًا»، فأنا أقول: إن مسيحيَّتي لا تَحُولُ ولن تحولَ دونَ وقفٍ يُراعي علىٰ خدمةِ أمتي وتَضحيتي في سبيلِ استقلالها، كما أن عروبتي لا تحولُ ولن تحولَ دون قيامي بشعائِرِي الدينية، وهذه قصيدتي:

بِاللَّهِ يا جِيـرةَ البطحـــاءِ والعلَمِ   عُودُا خشوعًا وحَيُّوا ساكِنَ الحَرَمِ

واستـعطِفوا على صَبٍّ تَملَّكه ... حُبُّ العروبة نَبْتِ المجد والشِّيَم
عساه يُصغي إلى شكواه إن لها ... بثَّ الفؤادِ ومعنى الشجوِ والشَّمَم
ويُلهِمُ العُرْبَ من إعجازِ حكمته ... أن يَنهضوا لاقتحامِ الهولِ والعُظَم
ويستردُّوا مَقامًا طالَما سَجَدَتْ ... له الجبابرُ من رُومٍ ومِن عَجَم
فما الحياةُ التي يَحْيَون وَيْحَهُمُ ... إلاَّ حياةَ ضِعافِ الشاةِ والبَهَم
يا سيدَ العُرْبِ والأيامُ شاهدةٌ ... إني أُوفِّي لعهدِ العُرْبِ كلِّهِم
أنقذتَ قُدْمًا بني عدنان من عَمهٍ ... في غمرةِ الجهلِ والطغيانِ والظُّلَم
وقُدْتَهم صُعُدًا والدينُ قائدهم ... والعَدلُ رائدُهم في مَسلَكِ العلم
فصافَحوا المجدَ والأيامُ في يَدِهم ... طَوْعَ البَنانِ وأضحَوْا سادةَ الأُمَم
ودوَّخوا الغَربَ حتى لان جامحُه ... وخَرَّ مسترحمًا من وطءِ خَيلِهِم
والآن قد دال مَجدُ العُربْ وا لَهَفي ... وأصبحوا كُبغاثٍ لطيرِ والغَنَم
يسُومُهم عبدُهم بالأمس وا كَبدي ... مُرَّ العذابِ ويُغليهم على ضَرَم
ويَستبيحُ حِماهم غيرَ مُحتَشِمٍ ... كأنهم عنده مِن أحقرِ الخَدَم

إلى أن يقول:

فاهبطْ أبا القاسمِ الميمونِ مؤتزِرًا ... بالعَزم وابْعَثْ مَواتَ العزمِ والهمم
وانفُخْ بعَدنانَ مِن رُوحِ النبوةِ ما ... يُثيرُهَا للعُلى في أرفعِ القِمَم
واسألْ لها نُصرةً من ربِّنا فعسى ... نَصرٌ قريبٌ وفتحٌ غيرُ مُنثَلم
سيندمُ الغَربُ عمَّا جاء مُعتسفًا ... ولاتَ ساعةَ عَضٍّ الكَفِّ مِن نَدَم

وقد وقَّع الشاعرُ المذكورُ المسيحي تحتَ القصيدةِ المذكورة:

«فتى العرب» حِمْص . الشام

* **الأستاذ ميشيل عفلق السوري:**

رئيسُ حزب «البعث» العربي في دمشق.

◻ قال في كتابه «في سبيل البعث» (ص٥٣): «حتىٰ الآن كان يُنظرُ إلىٰ حياةِ الرسولِ محمدٍ من الخارج، كصورةٍ رائعةٍ وُجدت لنعجَبَ بها ونُقدِّسَها، فعلينا أن نبدأَ بالنظرِ إليها من الداخل لنحياها، كلُّ عربيٍّ في الوقت الحاضرِ يَستطيعُ أن يحيا حياةَ الرسول العربي، ولو بنسبةِ الحصاةِ إلىٰ الجبل والقطرةِ إلىٰ البحر، طبيعي أن يَعجِزَ أيُّ رجلٍ مهما بَلغت عظمتُه أن يَعملَ ما عَمِلَ محمدٌ، ولكنْ من الطبيعي أن يستطيعَ أيُّ رجلٍ مهما ضاقت قدرتُه أن يكونَ نموذجًا مصغَّرًا ضئيلاً لمحمدٍ، ما دام ينتسبُ إلىٰ الأُمةِ التي حَشَدت كلَّ قواها فأنجبت محمداً، أو بالأحرىٰ ما دام هذا الرجلُ فرداً من أفرادِ الأمة التي حَشَد محمدٌ كلَّ قُواه فأنجبها، في وقتٍ مَضَىٰ تلخَّصت في رجلٍ واحدٍ كلُّ حياةِ أمته، واليومَ يجبُ أن تُصبحَ كلُّ حياةِ هذه الأمةِ في نهضتِها الجديدة تفصيلاً لحياةِ رجلِها العظيم، كان محمدٌ كلَّ العرب، فليكنْ كلُّ العربِ اليوم محمداً».

◻ إلىٰ أن قال: «إنَّ الإسلامَ لم يُوجَدْ ليكونَ مقصوراً علىٰ العرب، إذا قلنا ذلك ابتعدنا عن الحقِّ وخالَفْنا الواقعَ، فكلُّ أمةٍ عظيمةٍ عميقةِ الاتصال بمعاني الكونِ الأزلية، تَنزعُ في أصلِ تكوينِها إلىٰ القِيَمِ الخالدةِ الشاملة، والإسلامُ خيرُ مُفصحٍ عن نزوعِ الأمةِ العربيةِ للخلودِ والشمول، فهو إذاً واقعه عربي، وفي مراميه المثاليةِ إنساني، فرسالةُ الإسلامِ إنما هي خُلُق إنسانية عربية.

إن العربَ ينفرِدون - دونَ سائر الأُمِ - بهذهِ الخاصيةِ، إنَّ يقظتَهم القوميةِ اقتَرنت برسالةٍ دينية، أو بالأحرىٰ كانت هذه الرسالةُ مُفصِحةً عن هذه اليقظة القوميَّة، ولم يتوسَّعوا بُغيةَ التوسُّع، ولا حكموا البلاد استنادًا إلىٰ حاجةٍ اقتصاديةٍ مجردة، أو ذريعةٍ عنصريةٍ أو شهوةٍ للسيطرةِ والاستعبادِ، بل ليؤدُّوا واجبًا دينيًّا كلُّه حقٌّ وهدايةٌ ورحمةٌ وعَدلٌ وبَذلٌ، أراقوا من أجله دماءَهم، وأقبَلوا عليه خِفافًا ومتهلِّلين لوجه اللَّه، وما دام الارتباطُ وثيقًا بين العروبة والإسلام، وما دمنا نرىٰ في العروبةِ جسمًا رُوحُه الإسلام، فلا مَجالَ إذًا للخوفِ من أنْ يشتطَّ العربُ في قوميتهم، إنها لن تبلغَ عصبيةَ البغيِ والاستعمار».

* **الدكتور نجيب أرمنازي المصري:**

وُلِد في بلدته «ماهاي» عام ١٨١٩، وتوفي ١٨٨٧م، له كتاب «عن «الشرع الدولي في الإسلام».

❏ قال فيه «ص٥٦»: «كان العربُ لَمَّا بُعث محمدٌ فيهم علىٰ الفِطرة البيضاءِ النقية، لم يُكِّدْرها مُكدِّر، ولم يَعْبَثْ برَونقها عابث، تطلَّع إلىٰ أمرٍ عظيم، وخَطبٍ جسيم، قد استكنَّت من المواهبِ الشريفةِ والقوىٰ الكامنة والعزائمِ الشديدة ما يسمو كالنارِ إلىٰ إشاعةِ ذكره وتعرُّفِ خَبَرِه، واستفاضت فيها رُوح الحياة، وشاع في الناس نبأُ حادثٍ دينيٍّ كبير، يكونُ عنوانَ تاريخٍ جليل».

❏ إلىٰ أن قال: «فقد ظَهر الإسلامُ في عنفوانِ تلك البعثة، وأصاب بدعوته شاكلةَ القلوب، ودانت له العربُ، فأصلح بينَهم، وجَمَع كلمتَهم، وحينئذٍ نَفَروا من البادية، وانتشروا في أقطارِ الأرض، تَنقادُ لهم أَعِنَّةُ الأُمم

انقياداً يُشابِهُ المُعجِزات، ولَمَّا أظهر محمدٌ دعوتَه قال لعشيرته الأقربين: ما أعلمُ أن إنسانًا في العرب جاء قومَه بأفضلَ مما جئتُكم به، فقد جئتُكم بخير الدنيا والآخرة».

◻ وقال في (ص٦١): «قام محمدٌ ـ وهو عربيٌّ من صميمِ العرب ـ يدعو قومَه إلىٰ توحيدٍ لا رَيبَ فيه ولا هوادة، مُنوِّهًا عن رموزِ الأحبار وزخارفِ الكُهَّانِ، ويَحُثُّهم علىٰ الاستكثارِ من الخيرِ في هذه الدنيا، والحِرصِ علىٰ مَدارِكَ أخرىٰ في الحياةِ أشرفَ منزلةً وأبعدَ غايةً».

* **عبدالمسيح أفندي وزير المصري:**

نشرت جريدة «الاستقلال» ١٩٢٧ مقالاً للأستاذ «عبدالمسيح أفندي وزير» الكاتب المعروف، تحت عنوان «محمد والحضارة»، وذلك يومَ ذكرىٰ مَبعَثِ الرسول محمدٍ ﷺ.

◻ جاء في المقال ما يلي: «في مثلِ هذا اليوم المبارك ننشرُ في هذه الجريدةِ مقالاً في محمدٍ فيه ذكرىٰ ـ والذكرىٰ تنفعُ المؤمنين ـ، وقد عالجتُ الموضوعَ فيما مضىٰ من وجوهٍ غيرِ الوجه الذي عَقدتُ العزيمةَ علىٰ مُعالجته الآن، إذ كانت المقالاتُ السابقةُ في قالب شِعريٍّ أدبيٍّ، أما اليوم، فأبحثُ في بعثةِ محمدٍ بحثًا علميًّا محضًا لا أثرَ للتخريبِ فيه، وقد آليتُ علىٰ نفسي أن أُبرهِنَ أن الحضارةَ الأوربيةَ الحديثةَ ـ أو بالأحرىٰ الحضارة المسيحية ـ إنما قامت ـ وهي قائمةٌ وستقومُ ـ علىٰ مبادئِ الإسلام، مبادئِ محمدٍ التي نَشرها علىٰ العالم، فعَمِل بها العالَمُ المتمدِّنُ كلُّه مِن يومِ محمدٍ حتىٰ هذه اللحظة، والحضارةُ في واقعِ الأمرِ حضارةٌ واحدة لا أدوارَ لها».

▫ إلىٰ أن قال: «قال «بوذا» و«كنفونيس» و«عيسىٰ» بالمسالمة والاستكانة، وقال محمدُ بنُ عبداللَّه النبيُّ العربيُّ بالقوة، وأصبحت جميعُ الأمِمِ اليومَ لا تعملُ إلاَّ بالقوة، ففي العالم اليوم فلسفتانِ في الدين، فسلفةُ التصوف، وفلسفةُ العمل ـ أي: القوة ـ، فلنأخذِ المسيحيةَ ـ وهي أرقىٰ ما في التصوف بمبادئها ـ، ولنأخذ الإسلام ـ وهو القائم علىٰ مبدإ القوة ـ، ونقارِنْ بين المبدأين لنرىٰ أيهما الفائزُ في حضارتنا:

▫ قال المسيح عليه السلام: «مَن ضَرَبك علىٰ خَدِّك الأيمن، فحوِّلْ له خَدَّك الأيسر، ومَن طلب ثوبَك، فأعطِهِ رداءك»، ومعنىٰ هذا أن علىٰ الإنسانِ أن يكون مسالمًا مستكينًا لا يُبدي حِراكًا في حضارةٍ تُنازعُ البقاء، أمَّا محمدٌ فيقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠]، أي: نازعْ من أجلِ بقائك وكيانِك بكلِّ ما أُوتيتَه من قوة، فالمبدأُ الأساسيُّ هو مبدأُ تنازعِ البقاء، فإذا ثَبَتَ لزومُ المبدإِ لكيانِ الحضارة، كان محمدٌ فائزًا في هذا المضمار، وكفىٰ بهذا المضمار مسرحًا للمبدإِ الصحيحِ الذي جاء به محمدٌ وعَمِل لأجله».

▫ إلىٰ أن قال: «ثُمَّ لَمَّا كان المسلمون خاصةً والعربُ عامَّةً عامِلين بمبدإِ نبيِّهم ـ محمد ـ شادوا حضارةً مجيدةً وأصبحوا سادة الدنيا، ولكنهم فرَّطوا بالابتعادِ عن هذا المبدإِ، وركَنوا إلىٰ الاستكانةِ فباتوا مَسُودين».. إلىٰ آخر المقال.

*** البحَّاثة جرجي زيدان:**

وُلد في «بيروت ـ لبنان» عام ١٨٦١، وتوفي ١٩١٤م. مؤسِّسُ مجلة

«الهلال» عام ١٨٩٢، نَشَر فيها المقالاتِ الأدبيةَ والتاريخيةَ واللغويةَ، ومؤسِّسُ «دار الهلال» للطباعة والنشر، وله دراساتٌ قيمةٌ في الأدب والتاريخ، أهمها: «العرب قبل الإسلام» و«تاريخ التمدُّن الإسلامي» و«تاريخ آداب اللغة العربية»، و«تراجم مشاهير الشرق».

◻ قال في «تاريخ العرب قبل الإسلام»: «إن أقدمَ المصادرِ العربيةِ لتاريخ العرب وأقربَها إلى الصحة القرآنُ، فقد جاء فيه ذِكرُ القبائلِ البائدةِ ـ كعادٍ وثمود ـ، وبعضُ أخبارِ ملوك اليمن ـ كسَيلِ العَرِمِ وغيره ـ، وإذا قرأتَ تلك الأخبارَ فيه، تجدُ ما ذكره القرآنُ صحيحًا تؤيدُه الاكتشافاتُ الحديثةُ، وهو المُعجِزُ الذي جاء به محمد».

◻ وقال في كتابه «التمدُّن الإسلامي»: «ولَمَّا عَمَد المسلمون إلى تلاوةِ القرآن والحديثِ وتفسيرهِما، أُشكل على غير العرب إعرابُهما؛ لأن مَلَكةَ اللغةِ غيرُ راسخةٍ فيهم».

◻ إلى أن قال: «جملةُ القول: إن ما اشتَغل به المسلمون في صدرِ الإسلام من العلوم مَرجِعُه إلى القرآن الذي نَزل على محمدٍ، فهو المِحورُ الذي تدورُ عليه العلومُ الأدبيةُ واللسانيةُ فضلاً عن الدينية، ورَسَخ في الأذهانِ أنه لا يجوزُ أن يُنظرَ في كتابٍ غيرِ القرآن؛ لأنَّه جاء ناسخًا لكلِّ كتابٍ قبلَه، وقد نهى الشرعُ الإسلاميُّ يومئذٍ عن النظرِ في الكُتب المُنزَّلةِ غيرِ القرآن لاتحادِ الكلمةِ واجتماعِها على الأخذِ به، وقد أعلن محمدٌ النبيُّ العربيُّ أن رسالتَه خاتمةُ الرسالات، وصحيحٌ ذلك؛ لأنَّ فيها ما يَصلُحُ للبشرِ في مختلفِ أطوارِهم وسائرِ أدوارِهم».

* **الدكتور نيس الأندونيسي:**

أستاذُ الديانةِ المسيحيةِ في جامعة «برمنكهام».

◻ قال في إحدىٰ محاضراته نقلاً عن «مجلة الهلال» الجزء الخامس من المجلد الثالث: «يا ابنَ مكة، ويا نَسلَ الأكرمين، ويا مُعيدَ مجدِ الآباء والأجداد، ويا مُخلِّصَ العالَمِ من العبودية، إن العالَمَ يفتخِرُ بك، ويشكرُ اللَّهَ علىٰ تلك المِنحةِ العزيزة، بل ويُقدِّرُ لك مجهوداتِك كلَّها، يا نَسلَ الخليلِ إبرهيم، يا مَن مَنحتَ السلامَ للعالم، ووَفَّقتَ بين قلوبِ البشر، وجَعلتَ الإخــلاصَ شِـعارَك، يا مَن قُلتَ في شريعتك: «**إنما الأعمالُ بالنيات**»، لك منَّا الشكرُ الجزيل».

* **«رينيه جينو» «الشيخ عبدالواحد يحيى»:**

«رينيه جينو» مِن الشخصيات التي أخذت مكانَها في التاريخ، وهو العالِمُ الفيلسوف الذي يُدوِّي اسمُه في أوروبا قاطبة، وفي أمريكا، يَضعُه المسلمون بجوارِ «الغزَّالي» وأمثالِه، ويَضعُه غيرُ المسلمين بجوارِ «أفلوطين»، صاحب الأفلاطونية الحديثة.

وقد كان إسلامُه ثورةً كبرىٰ هَزَّت ضمائرَ الكثيرين، مِن ذَوِي البصائرِ الطاهرة، فاقتدَوا به، واعتَنقوا الإسلام، وكوَّنوا جماعاتٍ مؤمنةً مخلِصةً، تعبدُ اللَّهَ علىٰ يقينٍ في معاقلِ الكاثوليكية في الغرب.

وكان سببُ إسلامه يسيراً؛ لقد أراد أن يعتصمَ بنصٍّ مقدَّس، لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا مِن خلفه، فلم يَجدْ ـ بعد دراسةٍ عميقةٍ ـ سوىٰ القرآن، فهو الكتابُ الوحيدُ الذي لم يَنَلْه التحريفُ والتبديلُ؛ لأن اللَّه تكفَّل

بحِفظِه، وحَفِظه حقيقةً: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

لم يجد سوىٰ القرآن نصًّا مُقَدَّسًا صحيحًا، فاعتصم به، وسار تحتَ لوائِه، فغَمَره الأمنُ النفسانيُّ في رِحابِ الفرقان.

ومؤلَّفاتُه كثيرةٌ مشهورة، مِن بينها كتابُ «أزمة العالم الحديث»، بيَّن فيه الانحرافَ الذي تسيرُ فيه أوروبا الآن، والضلالَ المبين الذي أعمىٰ الغربَ عن سواءِ السبيل.

□ أما كتابه «الشرق والغرب»، فهو من الكتبِ الخالدة، التي تجعلُ كلَّ شرقيٍّ يفتخرُ بشرقيتِه.

□ يقول الشيخ الدكتور «عبدالحليم محمود» شيخ الجامع الأزهر: «وإذا كان الشخصُ في بيئتنا الحالية لا يُقدَّرُ التقديرَ الذي يستحقُّه إلاَّ بعد وفاته، فقد كان من حُسنِ حظِّ «رينيه جينو» أنه قُدِّر في أثناء حياته، وقُدِّر بعد وفاته، أمَّا في أثناءِ حياته، فكان أولُ تقديرٍ له: أنْ حَرَّمت الكنيسةُ قراءةَ كتبه، والكنيسةُ لا تفعل هذا إلاَّ مع كِبارِ المفكِّرين الذين تخشىٰ خطرهم، فقد وضعتْه بذلك بجوار عباقِرةِ الفِكرِ الذين اتخذت تُجاهَهم نفسَ المَسْلَك، ولكنها رأت في «رينيه جينو» خطرًا يكبُرُ كلَّ خطرٍ سابق، فحرَّمت حتىٰ الحديث عنه.

واستجاب كثيرون لدعوةِ «رينيه جينو»، فألفَّوا جمعياتٍ في أنحاءِ العالم، وعلىٰ الخصوص في سويسرا وفي فرنسا وتخذوا الإسلام دينًا.

ومن التقدير الإيجابي أنَّ كتب «رينيه جينو» برغم تحريمِ الكنيسة لقراءتها، قد انتَشرت في جميعِ أرجاءِ العالم، وطُبعت المرةَ بعدَ الأخرىٰ، وتُرجم الكثيرُ منها إلىٰ جميع اللغات الحية، ما عدا العربية.

وبعد مماته كَتبت عنه جميعُ صُحفِ العالم، وقد خَصَّصَتْ له مجلة «فرنسا ـ آسيا» وهي مجلةٌ محترمة، عدداً ضخماً؛ كَتب فيه كبارُ الكُتَّاب الشرقيين والغربيين، وافتتحته بتقدير كاتب فرنسا الأكبر «أندريه جيد»، وقوله في صراحةٍ لا لبس فيها: إن آراءَ «رينيه جينو» لا تُنقض.

وخصَّصت مجلة «ايتودترا ديسونيل» عدداً ضخماً من أعدادها، ثم خَصَّص له الكاتبُ الصحفيُّ الشهير «بول سيران» كتاباً ضخماً تحدَّث فيه عن حياتِه وعن آرائه.

بعد أن بَهرت أشعةُ الإسلامِ الخالدةُ «رينيه»، وغَمَره ضياؤُه الباهرُ، اعتَنَق الإسلامَ، وأصبح جنديًّا من جنوده يدافعُ عنه ويدعو إليه.

ومن أمثلتِه ما كَتبه في كتابه «رمزية الصليب» تفنيداً للفِريةِ التي تقول: «إن الإسلام انتشر بالسيف».

ومن أمثلةِ ذلك أيضًا ما كتبه في مجلة «كابيه دي سور» في عددها الخاص بالإسلامِ والغرب، دفاعًا عن الرُّوحانية الإسلامية، لقد أنكر الغربيون رُوحانية الإسلام، أو قلَّلوا من شأنها، و أشادُوا برُوحانيةِ المسيحيةِ وأكبَرَوا من شأنها، فأتى الشيخ «عبدُالواحد يحيىٰ» وبيَّن سُمُوَّ الروحانيةِ في الإسلام وروعتـها، وقارَنَ بين ما يُسـمُّونه بـ «التصوُّفِ المسيحي» أو «المستيسزم»، وانتهىٰ بأن هذا «المستيسزم» لا يمكنُه أن يبلغَ ـ ولا عن بُعدٍ ـ ما بلغه التصوُّفُ الإسلامي[1] من سُموٍّ وجلال»[2].

(١) أي الصحيح القائم على الكتاب والسنة الصحيحة، لا أقوال أصحاب التصوف الفلسفي أو البدعي الذي ضيَّع الأمة.
(٢) «أوربا والإسلام» (ص٧٢ـ٧٦).

* **الفنان الفرنسي «ألفونس إتيين دينييه»:**

وُلِد «ألفونس إتيين دينييه» في باريس سنة ١٨٦١، وهو من كبارِ أهلِ الفنِّ ورجالِ التصوير، وصاحبُ اللوحاتِ الكبيرةِ النفيسةِ القيِّمة، وله في مُتحف «لوكسمبرج» عدةُ صورٍ، منها الصورةُ الشهيرةُ المعروفة باسم «غداة رمضان»، وكذلك له صورةٌ في متحف «بو»، وكذلك في متحف «سدني» باستراليا، و«الحج إلىٰ بيت اللَّه الحرام»، وله عدةُ مؤلَّفاتٍ منها «حياة العرب»، وكتاب «السراب»، و«حياة الصحراء»، وكتاب «ربيع القلوب»، وكتاب «الشرق كما يراه الغرب»، ومن أهمِّ كُتبه «السيرة النبوية» وهو مجلد كبيرٌ جليلٌ وَضَعه باللغةِ الفرنسية، وله رسالةُ «أشعة خاصة بنور الإسلام»، قام بتعريبها الأستاذُ الأديب «راشد رستم»، وقد أعلن إسلامه رسميًّا بالجامع الجديد بمدينة الجزائر، عام ١٩٢٧م، وسمىٰ نفسه «ناصر الدين دينيه»، وطَلب أن يُدفنَ في بلده «بوسعادة» بالجزائر حنيفًا مسلمًا.

◻ قال في كتابه «محمد رسول اللَّه» (ص٤٨): «إنَّ حدودَ هذا السِّفْرِ لن تسمح لنا بأن نقدِّمَ جميعَ التفاصيلَ وجميعَ النواحي لحياةٍ حافلةٍ بالعظائم، إلىٰ هذا الحدِّ كما هو الشأنُ في حياةِ النبي محمد نبيِّ المسلمين».

◻ وقال (ص٤٩) منه: «والحقُّ أننا نَرىٰ من بين جميعِ الأنبياءِ الذين أَسَّسوا دياناتٍ، أن محمداً هو الوحيدُ الذي استطاع أن يَستغنيَ عن مَدَدِ الخوارقِ والمعجزاتِ المادية، معتمداً فقط علىٰ بداهةِ رسالته ووضوحِها، وعلىٰ بلاغةِ القرآنِ الإلهية، وإنَّ في استغناءِ محمدٍ عن مَدَدِ الخوارقِ والمعجزاتِ لأَكبرُ معجزةٍ علىٰ الإطلاق».

◻ وقال (ص٥٢) منه: «إن في مَرأَىٰ المؤمنين وفي أعمالهم لَصورةٌ تلمحُها منعكِسةً من مآثر محمد، وإذا ما كانت بالطبعِ باهتةً بالقياس إلىٰ كمالاته العليا، فإنها لا جِدالَ في صحَّتها، هذا علىٰ حين نجدُ قياصرةَ روما - مع دِقَّةِ تماثيلهم - لا يطالعُنا منهم سوىٰ قِناعٍ مزيَّفٍ لوجوههم الجامدة تحت صورةٍ من الخُيلاء، إن صُورَهم تظلُّ ميتةً يَعجِزُ خيالُنا عن أن يَلمحَ لها شيئًا من الحياة، وإنه لبوحي هذه الحقيقة المقرَّرةِ قامت برؤوسنا فكرةُ نشرِ لوحاتٍ في تاريخِ محمدٍ، تمثِّلُ المآثرَ الدينيةَ لأتباعه، وبعضَ صُورٍ من حياةِ العرب، وبعضَ مُدنِ الحجاز الذي هو وطنه».

◻ وقال (ص٨٧) منه: «محمد لم يؤلِّفِ القرآن، حقًّا أنه لَيُدهِشُني أن يَرىٰ بعضُ المستشرقين أن محمدًا قد انتهز فرصةً، فروَّىٰ ورتَّب عَمَله المستقبل، بل لقد ذَهب بعضُهم إلىٰ أبعدَ من ذلك، فوسوس بأن محمدًا ألَّف في تلك الفترة القرآنَ كلَّه!.

أحقًّا لم يُلاحظوا أن هذا الكتابَ الإلهيَّ خالٍ من أيةِ خُطةٍ سابقةٍ علىٰ وجوده، مرسومةٍ علىٰ نَسَقِ المناهجِ الإنسانية، وأن كلَّ سُورَةٍ من سُوره منفصلةٌ عن غيرها، وخاصةٌ بحادثةٍ وقعت بعد الرسالةِ طيلةَ فترةٍ تَزيدُ علىٰ عشرين عامًا، وأنه كان من المستحيل علىٰ محمدٍ أن يتوقَّع ذلك ويتنبَّأَ به؟!».

◻ وقال (ص٣٤٥) منه: «فدينُ الرسول محمدٍ أكَّد من الساعة الأولىٰ لظهوره أنه دينٌ عامٌّ صالحٌ لكلِّ زمانٍ ومكان، وإذًا كان صالحًا بالضرورة لكلِّ عقل، إذ هو دينُ الفطرةِ، والفطرةُ لا تختلفُ في إنسانٍ عن آخر، وهو

لكلٍّ هذا صالحٌ لكلِّ درجةٍ من درجاتِ الحضارة».

◘ وقال في كتابه «أشعة خاصة بنور الإسلام» ترجمة الأستاذ «راشد رستم»: «إن نبي الإسلام هو الوحيدُ من بين أصحابِ الدياناتِ الذي لم يَعتمدْ في تمامِ رسالته على المعجزاتِ، وليست عمدتُه الكبرىٰ إلاَّ بلاغةَ التنزيل الحكيم، وفي ذلك يقول تعالىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء: ٥٩]».

* **فاندبرج:**

◘ قال: «لقد وَضَع الإسلامُ قواعدَ جليلةً للرقيق تدلُّ علىٰ ما كان يَنطوي عليه محمدٌ ﷺ من شعورٍ إنسانيٍّ نبيلٍ يُناقِضُ - كلَّ المناقضة - تلك الأساليبَ التي كانت تتخذُها إلىٰ عهدٍ قريبٍ شعوبٌ تدَّعي أنها تمشِي في طليعةِ الحضارة.

لهذا كان كثيرٌ من الرقيق يُفضِّلُ حياة الرِّقِّ في ظلالِ هذه المبادئِ علىٰ الحريةِ الوهميةِ في بلادٍ وأممٍ تَسترِقُّ شعوبَها بالجملة»[1].

الإسلامُ العظيمُ الذي رَفع شأنَ «بلال»، فجعله من أئمةِ الصحابة، حتىٰ قال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه «أبو بكر سيدُنا.. أعتق بلالاً سيدَنا».

وفيه نزل قولُ اللَّه عز جل: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

---

(١) «لماذا يخافون الإسلام» (ص١٢٢) - للدكتور عبدالودود شلبي - دار الاعتصام.

أين هذا من قول الفيلسوف العُنصري «لونج» في كتابه «تاريخ جامايكا» عن الزنوج: «إنهم غيرُ خَليقين بالحياة، وإنهم لا يَزيدون عن القرود التي تتعلَّمُ لتأكلُ وتشربَ، وإن قيمتهم لا تَزيدُ عن قيمةِ أيِّ سِلعةٍ تُباعُ في الأسواق»؟.

◻ بل ويقول «منتسيكو» عن السُّود: «إني أعتقدُ أن اللَّهَ أحكَمُ مِن أن يَضَعَ رُوحًا ـ فضلاً عن رُوحٍ طيبةٍ ـ في جِسمٍ حالكِ السواد»[1].

*** الكاردينال «أشوك كولن يانق» أمين عام «مجلس الكنائس العالمي» لوسط وشرق أفريقيا سابقًا يُشهرُ إسلامه:**

◻ في مقال الكاردينال السابق «أشوك كولن يانق»، يكشف جوانبَ جديدةً عن رحلته إلىٰ الإسلام لرجب الدمنهوري والمنشور بمجلة «المختار الإسلامي» العدد (٢٨١) ـ غرة المحرم ١٤٢٧هـ ـ ٣١ يناير ٢٠٠٦م (ص٦٨) إلىٰ (ص٧١) قال: «أثارت المقابلةُ التي أجرتها «المختار الإسلامي» مع أمين عام مجلس الكنائس العالمي لوسط وشرق إفريقيا سابقًا «أشوك كولن يانق» ردودَ فعلٍ واسعةَ النطاق، وتناقلتها عشراتُ المواقع الإلكترونية ووسائلِ الإعلام.. وكان «كولن يانق» الذي اعتنق الإسلام عام ٢٠٠٢ قد كَشف في حوارِه أبعادَ المُخطَّطِ الكَنَسيِّ الرامي لتنصيرِ المسلمين وضَربِ الحركةِ الإسلاميةِ عَبْرَ توظيفِ العِلمانيين لمواجهةِ المدِّ الإسلامي، وإنفاق أموالٍ طائلة علىٰ بعض الأجهزة والأفراد ذَوِي الصِّلة.. وفي هذا العدد يكشفُ الكاردينال السابق جوانبَ جديدةً في رحلتِه «من الظلمات إلىٰ النور ومِن الكفر إلىٰ الإسلام، ومن حالِ أهلِ النار إلىٰ حالِ أهلِ القِبلة» ـ علىٰ حدِّ

(١) المصدر السابق (ص١٢٨).

تعبيره ـ، وفيما يلي التفاصيل:

▫ «تغييرُ الإنسان عقيدتَه ليس أمرًا سهلاً، خاصةً إذا كان هذا الإنسانُ يحتلُّ قمةَ الهَرَمِ الذي يدعو إلىٰ هذه العقيدة. . فما الذي قادك إلىٰ التغيير، ومِن ثَم اعتناقِ الإسلام من واقع دراستك للأناجيل؟.

ـ سؤال مهم. . الإنسان مهما علا شأنُه إذا كان صادقًا وجادًّا في البحث عن الحقيقة، فإنه حتمًا سيصلُ إليها يومًا ما، وهذه الحقيقةُ التي سيصلُ إليها إما أنها تُعزِّزُ ما يؤمنُ به، أو تَهديه إلىٰ سبيلٍ آخَرَ. . هذا أولاً.

أما كيف غيَّرتُ عقيدتي، فأُجيبُ من خلالِ أقوالِ المسيحِ التي وردت في الأناجيل، فقد جاء في إنجيل «يوحنا» في «الإصحاح الثامن ـ فقرة ٤٠» عندما هَمَّ اليهودُ بقتله: «ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني، وأنا إنسانٌ قد كَلَّمكم بالحق الذي سَمِعه من اللَّه».

فالمسيحُ عليه السلام إنسانٌ اختارَه اللَّهُ وحمَّله رسالةً، وجعله نبيًّا؛ ولذلك يقولُ عليه السلام كما جاء في «الإصحاح الثامن ـ فقرة ٤٢»: «لو كان اللَّهُ أباكم لكنتم تُحبونني؛ لأنني خرجتُ من قِبَلِ اللَّه وأَتيتُ، لأني لم آتِ من نفسي، بل ذلك أرسلني، لماذا لا تفهمون كلامي؟»، وقد صرَّحَتْ بعضُ الأناجيلِ بنبوة عيسىٰ عليه السلام كما جاء في «لوقا ـ الإصحاح السابع ـ فقرة ١٦»: «فأخذ الجميعَ خوفٌ ومجَّدوا اللَّه قائلين: قد قام فينا نبيٌّ عظيم».

وجاء في «متىٰ ـ الإصحاح الحادي والعشرين ـ فقر ٩، ١٠، ١١»: «ولما دخل أورشليم ارتجَّتِ المدينةُ كلُّها قائلةً: مَن هذا؟ فقالت الجموعُ: هذا النبيُّ الذي مِن ناصرةِ الجليل».

وهذه النصوصُ تتفقُ مع قوله تعالىٰ في القرآن الكريم: ﴿**مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ**﴾ [المائدة: ٧٥].

*** رسالة عيسى:**

❑ **إذًا** أنت ترىٰ أن هذه النصوصَ التي اقتبستَها من الأناجيل كفيلةٌ بتغييرِ العقيدةِ من النصرانية إلىٰ الإسلام؟.

ـ الإيمانُ برسالة سيدنا عيسىٰ عليه السلام يكونُ بتصديقِه فيما أَخبر، فلا نردُّ خَبَرَه ولا نُكذِّبُ قولَه ولا نخالفُه، فالمسيحُ عليه السلام جاءنا من اللَّه لأمرَين مهمَّين:

أولاً: لِتَعلَمَ الأُمةُ التي بُعث إليها كيف تتقربُ إلىٰ اللَّه وتَعبدُه، أمَّا معرفةُ اللَّه، فيقول المسيحُ عليه السلام: «إنَّ اللَّهَ واحدٌ لا شريك له ولا نظيرَ له ولا شَبيهَ له».

فقد جاء في إنجيل «مرقص» في «الإصحاح الثاني عشر ـ فقرة ٣٠» لَمَّا سأله الكاتبُ: «أيُّ وصيةٍ هي أولُ الكل؟ فأجاب يسوع: إن أولَ كلِّ الوصايا هي: اسمَعْ يا «إسرائيل»، الربُّ إلهُنا ربٌّ واحد، وتُحِبُّ الربَّ إلهَك من كلِّ قلبك ومِن كلِّ نفسِك ومِن كلِّ فِكرِك ومِن كل قُدرتِك، هذه هي الوصيةُ الأولىٰ، وثانيةٌ مِثلُها، هي أن تحبَّ قريبَك كنفسِك، ليس وصيةٌ أخرىٰ أعظمَ من هاتين.

فقال له الكاتب: صحيحٌ يا مُعلِّمُ، حَسَبَ الحقِّ تكلمتَ، فإن اللَّهَ واحدٌ لا آخرَ سواه».

وتتأكدُ هذه الحقيقةُ عن ذاتَ اللَّه بما جاء في إنجيل «متىٰ ـ الإصحاح

٢٣ ـ فقرة ٨»، يقول المسيح عليه السلام: «وأما أنتم فلا تَدْعوا لكم أبًا على الأرضِ؛ لأن أباكم واحدٌ الذي في السماء»، وجاء في «يوحنا» في «الإصحاح ٢٠ فقرة ١٨» قال المسيح: «إني أصعدُ إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم».

وكلمة «الأب»: «أبي وأبيكم» تعني في لغةِ الإنجيل «الرب» أي: «ربي وربكم».

فإلى مُحبِّي المسيح أقول: ألم تتضمَّنْ وصايا المسيحِ عليه السلام تعريفًا واضحًا لذاتِ اللَّهِ العليِّ الكبير المتفرِّد؟.

* يقول اللَّه تعالى في القرآن: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ [سورة الإخلاص].

* وكما جاء في القرآن الكريم أيضًا: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ثانيًا: إن مهمةَ عيسى عليه السلام الثانيةَ أن يَهدِيَ الأُمةَ التي بُعث إليها إلى عبادة اللَّه، وهي أُمةُ بني إسرائيل، أما غيرُهم من الأمم فلا تَعنِيهم شريعةُ عيسى، وهذا ما تقرِّرُه الأناجيلُ المسيحية، فقد جاء في إنجيل «متى - الإصحاح ١٥ فقرة ٥» قولُ يسوع: «لم أُرسَل إلا لخرافِ بني إسرائيلَ الضالة».

وجاء في «متى ـ الإصحاح ١٠ فقرة: ٥»: «هؤلاء الاثنا عَشَرَ أَرْسَلَهم يسوعُ وأوصاهم قائلاً: إلى طُرُقِ أُممٍ لا تَمضُوا، وإلى مدينةِ السامريين لا تَدخُلوا، بل اذهبوا بالحَرِيِّ إلى خِرافِ بني إسرائيل الضالة» (أعمال الرسل ١١ الفقر الأولى).

وإلىٰ مُحبِّي المسيح أقول: يا مَن تبحثُ عن الحق، ويا مَن آمَن باللَّه الواحد الأحد، إليك هديةً من القلب: آمنْ باللَّه إلهًا واحدًا، وبأن المسيحَ رسولُ اللَّه وكلمتُه ألقاها إلىٰ مريمَ ورُوحٌ منه، وبأن محمدًا عبد اللَّه ورسوله وخاتمُ النبيين والمرسلين، واتَّبِعْه حقَّ الاتباع، قل: «لا إله إلا اللَّه» يؤتِك اللَّهُ أجرَك مرتين.

* قال تعالىٰ في القرآن الكريم: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص: ٥٤].

* **اللحظة الفاصلة:**

◻ صِفْ لنا اللحظةَ الفاصلةَ التي قرَّرتَ فيها اعتناقَ الإسلام؟ وماذا ترتب علىٰ ذلك.

- حينما قررتُ اعتناقَ الإسلام، ذهبتُ إلىٰ الكنيسة، وتقدَّمتُ بطلب إجازةٍ لكي أقضيَها مع أسرتي، فطُلب مني أن أنتظرَ حتىٰ تعتمدَ لي الكنيسةُ من ٥٠ إلىٰ ١٠٠ ألف دولار لكي أنفقَها علىٰ أولادي، قلتُ لهم: أنا لا أريدُ «قروشكم» وكانت عندي للكنيسة عمارتان و«قروش» تبلغ مليونين و٤٠٠ ألف دولار أمريكي، و٣٢٠ مليون جنيه سوداني، فقمت بتسليمها إلىٰ راعي ميزانيةِ التنصير، فكانت مفاجأةً كبيرةً للكنيسة.

وبعد ذلك قضيتُ يومين مع أسرتي نفكِّرُ في هذا الأمر ونناقشُه، وقد كانت أسرتي المكونةُ من زوجتي وأربعةِ أبناءَ تدركُ أنني أفكِّرُ في اعتناقِ

الإسلام، وحينما أبلغتُهم أنَّ الوقتَ قد حان، كان ردُّهم: «أنت أعلمُ منا، ونحن نثقُ بك، وقرارُك قرارنا»، وبالفعل ذهبنا إلى أحدِ المساجدِ المجاورةِ «مسجد النور» وأشهَرْنا الإسلام، وصحيحٌ أنني خسرتُ أموالاً كثيرةً، غيرَ أنني كَسَبتُ الإيمانَ والراحةَ النفسيةَ بعد ٤٠ سنة قضيتُها في الباطل، وعلى إثْرِ ذلك اتَّهمتني الكنيسة بالجنون وأنني مريضٌ نفسيًّا!.

* لست مجنونًا:

□ قلت: إن الكنيسة اتهمتك بالجنون.. فهل أثبتَّ لها أنك في كاملِ قُواك العقلية وقد أسلمتَ بعد قناعةٍ ودراسةٍ أم ماذا حدث؟.

ـ لقد شاء اللَّه أن أدرسَ مقارنةَ الأديان، وكان الهدفُ أن أتعرفَ على الأديانِ السماويةِ وغيرِ السماوية من أجلِ ممارسةِ التنصيرِ بعلمٍ وخبرةٍ ومنهجية، لكنَّ اللَّهَ أراد شيئًا آخر، فقد درستُ الأديانَ السماويةَ وهي معروفة، كما درستُ غيرَ السماوية ـ وهي البوذيةُ والهندوسيةُ وعبادةُ النار والشمسِ والشيطانِ والأصنام ـ، وخلالَ مرحلةِ الدراسة كانت تتكشَّفُ أمامي الحقائقُ عن الإسلام أولاً بأول، وبدأ تكويني الديني يتشكلُ وأفكاري تتغيَّر وتتداخل، وفي إحدى مراحلِ الدراسة أيقنتُ أن الإسلام هو الدينُ الصحيح، فكنتُ حينما أسمعُ الأذان أتوقفُ عن إلقاءِ المحاضرةِ احترامًا للنداء الإلهي، وحينئذٍ أصبحتُ شخصًا بوجهين، وجهٍ يرى أن الإسلام الدينُ الحقُّ وأن اللَّهَ واحدٌ لا شريك له، ووجهٍ يغالِطُ نفسَه، ويواصلُ انخراطَه في الأعمال الكَنَسية والتمتعِ بأموالها الطائلة.

ولما بدا تعاطُفي مع الإسلام اجتمعَتْ مجالسُ القساوسة والرهبان

والكاردينالات، وكان رأيهم أنني أميلُ للإسلام، وهنا مارس مجلسُ الكنائس ضغوطًا كثيرةً عليَّ، ولَمَّا فَشِل قرَّر إيقافي عن العمل بالكنيسة، وصَدَر قرارٌ من الكنائس بأن الجنونَ قد أصابني، فقلتُ لهم: إنني لستُ مجنونًا، فأنا أخافُ اللَّهَ الواحدَ ربي وربَّكم وربَّ محمدٍ وعيسىٰ، إنني أخافُ من عذابِ اللَّه، إنني أخافُ من اللَّه، وعلمتُ بعد ذلك أن تقريرَ الأطباء أثبت أنني لستُ مجنونًا، ولكنني أتطلَّعُ إلىٰ اعتناق الإسلام.

▫ السيد أشوك. . لماذا لم تُغيِّرِ اسمَك إلىٰ اسمٍ مسلم كما جرَت عادة كلِّ مَن يعتنقُ الإسلام؟ .

ـ لم أغيِّر اسمي لاعتبارين:

الأول: لأن الإسلام لا يَرىٰ في ذلك حَرَجًا، وهذا ما يُهمُّني بالدرجة الأولىٰ، فلا بأسَ أن يَعتنقَ غيرُ المسلِم الإسلامَ ويَبقىٰ محافظًا علىٰ اسمِه القديم، فالدينُ الإسلامي يركِّزُ علىٰ الإيمان.

الثاني: لقد أحببتُ الاحتفاظَ باسمي لأهدافٍ دعويةٍ وهي أنْ أَظَلَّ مقبولاً لدىٰ غير المسلمين، ومن ثَم أستطيعُ أن أبيِّنَ لهم الحق، بعد أن شَرَح اللَّهُ صدري بالإسلام وخرجتُ من الظلمات إلىٰ النور، ومِن الكفر إلىٰ الإسلام، ومِن حال أهلِ النار إلىٰ حالِ أهل القبلة.

*** الكاردينالية:**

▫ وصلتَ في الكنيسة إلىٰ درجةِ «كاردينال»، كما احتَلَّ والدُكم هذا المنصب. . ماذا يعني منصب كاردينال؟ وما وظيفتُه في الكنيسة؟ .

ـ لقد تقلدتُ مناصبَ كبيرةً في الكنيسة، ومن بين ذلك كنت كاردينالاً

كما كان والدي كذلك، وهذا المنصبُ في الكنيسة الكاثوليكية يوازي وظيفةَ «المفتي» في الإسلام، ويجبُ أن يعرفَ القَسُّ أنه ليس إلهًا لكي يغفرَ للناس ذنوبَهم وآثامَهم، فالعجيبُ أنه إذا أخطأ عبدٌ ذهب إلىٰ القَسِّ يومَ الأحد قبلَ الصلاة، ويقول له: «لقد أخطأتُ في كذا وكذا»، فيقول القسُّ: «اذهبْ قد غُفر لك»، كيف يتجرأُ هذا القسُّ علىٰ حَمْلِ سُلطةِ اللَّه؟! ومَن الذي أعطاه هذه الصلاحيةَ وهو بشر؟!.

وأنا أتحدَّىٰ أيًّا من كبارِ القساوسةِ الشرقيين أو الغربيين أن يُحاجِجَني، بل أنا علىٰ استعدادٍ لمناظرةِ أيِّ درجةٍ عاليةٍ في الكنيسة لإثباتِ صحَّةِ الإسلام وأحقيَّتِه بالاتباع، فأنا لم أُسلِمْ عاطفيًّا أو عَبَثًا، وإنما أسلمتُ بعد دراسةٍ معمَّقةٍ للأديان، ووصلتُ في نهاية الدراسةِ إلىٰ أن الإسلامَ هو الدينُ السماويُّ الذي خَتَم اللَّهُ به الرسالاتِ السماويةَ، وأن النبيَّ ﷺ هو خاتَمُ الأنبياء والمرسلين، وأن عيسىٰ عليه السلام إنسانٌ من البشر، وهو نبيٌّ ورسولٌ وليس أكثر من ذلك.

* قال تعالىٰ في القرآن الكريم: ﴿**مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ**﴾ [المائدة: ٧٥]، وأنا لستُ أولَ مَن يُسلِمُ من القساوسة، فقد سبقني إلىٰ الإسلام عددٌ كبيرٌ من القساوسة والمبشِّرين، وعلىٰ رأسهم الأمينُ العام لمجلس مؤتمر المطارنة في الكنيسة الكاثوليكية، ورئيسُ القساوسة في الولايةِ الشرقية» اهـ.

* * *

يا لـــه مـن دين أتى به محمـدٌ ﷺ لو أنَّ له رجالاً!!

هذا الدينُ العظيمُ الذي جاء به رسولُ اللَّه ﷺ مَفْخَرَةٌ للبشرية، والقرآنُ الذي أُنزل عليه فيه سعادةُ كلِّ البشرية ـ لو التزمت نَهْجَه وسارت علىٰ دربه ـ.

*** مرجيلوث يُثني على القرآن:**

مستشرقٌ إنجليزي، شديدُ التعصُّبِ ضدَّ الإسلام ونبيه، وُلِد عام ١٨٥٨، وتُوفي عام ١٩٤٠م، كان أستاذًا للغة العربية في جامعة «أكسفورد» منذ عام ١٨٨٩، وعضواً بعدَّةِ مجامعَ علميةٍ، كالمجمع اللغوي الإنجليزي، والمجمع العلمي العربي بدمشق، والجمعية الشرقية الألمانية، كما كان مرجليوث من محرِّري «دائرة المعارف الإسلامية»، وله مؤلفاتٌ عديدةٌ عن الإسلام والأدبِ العربي وتاريخه، ومنها كتابه: «أصول الشعر العربي»، وهو المرجعُ الذي اعتمد عليه «طه حسين» في كتابه عن «الشعر الجاهلي» الذي صدر عام ١٩٢٦م.

❑ يقول مرجليوث عن القرآن: «باعترافِ الجميعِ، يحتلُّ القرآنُ مكانةً هامةً بين الكتبِ الدينيةِ العظيمةِ في العالم، وعلىٰ الرَّغمِ من أنه قد جاء الأحدثَ في قائمةِ مِثلِ هذا النوع من الأعمال التي تُعتبرُ مَطْلَعَ عهدٍ جديدٍ في الفكر والتاريخ، فيكادُ لا يُضاهِيه عملٌ آخَرُ في تأثيرِه العجيبِ الذي أحدَثه في جموعٍ هائلةٍ من البشر! لقد خَلق طَوراً جديدًا في الفِكرِ الإنسانيِّ، ونوعًا حديثًا من الشخصيةِ الإنسانية.

ففي بدايةِ الأمر، حَوَّل القرآنُ عدداً من القبائلِ الصحراويةِ غيرِ المتجانسةِ في شِبهِ الجزيرةِ العربية إلى أُمةٍ من الأبطال، ثم واصل - على نحوٍ مطَّرد - خَلْقَ الهيئاتِ الدينيةِ السياسيةِ الكبيرةِ في العالم الإسلامي، والتي تُعتبر إحدى القوى العُظمى التي يجبُ على أوربا والشرق أن يَحسبَا لها حسابًا اليوم».

* مونتجمري وات:

رئيس قسم الدراسات العربية في جامعة «أدنبرة»، له عدةُ كتبٍ ودراسات، منها «من تاريخ الجزيرة العربية» (١٩٢٧)، و«عوامل انتشار الإسلام» (١٩٥٥)، و«محمد في مكة» (١٩٥٨).

❑ يقول «مونتجمري وات» في كتابه: «الإسلام والمسيحية اليوم»: «ولستُ مُسلِمًا بالمعنى المألوف، ومع ذلك فإني أرجو أن أكون مُسلمًا كإنسانٍ استسلم للَّه، بَيْدَ أني أعتقدُ أن القرآنَ وغيرَه من تعبيراتِ المنظورِ الإسلامي، يَنطوي على ذَخيرةٍ هائلةٍ منَ الحقِّ الإلهيِّ، الذي ما زال يجبُ عليَّ أنا وآخَرِينَ منَ الغربيين أن نتعلمَ منه الكثير.

ومن المؤكَّد أن الإسلامَ منافِسٌ قويٌّ في مجالِ إعطاءِ النظامِ الأساسي للدينِ الوحيدِ الذي يَسُودُ في المستقبل».

* إدوارد مونتيه:

مستشرقٌ من أصلٍ سويسري، ولد عام ١٨٥٦، ودَرَس في جامعاتِ «جنيف وبرلين وهايدلبرج»، حَصَل على الدكتوراة في اللاهوت من «جامعة باريس» عام ١٨٨٣، عُيِّن أستاذًا للعبرية والآرامية والعهدِ القديم في

جامعة «جنيف»، ثم أُضيف إليه العربية وتاريخ الإسلام، رَأَسَ جامعة «جنيف» (١٩١٠ ـ ١٩١٢)، وتُوفي عام ١٩٢٧ .

◻ يقول «إدوارد مونتيه» في كتابه «الدعاية المسيحية وأعداؤها المسلمون»: «إن الإسلامَ في جَوهره دينٌ عقلانيٌّ وِفقَ أوسَعِ المعاني لهذا المصطلح من الوجهةِ الاشتقاقيةِ والتاريخية، إن تعريفَ العقلانية، باعتبارها نظامًا يُقيمُ المعتقداتِ الدينيةَ على مبادئَ يُدعِّمُها العقلُ، إنما يَنطبقُ تمامًا على الإسلام، وعلى الرَّغم من التطورِ الخِصب ـ بكلِّ ما في هذه الكلمة من معنًى ـ لتعاليمِ النبي، فقد احتَفَظ القرآنُ بمنزلتِه الثابتة، كنقطةِ البدايةِ الرئيسةِ لفهم الدين، وصار يُعلِنُ دائمًا عن عقيدةِ توحيدِ اللَّه في سموٍّ وجلالٍ وصفاءٍ دائمٍ مع اقتناعٍ يقينيٍّ متميزٍ، من الصعبِ أن يوجَدَ ما يفوقُه خارجَ نطاقِ الإسلام، إن هذا الإخلاصَ للمعتقَدِ الأساسي للدين، والبساطةَ الجوهريةَ للصيغة التي يَنطقُ بها، والبرهانَ الذي يكتسبُه من الاقتناع الذي يلتهبُ حماسةً لدعاته القائمين بنشره، كلُّ ذلك يُقدِّمُ أسبابًا كثيرةً تُعلِّلُ نجاحَ مجهوداتِ الدعاةِ المسلمين.

إن عقيدةً بمِثلِ هذه الدقة، ومجردةً من كلِّ التعقيداتِ اللاهوتية، وبالتالي يمكنُ للفهم العادي أن يتقبَّلها بسهوله، فمِن المتوَّقعِ أن تكونَ لها قدرةٌ عجيبةٌ وهي في الواقعِ تمتلكُ هذه القدرةَ ـ على اكتسابِ طريقِها إلى ضمائرِ البشر».

* جرونيباوم:

◻ قال في كتابه «الإسلام»: «إن الأمرَ الذي اقتضى عشراتِ السنين

من المسيحيين الأوائل لكي يُدركوه، قد أدركه محمدٌ بعد سنواتٍ قليلة، وهو: أنه ما دامت إرادةُ اللَّهِ قد اقتضت أن تمتدَّ الحياةُ الدنيا فترةً من الوقت - طالت أو قَصُرت -، فإن جماعته[١] ينبغي أن تستقرَّ فيها في التقاءٍ كاملٍ مع تعاليمِ الوَحيِ المُنَزَّل. . ومن ثَمَّ أصبحت مهمةُ الجماعةِ أن تُنشِئَ نَمَطًا شاملاً للحياة في ظِلِّ «اللَّه»[٢] يشملُ كلَّ وجهٍ من وجوهِ الوجود البشري - مِن أوَّل التصورِ إلى الدفن[٣] -، ويُلغي كلَّ تمييزٍ بين المقدَّسِ والدنيويِّ من مظاهر الحياة، يجعلُ كلَّ دقيقةٍ من دقائق الحياة متصلةً بعضُها ببعضٍ برباط الدين، ومحتاجةً إلى مراسم «دينية» لتكملتها عند أيِّ عملٍ من الأعمال - مهما كان نوعه -، وبهذه الطريقة توحَّدت صور السلوك إلى حدٍّ ما. . ولكنَّ الحياةَ كلَّها - حتى أدقَّ تفصيلاتِها - أُعطيت صورةً ساميةً مستمدَّةً من دلالتها الدينية. . ولم تكن حياةُ الفرد وحدَه هي التي ينبغي لها أن تتحوَّل إلى مجموعةٍ مُتَّسقةٍ من الأعمال التي يطلبُها اللَّه منه. . بل إنَّ المجتمعَ الإسلامي - في مجموعه - كان ينبغي أن يُحوَّلَ بالمِثل، فصارت الدولة والجيش والخزانة[٤] في اصطلاح المؤمنين الأوائل: دولةَ اللَّه، وجيشَ اللَّه، وخزانه اللَّه»[٥].

* * *

(١) أي: المسلمين.

(٢) أي: في ظلِّ وحي اللَّه.

(٣) أي: يشملُ الأمور الفكرية والمعنوية، كما يشمل الأمور السلوكية والمادية.

(٤) أي: بيت المال.

(٥) نقلاً عن: «هل نحن مسلمون؟» لمحمد قطب (٢٥-٢٦).

صفاءُ العقيدةِ الإِسلاميةِ وقوَّتِها

* **إِدوارد جيبون :**

وُلِد إدوارد جيبون في إنجلترا عام ١٧٣٧م، وكان عُضواً في البرلمان، وقد بدأ حياته الأدبية عام ١٧٦١م، وظَهَر الجزءُ الأولُ من مصنَّفه الضخم: «انحدارُ الإمبراطورية الرومانية وسقوطها» عام ١٧٧٦م، ثم استكمل بقية الأجزاء حتىٰ ظهر آخرها عام ١٧٨٨م، وتُوفي عام ١٧٩٤م.

☐ أفرد «جيبون» البابَ الخمسين من كتابه «انحدار الإمبراطورية الرومانية وسقوطها» للحديثِ عن الإسلام.. ولم يَستطع «جيبون» التخلُّصَ من أَسْرِ الأفكارِ الشائعةِ حول الإسلام، ومع هذا فقد قال: «إنَّ عبقريةِ النبيِّ العربي، وسلوكياتِ أُمَّتِه، ورُوحَ ديانتِه، كلُّ ذلك يتضمَّنُ أسبابَ انحدارِ الإمبراطوريةِ الرومانية الشرقية وسقوطها، وإن أنظارَنا لتتَّجهُ في دهشةٍ نحوَ واحدةٍ من أكبر الثوراتِ الجديرةِ بالذِّكر في العالم، والتي طَبعت بعمقٍ أثراً جديداً وخالِداً في أم الأرض».

☐ وقال: «إن عقيدةَ محمدٍ خاليةٌ من الشكِّ أو الغموض، والقرآنُ شهادةٌ مجيدةٌ علىٰ وحدانيَّةِ اللَّه، ومِن الهند حتىٰ مراكش يَشتهرُ المهتدون إلىٰ دينِه باسمِ «الموحِّدين»، وقد انزاح خَطَرُ الوثنية بتحريمِ الصور.

إنَّ مواهبَ محمدٍ تجعلُنا نُكيلُ له المَدْحَ، إلاَّ أن نَجاحَه ربَّما كان هو الذي جَذَب انتباهَنا إليه، وإنَّ ما يَستحقُّ إعجابَنا ليس انتشارَ ديانته، وإنما استمراريتُها.

إنَّ نفسَ الانطباعِ النقيِّ الكاملِ الذي حَفَره في الأذهانِ في مكة

والمدينة لا يزالُ مصونًا إلىٰ اليومِ بعد انقضاءِ اثني عَشَرَ قرنًا، عند الذين اهتَدَوا بالقرآنِ من هنودٍ وأفارقةٍ وتُرك».

◻ وقال: «نجدُ أنه من المحيطِ الأطلسي غربًا إلىٰ أقاصي الهند شرقًا، يُعترفُ بأن القرآن هو الدستور الأساسي، ليس فقط في مسائلِ الإلهيات، ولكن فيما يتعلَّقُ بالقوانينِ المدنيَّةِ والجنائيةِ والقوانين التي تنظِّمُ سلوكياتِ البشر.

لقد نَفَثَ محمدٌ بين المؤمنين رُوحَ الأخوَّةِ والإحسانِ، وأوصىٰ بممارسةِ الفضائلِ الاجتماعية، وكَبَحَ بشريعته وتعاليمه الأخلاقيةِ التعطُّشَ إلىٰ الانتقامِ وظُلمِ الأرامل واليتامىٰ، ولقد تَوحَّدَتِ القبائلُ التي كانت في عَداءٍ تحت مَظِلَّةِ الدينِ والطاعة، وتوجَّهت شجاعةُ المقاتلين ـ التي أُنفقت هدرًا في صراعَاتٍ داخليةٍ ـ نحوَ العدوِّ الخارجي، فانتشرت بذلك أمصارُ الأمةِ الإسلاميةِ شرقًا وغربًا»(١).

◻ وقال «فولتير» عن العقيدة الإسلامية: «إن عقيدةَ محمدٍ خاليةٌ من الشكِّ أو الغموض، والقرآنُ شهادةٌ مجيدةٌ علىٰ وحدانية اللَّه.. هذه هي كلماتُ سورة الأخلاص تقول: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص].

إنني أقول: إن هذه الكلماتِ أَخضعت له الشرقَ أكثرَ مما فعَله سيفُه»(٢).

(١) «الإسلام في الفكر الغربي» (ص٣٥ـ٣٨) مُلخَّصًا.

(٢) المصدر السابق (ص١٢٩).

الغرب عاش على تَشْويه الإسلام

□ قال «فولتير»: «لقد أَلْصَقْنا بالقرآنِ ما لا نهايةَ له من السفاهاتِ التي لم تكنْ به على الإطلاق.

إن مؤلِّفينا لم يَجِدوا صعوبةً تُذكرُ في جَعلِ نسائنا تقفُ في صفِّهم، لقد أقنعوهنَّ بأن محمداً لم يَعتَبِرْهُنَّ ضمنَ الحيواناتِ الذكية، وأنهنَّ جميعًا إماءٌ وفقَ شريعة القرآن.. ومن الواضح أن كلَّ هذا كذبٌ وبطلانٌ اعتقدوا فيه بكلِّ قوة.

أيها الجهلةُ الأغبياء الذين خدَعهم جهَلَةٌ آخرون، إذ أقنعوكم بأن الديانةَ المحمديةَ ديانةٌ شهوانيةٌ ولذَّاتٌ جسدية، بينما هي ليست شيئًا من ذلك».

□ وقال «روجيه دي باسكيه»: «إن الغربَ المسيحيَّ، أو الذي فَقَد مسيحيتَه، لم يَعرِفِ الإسلامَ أبدًا، فمنذ أن ظَهَرَ على المسرحِ العالمي، والمسيحيون لا يَكفُّون على اختلاقِ الأكاذيب حولَه وتحقيرِه من أجلِ إيجادِ المبرراتِ اللازمةِ لقتاله، لقد أُلحقت بالإسلام صُوَرٌ مشوَّهةٌ كثيرةٌ، لا تزال آثارُها منطبعةً بعُمقٍ في العقلية الأوربية إلى اليوم.

ويجبُ الاعترافُ بأن الدراساتِ الاستشراقيةَ في الغَرب لم تكن مستوحاةً أبدًا من رُوحِ النزاهةِ العلميةِ الخالصة، ولا يمكنُ إنكارُ أن بعضَ المتخصِّصين في الدراساتِ الإسلاميةِ والعربيةِ قد قاموا بأبحاثهم بهدفٍ واضحٍ هو تحقيرُ الإسلام والمسلمين» اهـ.

***

الإسلامُ دينُ التقدَّمِ والحضارةِ وهو دينُ المستقبل

يا لِجمالِ الإسلام الذي أتىٰ به رسولُ اللَّه ﷺ، هذا الدينُ العظيمُ لا يُعرِضُ عنه إلاَّ منكوسٌ موكوسٌ مطموس.

* **برنارد لويس:**

وُلِد عام ١٩١٦م، وحَصَل علىٰ الدكتوراة من جامعةِ لندن عام ١٩٣٩م، وهو أستاذُ دراساتِ الشرق الأدنىٰ بجامعة «برنستون»، وأستاذٌ زائر في «كاليفورنيا وكولومبيا وأنديانا»، وعضوُ شرفٍ في «الجمعيةِ التاريخيةِ التركية»، وعضوٌ في «الجمعية الفلسفية الأمريكية».

❐ يقول عن الإسلام: «أرسل اللَّهُ المَلَكَ جبريلَ ليُمليَ القرآنَ علىٰ محمدٍ، بهذا يُكمِلُ القرآنُ سلسلةَ الوحيِ التي سَبَقت إلىٰ أنبياءِ اليهودِ وإلىٰ عيسىٰ، ومِن ثمَّ يكونُ محمدٌ أعظمَ الأنبياء وخاتَمَهم، ويكونُ القرآنُ هو «الكتاب» الأخيرُ والتعبيرُ الكاملُ عن إرادةِ اللَّه فيما يتعلَّق بحياةِ الناس».

❐ وقال: «كان الإسلامُ تأسيساً لدينٍ جديد، وإمبراطوريةٍ جديدة، وحضارةٍ جديدةً».

❐ وقال: «لقد قامت حضارةٌ أصيلةٌ مستوحاةٌ من العقيدةِ الإسلامية، ومتمتعةٌ بحمايةِ الدولة الإسلامية، ومُدعَّمةٌ بثراءِ اللغة العربية، حضارةٌ تنمو وتتسعُ وتعيشُ طويلاً وقد صنعها الرجالُ والنساءُ من مختلفِ الأعراق والديانات، وقد اصطبغ كلُّ شيءٍ فيها بالعروبة والمبادئِ والقيمِ الإسلامية».

* هربرت فيشر:

مؤرِّخٌ سياسيٌّ إنجليزي، عَمِلَ بعدَ الحرب العالمية الأولىٰ مندوبًا مفوَّضًا لدىٰ «عصبة الأمم»، وفي عام ١٩٢٦م عاد إلىٰ جامعة «أوكسفورد» عميدًا بإحدىٰ كلياتها.

◻ يقول في فَصْلٍ كَتَبه عن الإسلام ضمن كتابه «تاريخ أوروبا»: «لقد وَجَدَتِ الدولُ المسيحيةُ نفسَها تُواجِهُ التحدِّي من حضارةٍ شرقيةٍ جديدةٍ تأسَّست علىٰ دينٍ شرقيٍّ جديد.

وهكذا انتَشرت الحضارةُ الإسلاميةُ، وساهَم فيها (الكثيرون) ليُقدِّموا جميعًا العصرَ الرائعَ للآدابِ والفنونِ الإسلاميةِ، التي مَكَّنت شعوبَ الإسلام من السيادةِ الفكريةِ للعالَم طِيلةَ أربعةِ قرون، بينما كان العقلُ الأوربيُّ غارقًا في قِيعانِ الجهلِ والكسل».

* مارسيل بوازار:

أستاذُ جامعةٍ سويسري، عاش لمدةِ أكثرَ من اثنَيْ عَشَرَ عامًا في بلادٍ عربيةٍ وإسلاميةٍ خاصة، كممثِّلٍ للجنة الدولية للصليب الأحمر في: الجزائر واليمن والمملكة العربية السعودية وسوريا والأردن ومصر، وبصفته مديراً مشاركًا في برامج التثقيفِ الدبلوماسي بالمعهد الجامعي للدراسات الدولية العليا بجنيف، وكمندوبٍ مفوَّضٍ أوربي بالجمعيةِ الثقافيةِ الدوليةِ المعروفة باسم «الإسلام والغرب»، فإنه قام بنَشرِ عدةِ بحوثٍ حولَ بعضِ أوجُهِ الحضارةِ الإسلامية، وحولَ عددٍ من موضوعاتِ السياسةِ الثقافيةِ في بلچيكا والنمسا وباكستان والمغرب وغيرها من البلدان.

□ يقول «مارسيل بوازار» في كتابه «الجوانب الإنسانية في الإسلام»(١): «الإسلامُ دينٌ وحضارة. . لا شك في أن الوحيَ الدينيَّ قد ظَهر في منطقةِ الشرقِ الأوسط، مَهْدِ دياناتِ التوحيدِ الثلاث، ولعل الإسلامَ يُعتبرُ هو التجلِّيَ الأخيرَ والأكملَ للحضارةِ في هذه المنطقةِ من العالم، ولقد نَفَذَت أفكارُه إلىٰ أوربا، وآسيا باللغة العربية، عَبْرَ البحرِ الأبيضِ المتوسطِ وفوقَ جبالِ البرانس.

والإسلامُ باعتبارِه دينًا ـ وِفقَ المعاني الاشتقاقيةِ الثلاثِ لكلمةِ الدين في اللغة الفرنسية ـ، فإنه يَقتضي ـ من ناحيةٍ ـ اختيارًا تطوُّعيًّا، أو اختيارًا حرًّا بالخضوعِ إلىٰ شريعةٍ وإلىٰ قواعدَ للأخلاق، وممارسةِ الشعائرِ، كما يستلزمُ ـ من ناحيةٍ أخرىٰ ـ تصنيفَ تراثٍ إنسانيٍّ خاصٍّ والحفاظَ عليه.

وأخيرًا ـ وعلىٰ وجهِ الخصوص ـ، فإنَّه يُحدِّدُ وَضْعَ المؤمنِ أمامَ القيوم، وكذلك علاقاتِ التضامنِ بين الناس، وهكذا يَظهرُ لنا الإسلامُ كعملٍ باهرٍ ومتوافقٍ سياسيًّا واجتماعيًّا، وظاهرةً تاريخيةً جديرةً بالتأمل والاعتبار.

وفي كلمةٍ موجزة، فإنَّ الإسلامَ حضارةٌ أَعطت مفهومًا خاصًّا للفرد، وحدَّدت بدقةٍ مكانَه في المجتمع، وقَدَّمت عددًا من الحقائقِ الأوليةِ التي تحكمُ العلاقاتِ بين الشعوب، كما أن هذه الحضارةَ لم تُقدِّمْ فقط مساهمتَها التاريخيةَ الخاصةَ في الثقافةِ العالمية، ولكنها كانت تؤكِّدُ أيضًا ـ ولها مبرراتُها ـ علىٰ تقديمِ حلولٍ للمشاكلِ الرئيسةِ للأفرادِ والمجتمعاتِ، والمشاكلِ الدوليةِ

(١) الترجمة الحرفية لاسم الكتاب هي «إنسانية الإسلام» وأولىٰ منها أن يقال: «الجوانب الإنسانية في الإسلام».

التي تُثيرُ الاضطراباتِ في العالمِ المعاصر».

- وقال: «لقد أنجَبَ هذا الدينُ «أمّةً»، وأوجَدَ أسلوبًا للحياةِ والعملِ والتفكير، وفي كلمةٍ واحدة، فقد أنجبَ «حضارةً».

ويؤكِّدُ الإسلامُ طُموحَه السياسيَّ علىٰ المستوىٰ العالمي، ويتابعُ انتشارَه بانتظامٍ، وخاصةً في أفريقيا السوداء، وإذا نظرنا اليومَ إلىٰ كِيانِ الإسلامِ ووِحدته، تَبين أنه ليس جسداً مَيْتًا نُقشت عليه ذكرياتُ ماضٍ مجيد، وإنما هو واقعٌ حيٌّ فعلاً.

ويدلُّ التاريخُ علىٰ وجودِ حقيقةٍ ثابتةٍ مثاليةٍ في الحضارة الإسلامية، التي كانت منذُ بَدئِها - ولا تزالُ - متوجِّهةً توجُّهًا كاملاً نحوَ اللَّه، وهذه الظاهرةُ التي تَغيبُ دائمًا عن الفكرِ والتحليلِ الغربيِّ الحديث، تُعطي للإسلامِ طابعَه المتميِّزَ بالدوام».

- وقال: «لقد أظهرت الرسالةُ القرآنيةُ وتعاليمُ النبيِّ أنها تقدُّمِيَّةٌ بشكلٍ جوهري، وتُفسِّرُ هذه الخصائصُ المميزةُ انتشارَ الإسلامِ السريعَ بصورةٍ عجيبةٍ خلالَ القرونِ الأولىٰ من تاريخه.

ومن المفيد أن نُسجِّل إلىٰ أيِّ مَدًىٰ يؤثِّرُ مفهومٌ معيَّنٌ للعلم والإيمانِ بمصيرٍ عالميٍّ للإنسانية، في طَبعِ السلوكِ اليوميِّ لملايين الأنفُسِ من البشر، ولا يمكنُ لأيِّ طريقةٍ مُثلىٰ (أيديولوجية) معاصرةٍ أن تَدَّعي منافسةَ الإسلامِ في هذا الصدد».

- وقال: «لم يكن محمدٌ حاكمًا مستبِدًّا (أتوقراطيًّا)».

- وقال: «في الإسلام لا يمكنُ فَهمُ السياسةِ بعيدًا عن الدين».

* عالَمِيَّةُ الإسلام:

◻ وقال: «علاوةً علىٰ أن الإسلامَ حقيقةٌ إلهيةٌ تامةٌ ومَثَلٌ أعلىٰ رُوحيٌّ كامل، وأنه خُلق كيانًا سياسيًّا وتنظيمًا اجتماعيًّا خاصَّين به، فهو [حقيقةٌ] عالميةٌ ترتكزُ علىٰ وَعيٍ عميقٍ بالتوحيد، إذ كان دينَ اليقين الذي يدفعُ طاقاتِ المؤمنين وإرادتِهم الواعيةَ نحو تنظيمِ العالم الدنيوي».

◻ وقال: «إنَّ فعاليةَ الإسلامِ وحيويتَه حقيقةٌ واقعةٌ علىٰ المستوىٰ الديني، يشهدُ لها استمراريتُه في تحولُّ الناسِ إليه، فالإسلامُ ينتشرُ أكثرَ من أيِّ دينٍ آخَرَ وخاصةً في أفريقيا وآسيا، حيث تَكتسبُ البساطةُ المنطقيةُ لعقيدتِه ويُسر تعاليمه مهتدِين إليه جُددًا كلَّ عام».

* المستقبل للإسلام:

◻ قال «برناردشو»: «لقد تنبَّأتُ بأن دينَ محمدٍ سيكونُ مقبولاً في أوربا الغد، كما أنه بدأ يكونُ مقبولاً في أوروبا اليوم».

◻ وقال: «إنه الدينُ الوحيدُ الذي يَبدو لي أنه يمتلكُ القدرةَ علىٰ استيعابِ تغيُّرِ أطوارِ الحياةِ بما يجعلُه مَحلَّ إعجابٍ لكلِّ العصور».

* روجيه دي باسكيه:

هو الكاتبُ والصحفيُّ السويسري الذي اعتنق الإسلام، تحت اسم «سيدي عبدالكريم»، وكذلك أسلمت زوجتُه الهولندية.

◻ قال «روجيه دي باسكيه»: «إن الإسلامَ بأبعاده الأفقية والرأسية، قادرٌ علىٰ عملٍ توافُقٍ قويٍّ بين الإنسان والكونِ المحيطِ به، وكذلك بين الإنسانِ والإلهِ خالقِ كلِّ شيءٍ ومبدعه، إن الإسلامَ

عـالميٌّ بكلِّ معنَىٰ الكلمة .

فمهما حَدَث في العالَم الغربيِّ المزدهِرِ وفاسدِ الأخلاق، أو حَدَث للشعوب التي تُعاني من فقرِ المستلزماتِ الماديةِ للحياةِ مثلِ تلك التي يُطلَقُ عليها «العالم الثالث»، فإن الإسلامَ يُقدِّمُ الحلَّ الأكثرَ وضوحًا وجوهريةً وحتميةً، من أجلِ مواجهةِ التحدي الحديث .

وبالنسبةِ لهؤلاءِ الذين يَعتنقون الإسلامَ ويُطبِّقونه عمليًّا، فإنه يُقدِّمُ لهم العلاجَ الأكثَرَ فعاليةً وشفاءً من شرور هذا العصر» .

◻ وكتب كتابًا من أجلِ تعريفِ الغربِ بالإسلامِ تحت اسم «اكتشاف الإسلام» قال فيه : «من المسلَّمِ به حاليًا وبوجهٍ عام، أنه بينما تتراجعُ الدياناتُ الكبرىٰ ـ أو علىٰ الأقلِّ تتخذُ موقفَ الدفاع ـ، فإن الإسلامَ ذاتَه في تقدم، وتُعطي أفريقيا أكثرَ الأمثلةِ وضوحًا علىٰ ذلك .

إن قوةَ الإسلامِ هذه ـ مقارنةً بضعفِ المسيحية ـ تُمثِّلُ حقيقةً كبرىٰ في التاريخ المعاصر، ولقد قامت عدَّةُ دراساتٍ اجتماعيةٍ واستشراقيةٍ بمحاولةٍ لتفسير ذلك، فأظهرت أن هناك وجهاتِ نظرٍ عديدة .

لقد جاء الإسلامُ إلىٰ الناسِ لمساعدتهم علىٰ عبورِ هذه المرحلةِ الأخيرةِ من التاريخِ العالمي، دون أن يتعرَّضوا للضياع، وباعتبارِه الوحيَ الأخيرَ في سلسلةِ النبوات، فإنَّه يُقدِّمُ وسائلَ لمقاومةِ الفوضىٰ التي تَسُودُ العالَم حاليًا، وإقرارِ النظامِ والنقاءِ في داخلِ الإنسان، وإيجادِ التآلُفِ والانسجامِ في العلاقاتِ الإنسانيةِ، وتحقيقِ الهدف الأسمىٰ الذي من أجله دعانا الخالقُ إلىٰ هذه الحياة» .

❑ وقال: «والإسلام بأبعادِه الأُفقيةِ والرأسيةِ قادرٌ علىٰ عَمَلٍ تُوافُقٍ قويٍّ بين الإنسانِ والكونِ المحيط به، وكذلك بين الإنسانِ والإلٰهِ خالقِ كلِّ شيءٍ ومُبدِعه، إن الإسلامَ عالميٌّ بكلِّ معنىٰ الكلمة، إن الغربَ المسيحيَّ - أو الذي فقد مسيحيته - لم يَعرِفِ الإسلامَ أبدًا».

❑ ويرىٰ مارسيل بوازار أن الإسلام هو الحلُّ لمشاكل العالَم، ويقول: «لقد عَرف الإسلامُ - بمحافظته علىٰ العقيدة - كيف يقاومُ تحطيمَ جماعتِه السياسية، ولم يكنِ الإسلامُ منذ ظهورِه وتحتَ إدارةِ النبيِّ إلاَّ ثوريًّا معتدلاً علىٰ المستوىٰ الاجتماعي، فهناك تكليفٌ مفروضٌ بالتكافل والتضامنِ علىٰ جميعِ أعضاءِ الجماعةِ المسلمة، مِن أجلِ تأمينِ الرخاءِ والكرامةِ لجميعِ الأفرادِ في حدودِ الإمكاناتِ المتاحة، ويُمثِّلُ هذا مظهراً متمِّمًا لطابعِ الجماعةِ المسلمةِ وشيئًا تتميزُ به مبادئُ الأخلاق التي طَبَعها الوحيُ القرآني.

ولقد أقام الإسلامُ نظامًا اقتصاديًّا مرتكزًا علىٰ الأخلاقِ، وذلك بتنظيمِ توزيعِ الدخلِ عن طريقِ نظامٍ ضريبيٍّ مقدسٍ هو «الزكاة»، وبإدخالِ مفهومٍ جديدٍ للملكية الخاصةِ التي ليست في كلمةٍ موجزةٍ سوىٰ حقِّ انتفاعٍ بالنِّعم التي أفاءها اللَّهُ علىٰ الإنسان، وبذلك حقق الإسلامُ - من وجهةِ نظرٍ خاصة - الجمعَ بين قِيمتي رأسِ المالِ والعمل».

❑ وقال مونتجمري وات: «من المؤكَّد أن الإسلامَ منافسٌ قويٌّ في مجال إعطاءِ النظامِ الأساسيِّ للدينِ الوحيدِ الذي يَسُودُ في المستقبل».

❑ وقال إدوارد مونتيه: «احتفظ القرآنُ بمنزلتِه الثابتة، كنقطةِ البداية الرئيسةِ لفَهمِ الدين، وصار يُعلِنُ دائمًا عن عقيدةِ توحيدِ اللَّه في سُمُوٍّ

وجلالٍ وصفاءٍ دائمٍ، مع اقتناعٍ يقينيٍّ متميِّزٍ من الصعب أن يُوجَدَ ما يفوقُه خارجَ نطاقِ الإسلام».

☐ وقال چورچ برنادرشو عن رسول اللَّه ﷺ : «يجبُ أن يُسمَّي «منقذَ الإنسانيةَ»، وإني أعتقدُ لو أن شخصًا مثلَه تولَّىٰ الحكمَ المُطلَقَ للعالَمِ المعاصِرِ، لَنجح في حلِّ مشاكِلِه بطريقةٍ تجلبُ له ما هو في أشدِّ الحاجةِ إليه من سلامٍ وسعادة».

☐ وذكر الأمير شكيب أرسلان في كتابه «لماذا تأخَّر المسلمون؟» ـ بعد كلامه عن الفتوحاتِ الإسلامية ـ: «علىٰ أن تلك الفتوحاتِ التي فتحوها في نصفِ قرنٍ ـ أو ثُلُثَيْ قرنٍ ـ قد أدهَشَت عقولَ العقلاء والمؤرِّخين والمفكِّرين، وحَيَّرتِ الفاتحين الكبار، وأَذهَلَت «نابليون بونابرت»، وله تصريحٌ في ذلك نَقَله «لاكاس» الذي رافقه إلىٰ جزيرة «سانتة هيلانة» وغيرُه من المقيِّدين لحوادثِ نابليون المتتبِّعين لأقواله، فقد ثَبَت ثُبوتًا قطعيًّا من أقوال نابليون وسيرتِه أيامَ كان بمصرَ أنه كان مُعجبًا بمحمدٍ ﷺ وعُمر رضي الله عنه وبكثيرٍ من أبطالِ الإسلام، وأن نفسَه حدَّثته لَمَّا كان بمصَر أن يتَّخذ الإسلامَ دينًا له»[1].

☐ ونختم بما قال «مايكل هارت»: «لكنَّ محمدًا كان هو الإنسانَ الوحيدَ في التاريخ الذي بَلَغ أعلىٰ درجـاتِ النجـاحِ علىٰ المسـتويَيْنِ الدينـيِّ والدنيوي.

وبسببِ هذا الجَمعِ ـ الذي لا نظيرَ له بين الدينِ والدنيا ـ أرىٰ أن محمدًا من حقِّه أن يُعتبرَ أعظمَ الشخصياتِ البارزةِ أثرًا في تاريخِ الإنسانية».

(١) «لماذا تأخر المسلمون؟» (٢١، ٢٢).

فصل

وقفات فقهية
مع حكم سب النبي ﷺ
والاستهزاء به ولمزه
والطعن فيه وفي رسالته

سبُّ النبيِّ ﷺ أو تنقُّصُه بتعريضٍ أو نصٍّ

*** تعريف «السَّبِّ»:**

«السبُّ» لغةً واصطلاحًا: الشَّتْم، وهو مشافهةُ الغيرِ بما يكره، وإنْ لم يكن فيه حدٌّ، كـ «يا أحمق، ويا ظالم»(١).

◘ قال الدسوقي: «هو كلُّ كلامٍ قبيح.. وحينئذٍ فالقذفُ، والاستخفافُ، وإلحاقُ النقصِ، كلُّ ذلك داخلٌ في السبِّ»(٢).

*** ألفاظ السَّبِّ:**

◘ من ألفاظِ السَّبِّ قوله: «كافر، سارق، فاسق، منافق، فاجر، خبيث، أعور، أقطع، ابن الزَّمِن، الأعمى، الأعرج، كاذب، نمَّام»(٣).

*** الألفاظُ ذاتُ الصلة بالسَّبِّ:**

أ ـ العيب.

٢ ـ العيبُ خلافُ المستحسَنِ عقلاً، أو شرعًا، أو عرفًا، وهو أعمُّ من السب(٤).

◘ قال الزُّرقاني: «فإنَّ مَن قال: «فلانٌ أعلمُ من الرسول ﷺ»، فقد

---

(١) الزرقاني على المواهب اللدنيَّة (٥/ ٣١٨)، و«الدسوقي مع الشرح الكبير» (٤/ ٣٠٩).
(٢) «الدسوقي مع الشرح الكبير» (٤/ ٣٠٩).
(٣) «المغني» (٨/ ٢٢٠).
(٤) «الدسوقي» (٤/ ٣٠٩)، و«تحفة المحتاج مع حواشي الشرواني وابن قاسم العبادي» (٨/ ٩٦).

عابه، ولم يَسُبَّه»[١] .

ب ـ اللعن :

٣ ـ اللعن : هو الطردُ من رحمة اللَّه تعالىٰ[٢] ، لكنه يُطلَقُ ويرادُ به السبُّ .

● رویٰ البخاري : «**إن من أكبرِ الكبائرِ أن يَلعَنَ الرجلُ والدَيه**» ، قيل : يا رسولَ اللَّه ، وكيف يَلعنُ الرجلُ والدَيه؟ قال : «**يَسُبُّ الرجلُ أبا الرجلِ، فيَسُبُّ أباه، ويَسُبُّ أُمَّه، فيَسُبُّ أُمَّه**»[٣] .

● وروىٰ مسلم في «الصحيح» : «**من الكبائرِ شَتمُ الرجلِ والديه**». قالوا : يا رسولَ اللَّه ، وهل يَشتُمُ الرجـلُ والديـه؟ قال : «**نعـم، يَسُبُّ أبا الرجل فَيسُبُّ أباه، ويَسُبُّ أُمَّه فيَسُبُّ أُمَّه**»[٤] .

فَسَّر رسولُ اللَّه ﷺ اللعنَ بالشتم .

□ وقال ابنُ عبدالسلام : «اللعنُ أبلغُ في القُبحِ من السبِّ المطلَق»[٥] .

جـ ـ القذف :

٤ ـ يُطلَقُ «السبُّ» ويُرادُ به القَذفُ، وهو الرَّميُ بالزِّنىٰ في مَعرِضِ

(١) «الزرقاني علىٰ المواهب اللَّدنيَّة» (٥/ ٣١٥).
(٢) «قواعد الأحكام في مصالح الأنام» لعز الدين بن عبدالسلام (١/ ٢٠). و«الفتاوىٰ البزازية» (٤/ ٢٩١).
(٣) أخرجه البخاري (الفتح ١٠/ ٤٠٣ ـ ط السلفية) من حديث عبداللَّه بن عمرو.
(٤) أخرجه مسلم (١/ ٩٢ ـ ط الحلبي) من حديث عبداللَّه بن عمرو.
(٥) «قواعد الأحكام» (١/ ٢٠).

التعيير[1] كما يُطلَقُ «القذفُ» ويُراد به السبُّ[2] .

وهذا إذا ذُكر كلٌّ منهما منفرداً .

● فإذا ذُكرَا معًا، لم يَدُلَّ أحدُهما على الآخر[3] ، كما في حديثِ رسولِ اللَّه ﷺ: «أتدرُون ما المُفلسُ؟». قالوا: المُفلِسُ فينا مَن لا درهمَ له ولا متاع. قال: «إنَّ المفلسَ من أمتي مَن يأتي يومَ القيامة بصلاة وصيامٍ وزكاة، ويأتي قد شتَم هذا، وقذَف هذا، وأكَل مالَ هذا، وسفَك دمَ هذا، وضرَب هذا، فيُعطَى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنيَتْ حسناتُه قبلَ أن يَقضيَ ما عليه، أُخذ مِن خطاياهم، فطُرحت عليه، ثم طُرح في النار»[4] .

وعند التغايُرِ يكونُ المرادُ بالقذفِ: ما يُوجبُ الحدَّ، وبالسبِّ: ما يُوجبُ التعزيرَ إنْ كان السبُّ غيرَ مكفِّرٍ[5] .

* بيانُ ما هو في حقِّه ﷺ سبٌّ أو نَقصٌ من تعريضٍ أو نص:

❑ قال العلاَّمة شهابُ الدين أحمد بن محمد الخفاجي في «نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض»: «مَن سَبَّ النبيَّ ﷺ وشتَمه «أو نَقَصه» مما لا يَليقُ به - وإن لم يكن سبًّا - «من تعريض» بطريقِ الكناية والإيماء،

(١) «الجمل على المنهاج» (٥/ ١٢٢)، «أسهل المدارك» (٣/ ١٩٢)، وابن عابدين (٤/ ٢٣٧)، «إعانة الطالبين» (٤/ ١٥٠)، «تبصرة ابن فرحون» (٢/ ٢٨٧).

(٢) «فتح القدير» (٤/ ٢١٣)، و«تبصرة ابن فرحون» (٢/ ٢٨٦ - ٢٨٧).

(٣) «إعانة الطالبين» (٤/ ٢٩٥).

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٧ - ط الحلبي) من حديث أبي هريرة.

(٥) انظر «الموسوعة الفقهية» ط - وزارة الأوقاف الكويتية.

«أو نصٌّ» صريحٌ لا يَحتملُ التأويل، فقد قال القاضي عياض ـ رحمه اللَّه ـ: (اعلمْ وَفَّقَنا اللَّه وإياك) لمعرفةِ حق النُّبوَّة وما يجبُ له ﷺ، (أنَّ جميعَ من سَبَّ النبيَّ ﷺ) بشتمِه (أو عابه) ـ هو أعمُّ مِن السَّب، فإنَّ من قال: «فلانٌ أعلمُ منه ﷺ»، فقد عابه ونَقَصَه ولم يَسُبَّه ـ، (أو ألحق به نقصًا في نفسِه)، وذا مِمَّا يتعلَّقُ بخُلُقِه وخِلْقَته (أوْ نسبه)، كأنْ يُفضِّلَ أحدًا على قومِه وأصوله، وكأن يقول: «إنه ﷺ لم يكن قرشيًّا»، فإنه كَفَر، كما صَرَّح به الفقهاء، وليس من تنقيصِ النسبِ ما وقع من الاختــلافِ في إسـلامِ أبوَيْـه ـ كما هو ظاهر ـ.

(أو دينه) أي: نَقَصَ شريعتَه أو نَسَبَه لقُصورٍ، فيما يجبُ منها (أو خَصلةٍ من خصاله) وصفةٍ من صفاته كشجاعتِه وكرمه، (أو عَرَّض به)، أي: قال في حقِّه ﷺ ما لا يَليقُ به تعريضًا لا تصريحًا، (أو شَبَّهه بشيءٍ غيرِ حسنٍ (على طريق السَّبِّ له) بتنقيصِه (أو الإزراء عليه)، أي: التنقيص له، وإن لم يكن قصَد السَّبَّ، (أو التصغير بشأنه)، أي: تحقيرَه، كتصغير اسمه، أو صفةٍ من صفاته (أو الغضِّ منه) بمعنًى، (أو العيب له، فهو سابٌّ)، أي: كالسابِّ معنًى.

(وكذلك مَن لَعَنه، أوْ دعا عليه، أو تَمنَّى له مَضَرَّةً له، أوْ نَسَب إليه ما لا يَليقُ بمنصِبه)، أي: بأصلِه وحَسَبه، وهذا هو حقيقةُ المَنصِبِ (على طريق الذَّمِّ) له (أو عَبَثَ) أي: ما قاله على طريقِ الهزلِ والمُجونِ (في جِهتِه العزيزة)، أي: بشيءٍ له تعلُّقٌ بجانبه الشريف (بسُخفٍ من الكلام وهُجْرٍ، ومُنكَرٍ من القول وزور، أو عَيَّره بشيءٍ مما جرىٰ من البلاءِ والمِحنةِ عليه)، (أو غَمَصَه)، أيْ: نَقَص من قَدْرِه ﷺ (ببعضِ العوارضِ البشريةِ الجائزةِ

والمعهوده لديه. . قال أبو بكر بن المنذر: أجمَعَ عوامُّ أهلِ العلم) هو جَمعُ «عامةٍ»، بمعنىٰ جماعةٍ كثيرة، والمتقدمون ـ كالشافعي ـ يُعَبِّرون بهذه العبارةِ للعموم، ولِيس المرادُ العاميَّ، فإنه غيرُ صحيح، إذْ لا عِبرةَ بهم وبإجماعهم؛ لأن العاميَّ لا يكونُ أهلَ علمٍ، (علىٰ أنَّ مَن سَبَّ النبيَّ) ﷺ (يُقتل) مطلقًا، (وممن قال بذلك)، أي: حكَم بقتله مطلقًا: (مالكُ بنُ أنسٍ، والليثُ بنُ سَعد، وأحمدُ، وإسحاقُ، وهو مذهبُ الشافعي). قال القاضي عياض: (وهو مقتضىٰ قولِ أبي بكرٍ الصِّدِّيق، ولا تُقبَل توبتُه عند هؤلاء) القائلين بوجوبِ قتلِه مطلقًا، صَوْنًا لمقامِ النُّبُوَّة، كما قال المتنبِّي:

لا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرفيعُ من الأذى حتى يُراقَ على جوانِبِه الدمُ

◻ وقال الإمام محمد بن سَحنون: «أجمع العلماءُ علىٰ أنَّ شاتم النبي ﷺ المتنقِّصَ له كافرٌ، والوعيدَ جارٍ عليه بعذابِ اللَّه له: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١]، وحُكمه عند الأُمَّةِ القتلُ، ومَن شَكَّ في كُفره وعذابِه كَفَر». . لأن الرضىٰ بالكُفْر كُفر.

واحتجَّ إبراهيمُ بنُ حُسينِ بنِ خالدٍ الفقيهُ في مِثلِ هذا بقَتلِ خالدِ بنِ الوليد رضي الله عنه مالكَ بنَ نُويرةَ لقوله عن النبي ﷺ، «صاحبكم» يعني به النبيَّ ﷺ، وفيه تنقيصٌ له بتعبيرِه عنه بـ«صاحبكم» دونَ «رسولِ اللَّه» ونحوه، وإضافتُه لهم دونه المُشعِرُ ذلك بالتبرِّي من صُحبته ﷺ، واتِّباعِه واستنكافه، وهو في غايةِ الظهور، ومالكُ بنُ نُويرة هذا كان له وِفادةٌ علىٰ رسول اللَّه ﷺ، وكان شجاعًا شاعرًا سيِّدًا مطاعًا في قومه «بني تميم»، فولاَّه رسولُ اللَّه ﷺ عليهم وعلىٰ أُخذِ زكاتِهم، فمَنعوها بعدَه ﷺ، فأَرسل

أبو بكر ﷺ خالدَ بنَ الوليدِ لطَلَبِها، فقال له مالكُ بنُ نُويرة: «أنا آتِي الصلاةَ دون الزكاة، فقال له: لا تُقبل إحداهما بدون الأخرىٰ، فقال: قد كان صاحبُكم يقول ذلك. فقال خالد: أمَا تراه صاحبًا لك؟! لقد هَممتُ بضربِ عُنقِك، فقال مالكٌ: أبذلك أَمَر صاحبُك، فقال له: أهذه بعد تلك» - يُنكِرُ عليه خالدٌ تكريرَ قولِ «صاحبكم» بعدما وعده عليه -، ثم أَمَر ضرارَ ابنَ الأزور، فضَرب عُنقَه لإنكارِه قَولَةَ: «صاحبكم» مرتين استصغارًا له ﷺ.

◘ وقال أبو سليمان الخَطَّابي: «لا أعلمُ أحدًا من المسلمين اختَلف في وجوب قتلِه إذا كان مسلمًا».

وإنما الخلافُ في الكافر.. وحكاه عبدُاللَّه بن مُطرِّف - وهو ابنُ أختِ الإمامِ مالكٍ - في كتاب ابن حبيب: «من سَبَّ النبيَّ ﷺ من المسلمين قُتِل - ولم يُستَتب -.

◘ وقال ابنُ القاسم في «العتبية»: «مَن سَبَّه، أو شَتَمه[1]، أو عابَه أو تنقصَّه[2]، فإنه يقتل، وحُكمه عند الأُمَّة القتلُ كالزنديق.

◘ وعن عثمانَ بنِ كِنانةَ - وهو من أئمة المالكية - في كتابه «المبسوطة»: «مَن شَتَم النبي ﷺ من المسلمين قُتِل أو صُلِب حيًّا - ولم يُستتب -، والإمامُ مُخَيَّرٌ في صَلبه حيًّا، أو قَتْلِه».

◘ قال مالك: «مَن سَبَّ رسولَ اللَّه ﷺ أوْ شتَمه، أو عابه،

---

(١) بنسبة ما لا يليق به ﷺ، في ذاته ممَّا لا يحقره ككونه جبَّارًا قهَّارًا ونحوهما.

(٢) أي نسب له نقصًا، وإن لم يكن شتمًا كقوله: غيره أعلم منه، أو أعقل.

أو تَنَقَّصَه: قُتِل ـ مسلمًا كان أوْ كافرًا ـ، ولا يُستتاب».

□ وقال أيضًا: «مَن سَبَّ النبيَّ ﷺ أو غيرَه من الأنبياء ـ من مسلمٍ أو كافر ـ قُتِل ولم يُستَتَب».

□ وقال أصبغُ ـ مفتي قرطبةَ المالكي ـ: «يُقتَل على كلِّ حالٍ ـ أسرَّ ذلك أوْ أخفاه ـ، ولا يُستتاب؛ لأن توبتَه لا تُعرَف».

□ وروى ابنُ وهبٍ عن مالك: «من قال: إنَّ رداءَ النبيِّ ﷺ ـ ويُروى: زِرَّ النبيِّ ـ وَسِخٌ ـ أراد به عَيبَه ـ قُتِل»(١).

□ قال ابنُ حجر الهَيتمي ـ بعد سياقِه كلامَ المصنِّف ـ: «ويؤخذُ منه أنه لو أَطلق ذلك، أو قَصَد الإخبارَ عن تواضُعِه ﷺ لا يَكفُر، وهَو ظاهرٌ في إرادةِ التواضعِ، ومُحتَمَلٌ عند الإطلاق؛ لأنه ليس صريحًا في النقص، وإذا قلنا بعدمِ الكفر، فظاهرٌ أنه يُعزَّرُ التعزيرَ البليغَ لذكره ما يُوهِمُ نقصًا.

واختَلفوا فيما لو قال: «كان النبيُّ ﷺ طويلَ الظُّفر»، والذي يَظهرُ أنه لو قال ذلك احتقارًا له ﷺ، أو استهزاءً به، أو على جِهةِ نسبةِ النقصِ إليه: كفر، وإلاَّ فلا، بل يُعزَّرُ التعزيرَ الشديد». . . انتهى ملخصًا.

(وقال بعض علمائنا) ـ يعني المالكية ـ: (أجمع العلماءُ)، تقدَّم الكلام في الإجماع في هذه المسألة، (على أنَّ مَن دعا على نبيٍّ من الأنبياء بالويل)، فقال: «ويلاً له»، وهي كلمةٌ يُدعى بها، ومعناها: الهلاك أو البلاء والمصيبة والعذاب والمشقة.

---

(١) فإن لم يقصد ذلك لم يُقتلَ. وكذا كل أذيَّة فإنها لا تكون كُفرًا إلاَّ إذا قصد بها الأذيَّة له ﷺ، ولذا لم يُكفَّر الخائضون في الإفك مع أنه أذيَّة له ﷺ بنصٍّ القرآن كما صرَّح به السبكي في «السيف المسلول».

(أو) دعا عليه (بشيءٍ من المكروه) مما يكرهُه الناسُ ويَشُقُّ عليهم: (أنه يُقتل بلا استتابة)، أي: لا تُطلَبُ توبتُه ولا تُقبل.

◻ وقال ابنُ حجر الهيتمي في «فتاويه»: «من خصائصه ﷺ أنَّ من زَنا بحضرته كَفَر.. ونَظَّر فيه في «الروضة»، وأُجيب: بأنه ظاهرٌ في الاستخفاف، فكان كفرًا، فيؤخَذُ منه أن غيرَه من الأنبياء كذلك.

(وأفتى القابِسيُّ) أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المغافري القَيرواني شيخ الحديثِ وفقهِ مالكٍ، الضريرُ الزهدُ العابدُ، صاحبُ التصانيفِ الجليلة في الفقه والأصول، عديمُ النظير، تُوفِّي سنةَ ثلاثٍ وأربعَمِئةٍ (فيمن قال في النبيِّ ﷺ: الحَمَّال ـ بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم قبل ألف ولام ـ، وذلك لأنه ﷺ كان إذا اشترىٰ شيئًا من السُّوق حَمَلَه بنفسه، فإذا لَقِيه مَن أراد أن يَحمِلَه قال: «رَبُّ المَتاعِ أولىٰ بحَمَلِه»، كما رُوي في كتب الحديث.

(أو قال: يتيم أبي طالب)؛ لأنَّه ربَّاه بعد موت أبيه وجَدِّه عبدِ المطلب (بالقتل) لِمَا فيه من الاستخفافِ والتحقير، وقَصَد قائلُه ذلك ـ لقيام قرينةٍ عليه ـ.

◻ قال ابنُ حجر: «والظاهرُ أن مذهبَنا لا يأبىٰ ذلك لما في عبارتِه من الدلالة علىٰ الإزراء، فإنْ ذَكَر «يتيم أبي طالب» فقط، لم يكن صريحًا في ذلك فيما يَظهر. نعم إن كان السياقُ يدلُّ علىٰ الإزراء، كان كما لو جَمَع بين اللفظين.

◻ وأفتىٰ شيخُ المالكية بالمغرب ـ الشيخ أبو محمد بن أبي زيد عبدُاللَّه القيرواني المالكي ـ بقَتلِ رجلٍ سَمع قومًا يتذاكرون صِفةَ النبيِّ ﷺ، إذْ مَرَّ

عليهم رجلٌ قبيحُ الوجهِ واللحيةِ فقال لهم: تريدون تعرفون صفتَه ﷺ؟، فقالوا له: نعم، فقال: هي في صفة هذا المَارِّ في خَلْقه ولحيته. قال: ولا تُقبل توبته». . وذلك لكُفرِه وعِظَمِ جُرْمِه.

◻ قال ابنُ حجر: «ومذهبُنا قاضٍ بذلك، وقد كَذَب هذا الرجلُ في مقالته هذه ـ لعنه اللَّه وأخزاه وقَبَّح وجَهَه ـ، وليس يخرجُ ما قاله هذا الملعونُ مِن قلبٍ سليمِ الإيمان، بل عديمِ العقل والإيمان».

◻ وقال أحمدُ بن أبي سليمان صاحب سحنون ـ وهو من كبار علماء المالكية ـ: «مَن قال: «إن النبيَّ ﷺ أَسْوَدُ» يُقتَل»؛ لأنه ﷺ كان من الحُسنِ وبَياضِ الوجهِ بصفةٍ لا تخفىٰ».

فهذا القائلُ قد كَذَب وافترىٰ، ووَصْفه ﷺ بما ليس فيه إشعارٌ بالتحقير ـ لعنه اللَّه وسوَّد وجهَه يومَ تبيضُّ وجوهٌ وتَسودُّ وجوه ـ، وهذا مما صرَّح به الفقهاءُ، وعلَّلوه بأنه قَصَد الكذبَ استخفافًا، فهو كما لو قال: «لم يكن ﷺ قرشيًّا».

◻ وقال ابنُ أبي سليمان أيضًا في رجلٍ قِيل له: «لا، وحقِّ رسول اللَّه»، فقال الرجل المخاطَب: «فَعَلَ اللَّهُ برسولِ اللَّه كذا وكذا» ـ وذَكَر كلامًا قبيحًا ـ، فقيل له: «ما تقولُ يا عدوَّ اللَّه؟!»؛ فقال له أشدَّ من كلامه الأول، ثم قال ـ يُوجِّه كلامَه القبيحَ ويُأوِّله ـ: «إنما أردتُ برسول اللَّه[1] : الصَّعق[2] . .

(١) الذي وصفته بصفات أنكرتموها.

(٢) لأن اللَّه هو الذي أرسلها وساقها كما في قوله: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ [الرعد: ١٣]، وهذا حقيقة معنىٰ الإرسال، وهذا مما لا شك في معناه، وانكاره مُكابَرة، لكنه لا يُقبل من قائله، وادعاؤه أنه مراده؛ لأن «رسول اللَّه» صار في كلامهم لا يراد به إلا الأنبياء =

فقال ابن أبي سليمان للذي سأله: «اشهَدْ عليه وأنا شريكُك» يَريدُ في قتله وثوابِ ذلك.

□ قال يحيىٰ بنُ حبيب بن الربيع - مُوَجِّهًا لقول ابنِ أبي سليمان وفتواه بقتله -: «لأنَّ ادعاءَه التأويلَ في لفظٍ صُراحٍ لا يُقبل؛ لأنَّه امتهان - أي: فيه تحقيرٌ لرسول اللَّه ﷺ - بحَسَبِ صريحه ومدلولِه المعروف، وهو - أي: قائلُه - غيرُ مُعزِّرٍ لرسول اللَّه ﷺ - أي: مُعظِّم - ولا مُوَقِّرٍ له، فوجب إباحةُ دمِه».

□ وأفتىٰ أبو عبداللَّه بن عَتَّاب - من فقهاء المالكية - في عَشَّار - وهو مَن يأخذُ العُشرَ، وهو المَكَّاس -، قال لرجلٍ طَلَب منه المَكْس، فامتنع، وقال له: «إنه ظُلمٌ لا يَرضىٰ به رسولُ اللَّه ﷺ»، فقال له المَكَّاس: «أَدِّ، واشكُ إلىٰ النبيِّ ﷺ منِّي ومن ظُلمِي لك»، - ومثلُه تحقيرٌ للنبي ﷺ والشريعة، كأنه يقول: «لا قُدرةَ له علىٰ دَفْعِه لو كان حيًّا موجودًا الآن»، فلذا أُفتي فيه بوجوبِ القتل.

□ قال ابنُ حَجر: «ومذهبنا قاضٍ بذلك أيضًا، بل الذي يَظهرُ أنَّ مُجرَّدَ قوله: «أدِّ واشْكُ إلىٰ النبي ﷺ» - بقصدِ عدمِ المبالاة - كفرٌ أيضًا».

□ وأفتىٰ فقهاءُ الأندلس بقتلِ ابن حاتمٍ المتفقِّه الطُّلَيطِلِيِّ وصَلْبِه بما شُهِد عليه به من استخفافِه بحقِّ النبيِّ ﷺ وتسميتِه إيَّاه أثناءَ مناظرته «باليتيم»[1]،

= والرسل عليهم الصلاة والسلام، ولا يخطر غيره ببال أحد، فلذا لم يقبل تأويله. قال ابن حجر: ومذهبنا لا يأبىٰ ذلك.

(١) كما كان يقوله الكفرة استخفافًا به وإزراءً، ومثل هذا إذا سبق مُشْعِرًا بتحقيرٍ كان كُفرًا، فإن لم يشعر به جاز كما في قول البوصيري في البردة:

كفاك بالعلم في الأمِّيِّ معجـزةً   في الجاهلية والتأديب في اليُتمِ

و«خَتَنِ حَيْدَرَةَ»[١] ، وزَعمِه أن زُهدَه لم يكن قصداً[٢] ، ولو قَدَر على الطيِّبات أكَلَها . . إلىٰ أشباهٍ لهذا .

قال ابنُ حجر : «ومذهبُنا لا يُنافي ذلك، بل زَعمُه ما ذَكَر في الزهد ينبغي أن يكونَ كافيًا في كُفره، وهو ظاهرٌ لنسبةِ النقصِ إليه ﷺ» .

وأفتىٰ فقهاءُ القيروان وأصحابُ سحنون بقتلِ إبراهيمَ الفَزَاريِّ، وكان شاعراً متفنِّنًا من العلوم، وكان ممن يَحضُرُ مجلسَ القاضي «أبي العباس بن طالب» للمناظرة، فرُفِعت عليه أمورٌ مُنكَرَةٌ من هذا الباب في الاستهزاء باللَّه تعالىٰ وأنبيائِه ونبيِّنا عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام، فأحضر له القاضي يحيىٰ بنَ عمر ـ وهو قاضي القيروان وعالمُها ـ . وغيرَه من فقهاء المالكية، وأَمَر بقَتلِه وصَلْبِه، فطُعِن بالسكينِ وصُلِب مُنَكَّسًا، ثم أُنزِل وأُحرِق بالنار .

ومن قال : «إن النبيَّ هُزم»، يُستتاب، فإن تاب وإلاَّ قُتل لأنه تنقيصٌ .

قال ابنُ حجر : «وقضيةُ مذهبنا، أنه لا يكفرُ بذلك، إلاَّ إنْ قاله على قصدِ التنقيص؛ لأنَّه ليس صريحًا فيه، لأنَّ الهزيمةَ قد تكونُ من الجبِلاَّت البشرية، فإنْ لم يَقصِدْ ذلك لم يَكفُرْ، بل يُعَذَّر التعزيرَ الشديد» انتهىٰ .

وحُكم من غَمَصَه أو عَيَّره برعايةِ الغَنَم، أو بالمَيلِ إلىٰ نسائه، فحُكم

---

(١) ختن حيدرة: أي قال الطليطلي: إنه ختن حيدرة، أي: أبو زوجته، يعني: فاطمة الزهراء رضي الله عنها، فعبَّر به عنه ﷺ استخفافًا به، فحكموا بقتله. والخَتَن: كل قريب لامرأة رجل، كأب، وأخ.

(٢) يعني: أن زهده ﷺ لم يكن قصداً منه واختياراً، بل عجزاً واضطراراً.

هذا كلُّه لمن قَصَدَ نَقْصَه القتلُ.

◻ قال السيوطي في كتابه «تنزيه الأنبياء عن تسفيه الأغبياء» ـ وهو كتابٌ جليل ـ أن رجلاً سَبَّ آخَرَ بأنه راعٍ، فقال له: ما مِن نبيٍّ إلاَّ رعىٰ الغنم بجمعٍ من العامة.

◻ فقال قاضي القضاة المالكي: «لو رُفع لي هذا ضربته بالسياط»، فلما سُئلت عنه أجبتُ بأنه يُعذَّرُ أبلغَ تعزير؛ لأنه لا ينبغي ضَرْبُ آحادِ الناس مثلاً لنفسه بالأنبياء، والمستدلُّ بمثله قد يكونُ في مقامِ التدريسِ والإفتاءِ والتصنيف، وبيانُ العلمِ لأهلِه لا يُنكَرُ عليه، إمَّا في مقام الخصام والتبرِّي عن مَعَرَّةِ نقصٍ نُسَبٍ له أو لغيره، فهو محلُّ الإنكارِ والتأديبِ لا سيَّما بحضرةِ العوام وفي الأسواق، فهو سبٌّ وقذف، ولكلٍّ مقامٍ مقالٌ يناسبه.

وسُئل الحافظُ ابنُ حجر: عمَّا يَقعُ في المَوَالِدِ من الوُعَّاظِ بين العوامِّ مِن ذِكرِ الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، بما يُخِلُّ بالتعظيم، حتىٰ يَحصُلَ لسامعه رِقَّةٌ وحُزن، كقولهم: «إن المَراضعَ لم تأخُذْه ﷺ لعدمِ ماله حتىٰ أَخذَتْه «حليمةُ» شفقةً عليه»، ويقولون: «إنه كان يَرعىٰ غنمًا»، وينشدون في ذلك:

بأغنـــامه ســار الحبيبُ لكي يَرعَى ... فيا حبَّـذا راعٍ فـــؤادي له يَرعــى

فأجاب بأنه ينبغي أن يُحذَفَ من الخبر ما يُوهِمُ نقصًا، وإن لم يَضُرَّه، بل يجبُ ذلك» انتهىٰ[1].

(١) انتهىٰ مُلَخَّصًا من «نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض» لشهاب الدين أحمد ابن محمد الخفاجي (٦/ ١٤٦ ـ ١٦٤) ـ دار الكتب العلمية.

📖 وفي «الموسوعة الفقهية» الصادرة عن وزارة الأوقاف الكويتية :

* حُكمُ مَن سَبَّ النبيَّ ﷺ :

* سبُّ المسلم النبيَّ ﷺ :

ـ إذا سَبَّ مسلمٌ النبيَّ ﷺ، فإنه يكونُ مرتدًّا[١] . . وفي استتابته خلاف[٢].

* سَبُّ الذِّمِّيِّ النبيَّ ﷺ :

ـ للعلماءِ عِدَّةُ أقوالٍ في حُكمِ الذِّمِّيِّ إذا سَبَّ النبيَّ ﷺ :

فقيل : إنه يُنقَضُ أمانُه بذلك ـ إن لم يُسْلِم ـ، وقيل غيرُ ذلك[٣] .

ويُقتلُ وجوبًا عند المالكية بهذا السبِّ إن لم يُسلِم ، فإن أسلَمَ إسلامًا ـ غيرَ فارٍّ به من القتل ـ لم يُقتل ، لقوله تعالىٰ : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال : ٣٨] .

---

(١) «الفتاوىٰ البزازية» (٦/ ٣٢١ ـ ٣٢٢)، «فتاوىٰ عليش» (٢/ ٢٥)، «تبصرة ابن فرحون» (٢/ ٢٨٦)، «الجمل علىٰ المنهج» (٥/ ١٣٠)، «التحفة مع حاشيتي الشرواني وابن قاسم العبادي» (٨/ ٩٦)، «المغني» لابن قدامة (٨/ ١٥٠)، «الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف» (١٠/ ٣٢٦، ٣٣٢)، «الزرقاني علىٰ المواهب» (٥/ ٣١٨، ٣١٩) ـ ط. دار المعرفة.

(٢) «الفتاوي البزازية» (٦/ ٣٢٢)، و«الزرقاني علىٰ المواهب» (٥/ ٣٢١)، «منح الجليل» (٤/ ٤٧٧)، «فتح العلي المالك» (٢/ ٢٥)، «الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف» (١٠/ ٣٣٢).

(٣) «فتح القدير» (٤/ ٣٨١، ٤٠٧)، «منح الجليل» (٤/ ٤٧٧)، «الزرقاني علىٰ خليل» (٣/ ١٤٧)، «الخرشي» (٤/ ١٤٩)، «المغني» لابن قدامة (٨/ ٢٣٣، ٥٢٥)، «الإنصاف» (١٠/ ٣٣٣).

قالوا: وإنما لم يُقتل إذا أسلم - مع أن المسلمَ الأصليَّ يُقتل بسبِّه ﷺ، ولا تُقبل توبته - من أجلِ حقِّ الآدمي، لأنَّا نعلمُ باطنَه في بُغضِه وتنقيصِه بقلبِه، لكنَّا منعناه من إظهارِه، فلم يَزِدْنا ما أظهَرَه إلا مخالفتَه للأمر، ونقضًا للعهد، فإذا رَجَع إلى الإسلام سَقَط ما قبلَه، بخلافِ المسلم، فإنا ظننَّا باطنَه بخلافِ ما بدا منه الآن[1] .

◻ وعند الشافعية: إنِ اشتُرِطَ عليهم انتقاضُ العهد بمِثل ذلك، انتُقض عهدُ السابِّ، ويُخيَّرُ الإمامُ فيه بين القتل والاسترقاق والمَنِّ والفداء - إن لم يَسألِ الذِّميُّ تجديدَ العقد -[2] .

ولا فَرقَ بين نبيٍّ وغيرِه من سائرِ الأنبياء - وكذا الرسلُ -، إذ النبيُّ أعمُّ من الرسول على المشهور[3] .

والأنبياءُ الذين تَخُصُّهم هذه الأحكامُ هم المتَّفَقُ على نبوَّتِهم، أمَّا مَن لم تَثبُتْ نبوَّتُهم، فليس حُكمُ مَن سبَّهم كذلك، ولكن يُزجَرُ مَن تَنَقَّصهم أو آذاهم، ويؤدَّبُ بقدْرِ حالِ القولِ فيهم، لا سيَّما مَن عُرفت صِدِّيقيَّتُه وفَضلُه منهم - كمريم -، وإن لم تَثبُتْ نبوَّتُه، ولا عِبرةَ باختلافِ غيرِنا في نبوَّةِ نبيٍّ من الأنبياء، كنَفيِ اليهودِ نبوةَ داود وسليمان.

* **التعريضُ بسبِّ الأنبياء:**

التعريضُ بسبِّ النبي ﷺ كالتصريح.. ذَكَر ذلك فقهاءُ الحنفية

---

(١) «الزرقاني على خليل» (٣/ ١٤٧)، الخرشي (٤/ ١٤٩).

(٢) «الجمل على المنهج» (٥/ ٢٢٧)، «شرح روض الطالب» (٤/ ٢٢٣).

(٣) «تبصرة الحكام» (ص١٩٢ - ١٩٣)، و«تبصرة ابن فرحون» (٢/ ٢٨٨)، «إعانة الطالبين» (٤/ ١٣٦)، «الهندية» (٢/ ٢٦٣)، «الزرقاني على خليل» (٣/ ١٤٧).

والمالكيةِ والشافعية، وهو قولٌ للحنابلة[١] .

ويقابلُه عندهم: أن التعريضَ ليس كالتصريح.

وقد ذَكر عياضٌ - رحمه اللَّه تعالىٰ - إجماعَ العلماءِ وأئمةِ الفتوىٰ مِن لَدُنِ الصحابةِ ومَن بَعدَهم علىٰ أن التلويحَ كالتصريح[٢] .

* سَبُّ السكرانِ النبيَّ ﷺ :

اختَلف الفقهاءُ في حُكمِ السكرانِ إذا سَبَّ في سُكرِه نبيًّا من الأنبياء، هل يكونُ مرتدًّا بذلك وهل يُقتل؟!.

ذهب الحنفيةُ، وهو قولٌ للشافعية: إلىٰ أن رِدَّةَ السكرانِ لا تُعتبر، وحُجَّتُهم في ذلك: أن الردةَ تُبنىٰ علىٰ الاعتقادِ، والسكرانُ غيرُ مُعتقِدٍ لما يقول[٣] .

وذَهب أحمدُ - في أظهرِ الروايتين عنه -، والشافعيةُ في المذهب إلىٰ وُقوعِ رِدَّةِ السكران، وحُجَّتُهم: أن الصحابةَ أقاموا حدَّ القذفِ علىٰ السكران، وأنه يَقعُ طلاقُه، فتَقعُ رِدَّتُه، وأنه مُكلَّف، وأن عقلَه لا يَزولُ كُلِّيًّا، فهو أشبهُ بالناعسِ منه بالنائم أو المجنون[٤] .

---

(١) «الزرقاني علىٰ المواهب» (٥/ ٣١٥)، «منح الجليل» (٤/ ٤٧٦، ٤٧٨)، «شرح روض الطالب» (٤/ ١٢٢)، «شرح منتهىٰ الإرادات» (٣/ ٣٨٦، ٣٩٠)، «الإنصاف» (١٠/ ٣٣٣)، «معين الحكام» (ص١٩٢)، «إعانة الطالبين» (٤/ ١٣٩)، «الدسوقي» (٤/ ٣٠٩).

(٢) «تبصرة ابن فرحون» (٢/ ٢٨٦).

(٣) «المبسوط» (١٠/ ١٢٣)، و«تحفة الفقهاء» (٤/ ٥٣٢)، و«البدائع» (٧/ ١٣٤)، و«ابن عابدين» (٤/ ٢٢٤)، و«المهذب» (٢/ ٢٢٢)، و«القليوبي» (٤/ ١٧٦).

(٤) «الإنصاف» (١٠/ ٣٣١)، و«المغني» (٨/ ٥٦٣)، و«الأم» (٦/ ١٤٨)، و«الشامل» =

* **المُكرَهُ على سَبِّ النبي ﷺ :**

الإكراهُ: اسمٌ لفعلٍ يَفعلُه المرءُ بغيره، فيَنتفي به رضاه، أو يَفسُدُ به اختيارُه، مِن غير أن تنعدمَ به أهليَّته، أو يَسقطَ عنه الخطاب[١] .

والإكراهُ نوعان: نوعٌ يُوجِبُ الإلجاءَ والاضطرارَ طَبْعًا، كالإكراهِ بالقتلِ أو القطعِ أو الضربِ الذي يُخاف فيه تَلَفُ النفسِ أو العضوِ - قَلَّ الضربُ أو كَثُرَ -، وهذا النوعُ يُسمَّىٰ «إكراهًا تامًّا».

ونوعٌ لا يُوجبُ الإلجاءَ والاضطرارَ، وهو الحَبسُ أو القَيدُ أو الضربُ الذي لا يُخافُ منه التَّلَفُ، وهذا النوعُ من الإكراه يسمَّىٰ «إكراهًا ناقصًا»[٢] .

واتفق الفقهاءُ علىٰ أنَّ مَن أُكرِه علىٰ الكفرِ فأتىٰ بكلمة الكفر، لَم يَصِرْ كافرًا، لقوله تعالىٰ : ﴿**مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ**﴾ [النحل: ١٠٦] .

◻ وما نُقل من أنَّ عمَّارَ بنَ ياسرٍ ﷺ حَمَله المشركون علىٰ ما يَكرهُ، فجاء إلىٰ النبي ﷺ ، فقال له : «**إن عادوا فعُدْ**»[٣] وهذا في الإكره التام[٤] .

= (٦/ ١٠٢)، و«القليوبي» (٦/ ١٧٦).

(١) «المبسوط» (٢٤/ ٣٨)، «البدائع» (٧/ ١٧٥)، و«مرآه الأصول» (ص٣٥٩).

(٢) «البدائع» (٧/ ١٧٠).

(٣) أخرجه ابن سعد (٣/ ٢١٩) من حديث محمد بن عمار مرسلاً.

(٤) «المبسوط» (١٠/ ٦٢٣)، و«ابن عابدين» (٤/ ٢٢٤)، و«الأم» (٦/ ٦٥٢)، و«الشامل» (٦/ ١٤٨) و«شرح الأنصارىٰ» (٤/ ٢٤٩)، و«منح الجليل» (٤/ ٤٠٧)، و«المغني» (٨/ ٥٦١)، و«الإقناع» (٤/ ٣٠٦).

الأدلة على كُفْرِ سابِّ الرسول ﷺ وشاتمه والمستهزئ به والمُتَنَقِّصِ له

الآياتُ الدَّالَّةُ على كُفرِ الشاتمِ وقتلِه، أو على أحدهما ـ إذا لم يكن مُعَاهِدًا ـ وإن كان مُظهِرًا للإسلام، كثيرةٌ، مع أن هذا مُجْمَعٌ عليه، وقد حكى الإجماعَ غيرُ واحد.

* **الدليل الأول:** قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ [التوبة: ٦١] إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إلى قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٦٣].

فعُلم أن إيذاءَ رسولِ اللَّه محادَّةٌ للَّه ولرسوله؛ لأن ذِكْرَ الإيذاءِ هو الذي اقتضى ذِكرَ المحادَّة، فيجبُ أن يكون داخلاً فيه، ولولا ذلك لم يكنِ الكلامُ مؤتلِفًا إذا أمكن أن يقال: «إنه ليس بمحادٍّ»، ودلَّ ذلك على أن الإيذاءَ والمحادَّةَ كفرٌ؛ لأنه أخبرَ أن له نارَ جهنم خالدًا فيها، ولم يقل: «هي جزاؤه»، وبينَ الكلامين فَرْق، بل المحادَّةُ هي المعاداةُ والمشاقَّة، وذلك كفرٌ ومُحاربة؛ فهو أَغْلَظُ من مجردِ الكفر، فيكونُ المؤذِي لرسول اللَّه ﷺ كافرًا، عدوًّا للَّهِ ورسوله، محاربًا للَّه ورسوله؛ لأن المحادَّة اشتقاقُها من «المباينة» بأن يصيرَ كلُّ واحدٍ منهما في حدٍّ، كما قيل: «المشاقَّة: أن يصيرَ كلٌّ منهما في شِقٍّ، والمعاداة: أن يصيرَ كلٌّ منهما في عُدْوةٍ»[1].

● وفي الحديث: أنَّ رجلاً كان يسبُّ النَّبيَّ ﷺ فقال: «مَنْ يَكْفِيني

---

(١) عِدوة: بالضم والكسر، أي: جانب الوادي وحافته، وقيل: المكان المرتفع. انظر «النهاية» لابن الأثير (٣/ ١٩٤)، «لسان العرب» (٥/ ٢٨٥٠) عدا.

عَدُوِّي؟»[1]، وهذا ظاهرٌ.

وحينئذٍ فيكونُ كافرًا حلالَ الدم؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢٠]. ولو كان مؤمنًا معصومًا لم يكنْ أذلَّ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، وقوله: ﴿كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [المجادلة: ٥].

المؤمنُ لا يُكبت كما كُبت مُكذِّبو الرسلِ قط، ولأنه قد قال تعالىٰ: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

---

(١) من حديث ابن عباس ﵄: أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (٥/ ٢٣٧ ـ ٩٤٧٧، ٥/ ٣٠٧ ـ ٩٧٠٤) ولفظه: «أن النبي ﷺ سبّه رجل من المشركين، فقال: «منَ يكفيني عدوِّي؟» فقال الزبير: أنا، فبارزه الزبير فقتله، فأعطاه النبي ﷺ سلَبه».

وينظر: «حلية الأولياء» (٨/ ٤٥)، وقال عَقِبه: «غريب من حديث إبراهيم لم نكتبه إلا من هذا الوجه». وروىٰ ابن حزم في «المحلىٰ» (١١/ ٤١٣) مسألة رقم (٢٣٠٨) حديثًا مسندًا بلفظ: «منَ يكفيني عدوًا لي؟». وهو بتمامه كما يأتي: «حدثنا حمامٌ، نا عباس بن أصبغَ، ، نا محمدُ بن عبدالملك بنِ أيمن، نا أبو محمد حَبيبٌ البخاري ـ هو صاحبُ أبي ثورٍ ثقة مشهور ـ، نا محمدُ بنُ سَهل: سمعتُ عليَّ بنَ المَديني يقول: «دخلتُ علىٰ أميرِ المؤمنين، فقال لي: أتعرفُ حديثًا مسندًا فيمن سَبَّ النبيَّ ﷺ فيُقتل؟ قلت: نعم. فذكرتُ له حديثَ: عبدِالرزاقَ، عن مَعْمَر، عن سِماكِ بنِ الفضلِ، عن عُروةَ بنِ محمدٍ، عن رجلٍ من بلقين قال: «كان رجلٌ يشتمُ النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «من يكفيني عدوًّا لي؟» فقال خالدُ بن الوليد: أنا، فبعَثه النبيُّ ﷺ إليه فقتله»، فقال أميرُ المؤمنين: ليس هذا مُسنَدًا؛ هو عن رجل، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، بهذا يُعرفُ الرجل، وهو اسمُه، قد أتىٰ النبيَّ ﷺ فبايعه، وهو مشهورٌ معروف. قال: فأمَرَ لي بألفِ دينار».

قال أبو محمد ـ رحمه اللَّه ـ: «هذا حديثٌ مسندٌ صحيح، وقد رواه عليٌّ بنُ المَديني عن عبدالرزاق، وهذا رجلٌ من الصحابة معروفٌ اسمه الذي سمَّاه به أهلُه، رجلٌ من بلقين»أ. هـ.

فإذا كان مَن يُوَادُّ المحادَّ ليس بمؤمنٍ، فكيف بالمحادِّ نفسه؟!! فالمحادُّ كافرٌ حلالُ الدم.

* وأيضًا، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ۝٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٣-٤].

فجَعَل سببَ استحقاقِهم العذابَ في الدنيا ولعذابِ النارِ في الآخرة هو مُشَاقَّةَ اللَّهِ ورسوله، والمؤذِي لرسولِ اللَّه ﷺ مُشَاقٌّ للَّه ورسوله، والعذابُ هنا هو الإهلاكُ بعذابٍ من عنده، أو بأيدينا، وإلا فقد أصابهم ما دون ذلك من ذَهَابِ الأموالِ وفِراقِ الأوطان.

* وقال سبحانه: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝١٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأنفال: ١٢-١٣].

فجَعَل إلقاءَ الرُّعبِ في قلوبِهم والأمرَ بقتلِهم لأجلِ مشاقَّتِهم للَّه ورسوله، فكلُّ مَنْ شاقَّ اللَّه ورسولَه يستوجبُ ذلك، والمؤذِي للنبيِّ مشاقٌّ للَّهِ ورسولِه، فيستحقُّ ذلك.

وقولهم: ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ [التوبة: ٦١].

□ قال مجاهد: ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾: «يقولون: سنقول ما شِئْنَا، ثم نَحلِفُ له فيصدقنا»(١).

□ وقال الوالبي(٢) عن ابن عباس: «يعني أنه يَسمعُ من كلِّ أحدٍ»(٣).

(١) «تفسير مجاهد» (ص٢٨٣)؛ وعنه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٦٩).
(٢) هو التابعي الجليل: سعيد بن جُبَيْر بن هشام الأسدي الوالبي.
(٣) «تفسير الطبري» (١٠/ ١٦٨)، و«تفسير ابن عباس ومرويَّاته في التفسير» (١/ ٤٦٥).

◘ قال بعضُ أهل التفسير: «كان رجالٌ من المنافقين يؤذون رسولَ اللَّه ﷺ ويقولون ما لا ينبغي، فقال بعضُهم: لا تفعلوا؛ فإنا نخافُ أن يَبلُغَه ما تقولون فيقعَ بنا، فقال الجُلاَّسُ[(١)] : بل نقول ما شئنا، ثم نأتيه فيُصدِّقُنا، فإنما محمدٌ أُذُنٌ سامعة. . فأنزل اللَّه هذه الآية»[(٢)] .

◘ وقال ابنُ إسحاق: «كان نَبْتَلُ بنُ الحارث[(٣)] الذي قال النبيُّ ﷺ فيه: «مَنْ أَرَادَ أنْ ينظُرَ إلى الشَّيْطَانِ، فَلْيَنْظُرْ إلى نَبْتَلِ بنِ الحَارِثِ» يَنِمُّ[(٤)] حديثَ النبي ﷺ إلى المنافقين، فقيل له: لا تَفْعَلْ، فقال: إنما محمدٌ أُذُن، مَنْ حَدَّثه شيئًا صدَّقه، نقول ما شِئنا، ثم نأتيه فنَحلِفُ له، فيُصدِّقُنا عليه. . فأنزل اللَّه هذه الآية»[(٥)] .

---

(١) هو الجلاس بن سويد بن الصامت الأنصاري الأوسي، ثم من بني عمرو بن عوف، كان من المنافقين ومن المتخلفين عن رسول اللَّه ﷺ في تبوك، ثم تاب وحسنت توبته. انظر «أسد الغابة» (١/ ٣٤٦)؛ «الإصابة» (١/ ٢٥٢).

(٢) انظر «أسباب النزول» للواحدي (ص٢٠٤)، «زاد المسير» لابن الجوزي (٣/ ٤٦٠)، «الدر المنثور» (٤/ ١٠/ ٢٢٧)، «لباب النقول» للسيوطي (ص١١٩).

(٣) هو نَبْتَل بن الحارث، أخو بني عمرو بن عوف، كان رجلاً جسيمًا ثائر شعر الرأس واللحية، آدم - أسمر - أحمر العينين، أسفع الخدين مشوّه الخلقة. ذكره «الطبري» (١٠/ ١٦٨)، و«القرطبي» (٨/ ١٩٢) في تفسيرهما.

(٤) نَمَّ الحديث، يَنِمُّه نمًّا فهو نمام، والاسم: النميمة، وهي نقل الحديث من قوم إلى قوم على جهة الإفساد والشر. انظر «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٥/ ١٢٠) (نمم).

(٥) انظر «تفسير الطبري» (١٠/ ١٦٨)؛ و«أسباب النزول» للواحدي (ص٢٠٤)؛ و«زاد المسير» لابن الجوزي (٣/ ٤٦٠)، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ١٠/ ٢٢٧)، وزاد نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم.

◻ وقولهم: ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ قالوه لِيُبيِّنوا أن كلامَهم مقبولٌ عنده، فأخبرَ اللَّهُ أنه لا يُصدِّقُ إلاَّ المؤمنين، وإنما يَسمعُ الخَبَرَ، فإذا حَلَفوا له فعفا عنهم، كان ذلك لأنه أُذُنُ خيرٍ، لا لأنه صدَّقهم.

◻ قال سفيانُ بنُ عُيَيْنَة: «أُذُنُ خيرٍ يَقبلُ منكم ما أظهرتُم مِن الخير ومِن القول، ولا يؤاخِذُكم بما في قلوبِكم، ويَدَعُ سرائرَكم إلىٰ اللَّه وربما تَضَمَّنت هذه الكلمةُ نوعَ استهزاءٍ واستخفاف».

* **الدليل الثاني**: قوله سبحانه: ﴿**يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ**﴾ [التوبة: ٦٤ ـ ٦٦].

وهذا نصٌّ في أن الاستهزاءَ باللَّه وبآياتِه وبرسولِه كفر، فالسبُّ المقصودُ بطريق الأَوْلىٰ.

وقد دلَّتْ هذه الآيةُ علىٰ أنَّ كلَّ مَنْ تنقَّصَ رسولَ اللَّه ﷺ جادًّا أو هازلاً فقد كفر.

◻ وقد رُوي عن رجالٍ من أهل العلم ـ منهم ابنُ عمرَ ومحمدُ بنُ كعبٍ وزيدُ بنُ أسلمَ وقَتَادة ـ دخل حديثُ بعضِهم في بعض، أنه قال رجل من المنافقين(١) في غزوةِ تبوك: «ما رأيت مثل قُرَّائِنا هؤلاء أرغبَ بطونًا، ولا أكذبَ أَلْسُنًا، ولا أَجْبَنَ عند اللقاء، يعني رسولَ اللَّه ﷺ وأصحابَه القُرَّاء،

(١) يقال له: مُخَشِّن بن حُمَيِّر: رجل من بني أشجع حليفٌ لبني سلمة (حليف الأنصار)، قاله ابن إسحاق، وقال ابن هشام (٤/ ٥٢٤): «ويقال: مَخْشِيٌّ»، وقال خليفة بن =

فقال له عَوْفٌ بن مالكٍ: كذبتَ، ولكنك منافق، لأُخبِرَنَّ رسول اللَّه ﷺ.

فذهب عوفٌ إلىٰ رسولِ اللَّه ﷺ ليُخبِرَه، فوجدَ القرآنَ قد سبَقه، فجاء ذلك الرجلُ إلىٰ رسول اللَّه ﷺ وقد ارتَحَـل وركِبَ ناقتـه، فقال: يا رسولَ اللَّه، إنما كنا نَلْعَبُ ونتحدَّثُ حديثَ الرَّكْبِ نَقْطَع به عناءَ الطريق.

☐ قال ابنُ عمر: «كأني أنظرُ إليه متعلقًا بِنِسْعةِ[1] ناقةِ رسولِ اللَّه ﷺ وإنَّ الحجارة لَتنكُبُ رِجليه وهو يقول: إنما نخُوضُ ونلعب، فيقول له رسول اللَّه ﷺ: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة: ٦٥]. ما يلتفتُ إليه، وما يَزيدُه عليه»[2].

= خياط في «تاريخه» (ص١١٤): «اسمه مخاش الحِمْيري»، وقال ابن حجر في «الإصابة» (٦/ ٧١، ٧٩) مخاشن ثم قال: «وجزم ابن فتحون بأنه مخشي»، وذكروا أنه كان ممن عُفي عنه، فقال: يا رسول اللَّه: غيِّر اسمي واسم أبي، فسماه عبداللَّه بن عبدالرحمن، فدعا عبدُاللَّه ربَّه أن يقتل شهيدًا حيث لا يُعلَم به، فقُتل يوم اليمامة، ولم يُعلمْ له أثر.

(١) نِسْعة: بكسر النون وسكون المهملة: حبل يشد به الرحل، ولا يطلق علىٰ الزمام. قال في «القاموس» (٣/ ٨٨): «النِّسع ـ بالكسر ـ: سير ينسج عريضًا علىٰ هيئة أعِنَّة النِّعال، تُشَد به الرحال، والقطعة منه نِسْعة، وسمي نِسْعًا لطوله»، وينظر «لسان العرب» (٧/ ٤٤١٠) (نسع).

(٢) هذا الأثر ذكره «المصنف» مجموعًا من رواية ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة. فأما أثر ابن عمر: فقد رواه ابن جرير الطبري (١٠/ ١٧٢)، وقال عنه السندي: «وسنده حسن لغيره؛ لأن فيه عبداللَّه بن صالح كاتب ليث بن سعد، وهو صدوق كثير الغلط كما في «تقريب التهذيب» (ص٣٠٨). وله شواهد ومتابعات أخرجها ابن جرير عن قتادة وعكرمة مولىٰ ابن عباس وعن مجاهد بن جبر المكي».

ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ٦٣) وقال عنه الوادعي: «ورجالُ سنده رجال الصحيح إلا هشام بن سعد، فلم يخرج له مسلم إلا في الشواهد كما في «ميزان الاعتدال» (٤/ ٢٩٩)، وقد نسب السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ١٠/ ٢٣٠) إخراج =

فهؤلاء لَمَّا تنقَّصوا النبيَّ ﷺ، حيث عابوه والعلماءَ من أصحابه، واستهانوا بخبره، أخبَرَ اللَّه أنهم كفروا بذلك، وإن قالوه استهزاءً، فكيف بما هو أغلَظُ من ذلك؟ وإنما لم يُقِم الحدَّ عليهم لكونِ جهادِ المنافقين لم يكن قد أُمِرَ به إذ ذاك، بل كان مأموراً بأن يَدَعَ أذاهم؛ ولأنه كان له أن يعفوَ عمَّن تنقَّصه وآذاه[1].

* **الدليل الثالث**: قوله سبحانه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة: ٥٨].

واللمزُ: العيبُ والطعن[2]، قال مجاهد: «يتَّهِمُك يسألك يزْراك»[3].

وقال عطاء: «يَغْتَابُك».

* وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ [التوبة: ٦١] الآية.

وذلك يدلُّ على أن كلَّ مَنْ لَمَزَه أو آذاه كان منهم؛ لأنَّ ﴿الَّذِينَ﴾ و﴿وَمَنْ﴾ اسمان موصولانِ، وهما مِن صِيَغِ العموم، والآية وإن كانت

= هذه الرواية إلى أبي الشيخ وابن مردويه. وينظر: «تفسير القرطبي» (٨/ ١٩٦)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص٢٠٥)، و«لباب النقول» للسيوطي (ص١١٩).

وأما رواية محمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة. فهي معروفة لكن بغير هذا اللفظ وقد أخرجها ابن جرير الطبري (١٠/ ١٧٢)، وهي مرسلة. ينظر: «الصحيح المسند من أسباب النزول» للوادعي (ص٧٧-٧٨)، و«الذهب المسبوك» للسندي (ص١٤٤).

(١) قال اللَّه تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

(٢) انظر «تفسير الطبري» (١٠/ ١٥٥)، و«أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٩٥٦)، و«تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٦٣)، و«الدرّ المنثور» (٤/ ١٠/ ٢١٩).

(٣) زَرَىٰ: عابه وعاتبه، والإزراء: التهاون بالشيء، انظر «اللسان» (٣/ ١٨٣٠) زرى.

نزلت بسبب لَمْزِ قَوْمٍ وأذىٰ آخَرِين، فحُكمُها عامٌّ كسائرِ الآيات اللواتي نزلْنَ علىٰ أسباب، وليس بين الناس خلافٌ نعلمُه أنها تعمُّ الشخصَ الذي نزلت بسببه ومَنْ كان حالُه كحاله، ولكن إذا كان اللفظُ أعمَّ من ذلك السبب، فقد قيل: «إنه يَقتصِرُ علىٰ سببه».

والذي عليه جماهيرُ الناس أنه يجبُ الأخْذُ بعموم القول، ما لم يَقُمْ دليلٌ يوجبُ القَصْرَ علىٰ السبب.

وأيضًا، فإن كَوْنَه منهم حُكمٌ معلَّقٌ بلفظٍ مشتقٍّ من اللمز والأذىٰ، وهو مناسبٌ لكونه منهم؛ فيكونُ ما منه الاشتقاقُ هو علَّةً لذلك الحكمِ، فيجب اطِّرَادُه.

وأيضًا، فإن هذا القولَ مناسبٌ للنفاق؛ فإن لَمْزَ النبيِّ ﷺ وأذاه لا يفعلُه مَنْ يعتقدُ أنه رسولُ اللَّه حقًّا، وأنه أَوْلىٰ به من نَفْسه، وأنه لا يقولُ إلاَّ الحق، ولا يَحكمُ إلاَّ بالعدل، وأنَّ طاعتَه طاعةٌ للَّه، وأنه يجبُ علىٰ جميعِ الخلق تعزيرُه وتوقيره، وإذا كان دليلاً علىٰ النفاق نفسِه، فحيثما حَصَل حَصَل النفاق.

* **الدليل الرابع**: قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [النساء: ٦٥].

أقْسَمَ سبحانه بنفسِه أنهم لا يؤمنون حتىٰ يحكِّموه في الخصومات التي بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم ضيقًا من حكمه، بل يُسلِّموا لِحُكمِه ظاهرًا وباطنًا.

* وقال قبل ذلك: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن**

يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً﴾ [النساء: ٦٠ - ٦١].

فبيَّن سبحانه أن مَنْ دُعي إلىٰ التحاكم إلىٰ كتاب اللَّه وإلىٰ رسوله، فصدَّ عن رسوله كان منافقًا.

* وقال سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٤٧ - ٥١].

فبيَّن سبحانه أنَّ مَن تولَّىٰ عن طاعةِ الرسول وأعرض عن حُكمه فهو من المنافقين، وليس بمؤمن، وأن المؤمنَ هو الذي يقول: «سمعنا وأطعنا»؛ فإذا كان النفاقُ يَثبُتُ، ويَزولُ الإيمانُ بمجردِ الإعراضِ عن حُكمِ الرسول وإرادة التحاكمِ إلىٰ غيره، مع أن هذا تركٌ محض، وقد يكون سببُه قوةَ الشهوة، فكيف بالتنقُّصِ والسبِّ ونحوه؟.

* **الدليل الخامس**: ما استَدلَّ به العلماءُ علىٰ ذلك: قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ [الأحزاب: ٥٧-٥٨] الآية.

□ ودلالتها من وجوه:

أحدها: أنه قَرَن أذاه بأذاه، كما قَرَن طاعتَه بطاعته، فمَن آذاه فقد آذىٰ اللَّه تعالىٰ، وقد جاء ذلك منصوصًا عنه، ومَن آذىٰ اللَّهَ فهو كافرٌ حَلالُ الدَّمِ، يبيِّنُ ذلك أن اللَّه تعالىٰ جَعَل محبةَ اللَّهِ ورسولِه، وإرضاءَ اللَّهِ ورسولِه، وطاعةَ اللَّه ورسوله شيئًا واحدًا.

* فقال تعالىٰ: ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ [التوبة: ٢٤].

* وقال: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ**﴾ [آل عمران: ١٣٢] في مواضع متعددة، وقال تعالىٰ: ﴿**وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ**﴾ [التوبة: ٦٢]. فوحَّدَ الضميرَ، وقال أيضًا: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ**﴾ [الفتح: ١٠]، وقال أيضًا: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾ [الأنفال: ١].

* وجَعل شِقَاقَ اللَّهِ ورسولِه، ومحادَّةَ اللَّه ورسوله، وأذىٰ اللهِ ورسولِه، ومعصيةَ اللَّه ورسوله شيئًا واحدًا.

* فقال: ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ [الأنفال: ١٣].

* وقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ [المجادلة: ٢٠].

* وقال تعالىٰ: ﴿**أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ [التوبة: ٦٣].

* وقال: ﴿**وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ الآية. [النساء: ١٤]، و[الأحزاب: ٣٦]، و[الجن: ٢٣].

وفي هذا وغيرِه بيانٌ لتلازُم الحقَّين، وأن جهةَ حُرمةِ اللَّهِ ورسولِه جهةٌ واحدة؛ فمَن آذىٰ الرسولَ فقد آذىٰ اللَّهَ، ومَن أطاعه فقد أطاع اللَّه؛ لأنَّ الأُمَّةَ لا يَصِلون ما بينهم وبين ربِّهم إلاَّ بواسطة الرسولِ، ليس لأحدٍ منهم طريقٌ غيرُه ولا سببٌ سواه، وقد أقامه اللَّهُ مَقَام نفسِهِ في أمره ونَهْيه وإخبارِه وبيانه، فلا يجوزُ أن يُفرَّقَ بين اللَّه ورسوله في شيءٍ من هذه الأمور.

وثانيها: أنه فَرَّق بين أذىٰ اللَّهِ ورسولِه، وبين أذىٰ المؤمنين والمؤمنات، فجَعل هذا قد احتملَ بهتانًا وإثمًا مبينًا[١]، وجَعَل علىٰ ذلك لعنتَه في الدنيا والآخرة، وأعَدَّ له العذابَ المُهين[٢] . . ومعلومٌ أن أذىٰ المؤمنين قد يكونُ من كبائرِ الإثم وفيه الجَلْد، وليس فوق ذلك إلاَّ الكفرُ والقتل.

الثالث: أنه ذَكَر أنه لَعَنَهم في الدنيا والآخرة وأعَدَّ لهم عذابًا مهينًا، واللَّعْنُ: الإبعادُ عن الرَّحمةِ، ومَنْ طَرَده عن رحمته في الدنيا والآخرة لا يكونُ إلاَّ كافرًا، فإنَّ المؤمنَ يَقرُبُ إليها بعضَ الأوقاتِ، ولا يكون مباحَ الدَّمِ؛ لأن حقْنَ الدمِ رحمةٌ عظيمة من اللَّه؛ فلا يَثْبُتُ في حقِّه.

* **الدليل السادس**: قوله سبحانه: ﴿**لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ**﴾ [الحجرات: ٢]. أي: حَذَرًا أن تَحْبَطَ أعمالُكم، أو خَشْيَةَ أن تحبط أعمالكم، أو كَرَاهةَ أن تحبط، أو مَنْعَ أن تحبط، هذا تقديرُ البصريين، وتقدير الكوفيين: «لِئَلاَّ تَحْبَطَ»[٣] .

(١) انظر الأحزاب: ٥٨.

(٢) انظر الأحزاب: ٥٧.

(٣) انظر «تفسير االطبري» (٢٦/ ١١٩)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٧/ ٤٥٧)، و«تفسير =

فوَجْهُ الدلالة أن اللَّه سبحانه نهاهم عن رفعِ أصواتِهم فوقَ صوته، وعن الجهرِ له كجهرِ بعضِهم لبعضٍ؛ لأنَّ هذا الرفعَ والجهرَ قد يُفْضي إلىٰ حُبُوطِ العمل وصاحبُه لا يشعر؛ فإنَّه علَّلَ نَهْيَهم عن الجهرِ وتركَهم له بطَلَبِ سلامةِ العملِ عن الحبوط، وبيَّن أن فيه من المَفْسَدَةِ جوازَ حبوطِ العمل وانعقادَ سبب ذلك، وما قد يُفْضِي إلىٰ حُبوطِ العمل يجب تركُه غايةَ الوجوبِ، والعملُ يَحْبَطُ بالكفر.

* قال سبحانه: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٧].

* وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [المائدة: ٥].

* وقال: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

* وقال: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

* وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩].

* وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨].

* كما أن الكفر إذا قَارَنه عمل، لم يُقْبل؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

* وقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ١].

= القرطبي» (١٦/ ٣٠٦).

* وقوله: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٥٤].

وهذا ظاهرٌ، ولا تَحبطُ الأعمالُ بغير الكفر؛ لأن مَنْ مات على الإيمان، فإنَّه لابُدَّ أن يدخلَ الجنةَ ويخرجَ من النار إنْ دَخلَها، ولو حَبِطَ عملُه كلُّه لم يدخلِ الجنةَ قط، ولأن الأعمالَ إنما يُحْبِطها ما ينافيها، ولا يُنافي الأعمالَ مطلقًا إلا الكفرُ، وهذا معروف من أصول أهل السنة.

* نعم قد يَبطُلُ بعضُ الأعمال بوجودِ ما يفسده، كما قال تعالىٰ: ﴿لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، ولهذا لم يُحبِطِ اللَّهُ الأعمالَ في كتابه إلاَّ بالكفر.

فإذا ثَبَتَ أن رَفْعَ الصوتِ فوقَ صوتِ النبيِّ والجَهْرَ له بالقول يُخافُ منه أن يكفرَ صاحبُه وهو لا يشعر ويَحْبَطَ عَمَلُه بذلك، وأنه مَظِنَّةٌ لذلك وسببٌ فيه؛ فمِن المعلوم أن ذلك لِمَا ينبغي له ﷺ من التعزيرِ والتوقيرِ والتشريفِ والتعظيمِ والإكْرامِ والإجْلال.

* الدليل السابع: قولُه سبحانه: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

أَمَرَ مَن خالف أمرَه أن يحذَرَ الفتنةَ، والفتنةُ: الردَّةُ والكفر(١).

---

(١) للإمام أحمد كتاب بعنوان «طاعة الرسول ﷺ»، ولعل هذه الرواية تكون منه. وقد ذُكر هذا الكتاب في «المسودة» (ص١٤)، «طبقات المفسرين» للداودي (١/ ٧١). وقد جاء في «مسائل الإمام أحمد» برواية عبداللَّه «باب طاعة الرسول ﷺ» (٣/ ١٣٥٥): «حدثنا أبو عبدالرحمن عبداللَّه بن أحمد بن محمد بن حنبل قال: سمعت أبي يقول: ذكر اللَّه =

* قال سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣].

* وقال: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

* وقال: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لآتَوْهَا﴾ [الأحزاب: ١٤].

* وقال: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ [النحل: ١١٠].

❑ قال الإمامُ أحمد في روايةِ الفضلِ بن زياد: «نظرتُ في المصحف فوجدتُ طاعَةَ الرسول ﷺ في ثلاثةٍ وثلاثين موضعًا»، ثم جعل يتلو: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور: ٦٣] الآية.

* وجعل يُكرِّرها ويقول: «وما الفتنة؟ الشرك، لعلَّه إذا ردَّ بعضَ قولِه أن يَقَعَ في قلبه شيءٌ من الزيغ فيزيغَ قلبُه فيُهلِكَه»، وجعل يتلو هذه الآية: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥].

❑ وقال أبو طالب المُشْكَاني ـ وقيل له: «إن قومًا يَدَّعون الحديثَ ويذهبون إلىٰ رأيِ سفيانَ وغيره فقال: أعْجَبُ لقومٍ سمعوا الحديثَ وعرفوا الإسنادَ وصحَّته، يَدَعُونَهُ ويذهبون إلىٰ رأيِ سفيانَ وغيره! قال اللَّه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وتدري ما الفتنة؟ الكفر، قال اللَّه تعالىٰ: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ

= تبارك وتعالىٰ طاعة رسول اللَّه عليه السلام في القرآن في غير موضع ـ فذكرها أبي كلها أو عامتها فلم أحفظ، فكتبتها بعد من كتابه» اهـ. يعني: من كتاب «طاعة الرسول ﷺ» للإمام أحمد المذكور آنفًا. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد أمر بطاعة الرسول في نحو أربعين موضعًا» اهـ. ثم سَرَد بعضها. «مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام» (١/ ٤، ٦٧)، (١٩/ ٨٣).

الْقَتْلِ﴾، فَيَدَعُونَ الحديث عن رسول اللَّه ﷺ، وتَغلِبُهم أهواؤهم إلى الرأي».

فإذا كان المخالفُ عن أمره قد حُذِّر من الكفرِ والشرك، أو من العذابِ الأليم، دلَّ على أنه قد يكونُ مُفْضِيًا إلى الكفر أو إلى العذاب الأليم، ومعلومٌ أن إفضاءَه إلى العذاب هو مُجَرَّدُ فعلِ المعصية، فإفضاؤه إلى الكفر إنما هو لِمَا قد يَقترنُ به من استخفافٍ بحقِّ الآمر، كما فَعَلَ إبليس، فكيف بما هو أغلظُ مِن ذلك كالسبِّ والانتقاصِ ونحوه؟.

وهذا بابٌ واسع، مع أنه بحمدِ اللَّه مُجْمَع عليه، لكن إذا تَعدَّدَت الدلالاتُ تعاضَدَتْ على غِلَظِ كُفرِ السابِّ وعِظَمِ عقوبته، وظَهَر أنَّ تركَ الاحترام للرسول وسُوءَ الأدبِ معه مما يُخاف معه الكفرُ المُحبِطُ، كان ذلك أبْلَغَ فيما قصدنا له.

ومما ينبغي أن يُتَفَطَّنَ له أن لفظ «الأذى» في اللُّغة هو لِمَا خفَّ أمرُه وضعفُ أثرُه من الشرِّ والمكروه ـ ذَكَره الخطَّابي وغيره ـ، وهو كما قال[1]، فإن استقراء موارده يدلُّ على ذلك.

فعُلِم أن قليلَ ما يُؤذيه يُكَفَّر به صاحبُه ويُحِلُّ دَمَه.

* **الدليل الثامن**: أن اللَّه سبحانه قال: ﴿**وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٣].

فحَرَّم على الأُمَّةِ أن تَنكِحَ أزواجَه من بعده؛ لأنَّ ذلك يُؤْذيه، وجعَله

(١) انظر «تاج العروس» (١٠/ ١٣)، وفيه نقل قول الخطَّابي.

عظيمًا عند اللَّه تعظيمًا لحرمته، وقد ذُكر أن هذه الآية نزلَتْ لَمَّا قال بعضُ الناس: «لو قد تُوُفِّي رسولُ اللَّه ﷺ تَزوَّجتُ عائشة».

ثم إنْ مَنْ نكح أزواجَه أو سَرَاريه، فإن عقوبتَه القتلُ، جزاءً له بما انتهك من حرمته، فالشاتِمُ له أولىٰ.

والدليل علىٰ ذلك ما رَوَىٰ مسلم في «صحيحه» عن زُهَيْر، عن عَفَّان[1]، عن حَمَّاد، عن ثابتٍ، عن أنس أن رجلاً كان يُتَّهَمُ بأمِّ ولدِ النبيِّ ﷺ، فقال رسول اللَّه ﷺ لعليٍّ: «اذْهَبْ فَاضْرِبْ عُنُقَه»، فأتاه عليٌّ فإذا هو في رَكِيٍّ[2] يتبرَّدُ، فقال له عليٌّ: اخرُجْ. فناوَلَه يَدَه، فأخرجه، فإذا هو، مَجْبُوبٌ ليس له ذَكَر، فكفَّ علي، ثم أتىٰ النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، إنه لمجبوبٌ، ما له ذَكَر».

فهذا الرجلُ أمَرَ النبي ﷺ بضربِ عُنقِه لِمَا قد استحلَّ من حُرمته، ولم يأمرْ بإقامةِ حدِّ الزنىٰ؛ لأنَّ حدَّ الزنىٰ ليس هو ضربَ الرقبة، بل إن كان مُحْصَنًا رُجِمَ، وإن كان غيرَ محصن جُلد، ولا يقامُ عليه الحدُّ إلاَّ بأربعةِ شهداءَ، أو بالإقرارِ المعتبر، فلمَّا أمر النبيُّ ﷺ بضربِ عُنقه من غيرِ تفصيلٍ بَيْنَ أن يكون مُحصَنًا أو غيرَ محصن، عُلم أن قتلَه لِمَا انتَهَكه من حُرمته، ولعلَّه قد شَهِد عنده شاهدان أنهما رَأَياه يباشِرُ هذه المرأة، أو شَهِدا بنحو ذلك، فأمر بقتله، فلما تبيَّن أنه كان مَجْبُوبًا، عَلم أن المفسدةَ مأمونةٌ منه.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ٤٠)، و«زاد المسير» (٦/ ٤١٦)، و«تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٠٥)، و«الدر المنثور» للسيوطي.

(٢) الرَّكِيُّ: جنس للرَّكِيَّة، وهو البئر، وجمعها رَكايا. انظر «النهاية» لابن الأثير (ركا) (٢/ ٢٦١).

◻ ويدلُّ على ذلك أن النبيَّ ﷺ تزوَّجَ قَيْلَةَ بنتَ قَيْسِ بنِ مَعْدِي كرب ـ أختَ الأشعث ـ، ومات قبلَ أن يَدْخُل بها، وقبل أن تَقْدَمَ عليه[1]، وقيل: إنه خَيَّرها بين أن يضربَ عليها الحجابَ وتَحرُمَ على المؤمنين، وبين أن يُطَلقها فتنكحَ مَنْ شاءت، فاختارت النكاح، قالوا: فلما ماتَ النبيُّ ﷺ تزوَّجها عِكْرِمةُ بنُ أبي جَهْل بحَضْرَمَوْتَ، فبلغ أبا بكر، فقال: «لقد هممتُ أن أحرقَ عليهما بيتَهما»، فقال عمرُ: «ما هي مِن أمهات المؤمنين، ولا دَخَل بها، ولا ضَرَبَ عليها الحجاب».

وقيل: إنها ارتَدَّتْ.

فاحتجَّ عمرُ على أبي بكر أنها ليست من أزواجِ النبي ﷺ بارتدادها[2].

◻ فوجهُ الدلالة: أن الصدِّيق رضي الله عنه عَزَم على تحريقها وتحريقِ مَنْ

---

(١) قال الحافظ في «الإصابة» (٨/ ١٧٤): أخرج أبو نعيم من طريق إسحاقَ بنِ إبراهيم بن حَبيب الشهيدي، عن عبدالأعلى، عن داود بن أبي هندٍ، عن عكرمة، عن ابن عباس: «أن النبي ﷺ تزوَّج قَيلةَ أختَ الأشعث، ومات قبلَ أن يُخيِّرها»، قال الحافظ: «وهذا موصول قوي الإسناد».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤١) وعنه ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٠٦) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٥٣]. قال ابن جرير الطبري: «حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبدالوهَّاب، قال: ثنا داودُ، عن عامر أن النبي ﷺ مات وقد مَلَك قَيلةَ بنتَ الأشعث، فتزوَّجها عكرمةُ بنُ أبي جهل بعد ذلك، فشَقَّ على أبي بكر مشقةً شديدة، فقال له عمر: يا خليفةَ رسول الله، إنها ليست من نسائه، إنها لم يُخيِّرها رسولُ الله ﷺ ولم يَحجُبْها، وقد برَّأها منه بالردَّة التي ارتدَّت مع قومها، فاطمأن أبو بكر وسكن. ينظر: «طبقات ابن سعد» (٨/ ١٤٧)، «المستدرك» (٤/ ٣٨)، «أسد الغابة» (٧/ ٢٤٠)، «الإصابة» (٨/ ١٧٤).

تزوجها، لِمَا رأىٰ أنها مِن أزواج النبي ﷺ، حتىٰ ناظَرَه عمرُ أنها ليست من أزواجه، فكفَّ عنهما لذلك، فعُلم أنهم كانوا يَرَوْنَ قَتْلَ مَنِ استَحلَّ حُرمةَ رسولِ اللَّه ﷺ.

◻ ولا يقال: «إن ذلك حدُّ الزنىٰ؛ لأنَّها كانت تكونُ محرمةً عليه، ومَنْ تَزَوَّجَ ذاتَ مَحْرمٍ حُدَّ حَدَّ الزنىٰ أو قُتل»؛ لوجهين:

أحدهما: أن حَدَّ الزنىٰ الرجْمُ.

الثاني: أن ذلك الحدَّ يفتقرُ إلىٰ ثبوتِ الوطْءِ ببيِّنةٍ أو إقرار، فلمَّا أراد تحريقَ البيتِ مع جوازِ ألاَّ يكونَ غَشِيَها، عُلم أن ذلك عقوبةٌ لِمَا انتَهكه من حُرمةِ رسول اللَّه ﷺ.

*** الأدلة من السُّنَّة:**

الحديث الأول: ما رواه الشَّعْبيُّ عن عليٍّ: «أن يهوديةً كانت تَشْتُم النبي ﷺ وتَقَعُ فيه، فخَنَقها رجلٌ حتىٰ ماتت، فأَبْطَل[1] رسولُ اللَّه ﷺ دمها».

هكذا رواه أبو داود في «سُنَنه»[2]، وابنُ بَطَّة في «سننه»، وهو من جُملة ما استدلَّ به الإمامُ أحمدُ في روايةِ ابنه عبداللَّه، وقال: ثنا جرير عن مغيرة، عن الشَّعبيِّ قال: كان رجلٌ من المسلمين - أعني: أعمىٰ - يأوِي إلىٰ امرأةٍ يهودية، فكانت تُطْعِمُه وتُحسِنُ إليه، فكانت لا تزالُ تَشتمُ النبيَّ ﷺ

---

(١) أبْطل: أي: أهدر «لسان العرب» (١/ ٣٠٢) (بطل).

(٢) إسناده جيد: رواه أبو داود في «سننه» - كتاب الحدود - باب فيمن سبَّ النبي ﷺ (٤/ ٥٣٠ ح٤٣٦٢)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٧/ ٦٠) و(٩/ ٢٠٠).

وتؤذيه، فلما كان ليلةٌ من الليالي خَنَقَهَا فماتت، فلمَّا أصبح ذُكِرَ ذلك للنبي ﷺ، فَنَشَدَ الناسَ في أمرها، فقام الأعمى، فذَكَر له أمرها، فأبطَلَ رسولُ اللَّه ﷺ دَمَها[١] .

وهذا الحديث نَصٌّ في جواز قتلِها لأجل شَتمِ النبيِّ ﷺ، ودليلٌ على قَتلِ الرجلِ الذِّمِّيِّ وقتلِ المسلمِ والمسلمةِ إذا سبَّا بطريق الأَوْلى؛ لأن هذه المرأة كانت مُوَادِعةً مُهَادِنة؛ لأن النبيَّ ﷺ لَمَّا قَدِمَ المدينةَ وَادَعَ جميعَ اليهود الذين كانوا بها مُوَادَعةً مطلقةً، ولم يَضرِبْ عليهم جِزْيَةً، وهذا مشهورٌ عند أهلِ العلم - بمنزِلةِ المتواتر بينهم -، حتى قال الشافعي: «لم أعلَمْ مخالفًا من أهل العلم بالسِّيَرِ أن رسولَ اللَّه ﷺ لَمَّا نَزَلَ المدينة وادَعَ يهودَ كافةً على غيرِ جزية»[٢] .

الحديث الثاني: عن عِكْرِمةَ، عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: «أن أعْمى كانت له أمُّ ولدٍ تَشْتُم النبي ﷺ وتَقَعُ فيه، فَينْهَاها فلا تَنْتَهِي، ويزجُرُها فلا تنزجر، فلما كان ذات ليلةٍ جَعَلَتْ تقعُ في النبي ﷺ وتشتُمه؛ فأخَذَ المِغْول[٣] فوضَعَه في بطنها واتَّكأَ عليها فقتلها، فلما أصبَحَ ذُكِرَ ذلك للنبي

(١) جيد: الحديث بتمامه رواه الخلال في «أحكام أهل الملل»: كتاب الحدود - باب فيمن شتم النبي ﷺ (ق/ ١٠٤/أ)؛ والبيهقي في «السنن الكبرى» مختصرًا (٧/ ٦٠)، و(٩/ ٢٠٠) عن الروذباري عن محمد بن بكر عن أبي داود عن عثمان بن أبي شيبة وعبداللَّه بن الجراح عن جرير به.. وقد ذكر الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٦٣) رواية تدل على أن الأعمى هو عبداللَّه بن أم مكتوم رضي الله عنه. وجود إسناده ابن تيمية، والشعبي قد رأى عليًا.

(٢) انظر «الأم» للشافعي - «الحكم بين أهل الذمَّة» (٤/ ٢٢٢).

(٣) المِغْول: شبيه المِشْمل؛ وهو السيف القصير ذو النَّصْل الدقيق الماضي.

ﷺ، فجَمَع الناسَ فقال: «أَنْشُدُ اللَّهَ رَجُلاً فَعَلَ ما فَعَلَ لِي عَلَيْه حَقٌّ إلاَّ قَامَ»، فقام الأعمىٰ يتخطَّىٰ الناسَ وهو يَتدلدلُ[1] حتىٰ قَعَدَ بين يَدَي النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسول اللَّه، أنا صَاحِبُها، كانت تشتمُك وتَقَعُ فيك، فأنهاها فلا تنتهي، وأزجُرُها فلا تَنزَجر، ولي منها ابْنَانِ مِثْلُ اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقةً، فلما كان البارحةُ جَعلت تشتُمُك وتقعُ فيك، فأخذتُ المِغْول، فوضعتُه في بطنها واتَّكَأتُ عليه حتىٰ قَتلتُها، فقال النبي ﷺ: «أَلاَ اشْهَدُوا أَنَّ دَمَها هَدَرٌ»[2].

فهذه القصةُ يمكنُ أن تكون هي الأُولىٰ، وعليه يدلُّ كلامُ الإمام أحمد؛ لأنه قيل له في رواية عبداللَّه: «في قتل الذمي إذا سَبَّ أحاديث؟ قال: نعم، منها حديثُ الأعْمىٰ الذي قَتل المرأة، قال: سَمِعْتُهَا تَشْتُمُ النبيَّ ﷺ».

ثم روىٰ عنه عبدُاللَّه كلا الحديثين، ويكون قد خَنَقَها وبَعَجَ بَطْنَهَا

---

(١) يتدلدل: أي: يضطرب في مشيته.

(٢) رواه أبو داود في كتاب الحدود ـ باب الحكم فيمن سب النبي ﷺ (٤/ ٥٢٨ ح ٤٣٦١) وفيه عبارة: «فوقع بين رجليها طفل فلطخت ما هناك بالدم»، وفي لفظ: «يتخطىٰ الناس وهو يتزلزل»؛ والنسائي في كتاب تحريم الدم ـ باب الحكم فيمن سب النبي ﷺ (٧/ ١٠٧)، والدارقطني في كتاب الحدود والديات وغيره (٣/ ١١٢ ح ١٠٣)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٥٤)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٧/ ٦٠)، و(١٠/ ١٣١) وعنده بلفظ «المعول» بالعين المهملة في الموضعين وهو تصحيف.

الحديث سكت عنه أبو داود، وقال الحاكم: «صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وقال الحافظ ابن حجر في «بلوغ المرام» (ص٢٥٥ ح١٢٣٠): «رواته ثقات»، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ٨٢٤ ح ٣٦٦٥).

بالمغْول، أو يكون كيفيةُ القتلِ غيرَ محفوظة في إحدىٰ الروايتين.

ويؤيدُ ذلك أن وقوع قِصتّين مثلِ هذه لأعْمَيَيْنِ كلٌّ منهما كانت المرأة تُحسِنُ إليه وتُكَرِّر الشتم، وكلاهما قَتَلها وحده، وكلاهما نَشَدَ رسولُ اللَّه ﷺ فيها الناسَ، بعيدٌ في العادة، وعلىٰ هذا التقدير فالمقتولَةُ يهودية كما جاء مُفَسَّرًا في تلك الرواية، وهذا قولُ القاضي أبي يَعْلَىٰ وغيره، استدلُّوا بهذا الحديث علىٰ قتل الذميِّ ونَقْضِه العهدَ، وجعلوا الحديثين حكايةَ واقعةٍ واحدةٍ.

ويمكن أن تكون هذه القصَّةُ غيرَ تلك.

الحديث الثالث: ما احتَج به الشافعيُّ علىٰ أن الذميَّ إذا سبَّ قُتِل وبَرِئت منه الذمة، وهو قصَّةُ كعبِ بن الأشْرَفِ اليهوديِّ.

◻ قال الخَطَّابيُّ: قال الشافعيُّ: «يُقتل الذميُّ إذا سَبَّ النبيَّ ﷺ، وتبرأُ منه الذمَّة»، واحتَج في ذلك بخبرِ كعبِ بنِ الأشرَفِ، وقد مَرَّ حديثُه.

والاستدلالُ بقتل كعب بن الأشرف من وجهين:

أحدهما: أنه كان مُعاهَدًا مُهَادَنًا، وهذا لا خلافَ فيه بين أهل العلم بالمغازي والسير، وهو عندهم من العلمِ العامِّ الذي يُستغنىٰ فيه عن نقل الخاصة.

ثم إن النبي ﷺ، جَعَل كعبَ بنَ الأشرف ناقضًا للعهد بهجائه وأذاه بِلسانه خاصة، والدليل علىٰ أنه إنما نَقَض العهدَ بذلك أن النبي ﷺ قال **«مَن لكعبِ بن الأشرف، فإنه قد آذَى اللَّهَ ورسولَه»**.

وقوله ﷺ : **«لو قَرَّ كما قَرَّ غيرُه ممَّنْ هو على مِثْلِ رأيه ما اغتيل، ولَكِنَّه نال مِنَّا الأذى وهَجَانا بالشِّعْر، ولَم يَفْعَلْ هذا أَحَدٌ مِنكم إلاَّ كان**

السيفُ»، نصٌّ في أنه إنما انتُقض عهدُ ابن الأشرف بالهجاء ونحوه، وأنَّ من فعل هذا من المعاهَدين فقد استحقَّ السيف.

الوجه الثاني: من الاستدلال به: أن النَّفَرَ الخمسة الذين قَتَلوه من المسلمين: محمد بن مَسْلمة، وأبا نائلة، وعَبَّادَ بن بِشر، والحارثَ بنَ أوس، وأبا عَبْسِ بن جَبْر، قد أذنَ لهم النبيُّ ﷺ أن يغتالوه ويَخْدعُوه بكلامٍ يُظْهِرُون به أنهم قد أَمَّنوه ووافقوه، ثم يقتلوه، ومن المعلوم أن مَن أظهَرَ لكافرٍ أمانًا لم يَجُزْ قَتلُه بعد ذلك لأجلِ الكفر، بل لو اعتَقد الكافرُ الحربيُّ أن المسلمَ آمَنَه وكلَّمه على ذلك صار مستأمَنًا.

● قال النبي ﷺ فيما رواه عنه عَمرُو بنُ الحَمِق: «**مَنْ آمنَ رَجُلاً عَلَى دَمِهِ وَمَالِهِ ثُمَّ قَتَلَهُ، فَأَنَا مِنهُ بَرِيءٌ، وإنْ كَانَ المَقْتُولُ كَافِرًا**»[1].

●وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**الإيْمانُ قَيَّدَ الفَتْكَ**[2]**، لا يَفْتِكُ**

(١) صحيح: رواه الإمام أحمد: في «المسند» (٤/ ٢٢٣، ٢٢٤، ٤٣٧) بلفظين: الأول: «مَن أمَّن رجلاً على نفسه فقتله أُعطي لواءَ الغدرِ يوم القيامة». والثاني: «أيُّما مؤمنٍ أمَّن مؤمنًا على دمه فقتله فأنا من القاتل بريء»، ورواه ابن ماجه: في كتاب الديات ـ باب من أَمنَ رجلاً على دمه فقتله (٢/ ٨٩٦ح ٢٦٨٨)، والطبراني في «المعجم الصغير» (١/ ٤٦ح ٣٨)، (١/ ٣٥٠ ح ٥٨٤)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٥٣). الحديث قال عنه الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، وقال البوصيري في «الزوائد» على ابن ماجه: «وإسناده صحيح ورجاله ثقات»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٨٨): «رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات». وصحح إسناده أيضًا الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢/ ١٠٧ح ٢١٧٧)، وفي «الصحيحة» (١/ ٧٢٥ح ٤٤٠).

(٢) الفتك أي: يأتي الرجل صاحبه وهو غارٌّ غافل، فيشد عليه فيقتله، والغِيلة: أن يخدعه ثم يقتله في موضع خفي. ينظر: «النهاية» لابن الأثير (٣/ ٤٠٩) (فتك). ومعنى «الإيمان قيَّد الفتك»، أي: أن الإيمان يمنعُ من الفتك كما يمنع القيدُ عن التصرف، فكأنه=

مُؤمن»(١).

وقد زَعم الخَطَّابي(٢) أنهم إنما فَتكوا به؛ لأنَّه كان قد خلَع الأمان، ونَقَض العهدَ قبل هذا، وزَعَم أن مِثلَ هذا جائزٌ في الكافرِ الذي لا عَهدَ له كما جاز البَياتُ والإغارة عليهم في أوقات الغِرَّة.

لكن يقال: هذا الكلام الذي كَلَّموه به صار مستأمنًا، وأدنىٰ أحواله أن يكون له شُبهةُ أمان، ومِثلُ ذلك لا يجوزُ قتلُه بمجردِ الكفر؛ فإن الأمانَ يَعصِمُ دمَ الحربي ويصيرُ مستأمَنًا بأقلَّ من هذا ـ كما هو معروف في مواضعه(٣) ـ، وإنما قتلوه لأجلِ هجائِه وأذاه للَّهِ ورسوله، ومَن حَلَّ قتلُه بهذا الوجه لم يُعصَمْ دمُه بأمانٍ ولا بعهدٍ كما لو آمَنَ المسلمُ مَنْ وجب قتلُه لأجل قطع الطريق ومحاربةِ الله ورسوله والسعيِ في الأرض بالفسادِ الموجِبِ

= جعل الفتك مقيداً، ومنه قولهم في صفة الفرس: «هو قيد الأوابد»، يريدون أنَّه يلحقها بسرعة، فكأنها مقيدة به لا تعدوه. ينظر: «النهاية» (٤/ ١٣٠) (قيد).

(١) صحيح: رواه أبو داود: في كتاب الجهاد ـ باب في العدو يؤتىٰ علىٰ غرة ويتشبه بهم (٣/ ٨٧ح ٢٧٦٩) عن أبي هريرة. ورواه أحمد: في «المسند» (١/ ١٦٦، ١٦٧) عن الزبير بن العوام. ورواه أحمد أيضًا في «المسند» (٤/ ٩٢)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٥٢) عن معاوية بن أبي سفيان. قال أبو داود عن حديث أبي هريرة: «في إسناده أسباط بن نصر الهمداني، وإسماعيل بن عبدالرحمن السُّدِّي. وقد أخرج لهما مسلم وتكلم فيهما غير واحد من الأئمة» اهـ. وصحح إسناده الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٥٣٣ح ٢٤٠٧). وحديث الزبير صحح إسناده أحمد محمد شاكر في شرحه علىٰ «المسند» (٢/ ٣/ ١٩ح ١٤٢٦). وحديث معاوية سكت عنه الحاكم، وحسنه السيوطي في «الجامع الصغير» (١/ ١٢٤).

(٢) في «معالم السنن» (٤/ ٨٢، ٨٣).

(٣) انظر «الأحكام السلطانية» لأبي يعلىٰ (ص٤٨).

للقتل، أو آمن مَنْ وجب قتلُه لأجل زِناه، أو آمن مَنْ وجب قتلُه لأجل الرِّدة، أو لأجلِ تركِ أركانِ الإسلام ونحو ذلك، ولا يجوزُ أن يَعقِدَ له عَقدَ عهدٍ، سواءٌ كان عقدَ أمانٍ، أو عَقْدَ هُدنةٍ، أو عَقْدَ ذِمة؛ لأنَّ قتلَه حدٌّ من الحدود، وليس قتلُه لمجردِ كونهِ كافرًا حربيًّا كما سيأتي، وأمَّا الإغارةُ والبياتُ فليس هناك قولٌ أو فعلٌ صاروا به آمنين، ولا اعتَقَدوا أنهم قد أُمِنوا، بخلافِ قصةِ كعبِ بنِ الأشرف.

فثَبَت أن أذىٰ اللهِ ورسولهِ بالهجاء ونحوِه لا يُحقَنُ معه الدمُ بالأمان، فلأَن لا يُحْقَنَ معه بالذمةِ المؤبَّدة والهدنةِ المؤقتةِ بطريقِ الأولىٰ، فإن الأمانَ يجوزُ عقدُه لكلِّ كافر، ويَعقِدُه كلُّ مسلم، ولا يُشترطُ علىٰ المستأمَن شيءٌ من الشروط، والذمةُ لا يَعقِدُها إلاَّ الإمامُ، أو نائبُه، ولا تُعقَدُ إلاَّ بشروطٍ كثيرةٍ تُشترطُ علىٰ أهل الذمة: مِن التزامِ الصَّغَارِ ونحوه، وقد كان عَرَضَتْ لبعضِ السفهاء شُبْهَةٌ في قتلِ ابنِ الأشرف؛ فظن أن دمَ مثلِ هذا يُعصَمُ بذمةٍ متقدِّمةٍ، أو بظاهرِ أمان، وذلك نظيرُ الشُّبهةِ التي عَرَضت لبعضِ الفقهاء، حتىٰ ظنَّ أن العهدَ لا يُنتقض بذلك، فروىٰ ابنُ وهب: أخبَرَني سفيانُ بنُ عُيَينة عن عُمرَ بنِ سعيد - أخي سفيانَ بنِ سعيدٍ الثوريِّ -، عن أبيه، عن عَبايةَ قال: ذُكر قتلُ ابنِ الأشرف عند معاوية، فقال ابنُ يامين: كان قَتلُه غدرًا، فقال محمدُ بنُ مَسْلَمة: يا معاوية، أَيُغَدَّرُ عندك رسولُ اللَّه ﷺ ثم لا تُنكِر؟ واللَّهِ لا يُظِلُّني وإياك سقفُ بيت أبدًا، ولا يخلو لي دمُ هذا إلاَّ قتلتُه»[1].

(١) «معالم السنن» للخطَّابي (٤/ ٨٢-٨٣).

□ وقال الواقدي(١) : «حدثني إبراهيمُ بنُ جعفر، عن أبيه قال: قال مَرْوانُ بنُ الحكم ـ وهو على المدينة وعنده ابنُ يامين النَّضيري ـ: كيف كان قتلُ ابن الأشرف؟ قال ابنُ يامين: كان غَدْرًا ـ ومحمدُ بنُ مسلمةَ جالس شيخٌ كبير ـ، فقال: يا مروان، أَيُغَدَّر رسولُ اللَّه ﷺ عندك؟ واللَّهِ ما قتلْناه إلاَّ بأمرِ رسولِ اللَّه ﷺ، واللَّهِ لا يؤويني وإياك سقفُ بيتٍ إلاَّ المسجد، وأما أنت يا ابنَ يامين، فللَّهِ عَليَّ، إن أفلتَّ، وقَدَرْتُ عليك وفي يدي سيفٌ، إلاَّ ضربتُ به رأسك.

فكان ابنُ يامين لا ينزلُ من بني قريظة حتى يبعثَ له رسولاً ينظرُ محمدَ بنَ مسلمة، فإن كان في بعضِ ضِياعِه نزل فقضى حاجته ثم صَدَر، وإلاَّ لم ينزل، فبينا محمدٌ في جنازةٍ وابنُ يامين بالبقيع، فرأى محمدٌ نعشًا عليه جرائدُ رطبةٌ لامرأة، فجاء فحلَّه، فقام إليه الناس، فقالوا: يا أبا عبدالرحمن ما تصنع؟ نحن نكفيك، فقام إليه، فلم يَزَلْ يضربُه بها جريدةً جريدةً حتى كَسَّر ذلك الجريدَ على وجهه ورأسه حتى لم يترك به مَصَحًّا(٢)، ثم أرسله ولا طَباخَ(٣) به، ثم قال: واللَّهِ لو قدرتُ على السيفِ لضربتُك به».

* الحديث الرابع:

□ عن أبي بَرْزَةَ قال: أغلَظَ رجلٌ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقلت:

---

(١) «المغازي» للواقدي (١/ ١٩٢ ـ ١٩٣).

(٢) مَصَحًّا: يُروى بفتح الصاد وكسرها، والفتح أعلى، وهي مَفْعَلَة من الصحة: العافية انظر «النهاية» (٣/ ١٢)، و«لسان العرب» (٤/ ٢٤٠٢) (صحح).

(٣) الطَّبَاخ: القوة. . انظر «القاموس المحيط» (١/ ٢٦٤).

أقتُلُه؟ فانتهرني وقال: «ليس هذا لأحدٍ بعدَ رسولِ اللَّه ﷺ»[١].

□ ورواه أبو داود في «سننه» بإسنادٍ صحيحٍ عن عبداللَّه بن مُطَرِّف عن أبي برزة قال: «كنتُ عند أبي بكر رضي الله عنه، فتغيَّظ علىٰ رجل، فاشتدَّ عليه، فقلت: تأذنُ لي يا خليفةَ رسول اللَّه أضربُ عُنقَه. قال: فأذهَبتْ كَلمتي غَضَبَه، فقام فدخل، فأرسل إليَّ فقال: ما الذي قُلْتَ آنفًا؟ قلت: تأذَنُ لي أضْرِبُ عنقه، قال: أكنتَ فاعلاً لو أمرتُك؟ قلت: نعم، قال: لا، واللَّهِ ما كانت لبشرٍ بعدَ رسول اللَّه ﷺ»[٢].

□ قال أبو داود في «مسائله»[٣]: «سمعت أبا عبداللَّه يُسْأل عن حديث أبي بكر: «ما كانت لأحدٍ بعد رسولِ اللَّه ﷺ»، فقال: «لم يكن

---

(١) ينظر: «سنن النسائي»: كتاب تحريم الدم ـ باب الحكم فيمن سب النبي ﷺ (٧/ ١٠٩)، «مسند الإمام أحمد» (١/ ٩)، «مسائل الإمام أحمد» برواية ابنه عبداللَّه (٣/ ١٢٩٢ ح ١٧٩٥)، «مستدرك الحاكم» (٤/ ٣٥٥)، «السنن الكبرىٰ» للبيهقي (٧/ ٦٠). والحديث صحح إسناده الألباني في «صحيح سنن النسائي» (٣/ ٨٥٤ ح ٣٧٩٥).

(٢) ينظر: «سنن أبي داود»: في كتاب الحدود ـ باب الحكم فيمن سب النبي ﷺ (٤/ ٥٣٠ ح ٤٣٦٣)، وفيه لفظ: «ما كانت لبشر بعد محمد ﷺ». و«سنن النسائي»: في كتاب تحريم الدم ـ باب ذكر الاختلاف علىٰ الأعمش في هذا الحديث (٧/ ١١٠ ـ ١١١) بنفس الطريق وبطرق أخرىٰ أطول من هذا؛ و«المستدرك» للحاكم: في كتاب الحدود (٤/ ٣٥٤) عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد عن أبي برزة به. . . الحديث صحح إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية كما ذُكر آنفًا، وقد قال النسائي عقبه: «هذا الحديث أحسن الأحاديث وأجودها واللَّه تعالىٰ أعلم»، وقال الحاكم: «صحيح الإسناد علىٰ شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. وصحح إسناده الألباني أيضًا في «صحيح سنن النسائي» (٣/ ٨٢٤ ح ٣٦٦٦).

(٣) في (ص٢٢٦، ٢٢٧) (باب حد الذمي والعبد).

لأبي بكر أن يقتلَ رجلاً إلاَّ بإحدىٰ ثلاثٍ ـ وفي رواية: بإحدىٰ الثلاث التي قالها رسول اللَّه ﷺ ـ: كفرٌ بعد إيمان، وزِنًىٰ بعد إحصان، وقتلُ نفسٍ بغير نفس، والنبي ﷺ كان له أن يَقتل».

وقد استَدلَّ به علىٰ جواز قتلِ سابِّ النبي ﷺ جماعاتٌ من العلماء، منهم أبو داود، وإسماعيل بن إسحاق القاضي، وأبو بكر عبدالعزيز، والقاضي أبو يَعْلىٰ وغيرُهم من العلماء، وذلك لأن أبا برزةَ لَمَّا رأىٰ الرجل قد شَتَم أبا بكر وأغلَظَ له حتىٰ تغيَّظَ أبو بكر، استأذنه في أن يقتلَه لذلك، وأخبره أنه لو أمره لَقَتَلَه، فقال أبو بكر: «ليس هذا لأحدٍ بعد النبي ﷺ».

فعُلم أن النبي ﷺ كان له أن يقتلَ مَن سَبَّه ومَن أغلَظَ له، وأن له أن يأمرَ بقتلِ مَنْ لا يَعلمُ الناسُ منه سبباً يُبيحُ دمَه، وعلىٰ الناس أن يُطيعوه في ذلك؛ لأنَّه لا يأمرُ إلاَّ بما أَمَر اللَّهُ به، ولا يأمرُ بمعصيةِ اللَّه قط، بل مَن أطاعه فقد أطاع اللَّه.

☐ فقد تضمن الحديثُ خَصِيصَتَيْنِ لرسول اللَّه ﷺ:

إحداهما: أنه يُطاعُ في كلِّ مَن أَمر بقتله.

والثانية: أنَّ له أَنْ يَقْتُل مَن شَتَمه وأغلظ له.

وهذا المعنىٰ الثاني الذي كان له باقٍ في حقِّه بعد موته؛ فكلُّ من شَتَمه، أو أغلَظَ في حقِّه، كان قَتْلُه جائزاً، بل ذلك بعد موته أَوْكَدُ وأَوْكَد؛ لأنَّ حُرْمَتَه بعد موته أكملُ، والتساهلَ في عِرْضِه بعد موته غير ممكن.

وهذا الحديث يُفيدُ أن سبَّه في الجُملةِ يُبيحُ القتل، ويُستدلُّ بعمومه علىٰ قتل الكافر والمسلم.

* الحديث الخامس: قِصَّةُ العَصْماءِ بنتِ مروان.

● ما رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: هَجَتِ امرأةٌ من خَطْمَةَ النبيَّ ﷺ، فقال: «مَنْ لِي بِهَا؟». فقال رجل من قومها: أنا يا رسول اللَّه، فنَهَض فقتلها، فأخبَرَ النبي ﷺ، فقال: «لاَ يَنْتَطِحُ فِيْهَا عنْزَانِ»[1].

وقد ذكر بعضُ أصحابِ المغازي وغيرُهم قصتَها مبسوطة.

□ قال الواقديُّ[2]: «حدَّثني عبدُاللَّه بنُ الحارثِ بنِ الفضيل، عن أبيه أن عَصْماءَ بنت مَرْوانَ من بني أمية بن زيدٍ كانت تحتَ يزيدَ بن زيدِ بن حِصْن الخَطْمِيِّ، وكانت تؤذي النبي ﷺ، وتَعيبُ الإسلام وتُحرِّضُ على النبي ﷺ، وقالت شعراً:

فَبِإسْـتِ بنـي مَالك والنَّبيت ... وَعَوف، وبإسْتِ بَني الخزرَجِ
أطعتـم أَتَـاوِيَّ[3] مِنْ غَيرِكُم ... فَـلاَ مِنْ مُـرَادٍ ولا مَذحِـجِ
تُرَجُّونَــهُ بعد قَتلِ الرؤوسِ ... كما يُرْتَــجَى مَرَقُ المُنْضَــجِ

---

(١) روىٰ هذه القصة ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢١٥٦)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٩٩) مطولة، كلاهما عن محمد بن الحجاج اللخمي عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس به. وقال ابن عدي في آخرها: «قال الشيخ: وهذا الإسناد مثل الإسناد الأول.. ولم يروه عن مجالد غير محمد بن الحجاج وجميعًا مما يُتَّهم محمد بن الحجاج بوضعها» اهـ. وينظر: «العلل المتناهية» لابن الجوزي (١/ ١٧٥).
ومعنىٰ «لا يَنتطحُ فيها عنزان» أي: لا يلتقي فيها اثنان ضعيفان؛ لأن النِّطاح من شأن التُّيوس والكِباش لا العُنوز، وهو إشارة إلىٰ قضية مخصوصة لا يجري فيها خُلْف ونزاع. ينظر: «النهاية» (٥/ ٧٤) (نطح).

(٢) في كتابه «المغازي» (١/ ١٧٢ ـ ١٧٤)، «ذكر سريّة قتل عصماء بنت مروان».

(٣) الأتاوي: الغريب، وأرادت به النبي ﷺ. انظر «غريب الحديث» للخطابي (١/ ٢١) «أتىٰ».

☐ قال عُمَيْر بن عَدِيٍّ الخَطْمِيُّ حين بَلَغه قولُها وتحريضها: اللَّهم إن لك عليَّ نذرًا لئن رَددتَ رسولَ اللَّه ﷺ إلىٰ المدينة لأقتلنَّها - ورسولُ اللَّه ﷺ يومئذٍ ببدر -، فلما رَجَع النبيُّ ﷺ من بدرٍ جاءها عُمَير بن عديٍّ في جوفِ الليل حتىٰ دخل عليها في بيتها وحولَها نفرٌ من ولدِها نيام منهم مَن تُرضِعُه في صدرها، فجَسَّها بيده، فوجد الصبيَّ تُرضِعُه، فنحَّاه عنها، ثم وضع سيفه علىٰ صَدرِها حتىٰ أنفذه مِن ظَهرِها، ثم خرج حتىٰ صلَّىٰ الصبحَ مع النبي ﷺ، فلما انصرف النبيُّ ﷺ نظر إلىٰ عمير فقال: «**أقتلتَ بنت مروان؟**» قال: نعم، بأبي أنت يا رسول اللَّه، وخَشِي عُمَيرٌ أن يكونَ افتأتَ[1] علىٰ رسولِ اللَّه ﷺ بقتلها، فقال: هل عَلَيَّ في ذلك شيءٌ يا رسول اللَّه ؟ قال: «**لا يَنْتَطِحُ فِيهَا عَنْزَانِ**»؛ فإن أولَ ما سُمِعت هذه الكلمة من النبي ﷺ، قال عمير: فالتفتَ النبي ﷺ إلىٰ مَنْ حوله فقال: «**إذَا أَحْبَبْتُم أَنْ تَنْظُرُوا إلى رَجُلٍ نَصرَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ بِالْغَيْب، فَانْظُرُوا إِلَى عُمَيْر بنِ عَدِيٍّ**»، فقال عمرُ بن الخطاب: انظروا إلىٰ هذا الأعمىٰ الذي تسرَّىٰ[2] في طاعةِ اللَّه، فقال: «**لا تَقُل الأعمى، ولكنه البصير**».

فلما رجع عميرٌ من عندِ رسول اللَّه ﷺ، وجد بنيها في جماعةٍ يدفنونها، فأقبلوا إليه حين رأوه مقبلاً من المدينة، فقالوا: يا عميرُ، أنت

---

(١) افتأت عليه أي: انفرد برأيه دونه، وهو افتعل من الفوات: السبق. يقال لكل من أحدث شيئًا في أمرك دونك: قد افتأت عليك فيه. وفي «اللسان»: افتات أي: استبد برأيه وانفرد، وقد صح الهمز فيها؛ افْتَأَتَ عليَّ ما لم أقل أي: اختلقه. ينظر: «النهاية» (٣/ ٤٧٧) (فوت)؛ «لسان العرب» (٦/ ٣٣٣٣) (فأت).

(٢) تسرَّىٰ: أي: جاءها في جوف الليل. والسُّرَىٰ: سيْرُ الليل.

قتلتَها؟ فقال: نعم، فكيدوني جميعًا ثم لا تُنْظِرُون، فو الذي نفسي بيده لو قلتم بأجمعكم ما قالت، لَضربتُكم بسيفي هذا حتى أموتَ أو أقتلَكم، فيومئذٍ ظهر الإسلامُ في بني خَطْمة، وكان منهم رِجالٌ يَسْتَخْفُون بالإسلام خوفًا من قومهم.

□ قال: أنشدنا عبداللَّه بن الحارث:

بَـني وَائِــل وبَني وَاقف ... وَخَطْمَة دُوْنَ بَني الخَـزْرَجِ
مَتَى مَا دَعَتْ أُخْتُكُمْ وَيْحَهَا ... بعَوْلَـتِهَا[1] والمَنَايَا تَـجِي
فَهزَّتْ فَتًى مَاجِـدًا عِرْقُـهُ ... كَرِيْم المداخـلِ وَالمَخْـرَجِ
فَضَرَّجَهَا[2] مِنْ نَجِيعِ الدِّمَا ... قُبَيْلَ الصَّبَـاحِ ولَمْ تَـخرُجِ
فَأَوْرَدَكَ اللَّهُ بَــرْدَ الجِنَــا ... نِ جَـذْلاَنَ في نِعمَةِ المَـوْلِجِ

□ قال عبدُاللَّه بن الحارث عن أبيه: وكان قتلُها لخمسٍ ليالٍ بَقِينَ من رمضان مَرجعَ النبيِّ ﷺ من بدر».

وإنما سقنا القصةَ من رواية أهل المغازي - مع ما في الواقدي من الضعف - لشهرةِ هذه القصة عندهم، مع أنه لا يَختلفُ اثنانِ أن الواقدي من أعلمِ الناس بتفاصيلِ أمور المغازي، وأخبَرِ الناسِ بأحوالها، وقد كان الشافعي وأحمدُ وغيرهما يستفيدون عِلْمَ ذلك من كتبه، نعم هذا الباب يَدخلُه خَلْطُ الروايات بعضِها ببعض، حتى يظهرَ أنه سمع مجموعَ القصة

(١) بِعَوْلتها: من العَوْل والعَوْلة والعويل: رفع الصوت بالبكاء انظر «النهاية» (٣/ ٣٢١)، و«لسان العرب» (٥/ ٣١٧٤) (عول).
(٢) ضرجها: لطَّخها.

من شيوخه، وإنما سمع من كلٍّ واحدٍ بعضها، ولم يميزه، ويدخله أخذ ذلك من الحديثِ المرسل والمقطوع، وربما حَدَّثَ الراوي ببعضِ الأمور لقرائن استفادها من عدَّةِ جهات، ويُكثِرُ من ذلك إكثاراً، فَيُنْسَبُ لأجله إلى المجازفة في الرواية وعدم الضبط، فلم يمكن الاحتجاجُ بما ينفرد به، فأما الاستشهادُ بحديثِه والاعتضادُ به، فمما لا يمكنُ المنازعةُ فيه، لا سيما في قصةٍ تامةٍ يُخبِرُ فيها باسمِ القاتل والمقتول وصورة الحال؛ فإنَّ الرجل وأمثالَه أفضلُ من أن يقعوا في مثلِ هذا في كذبٍ ووضع، على أنَّا لم نُثبت قَتْلَ السابِّ بمجرد هذا الحديث، وإنما ذكرناه للتقويةِ والتوكيد، وهذا يحصلُ ممن هو دُونَ الواقدي.

* **ووجه الدلالة**: أن هذه المرأةَ لم تُقتلْ إلاَّ لمجردِ أذى النبي ﷺ وهَجْوه، وهذا بَيِّنٌ في قول ابن عباس رضي الله عنهما: «هَجَتِ امرأةٌ مِنْ خَطْمةَ النبيَّ ﷺ فقال: «من لي بها؟»»، فعُلِم أنه إنما نَدَبَ إليها لأجل هَجْوِها.

وكذلك في الحديث الآخر: «فقال عميرٌ حين بَلَغَهُ قولُها وتحريضُها: اللَّهم إن لك عليَّ نَذْراً لئن رددتَ رسولَ اللَّه ﷺ إلى المدينة لأقتلنها».

وفي الحديثِ لَمَّا قال له قومه: «أنت قتلتَها؟ فقال: نعم، فكيدوني جميعًا ثم لا تُنْظِرون، فوالذي نفسي بيده لو قُلتم جميعًا ما قالت لضربتُكم بسيفي حتى أموتَ أو أقتلَكم»، فهذه مقدمة.

ومقدمةٌ أخرى، وهو أن شِعرَها ليس فيه تحريضٌ على قتالِ النبي ﷺ حتى يقال: التحريضُ على القتال قتال، وإنما فيه تحريضٌ على تركِ دينِه وذَمٌّ له ولمن اتَّبعه، وأقصى غايةِ ذلك أن لا يدخلَ في الإسلام مَن لم يكن دَخَل، أو أن يخرجَ عنه مَن دخل فيه، وهذا شأنُ كلِّ ساب.

وكذلك ندْبُ النبيِّ ﷺ الناس إلىٰ قتلْها.

* **الحديث السادس**: قصة أبي عَفَك اليهودي[1].

وقد مرَّ ذكرها.

* **الحديث السابع**: حديث أنس بن زُنَيْم الدِّيلي.

وهو مشهور عند أهل السير، ذكره ابنُ إسحاقَ والواقديُّ وغيرهما.

□ قال الواقدي[2]: حدثني عبدُاللَّه بنُ عمرِو بنِ زُهير، عن مِحجنِ ابنِ وهب قال: كان آخرُ ما كان بين خزاعةَ وبين كِنانةَ أن أنسَ بنَ زُنيم الدِّيَليَّ هجا رسولَ اللَّه ﷺ، فسمعه غلامٌ من خزاعة، فوقع به، فشَجَّه، فخرج إلىٰ قومه فأراهم شَجَّته، فثار الشرُّ مع ما كان بينهم وما تَطلُبُ بنو بكر من خُزَاعة من دمائها.

□ قال الواقدي[3]: «حدثني حِزامُ بنُ هشامِ بنِ خالدٍ الكعبيُّ، عن أبيه قال: وخَرَج عمرُو بن سالم الخُزاعيُّ في أربعين راكبًا من خُزَاعَةَ يستنصرون رسولَ اللَّه ﷺ، ويُخبرونه بالذي أصابهم» ـ وذكر قصةً فيها إنشاد القصيدة التي أولها ـ:

اللَّهم إني ناشدٌ محمداً . . . .

قال: «فلما فرغ الرَّكْبُ قالوا: يا رسولَ اللَّه، إن أنس بن زُنَيْم الدِّيلي

---

(١) انظر «المغازي» للواقدي (١/ ١٧٤) (سَرِيَّةِ قتل أبي عَفَك)، و«الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (٢/ ٢٨) (سريَّة سالم بن عُمَيْر).

(٢) «المغازي» للواقدي (٢/ ٧٨٢ـ٧٨٩) «شأن غزوة الفتح».

(٣) «المغازي» للواقدي (٢/ ٧٨٨).

قد هجاك، فنَدَر[1] رسولُ اللَّه ﷺ دَمَه، فبلغ ذلك أنسَ بنَ زُنَيْم، فقَدِم معتذرًا إلى رسول اللَّه ﷺ مما بَلَغه عنه، فقال:

أَنْتَ الَّذِي تُهْدَى مَعَدٌّ بأَمْرِه ... بَلِ اللَّه يَهْدِيْها، وَقَالَ لَكَ اشْهَد

فَما حَمَلَتْ منْ نَاقَة فَوْقَ رَحْلِهَا ... أَبَرَّ وأَوْفَى ذِمَّةً منْ مُحَمَّد

تَعَلَّمْ رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ مُدْرِكِي ... وأَنَّ وَعِيْدًا مِنْكَ كَالأَخْذِ بِاليَدِ

❑ وفيها:

تَعَلَّمْ رَسُوْلَ الله أَنَّكَ قَادرٌ ... عَلَى كُلِّ سَكْنٍ[2] مِنْ تِهَامٍ وَمُنْجِدِ

وَنُبِّي رَسُوْلُ اللَّه أَنْي هَجَوْتُهُ ... فَلاَ رَفَعَت سَوْطِي إلَيَّ إذًا يَدي

سِوَى أَنَّني قَدْ قُلْتُ يَا وَيْحَ فِتْيَةٍ ... أُصِيْبُوا بَنَحْسٍ يَوْمَ طَلْقٍ[3] وَأَسْعُدِ

❑ ويقول فيها:

فَإِنِّي لاَ عِرْضًا خَرَقْتُ ولاَ دمًا ... هَرَقْتُ فَفَكِّرْ عَالِمَ الحَقِّ وَاقْصِدِ

❑ قال الواقدي[4]: «أنشدنيها حِزام، وبلغت رسولَ اللَّه ﷺ قصيدتُه هذه واعتذاره، وكلَّمه نَوْفَلُ بنُ معاوية الدِّيلي[5]، فقال: يا رسول اللَّه، أنت أولى الناس بالعفو، ومَن منَّا لم يُعادِك ويُؤْذِك؟ ونحن في جاهليةٍ لا

---

(١) ندر، أي: أهدر.

(٢) السَّكن: أهل الدار، اسم الجمع سَاكِن. ينظر: «الصحاح» (٥/ ٢١٣٦)، «لسان العرب» (٤/ ٢٠٥٣) (سكن).

(٣) الطلق: اليوم المشرق، يقال: يوم طلق إذا لم يكن فيه حَرٌّ ولا بَرْد ولا شيء يؤذي. ينظر: «لسان العرب» (٥/ ٢٦٩٤) (طلق).

(٤) «المغازي» (٢/ ٧٨٠).

(٥) من مسلمة الفتح رضي الله عنه.

ندري ما نأخذُ وما نَدَعُ حتىٰ هدانا اللَّه بك، وأنقذنا بك من الهُلْك، وقد كَذَب عليه الركب، وكثُروا عندك، فقال: دَعِ الركب عنك؛ فإنا لم نجد بتهامةَ أحدًا من ذي رحمٍ ولا بعيدِ الرحم كان أبرَّ من خُزاعة، فأسكت نوفلُ ابنُ معاوية، فلما سكت قال رسول اللَّه ﷺ: «قَدْ عَفَوْتُ عَنْه»، قال نوفل: فِدَاك أبي وأمي».

□ وقال ابنُ إسحاق: وقال أنسُ بنُ زُنَيم يَعتذرُ إلىٰ رسولِ اللَّه ﷺ مما كان قد قال فيهم عمروُ بنُ سالم حين قَدِم علىٰ رسولِ اللَّه ﷺ يستنصرُه، ويذكر أنهم قد نالوا من رسول اللَّه ﷺ، وأنشد تلك القصيدة، وفيها:

وتَعلـــم أنَّ الركبَ رَكْبَ عُوَيْمِرٍ ... هُمُ الكَاذِبُونَ المُخْـلِفُو كُلَّ مَوْعِدِ[1]

فوجه الدلالة: أن النبي ﷺ، كان قد صالَح قريشًا وهادنهم عام الحديبية عَشْرَ سنين، ودخلت خزاعةُ في عَقْده، وكان أكثرُهم مسلمين وكانوا عَيْبَةَ[2] نُصْحٍ لرسول اللَّه ﷺ مسلمهم وكافرهم، ودخلت بنو بكر في عهدِ قريش؛ فصار هؤلاء كلُّهم معاهِدين، وهذا مما تواتر به النقلُ ولم يختلف فيه أهل العلم.

ثم إن هذا الرجلَ المعاهَد هجا النبيَّ ﷺ علىٰ ما قيل عنه، فشَجَّه بعضُ خزاعة، ثم أخبروا النبيَّ ﷺ أنه هجاه، يَقصِدون بذلك إغراءَه ببني بكر،

(١) انظر «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٤٢٤).

(٢) العَيْبَة: الخاصة وموضع السِّر. والعرب تكني عن الصدور والقلوب بالعِياب، لأنها مستودع السرائر كما أن العِيبَ مستودع الثياب. انظر «الصحاح» (٣/ ٣٢٧) (عيب).

فَنَدَر رسولُ اللَّه ﷺ دمـه ـ أي: أهدره ـ، ولمْ يُندِرْ دمَ غيرِه، فلولا أنهم عَلِموا أن هجاءَ النبيِّ ﷺ من المعاهـدِ مما يوجـبُ الانتقامَ منه، لم يفعلوا ذلك.

ثم إن النبي ﷺ نَدَرَ دَمَه بذلك، مع أن هِجاءَه كان حالَ العهد، وهذا نصٌّ في أن المعاهَدَ الهاجي يُباحُ دمه.

ثم إنه لَمَّا قدم أسلم في شِعره، ولهذا عَدُّوهُ من أصحاب النبي ﷺ، وقوله: «تَعَلَّم رسول اللَّه»، «ونُبِّي رسول اللَّه» دليل على أنه أسلم قبل ذلك، أو هذا وحدَه إسلام منه، فإن الوثنيَّ إذا قال: «محمدٌ رسول اللَّه» حُكم بإسلامه، ومع هذا فقد أنكر أن يكون هجا النبي ﷺ، ورَدَّ شهادَةَ أولئك بأنهم أعداءُ له، لما بين القَبيلتين من الدماء والحرب، فلو لم يكن ما فَعَلَه مُبيحًا لدمه لَمَا احتاج إلى شيءٍ من ذلك.

ثم إنه ـ بعد إسـلامه ـ واعتـذارِه، وتكذيبِ المخبـرين، ومَدْحِـه لرسول اللَّه ﷺ إنما طَلَبَ العفو من النبي ﷺ عن إهْدارِ دمه، والعفوُ إنما يكون مع جوَاز العقوبة على الذنب، فعُلم أن النبي ﷺ كان له أن يُعاقبَه بعد مجيئه مسلمًا معتذرًا، وإنما عفا عنه حِلْمًا وكرمًا.

ثم إن في الحديث أنَّ نَوْفَلَ بنَ معاويةَ هو الذي شَفَع له إلى النبي ﷺ، وقد ذكر عَامَّةُ أهل السِّيَرِ أن نوفلاً هذا هو رأسُ البكريِّين الذين عَدَوْا على خُزاعة وقَتَلُوهم، وأعانتهم قريشٌ على ذلك، وبسبب ذلك انتقض عهدُ قريشٍ وبني بكر، ثم إنه أسلم قبلَ الفتح حتى صار يَشفعُ في الذي هَجَا النبي ﷺ، فعُلم أن الهجاءَ أغْلَظُ من نقضِ العهد بالقتال بحيث إذا نَقَض قومٌ العهدَ بالقتال، وآخرون هَجَوا ثم أسلموا، عُصِمَ دَمُ الذي قاتل، وجاز

الانتقامُ من الهاجي، ولهذا قَرَنَ هذا الرجلُ خَرْقَ العِرْضِ بسفك الدَّم، فعُلم أن كليهما موجِبٌ للقتل، وأن خَرْق عِرْضِهِ كان أعظمَ عندهم من سفكِ دماءِ المسلمين والمعاهدين.

ومما يوضِّحُ هذا أن النبيَّ لم يُهدِرْ دمَ أحدٍ من بني بكرٍ الناقضين للعهد بعينه، وإنما مكَّن منهم بني خزاعةَ يومَ الفتحِ أكثرَ النهار، وأهدَرَ دمَ هذا بعينه حتىٰ أسلم واعتذر؛ هذا مع أن العهدَ كان عهدَ هُدنةٍ ومُوادعة، لم يكن عهدَ جزيةٍ وذِمَّة، والمهادنُ المقيمُ ببلده يُظهِرُ ببلده ما شاء من مُنْكَراتِ الأقوالِ والأفعالِ المتعلِّقةِ بدينهِ ودنياه، ولا يَنتقضُ بذلك عهدُه حتىٰ يحارِب؛ فعُلم أن الهجاءَ من جنسِ الحِرابِ ـ وأغلظُ منه ـ، وأن الهاجيَ لا ذِمَّةَ له.

* **الحديث الثامن**: قصَّةُ عبداللَّه بن سعد بن أبي سَرْح:

◻ وهي مما اتفق عليها أهل العلم، واستفاضت عندهم استفاضةً يُستغنىٰ بها عن روايةِ الآحاد، وذلك أثبتُ وأقوىٰ مما رواه الواحدُ العدل، فنذكرها مسندةً مشروحةً ليتبيَّنَ وجهُ الدلالة منها:

◻ عن مصعبِ بن سعدٍ، عن سعدِ بن أبي وقاص قال: «لَمَّا كان يومُ فتحِ مكة، اختبأ عبدُاللَّه بنُ سعدِ بن أبي سَرْحٍ عند عثمانَ بنِ عفان، فجاء به حتىٰ أوقفه علىٰ النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسول اللَّه، بَايِع عبدَاللَّه، فرفع رأسه، فنظر إليه ثلاثًا، كلُّ ذلك يأبىٰ، فبايعه بعد ثلاثٍ، ثم أقبل علىٰ أصحابه. فقال: «**أما كان فيكم رَجُلٌ رَشِيد، يقومُ إلى هذا حيث رآني كَفَفْتُ يَدي عن بيعته فيقتُلَه؟!**» فقالوا: ما ندري يا رسول اللَّه ما في نفسك، ألاَ أَوْ مَأْت إلينا بعينِك، قال: «**إنه لا يَنْبَغي لنبيٍّ**

أن تكون له خائنةُ الأَعْيُن»(١) .

● ورواه النَّسائيُّ كذلك بأبسطَ من هذا عن سعدٍ قال: «لما كان يومُ فتحِ مكة أَمَّنَ رسولُ اللَّه ﷺ الناسَ إلاَّ أربعةَ نَفَرٍ وامرأتَيْن، قال: «اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلِّقين بأستار الكعبة»: عكرمةُ بن أبي جهل، وعبدُاللَّه بن خَطَل، ومِقْيَس بن صُبَابة، وعبدُاللَّه بنُ سعدِ بن أبي سرح.

◻ فأما عبدُاللَّه بنُ خطل، فأُدْرِك وهو متعلِّقٌ بأستارِ الكبة، فاستَبَق إليه سعيدُ بنُ حُريث وعمَّارُ بنُ ياسر، فسبق سعيدٌ عمَّارًا ـ وكان أشبَّ الرجُلين ـ، فقتله.

وأمَّا مِقْيَس بن صُبَابة، فأدركه الناسُ في السوق، فقتلوه.

وأمَّا عكرمةُ، فركب البحرَ، فأصابتهم عاصف، فقال أصحابُ السفينة: أخلصوا، فإنَّ آلهتَكم لا تُغني عنكم شيئًا هاهنا، فقال عكرمة: واللَّهِ لَئِنْ لم يُنجِنِي في البحرِ إلاَّ الإخلاصُ، لا يُنجيني في البرِّ غيرُه، اللَّهم إنَّ لك عليَّ عَهدًا إن أنت عافيتَني مما أنا فيه، أن آتيَ محمدًا ﷺ حتىٰ أضعَ يدي في يده، فلأَجدنَّه عفوًّا كريمًا، فجاء وأسلم.

وأمَّا عبدُاللَّه بنُ سعدِ بنِ أبي سَرح، فإنَّه اختبأ عند عثمانَ بنِ عفان،

---

(١) صحيح: رواه أبو داود في كتاب الحدود ـ باب الحكم فيمن ارتد (٤/ ٥٢٧ ح٤٣٥٩)، ورواه أيضًا بأطول من هذا: في كتاب الجهاد ـ باب قتل الأسير ولا يُعرَض عليه الإسلام (٣/ ١٣٣ ح ٢٦٨٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٤٥)؛ والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٧/ ٤٠) وابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٢٩٧). الحديث قال عنه الحاكم: «صحيح علىٰ شرط مسلم» ووافقه الذهبي، وصحح إسناده شيخ الإسلام، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤/ ٣٠٠ ح ١٧٢٣). وفي «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ٨٢٣ ح ٣٦٦٣).

فلمَّا دعا رسولُ اللَّه ﷺ الناسَ إلىٰ البَيعةِ، جاء به حتىٰ أوقفَه علىٰ النبي ﷺ . . »[1] ثم ذكر الباقي كما رواه أبو داود.

◻ وعن عبداللَّه بن عباس رضي الله عنهما قال: «كان عبدُاللَّه بنُ سعدِ بنِ أبي سرحٍ يَكتبُ لرسولِ اللَّه ﷺ، فأزلَّه الشيطان، فلَحِق بالكفار، فأَمَر به رسولُ اللَّه ﷺ أن يُقتلَ يومَ الفتح، فاستجار له عثمانُ، فأجاره رسولُ اللَّه ﷺ»[2].

◻ ورَوىٰ محمدُ بنُ سعد في «الطبقات» عن عليِّ بنِ زيدٍ، عن سعيدِ ابنِ المسيَّب أن رسولَ اللَّه ﷺ أَمَر بقَتلِ ابنِ أبي سَرحٍ يوم الفتح، وفَرْتَنَىٰ[3]، وابنَ الزِّبَعْرَىٰ، وابنَ خَطَل، فأتاه أبو بَرزةَ وهو متعلِّقٌ بأستار الكعبة، فبَقَر بطنه، وكان رجلٌ من الأنصار قد نَذَر إنْ رأىٰ ابنَ أبي سرح أن يقتلَه، فجاء عثمانُ ـ وكان أخاه من الرضاعة ـ، فشَفَع له إلىٰ رسول اللَّه ﷺ، وقد أخذ الأنصاريُّ بقائِم السيف ينظرُ إلىٰ النبيِّ ﷺ متىٰ يومئُ إليه أن يقتلَه، فشَفَع له عثمانُ حتىٰ تَركه، ثم قال رسولُ اللَّه ﷺ للأنصارىٰ: «هَلاَّ وَفَّيْتَ

---

(١) صحيح: «سنن النسائي» كتاب تحريم الدم ـ الحكم في المرتد ـ (٧/ ١٠٥)، وصحح إسناده الألباني في «صحيح سنن النسائي» (٣/ ٨٥٢ح ٣٧٩١)، وفي «الصحيحة» (٤/ ٣٠٠ح ١٧٢٣).

(٢) صحيح: «سنن أبي داود» كتاب الحدود ـ باب الحكم فيمن ارتد (٤/ ١٢٨ح ٤٣٥٨)، و«المستدرك» للحاكم (٣/ ٤٥)، و«السنن الكبرىٰ» للبيهقي (٨/ ١٩٧)، والحديث قال عنه الحاكم: «صحيح علىٰ شرط البخاري» ووافقه الذهبي، وحسن إسناده الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣/ ٨٢٣ح ٣٦٦٣).

(٣) فَرْتَنَىٰ: إحدىٰ القينتَيْن اللتيْن كان ابن خطل يعلمهما الغناء بهجاء النبي ﷺ وأصحابه، ثم أسْلَمت هذه وتُرِكَت، وقُتلت الأُخرىٰ. انظر «الإصابة» (٨/ ١٦٦).

بِنَذْرِكَ؟» فقال: يا رسولَ اللَّه، وضَعْتُ يدي على قائِم السيف أنتظرُ متى تومئُ فأقتلَه، فقال النبي ﷺ: «الإيماءُ خيانة، ليس لنبيٍّ أن يُومئ»(١).

● وقال محمدُ بنُ إسحاقَ في روايةِ ابن بُكير عنه: قال أبو عُبيدة بن محمدِ بنِ عمَّار بن ياسر وعبدُاللَّه بنُ أبي بكرِ بن حَزْم: إن رسولِ اللَّه ﷺ - حين دَخل مكة، وفَرَّقَ جيوشَه - أمرهم أن لا يقتلوا أحدًا إلاَّ مَن قاتلهم، إلاَّ نفرًا قد سمَّاهم رسولُ اللَّه ﷺ، وقال: «اقْتُلُوْهُمْ وَإِنْ وَجَدْتُموهُمْ تَحْتَ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ»، عبدُاللَّه بنُ خَطَل، وعبدُاللَّه بنُ سعدِ بنِ أبي سَرح، وإنما أَمَر بابنِ أبي سرحٍ؛ لأنَّه كان قد أسلم، فكان يكتبُ لرسولِ اللَّه ﷺ الوحيَ، فرجع مشركًا، ولَحِق بمكة، فكان يقولُ لهم: إني لأُصرِّفه كيف شئتُ، إنه لَيأمرُني أن أكتبَ له الشيءَ فأقول له: أو كذا أو كذا؟ فيقول: نعم، وذلك أن رسولَ اللَّه ﷺ كان يقول: «عليمٌ حكيم»، فيقول: أو أكتب عزيز حكيم؟ فيقول له رسول اللَّه ﷺ: «نعم كلاهما سواء»(٢).

◻ قال ابنُ إسحاق: حدثني شُرَحْبيلُ بنُ سعدٍ أن فيه نزلت: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣].

فلما دخل رسولُ اللَّه ﷺ مكة فَرَّ إلىٰ عثمانَ بن عفان - وكان أخاه من الرضاعة -، فغيَّبه عنده حتىٰ اطمأن أهلُ مكة، فأتىٰ به رسولَ اللَّه ﷺ، فاستَأْمَن له، فصَمَت رسولُ اللَّه ﷺ طويلاً وهو واقفٌ عليه، ثم قال:

---

(١) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (٢/ ١٤١).

(٢) «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٤٠٩).

«نعم»، فانصرف به، فلمَّا ولَّىٰ قال رسول اللَّه ﷺ: «مَا صَمَتُّ إلاَّ رَجَاءَ أَنْ يَقُومَ إِلَيْهِ بَعْضُكُمْ فَيَقْتُلَهُ»، فقال رجلٌ من الأنصار: يا رسول اللَّه، ألاَ أومأتَ إليَّ فأقتلَه؟، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «إنَّ النَّبيَّ لاَ يَقْتُلُ بالإشَارَة»[1].

◻ وقال ابنُ إسحاق في روايةِ إبراهيمَ بنِ سعدٍ عنه: «حدَّثني بعضُ علمائِنا أن ابنَ أبي سرحٍ رَجَع إلىٰ قريشٍ فقال: واللَّهِ لو أشاءُ لقُلتُ كما يقول محمدٌ، وجئتُ بمِثلِ ما يأتي به، إنه لَيقولُ الشيءَ وأصرِفُه إلىٰ شيءٍ، فيقول: أصَبْتَ، ففيه أنزل اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الأنعام: ٩٣] الآية. فلذلك أمر رسول اللَّه ﷺ بقتله»[2].

◻ فوجَهُ الدلالةِ أن عبداللَّه بنَ سعدِ بنِ أبي سَرحٍ افترىٰ علىٰ النبي ﷺ أنه كان يُتَمِّم له الوحيَ ويكتبُ له ما يريد، فيوافقُه عليه، وأنه يُصرِّفه حيث شاء، وبغيرِ ما أَمَره به من الوحي، فيُقِرُّه علىٰ ذلك، وزَعَم أنه سيُنزلُ مثلَ ما أنزل اللَّه، إذ كان قد أُوحي إليه - في زعمه - كما أوحي إلىٰ رسول اللَّه ﷺ، وهذا الطعنُ علىٰ رسول اللَّه ﷺ وعلىٰ كتابه، والافتراءُ عليه بما يوجبُ الرَّيبَ في نبوَّتهِ قَدْرٌ زائدٌ علىٰ مجردِ الكفر به والرِّدَّةِ في الدين، وهو من أنواع السبِّ.

وكذلك لَمَّا افترىٰ عليه كاتبٌ آخرُ مثلَ هذه الفِريةِ، قَصَمَه اللَّه وعاقَبه عقوبةً خارجةً عن العادة، ليتبيَّنَ لكلِّ أحدٍ افتراؤه؛ إذ كان مِثلُ هذا يوجبُ

---

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٤٠٩)، و«مستدرك الحاكم» (٣/ ٤٥)، و«تفسير القرطبي» (٧/ ٤٠)، و«الدر المنثور».

(٢) «تفسير الطبري» (٥/ ٢٧٣).

في القلوبِ المريضةِ رَيْبًا بأن يقول القائل: «كاتبُه أعلمُ الناسِ بباطنه وبحقيقةِ أمره، وقد أخبَرَ عنه بما أخبر».

فمِنْ نَصْرِ اللَّه لرسوله أن أظهَرَ فيه آيةً يبيِّنُ بها أنه مُفترٍ.

□ فروىٰ البخاريُّ في «صحيحه» عن عبدالعزيز بنِ صُهيبٍ، عن أنسٍ قال: «كان رجلٌ نصرانيًّا، فأسلم، وقرأ البقرةَ وآل عمران، وكان يكتبُ للنبي ﷺ، فعاد نصرانيًّا، فكان يقول: ما يدري محمدٌ إلاَّ ما كتبتُ له، فأماته اللَّه، فدَفنوه، فأصبح وقد لَفَظَتْه[1] الأرضُ، فقالوا: «هذا فِعْل محمدٍ وأصحابه، نَبَشُوا عن صاحبنا فألقوه». . فحَفَروا له وأعمقوا[2] في الأرض ما استطاعوا، فأصبح وقد لَفَظَته الأرض، فعَلِموا أنه ليس من الناس، فألقوه»[3].

□ ورواه مسلم من حديثِ سُليمانَ بنِ المغيرة عن ثابتٍ، عن أنس قال: «كان منَّا رجلٌ من بني النجَّار قد قرأ البقرةَ وآل عمران، وكان يكتبُ للنبي ﷺ، فانطلق هاربًا حتىٰ لَحِق بأهلِ الكتاب، قال: فعرفوه، قالوا: هذا قد كان يكتبُ لمحمد، فأُعجِبوا به، فما لَبِثَ أن قَصَم اللَّه عُنقَه فيهم، فحَفَروا له، فَوَارَوْهُ، فأصبحت الأرضُ قد نَبَذَتْه علىٰ وجهها، ثم عادوا فحفروا له فوَاروْه، فأصبحت الأرضُ قد نَبَذَتْه علىٰ وجهها، ثم عادوا فحفروا له، فواروه، فأصبحت الأرضُ قد نَبَذَتْه علىٰ وجهها،

(١) لَفِظته: بكسر الفاء وفتحها، أي: طرحته ورَمَتْه.

(٢) في «صحيح البخاري»: تكرَّرت عملية الحفر منهم ولفظ الأرض له ثلاث مرات.

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» ـ كتاب المناقب ـ باب علامة النبوة في الإسلام (٦/ ٧٢٢ح ٣٦١٧).

فتركوه منبوذًا»(١) .

● وعن أنسٍ أن رجلاً كان يكتبُ لرسولِ اللَّه ﷺ، وقد قرأ البقرةَ وآل عمران، وكان الرجلُ إذا قرأ البقرة وآل عمران جَدَّ فينا، يعني عَظُم، فكان النبيُّ ﷺ يُمْلي عليه: «غفورًا رحيمًا»، فيكتب: «عليمًا حكيمًا»، فيقولُ له النبي ﷺ: «**اكتب كذا وكذا، اكتب كيف شئتَ**»، ويُمْلي عليه: «عليمًا حكيمًا»، فيكتب: «سميعًا بصيرًا»، فيقول: «**اكتب كيف شئتَ**»، فارتدَّ ذلك الرجلُ عن الإسلام، فلَحِق بالمشركين، وقال: أنا أعلمُكم بمحمدٍ إن كنتُ لأكْتُبُ ما شئتُ، فماتَ ذلك الرجل، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «**إنَّ الأَرْضَ لا تَقْبلُهُ**»، قال أنس: فحدَّثني أبو طَلْحَة أنه أتى الأرضَ التي مات فيها ذلك الرجلُ، فوجده مَنْبُوذًا، قال أبو طلحة: ما شأنُ هذا الرجلِ؟ قالوا: قد دَفَنَّاه مرارًا فلم تَقْبَلْه الأرض»(٢) ، فهذا إسناد صحيح.

فهذا الملعونُ الذي افترىٰ علىٰ النبيِّ ﷺ أنه ما كان يدري إلاَّ ما كَتب له، قَصَمه اللَّهُ وفَضَحه بأنْ أخرجه من القبر بعدَ أن دُفن مرارًا، وهذا أمرٌ خارج عن العادة، يدلُّ كلَّ أحدٍ علىٰ أن هذا عقوبةٌ لِمَا قاله، وأنه كان كاذبًا، إذ كان عامَّةُ الموتىٰ لا يُصيبهم مثلُ هذا، وأن هذا الجُرمَ أعظمُ من

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» ـ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٤/ ٢١٤٥ ح ٢٧٨١)، وأحمد في «المسند» (٣/ ٢٢٢).

(٢) صحيح: رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ١٢٠ ـ ١٢١)، وابن حبان في «صحيحه» (الإحسان): كتاب الرقائق ـ باب قراءة القرآن (٢/ ٦٢ح ٧٤١). والهيثمي في «موارد الظمآن» ـ كتاب الحدود ـ باب فيمن ارتد عن الإسلام (ص٣٦٥ح ١٥٢١)، والأصبهاني في «دلائل النبوة» (ص٥٢ ح ٣٥).

مجردِ الارتداد؛ إذ كان عامةُ المرتدِّين يموتون ولا يُصيبهم مثلُ هذا، وأن اللَّه منتقمٌ لرسوله ممن طَعَنَ عليه وسبَّه، ومُظهِرٌ لدينه ولِكَذِبِ الكاذب؛ إذ لم يُمكنِ الناسَ أن يُقيموا عليه الحد.

ونظيرُ هذا ما حدثناه أعدادٌ من المسلمين العدولِ أهلِ الفقه والخبرة عما جرَّبوه مراتٍ متعددةً في حَصرِ الحُصون والمدائنِ التي بالسواحل الشامية، لَمَّا حَصَرَ المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا، قالوا: كنا نحن نحصرُ الحصنَ أو المدينة الشهرَ ـ أو أكثرَ من الشهر ـ وهو ممتنعٌ علينا حتىٰ نكادَ نيأسُ منه، حتىٰ إذا تعرَّض أهلُه لسبِّ رسولِ اللَّه ﷺ والوقيعة في عِرْضِه، تَعجَّلنا فتحه وتيسَّر ولم يَكَدْ يتأخَّرُ إلاَّ يومًا أو يومين أو نحو ذلك، ثم يُفتح المكانُ عَنْوَة، ويكونُ فيهم مَلحمةٌ عظيمة، قالوا: حتىٰ إنْ كنَّا لَنتباشَرُ بتعجيلِ الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه، مع امتلاءِ القلوب غيظًا عليهم بما قالوه فيه.

وهكذا حدثني بعضُ أصحابِنا الثقاتِ أن المسلمين من أهلِ المغرب حالُهم مع النصارىٰ كذلك، ومِن سُنَّةِ اللَّه أن يُعذِّبَ أعداءَه تارةً بعذاب من عنده، وتارةً بأيدي عبادِه المؤمنين[1].

فكذلك لَمَّا تمكَّن النبيُّ ﷺ من ابنِ أبي سرحٍ أهدَرَ دَمَه، لَمَّا طعن في النبوةِ وافترىٰ عليه الكذب، مع أنه قد آمَنَ جميعَ أهلِ مكة الذين قاتلوه وحاربوه أشدَّ المحاربة، ومع أن السنةَ في المرتد أنه لا يُقتل حتىٰ يستتاب إمَّا وجوبًا، أو استحبابًا.

---

(١) «الصارم المسلول» (٢/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥).

◻ ومعروفٌ أن جماعةً ارتدُّوا علىٰ عهدِ النبي ﷺ ثم دُعُوا إلىٰ التوبة، وعُرِضت عليهم، حتىٰ تابوا وقُبلت توبتهم.

◻ وفي ذلك دليلٌ علىٰ أن جُرمَ الطاعنِ علىٰ الرسولِ ﷺ السابِّ له أعظمُ من جُرمِ المرتد.

◻ ثم إن إباحةَ النبيِّ ﷺ دَمَه بعد مجيئه تائبًا مسلمًا وقوله: «هَلاَّ قَتَلْتُمُوه»، ثم عَفْوه عنه بعد ذلك، دليلٌ علىٰ أن النبيَّ ﷺ كان له أن يقتلَه وأن يعفوَ عنه ويَعصِمَ دمَه، وهو دليلٌ علىٰ أن له ﷺ أنه يقتلَ مَن سَبَّه وإنْ تابَ وعادَ إلىٰ الإسلام.

يوضِّحُ ذلك أشياء:

منها: أنه قد رُوي عن عكرمةَ أن ابنَ أبي سَرحٍ رَجَع إلىٰ الإسلام قبلَ فتح مكة، وكذلك ذَكر آخرون أن ابنَ أبي سرحٍ رَجَع إلىٰ الإسلام قبلَ فتحِ مكةَّ إذ نَزَل النبيُّ ﷺ بها، وقد تقدَّم عنه أنه قال لعثمانَ قبل أن يَقْدَمَ به علىٰ النبي ﷺ: «إن جُرمي أعظمُ الجرم، وقد جئتُ تائبًا»، وتوبةُ المرتدِّ إسلامه.

ثم إنَّه جاء إلىٰ النبي ﷺ بعد الفتحِ وهُدوءِ الناس وبعدما تاب، فأراد النبيُّ ﷺ من المسلمين أن يقتلوه حينئذٍ، وتَربَّصَ زمانًا ينتظرُ فيه قتلَه، ويظنُّ أن بعضَهم سيقتلُه، وهذا أوضحُ دليلٍ علىٰ جوازِ قتلِه بعد إسلامه.

وكذلك لَمَّا قال له عثمانُ: إنه يَفِرَّ منك كلَّما رآك، قال: «أَلَمْ أُبَايِعْهُ وَأُومِنْهُ؟!» قال: بلىٰ، ولكنه يتذكرُ عظيمَ جُرمِه في الإسلام، فقال: «الإِسْلَامُ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ».

فبيَّن النبيُّ ﷺ أن خوفَ القتلِ سَقط بالبيعة والأمان، وأن الإثمَ زال

بالإسلام، فعُلم أن السابَّ إذا عاد إلىٰ الإسلام جَبَّ الإسلامُ إثمَ السب، وبَقِيَ قتلُه جائزًا حتىٰ يوجَدَ إسقاطُ القتلِ ممَّن يَملِكُه إنْ كان ممكنًا.

إنَّ غَرَضنا هنا أن نبيِّنَ أن مجرَّدَ الطعنِ علىٰ رسول اللَّه ﷺ والوقيعةِ فيه يُوجِبُ القتلَ في الحال التي لا يُقْتَل فيه لمجردِ الردة، وإذا كان ذلك مُوجِبًا للقتل، استوىٰ فيه المسلمُ والذمِّيُّ؛ لأنَّ كلَّ ما يوجِبُ القتلَ ـ سوىٰ الرِّدة ـ يستوي فيه المسلمُ والذمي.

وفي كتمانِ الصحابةِ لابنِ أبي سرحٍ ولإحدىٰ القَيْنَتَينِ دليلٌ علىٰ أن النبي ﷺ لم يُوجِب قتلَهم، وإنما أباحه مع جوازِ عفوِه عنهم، وفي ذلك دليلٌ علىٰ أنه كان مُخيَّرًا بين القتل والعفو، وهذا يؤيِّد أن القتل كان لِحَقِّ النبي ﷺ.

* **الحديث التاسع**: حديثُ القَينتينِ اللتين كانتا تُغنِّيان بهجاءِ النبي ﷺ ومولاةِ بني هاشم، وذلك مشهورٌ مستفيضٌ عند أهلِ السير، أمر ﷺ بقتلِ فَرْتَنَىٰ.

◻ وقال موسىٰ بنُ عقبة في «مغازيه» عن الزهري: وأَمَرهم رسولُ اللَّه ﷺ أن يَكُفُّوا أيديَهم فلا يُقاتِلوا أحدًا إلاَّ مَن قاتَلهم، وأَمر بقتلِ أربعةِ نفر، قال: وأَمَر بقتلِ قَينتَينِ لابن خَطَلٍ تُغنِّيانِ بهجاءِ رسولِ اللَّه ﷺ، ثم قال: وقُتلت إحدىٰ القينتين وكَمِنَت الأخرىٰ حتىٰ استؤمن لها.

وكذلك ذكر محمدُ بنُ عائذٍ القُرشيُّ في «مغازيه».

◻ وقال ابنُ إسحاق في روايةِ ابنِ بُكير عنه: قال أبو عبيدةَ بنُ محمدِ ابنِ عمَّارِ بنِ ياسر وعبدُاللَّه بنُ أبي بكرِ بنِ حزم: إن رسولَ اللَّه ﷺ حين دَخلَ مكةَ وفرَّق جيوشَه، أَمرهم أن لا يقتلوا أحدًا إلاَّ مَن قاتلهم، إلاَّ نَفرًا

قد سماهم رسول اللَّه ﷺ وقال: «اقْتُلُوهُمْ وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ تَحْتَ أَسْتَارِ الكَعْبَة: عبدُاللَّه بن خَطَل»، ثم قال: «إنما أَمر بقَتلِ ابنِ خَطَل؛ لأنه كان مسلمًا، فبعثه رسولُ اللَّه ﷺ مُصَدِّقًا، وبَعث معه رجلاً من الأنصار، وكان معه مولًى له يخدمُه، وكان مسلمًا، فنَزل منزلاً وأَمَر المولىٰ يَذبحُ له تَيسًا ويصنعُ له طعامًا، فنام واستيقظ ولم يصنع له شيئًا، فعدا عليه فقتله، ثم ارتدَّ مشركًا، وكانت له قَيْنَةٌ وصاحبتُها كانتا تُغنيان بهجاءِ النبي ﷺ، فأَمَر بقتلِهما معه، قال: ومِقْيَسُ بنُ صُبابة لقَتله الأنصاريَّ الذي قتل أخاه، وسارةُ مولاةٌ لبني عبدالمطلب، كانت ممن يؤذيه بمكة[١].

◻ قال ابنُ إسحاق: وحدَّثني أبو عبيدةَ بنُ محمدِ بنِ عمَّارِ بنِ ياسر أنهم كانوا ستةً، فكَتم اسمَ رجلين وأخبرني بأربعة، قال: النسوة قَيْنَتَا ابنِ خطل، وسارةُ مولاةٌ لبني عبدالمطلب، ثم قال: والقينتانِ كانتا تُغنِّيان بهجائه، وسارةُ مولاة أبي لهب كانت تؤذيه بلسانها[٢].

◻ وقال الواقديُّ عن أشياخه: «ونهىٰ رسولُ اللَّه ﷺ عن القتال، وأَمَر بقتلِ ستةِ نفرٍ وأربعِ نسوةٍ، ثم عدَّدهم، قال: «وابن خطل، وسارةُ مولاةُ عمرو بن هاشم، وقَينتين لابن خطل، فَرْتَنَىٰ وقُريبة، ويقال: فُرتنىٰ وأرنب»[٣].

ثم قال: «وكان جُرْم ابنِ خطل أنه أسلَمَ وهاجَرَ إلىٰ المدينة، وبعثه رسولُ اللَّه ﷺ ساعيًا، وبَعَث معه رجلاً من خُزَاعة، وكان يَصنعُ طعامَه

---

(١) «المغازي» للواقدي (٢/ ٨٥٩ ـ ٨٦٠)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٤٠٩ ـ ٤١٠).

(٢) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤١٠).

(٣) المغازي (٢/ ٨٢٥).

ويَخدُمه، فنزل في مَجمع، فأمره أن يصنَع له طعامًا، ونام نصف النهار، فاستيقظ والخزاعيُّ نائمٌ ولم يَصنْع له شيئًا فاغتاظ عليه، فضربه فلم يُقْلعْ عنه حتىٰ قَتَله، فلما قَتَله قال: واللَّهِ لَيَقتُلَنِّي محمدٌ به إن جِئتُه، فارتدَّ عن الإسلام، وساق ما أخذه من الصدقةِ وهَرَب إلىٰ مكة، فقال له أهلُ مكة: ما ردَّك إلينا؟ قال: لَم أجِدْ دينًا خيراً من دينكم، فأقام علىٰ شِرْكِه، فكانت له قَينتانِ. . وكانتا فاسقتين، وكان يقولُ الشِّعرَ يهجُو رسولَ اللَّه ﷺ ويأمُرهما تُغنِّيانِ به، فيدخلُ عليه وعلىٰ قَينتيه المشركون فيشربون الخمرَ، وتُغنِّي القينتان بذلك الهجاء.

وكانت سارةُ مولاةُ عمرو بن هاشم مغنيةً نوَّاحةً بمكة، يُلقي عليها هجاءَ النبي ﷺ فتغني به، وكانت قد قَدمت علىٰ رسول اللَّه ﷺ تطلُب أن يَصلِها، وشكَت الحاجة، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**مَا كَانَ لَكَ في غنَائك وَنيَاحَتك مَا يَكْفيْك؟**» فقالت: يا محمد، إن قريشًا منذ قُتل من قُتل منهم ببدرٍ تركوا استماعَ الغِناء، فوصَلَها رسولُ اللَّه ﷺ، وأوقر لها بعيراً طعامًا، فرجَعَت إلىٰ قريش، وهي علىٰ دينها، فأمر بها رسولُ اللَّه ﷺ يومَ الفتح أن تُقْتَل، فقُتلت يومئذٍ.

وأما القينتانِ، فأمر رسولُ اللَّه ﷺ بقَتلهما، فقُتلت إحداهما: أَرْنَب أو قُريبة، وأما فَرْتنىٰ، فاستؤمن لها حتىٰ آمنت، وعاشت حتىٰ كُسِر ضِلع من أضلاعها زمنَ عثمان ﷺ فماتت، فقضىٰ فيه عثمان ﷺ ثمانيةَ آلاف درهم دِيتها، وألفين تغليظًا للجُرم[1].

---

(١) كتاب «المغازي» للواقدي (٢/ ٨٥٩-٨٦٠)

وحديث القينتين مما اتَّفق عليه علماءُ السير، واستفاض نَقلُه استفاضةً يُستغنىٰ بها عن روايةِ الواحد، وحديثُ مولاة بني هاشم ذكره عامةُ أهلِ المغازي ومَن له مَزِيد خبرةٍ واطلاع، وبعضُهم لم يذكره.

فوجه الدلالة: أنَّ تعمُّدَ قَتلِ المرأةِ لمجرَّدِ الكفرِ الأصليِّ لا يجوزُ بالإجماع، وقد استفاضت بذلك السنةُ عن رسول اللَّه ﷺ.

إذا تقرر هذا، فنقول: هؤلاء النسوةُ كنَّ معصوماتٍ بالأنوثة، ثم إن النبي ﷺ أَمَر بقَتْلِهِنَّ لمجردِ كونهن كنَّ يَهجِينَه وهنَّ في دار حرب، فعُلم أنَّ مَن هجاه وسبَّه جازَ قتلُه بكلِّ حال.

* **الحديث العاشر**: ما استدلَّ به بعضُهم من قصة ابن خطل ففي «الصحيحين» من حديث الزهري عن أنس أن النبي ﷺ دخل مكة عام الفتح، وعلىٰ رأسه المِغْفَر[1]، فلما نَزَعه جاءه رجلٌ فقال: ابنُ خطل متعلِّقٌ بأستار الكعبة، فقال: «اقتلوه»[2].

---

(١) المِغْفر: بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح الفاء: زردٌ ينسج من الدروع علىٰ قدر الرأس، وقيل: هو رفرف البيضة، وقيل: هو ما يجعل من فضل دروع الحديد علىٰ الرأس مثل القلنسوة. ينظر «النهاية» (٤/ ٣٧٤) (غفر).

(٢) رواه البخاري في كتاب جزاء الصيد - باب دخول الحرم ومكة بغير إحرام (٤/ ٧٠-٧١ ح ١٨٤٦)، وفي كتاب الجهاد- باب قتل الأسير وقتل الصّبر (٦/ ١٩١ ح ٣٠٤٤)، وفي مواضع أخرىٰ (ح ٤٢٨٦، ٥٨٠٨)؛ ورواه مسلم في كتاب الحج- باب جواز دخول مكة بغير إحرام- (٢/ ٩٨٩ ح ١٣٥٧)؛ وأبو داود في كتاب الجهاد- باب قتل الأسير- ولا يعرض عليه السلام (٣/ ١٣٤ ح ٢٦٨٥)؛ والترمذي في كتاب الجهاد- باب ما جاء في المغفر- (٤/ ١٧٤ ح ١٦٩٣)؛ والنسائي في كتاب الحج- باب دخول مكة بغير إحرام- (٥/ ٢٠٠ - ٢٠١)؛ وأحمد في «المسند» (٣/ ١٠٩، ١٦٤، ١٨٦، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٤٠).

وهذا مما استفاض نَقلُه بين أهل العلم واتفقوا عليه : أن رسول اللَّه ﷺ أهدَرَ دَم ابنِ خطل يومَ الفتح فيمن أهدره ، وأنه قُتل .

❑ وعن ابن المسيَّب أنَّ أبا برزة أتاه وهو متعلِّقٌ بأستار الكعبة، فبَقَر بطنَه . . وكذلك رَوىٰ الواقديُّ عن أبي برزةَ قال : فيَّ نزلت هذه الآية ﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝١ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴾ [البلد : ١ - ٢] . أخرجتُ عبداللَّه بن خَطَل وهو متعلِّقُ بأستارِ الكعبة ، فضربتُ عنقَه بين الركن والمقام[(١)] .

❑ وذكر الواقديُّ أن ابنَ خَطَل أقبلَ مِن أعلىٰ مكة مُدجَّجًا في الحديد . . ثم خرج حتىٰ انتهىٰ إلىٰ الخندمة[(٢)] ، فرأىٰ خيلَ المسلمين ورأىٰ القتال، ودَخَله رعبٌ حتىٰ ما يَستمسكُ منَ الرِّعْدَةَ[(٣)] ، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ الكعبة، فَنَزل عن فرسِه، وطَرَح سلاحَه، فأتىٰ البيتَ، فدخَلَ بين أستاره[(٤)] .

وقد تقدم عن أهل المغازي أن جُرمَه أن النبي ﷺ استعملَه علىٰ الصدقة، وأصحبه رجلاً يخدمه، فغَضِب علىٰ رفيقِه لكونه لَم يصنعْ له طعامًا أَمَره بصنعه، فَقَتَله، فخاف ثَمَّ أن يُقتل، فارتد واستاقَ إبلَ الصدقة، وأنه كان يقولُ الشِّعَر يهجُو به رسولَ اللَّه ﷺ، ويأمرُ جاريتَيه أن تُغنِّيا به ،

---

(١) كتاب «المغازي» للواقدي (٢/ ٨٥٩) .

(٢) الخندمة : اسم جبل مكة . ينظر «معجم ما استعجم» (٢/ ٥١٢) «معجم البلدان» (٢/ ٣٩٢) .

(٣) الرعدة : النافض يكون من الفزع وغيره، وقد أرعد فارتعد . ينظر «لسان العرب» (٣/ ١٦٦٩) (رعد) .

(٤) كتاب «المغازي» للواقدي (٢/ ٨٢٦ ، ٨٢٧) .

فهذا له ثلاثُ جرائمَ مبيحةٌ للدم: قتلُ النفس، والردَّة، والهجاء.

* الحديث الحادي عشر:

أمْرُ النبيِّ ﷺ بقتلِ جماعةٍ لأجل سبِّه، وقَتَل جماعةً لأجل ذلك، مع كفِّه وإمساكِه عمَّن هو بمنزلتهم في كونه كافرًا حربيًّا، فمن ذلك ما قدمناه عن سعيدِ بنِ المسيب أن النبي ﷺ أمر يومَ الفتح بقتل ابن الزِّبَعرَىٰ.

وسعيدُ بن المسيَّب هو الغايةُ في جودةِ المراسيل، ولا يَضرُّه أن لا يذكرَه بعضُ أهل المغازي، فإنَّهم مختلِفون في عددِ مَن استُثني من الأمان، وكلٌّ أخبر بما عَلم، ومَن أثبت الشيءَ وذكره حُجةٌ علىٰ من لم يثبته.

□ وقد ذَكَر ابنُ إسحاق قال: «فلما قَدِم رسولُ اللَّه ﷺ إلىٰ المدينة منصرفًا عن الطائف، كتب بُجَيرُ بنُ زهيرِ بنِ أبي سُلْمىٰ إلىٰ أخيه كعبِ بن زهير يخبرُه أن رسولَ اللَّه ﷺ قد قَتل رجالاً بمكةَ ممن كان يهجوه ويؤذيه، وأنَّ مَن بَقِي من شعراءِ قريشٍ عبداللَّه بنِ الزِّبَعْرَىٰ وهُبيرة بن أبي وهب قد هربوا في كلِّ وجه؛ ففي هذا بيانٌ أن النبي ﷺ أَمَر بقتل من كان يهجوه ويؤذيه بمكةَ من الشعراء مثل ابن الزِّبَعْرَىٰ وغيره».

ومما لا خفاءَ به أن ابن الزِّبَعْرَىٰ إنما ذَنبُه أنه كان شديدَ العداوة لرسول اللَّه ﷺ بلسانه؛ فإنَّه كان من أشعرِ الناس، وكان يُهاجي شعراءَ الإسلام مثلَ حسانَ وكعبِ بنِ مالك، فأمَّا ما سوىٰ ذلك من الذنوب قد شَرَكه فيه وأربىٰ عليه عددٌ كثيرٌ من قريش.

ثم إن ابن الزِّبَعْرَىٰ فَرَّ إلىٰ نجران، ثم قدم علىٰ النبي ﷺ مسلمًا، وله أشعارٌ حسنةٌ في التوبةِ والاعتذار، فأهَدَرَ دمَه للسبِّ، مع أمانه لجميع أهل

مكة إلاَّ مَن كان له جُرمٌ مثلُ جرمِه ونحو ذلك.

ومن ذلك أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، قصَّتُه في هجائه للنبي ﷺ وفي إعراضِ النبي ﷺ عنه لَمَّا جاءه مسلمًا مشهورةٌ ومستفيضةٌ.

□ فوجه الدلالة: أنه ندر دمَ أبي سفيان بن الحارث دون غيره من صناديدِ المشركين الذين كانوا أشدَّ تأثيرًا في الجهاد باليد والمال، وهو قادمٌ إلىٰ مكة لا يريدُ أن يَسفِكَ دماءَ أهلها، بل يَستعطفُهم علىٰ الإسلام، ولم يكن لذلك سببٌ يختصُّ بأبي سفيان إلاَّ الهجاء، ثمَّ جاء مسلمًا، وهو يُعْرِض عنه هذا الإعراضَ، وكان من شأنه أن يتألَّفَ الأباعدَ علىٰ الإسلام، فكيف بعشيرته الأقربين؟ كلُّ ذلك بسبب هَتكِه عرضَه كما هو مفسَّرٌ في الحديث.

● وقد عفَىٰ عنه النبيُّ ﷺ لما قال: «واللَّهِ لَيقبلَنَّ مني، أو لآخُذَنَّ بيد ابني هذا فلأذهبَنَّ في الأرض حتىٰ أهلِكَ عطشًا وجُوعًا، وأنت أحلمُ الناس وأكرمُ الناس مع رَحِمي بك»، فرقَّ له رسولُ اللَّه ﷺ.

* قِصَّةُ الحُويرثِ بنِ نُقيد:

ومِن ذلك أنه أَمَر يومَ الفتح بقَتلِ الحُويرث بن نُقَيد، وهو معروف عند أهل السِّيَر، قال موسىٰ بن عقبة في «مغازيه» عن الزهري - وهي من أصحِّ المغازي؛ كان مالك يقول: «مَن أحبَّ أن يكتبَ المغازي فعليه بمغازي الرجلِ الصالح موسىٰ بن عقبة» - قال: وأَمَرهم رسولُ اللَّه ﷺ أن يكفُّوا أيديَهم، فلا يُقاتِلوا أحدًا إلاَّ مَن قاتَلهم، وأَمَرهم بقتل أربعةِ نفر، منهم: الحويرثُ ابن نُقَيْد[1].

(١) «مغازي الواقدي» (٢/ ٨٢٥)، و«الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (٢/ ١٣٦)، و«تاريخ الطبري» (٣/ ٥٨).

◘ وقال سعيدُ بنُ يحيىٰ الأُموي في «مغازيه»: حدَّثني أبي، قال: وقال ابنُ إسحاق: «وكان رسول اللَّه ﷺ عَهِدَ إلىٰ المسلمين في قتل نَفَرٍ ونسوةٍ، وقال: «إنْ وَجَدتُموهُمْ تَحْتَ أَسْتَارِ الكَعْبَةِ فَاقْتُلُوهُمْ»، وسمَّاهم بأسمائهم ستة، وهم: عبدُاللَّه بنُ سعدِ بنِ أبي سَرح، وعبدُاللَّه ابنُ خَطَل، والحُويرثُ بنُ نُقَيد، ومِقْيَسُ بن صُبَابة، ورجلٌ من بني تيم بن غالب».

◘ قال ابن إسحاق: «وحدَّثني أبو عبيدة بنُ محمدِ بنِ عمَّارِ بنِ ياسرٍ أنهم كانوا ستةً، فكَتَم اسمَ رجُلين ـ وأخبرني بأربعة ـ، وزَعَم أن عكرمةَ بن أبي جهل أحدُهم»[1].

قال: وأمَّا الحويرثُ بنُ نُقيد، فقَتَله عليٌّ بن أبي طالب، وكذلك ذَكَر ابنُ إسحاق في روايةِ ابنِ بُكير وغيرِه عنه من النفر الذين استثناهم النبي ﷺ وقال: «اقْتُلُوهُم وَإِنْ وَجَدتُمُوهُم تَحْت أَسْتَارِ الكَعْبَةِ»: الحويرثُ بن نقيد، وكان ممن يؤذِي رسول اللَّه ﷺ[2].

◘ قال الواقديُّ عن أشياخِه: إن النبيَّ ﷺ نَهىٰ عن القتال، وأمر بقَتلِ ستةِ نفرٍ وأربعِ نسـوة: عكرمةَ بنِ أبي جهل، وهَبَّارِ[3] بنِ الأسود، وابنِ

(١) «السيرة النبويَّة» لابن هشام (٢/ ٤٠٩ـ ٤١١).
(٢) المرجع السابق.
(٣) هَبَّار بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العُزّىٰ، من قريش، شاعر من الصحابة، وكان له قدر في الجاهلية.
وهو جد الهباريين ملوك ثغر السند، توارثوها إلىٰ أن انتزعها منهم محمود بن سُبُكْتُكِين (صاحب غزنة)، وكانت قاعدتهم في السند «المنصورة»، وكان هبار في الجاهلية سبابًا.
هجا النبي ﷺ قبل إسلامه، وله معه خبر طويل ذكره ابن حجر، وكان إسلامه بعد الفتح بالجِعْرانة. توفي بعد سنة خمس عشرة. ينظر: «أسد الغابة» (٥/ ٣٨٤)، «الإصابة» (٦/ ٢٧٩)، «الأعلام» (٨/ ٧٠).

أبي سرح، ومِقْيَسِ بنِ صُبابة، والحويرث بن نُقيد، وابنِ خطل[1] .

قال: وأما الحويرثُ بنُ نُقيد، فإنَّه كان يؤذي النبيَّ ﷺ، فأهدَرَ دمَه، فبينا هو في منزلِه يومَ الفتح قد أُغلق بابه عليه، وأقبل عليٌّ ﵁ يسأله عنه، فقيل: هو في البادية، فأُخبر الحويرثُ أنه يُطْلَب، وتنحَّىٰ عَلِيٌّ عن بابه، فخرج الحويرثُ يريدُ أن يهربَ من بيتٍ إلىٰ بيتٍ آخر، فتلقَّاه عليٌّ فضَرَب عنقه[2] .

ومثلُ هذا مما يُشتَهَرُ عند هؤلاء مثلِ الزهري وابنِ عقبةَ وابنِ إسحاق والواقديِّ والأُموي وغيرهم، أكثرُ ما فيه أنه مرسل، والمرسَلُ إذا رُوِيَ من جهاتٍ مختلفةٍ ـ لا سيما ممن له عنايةٌ بهذا الأمر وتتبُّعٌ له ـ كان كالمسند، بل بعضُ ما يُشتهر عند أهل المغازي ويَستفيضُ أقوىٰ مما يُروىٰ بالإسناد الواحد، ولا يُوهِّنه أنه لم يذْكَرْ في الحديثِ المأثور عن سعدٍ وعَمرِو بن شُعيب، عن أبيه، عن جَدِّه؛ لأنَّ المثْبِت مُقدَّم علىٰ النافي، ومَنْ أخبر أنه أَمَر بقَتله، فمعه زيادةُ علم، ولعلَّ النبيَّ ﷺ لم يأمُرْ بقَتلِه، ثم أَمَر بقتله، وذلك أنه يمكنُ أن النبيَّ ﷺ نَهىٰ أصحابَه ألاَّ يُقاتِلوا إلاَّ مَن قاتَلهم إلاَّ النفر الأربعة، ثم أَمَرهم أن يَقتلوا هذا وغيره.

ومجردُ نهيه عن القتال لا يوجبُ عِصمةَ المكفوفِ عنهم، لكنه بعد ذلك آمَنَهم الأمانَ العاصمَ للدم، وهذا الرجلُ قد أَمر النبيُّ ﷺ بقتله لمجرَّدِ أذاه له، مع أنه قد آمَنَ أهْلَ البلدِ الذين قاتلوه وأصحابَه وفعلوا بهم الأفاعيل.

---

(١) ينظر: كتاب «المغازي» للواقدي (٢/ ٨٢٥).

(٢) «المغازي» (٢/ ٨٥٧).

ومِن ذلك أنه ﷺ لَمَّا قَفَلَ من بدرٍ راجعًا إلىٰ المدينة قَتَل النَّضْرَ بنَ الحارث وعُقْبَةَ بنَ أبي مُعْيطٍ، ولم يَقتل من أُسَارَىٰ بدر غيرهما، وقصتهما معروفة.

□ قال ابنُ إسحاق: «وكان في الأَسرىٰ عُقْبَةُ بن أبي مُعْيطٍ والنَّضْرُ بنُ الحارث، فلما كان رسولُ اللَّه ﷺ بالصَّفْراء[1] قَتَلَ النَّضْرَ بنَ الحارث، قَتَله عليُّ بنُ أبي طالب كما خُبِّرْتُ، ثم مَضىٰ رسولُ اللَّه ﷺ، فلمَّا كان بِعرْقِ الظَّبْيَة[2] قُتل عقبةُ بنُ أبي مُعيط، قَتَله عاصمُ بن ثابت[3].

فالسببُ الذي أوجَبَ قَتْلَ هذيْن الرَّجُلَيْن من بين سائرِ الأَسرىٰ: أذاهم للَّهِ ولرسولهِ بالقول والفعل؛ فإنَّ الآياتِ التي نزلت في النَّضْر معروفة[4].

(١) الصَّفراء: وادٍ كثير النخل بينه وبين بدر مرحلة.

(٢) عَرق الظبية: هو من الرَّوْحاء على ميلين مما يلي المدينة.

(٣) «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٦٤٤)، و«المغازي» (١/ ١١٤، ١٣٨، ١٤٩).

(٤) فقد روىٰ ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٨٢) عن ابن عباس ﭬ أنه قال: «أنزل اللَّه تبارك وتعالىٰ في النضر ثماني آيات من القرآن، قوله: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْه آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾، وكل ما ذكر في الأساطير من القرآن» اهـ. ومن تلك الآيات التي نزلت في النضر بن الحارث، قول اللَّه تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥]. ينظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص١٧٥). ومنها قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣١].. ينظر «الباب المنقول» للسيوطي (ص١١٠) و«تفسير ابن جرير» (٩/ ٢٣١).. ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢]. قال الواحدي (ص١٩٢): «نزلت في النضر بن الحارث». ينظر: «تفسير ابن جرير» =

□ قال الواقديُّ: كان النضرُ بنُ الحارث أَسَرَهُ المِقْدَادُ بن الأسود، فلمَّا خرج رسولُ اللَّه ﷺ من بدرٍ فكان بالأُثَيِّل(١) عُرِض عليه الأسرىٰ، فنظر إلىٰ النضرِ بنِ الحارث فأبدَّه البصرَ(٢)، فقال لرجلٍ إلىٰ جنبه: محمدٌ واللَّهِ قاتِلي، لقد نظر إليَّ بعينين فيهما الموت، فقال الذي إلىٰ جنبه: «واللَّهِ ما هذا منك إلاَّ رعب»، فقال النضرُ لمصعبِ بنِ عمير: يا مصعبُ، أنت أقرب مَنْ هاهنا بي رحمًا، كلِّمْ صاحبَك أن يجعلَني كرجلٍ من أصحابي، هو واللَّهِ قاتلي إن لم تفعلْ، قال مصعب: إنَّك كنتَ تقولُ في كتاب اللَّه كذا وكذا، وتقول في نبيِّه كذا وكذا، قال: يا مُصعبُ، يجعلُني كأحدِ أصحابي، إن قُتلوا قُتلت، وإن مَنَّ عليهم مَنَّ عليَّ، قال مصعبٌ: إنك كنت تُعذِّب أصحابَه ـ وذكر الحديث ـ، إلىٰ أن قال: فقتله عَلِيٌّ بن أبي طالب صبراً بالسيف(٣).

□ وقد أهدَرَ رسولُ اللَّه ﷺ دَمَ كعبِ بنِ زُهير بن أبي سُلْمىٰ لهجائه إيَّاه، ثم قدم علىٰ رسول اللَّه ﷺ تائبًا وأنشده قصيدتَه المشهورة «بانت سعاد» وفيها:

أُنْبِئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّه أَوْعَدَنِي ... وَالعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّه مَأْمُولُ
مَهْلاً هَدَاكَ الَّذي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الـ ... ـقُرْآنِ فيه مَوَاعِيظٌ وتَفْصِيلُ
لاَ تَأْخُذَنِّي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ ... أُذْنِبْ، وَلَوْ كَثُرَتْ فِيَّ الأَقَاوِيلُ

= (٩/ ٢٣٢). ومنها قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفرقان: ٥]. ينظر: «تفسير ابن جرير» (١٨/ ١٨٢).

(١) الأثيل: موضع قرب المدينة بين بدر والصفراء. انظر «معجم البلدان» (١/ ٩٣).

(٢) أبده البصر أي: أعطاه بدته من النظر، أي: حظَّه. «النهاية» (١/ ١٠٥) (بد).

(٣) «المغازي» للواقدي (١/ ١٠٦، ١٠٧).

ومن ذلك: أن أصحابه كانوا إذا سَمِعوا مَنْ يَسُبُّه ويؤذيه ﷺ قتلوه، وإن كان قريبًا، فيُقرُّهم علىٰ ذلك ويرضاه، وربما سَمَّىٰ مَنْ فعل ذلك «ناصرًا للَّه ورسوله».

فهذه الأحاديثُ كلُّها تدلُّ علىٰ أنَّ مَن كان يسبُّ النبيَّ ﷺ ويؤذيه من الكفار، فإنَّه كان يَقصِدُ قَتْلَه، ويَحضُّ عليه لأجل ذلك، وكذلك أصحابُه بأمره يفعلون ذلك، مع كَفِّه عن غيرِه ممن هو علىٰ مِثلِ حاله في أنه كافرٌ غير معاهَد، بل مع أمانِه لأولئك، أو إحسانِه إليهم من غير عهدٍ بينه وبينهم، ثم مِن هؤلاء مَنْ قُتل، ومنهم من جاء مسلمًا تائبًا فعُصِم دمه.

*** سُنَّةُ اللَّه فيمن لا يقدرُ المسلمون على الانتقام منه:**

ومِن سُنةِ اللَّه أنَّ مَن لم يُمكِّنِ المؤمنون أن يُعذِّبوه مِن الذين يؤذون اللَّهَ ورسولَه؛ فإنَّ اللَّهَ سبحانه ينتقمُ منه لرسوله ويكفيه إياه، كما قدمنا بعضَ ذلك في قصةِ الكاتب المفترِي، وكما قال سبحانه: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٤-٩٥].

والقصةُ في إهلاكِ اللَّهِ واحدًا واحدًا من هؤلاء المستهزئين معروفة، قد ذكرها أهلُ السِّيَر والتفسير، وهم - علىٰ ما قيل - نفرٌ من رؤوس قريش: منهم الوليدُ بن المغيرة، والعاصُ بن وائل، والأسودانِ بنُ المطلب وابنُ عبد يغوث، والحارثُ بن قيس.

وقد كَتَب النبيُّ ﷺ إلىٰ كِسرىٰ وقيصر، وكلاهما لم يُسْلم، لكنَّ قيصرَ أكرَمَ كتابَ رسولِ اللَّه ﷺ، وأكرم رسولَه، فَثَبَتَ مُلكُه، فيقال: إن المُلكَ باقٍ في ذريته إلىٰ اليوم، وكِسرىٰ مَزَّق كتابَ رسول اللَّه ﷺ،

واستهزأ برسول اللَّه ﷺ، فقتله اللَّهُ بعد قليل، ومَزَّق مُلكَه كلَّ ممزَّق، ولم يَبْقَ للأكاسرة مُلكٌ، وهذا ـ واللَّه أعلم ـ تحقيقُ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣].

فكلُّ من شَنَأه وأبغَضَه وعاداه، فإنَّ اللَّه تعالىٰ يقطعُ دابرَه، ويَمحقُ عينَه وأثَره، وقد قيل: إنها نزلت في العاصِ بنِ وائل، أو في عقبةَ بنِ أبي مُعيط، أو في كعب بن الأشرف، وقد رأيتَ صنيعَ اللَّه بهم[1].

ومن الكلام السائر: «لحومُ العلماء مسمومة».. فكيف بلحوم الأنبياء عليهم السلام.

● وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ قال: «**يَقُولُ اللَّه تَعَالَى: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ**»[2].

فكيف بمَن عَادىٰ الأنبياء؟ ومن حارَبَ اللَّهَ حُرِبَ، وإذا استَقريتَ قَصَصَ الأنبياءِ المذكورةَ في القرآن تجدُ أُممهم إنما أُهلكوا حين آذَوا الأنبياء وقابلوهم بقبيحِ القول أو العمل، وهكذا بنُو إسرائيل إنما ضُربت عليهم الذِّلَّة، وباؤوا بغضبٍ من اللَّه، ولم يكن لهم نصيرٌ لقتلهم الأنبياءَ بغيرِ حقٍّ مضمومًا إلىٰ كُفرهم، كما ذَكر اللَّهُ ذلك في كتابه، ولعلَّك لا تَجِدُ أحدًا آذىٰ نبيًّا من الأنبياء، ثم لم يَتُبْ إلاَّ ولابد أن يُصيبَه اللَّهُ بقارعةٍ، وقد ذكرنا ما جرَّبه المسلمون من تعجيلِ الانتقام من الكفارِ إذا تعرَّضوا لسبِّ

---

(١) انظر «تفسير الطبري» (٣٠/ ٣٢٩)، و«تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٥٩).

(٢) جزء من حديث رواه البخاري في «صحيحه» كتاب الرِّقاق ـ باب التواضع (١١/ ٣٤٨ح ٦٥٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه عبارة: «فقد آذنته بالحرب»، وقد انفرد البخاري بإخراجه في «صحيحه».

رسول اللَّه ﷺ، وبلغنا مثلُ ذلك في وقائعَ متعددةٍ، وهذا بابٌ واسعٌ لا يُحاط به، ولم نَقصِدْ قَصْدَه هنا، وإنما قَصَدْنا بيانَ الحُكمِ الشرعيِّ.

● وكان سبحانه يَحْميه ويَصْرفُ عنه أذىٰ الناسِ وشَتْمَهم بكلِّ طريق، حتىٰ في اللفظ؛ ففي «الصحيحين» عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«أَلاَ تَرَوْنَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ ولَعْنَهُمْ؟ يَشْتُمُونَ مُذَمَّمًا وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا، وَأَنَا مَحَمَّدٌ»**(١) .

فنزَّه اللَّهُ اسمَه ونَعْتَه عن الأذىٰ، وصَرَفَ ذلك إلىٰ مَن هو مذمَّم، وإن كان المؤذي إنما قصد عينه.

* الحديث الثاني عشر:

● روىٰ النسائي عن أبي بَرزةَ قال: أُتي رسولُ اللَّه ﷺ بمالٍ فقَسَمه، فأعطىٰ مَنْ عن يمينه ومَنْ عن شماله، ولم يُعطِ مَنْ وَراءه شيئًا، فقام رجلٌ من ورائهِ فقال: يا محمدُ، ما عَدَلْتَ في القسمة ـ رجلٌ أسود مطمومُ الشعر، عليه ثوبانِ أبيضان ـ، فغضب رسولُ اللَّه ﷺ غضبًا شديدًا، وقال:

(١) رواه البخاري: في كتاب «المناقب» ـ باب ما جاء في أسماء رسول اللَّه ﷺ (٦/ ٦٤١ح ٣٥٣٣) وفيه لفظ: «ألا تعجبون»، ورواه الإمام أحمد: في «المسند» (٢/ ٢٤٤، ٣٤٠، ٣٦٩) باللفظين، والنسائي: في كتاب الطلاق ـ باب الإبانة والإفصاح بالكلمة الملفوظ بها (٦/ ١٥٩) بلفظ: «انظروا»، والبيهقي: في «السنن الكبرىٰ» (٨/ ٢٥٢). وهذا الحديث لم أجده في «صحيح مسلم»، ويؤيد ذلك ما نص عليه الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٦/ ٧٣٥) في خاتمة المناقب النبوية من كتاب المناقب، حيث ذكر بأن مسلمًا وافق البخاري علىٰ تخريج أحاديث المناقب النبوية سوىٰ ثمانية وعشرين حديثًا، وذكر منها هذا الحديث. وصَرَّح بذلك أيضًا العلامة أحمد محمد شاكر في شرحه «للمسند» (١٣/ ٥٠ح ٧٣٢٧) فقال: «ولم يخرجه مسلم».

«واللَّه لا تَجدُون بَعْدي رَجُلاً هو أعْدَلُ منِّي»، ثم قال: «يَخْرُجُ في آخرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ كأنَّ هذا منْهُمْ يَقْرؤُون الْقُرآنَ لاَ يُجاوزُ تَرَاقيهمْ، يَمْرُقُونَ من الإسْلامِ كمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ منَ الرَّميَّة، سيماهُمُ التَّحْليقُ[1] لاَ يَزَالُونَ يَخْرُجُونَ حَتى يَخْرُجَ آخرُهم معَ الْمَسيحِ الدَّجَّالِ، فإذا لَقيتُموهُم فَاقْتُلُوهُم، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَليقَة»[2].

❑ فهذا دليلٌ علىٰ أن النبيَّ ﷺ أَمَر بقتلِ طائفةِ هذا الرجل العائب عليه، وأخبر أن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم وقال: «لَئنْ أَدْرَكْتُهمْ لأَقْتُلَنَّهُم قَتْلَ عادٍ»، وذكر أنهم شَرُّ الخَلقِ والخليقة.

❑ وفيما رواه الترمذيُّ وغيرُه عن أبي أمامة أنه قال: «هُمْ شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَديْم السَّمَاء، خَيْرُ قَتْلى مَنْ قَتَلوه».

* وذُكر أنه سمع النبي ﷺ يقول ذلك مراتٍ متعددة، وتلا فيهم قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرتُم بَعْدَ إِيمَانكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٦][3].

---

(١) أي: كانت طريقة الخوارج: حلق جميع الرأس، وكان السلف يوفرون رؤوسهم لا يحلقونها، كما في «الفتح» (٨/ ٦٨ ح ٤٣٥١).

(٢) رواه النسائي: في كتاب تحريم الدم ـ من شهر سيفه، ثم وضعه في الناس (٧/ ١١٩ ـ ١٢١)، وأحمد: في «المسند» (٤/ ٤٢١، ٤٢٤، ٤٢٥).

(٣) صحيح: رواه الترمذي: في كتاب «تفسير القرآن» ـ باب ومن سورة آل عمران (٥/ ٢١٠ح ٣٠٠٠)، وابن ماجه: في المقدمة ـ باب في ذكر الخوارج (١/ ٦٢ح ١٧٦)، وأحمد: في «المسند» (٥/ ٢٥٠، ٢٥٦، ٢٦٩)، وعبداللَّه بن أحمد بن حنبل: في كتاب «السنة» (٢/ ٦٤٣ح ١٥٤٢)، والحاكم: في «المستدرك» (٢/ ١٤٩)، والبيهقي: في «السنن الكبرىٰ» (٨/ ١٨٨). الحديث: حَسَّنه الترمذي، وقال الحاكم: «صحيح علىٰ =

فإنَّ ثَبَتَ بهذه الأحاديثِ الصحيحةِ أنه ﷺ أَمَر بقتل مَنْ كان من جنسِ ذلك الرجلِ الذي لَمزَه أينما لُقُوا، وأخبر أنهم شَرُّ الخَليقة، وثَبَتَ أنهم مِن المنافقين: كان ذلك دليلاً علىٰ صحَّةِ معنىٰ حديث الشعبي في استحقاق أصلِهم للقتل.

* ولقد اختلف العلماءُ في حكمِ الخوارج:

فمِمَّن قال بتكفيرهم: الإمامُ البخاري والقاضي أبو بكر بن العربي وتقي الدين السبكي والطبري والقرطبي والقاضي عياض..

ومِمَّن قال بتفسيقهم: ذهب أكثرُ أهلِ الأصول من أهلِ السنة إلىٰ أن الخوارج فُسَّاق، وأن حُكم الإسلام يجري عليهم لتلفظهم بالشهادتين ومواظبتهم علىٰ أركان الإسلام.

قال الخطابي: أجمع علماء المسلمين علىٰ أن الخوارج مع ضلالتهم فرقة من فرق المسلمين وأنهم لا يُكفَّرون ما داموا متمسكين بأصل الإسلام.

وقال ابن بطال: ذهب جمهورُ العلماء إلىٰ أن الخوارج غيرُ خارجين عن جملة المسلمين، ومن توقف في تكفيرهم: وهم المتكلمون، وكادت أن تكون هذه المسألة أشدَّ إشكالاً عند المتكلمين من غيرها، ومنهم: الإمام أبو المعالي وقبله القاضي الباقلاني، وكذا الغزالي. وللتفصيل في أقوال العلماء وأدلة كل فريق ينظر: «فتح الباري» المطبوع مع «صحيح البخاري» (١٢/ ٣١٣) في آخر شرح الحديثين رقم (٦٩٣٣، ٦٩٣٤)، من كتاب

= شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٣/ ٣٢ح ٢٣٩٨).

«استتابة المرتدين» - باب من ترك قتال الخوارج.

* **إجماعُ الصحابةِ على كفر سابِّ الرسول ﷺ:**

وأمَّا إجماعُ الصحابة ﷺ، فلأنَّ ذلك نُقِلَ عنهم في قضايا متعدِّدة ينتشرُ مِثلُها ويستفيض، ولم يُنكِرْها أحدٌ منهم؛ فصارت إجماعًا، واعلمْ أنه لا يمكن ادِّعاء إجماعِ الصحابة على مسألةٍ فَرْعية بأبْلَغَ من هذا الطريق.

▫ فمن ذلك ما ذَكره سَيفُ بنُ عمرَ التميميُّ[1] في كتاب «الردَّة والفتوح» عن شيوخه، قال: ورُفع إلى المهاجر - يعني: المُهاجرِ بن أبي أمية، وكان أميرًا على اليمامة ونواحيها - امرأتانِ مغنيتانِ غَنَّتْ إحداهما بشَتْمِ النبي ﷺ، فقَطع يدها، ونَزَع ثَنيَّتها، وغَنَّتِ الأخرى بهجاءِ المسلمين فقطع يَدَهَا، ونَزَع ثنيتَّها، فكتب أبو بكر: «بَلَغني الذي سرت به في المرأة التي تغنَّتْ وزَمَّرت بشَتمِ النبي ﷺ، فلولا ما قد سبقتني فيها لأمرتُك بقَتْلِها؛ لأنَّ حدَّ الأنبياء ليس يشبهُ الحدود؛ فمن تعاطى ذلك من مسلم فهو مرتدٌّ، أو معاهدٍ فهو محارِب غادر».

▫ وكتب إليه أبو بكر في التي تَغنَّتْ بهجاء المسلمين: «أمَّا بعد، فإنَّه بلغني أنك قطعت يَدَ امرأة في أن تَغَنَّتْ بهجاء المسلمين ونزعتَ ثَنِيَّتَهَا، فإنْ كانت ممن تدعي الإسلام فأدَبٌ وتقدمة دون المُثْلة، وإن كانت ذِمِّيَّةً فلعمري لَمَا صَفَحَت عنه من الشرك أعظم، ولو كنتُ تقدَّمتُ إليك في مثل هذا لبلغتَ مكروهك، فاقبَلِ الدَّعَةَ، وإياك والمُثْلةَ في الناس؛ فإنَّها مأثم ومنفرة إلاَّ في قصاص».

(١) ضعيف في الحديث، عُمدَةٌ في التاريخ.

◻ وقد ذكر هذه القصةَ غيرُ سيف(١)، وهذا يوافقُ ما تقدم عنه أن مَنْ شَتم النبي ﷺ كان له أن يقتلَه، وليس ذلك لأحدٍ بعده، وهو صريحٌ في وجوب قَتْل من سَبَّ النبي ﷺ من مسلمٍ ومعاهَدٍ ـ وإن كان امرأة ـ، وأنه يُقْتَل بدون استتابة، بخلاف مَنْ سبَّ الناس، وأن قتله حدٌّ للأنبياء كما أن جَلْدَ مَن سَب غيرَهم حدٌّ له، وإنما لم يأمرْ أبو بكر بقَتْل تلك المرأةِ؛ لأنَّ المهاجِرَ سَبق منه فيها حدٌّ باجتهاده، فكَرِهَ أبو بكر أن يجمعَ عليها حَدَّيْن، مع أنه لعلَّها أسلمت، أو تابت فقَبِلَ المهاجرُ توبتَها قبلَ كتاب أبي بكر، وهو محلُّ اجتهادٍ سَبَق منه فيه حُكمٌ فلم يُغيِّره أبو بكر؛ لأنَّ الاجتهادَ لا يُنقضُ بالاجتهاد، وكلامُه يدلُّ على أنه إنما مَنَعه من قتلِها ما سبق من المهاجر.

◻ وروىٰ حَرْبٌ في «مسائله» عن لَيْث بنِ أبي سُلَيم، عن مجاهدٍ قال: «أُتي عُمرُ برَجُل سَبَّ النبي ﷺ، فقتله، ثم قال عمرُ: مَنْ سَبَّ اللَّه، أو سَبَّ أحدًا من الأنبياء فاقتلوه».

◻ قال ليثٌ: وحدثني مجاهدٌ عن ابن عباس قال: «أيُّما مسلمٍ سَبَّ اللَّهَ، أو سَبَّ أحدًا من الأنبياء، فقد كَذَّبَ برسول اللَّه ﷺ، وهي رِدَّةٌ، يُسْتتاب، فإنْ رَجَع وإلاَّ قُتِلَ، وأيما معاهدٍ عاند فسَبَّ اللَّه، أو سَبَّ أحدًا من الأنبياء، أو جَهَر به، فقد نَقَضَ العهد فاقتلوه».

◻ وعن أبي مَشجعةَ بنِ رِبعيٍّ قال: «لَمَّا قَدِمَ عمرُ بنُ الخطاب الشامَ قام قُسْطَنْطِينُ بِطْرِيقُ الشام، وذكر معاهدةَ عمرَ له وشروطه عليهم، قال: اكْتُبْ بذلك كتابًا، قال عمرُ: نعم، فبينا هو يكتبُ الكتابَ إذ ذكر عمر،

(١) «تاريخ الطبري» (١/ ٣٤١)، و«تاريخ الخلفاء» (ص٩٧).

فقال: إني أستثني عليك مَعَرَّةَ الجيش مرتين، قال: لك ثُنْيَاك[١] وقَبَّحَ اللَّه من أَقَالَكَ[٢]، فلما فرغ عمرُ من الكتاب قال له: يا أميرَ المؤمنين، قُمْ في الناس فأخبِرْهم الذي جَعَلْتَ لي، وفرَضْتَ عَلَيَّ؛ ليتناهَوْا عن ظُلْمي، قال عمرُ: نعم، فقام في الناس، فحمدَ اللَّه وأثنىٰ عليه، فقال: الحمدُ للَّه أحمدُه وأستعينه، مَنْ يَهدِه اللَّه فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلل فلا هاديَ له، فقال النَّبطيُّ: إن اللَّهَ لا يُضِلُّ أحدًا، فقال عمرُ: ما يقول؟ قالوا: لا شيءَ، وعاد النبطيُّ لمقالته، فقال: أخبرني ما يقول، قال: يزعمُ أن اللَّهَ لا يُضِلُّ أحدًا، قال عمر: إنا لم نُعطِكَ الذي أعطيناك لتدخلَ علينا في ديننا، والذي نفسي بيده لَئِنْ عُدتَ لأضربنَّ الذي فيه عيناك، وأعاد عمرُ، ولم يَعُدِ النبطيُّ، فلمَّا فرغ عمرُ أخذ النبطيُّ الكتاب»، رواه حرب[٣].

فهذا عمرُ ﷺ بمَحْضرٍ من المهاجرين والأنصار يقولُ لمن عاهده: «إنا لم نُعطِكَ العهدَ علىٰ أن تدخلَ علينا في ديننا»، وحَلَفَ لئن عاد ليضربَنَّ عنقه؛ فعُلم بذلك إجماعُ الصحابة علىٰ أن أهلَ العهدِ ليس لهم أن يُظهِروا الاعتراضَ علينا في ديننا، وأن ذلك منهم مُبيحٌ لدمائهم.

وإنَّ من أعظمِ الاعتراض سَبَّ نبينا ﷺ، وهذا ظاهرٌ لا خَفَاء به؛ لأن إظهارَ التكذيب بالقَدَرِ من إظهار شتمِ النبي ﷺ.

وإنما لم يَقتُلْه عمرُ؛ لأنَّه لم يكن قد تقرَّر عنده أن هذا الكلامَ طَعْنٌ في

(١) لك ثُنْياك، أي: لك ما استثنيت. والثُّنْيا: هي أن يُستَثنىٰ في العقد شيء. ينظر: «النهاية» (١/ ٢٢٤) (ثنا).

(٢) أقالك، أي: فسخ عهدك ونقضه. ينظر: «النهاية» (٤/ ١٣٤) (قيل).

(٣) ورواه المعافىٰ بن زكريا الجريري في كتابه «الجليس الصالح» (٣/ ٣٠٦).

دينِنا؛ لجوازِ أن يكون اعتَقد أن عمرَ قال ذلك من عنده، فلما تقدم إليه عمرُ وبَيَّنَ له أن هذا دينُنا قال له: «لئن عُدْتَ لأقتلنك».

ومِن ذلك ما استَدلَّ به الإمام أحمد، ورواه عن هُشيم: ثنا حُصين، عمَّن حدَّثه، عن ابنِ عمر قال: «مرَّ به راهبٌ، فقيل له: هذا يسبُّ النبي ﷺ، فقال ابن عمر رضي الله عنهما: لو سمعتُه لقتلتُه، إنا لم نُعطِهِمُ الذِّمَّةَ على أن يسبُّوا نبيَّنا ﷺ»[1].

ورواه أيضًا من حديثِ الثوريِّ، عن حُصينٍ، عن شيخٍ أن ابن عمر رضي الله عنهما أَصْلَتَ[2] على راهبٍ سَبَّ النبي ﷺ بالسيفِ، وقال: «إنا لم نُصالِحْهم على سَبِّ النبي ﷺ»[3].

* **حُكْم مَن سَبَّ النبي ﷺ مِن مسلمٍ أو كافرٍ وجوبُ قتلِه:**

◻ قال شيخُ الإسلام ابن تيمية في كتابه المبارَك «الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ»: «هذا مذهَبُ عامةِ أهل العلم.. قال ابنُ المُنْذِرِ: «أجمعَ عوامُّ أهلِ العلمِ على أَنَّ حَدَّ مَن سَبَّ النبيَّ ﷺ القتل، وممن قاله مالكٌ واللَّيثُ وأحمدُ وإسحاقُ، وهو مذهبُ الشافعي».

---

(١) انظر «أحكام أهل الملل» لأبي بكر الخلال: كتاب الحدود ـ باب فيمن شتم النبي ﷺ (ق/ ١٠٣/ ب). وعزاه ابن حجر في «المطالب العالية» (٢/ ١٧٥ح ١٩٨٦) إلى «مسند مُسدَّد» وفي حاشيته: قال البوصيري: رواه مسدد بسند فيه راوٍ لم يُسَمَّ، والحارث في مسنده بسند رواته ثقات.

(٢) أصلت السيف: إذا جَرَّده من غِمْده. «النهاية» (٣/ ٤٥) (صلت).

(٣) «أحكام أهل الملل» (ق/ ١٠٣/ ب ـ ق/ ١٠٤/ أ)، وفيه بلفظ: «معلت على راهب» مهملة بدون نقط. وهو تحريف.

☐ قال: «وحُكي عن النعمان[1] : لا يُقتل - يعني: الذمِّيَّ -، ما هُو عليه من الشركِ أعْظَمُ»[2] .

وقد حَكىٰ أبو بكر الفارسي[3] من أصحابِ الشافعي - إجماعَ المسلمين علىٰ أنَّ حدَّ من يَسبُّ النبيَّ ﷺ القتلُ، كما أن حدَّ مَن سَبَّ غيرَه الجَلْدُ.

وهذا الإجماعُ الذي حكاه محمولٌ علىٰ إجماعِ الصَّدْرِ الأوَّل مِن الصحابة والتابعين، أو أنه أرادَ به إجماعَهم علىٰ أن سابَّ النبيِّ ﷺ يجبُ قتلُه إذا كان مسلمًا، وكذلك قَيَّدَه القاضي عِياضٌ، فقال: «أجمعَتِ الأمةُ علىٰ قَتْلِ متنقِّصِهِ من المسلمين وسابِّه»[4] ، وكذلك حكَىٰ عن غيرِ واحدِ الإجماعَ علىٰ قتله وتكفيره[5] .

☐ وقال الإمامُ إسحاقُ بنُ رَاهُوْيَه - أحدُ الأئمة الأعلام -: «أجمع

(١) يعني: أبا حنيفة.

(٢) ينظر: كتاب «الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف» لابن المنذر: في كتاب الحدود (٢/ ٦٨٢) رقم (٢٨٥) (رسالة علميَّة)، كتاب «الإجماع» لابن المنذر أيضًا: في كتاب «المرتد» (ص١٥٣) رقم (٧٢٢).

(٣) هو أحمد بن الحسين بن سهل، أبو بكر الفارسي. إمام جليل، تفقَّه علىٰ ابن سريج. وهو أول من درَّس مذهب الشافعي ببَلْخ. قال النووي: «من أئمة أصحابنا وكبارهم ومتقدميهم وأعلامهم» اهـ. صَنف كتاب «العيون علىٰ مسائل الربيع» وكتاب «الانتقاد علىٰ المُزَني»، وكتاب «الخلاف» معه، وكتاب «الإجماع». مات سنة خمسين وثلاث مئة.

(٤) يُنظر: كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ» للقاضي عياض: القسم الرابع: «في تعريف وجوه الأحكام فيمن تنقَّصه أو سبَّه عليه الصلاة والسلام» (٢/ ٢١١).

(٥) يُنظر: «كتاب الشفا» الباب الأول: في بيان ما هو في حقه ﷺ سبٌّ أو نقص من تعريض أو نص (٢/ ٢١٥) وما بعدها.

المسلمون على أنَّ من سَبَّ اللَّهَ، أو سَبَّ رسولَه ﷺ، أو دَفَعَ شيئًا مما أنزل اللَّه عزَّ وجلَّ، أو قَتَلَ نبيًّا من أنبياء اللَّهِ عزَّ وجلَّ، أنه كافر بذلك ـ وإن كان مُقرًّا بكلِّ ما أنزل اللَّهُ ـ».

□ وقال الخَطَّابي: «لا أعلمُ أحدًا من المسلمين اختَلَفَ في وُجُوب قَتْله»[١].

□ وقال محمدُ بنُ سَحْنُون: «أجمع العلماءُ على أن شاتِمَ النبيِّ ﷺ المتَنَقِّصَ له كافرٌ، والوعيدُ جارٍ عليه بعذاب اللَّهِ له، وحُكْمُه عند الأُمةِ القتْلُ، وَمَنْ شَكَّ في كُفره وعذابه كَفَر»[٢].

وتحريرُ القول فيها: أنَّ السابَّ إن كان مسلمًا، فإنه يَكفُرُ ويُقْتَلُ بغير خلاف، وهو مذهبُ الأئمةِ الأربعة وغيرهم، وقد تقدم ممن حكى الإجماعَ على ذلك من الأئمة مثل إسحاق بن رَاهُوْيَه وغيره.

وإن كان ذميًّا، فإنه يُقتل أيضًا في مذهب مالكٍ وأهْلِ المدينة، وسيأتي حكايةُ ألفاظهم، وهو مذهبُ أحمد وفقهاءِ الحديث، وقد نَصَّ أحمدُ على ذلك في مواضعَ متعددة.

□ قال حنبل: سمعت أبا عبداللَّه يقول: «كلُّ مَن شَتَم النبيَّ ﷺ أو تنقَّصه ـ مسلمًا كان أو كافرًا ـ، فعليه القتلُ، وأرى أن يُقتلَ ولا يُستتاب».

□ قال: وسمعتُ أبا عبداللَّه يقول: «كلُّ مَنْ نَقَضَ العهدَ، وأحدَثَ في الإسلام حَدَثًا مِثلَ هذا، رأيتُ عليه القتل، ليس على هذا أُعْطَوا العهدَ والذِّمَّة».

---

(١) انظر: «معالم السنن» للخطابي ـ المطبوع مع مختصر سنن أبي داود (٦/ ١٩٩).
(٢) صنف الإمام محمد بن سحنون رسالة بعنوان: «رسالة فيمن سبَّ النبي ﷺ».

□ وكذلك قال أبو الصقر[١] : سألتُ أبا عبدالله عن رجلٍ من أهل الذمَّة شتَم النبيَّ ﷺ، ماذا عليه؟ قال: إذا قامت عليه البينةُ يُقتل مَنْ شتَم النبيَّ ﷺ، مسلمًا كان أو كافرًا»، رواهما الخَلاَّلُ[٢] .

□ وقال في رواية عبدالله وأبي طالب[٣] - وقد سُئل عمَّن شتَم النبيَّ ﷺ - قال: «يُقتل، قيل له: فيه أحاديث؟ قال: نعم، أحاديث منها: حديثُ الأعمىٰ الذي قَتَل المرأة، قال: «سمعتها تَشتمُ النبيَّ ﷺ»، وحديثُ حُصَينٍ أن ابن عُمرَ قال: «مَن شتَمَ النبيَّ ﷺ قُتل»[٤] ، وعمرُ ابن عبدالعزيز يقول: «يُقتل»[٥] ، وذلك أنه مَن شتم النبيَّ ﷺ فهو مُرْتَدٌّ عن الإسلام، ولا يَشْتُمُ مسلمٌ النبيَّ ﷺ» .

□ زاد عبدُالله: «سألتُ أبي عمَّن شتَم النبيَّ ﷺ، يُستتاب؟ قال: قد وَجَب عليه القتلُ، ولا يُستتاب؛ خالدُ بنُ الوليد قَتَلَ رجلاً شتَم النبي ﷺ ولم يَسْتَتِبْه»، رواهما أبو بكر[٦] في «الشافي» .

□ وفي رواية أبي طالب: «سئل أحمدُ عمَّن شتَم النبيَّ ﷺ، قال يُقْتَلُ، قد نَقَضَ العَهْدَ» .

---

(١) «ورَّاق الإمام أحمد»: يحيىٰ بن يزداد الورَّاق .

(٢) رواهما الخلاَّل في «أحكام أهل الملل» في كتاب الحدود ـ باب فيمن شتم النبي ﷺ .

(٣) هو أبو طالب المُشْكاني أحمد بن حميد، من الطبقة الأولىٰ من تلاميذ الإمام أحمد .

(٤) رواه الخلال في «أحكام أهل الملل» في كتاب الحدود ـ باب فيمن شتم النبي ﷺ عن حصين عمن حدثه عن ابن عمر رضي الله عنهما .

(٥) روىٰ ابن سعد في «الطبقات الكبرىٰ» عن عمر بن عبدالعزيز قال: «لا يُقتل أحدٌ في سَبِّ أحدٍ إلاَّ في سَبِّ نبي» .

(٦) هو عبدالعزيز بن جعفر البغدادي شيخ الحنابلة المعروف بـ «غلام الخلال» .

□ وقال حَربٌ: «سألتُ أحمدَ عن رجلٍ من أهل الذمةِ شَتَم النبيَّ ﷺ، قال: يُقتلُ إذا شتَمَ النبي ﷺ». . رواهما الخَلاَّل[١] .

وقد نصَّ على هذا في غير هذه الجوابات.

فأقوالُه كلُّها نصٌّ في وجوب قتله، وفي أنه قد نَقَض العهد، وليس عنه في هذا اختلافٌ، وكذلك ذَكَر عامةُ أصحابِه، متقدِّمِهم ومتأخِّرِهم، لم يختلفوا في ذلك.

وأما الشافعي، فالمنصوصُ عنه نفسِه: أنَّ عَهْدَه يَنتقضُ بسبِّ النبيِّ ﷺ، وأنه يقتل. . هكذا حكاه ابنُ المُنْذِر والخطابيُّ[٢] وغيرهُما.

□ والمنصوص عنه في «الأُمِّ» أنه قال: «إذا أراد الإمامُ أن يكتبَ كتابَ صُلحٍ على الجِزية كَتَب. . » ـ وذكر الشروطَ ـ، إلى أن قال: «وعلى أنَّ أحداً منكم إن ذَكَر محمداً ﷺ أو كتابَ اللَّه أو دينَه بما لا ينبغي أن يَذكُرَه به، فقد بَرِئَتْ منه ذمةُ اللَّه ثم ذمةُ أمير المؤمنين وجميعِ المسلمين، ونَقَض ما أُعطي من الأمان، وحَلَّ لأميرِ المؤمنين مالُه ودمُه كما تَحِلُّ أموالُ أهل الحربِ ودماؤهم، وعلى أنَّ أحداً من رجالهم إن أصاب مُسلمةً بزنًى أو اسمِ نكاحٍ، أو قَطَع الطريقَ على مسلمٍ، أو فَتَنَ مسلماً عن دينه، أو أعان المحارِبين على المسلمين بقتالٍ أو دَلالةٍ على عَوْرَات المسلمين، أو إيواءٍ لعيونهم، فقد نَقَضَ عهدَه، وأحلَّ دَمَه ومالَه. . وإنْ نال مسلماً بما دون هذا في مالِهِ أو عِرْضِهِ. . لزمه فيه الحكم»[٣] .

---

(١) انظر: «أحكام أهل الملل» له.

(٢) انظر: «معالم السنن» للخطَّابي (٦/ ٢٠٠).

(٣) انظر: «الأم» للشافعي (٤/ ٢٠٩).

☐ ثم قال: «فهذه الشروطُ اللازمةُ إن رَضِيَ بها، فإن لم يَرْضَهَا، فلا عَقْدَ له ولا جِزْيَةَ»(١) .

☐ ثم قال: «وأيُّهم قال أو فَعَل شيئًا مما وَصفتُه نَقْضًا للعهدِ وأسلم، لم يُقتلْ إذا كان ذلك قولاً، وكذلك إذا كان فعلاً لم يُقتلْ، إلاَّ أن يكونَ في دينِ المسلمين أَنَّ مَنْ فَعَله قُتِل حدًّا أو قِصاصًا، فيُقتلُ بحدٍّ أو قصاصٍ - لا نَقضِ عهدٍ -.

وإن فَعَل مما وصفنا وشُرط أنه نقضٌ لعهد الذمة، فلم يُسْلِمْ، ولكنه قال: «أتوبُ وأُعْطِي الجِزْية كما كنتُ أعطيها، أو على صُلْحٍ أجَدِّدُه»، عوقب ولم يُقتلْ، إلاَّ أن يكون فَعَل فعلاً يوجبُ القصاصَ أو الحدَّ، فأما ما دون هذا من الفعلِ أو القولِ، فكلُّ قولٍ فيُعاقَبُ عليه ولا يُقتل»(٢) .

☐ وأما أبو حنيفةَ وأصحابُه، فقالوا: «لا يُنتقضُ العهدُ بالسبِّ، ولا يُقتل الذِّمي بذلك، لكن يُعَزَّر على إظهارِ ذلك كما يُعزَّرُ على إظهارِ المنكراتِ التي ليس لهم فِعلُها من إظهارِ أصواتِهم بكتابهم ونحو ذلك».

وحكاه الطحاويُّ عن الثوريِّ.

ومِن أصولهم أنَّ ما لا قَتلَ فيه عندهم - مِثلَ القتل بالمُثَقَّل والجِماع في غير القُبُلِ إذا تكرر -، فللإمام أن يقتلَ فاعلَه، وكذلك له أن يَزيدَ على الحدِّ المُقَدَّر إذا رأىٰ المصلَحَةَ في ذلك، ويحملون ما جاء عن الرسولِ ﷺ وأصحابه من القتل في مِثلِ هذه الجرائم على أنه رَأىٰ المصلحة في ذلك، ويُسمونه «القَتْلَ سياسةً»، وكان حاصلُه أنَّ له أنْ يُعزِّرَ بالقتل في الجرائم

(١) «الأم» (٤/ ٢١٠).

(٢) انظر «الأم» (٤/ ٢١٠-٢١١).

التي تَغَلَّظَت بالتكرار، وشُرع القتلُ في جنسِها، ولهذا أفتىٰ أكثرُهم بقَتلِ مَنْ أكثر مِن سَبِّ النبي ﷺ مِن أهلِ الذمة وإن أسلَم بعدَ أخْذِه، وقالوا: «يُقتل سياسةً»، وهذا متوجهٌ علىٰ أصولهم» اهـ. من «الصارم المسلول»[1] .

* **الأدلةُ على انتقاضِ عهدِ الذمّيِّ السَّابِّ:**

◻ قال شيخُ الإسلام ابن تيمية: «والدلالةُ علىٰ انتقاضِ عهد الذميِّ بسبِّ اللَّهِ أو كتابهِ أو دينهِ أو رسولهِ، ووجوبِ قتلهِ وقتلِ المسلم إذا أتىٰ ذلك: الكتابُ، والسُّنة، وإجماعُ الصحابةِ والتابعين، والاعتبارُ.

أما الكتابُ: فيُستنبط ذلك منه من مواضع:

أحدها: قولُه تعالىٰ: ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ**﴾ إلىٰ قوله: ﴿**مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**﴾ [التوبة: ٢٩].

فأمَرَنا بقتالهم إلىٰ أن يُعْطُوا الجزيةَ وهم صاغرون، فلا يجوزُ الإمساكُ عن قتالهم إلاَّ إذا كانوا صاغِرين حالَ إعطائهم الجِزيةَ، ومعلومٌ أن إعطاءَ الجزيةِ من حينِ بَذْلِها والتزامَها إلىٰ حين تسليمِها وإقباضِها، فإنهم إذا بذلوا الجزيةَ شَرَعُوا في الإعطاء، ووجب الكفُّ عنهم إلىٰ أن يُقْبِضُونَاهَا فيتمُّ الإعطاءُ؛ فمتىٰ لم يلتزموها أو التزموها أولاً وامتنعوا من تسليمها ثانيًا لم يكونوا مُعطِينَ للجزية؛ لأن حقيقةَ الإعطاءِ لَم تُوجد، وإذا كان الصَّغَارُ حالاً عليهم في جميع المُدَّة، فمِن المعلوم أن مَن أظهَرَ سَبَّ نبيِّنا في وجوهِنا وشَتَمَ ربَّنا علىٰ رؤوسِ المَلأ منَّا وطَعَنَ في ديننا في مجامعِنا فليس بصاغرٍ؛

(١) انظر «الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول» (٢/ ١٣ - ٣٢) - دار ابن حزم.

لأنَّ الصَّاغِرَ: الذليلُ الحقيرُ، وهذا فِعلُ متعززٍ مُرَاغِم، بل هذا غايةُ ما يكونُ من الإذلالِ لنا والإهانةِ.

◻ قال أهل اللغةِ: الصَّغـار: الذُّلُّ والضَّيْم. . يقال: صَغِر الرَّجُلُ ـبالكسرـ: يصْغَرُ ـبالفتحـ: صَغَرًا وصُغْرًا، والصَّاغِرُ: الراضي بالضَّيْم.

ولا يَخفىٰ علىٰ المتأمِّل أنَّ إظهارَ السبِّ والشتمِ لدينِ الأُمةِ الذي به اكتَسبت شَرَفَ الدنيا والآخرة، ليس فِعلَ راضٍ بالذلِّ والهوانِ، وهذا ظاهرٌ لا خفاء به.

وإذا كان قتالُهم واجبًا علينـا إلاَّ أن يكونوا صاغِرين، وليسوا بصاغِرين، كان القتالُ مأموراً به، وكلُّ من أُمِرْنَا بقتاله من الكفار، فإنه يُقتلُ إذا قَدَرْنا عليه.

وأيضًا، فإنَّا إذا كُنا مأمورين أن نقاتلَهم إلىٰ هذه الغاية، لَم يَجُزْ أن نَعْقِدَ لهم عهدَ الذمةِ بدونها، ولو عُقِدَ لهم كان عقداً فاسداً، فيَبقُون علىٰ الإباحة.

الموضع الثاني: قوله تعالىٰ: ﴿**كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**﴾ إلىٰ قوله: ﴿**وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ**﴾ [التوبة: ٧ ـ ١٢].

نفىٰ سبحانه أن يكون لمشركٍ عهدٌ ممن كان النبيُّ ﷺ قد عاهَدهم، إلاَّ قومًا ذَكَرهم، فإنه جَعل لهم عَهداً ما داموا مستقيمين لنا، فعُلم أن العهدَ لا يَبقىٰ للمشركِ إلاَّ ما دام مستقيمًا، ومعلومٌ أن مُجاهرتَنا بالشَّتيمةِ والوقيعةِ

في ربِّنا ونبينا وديننا وكتابنا يَقْدَحُ في الاستقامة، كما تَقْدَحُ مجاهرتُنا بالمحاربةِ في العهدِ، بل ذلك أشدُّ علينا إن كنَّا مؤمنين؛ فإنه يجبُ علينا أنْ نَبذُلَ دماءَنا وأموالَنا حتىٰ تكونَ كلمةُ اللَّهِ هي العليا، ولا يُجْهَر في ديارنا بشيءٍ مِن أذىٰ اللَّهِ ورسوله، فإذا لم يكونوا مستقيمين لنا بالقَدْح في أهْوَنِ الأمرين، كيف يكونون مستقيمين مع القدحِ في أعظمهما؟!.

* يوضِّحُ ذلك قولُه تعالىٰ: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ٨]، أي: كيف يكون لهم عهدٌ، ولو ظَهروا عليكم لم يَرقُبوا الرَّحِمَ التي بينكم ولا العهدَ الذي بينكم؟ فعُلم أنَّ مَن كانت حالُه أنه إذا ظَهر لم يَرْقُبْ ما بيننا وبينه من العهدِ، لم يكنْ له عهدٌ، ومَنْ جَاهَرَنا بالطعن في ديننا، كان ذلك دليلاً علىٰ أنه لو ظَهَر لم يَرْقُبِ العهدَ الذي بيننا وبينه؛ فإنه إذا كان مع وجودِ العهدِ والذِّلَّةِ يفعلُ هذا، فكيف يكونُ مع العزَّةِ والقُدرةِ؟ وهذا بخلافِ مَنْ لم يُظْهِرْ لنا مثلَ هذا الكلامِ، فإنه يجوزُ أن يَفِيَ لنا بالعهدِ لو ظَهر.

وهذه الآية ـ وإن كانت في أهلِ الهُدْنَةِ الذين يُقيمون في دارهم ـ، فإن معناها ثابتٌ في أهلِ الذِّمةِ المقيمين في دارِنا بطريق الأولىٰ.

الموضع الثالث: قولُه تعالىٰ: ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٢]، وهذه الآيةُ تدلُّ من وجوهٍ:

أحدها: أنَّ مجردَ نَكْثِ الأيمان مقتضٍ للمُقاتَلة، وإنما ذَكَر الطعنَ في الدين وأَفرَدَه بالذِّكر تخصيصًا له بالذكر وبيانًا؛ لأنه من أقوىٰ الأسباب

المُوجِبةِ للقتال، ولهذا يُغَلَّظُ على الطاعن في الدين من العقوبة ما لا يُغلَّظُ على غيره من الناقضين ـ كما سنذكره إن شاء اللَّه تعالى ـ، أو يكون ذَكَرَه على سبيل التوضيحِ وبيانِ سبب القتال؛ فإن الطعنَ في الدين هو الذي يجبُ أن يكون داعيًا إلى قتالهم لتكونَ كلمةُ اللَّه هي العليا. . وأما مجرَّدُ نكثِ اليمين، فقد يُقاتَلُ لأجلِه شجاعةً وحَمِيَّةً ورياءً، ويكون ذِكرُ لطعنٍ في الدين لأنه أوجَبَ القتالَ في هذه الآية بقوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾، وبقوله تعالى: ﴿أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ إلى قوله: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة: ١٣، ١٤] الآية.

فيُفيد ذلك أن مَنْ لم يَصْدُرْ منه إلاَّ مجردُ نكثِ اليمين، جاز أن يُؤمَّنَ ويعاهَد، وأمَّا مَنْ طَعَن في الدين فإنه يتعيَّنُ قتالُه، وهذه كانت سنةَ رسول اللَّه ﷺ؛ فإنه كان يُنْدِرُ[1] دماءَ مَن آذىٰ اللَّهَ ورسوله وطَعَن في الدين ـ وإن أمْسَكَ عن غيره ـ، وإذا كان نقضُ العهدِ وحده مُوجِبًا للقتال ـ وإن تَجَرَّد عن الطعن ـ، عُلم أنَّ الطعنَ في الدِّين إما سَبَبٌ آخر، أو سببٌ مستلزِمٌ لنقضِ العهد، فإنه لابد أن يكونَ له تأثيرٌ في وجوب المقاتَلة، وإلاَّ كان ذِكرُه ضائعًا.

الوجه الثاني: أن الذِّميَّ إذا سبَّ الرسولَ أو سبَّ اللَّهَ أو عاب الإسلامَ علانيةً، فقد نكَث يمينَه وطَعَن في ديننا؛ لأنه لا خلافَ بين المسلمين أنه يُعاقَبُ على ذلك ويُؤَدَّبُ عليه، فعُلم أنه لم يُعاهَدْ عليه، لأنا لو عاهدناه

(١) يُهدر. ونَدَر أي: أسقط أو أهدر. انظر: «النهاية» (٥/ ٣٥).

عليه ثم فَعَلَه، لَم تَجُزْ عقوبتُه عليه، وإذا كنا قد عاهدناه على أن لا يَطعنَ في ديننا، ثم طَعَن في ديننا، فقد نَكَث في يمينه مِن بعدِ عهدِه وطَعَن في دينِنا، فيجبُ قتلُه بنصِّ الآية، وهذه دلالةٌ قويةٌ حسنة.

الوجه الثالث: أنه سَمَّاهم «أئمةَ الكفر» لطعنهم في الدين، وأوقَعَ الظاهَر موقع المُضْمَر؛ لأن قوله: ﴿أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ إمَّا أن يَعْنيَ به الذين نَكثوا وطعنوا، أو بعضهم، والثاني لا يجوزُ؛ لأن الفعلَ الموجِبَ للقتال صَدَرَ من جميعهم، فلا يجوزُ تخصيصُ بعضِهم بالجزاءِ؛ إذِ العِلَّةُ يجبُ طَرْدُها إلاَّ لمانعٍ - ولا مانع -، ولأنه عَلَّل ذلك ثانيًا بأنهم لا أيمانَ لهم، وذلك يَشملُ جميعَ الناكثين الطاعنين، ولأن النَّكث والطعن وَصْفٌ مشتقٌ مناسبٌ لوجوب القتال، وقد رُتِّبَ عليه بحرفِ «الفاء» ترتيبَ الجزاء على شرطه، وذلك نصٌّ في أن ذلك الفعلَ هو الموجبُ للثاني؛ فثَبَت أنه عَنى الجميع، فيلزمُ أن الجميعَ أئمةُ كفرٍ، وإمامُ الكفر هو الداعي إليه المُتَّبَعُ فيه، وإنما صار إمامًا في الكفرِ لأجلِ الطعن، فإنَّ مجرَّد النكث لا يُوجِبُ ذلك - وهو مناسِبٌ -، لأن الطاعنَ في الدين يَعيبُه وَيذُمُّه ويدعو إلى خلافه، وهذا شأنُ الإمام، فثَبَت أنَّ كلَّ طاعنٍ في الدين فهو إمامٌ في الكفر، فإذا طَعَن الذميُّ في الدين فهو إمامٌ في الكفر، فيجبُ قتالُه لقوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾، ولا يمينَ له؛ لأنه عاهَدَنَا على ألاَّ يُظهِرَ عَيْبَ الدين هنا وخَالَفَ، واليمين هنا المرادُ بها: العهودُ - لا القَسَمُ باللَّه -، فيما ذكره المفسرون[1]،

(١) انظر «تفسير مجاهد» (٢٧٤)، و«تفسير الطبري» (١٠/ ٨٧)، و«زاد المسير» (٣/ ٤٠٤)، و«تفسير القرطبي» (٨/ ٨١)، و«تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٣٨).

وهو كذلك.

الوجه الرابع: أنه قال تعالىٰ: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [التوبة: ١٣]، فجَعَل هَمَّهم بإخراجِ الرَّسُولِ من المحضِّضات علىٰ قتالهم، وما ذاك إلاَّ لما فيه من الأذىٰ، وسبُّه أغْلَظُ من الهمِّ بإخراجه، بدليلِ أنه ﷺ عفَا عامَ الْفَتْحِ عن الذين هَمُّوا بإخراجِه، ولم يَعْفُ عمَّن سبَّه؛ فالذميُّ إذا أظهر سبَّه فقد نَكَث عهده، وفَعَل ما هو أعظمُ من الهمِّ بإخراج الرسولِ، وبَدَأ بالأذىٰ؛ فيجبُ قتالُه.

الوجه الخامس: قوله تعالىٰ: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٤ - ١٥].

أمرَ سبحانه بقتالِ الناكثين الطاعنين في الدِّين، وضَمِنَ لنا - إنْ فَعَلْنا ذلك - أن يُعَذِّبهم بأيدينا ويُخزيَهم، وينصرَنا عليهم، ويَشفيَ صدورَ المؤمنين الذين تأذَّوا من نَقْضِهم وطَعنِهم، وأن يُذهِبَ غيظَ قلوبهم؛ لأنه رتَّبَ ذلك علىٰ قتالِنا ترتيبَ الجزاءِ علىٰ الشرط، والتقديرُ: إن تُقَاتلوهم يَكُنْ هذا كلُّه؛ فدلَّ علىٰ أن الناكثَ الطاعنَ مستحقٌّ هذا كلَّه، وإلاَّ فالكفارُ يُدَالُونَ علينا المرةَ ونُدَالُ عليهم الأخرَىٰ[1]، وإن كانت العاقبةُ للمتقين، وهذا تصديقُ ما جاء في الحديث: «ما نَقَضَ قَوْمٌ الْعَهْدَ إلاَّ أُدِيلَ عَلَيْهِمُ الْعَدُوُّ»[2] والتعذيبُ

(١) يُدَالون علينا ونُدال عليهم: أي يغلبونا مرة ونغلبهم أخرىٰ. والإدالة بمعنىٰ الغلبة. انظر «النهاية» (٢/ ١٤١) (دول).

(٢) جزء من حديث ابن عباس وابن عمر وبريدة ﷺ.

فأما حديث ابن عباس فقد أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٤٥ ح ١٠٩٩٢) =

بأيدينا هو القتلُ؛ فيكون الناكثُ الطاعنُ مستحقًّا للقتل، والسابُّ لرسول اللَّه ﷺ ناكثٌ طاعنٌ كما تَقدَّم؛ فيَستحقُّ القَتْلَ، وإنما ذكر سبحانه النصرَ عليهم وأنه يتوبُ من بعدِ ذلك علىٰ مَن يشاء؛ لأنَّ الكلام في قتالِ الطائفةِ الممتنعة، فأما الواحدُ المستحقُّ للقتل، فلا ينقسمُ حتىٰ يقال فيه: «يعذبُه اللَّهُ، ويتوبُ اللَّهُ مِن بعد ذلك علىٰ مَن يشاء»، علىٰ أنَّ قولَه: ﴿مَنْ يَشَآءُ﴾ يجوزُ أن يكون عائدًا إلىٰ مَنْ لم يَطعنْ بنفسه وإنما أقرَّ الطاعن؛ فسُمِّيت الفئةُ طاعنةً لذلك، وعند التمييز فبعضُهم رِدْءٌ[1]، وبعضُهم مباشر، ولا يَلزمُ من التوبةِ علىٰ الرِّدْءِ التوبةُ علىٰ المباشر، ألاَ ترىٰ أن النبي ﷺ أهْدَرَ عام الفتح دَمَ الذين باشروا الهجاءَ، ولم يُهْدِرْ دَمَ الذين سمعوه، وأهدَرَ دَمَ

= بلفظ: «... إلا سُلِّط عليهم عدوُّهم». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٦٨): «وفيه إسحاق بن عبداللَّه بن كيسان المروزي، لَيَّنه الحاكم، وبقية رجاله موثقون وفيهم كلام».

وأما حديث ابن عمر فقد أخرجه ابن ماجه في كتاب «الفتن» - باب العقوبات (٢/ ١٣٣٢ح ٤٠١٩). وقال البوصيري في «الزوائد» - علىٰ إسناد ابن ماجه -: «هذا حديث صالح للعمل به، وقد اختلفوا في ابن أبي مالك وأبيه» اهـ. وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٤٠) بلفظ: **«ولم ينقضوا عهدَ اللَّه وعهدَ رسوله، إلا سُلِّط عليهم عدوهم»**. قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي.

وأما حديث بريدة فقد أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٢٦) بلفظ: **«ما نقض قوم العهد إلاَّ كان القتلُ بينهم»**؛ والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٣/ ٣٤٦)، (٩/ ٢٣١). وقال عنه الحاكم: «صحيح علىٰ شرط مسلم»، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٧٢): «روه البزار ورجاله رجال الصحيح غير رجاء بن محمد وهو ثقة»، وقال الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١/ ١٦٩ - ١٧١ح ١٠٧): «وبالجملة فالحديث بهذه الطرق والشواهد صحيح بلا ريب».

(١) الرِّدْء - بكسر الراء -: المُعين والناصر.

بني بكرٍ، ولم يُهْدِرْ دَمَ الذين أعارُوهم السلاحَ؟!.

السادس: أنَّ قولَه تعالىٰ: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾.

دليلٌ علىٰ أنَّ شفاءَ الصدورِ مِن ألم النكثِ والطعنِ، وذهابَ الغيظِ الحاصل في صدور المؤمنين من ذلك أمْرٌ مقصودٌ للشارعِ مطلوبُ الحصولِ، وأنَّ ذلك يحصلُ إذا جَاهَدوا كما جاء في الحديث المرفوع: «عليكُم بِالجِهَادِ فإنَّه بابٌ مِن أبوابِ اللَّه، يَدفَعُ اللَّهُ به عنِ النُّفُوسِ الهمَّ وَالْغمَّ»(١).

ولا ريبَ أن مَن أظهر سَبَّ الرسول ﷺ من أهل الذِّمَّة وشَتَمه، فإنه يَغيظُ المؤمنين ويُؤلِمُهم أكثرَ مما لو سفَكَ دماءَ بعضِهِم وأخَذَ أموالهم؛ فإنَّ هذا يُثِيرُ الغضبَ للَّه والحَمِيَّةَ له ولرسولِه، وهذا القَدرُ لا يُهَيِّجُ في قلبِ المؤمن غيظًا أعظمَ منه، بلِ المؤمنُ المسدَّدُ لا يَغضبُ هذا الغَضَبَ إلاَّ للَّه، والشارعُ يطلبُ شفاءَ صدورِ المؤمنين وذهابَ غيظِ قلوبِهم، وهذا إنما يحصلُ بِقَتْلِ السابِّ لأوْجُهٍ:

أحدها: أن تَعْزِيره وتأديبَه يُذْهِبُ غيظَ قلوبهم إذا شَتَم واحدًا من المسلمين أو فَعَل نحو ذلك، فلو أذهب غيظَ قلوبهم إذا شَتَم الرسول، لكان غيظُهم مِن شَتْمه مِثلَ غيظهم مِن شَتْم واحدٍ منهم.. وهذا باطل.

الثاني: أن شَتْمَه أعظمُ عندهم من أن يَأخُذَ بعضَ دمائهم، ثم لو قَتل

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣١٤، ٣١٦، ٣١٩، ٣٢٦)، والطبراني في «المعجم الكبير والأوسط»، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٧٤ ـ ٧٥)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤/ ٥٨١ح ١٩٤١).

واحداً منهم لم يَشْفِ صدورهم إلاَّ قتلُه، فأنْ لا تُشْفَىٰ صُدُورُهُم إلاَّ بقتل السابِّ أَوْلىٰ وأحْرَىٰ.

الثالث: أنَّ اللَّهَ تعالىٰ جَعَلَ قتالَهم هو السببَ في حصول الشِّفاء، والأصْلُ عدمُ سبب آخر يُحصِّلُه؛ فيجبُ أن يكون القتلُ والقتالُ هو الشافي لصدور المؤمنين من مثل هذا.

الرابع: أنَّ النبيَّ ﷺ لما فُتحت مكةُ وأراد أن يَشفيَ صدورَ خُزَاعة - وهم القوم المؤمنون - مِن بني بكرٍ الذين قاتلوهم، مَكَّنهم منهم نصفَ النهار أو أكثر مع أمانهِ لسائرِ الناسِ[1]؛ فلو كان شفاءُ صدورِهم وذهابُ غيظِ قلوبهم يحصلُ بدون القتل للذين نكثوا وطعنوا، لَمَا فَعَل ذلك مع أمانِه للناس.

الموضع الرابع: قولُه سبحانه: ﴿**أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة: ٦٣]، فإنه يدلُّ علىٰ

---

(١) صحيح: أخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٤٠٣ ح٣٦٩٠٤)، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٩، ٢٠٧) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: لما فتحت مكة علىٰ رسول اللَّه ﷺ قال: «**كُفُّوا السلاحَ إلا خزاعةَ من بني بكر**». فأذن لهم حتىٰ صلىٰ العصر ثم قال: «**كُفُّوا السلاح**»؛ وذكره ابن كثير في «البداية» (٤/ ٣٠٤)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٨٠) وقال: «رواه الطبراني ورجاله ثقات»، والحديث صحَّح إسناده أحمد محمد شاكر في شرحه علىٰ «المسند» (١٠/ ١٥٨ح ٦٦٨١). وقد كانت خزاعة حلفاء رسول اللَّه ﷺ، وكانت بنو بكر رهطًا من بني كنانة حلفاء لأبي سفيان، وكانت بينهم موادعة أيام الحديبية، فأغارت بنو بكر علىٰ خزاعة في تلك المدة، وبيَّتوهم ليلاً وهم غارُّون آمنون فقتلوا منهم عشرين رجلاً، فبعثوا إلىٰ رسول اللَّه ﷺ يستمدونه.. فكان فتح مكة. ينظر: «طبقات ابن سعد» (١/ ١٣٤)، «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٣٨٩، ٣٩٤).

أنَّ أذىٰ رسول اللَّه ﷺ مُحادَّةٌ للَّهِ ولرسوله؛ لأنه قال هذه الآيةَ عَقِبَ قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ﴾ الآية. ثم قال: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

فلو لم يكونوا بهذا الأذىٰ مُحَادِّين لم يَحسُنْ أن يوعَدُوا بأنَّ للمحادِّ نارَ جهنَّم؛ لأنه يمكن حينئذٍ أن يقال: قد عَلِموا أن للمحادِّ نارَ جهنَّم؛ لكنهم لم يُحادُّوا، وإنما آذَوْا، فلا يكون في الآية وعيدٌ لهم؛ فعُلم أنَّ هذا الفعل لابُدَّ أن يندرجَ في عموم المحادَّة؛ ليكونَ وعيدُ المحادِّ وعيدًا له ويلتئمَ الكلامُ.

ويدلُّ علىٰ ذلك أيضًا ما روىٰ الحاكمُ في «صحيحه» بإسنادٍ صحيحٍ عن ابن عباس أنَّ رسول اللَّه ﷺ كان فِي ظِلِّ حُجْرَةٍ مِنْ حُجَرِهِ، وعنده نَفَرٌ مِنَ المسْلمينَ، فَقَالَ: «إنَّهُ سيَأتيكُم إنسانٌ يَنظُرُ إليكم بعَيْنِ شيْطَان، فَإذا أَتَاكُمْ فلا تُكلِّمُوهُ»، فجاء رجلٌ أزرقُ، فدعاهُ رسولُ اللَّه ﷺ، فقَال: «عَلامَ تَشْتُمُني أنت وفُلانٌ وفُلانٌ»، فانطَلَقَ الرَّجُلُ، فَدَعَاهُم، فحلفُوا باللَّه واعتَذَرُوا إليه»(١) فأنزل اللَّهُ تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [المجادلة: ١٨].

---

(١) صحيح: رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٤٠، ٢٦٧، ٣٥٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٨/ ٢٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ٧ح ١٢٣٠٧، ١٢٣٠٨، ١٢٣٠٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٨٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٨٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص٣٤٨)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٨/ ٨٥) وفي «لباب النقول» له ص(١٢٠). والحديث قال عنه الحاكم: =

* ثم قال بعدَ ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٠].
فعُلم أنَّ هذا داخلٌ في المحادَّة.

* وفي روايةٍ أُخرَىٰ صحيحةٍ أنه نَزل قولُه: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ [التوبة: ٩٦].

* وقد قال: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾ [التوبة: ٦٢].

* ثم قال عَقِبه: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة: ٦٣].
فثبت أنَّ هؤلاءِ الشاتمين محادُّونَ.

* وإذا كان الأذىٰ مُحَادَّةً للَّهِ ورسولِهِ فقد قال اللَّهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢٠-٢١].

والأذلُّ: أبلغُ مِن «الذليلِ»، ولا يكون أذلَّ حتىٰ يخافَ علىٰ نفسه وماله إنْ أظهرَ المحادَّة؛ لأنه إنْ كان دَمُه ومالُه معصومًا لا يُستَبَاح فليس بأذلَّ، يدلُّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢].

فبيَّن سبحانه أنهم أينما ثُقفوا فعليهم الذِّلَّةُ إلاَّ مع العهد، فعُلم أنَّ مَنْ له عهدٌ وحبلٌ لا ذلَّةَ عليه ـ وإن كانت عليه المسكنةُ ـ، فإنَّ المسكنةَ قد تكونُ مع عدمِ الذِّلة، وقد جَعل المحادِّين في الأَذَلِّينَ، فلا يكون لهم عهدٌ، إذ

= «صحيح علىٰ شرط مسلم»، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية كما تقدم في المتن، وقال عنه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ـ سورة المجادلة ـ (٧/ ١٢٥): «رواه أحمد والبزار ورجال الجميع رجال الصحيح».

العهدُ يُنافي الذِّلَّةَ كما دلَّتْ عليه الآية، وهذا ظاهرٌ، فإنَّ الأذَلَّ هو الذي ليس له قوةٌ يَمتنعُ بها ممن أراده بسُوء، فإذا كان له من المسلمين عهدٌ يجبُ عليهم به نَصْرُه ومَنْعُه، فليس بأَذلَّ، فثبتَ أنَّ المحادَّ للَّه ولرسولِه لا يكونُ له عهدٌ يَعْصِمه، والمؤذي للنبيِّ ﷺ مُحَادٌّ، فالمؤذي للنبيِّ ليس له عهدٌ يَعْصِم دَمَه، وهو المقصودُ.

* وأيضًا، فإنه قد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [المجادلة: ٥] والكَبْتُ: الإذلالُ والخِزْيُ والصَّرْعُ.

❑ قال الخليل: «الكَبْتُ هو الصَّرْعُ على الوَجْه».

❑ وقال النَّضرُ بن شُمَيل وابنُ قتيبة: «هو الغَيظُ والحزن، وهو في «الاشتقاق الأكبر»[1] من كبده، كأنَّ الغيظَ والحزنَ أصاب كَبِدَه، كما يقال: أحرَقَ الحزنُ والعداوةُ كبدَه»[2].

❑ وقال أهل التفسير: «كُبِتُوا: أُهلِكوا وأُخْزُوا وحَزِنوا»، فثَبت أن

---

(١) الاشتقاق في اللغة: هو أخذ شق الشيء. وفي الاصطلاح: أن تجد بين اللفظين تناسبًا في المعنى والتركيب فَتَرُدّ أحدهما إلى الآخر، والاشتقاق عند الشريف الجرجاني: نَزْع لفظٍ من آخر بشرط مناسبتهما معنًى وتركيبًا، ومغايرتهما في الصيغة. وهو على أنواع: فالصغير: أن يكون بين اللفظين تناسبٌ في الحروف والترتيب نحو: ضَرَبَ من الضَّرْب. والكبير: أن يكون بين اللفظين تناسبٌ في اللفظ والمعنى دون الترتيب، نحو: جَبَذَ من الجَذْب. والأكبر: أن يكون بين اللفظين تناسبٌ في المخرج، نحو: نَعَقَ من النَّهْق. ينظر: كتاب «الاشتقاق» لأبي سعيد عبدالملك الأصمعي، وكتاب «التعريفات» للشريف الجرجاني (ص٢٧، ٢٨)، وكتاب «العَلَم الخفاق من علم الاشتقاق» لأبي الطيب محمد صديق حسن خان.

(٢) ينظر «النهاية» لابن الأثير (٤/ ١٣٨)، «لسان العرب» (٦/ ٣٨٠٥)، «تاج العروس» =

المحادَّ مكبوتٌ مخزِيٌّ ممتليءٌ غيظًا وحزنًا هالكٌ، وهذا إنما يتمُّ إذا خافَ إن أظهرَ المحادَّةَ أن يُقتل، وإلاَّ فمَن أمكنه إظهارُ المحادَّة وهو آمِنٌ علىٰ دمه وماله فليس بمكبوت، بل مسرورٍ جَذْلان، ولأنه قال: ﴿كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [المجادلة: ٥] والذينَ مِن قبلهم ممن حادَّ الرسُلَ وحادَّ رسولَ اللَّه، إنما كَبَتَه اللَّه بأن أهلَكه بعذابٍ من عنده أو بأيدي المؤمنين، والكَبْتُ وإن كان يَحصُلُ منه نصيبٌ لكلِّ مَن لم ينلْ غَرَضَه كما قال سبحانه: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٧]، لكن قوله تعالىٰ: ﴿كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني محادِّي الرسلِ دليلٌ علىٰ الهلاك أو كَبْتِ الأذىٰ، يُبيِّنُ ذلك أن المنافقين هم من المحادِّين، فهم مَكْبوتون بموتهم بغَيظِهم لخوفهم أنهم إن أظهَروا ما في قلوبهم قُتلوا، فيجبُ أن يكون كلُّ محادٍّ كذلك.

* وأيضًا، فقوله تعالىٰ: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١] عقب قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢٠] دليلٌ علىٰ أن المحادةَ مغالبةٌ ومعادة، حتىٰ يكون أحدُ المتحادِّين غالبًا والآخرُ مغلوبًا، وهذا إنما يكونُ بين أهلِ الحربِ لا أهلِ السِّلْم، فعُلم أن المحادَّ ليس بمسالمٍ، والغلبةُ للرسل بالحُجَّةِ والقهر، فمن أُمر منهم بالحرب نُصِر علىٰ عدوِّه، ومَنْ لم يؤمَرْ بالحرب أُهلِك عدوُّه، وهذا أحسنُ مِن قول

= (١/ ٥٧٥) (كبت). وفيه: كبت: يكبته كبتًا: صرَعه. وقال الأزهري وغيره: أصل الكبت الكبد، فقلبت الدال تاءً، أخذ من الكبد وهو معدنُ الغَيظ والأحقاد، فكأن الغيظ لَمّا بَلَغ بهم مَبْلَغَه أصاب أكبادَهم فأحرقها، ولهذا قيل للأعداء: هم سُودُ الأكباد.

مَن قال: إن الغَلَبَةَ للمحارِب بالنصر، ولغيرِ المحارِبِ بالحُجَّة، فعُلم أن هؤلاء المحادِّين محارَبون مغلوبون.

وأيضًا فإن «المحادَةَ» من «المشاقَّة»؛ لأن «المحادَّة» من الحدِّ والفصل والبَيْنُونة، وكذلك «المشاقَّة» من الشَّق وهو بهذا المعنى، فهما جميعًا بمعنى المقاطعة والمفاصَلة، ولهذا يقال: إنَّما سُمِّيت بذلك لأن كلَّ واحدٍ من المتحادَّينِ والمتشاقَّينِ في حدٍّ وشِقٍّ من الآخر، وذلك يقتضي انقطاعَ الحبلِ الذي بين أهلِ العهدِ إذا حادَّ بعضُهم بعضًا، فلا حَبلَ لمحادٍّ للَّه ورسوله.

* وأيضًا، فإنها إذا كانت بمعنى المُشاقَّة، فإن اللَّه سبحانه قال: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ١٢، ١٣].

فأَمَر بقتلهم لأجلِ مشاقَّتهم ومحادَّتهم، فكلُّ مَن حادَّ وشاقَّ يجبُ أن يُفعل به ذلك لوجودِ العِلَّة.

* وأيضًا، فإنه تعالى قال: ﴿وَلَوْلا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الحشر: ٣-٤].

والتعذيبُ هنا ـ واللَّه أعلم ـ: القتلُ؛ لأنهم قد عُذِّبوا بما دونَ ذلك من الإجلاءِ وأخْذِ الأموال، فيجبُ تعذيبُ مَن شاقَّ اللَّهَ ورسولَه، ومَن أظهَرَ المحادَّةَ، فقد شاقَّ اللَّهَ ورسولَه، بخلافِ مَنْ كتمها، فإنه ليس بمحادٍّ ولا مُشاقٍّ.

☐ وهذه الطريقةُ أقوى في الدلالة، يقال: هو «محادٌّ»، وإن لم يكن

«مشاقًّا»، ولهذا جَعل جزاءَ المحادِّ مطلقًا أن يكون مكبُوتًا كما كُبِتَ مَنْ قَبْله، وأن يكونَ في الأذلِّين، وجَعل جَزاءَ المُشاقِّ القتلَ والتعذيبَ في الدنيا، ولن يكونَ مكبوتًا كما كُبِتَ مَنْ قَبلَه في الأذلِّين إلاَّ إذا لم يُمكِنْه إظهارُ محادَّته، فعلىٰ هذا تكونُ المحادَّةُ أعمَّ.

* ولهذا ذَكر أهلُ التفسير في قوله تعالىٰ: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] الآية: أنها نزلت فيمن قَتَل من المسلمين أقاربَه في الجهاد، وفيمن أراد أن يَقتلَ لمن تعرَّض لرسول اللَّه ﷺ بالأذىٰ من كافرٍ ومنافقٍ قريبٍ له[١] .. فعُلم أن المحادَّ يعمُّ المشاقَّ وغيرَه.

* ويدلُّ علىٰ ذلك أنه قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلا مِنْهُمْ﴾ [المجادلة: ١٤] الآيات، إلىٰ قوله: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وإنما نزلت في المنافقين الذين تولَّوُا اليهودَ المغضوبَ عليهم، وكان أولئك اليهودُ أهلَ عهدٍ من النبي ﷺ، ثم إن اللَّه سبحانه بيَّن أن المؤمنين لا يُوَادُّونَ مَن حادَّ اللَّه ورسوله، فلابد أن يدخلَ في ذلك عدمُ المودَّة ليهود - وإن كانوا أهلَ ذِمَّة -؛ لأنَّه سببُ النزول، وذلك يقتضي أن أهلَ الكتاب

---

(١) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص٣١٠)، «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ١٧٦٣)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٨/ ١٩٨)، و«تفسير القرطبي» (١٧/ ٣٠٧)، و«تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٢٩).

محادُّون للَّه ورسوله ـ وإن كانوا معاهِدين ـ.

ويدلُّ علىٰ ذلك أن اللَّهَ قَطع المُوَالاةَ بين المسلم والكافر ـ وإن كان له عهدٌ وذِمَّة ـ، وعلىٰ هذا التقدير فيقال: عُوهِدُوا علىٰ أن لا يُظْهِروا المحادة ولا يُعلنوا بها ـ بالإجماع كما تقدم وكما سيأتي ـ، فإذا أَظهروا صاروا محادِّين لا عَهْدَ لهم، مُظْهِرينَ للمحادة، وهؤلاء مشاقُّونَ، فيستحقُّون خِزيَ الدنيا من القتل ونحوِه وعذابَ الآخرة.

فإن قيل: إذا كان كلُّ يهوديٍّ محادًّا للَّه ورسوله، فمِن المعلوم أن العهدَ يَثبتُ لهم مع التهوُّد، وذلك يَنْقُض ما قدَّمتم من أن المحادَّ لا عهدَ له.

قيل: مَن سلك هذه الطريقةَ قال: المحادُّ لا عهدَ له علىٰ إظهارِ المحادة، فأما إذا لم يُظهِرْ لنا المحادةَ، فقد أعطيناه العهد، وقولُه تعالىٰ: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢]. يقتضي أن الذِّلَةَ تلزمُه، فلا تزولُ إلاَّ بحبلٍ من اللَّه وحبلٍ من الناس، وحبلُ المسلمين معه علىٰ أن لا يُظهِرَ المحادةَ بالاتفاق؛ فليس معه حبلٌ مُطلَق، بل حَبلٌ مقيد، فهذا الحَبلُ لا يَمنعُه أن يكونَ أذَلَّ إذا فَعَل ما لم يُعاهَدْ عليه.

أو يقولُ صاحبُ هذا المسلَك: الذِّلَّةُ لازمةٌ لهم بكلِّ حال، كما أُطلقت في سورة «البقرة».

وقوله: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢] يجوز أن يكون تفسيراً للذلة، أي: ضُربت عليهم أنهم أينما ثُقِفُوا أُخذوا وقُتِّلوا إلاَّ بحبلٍ من اللَّه وحبل من الناس، فالحبلُ لا

يَرفعُ الذِّلَّةَ، وإنما يَرفعُ بعضَ موجباتِها وهو القتل، فإن مَنْ كان لا يُعْصَم دَمُه إلا بعهدٍ فهو ذليل ـ وإن عُصم دمُه بالعهد ـ، لكنْ على هذا التقديرِ تضعُفُ الدلالةُ الأولىٰ من المحادة.

والطريقةُ الأولىٰ أجودُ ـ كما تقدم ـ، وفي زيادةِ تقريرِها طُول.

الموضع الخامس: قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ [الأحزاب: ٥٧].

وهذه توجبُ قتلَ مَنْ آذىٰ اللَّهَ ورسولَه ـ كما سيأتي إن شاء اللَّه تقريرُه ـ، والعهدُ لا يَعْصِمُ من ذلك؛ لأنا لم نُعاهِدْهم علىٰ أن يؤذوا اللَّهَ ورسولَه.

● ويوضِّحُ ذلك قولُ النبي ﷺ: «مَنْ لكَعْبِ بْنِ الأشْرَف، فَإنَّه قَدْ آذى اللَّهَ وَرَسُولَه؟»(١) فندَبَ المسلمين إلىٰ يهوديٍّ كان معاهَدًا لأجل أنه آذىٰ اللَّهَ ورسولَه، فدلَّ ذلك علىٰ أنه لا يوصَفُ كلُّ ذميٍّ بأنه يؤذي اللَّهَ ورسولَه، وإلاَّ لم يكن فَرْقٌ بينه وبين غيره، ولا يصحُّ أن يقال: اليهودُ ملعونون في الدنيا والآخرة مع إقرارهم علىٰ ما يوجبُ ذلك؛ لأنا لم نُقِرَّهم علىٰ إظهار أذىٰ اللَّهِ ورسولِه، وإنما أقْرَرْنَاهم علىٰ أن يَفعلوا بينهم ما هو من دينِهم»(٢).

---

(١) جزء من حديث طويل من حديث جابر بن عبداللَّه. رواه البخاري (٥/ ١٦٩ح ٢٥١٠)، (٦/ ١٨٤ح ٣٠٣١)، (ح٣٠٣٢)، (٧/ ٣٩٠ح ٤٠٣٧)، ورواه مسلم (٣/ ١٤٢٥ح ١٨٠١)، وأبو داود (٣/ ٢١١ ح ٢٧٦٨)، والحميدي في «مسنده» (٢/ ٥٢٦ ح١٢٥٠).

(٢) انظر «الصارم المسلول» (٢/ ٣٢ ـ ٥٧).

* **مسألة: يَتعَيَّن قتلُ السابِّ، ولا يجوزُ استرقاقُه، ولا المَنُّ عليه، ولا فِداؤه:**

□ قال الإمامُ ابنُ تيمية في «الصارم المسلول»: «أمَّا إنْ كان مُسْلمًا فبالإجماع؛ لأنَّه نوعٌ من المُرْتَدِّ، أوْ من الزنديق، والمرتدُّ يتعيَّنُ قتلُه، وكذلك الزنديق، وسواءً كان رجلاً أو امرأةً، وفيما قدَّمناه دلالةٌ واضحةٌ على قتلِ السابَّةِ المسلمة من السُّنَّةِ وأقاويلِ الصحابة، فإنَّ في بعضها تصريحًا بقتل السَّابَّة المُسْلمة، وفي بعضها تصريحٌ بقتل السَّابَّةِ الذِّميَّة، وإذا قُتِلت الذِّمِّيَّة بالسَّبِّ، فقَتْلُ المسلمةِ أوْلىٰ كما لا يَخفىٰ علىٰ الفقيه.

والصحيحُ الذي عليه العامَّةُ قتلُ المُرتَدَّة، فالسَّابَّةُ أوْلَىٰ، وهو الصحيحُ لِمَا تقدم.

وإن كان السَّابُّ مُعاهِدًا، فإنه يَتعيَّنُ قَتْله، سواءً كان رجلاً أو امرأةً، عند عامةِ الفقهاء من السَّلف ومَن تَبِعهم.

وقد ذَكَرْنا قولَ ابنِ المنذر فيما يجبُ علىٰ مَن سَبَّ النبي ﷺ، قال: أجمع عوامُّ أهلِ العلم علىٰ أنَّ مَن سَبَّ النبيَّ ﷺ يُقتل؛ وممَّن قاله مالكٌ، والليثُ، وأحمدُ، وإسحاقُ، وهو مذهبُ الشافعي.

قال: وحُكي عن النعمان: لا يُقتل مَن سَبَّه من أهل الذمة.

وهذا اللفظُ دليلٌ علىٰ وجوبِ قتلِه عند العامة، وهذا مذهبُ مالكٍ وأصحابِه، وسائرِ فقهاءِ المدينة، وكلامُ أصحابه يقتضي أن لقتله مأخذَين:

أحدهما: انتقاضُ عهدِه.

والثاني: أنه حدٌّ من الحدود، وهو قولُ فقهاءِ الحديث.

☐ قال إسحاقُ بن رَاهويَة: إن أظهروا سَبَّ رسولِ اللَّه ﷺ فسُمعَ منهم ذلك ـ أو تُحُقِّق عليهم ـ، قُتِلوا، وأخطأَ هؤلاء الذين قالوا: «ما هم فيه من الشرك أعظمُ من سَبِّ رسولِ اللَّه ﷺ».

☐ قال إسحاق: «يُقتلون؛ لأن ذلك نَقضٌ للعهد»، وكذلك فَعل عمرُ بنُ عبدالعزيز، ولا شُبهةَ في ذلك؛ لأنه يَصيرُ بذلك ناقضًا للصلح، وهو كما قَتل ابنُ عمرَ الراهبَ الذي سَبَّ النبيَّ ﷺ، وقال: «ما علىٰ هذا صالحناهم».

وكذلك نصَّ الإمامُ أحمدُ علىٰ وجوبِ قتلِه وانتقاضِ عهده، وقد تقدَّم بعضُ نصوصِه في ذلك، وكذلك نَصَّ عامةُ أصحابِه علىٰ وجوبِ قَتلِ هذا السابِّ، ذكروه بخصوصه في مواضعَ هكذا، وذكروه أيضًا في جُملةِ ناقِضِي العهدِ من أهل الذمة.

ثم المتقدِّمون منهم وطوائفُ من المتأخرين قالوا: إن هذا وغيرَه من ناقِضِي العهدِ يتعيَّنُ قتلُهم ـ كما دلَّ عليه كلامُ أحمد ـ.

وذَكَر طوائفُ منهم أن الإمامَ مُخيَّرٌ فيمن نَقض العهدَ من أهل الذمة، كما يُخيَّرُ في الأسير بين الاسترقاقِ والقتلِ والمَنِّ والفِداء، ويجبُ عليه فِعلُ الأصلحِ للأمةِ من هذه الأربعةِ بعد أن ذكروه في الناقِضين للعهد، فدَخَل هذا السابُّ في عمومِ هذا الكلامِ وإطلاقه، وأوجَبَ أن يُقال فيه بالتخيير إذا قيل به في غيرِه من ناقِضي العهد، لكن قَيَّد مُحقِّقو أصحابِ هذه الطريقة ورؤوسُهم ـ مثلُ القاضي أبي يعلىٰ في كُتبه المتأخرة[1] وغيره ـ هذا الكلام،

(١) من كتبه المتأخِّرة: كتاب «الخلاف» وهو آخر ما صنَّفه ـ رحمه اللَّه ـ.

وقالوا: التخيير في غير سابِّ الرسول ﷺ.. وأمَّا سابُّه فيتعيَّنُ قَتلُه، وإنْ كان غيره كالأسير، وعلى هذا فإما أن لا يُحكى في تعيُّنِ قتلِه خلاف؛ لكونِ لذين أَطلقوا التخيير في موضعٍ قد قالوا في موضعٍ آخَرَ بأن السابَّ يتعيَّنُ قَتلُه، وصرَّح رأسُ أصحابِ هذه الطريقةِ بأنه مستثنًى من ذلك الإطلاق، أو يُحكى فيه وجهٌ ضعيف؛ لأن الذين قالوا به في موضعٍ نصُّوا على خلافه في موضعٍ آخر.

واختَلف أصحابُ الشافعيِّ أيضًا فيه؛ فمنهم مَن قال: يجبُ قتلُ السابِّ حتمًا، وإنْ خُيِّر في غيره.

ومنهم مَن قال: هو كغيره من الناقِضين للعهد، وفيه قولان:

أضعفُهما: أنه يَلحقُ بمأمنِه.

والصحيح منهما: جوازُ قتله.

قالوا: ويكون كالأسير يجبُ على الإمامِ أن يَفعلَ فيه الأصلحَ للأمة من القتلِ والاسترقاقِ والمَنِّ والفداء.

وكلامُ الشافعيِّ في موضعٍ يقتضي أن حُكمَ الناقضِ للعهد حُكمُ الحربي؛ فلهذا قيل: إنه كالأسير، وفي موضعٍ آخَرَ أَمَر بقَتلِه عينًا من غير تخيير»[1].

*** الأدلَّةُ على أنَّه يتعيَّنُ قتلُ الذمِّي، ولا يجوزُ استرقاقُه:**

◻ قال ابنُ تيمية ـ رحمه الله ـ: «والدليلُ على أنه يَتعيَّنُ قَتلُه، ولا يجوزُ استرقاقُه، ولا المَنُّ عليه، ولا المفاداةُ به، من طريقَين:

(١) «الصارم المسلول» (٢/ ٤٦٧ ـ ٤٧٠).

أحدهما: ما تقدَّم من الأدلَّةِ على وجوبِ قتلِ ناقضِ العهدِ إذا نَقَضه بما فيه ضررٌ على المسلمين مطلقًا.

الثاني: ما يخصُّه. . وهو من وجوه:

الدليل الأول: ما تقدَّم من الآيات الدَّالةِ على وجوبِ قتلِ الطاعِنِ في الدِّين.

الدليل الثاني: حديثُ الرجلِ الذي قَتل المرأةَ اليهوديةَ على عهدِ رسولِ اللَّه ﷺ وأهدَرَ النبيُّ ﷺ دَمَها، وفي ذلك حديثُ عليِّ بنِ أبي طالبٍ وابنِ عباس، فلو كان سبُّ النبي ﷺ يَرفعُ العهدَ فقط، ولا يُوجِبُ القتل، لكانت هذه المرأةُ بمنزلةِ كافرةٍ أسيرةٍ، وبمنزلةِ كافرةٍ دَخلت إلى دار الإسلام ولا عَهْدَ لها، ومعلومٌ أنه لا يجوزُ قتلُها، وأنها تصيرُ رقيقةً للمسلمين بالسَّبي، وهذه المرأةُ المقتولةُ كانت رقيقةً، والمسلمُ إذا كانت له أَمَةٌ كافرةٌ حربيَّةٌ لم يَجُزْ له ولا لغيره قَتلُها لمجرَّد كونها حربيَّةً، ولا نَعلمُ بين المسلمين خِلافًا أنَّ المرأة لا يجوزُ قتلُها لمجرد الكفر إذا لم تكن معاهدةً، كما لا نعلمُ أيضًا خلافًا في أن المرأة إذا ثبت في حقِّها حكمُ نقضِ العهد لا يجوزُ قتلها.

الدليل الثالث: أن السَّابَّ لو صارَ بمنزلةِ الحربيِّ فقط، لكان دَمُه معصومًا بأمانٍ يُعقَدَ له أو ذِمَّةٍ أو هُدْنة، ومعلومٌ أن شُبهةَ الأمانِ كحقيقتِه في حَقْنِ الدم، والنفرُ الذين أرسَلَهم النبيُّ ﷺ إلى كعبِ بنِ الأشرفِ جاؤوا إليه إليه على أن يَستسلِفوا منه، وحادَثوه، وماشَوه وقد آمَنَهم على دَمِه وماله، وكان بينه وبينهم قبلَ ذلك عَهدٌ وهو يعتقدُ بقاءَه، ثم إنهم استأذنوه في أن يَشُمُّوا رِيحَ الطِّيبِ مِن رأسه، فأَذِنَ لهم مَرَّةً بعد أُخرَى، وهذا كلُّه يُثبِتُ الأمان، فلو لم يكن في السَّبِّ إلاَّ مجرَّدُ كونِه كافرًا حَرْبيًّا لم يَجُزْ قَتلُه

بعدَ أمانه إليهم، وبعد أن أظهَروا له أنهم مُؤَمِّنون له، واستئذانهم إياه في إمساكِ يديه، فَعُلِم بذلك أنَّ إيذاءَ اللَّهِ ورسولِه موجبٌ للقتلِ لا يَعصِمُ منه أمانٌ ولا عَهدٌ، ولا جزاءَ له إلاَّ القتل.

الدليل الرابع: أن النبي ﷺ دعا الناسَ إلىٰ قتلِ ابنِ الأشرف؛ لأنه كان يؤذِي اللَّهَ ورسولَه، وكذلك كان يأمرُ بقتلِ مَن يَسُبُّه ويَهجُوه، إلاَّ من عفا عنه بعد القُدرة، وأَمْرُه ﷺ للإيجاب، فعُلِم وجوبُ قتلِ السَّابِّ - وإنْ لم يَجِبْ قتلُ غيرِه من المحاربين -، وكذلك كانت سيرتَه، فلم يُعلَم أنه تَرك قتلَ أحدٍ من السَّابين بعد القُدرةِ عليه إلاَّ مَن تاب أو كان من المنافقين، وهذا يَصلُح أن يكونَ امتثالاً للأمرِ بالجهادِ وإقامةِ الحدود، فيكونُ علىٰ الإيجابِ، يؤيِّدُ ذلك أن في تركِ قتلِه تَرْكًا لنصرِ اللَّه ورسوله، وذلك غير جائز.

الدليل الخامس: أقاويلُ الصحابة، فإنها نصوصٌ في تعيينِ قتله:

❑ مثلُ قولِ عمرَ ﷺ: «مَن سبَّ اللَّه أو سَبَّ أحدًا من الأنبياء فاقتلوه». . فأمَرَ بقَتله عَيْنًا.

❑ ومثلُ قولِ ابنِ عباس ﷺ: «أيُّما معاهَدٍ عاند فسَبَّ اللَّهَ أو سَبَّ أحدًا من الأنبياء عليهم السلام، أو جَهَر به، فقد نَقَض العهدَ، فاقتلوه». . فأمر بقتلِ المعاهَد إذا سبَّ عيْنًا.

❑ ومثل قول أبي بكر ﷺ - فيما كتب به إلىٰ «المهاجر» في المرأة التي سَبَّتِ النبيَّ ﷺ: «لولا ما قد سَبَقْتَني فيها لأمرتُك بقَتلها؛ لأن حدَّ الأنبياءِ لا يُشبِهُ الحدود، فمَن تعاطىٰ ذلك من مسلمٍ فهو مرتَدٌّ، أو معاهَدَ فهو محارِبٌ غادر».

فبيَّن أن الواجبَ كان قتلَها عيْنًا لولا فواتُ ذلك، ولم يَجعلْ فيه خِيَرةً إلىٰ الإمام، لا سيَّما والسَّابَّةُ امرأةٌ، وذلك وحدَه دليلٌ.

□ ومثلُ قولِ ابنِ عمر «وقد مَرَّ به راهبٌ، فقيل له: هذا يَسُبُّ النبيَّ ﷺ، فقال ابنُ عمر: لو سمعتُهُ لقتلتُه، إنَّا لم نُعْطِهم الذِّمَّةَ علىٰ أن يَسُبُّوا نبيَّنا»(١).

ولو كان كالأسير الذي يُخيَّر فيه الإمامُ، لم يَجُزْ لابن عمر اختيارُ قَتلِه، وهذا الدليلُ واضح.

الدليل السادس: أن ناقضَ العهدِ بسبِّ النبيِّ ﷺ ونحوِه حالُه أغلظُ من حالِ الحربيِّ الأصليِّ، كما أن حالَ المرتدِّ أغلظُ من حالِ الكافرِ الأصلي؛ لأنَّه اجتمع فيه الحرابُ الأصليُّ، وخروجُه عمَّا عاهدَنا عليه بالطعنِ في الدِّين وأذىٰ اللَّهِ ورسولِه، ومِثلُ هذا يجبُ أن يُعاقَبَ عقوبةً تَزجُرُ أمثالَه عن مثلِ حاله، والدليلُ عليه قولُه سبحانه وتعالىٰ: ﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾ [الأنفال: ٥٥-٥٧].

فأمر اللَّهُ رسولَه إذا صادَفَ الناكثين بالعهدِ في الحرب أن يُشرِّدَ بهم غيرَهم من الكفار، بأن يفعلَ بهم ما يَتفرَّقُ به أولئك.

---

(١) **رواته ثقات:** عزاه ابن حجر في «المطالب العالية» (٢/ ١٧٥ ح ١٩٨٦) إلىٰ «مُسند مُسدَّد»، وفي حاشيته: قال البوصيري: رواه مُسَدَّد بسندٍ فيه راوٍ لم يُسَمَّ، والحارث في مسنده بسند رُواته ثقات. انظر «أحكام أهل الملل» للخلال - كتاب الحدود - باب: فيمن شتم النبي ﷺ.

* وقال تعالىٰ: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [التوبة: ١٣].

فحضَّ علىٰ قتالِ مَن نَكَثَ اليمين وهَمَّ بإخرجِ الرسولِ وبدأ بنقضِ العهد، ومعلومٌ أن مَن سبَّ الرسول ﷺ فقد نقض العهدَ وفَعَل ما هو أعظمُ من الهَمِّ بإخراجِ الرسول وبَدْئِنا أولَ مرة.

* ثم قال تعالىٰ: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾

[التوبة: ١٤-١٥].

فعُلم أن تعذيبَ هؤلاء، وإخزاءَهم، ونَصْرَ المؤمنين عليهم، وشفاءَ صدورهم بالانتقام منهم، وذَهابَ غيظِ قلوبهم مما آذوهم به: أمرٌ مقصودٌ للشارعِ، مطلوبٌ في الدِّين، ومعلومٌ أن هذا المقصودَ لا يَحصُل ممَّن سَبَّ النبيَّ ﷺ وآذىٰ اللَّهَ ورسولَه وعبادَه المؤمنين إلاَّ بقتْله، لا يَحصُلُ بمجرَّد استرقاقه، ولا بالمَنِّ عليه، والمفاداةِ به.

وكذلك تنكيلُ غيرِه من الكفَّار - الذين قد يُريدون إظهارَ السَّبِّ - لا يَحصُلُ علىٰ سبيل التَّمام إلاَّ بذلك.

الدليل السابع: أن الذِّميَّ إذا سبَّ النبيَّ ﷺ فقد صَدَر منه فعلٌ تضمَّن أمْرَيْن:

أحدهما: انتقاضَ العهد الذي بيننا وبينه.

والثاني: جنايتَه علىٰ عِرْضِ رسول اللَّه ﷺ وانتهاكَ حُرمته وإيذاءَ اللَّه تعالىٰ ورسوله والمؤمنين وطَعْنَه في الدِّين، وهذا معنًىٰ زائدٌ علىٰ مجرَّد كونِه

كافِراً قد نَقَض العهد.

ونظيرُ ذلك أنْ يَنقُضَه بالزِّنَىٰ بمسلمةٍ أو بقَطعِ الطريقِ علىٰ المسلمين وقتلِهم وأخذِ أموالهم أو بقتلِ مسلم، فإنَّ فِعْلَه ـ مع كونه نقضاً للعهد ـ قد تضمَّن جنايةً أُخرىٰ، فإن الزِّنىٰ وقطعَ الطريق والقتلَ ـ من حيثُ هو ـ هو جنايةٌ، ونقضَ العهدِ جناية، كذلك هُنا سَبُّ رسولِ اللَّه ﷺ ـ من حيث هو ـ هو جنايةٌ منفصلةٌ عن نقضِ العهد، له عقوبةٌ تخصُّه في الدنيا والآخرة زائدةٌ علىٰ مجرَّدِ عقوبةِ التكذيب بنبوَّته، والدليلُ عليه قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧].

فعلَّق اللعنةَ في الدنيا والآخرة والعذابَ المُهينَ بنفسِ أذىٰ اللَّه ورسوله، فعُلِم أنه مُوجِبٌ لذلك.

* وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢].

يوضِّح ذلك أن النبي ﷺ لَمَّا دَخل مكةَ آمَنَ الناسَ الذين كانوا يُقاتلونه قبلَ ذلك، والذين نَقضوا العهدَ الذي كان بينه وبينهم وخانُوه إلاَّ نفراً، منهم القَينتانِ اللتانِ كانتا تغنِّيانِ بهجائه، وسارةَ مولاةَ بني عبدالمطلب التي كانت تُـؤذيـه بمكة، فإذا كان قد أَمر بقتـلِ التي كانت تَهجُوه من النساء ـ مع أن قتلَ المرأةِ لا يجوزُ ألاَّ إذا قاتلت ـ، وهو ﷺ قد آمَنَ جميعَ أهلِ مكةَ مَن كان قد قاتل ونَقَضَ العهد من الرجال والنساء، عُلِم بذلك أن الهِجاءَ جنايةٌ زائدةٌ علىٰ مجرَّد القتالِ والحِراب؛ لأن التفريقَ بين المتماثِلَين لا يَقعُ

من النبي ﷺ.

◻ إن سبَّ الرسول ﷺ جنايةٌ لها موقعٌ يزيدُ على عامةِ الجنايات، بحيثُ يَستحقُّ صاحبُها مع العقوبة ما لا يستحقُّه غيرُه - وإن كان كافرًا حربيًّا مبالغًا في محاربة المسلمين -، وإن وجوبَ الانتصار ممن كان هذه حاله أمرٌ مؤكَّدٌ في الدين، والسَّعيُ في إهدارِ دمه من أفضلِ الأعمال وأوجَبِها وأحقِّهَا بالمسارعةِ إليه وابتغاءِ رضوان اللَّه تعالى فيه، وأبلغُ الجهادِ الذي كَتبه اللَّهُ على عباده وفَرَضه عليهم، ومَن تأمَّل الذين أهدَرَ النبيُّ ﷺ دماءَهم يومَ «الفتح»، واشتدَّ غَضَبَه عليهم حتى قَتل بَعضَهم في نفسِ الحَرَم وأعرَضَ عن بعضِهم، وانتَظر قَتْلَ بعضِهم، وَجَدَ لهم جرائمَ زائدةً على الكفر والحراب من ردَّةٍ وقتلٍ ونحو ذلك، وجُرْمُ أكثرِهم إنما كان مِن سبِّ رسولِ اللَّه ﷺ وأذاه بألسنتهم، فأيُّ دليلٍ أوضحُ من هذا؟!.

◻ ومما يدلُّ على أن السَّبَّ كان جنايةً زائدةً على كونه كُفرًا وحرابًا - وإن كان متضمِّنًا لذلك - أن النبيَّ ﷺ قد كان يعفو عمَّن يؤذيه من المنافقين، وقد كان له أن يقتلَهم، ولو كان السَّبُّ مجرَّد رِدَّةً لَوجب قتلُه، كالمرتدِّ يجبُ قتلُه، فعُلِم أنه قد يُغَلَّبُ في السَّبِّ حقُّ النبي ﷺ بحيثُ يجوزُ له العفوُ عنه.

◻ ومما يدلُّ على أن السَّبَّ جنايةٌ مُفرَدةٌ أنَّ الذِّمِّي لَوْ سَبَّ واحدًا من المسلمين أو المعاهَدين ونَقَضَ العهد، لكانَ سَبُّ ذلك الرجلِ جنايةً عليه يستحقُّ بها من العقوبةِ ما لا يستحقُّه بمجردِ نقضِ العهد، أفيكون سَبُّ رسول اللَّه ﷺ دُونَ سَبِّ واحدٍ من البشر؟!.

◻ ومما يدلُّ على ذلك أن سابَّ النبي ﷺ وشاتمَه يُؤْذيه شَتمُه وهجاؤُه

كما يؤذيه التعرُّضُ لدمه وماله.

* قال اللَّه تعالىٰ لما ذكر الغِيْبَة: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

فجَعل الغِيْبَةَ - التي هي كلامٌ صحيحٌ - بمنزلةِ أكلِ لحمِ المغتابِ ميتًا، فكيف ببهتانه؟ وسَبُّ النبي ﷺ لا يكون قطُّ إلاَّ بهتانًا.

● وفي «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «لَعْنُ المؤمنِ كقتله»(١).

◻ وأيضًا، فإن ذلك يُؤذي جميعَ المؤمنين، ويُؤذي اللَّه سبحانه وتعالىٰ، ومجرَّدُ الكفرِ والمحاربةِ لا يَحصُلُ بهما مِن أذاه ما يَحصُلُ بالوقيعة في العِرْضَ مع المحاربة.

ودماءُ الأنبياء وأعْراضُهم أجَلُّ مِن دماءِ المؤمنين وأعراضِهم، فإذا كان دماءُ غيرهم وأعراضُهم لا تنْدَرجُ عقوبتُها في عقوبةِ مُجَرَّدِ نقضِ العهد، فأَنْ لا تَندرِجَ عقوبةُ دمائِهم وأعراضِهم في عقوبةِ نقْضِ العهدِ بطريقِ الأوْلىٰ.

◻ ومما يوضِّحُ ذلك أَنَّ سبَّ النبيِّ ﷺ تَعلَّق به عِدَّةُ حقوق:

١ - حقُّ اللَّه سبحانه، مِن حَيْثُ كَفَر برسوله وعادَىٰ أفضل أوليائِه،

(١) من حديث ثابت بن الضحَّاك. رواه البخاري: في كتاب الأدب - باب ما ينهىٰ عن السِّباب واللِّعان (١٠/ ٤٧٩ ح٦٠٤٧) بلفظ: «ومَن لعن مؤمنًا فهو كقاتله»، وفي كتاب الأيمان والنذور - باب من حلف بِمِلَّةٍ سوىٰ مِلَّة الإسلام (١١/ ٥٤٦ ح ٦٦٥٢)، ورواه مسلم: في كتاب الإيمان - باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه (١/ ١٠٤ ح ١١٠)، والترمذي: في كتاب الإيمان - باب ما جاء فيمن رمىٰ أخاه بكفر (٥/ ٢٢ ح ٢٦٣٦) بلفظ: «لاَعِنُ المؤمن كقاتله»، وأحمد في «المسند» (٤/ ٣٣)، والدارمي في كتاب الديَّات - باب التشديد علىٰ مَن قتل نفسه (٢/ ٢٥٢ ح ٢٣٦١).

وبارَزَه بالمحاربة، ومِن حيث طَعَن في كتابه ودينه، فإنَّ صحتَّهما موقوفةٌ علىٰ صحَّةِ الرسالة، ومِن حيث طَعَن في ألوهيته؛ فإن الطعنَ في الرسولِ طَعْنٌ في المُرسِل، وتكذيبَه تكذيبٌ للَّه تبارك وتعالىٰ وإنكارٌ لكلامه وأمرِه وخَبَره وكثيرٍ مِن صفاته.

٢ ـ وتعلَّق به حقُّ جميعِ المؤمنين من هذه الأمَّة ومِن غيرِها من الأمم؛ فإن جميعَ المؤمنين مؤمنون به ـ خصوصًا أمَّتُه ـ، فإن قيامَ أمرِ دنياهم ودينِهم وآخرتِهم به، بل عامَّةُ الخيرِ الذي يُصيبُهم في الدنيا والآخرة بوساطتِه وسفارته، فالسَّبُّ له أعظمُ عندهم مِن سَبٍّ أنفسِهم وأولادهم وآبائِهم وأبنائِهم وسبِّ جميعِهم، كما أنَّه أحبُّ إليهم من أنفسِهم وأولادِهم وآبائِهم والناسِ أجمعين.

٣ ـ وتعلَّق به حقُّ رسولِ اللَّه ﷺ مِن حيثُ خصوصِ نفسه، فإن الإنسانَ تُؤذيه الوقيعةُ في عِرضِه أكثرَ مما يُؤذيه أَخْذُ ماله، وأكثرَ مما يُؤذيه الضربُ، بل ربما كانت عنده أعظمَ من الجَرْح ونحوه، خُصوصًا مَن يجبُ عليه أن يُظهِرَ للناس كمالَ عِرْضِه وعلوَّ قَدرِه لينتفعوا بذلك في الدنيا والآخرة، فإنَّ هَتْكَ عِرضِه قد يكونُ أعظمَ عنده مِن قَتْله، فإنَّ قتْلَه لا يَقدحُ عند الناس في نبوَّتِه ورسالتِه وعلوِّ قدره، كما أن موتَه لا يَقدحُ في ذلك، بخلافِ الوقيعة في عِرْضِه، فإنها قد تُؤثِّرُ في نفوسِ بعضِ الناسِ من النُّفرةِ عنه وسوءِ الظَّن به ما يُفسِدُ عليهم إيمانَهم، ويُوجبُ لهم خسارةَ الدنيا والآخرة.

فعُلِم بذلك أن السَّبَّ فيه من الأذىٰ للَّه ولرسوله ولعبادِه المؤمنين ما ليس في الكُفرِ والمحارَبة.

إذا ثبت ذلك نقول: هذه الجنايةُ ـ جنايةُ السَّبِّ ـ موجَبُها القتل؛ لِمَا تقدَّم من قوله ﷺ: «**مَنْ لكعبِ بنِ لأشرف، فإنه قد آذى اللَّهَ ورسولَه؟**»[1].

فَعُلِم أنَّ مَن آذىٰ اللَّهَ ورسولَه كان حقُّه أن يُقتَل.

ولِمَا تقدَّم من إهدارِ النبيِّ ﷺ دَمَ المرأةِ السَّابَّةِ، مع أنها لا تُقتَلُ لمجرَّدِ نقضِ العهدِ، ولِمَا تقدَّم من أَمْرِه ﷺ بقتلِ مَن كان يسبُّه مع إمساكِه عمَّن هو بمنزلته في الدِّين، ونَدبِه الناسَ إلىٰ ذلك، والثناءِ علىٰ مَن سارع في ذلك، ولِمَا تقدم من الحديثِ المرفوع، ومِن أقوال الصحابة ﭫ: «أَنَّ من سَبَّ نبيًّا قُتِل، ومن سَبَّ غيرَ نبيٍّ جُلِد».

الدليل الثامن: أنَّ سَبَّ رسول اللَّه ﷺ ـ مع كونه من جنسِ الكفر والحراب ـ أعظمُ من مُجَرَّد الرِّدَّةِ عن الإسلام، فإنه من المسلم رِدَّةٌ وزيادة، فإذا كان كُفرُ المرتدِّ قد تغلَّظ لكونه قد خَرج عن الدين ـ بعد أن دخل فيه ـ، فأوجَبَ القَتلَ عيْنًا، فكُفرُ السَّابِّ الذي آذىٰ اللَّهَ ورسولَه وجميعَ المؤمنين من عبادِه أولىٰ أن يتغلَّظَ فيُوجِبَ القتلَ عَينًا؛ لأن مَفسدةَ السَّبِّ في أنواعِ الكفرِ أعظمُ من مفسدةِ مجرَّدِ الرِّدَّة.

الدليل التاسع: أنَّ تَطهيرَ الأرضِ من إظهارِ سبِّ رسولِ اللَّه ﷺ واجبٌ حَسبَ الإمكانِ؛ لأنه من تمامِ ظهورِ الدين وعلوِّ كلمةِ اللَّه وكونِ الدينِ كلِّه للَّه، فحيثما ظهر سبُّه ولم يُنتَقم ممَّن فَعل ذلك، لم يكنِ الدِّينُ ظاهرًا ولا كلمةُ اللَّه عاليةً، وهذا كما يجبُ تطهيرُها من الزُّناة والسُّرَّاقِ وقُطَّاعِ الطريق بحسَبِ الإمكان، بخلافِ تطهيرها من أصلِ الكُفر، فإنه

---

(١) حديث صحيح: سبق تخريجه.

ليس بواجب.

وكلُّ جنايةٍ وَجَب تطهيرُ الأرض منها بحَسَبِ القُدرة، تتعيَّنُ عقوبةُ فاعلِها العقوبةَ المُحَدَّدَةَ في الشرعِ إذا لم يكن لها مستحقٌّ مُعَيَّن، فوجب أن يتعيَّن قتلُ هذا؛ لأنه ليس لهذه الجنايةِ مستحقٌّ معيَّن؛ لأنه تعلَّق بها حقُّ اللَّه ورسوله وجميعِ المؤمنين، وبهذا يَظهرُ الفَرقُ بين السَّابِّ وبين الكافر، لجوازِ إقرارِ ذلك على كفره مُسْتَخْفِيًا به ملتزمًا حكمَ اللَّه ورسوله، بخلافِ المُظْهر للسَّبِّ.

الدليل العاشر: أَنَّ قتلَ سابِّ النبي ﷺ - وإن كان قَتْلَ كافرٍ -، فهو حدٌّ من الحدود، ليس قتلاً على مجرَّد الكفرِ والحراب، لِمَا تقدَّم من الأحاديثِ الدالَّةِ على أنه جنايةٌ زائدةٌ على مجرَّد الكفرِ والمحاربة، ومن أنَّ النبيَّ ﷺ وأصحابَه أمَروا فيه بالقتل عيْنًا، وليس هذا موجِبَ الكُفرِ والمعاينة، ولِمَا تقدَّم من قولِ الصِّدِّيقِ ﵁ في التي سبَّت النبي ﷺ: «إنَّ حدَّ الأنبياءِ ليس يُشبِهُ الحدود»، ومعلومٌ أن قَتْلَ الأسيرِ الحربيِّ ونحوِه من الكفار والمحاربين لا يُسَمَّىٰ «حَدًّا»، ولأن ظهورَ سبِّه في ديار المسلمين فسادٌ عظيمٌ أعظمُ من جرائمَ كثيرةٍ؛ فلابدَّ أن يُشرعَ له حدٌّ يُزجَرُ عنه مَن يتعاطاه، فإن الشارعَ لا يُهملُ مثلَ هذه المفاسد، ولا يُخْليها من الزواجر، وقد ثبت أن حدَّه القتلُ بالسُّنَّة والإجماع، وهو حَدٌّ لغيرِ مُعيَّنٍ حيٍّ، لأن الحقَّ فيه للَّه تعالىٰ ولرسوله ﷺ - وهو ميِّت - ولكلِّ مؤمن، وكُلُّ حَدٍّ يكونُ بهذه المثابةِ، فإنه يتعيَّنُ إقامتُه بالاتفاق.

الدليل الحادي عشر: أنَّ نصرَ رسولِ اللَّه ﷺ وتعزيرَه وتوقيرَه واجبٌ، وقتلَ سابِّه مشروع، فلو جاز تركُ قتلِه لَم يكنْ ذلك نَصراً له ولا تعزيراً ولا

توقيراً، بل ذلك أقلَّ نَصره؛ لأن السَّابَّ في أيدينا ونحن متمكِّنون منه، فإنْ لم نَقتُلْه ـ مع أن قَتلَه جائز ـ، لكان ذلك غايةً في الخُذلانِ وتركِ التعزيرِ له والتوقير. . وهذا ظاهر»[1] .

رَحِمَ اللَّهُ شيخَ الإسلام ابن تيمية، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً، جزاءَ دفاعه عن نبيِّه العظيم ﷺ . . ونسأله سبحانه أن يَحشُرَنا معه يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنون، إلاَّ مَن أتى اللَّهَ بقلبٍ سليم. . آمين.

* * *

(١) انظر: «الصارم المسلول» (ص٥١٢ ـ ٥٤١).

وقفاتٌ شرعيَّةٌ مع جريمة
الإساءة إلى مقام النبي ﷺ

□ في مقاله الطيِّب بمجلة «البيان»[١] قال الشيخ محمد بن صالح المنجد: «ساءَ كلَّ مسلمٍ غَيُورٍ على دينه ما قام به السفهاءُ المجرمون من االاستهزاء بنبيِّنا محمدٍ ﷺ ـ وهو أفضل من وطئت قدماه الثرى، وهو سيد لأولين والآخِرين صلوت ربي وسلامه عليه ـ.

وهذه الوقاحةُ ليست غريبةً عنهم؛ فهم أحقُّ بها وأهلُها؛ فقد كفروا باللَّه ـ تعالىٰ ـ وسبُّوه ونَسبوا إليه الصاحبةَ والوَلَدَ.

فماذا يَنقِمُ هؤلاء من سيدِ البشر محمد ﷺ ؟!:

هل يَنقمون منه أنه دعا إلى توحيدِ اللَّه ـ تعالىٰ ـ وهم لا يؤمنون للَّه بالوحدانية؟.

أم يَنقِمون منه أنه عَظَّمَ ربَّه ـ تبارك وتعالىٰ ـ ونزَّهه عما يقولُه هؤلاء المفتُرون، وهم ينسِبون إليه النقصَ والصاحبةَ والولد؟.

أم ينقمون منه أنه دعا إلى معالي الأخلاق، وتَرْكِ سفسافها، ودعا إلى الفضيلة، وسدِّ كلِّ بابٍ يؤدي إلى الرذيلة، وهم يريدونها فوضَىٰ أخلاقيةً وجنسيةً عارمةً؟.

يريدون أن يَغرَقوا في مستنقعِ الشهواتِ والرذيلة، وقد كان لهم ما أرادوا!.

---

(١) مجلة «البيان» العدد (٢٢٢) (ص٣٠ـ٣٧).

أم يَنقِمون منه أنه رسولُ اللَّه؛ واللَّهُ ـ تعالىٰ ـ هو الذي اصطفاه علىٰ الناس برسالته ووحيه؟.

ودلائلُ نبوته ﷺ أكثرُ من أن تُحصَر: شقَّ اللَّهُ له القمر ليُريَ الكفارَ آيةً، ونَبَع الماءُ من بين أصابعه ﷺ مراتٍ، وتكلَّمت الشاةُ المسمومةُ فأخبرته أن بذِراعها سُمًّا، وأعطاه خَمْسًا لم يُعطِهنَّ أحدًا من الأنبياء قبلَه، منها نَصرُه بالرعب مسيرةَ شهر، وبَعثُه للناس كافَّةً: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨].

أم لم يَسمعوا عن آيته الكبرىٰ، هذا القرآنُ الكريم، كلامُ ربِّ العالمين، الذي حَفِظه اللَّهُ ـ تعالىٰ ـ فلم تمتدَّ إليه يدُ العابثين المحرِّفين، أما كُتُبُهم المنزَّلةُ علىٰ أنبيائهم، فتلاعبوا بها أيَّما تلاعب: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

بل من أعظمِ الأدلةِ علىٰ صدقِ نبيِّنا محمدٍ ﷺ بقاءُ دينِه هذه القرونَ الطويلةَ ظاهرًا منصورًا، وقد كان أمرُه ﷺ في حياته دائمًا إلىٰ ظهورٍ وعُلوٍّ علىٰ أعدائه، وحكمةُ اللَّه تعالىٰ تأبىٰ أن يُمكِّن كاذبًا عليه وعلىٰ دينه من العلوِّ في الأرض هذه المدةَ الطويلةَ، بل في كُتبهم التي كَتمها علماؤُهم وحَرَّفوها أن الكذَّاب (مُدَّعي النبوة) لا يمكنُ أن يَبقىٰ إلاَّ مدةً يسيرةً ثم ينكشفُ أمرُه ويضمحل.

كما ذُكِر عن أحدِ ملوكِهم أنه أُتِي برجلٍ من أهلِ دينه (نصراني) كان يسبُّ النبيَّ ﷺ، ويَرميه بالكذب، فجَمَع المَلِكُ علماءَ مِلَّتِه، وسألهم: كم يبقىٰ الكذابُ؟ فقالوا: كذا وكذا ـ ثلاثين سنةً أو نحوها ـ، فقال الملك:

وهذا دينُ محمد له أكثرُ من خَمْسِمئة سنةٍ أو ستِّمئة سنة (يعني: في أيام هذا المَلِك)، وهو ظاهرٌ مقبولٌ متبوع؛ فكيف يكونُ هذا كذابًا، ثم ضَرَب عُنقَ ذلك الرجل[١] !!.

ألم يعلموا أن كثيراً من عُقلائهم وملوكهم وعلمائهم لَمَّا وَصلت إليهم دعوةُ الإسلام بيضاءَ نقيَّةً، لم يَملِكوا إلاَّ الإقرارَ بصحَّةِ هذا الدين، وعَظَّموا النبيَّ ﷺ، ومنهم مَن أعلن الدخولَ في الإسلام؟!.

فقد أقرَّ مَلِكُ الحبشةِ «النجاشيُّ» بذلك، ودَخل في الإسلام.

ولَمَّا أرسل النبيُّ ﷺ كتابًا إلىٰ «هرقلَ» مَلِكِ الروم يدعوه فيه إلىٰ الإسلام، أقرَّ هرقلُ بصحةِ نبوته، وهمَّ أن يُعلِنَ إسلامَه وتمنَّىٰ أن يذهبَ إلىٰ الرسولِ ﷺ ويكونَ خادمًا عنده، إلاَّ أنه خافَ علىٰ نفسِه من أهلِ ملَّته ثم ضَنَّ بمُلكِه وأخذته شهوةُ الرئاسة، فبقي علىٰ الكفرِ ومات عليه.

ولم يَزَلِ الكثيرُ من مُفكِّريهم وكُتَّابهم ومؤرِّخيهم المنصفين يُعلنون الثناءَ علىٰ محمد ﷺ.

١ ـ «برنارد شو» الإنكليزي، له مؤلَّف أسماه «محمد» يقول: «إن العالَم أحوجُ ما يكونُ إلىٰ رجلٍ في تفكير محمدٍ، وإنَّ رجالَ الدينِ في القرون الوسطىٰ، ونتيجةً للجهل أو التعصُّب، قد رَسموا لدينِ محمدٍ صورةً قاتمةً، لقد كانوا يعتبرونه عدوًّا للنصرانية، لكنَّني اطَّلعتُ علىٰ أمرِ هذا الرجل، فوجدتُه أعجوبةً خارقةً، وتوصَّلتُ إلىٰ أنَّه لم يكن عدوًّا للنصرانية، بل يجبُ أنْ يُسمَّىٰ «منقذ البشرية»، وفي رأيي أنَّه لو تولَّىٰ أمرَ

(١) «شرح العقيدة الأصفهانية» لشيخ الإسلام ابن تيمية.

العالَمِ اليوم، لوُفِّق في حلِّ مشكلاتِنا بما يؤمِّن السلامَ والسعادةَ التي يرنو البشرُ إليها».

٢ ـ ويقول «آن بيزيت»: «من المستحيل لأي شخصٍ يدرسُ حياةَ وشخصيةَ نبيِّ العرب العظيمِ ويَعرفُ كيف عاش هذا النبيُّ وكيف علَّم الناس، إلاَّ أن يَشعرَ بتبجيلِ هذا النبيِّ الجليل، أحدِ رُسلِ اللَّه العظماء».

٣ ـ وقال «شبرك» النمساوي: «إنَّ البشريةَ لَتفتخرُ بانتسابِ رجلٍ كمحمدٍ إليها؛ إذ إنَّه رَغم أُميِّتِه، استطاع قَبلَ بِضعَةَ عَشَرَ قرنًا أنْ يأتيَ بتشريع، سنكونُ ـ نحنُ الأوروبيين ـ أسعدَ ما نكون إذا توصَّلْنا إلىٰ قِمَّته».

٤ ـ ويقول «جوته» المفكِّر الألماني: «إننا ـ أهلَ أوروبا ـ بجميع مفاهيمنا، لم نصِلْ بعدُ إلىٰ ما وَصل إليه محمدٌ، وسوف لا يتقدمُ عليه أحدٌ، ولقد بَحثتُ في التاريخ عن مَثَلٍ أعلىٰ لهذا الإنسان، فوجدتُه في النبيِّ محمد، وهكذا وَجب أن يظهرَ الحقُّ ويعلو، كما نَجَح محمدٌ الذي أخضع العالَم كلَّه بكلمةِ التوحيد»[1].

وقد ميَّز اللَّهُ ـ سبحانه وتعالىٰ ـ نبيَّنا محمداً ﷺ وكرَّمه بعددٍ من المعجزاتِ الباهراتِ، خَصَّه بأشياءَ دون غيرِه من الأنبياء، ومعرفةُ هذه الخصائص تَزيدُنا في معرفةِ النبي ﷺ وتَجعلُنا نُحبُّه، ويزدادُ إيمانُنا به، فنزدادُ له تبجيلاً، ونزدادُ له شوقًا.

والخصائصُ النبويةُ: «هي الفضائل والأمور التي انفرد بها النبي ﷺ

---

(١) للتوسَّع في النقول: انظر «الرسول ﷺ في الدراسات الاستشراقية المُنصِفة» لمحمد شريف الشيباني.

وامتاز بها إما عن إخوانه الأنبياء، وإمَّا عن سائر البشر». .

فاقَ البُدورَ وَفـاقَ الأنبِيـــاءَ فكَم ... بِالخُلقِ وَالخَلقِ مِن حُسْنٍ وَمِن عِظَمِ

وخصائصُه ـ عليه الصلاة والسلام ـ التي اختُص بها دون بقية الأنبيـاء ـ عليهم السلام ـ كثيرة، دنيوية وأخروية[1] .

* **فمن الخصائص الدنيوية:**

اختصاصُه ﷺ بأن آيته العُظمىٰ في كتابه، وبأن كتابَه مشتمِلٌ علىٰ ما اشتَملت عليه الكتبُ السابقة، وفُضِّل بالمفصَّل وبخواتيمِ سورة البقرة وببقاءِ معجزته إلىٰ يوم الدين. .

جـاء النبيُّـون بالآيـاتِ فانصَرَمَت ... وجئتَـنا بحكيـمٍ غيرِ مُنصـرِمِ

ومنها: اختصاصُ النبي ﷺ بكونه خاتمَ النبيين وبإرساله إلىٰ الثَّقَلَينِ.

ومنها: اختصاصُ النبي ﷺ بأن السماءَ حُرست بمبعثه، وباختصاصِه بالإسراء والمعراج، وأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أَمَّهم جميعًا فكانوا وراءَه هو الإمامُ وهم المأمومون، واختصاصُه بأخذِ الميثاقِ له من جميعِ الأنبياء بالإيمان به ونُصرتِه، وأنه سيدُ ولد آدم، وبأنه أُوتي مفاتيحَ خزائن الأرض.

* **وأما خصائصُه الأخروية فمنها:**

اختصاصُه ﷺ بأنه أولُ مَن تُشَقُّ عنه الأرضُ يوم القيامة، وبإعطائه لواءَ الحمد، وبأن اللَّه تعالىٰ يَبعثُه يومَ القيامة مقامًا محمودًا، وأنه أولُ مَن يدخلُ الجنةَ يومَ القيامة، وبأنه أولُ شفيعٍ في الجنة، وأولُ مَن يَقرَعُ بابها، وبأنه أكثرُ الأنبياء تابعًا يوم القيامة، ويدخلُ من أمَّته الجنةَ سبعون ألفًا بغير

(١) انظر جَمْعي وكتابي «الكوكب الدُّرِّي في خصائص النبي».

حساب، وبأنه أولُ مَن يجوزُ الصراطَ من الرسل بأُمَّته، وبإعطائه الكوثر:

﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

ربَّـــاكَ ربُّكَ.. جـــلَّ من ربَّاكا ورعاكَ في كَنَفِ الهـدى وحماكا

سبحانه أعطاك فَيـــضَ فضائــلٍ لم يُعْطِـهَا في العالمــين ســواكا

ولَمَّا كان ذلك كذلك، فإن من واجبِ العالَم كلِّه - ولا محيصَ له عن ذلك - أن يَجعلَ عظمةَ محمدٍ ﷺ في الخَلقِ جميعًا فوقَ كلِّ عظمة، وفَضْلَه فوقَ كلِّ فضل، وتقديرَه أكبرَ من كلِّ تقدير، ويَجبُ على العالَم أجمعَ أن يؤمِنَ برسالةِ محمدٍ ﷺ، وأنه خاتمُ أنبياء اللَّه الكرام.

ونحن نغتنمُ هذه الفرصةَ وندعو هؤلاء إلى الإسلام، فإنَّ ما اقترفته أيديهم الآثمةُ لا يمحوه إلا الإسلام، فإن عاندوا وكابَروا وأصرُّوا على ما هم عليه، فلْيُبشِروا بعذابِ النارِ خالدين فيها أبدًا.

* قال اللَّه تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

* وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

● وقال النبي ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِه لا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِه الأُمَّةِ - يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ -، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»(١).

(١) رواه مسلم (١٥٣).

* ولنا مع هذا الحديثِ وقفات:

أولاً: مصالح وبشارات:

* قال اللَّه تعالىٰ: ﴿فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

● وقال الرسول ﷺ: «عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ! إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلك لأَحَد إلاَّ لِلْمُؤْمِنِ»(١).

❑ وقديمًا قيل:

قد يُنعِمُ اللَّهُ بالبلــوى وإنْ عَظُمَتْ ... ويَبتلي اللَّهُ بعضَ الخَلــقِ بالنِّعَـمِ

❑ وقيل: «وربما صَحَّت الأبدانُ بالعلل».

فما وَقع من الاستهزاءِ أثار حميَّةَ المسلمين للَّه تعالىٰ ولرسوله ﷺ، وأيقظهم من سُباتهم، وبَصَّرهم بأعدائهم؛ فهي طعنةٌ آلَمَتْنا ولكنها أيقظتنا، وقد قال تعالىٰ في حادثة الإفك التي هي صورة من صور أذيَّته ﷺ: ﴿لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ١١].

فمِثلُ هذا الهَجَماتِ صارت سببًا في حصولِ خير كثيرٍ للمسلمين، وحصولِ الخزي والصَّغار لأعدائِهم.. فمن ذلك:

* اختلافُ الأعداء وانقسامهم:

إذ حَصَل خلافٌ بين الشركاتِ الكبرىٰ التي تأثَّرت من المقاطعة من جهةٍ، والجهاتِ التي نَشرت ما نَشرت من جهةٍ أخرىٰ، كما انقسم الشعبُ الدانماركيُّ علىٰ نفسه إزاءَ ما حَصل: هل هو فعلاً من حريةِ الرأي؟ أم أنه اعتداءٌ وعدوان؟.

---

(١) رواه مسلم (٢٩٩٩).

* **علوُّ الصوتِ الإسلامي:**

فهذه الأزمةُ أعادت الاعتبارَ للمسلمين، وجعلت لهم وزنًا، وأصبح كلُّ حاقدٍ على الإسلام يُعيدُ حساباتِه قبلَ أن ينالَ من الإسلام وأهله.

وتملَّق الكثيرُ من المنافقين للمدِّ الإسلامي، واشترك بعضُهم في المقاطعة قائلاً: «لقد تعدَّت القضيةُ الخطَّ الأحمر»، بل حتى إن بعضَ القنواتِ الهابطةِ أصبحت تُعلِنُ أخبارَ الغضبِ الإسلاميِّ وتُظهِرُ تأييده، وفَرَضت مُجرياتُ الأحداثِ على وسائل الإعلام العالمية أن تقومَ بتغطيتها تغطيةً كاملة، وتكلَّم الساسةُ الكبارُ وزعماءُ الدول وأدلَوا بتصريحاتٍ حول الموضوع.

* **في الأُمة خيرٌ كثير:**

أثبتتْ هذه الحادثةُ الدنيئة أنَّ أمَّتنا أمَّةٌ عظيمة، وأنها إذا مَرضت فإنها لا تموت، وفيها رجالٌ يذودون بكلِّ ما أُوتوا دونَ نبيِّهم الكريم ﷺ، وأن فيها خيرًا كثيرًا، ولكنها تعيشُ فترةً من التخديرِ والخمول، وأنها إذا استَيقظت فستتحركُ كالبركان، وهذا ما رأيناه من التسابقِ في المساهَمة والبذل، وما نسمعُه من استنفارِ الأمةِ كلِّها، والتحركِ في جميعِ المجالات؛ حيث شارك في هذه الحملةِ المحامون والتجارُ والصُّنَّاعُ والأكاديميون والطلابُ والصِّغارُ والكبارُ والرجالُ والنساء.

* **توحيدُ صفوف المسلمين:**

فرأينا - ولله الحمد - تكاتُفَ المسلمين وتبنِّيهم لنفسِ المواقف، وإن اختَلفت البلدانُ واللغات.

ويمكننا القولُ: إن الأمةَ الإسلاميةَ في العصرِ الحديث قلَّما قابَلَتْ حَدَثًا كان له مثلُ هذا التأثير . .

عِرضي فدا عِرضِ الحبيب محمد وفداه
مُهــجَـــةُ خافِقـــي وجَنـــاني
وفـــداه كلُّ صغيرِنـــا وكبيرِنـــا
وفـــداه ما نَظَـــرت له العَينـــانِ

* إحياءُ جَذوةِ الإيمان في قلوب المسلمين:

فقد رأينا من رَدِّ فِعل المسلمين ما يدلُّ على محبَّتهم للنبي ﷺ ، حتى مَن عنده شيءٌ من التفريط في بعضِ واجباتِ الدين، ثار دفاعًا عن الرسول الكريم ﷺ ، ولا عجبَ في ذلك؛ فإن للرسول ﷺ في قلوبِ المسلمين المكانةَ العظمى والمحبةَ الكبرى.

* ظهر في الأزمة أن أهلَ التوحيدِ الخالِص هم أهلُ النصرةِ والمحبةِ الحقيقية:

بخلاف بعضِ أهلِ البدع والخرافاتِ الذين ضَعُفت أصواتُهم - إلا ما قلَّ - في الذَّود عن عِرضِ النبي ﷺ في أول الأمر، فدعوى محبةِ النبي ﷺ وآلِ بيته وحدَها لا تكفي، بل لا بد من النُّصرةِ بالقولِ والعملِ والمبادرةِ إلى ذلك.

* تبيَّن من الأزمةِ حِرصُ عددٍ من الغيُورين على الدعوةِ إلى الإسلام، وبيانِ الصورةِ المُشرِقةِ الحقيقيةِ لهذا الدين:

من خلالِ ما رأينا من تسابقِ الكثيرين إلى طباعةِ الكتبِ بلُغةِ أولئك

وبَذلِ المالِ في سبيل هذا، وهذا مَظهرٌ يُحمَد ويَحتاجُ إلىٰ ترشيدٍ ووَعْي.

* **مسايرةُ الإعلامِ وبعضِ كبارِ المسؤولين لمواقفِ الشعوبِ الإسلاميةِ وحركتِها المباركة.**

◻ إرسالُ رسالةٍ واضحةٍ للغرب أننا - نحن المسلمين - لا نوضىٰ أبدًا أن يُمَسَّ دينُنا أو يُنالَ منه، أو يُعتدَىٰ علىٰ رسولنا؛ فكلُّنا فداءٌ له - بأبي هو وأمي ﷺ -...

فـــإنَّ أبي ووالـــدَه وعِـــرضي
لعِـــرضِ محمـــدٍ منكـــم فِـــداءُ

* **﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾:**

◻ قال ابن سَعدي - رحمه اللَّه -: «وقد فعل - تعالىٰ -، فما تظاهر أحدٌ بالاستهزاء برسول اللَّه ﷺ وبما جاء به، إلاَّ أهلَكه اللَّه وقَتَله شرَّ قِتله».

◻ فهذه الجريمةُ النكراءُ - مع أنها تُمزِّقُ قلوبَنا، وتملؤُها غَيظًا وغَضَبًا، ونودُّ أنْ نفدِيَ رسولَ اللَّه ﷺ بأنفُسنا - إلاَّ أنها مع ذلك مما نَستبشرُ به بهلاكِ هؤلاء وقُربِ زوالِ دولتهم؛ إذِ اللَّهُ - تعالىٰ - يَكفي نبيَّه ﷺ المستهزئين المجرمين.

وقد كان المسلمون إذا حاصروا أهلَ حِصنٍ واستعصىٰ عليهم، ثم سَمِعوهم يَقَعون في النبي ﷺ ويَسُبُّونَه، يستبشرون بقُرب الفتح، ثم ما هو إلا وقتٌ يسير، ويأتي اللَّهُ - تعالىٰ - بالفتح من عنده؛ انتقامًا لرسوله ﷺ.

وشواهدُ التاريخِ كثيرةٌ علىٰ هلاكِ وفضيحةِ المستهزئين بالنبي محمد ﷺ.

* ظهورُ اتحادِ الغرب على الإسلام:

فما أنِ استَنجدت تلك الدولةُ باتحادِهم حتى وقفوا جميعًا بجانبها، وتواصَى بعضُ المجرمين على نَشرِ هذه الصور في صحافتِهم تعاونًا على الإثمِ والعدوانِ، وتفتيتًا للمقاطعة، وتأكيدًا لحريَّة النشر - بزعمهم -، وكان بعضُ ساستهم يأسفُ لإهانةِ مشاعر المسلمين، ثم يتصلُ بكبيرِ الدانمارك ليؤيِّده ويقول: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤]، حتى يُعلِموا المسلمين أنهم جميعًا في خندقٍ واحد، وأننا لا نستطيعُ مواجهتهم جميعًا.

* ظهورُ الحقدِ الصليبيِّ الدفين:

حيث عَبَّر بعضُ مسؤوليهم عن أنه لا بدَّ مِن إيقافِ المقاطعة ولو أدَّى ذلك إلى شَنِّ حربٍ صليبيةٍ جديدة، وهذا - وإن لم يُصرِّحْ به كثيرٌ منهم -، إلا أنها زَلَّةٌ تُمثِّلُ رأيَ طائفةٍ منهم: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

* اتضاحُ غطرسةِ الغربِ وعناده:

فهو يرفضُ الاعتذارَ - حُكومةً وشعبًا -، وينظرُ للمسلمين نظرة استحقار.. بل يُصرِّحُ بعضُ مسؤوليهم أنهم لا يريدون الاعتذار ولا يرغبون فيه.

* اتضاح موقف المنافقين:

وهم الواقفون مواقفَ الرِّيبة من هذه الجريمة، إمَّا بالسُّكوت تارةً، أو بالتَّبرير تارةً، أو بالتَّهوين تارةً، أو بالاستهزاءِ من استنكارِ المسلمين لهذه الجريمةِ تاراتٍ وتارات.

*** ازديادُ أهميةِ التقليلِ من الحَجمِ الهائلِ لمستوردَاتِ الدولِ الإسلاميةِ من العالمِ الغربي:**

والسعيُ للتعويض عن ذلك بمنتجاتِ دولٍ إسلاميةٍ أخرىٰ من خلال اشتراك المواردِ مع المال مع الخبرات.

*** ظهورُ جدوى تلك المقاطعةِ التي قام بها المسلمون لمنتجات المعتدين علىٰ مقامِ الرسول الكريم ﷺ:**

فلم تتحرك دولتُهم لمطالبَ رسميةٍ أو سياسية، لكن لَمَّا قامت المقاطعة لم يَمْضِ عليها إلاَّ أيامٌ قليلة حتىٰ هَبَّتِ الصحيفةُ الآثمةُ ورئيسُ تحريرها لتدارُكِ الأمر، وتغيَّرَ أسلوبُ رئيس وزرائهم المكابر، فَلانَ شيئًا ما مع المسلمين - لا بل مع مصالحه -، وبهذا يَظهرُ سلاحٌ جديدٌ للمسلمين أفرادًا وجماعات يُمكن أن يَستخدموه للتأثير علىٰ أعدائهم، وإلحاقِ الضرر بهم[1].

*** المقاطعة الاقتصادية[2]:**

لا شك أن للاقتصاد في هذا الزمن تأثيرًا كبيرًا وفعَّالاً علىٰ مواقفِ الدولِ واتجاهاتها؛ وقد أصبحت الدعوةُ إلىٰ مقاطعةِ البضائع والمنتجاتِ التي تُصدِّرها الدولُ التي تحاربُ المسلمين، من وسائلِ الضغطِ عليها لتوقفَ أو تُخفِّفَ من موقفِها المُعادي للمسلمين.

---

(١) راجع «الصارم المسلول» (ص١١٦ - ١١٧).

(٢) كتاب «المقاطعة الاقتصادية حقيقتها وحكمها» لخالد الشمراني، ومقال «مقاطعة بضائع الكفَّار» نظرة شرعية لهاني الجبير «مجلة البيان» عدد ١٧٩.

وسلاحُ المقاطعةِ سلاحٌ مؤثرٌ بلا شك في المواجهةِ مع الأعداء.

وقد استُخدم هذا السلاحُ قديمًا وحديثًا.

فقديمًا: استخدمته قريشٌ ضدَّ النبي ﷺ فيما يُسمَّىٰ بـ «شِعْب أبي طالب»، واستمر ثلاثَ سنوات، وكان تأثيرُه علىٰ المسلمين بالغًا.

وهدَّد به ثمامةُ بنُ أُثال قريشًا عندما مَنَعَ الحنطةَ من بلاد نجد، حتىٰ جاءت قريشٌ وناشَدت النبيَّ ﷺ أن يأذنَ لثمامةَ أن يبيعَهم الحنطة، والقصة في «صحيح البخاري» برقم (٤٣٧٢).

وأما حديثًا: فقد استُخدمت المقاطعـــةُ في الحربِ العالميـــة بين المتحارِبين، واستُخدمت مؤخَّرًا ضدَّ عددٍ من البلادِ الإسلامية كالعِراق وليبيا وأفغانستان والسودان.

واستخدمتها الدول الإسلاميةُ قبلَ معاهداتِ السلام ضد الشركاتِ المتعاونةِ مع إسرائيل.

وفي الحقيقة إن المُتابعَ لمجرياتِ الأحداثِ يلمسُ ما لهذه المقاطعةِ من آثارٍ كبيرة تدفعُ بعضَ الشركاتِ إلىٰ التبرُّؤِ من العدوانِ والضغطِ علىٰ الساسةِ في بُلدانهم لاتخاذ ما يُوقفُها.

هذا من الناحيةِ الواقعية.

*** أما من ناحيةِ الحُكمِ الشرعي للمقاطعة الاقتصادية:**

فإن الأصلَ جوازُ معاملةِ الكفار بالبيع والشراء سواءٌ كانوا أهلَ ذمَّةٍ أو عهدٍ أو محارِبين، فلا تُمنعُ المقاطعة، ولا تُشرع، ولكنَّ هذا الحكمَ قد يتغيَّرُ بالنظر إلىٰ ما يترتبُ علىٰ المقاطعة الاقتصادية من مصالحَ أو مفاسد:

فإذا غَلب علىٰ الظن إفضاءُ المقاطعة الاقتصادية إلىٰ الإضرار بالكفار

الحربيين، من غيرِ أن يترتبَ علىٰ ذلك مفسدةٌ تعودُ علىٰ المسلمين، فهنا يتأكدُ الأمرُ، وقد يصلُ إلىٰ الوجوب؛ فكلُّ ما يُلحِقُ الضررَ بِمَن أعلن لنا العَداءَ مطلوبٌ ومأمورٌ به، ولا شك أن التعاملَ التجاريَّ والاقتصاديَّ الحاصلَ في هذا الزمنِ يُباينُ التعاملاتِ التجاريةَ في الأزمانِ السابقة؛ فهو الآن أوسعُ وأشملُ، ولا شك في ارتباطِ الاقتصادِ الآنَ بالسياسةِ وتأثيرِه، وقد دعا النبيُّ ﷺ علىٰ قريشٍ أن تُضيِّق عليهم معيشتُهم؛ فعن ابنِ مسعودٍ ﷺ قال: إن رسولَ اللَّه ﷺ لَمَّا دعا قريشًا كذَّبوه واستَعصَوا عليه، فقال: «اللَّهم أعنِّي عليهم بسَبْعٍ كسبعِ يوسف»، فأصابتهم سَنَةٌ حَصَّت كلَّ شيء (أي: أذْهَبَتْه)[1]، حتىٰ كانوا يأكلون المَيتة، وكان يقومُ أحدُهم، فكان يَرىٰ بينه وبين السماء مِثلَ الدخان من الجَهْد والجوع، فأتاه أبو سفيان فقال: أيْ محمد، إن قومَك هَلكوا؛ فادعُ اللَّهَ أن يكشِفَ عنهم[2].

ففي هذا إشارةٌ إلىٰ استخدامِ السلاحِ الاقتصاديِّ ضدَّ الأعـداءِ المحارِبين.

ـ وإذا كانت المقاطعةُ الاقتصاديةُ لا يترتبُ عليها إضرارٌ بالكفار، بل تعودُ علىٰ المسلمين أنفسِهم بالضرر، فهنا يتوجَّهُ القولُ بالتحريم[3].

◻ قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ: «الفعلُ إذا كان يُفضي إلىٰ مفسدةٍ، وليس فيه مصلحةٌ راجحةٌ: يُنْهىٰ عنه»[4].

---

(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (١/ ٩٨٠).

(٢) «صحيح البخاري» (٤٨٢٣).

(٣) أي: تحريم المقاطعة.

(٤) «مجموع فتاوىٰ ابن تيمية» (١/ ١٦٤).

ـ وأما إذا كانت المقاطعةُ الاقتصاديةُ ستُوقعُ الضررَ بالكفار، لكنها في المقابل ستُوقعُ ضرراً بالمسلمين أيضًا؛ فهنا تعارضت مصلحةُ الإضرارِ بالكفار مع مَفسدةِ قوعِ الضررِ على المسلمين، فيُنظر: فإن كنت المفسدةُ على المسلمين غالبةً مُنعت المقاطعة، وإن كان المصلحةُ بمقاطعتهم غالبةً، كانت مأموراً بها، وإن تساوت المصلحةُ والمفسدةُ، فدَرءُ المفاسد مقدَّمٌ على جلب المصالح.

ـ وأما إذا كانت المقاطعةُ الاقتصاديةُ لا مصلحةَ فيها من حيث الإضرارُ بالكفار، ولا مفسدةَ فيها على المسلمين؛ فلا حَرَج من القولِ باستحبابها؛ لأنها تكونُ من وسائلِ التعبيرِ عن السُّخطِ ضدَّ ممارساتِ الكفارِ العُدوانية، فلو لم يَنتج عن هذه المقاطعة إلاَّ التعبيرُ عن عقيدةِ الولاء بين أهل الإيمان والبراءةِ من أهلِ الشِّرك والكفران ـ والتعبيرُ كذلك عن إرادة الشعوب الإسلامية ـ لكفى، فهي على الأقل «تسجيلُ موقف للشعوب الإسلامية».

*** دعوات وشعارات تساقطت:**

لقد أظهرت هذه الأزمةُ حقائقَ كانت خافيةً على جَمٍّ غفيرٍ من الناس؛ فهؤلاءِ القومُ الذين ما فَتِئوا يدَّعون أن بلادَهم رمزٌ للحرية والديمقراطية، ويتشدَّقون باحترامِهم لجميعِ الأديان، أظهرت هذه الأزمةُ ما تَنطوي عليه قلوبُ هؤلاء المجرمين من الحِقدِ والكُرهِ للمسلمين، وإنْ تظاهروا في كثيرٍ من الأحيان أنهم مسالمون: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

ومنها: انكشافُ تزويرِ الغرب في معاييره؛ فهنا يحتجُّون بحريةِ الرأي

والتعبير، وكلُّ عاقلٍ يَعلمُ أن حريةَ الرأي المزعومةَ تقفُ عند المِساسِ بحُرمةِ الآخرين والاعتداءِ عليهم، وهم كاذبون في دعواهم حريةَ الرأي؛ فكلُّنا يَذكرُ ما حَدَث منذ سنواتٍ قريبةٍ عندما أقدمت حكومةٌ إسلاميةٌ علىٰ تكسيرِ أوثانٍ وأصنامٍ عندها، أقاموا الدنيا وما أقعدوها!! فأين كانت حريةُ الرأي المزعومة؟! ولماذا لم يعتبروا هذا أيضًا من حرية الرأي؟!.

وإذا كان الشرعُ والعقلُ ـ بل والقانون ـ يَمنعُ الإنسانَ أن يتصرفَ في بيتِه بما يؤذِي جارَه، كالأصواتِ المزعجة أو الروائحِ الكريهة؛ فكيف تُقْدِمُ الصحيفةُ علىٰ هذه الجريمةِ التي فيها استهانةٌ بمشاعرِ مليارٍ و٣٠٠ مليون مسلم، ثم تحتجُّ بحريةِ الرأي؟.

ومنها: بيانُ بطلانِ ما يدعو إليه بعضُ المتغرِّبين من أبناءِ جِلدتنا بمثلِ قولهم: «لا تقولوا علىٰ غيرِ المسلمين «كُفارًا»، بل قولوا «الآخَر» حتىٰ لا تُشعلوا نارَ الفتنةِ بيننا وبينهم».

فتبيَّن من الجريمةِ مَن الذي يَكرهُ الآخر، ولا يُراعي حُرمتَه، ويُعلِنُ الحربَ عليه.

ومنها: كَذبُ دعاويهم التي ملؤوا بها الدنيا من «حوار حضارات» القائمِ علىٰ احترامِ الآخر، وعدمِ الاعتداءِ عليه!! فأيُّ حوارٍ يريدون؟ وأيُّ احترامٍ يزعمون؟.

إنهم يُريدون منا أن نحترمَهم ونُوقِّرَهم ونُعظِّمَهم، بل ونركعَ لهم ونسجد، أما هم فلا يزدادون إلاَّ استهزاءً بنا وسخريةً وظلمًا!.

☐ ومِن المعاني التي تساقطت أيضًا في هذه الأزمة: انهزاميةُ الأمة تُجاهَ

الغرب، فقد كان الغربيُّون ينظرون إلىٰ الأُمةِ الإسلاميةِ كأنها الرجلُ المريضُ الذي أُصيب بالشلل، فمهما ضَرَبَتَه فلن يتأوَّه، ولن يكونَ له ردُّ فعلٍ، ثم إذا بالموازين تنقلبُ بعد نشرِ تلك الرسوماتِ، وبدأ رئيسُ الوزراءِ الدانماركي ـ الذي كان يرفضُ مجردَ لقاءِ سفراءِ البلاد الإسلامية في بلده ـ يستأجرُ بعضَ القنواتِ العربيةِ للظُّهور في مقابلاتٍ، محاولاً تبريرَ موقفِه وموقفِ بلاده، وكذلك رأينا رئيسَ الولايات المتحدة الأمريكية يتحدثُ منتقِداً هذه الرسومات، وكذا الرئيسُ الفرنسي، والأمينُ العامُّ للأممِ المتحدةِ، وغيرُهم من الساسة؛ إذ أذهلَتْهم ردودُ أفعالِ المسلمين، فكان لا بدَّ لهم من التحدُّثِ بالاستنكارِ ولو تصنُّعًا ومجاراةً.

فظَهَر أن مرضَ الأمةِ مؤقَّت، وأنها متىٰ أَخذت بأسبابِ السلامةِ والعافية ـ ومن أعظمها: اتحادُها ـ فسوف تَفعلُ الكثيرَ والكثير.

*** المُخذِّلون كُثُر:**

في ظلِّ توحُّد المسلمين واجتماعِ كلمتِهم علىٰ موقفٍ واحدٍ في التصدِّي لهذه الهجمةِ، يُسَرُّ المرءُ لِمَا يرىٰ ويشاهدُ من الغَيْرة الإسلاميةِ العظيمةِ المتولِّدةِ من الغضب لانتهاك حرمته ﷺ.

إلاَّ أننا نرىٰ هنا وهناك مَن يحاولُ تخذيلَ المسلمين، والوقوفَ في صفِّ أعدائهم.

فقد أغاظتْ هذه المقاطعةُ كثيراً من المنافقين، فحاولوا التبريرَ تارةً، والتهوين تارةً، وزَعْمَ الإصلاحِ وإرادةِ الخيرِ تارةً أخرىٰ!.

فمِن زاعمٍ أَنَّ المقاطعة ستقطعُ الحوارَ معهم!.

وهل نقبلُ الحوارَ مع مَن يَهزأُ بنبينا محمدٍ ﷺ، ويسخرُ بثوابتنا؟!.

ومِن زاعمٍ: أَنَّ سببَ جنايةِ تلك الصحيفةِ هو تقصيرُ المسلمين أنفسِهم في تعريفِهم بالإسلام! فمرادُه تبرئة هؤلاء المعتدين من جنايتهم، أو تبريرُها لهم، وإناطةُ جُرْمِها بالمسلمين! وقد جَهِل هذا أن النبيَّ ﷺ قد أدَّىٰ الرسالة، وبلَّغ الأمانةَ أعظمَ التبليغ، ومع ذلك لم يَسلَمْ من سُخريةِ كفارِ قريش.

ومِن مستهزئٍ بالمقاطعةِ فيقول: هذا غايةُ ما تملكون؟! ترك أكلِ الزبدة والجبنة!!.

وهذا شبيهٌ بموقف المنافقين الذي كانوا يسخرون من المؤمنين لكونهم يتصدَّقون بالقليل من المال، مع أنه غايةُ ما يستطيعونه: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩].

ومِن زاعمٍ: أنَّ المسلمين «عمَّموا خطأَ جريدةٍ علىٰ دولةٍ كاملة لا تملكُ - بحكمِ القانون - أيَّ سيطرةٍ علىٰ هذه الجريدة»!!.

والجواب عن هذا:

أولاً: أن حكومتَهم قد وَقفت بجانب الجريدة، وبرَّرت فَعْلتها بأنها حريةُ الرأي.

وثانيًا: أنَّ شَعْبَهم نفسَه قد وافق غالبيتُه الجريدةَ والحكومةَ علىٰ موقفهما؛ ففي استطلاع للرأي رأىٰ ٧٩٪ ممن شَمِلهم الاستطلاعُ أن رئيسَ الوزراء يجبُ ألاَّ يعتذَر نيابةً عن الدانمارك، بينما قال ١٨٪ : إن عليه الاعتذار.

وقال ٦٢٪ منهم: إنه لا يتعينُ على الصحيفةِ تقديمُ اعتذار، بينما قال ٣١٪ : إن عليها أن تعتذر.. [موقع إسلام أون لاين].

ويَرى بعضُهم أن هذه المقاطعةَ لن تُفيدَ شيئًا؛ فهل تغاضَوا عن استغاثاتِ الدانمارك المتكررةِ بالاتحاد الأوروبي لإنهاء المقاطعةِ الإسلاميَّة؟ وهل تجاهَلوا الخسائرَ الدانماركيَّة التي ستُصاب بها حين تقاطعُها الأمةُ الإسلامية؟ حيث بلغت خسارةُ شركةٍ واحدةٍ من شركاتهم للألبان في دولةٍ إسلاميةٍ واحدة ما يتراوحُ بين ثَمانِمئةِ ألفٍ ومليونَ وستِّمئةِ ألفِ دولارٍ يوميًّا، كما صَرَّح بذلك مديرُ هذه الشركة، فضلاً عن فُرصِ الوظائفِ التي سيفقدُها أصحابُها [موقع الجزيرة].

بل قد صرَّح بعضُهم أن ما بَنَوه في عشراتِ السنوات ـ أي من السُّمعةِ الحسنةِ لبضائعهم التجارية ـ قد تَهدَّم في أيام قليلات.

ويرى آخرون أن المتضرِّرين من المقاطعةِ إنما هم الوكلاءُ التجاريون الذين يَحمِلون امتيازَ بَيعِها في البلدان الإسلاميَّة!!.

وهذا عجيبٌ! أن يتولَّى هؤلاءَ الدفاع عن أولئك التجار؛ مع أن التجارَ أنفسَهم لهم مواقفُ مشرِّفة؛ فقد رأيناهم تداعَوا بشجاعةٍ لطلب المقاطعة؛ فهل هو أحرصُ منهم على أموالهم، أم أنَّها عقليات التطبيع؟!.

ومِن هؤلاء مَن بدأ يدعونا للتسامُح معهم والسكوتِ عن أذاهم، وما عَلِموا أن التسامحَ لا يكونُ مشروعًا إلا إذا وقع موقعَه الصحيح، وأولئك المستهزؤون بمَقامِه ﷺ ليسوا موضعًا صالحًا للتسامح، بل التسامحُ مع أمثال هؤلاء المجرمين جريمةٌ شرعية، ولئن كان لرسولِ اللَّه ﷺ الحقُّ في التجاوز

عمن أساء إليه، فإن هذا ليس إلىٰ الأُمة، بل الأخذُ بحقِّه والغضبُ له واجبٌ شرعيٌّ لا يجوزُ أن يُمَسَّ أو يَتبرعَ أحدٌ بالتنازل عنه.

ومِن زاعمٍ: أن المقاطعةَ مجردُ ردِّ فعلٍ عاطفي، ولا يَنبغي أن تكونَ تصرُّفاتُنا مبنيةً علىٰ ردودِ الأفعالِ.. وهذا الزعمُ لا بد له من وقفةٍ تُبيِّنُ أهميةَ ردودِ الأفعالِ والتأصيلِ الشرعيِّ لها من خلال ما يلي:

*** أمرُ الشارع بإنكارِ المنكر مثالٌ واقعي لاعتبارِ ردودِ الأفعال في الشريعة:**

● قال رسولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإيمَانِ»[1].

فإنكارُ المنكر وتغييرُه باليد هو ردُّ فعلٍ علىٰ ظهورِ المنكر ورؤيته، وهو ردُّ فعلٍ أَمَر به النبيُّ ﷺ: «فلْيُغيِّرْه بيده»، وهو واجبٌ بإجماعِ المسلمين ـ كما نقله النووي ـ.

*** الغضبُ على انتهاكِ حرماتِ اللَّهِ صورةٌ من صورِ ردودِ الأفعال المأمور بها:**

إذ من الغضبِ ما يكونُ محمودًا ـ بل ما يكونُ واجبًا ـ، وهو الغضبُ للَّه ـ عز وجل ـ، وقد كان رسولُ اللَّه ﷺ لا يَغضبُ لنفسه، ولكن إذا انتُهكت حرماتُ اللَّه لم يَقُمْ لغضبه شيءٌ.

□ فعَنْ عائشةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «واللَّهِ ما انتَقَمَ رسولُ ﷺ لنفسِهِ في شيءٍ

---

(١) رواه مسلم (٧٠).

يُؤتَىٰ إليهِ قطُّ حتَّىٰ تُنتَهكَ حُرُمَاتُ اللَّهِ، فينتقِمُ للَّه»(١) .

*** بل إن التعاملَ بردِّ الفعلِ أمرٌ جِبِلِّي:**

☐ ولقد أحسن الإمامُ الشافعي ـ رحمه اللَّه ـ حين قال: «مَن استُغضب ولم يَغضب فهو حمار»!!(٢) .

فالإنسانُ مجموعةٌ من الأحاسيسِ والمشاعر، فلابد أن يتأثرَ بما يدورُ حوله ويكونَ له ردُّ فعلٍ عليه.

☐ والمْيتُ هو الذي لا يوجدُ لديه ردودُ أفعال، كما قال الشاعر:

جَرَحُــــوه فَــمَــا تألَّم جُرْحًا ... مـا لِـجُــــرحٍ بِميِّتٍ إيــــلامُ

*** ومن أمثلة ردودِ الأفعال من السنَّة:**

قُنوتُه ﷺ شهراً علىٰ رِعْلٍ وذَكْوانَ وبعضِ أحياءِ العرب لَمَّا غَدَروا بالقُرَّاء في «بئر معونة»(٣) ، ودعوتُه ﷺ للبيعةِ علىٰ القتالِ لَمَّا بلغته شائعةُ قتلِ عثمانَ في الحديبية، ثم لَمَّا تبيَّن كَذِبَ الشائعةِ كان الصلحُ(٤) .

وكغَضَبه ﷺ حينما اختَصم أصحابُه في القَدَر، حتىٰ كأنما يُفقَأ في وجهه حَبُّ الرُّمان ـ كما عبَّر الراوي(٥) ـ .

وغيرُ ذلك كثيرٌ مِن صُورِ غضبِه ﷺ تفاعلاً مع ما يَطَّلع عليه أو يُنقل إليه من أقوالٍ أو أفعال.

---

(١) رواه البخاري (٦٢٨٨).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٤٣).

(٣) انظر «البخاري» (٣٠٦٤) ومسلم (٦٧٧).

(٤) انظر «المصنف» لابن أبي شيبة مرويَّات غزوة الحديبية (ص١٢٤).

(٥) انظر «سنن ابن ماجه» (٨٢).

*** ومن ردودِ أفعالِ الصحابة ﷺ بحَضرتِه ﷺ:**

□ مقولاتُ عمرَ بنِ الخطاب المتعددة: «دعنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ»، وما شابهها، كما كان مع عبدِاللَّه بن أُبيٍّ رأس المنافقين لَمَّا قال: «لئن رجعنا إلىٰ المدينة لَيُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ»[1].

□ وكما حَصَل مع ذِي الخُويصرةِ اليماني الذي قال: «اعْدِلْ يا رسولَ اللَّه»[2].

ولذلك فإن ردودَ أفعالِ المسلمين تُجاهَ هذا السبِّ لِخيرِ من وَطِئت قدماهُ الأرض، مهمٌّ جدًّا؛ لأنه نوعٌ من إنكارِ المنكر أولاً، وهو أمرٌ وجب، بل هذا من أعظمِ المنكراتِ التي يجبُ إنكارها، وقد أَمر النبيُّ ﷺ بتغييرِ المنكرِ باليد، فإن لم يُستَطع فباللسان، فإن لم يُستَطع فبالقلب، قال: «**وذلك أضعفُ الإيمان**»، وفي حديثٍ آخر: «**وليس وراءَ ذلك من الإيمانِ حبَّةُ خردلٍ**»[3].

وثانيًا: من أجل تقزيم هؤلاء المعتدِين والمفترِين، كي لا يستمرؤوا هذا السبَّ والاعتداء.

أمَّا ألاَّ يكونَ هناك غَيرةٌ علىٰ حرماتِ اللَّه، ولا يتمعَّرُ وجهُنا غَيرةً وغضبًا؛ فيُسَبُّ دينُ اللَّه، ويُسَبُّ نبيُّنا، دون أن يُحرِّكَ ذلك فينا ساكنًا؛ فهذه واللَّهِ هي الكارثة.

(١) انظر البخاري (٤٩٠٥).
(٢) البخاري (٣٣٤١) ومسلم (١٦٧٥).
(٣) رواه مسلم (٤٦٧٦).

* الواجبُ علينا :

علىٰ كلِّ مؤمنٍ يُحبُّ اللّهَ ورسولَه ﷺ، ويَغارُ علىٰ دينِه أن يَنتصرَ لرسوله ﷺ، وأن يُقدِّم كلَّ ما في وسُعه لردِّ هذه الهجمةِ لشرسة، ومهما بذلنا فهو قليلٌ في حقِّ النبي ﷺ.

▫ وأما تفصيلُ دَورنا في هذا فمنه :

١ ـ إعلانُ النكيرِ علىٰ كلِّ الأصعدةِ وبشدة :

فعلىٰ الدولِ الإسلاميةِ أن تَهَبَّ علىٰ جميعِ مستوياتها لنُصرةِ نبيِّها ﷺ، وتستنكرَ ذلك في المؤتمراتِ والمحافلِ العامة، وتتخذَ موقفًا حازمًا يتناسبُ مع شناعة الجريمة.

وكذلك يكونُ الاحتجاجُ علىٰ مستوىٰ الهيئاتِ الرسميةِ وغيرِ الرسمية كوزاراتِ الأوقــاف، ودُورِ الفُتيا، والجامعــات، وإعلان الاستنكارِ من الشخصياتِ العامةِ كالعلماء، والمفكِّرين، ورجالِ الإعلام.

وكذلك الإنكــارُ علىٰ المســتوىٰ الفردي، كلٌّ حسب ما يستطيع : بإرسالِ رسالة، أو كتابةِ مقالة، أو اتصالٍ هاتفيٍّ بحكومتهم وخارجيَّتِهم وصحافتِهم، ومراسلةِ المنظَّماتِ والجامعاتِ والأفرادِ المؤثِّرين في الغرب، ولو نَفَــر المسلمون بإرسالِ آلافِ الرسائل الرصينةِ القويةِ إلىٰ المنظماتِ والأفرادِ، فإن هذا سيكونُ له أثرُه اللافت قطعًا.

٢ ـ مطالبةُ هؤلاء الجُناة بالاعتذارِ الجادِّ الواضح، لا الخداعِ وتبريرِ الجريمةِ الذي يُسمونه «اعتذارًا»، فلا نريد اعتذارًا لإهانة المسلمين، وإنما نريدُ إقرارًا واضحًا بالخطإ، واعتذارًا عنه، ومعاقبةً رادعةً للمجرمين علىٰ

جُرمهم، وأن تَكُفَّ حكوماتُهم عن العَداءِ للإسلام والمسلمين.

٣ ـ ذكرُ فتاوىٰ علماءِ الأمةِ التي تُبيِّنُ حُكمَ مَن تعرَّض لرسول اللّه ﷺ بشيءٍ من الانتقاص، ووجوبَ بُغضِ مَن فعل ذلك والبراءةِ منه.

٤ ـ بيانُ حُسنِ الإسلام وموافقتُه للعقولِ الصريحة، والردُّ علىٰ شبهاتِ المجرمين ـ من خلالِ قيامِ المؤسساتِ الإعلاميةِ والصحفِ والمجلاتِ والمواقعِ الإسلاميةِ ـ بكتابةِ ردودٍ علىٰ هذه الافتراءات، وأن تُسطِّرَ علىٰ صفحاتها شمائلَ النبي ﷺ، وتُبيِّنَ الدورَ العظيمَ الذي قام به ﷺ لإنقاذِ البشرية، وأنه أُرسل رحمةً للعالمين، وهدايةً للناس أجمعين.

٥ ـ استئجارُ ساعاتٍ لبرامجَ في المحطاتِ الإذاعيةِ والتلفزيونيةِ، لا سيما في البلدانِ الغربيةِ لتدافعَ عن النبي ﷺ، وتَذبَّ عن جَنابه، ويُستضافُ فيها ذوو القدرةِ والرسوخ والدرايةِ بمخاطبةِ العقليةِ الغربيةِ بإقناع، وهم بحمدِ اللّه كُثُر.

٦ ـ إعدادُ المقالاتِ القويةِ الرصينةِ لتُنشرَ في المجلات والصحفِ ومواقعِ «الإنترنت» باللغات المتنوعة.

٧ ـ مطالبةُ الكتَّاب والصحفيين والإعلاميين ـ بل كلِّ غَيُورٍ ـ بالقيام بدَورِ النُّصرةِ للنبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ من خلالِ محاولةِ إثارةِ الرأي الغربيِّ ضدَّ هذا الانتهاكِ والتدنيسِ العلنيِّ لمعتقداتِنا الدينية.

٨ ـ إنشاءُ مراكزَ متخصصةٍ لبحوثٍ ودراساتٍ في السيرة النبوية والإسلام وفضائِله، وترجمةِ ذلك إلىٰ اللغات العالمية.

٩ ـ الحرصُ علىٰ دعوةِ هذه الشعوب؛ فإننا وإنْ كنا ننظرُ إليهم بعَينِ

الغضبِ والسُّخط والغيظ، إلاَّ أننا أيضًا ننظرُ إليهم بعين الشفقةِ عليهم، فهم عما قريبٍ سيموتون، ويكونون من أهلِ النار إن ماتوا على ذلك، فدعوتُهم إلى الإسلام والنجاةِ رحمةٌ بهم، وشفقةٌ عليهم؛ ولا سيَّما عوامُّهم الذين غُيِّبَتْ عنهم صورةُ الإسلام المُشرِقة، حتى نقيمَ الحُجَّةَ ونُوصِّلَ نورَ الهدايةِ والحقِّ إليهم، فيتعرَّفوا على ديننا وعظمة نبينا ﷺ: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

١٠ ـ ترجمةُ الكتبِ التي تَدعو إلى الإسلامِ، والكتبِ التي تُعرِّفُ بالإسلامِ ونبيِّ الإسلامِ، وتُبيِّنُ سيرتَه الحَسَنَةَ العَطِرةَ وفضائلَه بلغةِ هؤلاء القوم.

١١ ـ إنشاءُ مواقعَ إسلاميةٍ وبرامجَ متخصصةٍ في الإذاعات والقنواتِ والشبكةِ المعلوماتيةِ للتعريفِ بالنبي ﷺ وشمائلِه وأخلاقِه الكريمةِ باللغاتِ المختلفة، ونَشرُ ذلك في المطبوعاتِ من الصحفِ والمجلاتِ ونحوها.

١٢ ـ عقدُ المؤتمراتِ العلميةِ التي يُتكلَّمُ فيها عن نبيِّ الإسلام ﷺ ورسالتِه، مع التركيزِ على تلك الدولِ لتي تحتاجُ إلى تصحيحِ تصوُّرِهم عن الإسلام.

١٣ ـ نشرُ ما ذكره المُنصِفون من غيرِ المسلمين بشأنه ﷺ، إذ هو أدعى لقبولِ أقوامِهم له.

١٤ ـ بيانُ خصائصِ دعوتِه ورسالتِه ﷺ، وأنه بعث بالحنيفية السَّمْحة، وأنه الأصل في دعوته.

١٥ ـ المشاركةُ في حواراتٍ عِلميةٍ رصينةٍ مع غيرِ المسلمين من

المتخصِّصين أصحابِ القُدراتِ العِلمية واللغوية، ودعوةُ أولئك الباحثِين بالحكمةِ لدراسةِ شخصيةِ الرسولِ ﷺ والدينِ الذي جاء به.

١٦ ـ الإعلانُ في محركاتِ البحثِ المشهورةِ عن بعضِ الكتبِ أو المحاضراتِ التي تتحدثُ عن الرسول ﷺ.

١٧ ـ التمسُّكُ بالسُّنةِ والتزامُ هَدي النبي ﷺ في كلِّ شيءٍ، والصبرُ على ذلك؛ إذ بهذا يكفينا اللَّهُ كيدَهم: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا..﴾ [آل عمران: ١٢٠].

١٨ ـ مقاطعةُ منتجاتِهم ما دام لها تأثيرٌ عليهم ـ وهذا هو الواقعُ ـ، والبحثُ عن شركاتٍ بديلةٍ يمتلكُها مسلمون ترسيخًا لمبدإِ الولاءِ للمسلمين والبراءِ من الكافرين.

١٩ ـ الوعيُ لكيفيَّةِ إدارةِ أعداءِ الإسلام صراعَهم مع المسلمين، وعدمُ استبعادِ التعمُّدِ والتخطيطِ المُسبق منهم لهذه الجريمة، مع الدراسةِ المتأنيةِ للمواقفِ المتوقَّعةِ منهم والتدابيرِ التي ينبغي اتخاذُها مع كلِّ موقفٍ، حتى لا يَخلُصوا إلى شَقِّ الصف وإضعافِ قوةِ وحِدَّةِ الموقف.

٢٠ ـ تبادلُ الأفكارِ في هذه القضية، وإضافةُ الجديد منها والتواصي بها، وبَحثُ كلٍّ واحدٍ عما يُناسب ميولَه وتخصُّصَه منها، وبهذا سيجدُ كلُّ مُحبٍّ لرسوله ﷺ مجالاً لإظهارِ حُبِّه وغَيرته وتعظيمِه؛ فهذا يأتي بفِكرةٍ، وذاك يكتبُ مقالةً، وهذا يُترجم، وذاك يُرسل، وآخر يُموِّل، في نفيرٍ عامٍّ لنُصرةِ أفضلِ الخلقِ ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

رسـولَ الحُـبِّ في ذكراك قُـربي
وتحتَ لـواكَ أطـواقُ النجـاةِ
عليك صـلاةُ ربِّكَ ما تجـلَّى
ضياءٌ.. واعتلى صوتُ الهُـداةِ
يَحارُ اللفظُ في حُسناك عجـزًا
وفي القلب اتِّقـادُ الموريـاتِ
ولو سُـفِكتْ دمانـا ما قـضينا
وفـاءَك والحقـوقَ الوجبـاتِ

* ليس من النصرة:

إن ما نراه مِن ردودِ فعلٍ غاضبةٍ من المسلمين، وعَملٍ جادٍّ لمواجهةِ تلك الهجمةِ التي يتعرَّضُ لها الإسلام، لَيبعثُ البهجةَ والسرورَ والأملَ في نفسِ كلِّ مسلم، غيرَ أن بَعضَ المسلمين - وهم بحمدِ اللَّه قِلَّةٌ - قد مال بهم حماسُهم عن الصواب، والمأمولُ من المسلمين أن يَلزموا العدلَ والإنصافَ، حتىٰ مع أعدائهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

* فليس من النصرة:

١ - الاعتداءُ علىٰ مَعصومي الدمِ والمالِ كالمستأمَنين، من أي دينٍ كان.

٢ - اختراقُ وتدميرُ مواقعِ صحفٍ ومجلاتٍ لم تصدُرْ منها بنبيِّنا ﷺ سخريةٌ؛ فمِثلُ هذا العمل يُحرِّضُها هي الأخرىٰ علىٰ سبِّ الرسول ﷺ

والنيلِ منه، ويَنقلُها من حِيادِها إلىٰ مُصافَّةِ المعتدِي في موقفِه، ويُحرِّضُ سفاءَهم علىٰ تدميرِ مواقِعِنا.

٣ ـ ليس من النصرة في شيءٍ أن نَجودَ بأموالِنا لكلِّ مَن يدعُونا إلىٰ مشروعٍ دعَويٍّ في تعريفِ الكفارِ بالإسلامِ وبنبيِّه الكريمِ، وفي كشفِ ما يُثارُ حولَه من شبهاتٍ من غيرِ أن نتوثَّقَ من صاحبِ المشروعِ والجهةِ المُشرفةِ عليه، ومِن غير أن نتبيَّن المضمون المرادَ نشرُه، ومن يزكِّي ذلك من أهل العلم.

٤ ـ ما صاحَبَ بعضَ المُظاهرات التي قام بها المسلمون في أماكنَ شتَّىٰ من إتلافٍ للأنفُسِ والممتلكات.

٥ ـ عدمُ تحرِّي البعضِ في نشرِ الأخبارِ قبل التثبُّتِ من صِحَّتها، كالخبرِ بإسلامِ خمسين دانماركيًّا، أو خَبرِ قتلِ الصحفي.

٦ ـ نَشرُ بعضِ البدعِ والتعلُّقُ بالمنامات، كالدعوةِ إلىٰ توحيدِ الدعاءِ في ساعةٍ معينةٍ وصيغةٍ معينةٍ، أو تناقُلُ رسائلَ بها مخالفاتٌ شرعية، أو التعسفُ في محاولةِ الربطِ بين رقم بعض الآياتِ القرآنيةِ التي لها شيءٌ من التعلُّق بالموضوع وبين الرقم التسلسلي الدولي لمنتجاتِ الدولةِ المعتدية، زاعمِين أن ذلك من الإعجازِ العددي القرآني!.

نسألُ اللَّه تعالىٰ أن يَجعلَنا من أنصارِ دينِه ونبيِّه ﷺ بوَعيٍ وصدق، وأن يُعليَ دينَه، ويَنصُرَ أولياءَه، ويُذِلَّ أعداءَه، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

وصلىٰ اللَّه وسلم علىٰ أشرفِ خَلقِه نبيِّنا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبِه أجمعين» اهـ.

ذبُّ الشعراء

عن

سيد الأنبياء ﷺ

(إلا رسول الله)

هم يـزعمون بِـأَنَّني لـم أرتحلْ   شوقًا إليكَ، ولم تكُ المحبوبَا
هم يسلكون إلى رِضاكَ دُرُوبَهم   وأنا أطيرُ وما سَلَكْتُ دروبَا
واللهُ يعلم لو قَسَمْتُ مشاعري   بين القلوبِ لما بقينَ قلوبا

د. زاهر الحسن

جمــال مُحَمَّد

للدكتور عبدالمعطي الدالاتي

هـات الحـديثَ مـزاجُـه الأَشْـواقُ ... وصـف الحـبيـبَ فـكـلُّنـا تَـوَّاقُ
نَهـوَى الحُروفَ تَعَـطَّرتْ أَرْدَانُـها ... بِـشَـذَا الأَحِبَّـة.. والـهَـوَى أَذواقُ
فغدا يُـحَدِّثُ عن جلال المُصْـطَفى ... فَتَوَضَّأتْ بِـدُمُوعِهـا الأَحْـداقُ
يَحـكي بشوقٍ عـن جَمَال مُحـمد ... أَحْلَـى اللُّـغَى مـا قالـت الأشواقُ
عَـنْ قلبـه عـن حُبِّـه عَـن لُـطْفـه ... عـن كُلِّ مـا قَـدْ جادت الأخـلاقُ
تحيـا بـذكـرِ مُـحـمَّـد ترنـيـمـةٌ ... في القـلـب تَسْرِي والـهَـوَى خَفَّاقُ
طُوبى لِـمَن عن نَهْجِه لم يَغـفَلُوا ... يومًـا، وذاقوا في الـهوى مـا ذاقوا
طـوبى لمـن في دربـه قـد أَوْغَلُـوا ... نـامـوا علـى أحـلامـهم وأفـاقـوا
سـاروا إلـيــه تحثُّـهـم آمــالُـهـم ... وأنا الأسيرُ، فهـل يُفَـكُّ وَثَاقُ؟!
طَالـتْ وطالتْ غربـتي يا إخـوتي ... وحـبيـبُ قـلـبـي دونَـه الآفـاقُ
طالَ الـطريقُ فكـيف أبدأُ رحلـتي ... وأنا الـضعيـفُ وما لَـدَيَّ بُراقُ؟!
لا تُطْـرِقي يـا نفـسُ هيَّـا فاذهـبي ... وتحـسَّـسـي.. لا يَنـفَـعُ الإطـراقُ
يا نفسُ جِـدِّي إنْ يَشَأْ ربُّ الورى ... لا يـلبـثِ الأحـبـابُ أن يتـلاقـوا

* * *

حـديث الدمـــوع

للدكتورا عبدالمعطي الدالاتي

يُحـدِّثُ دمـعُك عـنـد الـرُّجـوعْ فـيُصْغِي فـؤادي وكُلِّي خشـوعْ
فـحـدِّثْ وكَـرِّرْ.. أنـا لا أَمَـلُّ ومَـن ذا يَمَـلُّ حديـثَ الدمـوعْ؟!
تـنـاجي دمـوعــك عـن أحـمـدَ وكـيـف ابـتـدا رحـلـةَ المسـجـدَ
وكـيــف أنـارت دروبَ الحـيـاة أحـاديـثُـه الـغـرُّ فـي «المُسـنـدَ»
فـؤادي بــه ـ يـا أخــي ـ مـا بـه من الــشــوق يُـزجـى لمحــرابه
فـحـدث أُخيَّ عـن المُـصـطـفى وعـن قـلـبـه.. عـن مـدى حـبـه
حَديـثُ الدمـوعِ أنـار الـسـبيـلْ فسـارت خُطـاي بدربـي الطَّـويلْ
وكـان دلـيـلـي اتــبـاع الـرسـولِ وكـلُّ الـهـدى باتـبـاع الـرسـولْ

رِسَـالاَت الحـب

للدكتورا عبدالمعطي الدالاتي

يَحـارُ القلبُ فـي ذِكْراكْ فيسَـــألُني متى أَلْقاكْ؟
أُصبِّــــرُهُ .. وأَعْـــذُرُهُ فمن يهــواكَ لا ينســاكْ
يَـحَارُ الـقـلـبُ والـفـكـرُ يَحارُ اللحـــنُ والشِّـعْرُ
رسـولَ الـلَّـه مـا الـسِّـرُّ مُنى المليار في لـقُـيــاكْ!
رسـولَ الـلَّه يـا عـمـري ألا يـــا حَامِـــلَ الـذِّكْرِ
بقلـبِ زُجاجَــةِ الـعـطرِ حـروفٌ تـبـتــغي نجواكْ
رســـولَ اللَّه في قـلـبي رســـالاتٌ مــن الحـبِّ
هنــــا في آخـــرِ الرَّكْبِ مُحِبٌّ قَصْــدُه رُؤْيـاكْ

مَنْ أَخْبَرَ الرُّوحَ أَنّ المصطفى فيه

للدكتور/ عبدالمعطي الدالاتي

أُهْدِي إليكَ نَشيداً رُحْتُ أخفيه
بينَ الدُّمُوعِ، حَلاوَاتُ الهوى فيه

أُهْدِي إليك فؤاداً راحَ يَسْكُنُهُ
عِطْرُ الحبيب، فما أَزْكَى مَغانيه!

بين الصِّحاحِ تجوبُ الروحُ سائلةً
عنه الحُروفَ، وكم جلَّتْ مَعَانيه!

لوْكُنتُ أدري حديثَ الرَّكْبِ إذْرَحَلوا
نحو الحجاز هوًى.. لو كنتُ أَدْريه!

شَدُّوا الرِّحالَ وفي أَرواحهم طَرَبٌ
يَحدُو الجمالَ، فيَطْوِي الدَّرْبَ حَاديه

سَارُوا إليكَ وكانَ الشَّوقُ يَحْملُهُمْ
لَكنَّ شوقي أنَا حَارَتْ أَمَانيه

سَارُوا إليكَ وراحَ القلبُ يسأَلُهمْ
لو يَعْلَمُ القلبُ أن الدَّرْبَ يَبْغيه!

أوْ يعلمُ الرَّكْبُ أَنَّ الرُّوحَ تَسبِقُهُمْ
نَحوَ الحبيب، فَهَلْ حَقًّا تُلاقيه!

رُوحي تَطِيرُ وتَهوِي عند مَسْجِده
مَنْ أَخْبَرَ الرُّوحَ أن المُصْطَفَى فِيه؟!

* * *

نَجْوى إلى ضَيْفِ حِرَاء

للدكتور عبد المعطي الدالاتي

كُلُّ طَيْــرٍ قــد تَغَنَّى ... يَعْمُــرُ الأَكْــوانَ فَنّا
كُلُّ عُنقــودٍ تَــدلَّى ... رَاحَ يُجْنَى أو سيُجنَى
كُلُّ شَــوقٍ فـي فُـؤاد ... قــد تَمَنَّى ما تَمَــنَّى
كُلُّ فكْــرٍ جَــابَ كونًا ... كُلُّ شــعْرٍ سَــار حُسنَا
كُلُّ لوحــاتٍ تــراءت ... في الدُّنَــى لونًا فَلَــوْنَا
كُلُّ بيتٍ من قَصــيـدي ... فَــوقَ بيت رَاحَ يُبْنَى
كُلُّ حَرْفٍ من حــروفي ... كلُّ لفــظ، كُلُّ مـعــنى
كُلُّ هَــذَا يـا حبيــبي ... صِيغَ في نَجــواكَ لَحْنَا

***

أَيُّ شَــوقٍ للســماءِ ... في ابتهــالاتِ حِــرَاءِ
أَيُّ شكوى أيُّ نَــجْوَى ... أيُّ خَــوفٍ و رَجَــاءِ
أَيُّ عـطـــرٍ نبـــويٍّ ... عمَّ أرجــاءَ الفضــاءِ
أَيُّ دمــعٍ راحَ يـرنُــو ... نحو أبــواب الســماءِ
أَيُّ نـــورٍ لاح يـمحو ... كلَّ جَــهْلِ الجُهــلاءِ
أَيُّ حُــبٍّ أَحْـمَــديٍّ ... مَــجَّ عطرًا في دِمَــائي
أَنتَ أَنســامُ صَبَاحي ... أَنتَ أَحــلامُ مسـائي
أَنتَ عِطْرِي أَنـت عمري ... يا خِتَــامَ الأنـبيــاءِ

***

وَمِليـــارٌ يُسَلِّم يا حبيبي

للدكتور عبدالمعطي الدالاتي

يَـمُوجُ الـقلـبُ في كـونٍ رَحيـبِ ... ويَـشْدُو الحُـبُّ في لَـحْنٍ غريـبِ
فبـعضُ اللـحنِ صـمتي ودُمُـوعي ... وبعـضُ اللحـنِ قوْلي: يـا حبيـبي
رأيـتُ الـقـلـبَ مِـن شـوقٍ سَبَـاهُ ... يـجـــوزُ الـدَّربَ، لا يدري مَـدَاهُ
ولـيـس يـحـارُ قلـبـي فـي سُـراهُ ... وكيف يـحارُ مَن يَبْـغي حبيـبي؟!
يَـسيـرُ الـرَّكْـبُ في دَرْبٍ طـويـلٍ ... نهـايتُه بمـحـــرابِ الرَّسُـــــول
ومَن يَـدْري بحـالي فـي وصولـي ... أَ أَسْكُتُ! أم أناجيـــهِ: حبيبي؟!
سـلامُ الـــلَّـه نُـلْـقـيـه عـلـيـكَ ... رسولَ اللَّـه .. كم نَهْفُـــو إليكَ!
سـلامُ الـلَّه يَـغْشَـى صـاحِبـيْـكَ ... ومـليـــــارٌ يُـسـلِّمُ يـا حـبيبـي
رسولَ الـلَّه! حَـيَّرَنـي المقـــامُ ... وما أدري، أَيُسْعِـفُنـي الكَـلاَمُ؟!
فبعضُ البَـوْحِ نَـجْـــوى وسَلامُ ... وبعضُ البـــوحِ صَمتٌ يا حـبيبي

* * *

يا رسول الإسلام

للدكتور عبدالمعطي الدالاتي

يـا رسـولَ الإسـلامِ؛ إنَّ رَجَـائِـي أنْ يسُودَ الإســلامُ في الأَرْجَـاءِ
أن يقـودَ الإيمانُ كُـلَّ فُـــؤادٍ أن يُنيِـرَ القُـرآنُ كلَّ فضـاءِ
أَن يَغيـبَ الظـلامُ مِن كُلِّ دربٍ ليصيرَ عمـري دفقةً من سَـنَاءِ
أنتَ فخـري وأنت نُـعْمَى حياتي أنتَ عمري يا سـيِّدَ الأنبيـاءِ
أنتَ خيـرٌ ورحمـةٌ مهـداةٌ جئتَ تمحـو مَدامـعَ الصَّحْـرَاءِ
أيُّ طهـرٍ عـمَّ دنيانـا وعـطرٍ وسلامٍ سَرَى من نجاوى حـراءِ!
يا رسولَ التـوحيـد، إنَّ دعـائي أنْ يَظـلَّ التوحيـدُ مـلءَ دمائي
يا رسولَ الإســلام، إنَّ رجـائي أنْ تقول الأجيـالُ: أيـنَ لوائي؟

***

إنا ليؤلمنا تطاولُ كافر

شعر: عبدالرحمن صالح العشماوي

«اللَّهم إني أحببتُك وأحببتُ نبيَّك ﷺ حبًّا صادقًا أرجو أن تغفر به الذنب، وتُسهد به القلب، اللَّهم تَقَبَّلْها دفاعًا عن سيد الأبرار».

مِن نَبْع هَدْيكَ تُستقَى الأنــوارُ ... وإلى ضيائك تَنْتَمِي الأقمــارُ
رَبُّ العباد حَبَاك أَعظمَ نعمة ... دِينًا يَعِزُّ بعِزِّه الأخيــارُ
حُفظَتْ بكَ الأخلاقُ بعد ضياعهاَ ... وتَسامقتْ في روضها الأشــجارُ
وبُعِثْتَ للثَّقَلَين بَعثةَ سَيد ... صَدَّقتْ به وبدينه الأخبــارُ
أصغْتْ إليكَ الجنُّ وانبهرتْ بمَا ... تتلوه، وعَمَّ قلوبَها استبشارُ
يا خيرَ مَنْ وطئَ الثَّرى وتشَّرفتْ ... بمسيره الكُثبانُ والأحْجَــارُ
يا مَنْ تتوق إلى محاسنِ وجهه ... شمسٌ ويَفرَحُ أنْ يراه نَهــارُ
بأبي وأمي أنتَ، حين تشرَّفتْ ... بكَ هجرةٌ وتشرَّف الأنصــارُ
أنشأتَ مدرسةَ النبوَّة فاستقى ... من عِلْمها ويقينها الأبــرارُ
هي للعلوم قديمها وحديثها ... ولمنهج الدين الحنيف مَنــارُ
للَّه دركُ مُرشِداً ومعلِّمًا ... شَرُفَتْ به وبعلمه الآثــارُ
ربَّيْتَ فيها من رجالكَ ثُلَّةً ... بالحقِّ طافوا في البلاد وداروا
قومٌ إذا دعت المطامعُ أغلقوا ... فَمَها، وإنْ دَعَت المكــارمُ طارُوا
إنْ واجهوا ظُلْمًا رَمَوه بعدلهم ... وإذا رأوْا ليلَ الضــلال أناروا

قَـد كنـتَ قـرآنًـا يسـيرُ أمـامَهـم
وبك اقتـدَوا فـأضاءت الأفكـارُ

عَمَروا القلوب كما عَمرتَ، فما مضوا
إلاَّ وأفئـدَةُ العبـاد عَـمَـارُ

لو أطـلق الـكونُ الفـسيحُ لسـانَه
لسَرَتْ إليك بمَـدْحـه الأشـعارُ

لو قيـل: مَنْ خيرُ العـباد؟ لرددَّتْ
أصواتُ مَنْ سَمعوا: هـو المختـارُ

لمَ لا تكونُ؟ وأنتَ أفـضلُ مُرسَلٍ
وأعزُّ مَـنْ رَسَوا الـطريـقَ وساروا

مَا أنـتَ إلا الشَّمْسُ يَمْلأُ نـورُها
آفاقَـنـا، مـهما أُثيـرَ غُبـارُ

مـا أنت إلا أحـمـدُ المحـمودُ في
كلِّ الأمـور، بذاكَ يَشْهَد غـارُ

والـكعـبةُ الـغرَّاءُ تـشهـدُ مثـلما
شَـهدَ المَقـامُ وركْنُهـا والـدَّارُ

يا خَيرَ مَنْ صلَّى وصامَ وخيرَ مَنْ
قـاد الحجيـجَ وخيـرَ مَـنْ يَشْتَارُ

سَقَـطَتْ مـكانـةُ شاتمٍ، وجـزاؤه،
إنْ لم يَتُبْ ممَّـا جنـاه، النَّـارُ

لكـأنني بـخُطاه تـأكُلُ بعـضَهـا
وَهنًـا، وقد ثَقُلَتْ بـهـا الأوزارُ

مـا نال مـنـكَ منـافقٌ أو كـافـرٌ
بَلْ مـنه نـالتْ ذلَّـةٌ وصَغَـارُ

حلَّقْتَ في الأُفقِ البـعيـد، فلا يَدٌ
وَصَلَـتْ إليـك ولاَ فَمٌ مهْـذَارُ

وَسكَنْتَ في الفردوسِ سُكْنَى مَنْ به
وبدينـه يتكـفَّـلُ الـقَهَّـارُ

أعـلاكَ ربُّكَ هـمَّـةً ومـكانـةً
فلـك السُّمـوُّ وللحسـود بَوارُ

إنَّا لَيُؤْلمنـا تَـطـاولُ كـافـرٍ
مَلأَتْ مشاربَ نفسـه الأَقـذارُ

وَيزيـدُنا أَلمًـا تخـاذُلُ أمَّـةٍ
يشكو انـدحـارَ غثائها المليـارُ

وقفتْ على باب الخضوع، أمامَها
وَهَنُ القلوب، وخَلْفَها الكُفَّـارُ

يا ليتَـها صانتْ محـارمَ دارِهـا
من قـبل أَنْ يَتَحرَّكَ الإعصـارُ

يا خيرَ مَنْ وطئ الثرى، في عصرنا ... جيشُ الرذَّيلة والهوى جَرَّارُ
في عصرنا احتدم المحيطُ ولم يَزَلْ ... متخبِّطًا في مَوجِه البحَّارُ
جمحتْ عقولُ الناس، طاشَ بها الهوى ... ومِن الهوى تتسرَّب الأخطارُ
أنت البشير لهم، وأنتَ نذيرهم ... نِعم البشارةُ منك والإنذارُ
لكنهم بهوى النفوسِ تشرَّبوا ... فأصابَهم غَبَشُ الظُّنُّون وحَاروا
صَبَغوا الحضارةَ بالرَّذيلة، فالتقى ... بالذئبِ فيها الثَّعْلَبُ المكَّارُ
ما «دانمركُ» القوم، ما «نَرويجهم»؟ ... يُصغِي الرُّعاةُ وتَفهم الأبقارُ
ما بالهم سكتوا على سفهائهم ... حتى تمادى الشرُّ والأشرارُ؟!
عجبًا لهذا الحقدِ يَجري مثلَما ... يجري «صديدٌ» في القلوب، و«قَارُ»
يا عصرَ إلحادِ العقول، لقد جرى ... بك في طريقِ المُوبِقاتِ قطارُ
قَرُبَتْ خُطاكَ من النهايةَ، فانتبهْ ... فلربَّما تتحطَّم الأسوارُ
إني أقولُ، وللدموع حكايةٌ ... عن مِثلِها تتحدَّث الأمطارُ:
إنَّا لنعلمُ أنَّ قَدْرَ نبيِّنا ... أسمى، وأنَّ الشانئين صغَارُ
لكنَّه ألمُ المحبِّ يزيده ... شرفًا، وفيه لمن يُحبُّ فَخَارُ
يُشقِي غُفَاةَ القومِ موتُ قلوبهم ... ويذوقُ طعمَ الرَّاحةِ الأخيارُ(١)

* * *

(١) مجلة حورية ـ العدد الرابع ـ المحرم ١٤٢٧هـ ـ (ص٢٠ ـ ٢١) ـ وقد وردت في مواقع أخرىٰ بعنوان «هو المختار» بتاريخ (٢٨/ ١٢/ ١٤٢٦هـ).

إلاَّ رَسُوْلَ اللَّهِ

لعيسى جرابا[1]

أَشْرَقْتَ من قَلْبَ الدُّجَى فَتَبَدَّدَا ... وَهَطَلْتَ فانتَعَشَ اليَبَابُ وَغَرَّدَا
وَسَرَيْتَ تَمْنَحُ كُلَّ بَارِقَةٍ فَمًا ... يَفْتَرُّ بالبُشْرَى وَيَرْسُمُ مَوْلِدَا
أَسْرَجْتَ خَيْلَ الحَقِّ فانْطَلَقَتْ بلا ... كَلَلٍ تَدُكُّ مِنَ الضَّلالِ مُشَيَّدَا
وَتَلَوْتَ آيَ الذِّكْرِ لَحْنًا خَالِدًا ... مترقرقًا مَا ضَلَّ فِيْهِ مَنِ اهْتَدَى
وَلَوَيْتَ أَعْنَاقَ الهَوَى فَتَصَاغَرَتْ ... ذُلاًّ وَمَا أَحْنَتْ لِغَيْرِكَ سَيِّدَا
وَتَفَتَّقَتْ هِمَمٌ رَوَيْتَ غِرَاسَهَا ... بِيَدَيْكَ جَاوَرَتِ النُّجُوْمَ تَفَرُّدَا
وَسَرَتْ قَوَافِلُ مِنْ ضِيَاءٍ أَلْهَبَتْ ... ظَهْرَ الطَّرِيْقِ تَأَلُّقًا وَتَوَقُّدَا
تَقْفُو خُطَاكَ وَتَسْتَنِيْرُ بِحِكْمَةٍ ... أَسْدَيْتَهَا هَدْيًا فَصَارَ لَهَا حُدَا
وَسَمَتْ كَمَا لَوْ لَمْ تَكُنْ طِيْنًا وَمَا ... أَسْمَاهُ يَعْصِفُ بالهَوَى مُتَمَرِّدَا!
فَتَلألأتْ رَغْمَ الدُّجَى كَكَوَاكِبٍ ... أَنَّى لَهَا تَخْبُو وَأَنْتَ لَهَا مَدَى؟!
يَا سَيِّدَ الثَّقَلَيْنِ مُهْجَةُ أَحْرُفِي ... ثارَتْ فِدًا فرَأَتْكَ أَعْظَمَ مُفْتَدَى
وَافَتْكَ خَجْلَى كَيْفَ لا وَأَمَامَهَا ... خَيْرُ البَرِيَّةِ رَحْمَةً وَتَوَدُّدَا؟
رَكَضَتْ تَذُوْدُ وَلِلصَّفَاقَةِ أَلْسُنٌ ... نَفَثَتْ سُمُومَ الكُفْرِ حِقْدًا أَسوَدَا
بَاتَتْ تُشِيْرُ إِلَيْكَ أَطمَعَهَا تَخَا ... ذُلُ أُمَّةٍ مِلْيَارُهَا يَهْذِي سُدَى
إلاَّ رَسُوْلَ اللَّهِ مَا أَعْرَاضُنَا ... وَدِمَاؤُنَا أَلاَّ تَكُونَ لَهُ فِدَى؟!

---

(١) (٣/١٢/١٤٢٦هـ).

بأبـي وَأمِّي أنْـتَ دُونَكَ مُـهْجَـتي | في صَدْرٍ مَنْ سَلقُوْكَ أغْرسُهَا مُدى
تَـالـلَّـه مَـا عَـرَفُـوْكَ إلاَّ رَوْضَـةً | غَنَّـا تَطِـيْبُ جَنًى وَتَعْـذبُ مَوْردَا
لَـكِـنَّـهُ كِـبْـرُ الـطَّـغَـاة فـمَـا بـه | مِـنْ مُـبْـصِـرٍ إلاَّ وَأصْـبَـحَ أرْمَـدَا
يَا سَـيِّدَ الـثَّـقَـلَيْـنِ كَمْ قَـلْب يَـئِــ | ـنُّ أسَىً! وَكَمْ طرْف يَبِيْتُ مُسَهَّدَا!
وَالـنَّـاعِـقـوْنَ فَمٌ مَـرِيـضٌ مُـتْـرَعٌ | زَيْفًـا كَأعْمَـى بَاتَ يَـرْجُو مُقْـعَدَا
خَاضُوا كَمَا بالإفك خَاضَتْ عُصْبَةٌ | من قـبْلُ وَاتَّـخَذتْ هَـوَاهَا مَـقْوَدَا
فإذَا بـنُور الـوَحْي يَـكْشِـفُ سَوْءَةَ | الأفَّـاك لِلـدُّنْـيَا وَيَـصْدُقُ مَوْعِـدَا
مَا أنْقصُوْكَ فأنـتَ أنْتَ أجَلُّ خَلْــ | ــق اللَّـه مَنْـزِلَةً وَأكْـمَلُ سُـؤْدَدَا
يَكْـفِيْـكَ أنَّ الحَقَّ مِـنْ عَيْـنَيْـكَ فَا | ضَ سَنًا فأتْهَمَ فِي القُلُوْب وَأنْجدَا
وَانْسَابَ فَـاهْتَزَّ الوُجُـوْدُ وَأزهَرَتْ | آمَـالُـهُ وَبِـغَـيْـرِ حُـبِّـكَ مَـا شَـدَا
أيْـلامُ صَـبٌّ أنْ تَـسَـاقـتْ لَـوْعَـة | عَيْنَاهُ غَـصَّ بهَا فأمْسَى مُـجْهَدَا؟!
يَـا سَيِّـدَ الثَّـقَـلَيْـنِ حَـسْـبِي أنَّـنِي | قَـلْـبٌ إلَـى لُقْـيَـاكَ ذابَ تَـوَجُّـدَا
مَـا لاحَ بَدْرُ الـتَّـمِّ تَـزْدَانُ السَّـمَـا | ءُ بِـنُـوْرِه إلاَّ ذكَـرْتُ مُـحَـمَّــدَا
صَلَّـى عَلَـيْكَ اللَّـهُ مَا ارْتَـفَعَ الأذَا | نُ عَلَـى القِـبَاب وَبِـاليَـقِيْـن تَرَدَّدَا
مَا صَارَ هَذَا الـكَوْنُ كَالخَبَرِ المُفِـيْــ | ــدِ وَتَـمَّ إلاَّ حِـيْـنَ كُـنْـتَ المُبْـتَـدَا

* * *

قَسَمًا يا ذا الوجهِ الأنــــور

للشاعر مبارك المحيميد

قــسمًـا يا ذا الـوجه الأنـور — بِـعُلا مـن أعطـاك الـكوثـر
أنَّ لأمـرِكَ كــلَّ عُــلــوٍّ — ولـشـانـئـك الأمـرُ الأبْـتـرْ
بـأبـي أنت.. وأمـي.. وبمـا — نَهَـوى من أبيضَ أو أصـفرْ
لـنبـي الـرحمـة.. لـلهـادي — لـلشَّـافعِ فـي يـومِ المحشَـرْ
يَفـدي عرضَـك كلُّ مُـحبٍّ — الأكـبـرُ مـنــا والأَصْـغَـرْ
يَـفدي عـرضَك كـلُّ عزيـز — بَـذْلاً للـنَّـفْـس وما يُـذخَـرْ
يُـفــدَى مَـن بــلَّـغ أمــتَّـهُ — يُـفـدَى مَـن بـشَّـر أو أَنْـذَرْ
فالـعالمُ رِجـسٌ.. مخـمورٌ — إذ بُعـث «مُحَـمَّدُ» فـتطـهَّرْ
تـأتـيـه الـنــاسُ طـواعـيـةً — الأبـيضُ مـنـهـم والأسمـرْ
«سلمـانُ وسعدٌ وصهـيبٌ» — و«بلالٌ» في الأمر كـ«جعفر»
ومُـلـوكٌ تُـذعنُ مُـسْـلـمَـةً — لهُدَاه.. كـ «أَصْحَمةَ الأبجرْ»
فــالحقُّ نــهــارٌ.. والـلَّــهُ — أقـسمَ بـالصُّبـحِ إذَا أَسفـرْ
والـبـاطـلُ لــيـلٌ.. والـلَّـهُ — أقــسـمَ بـالليـلِ وقـد أَدْبَـرْ
إنْ هــو إلاَّ حـقــدٌ كَـشَّــرْ — إنْ هُـوَ إلاَّ ســحـرٌ يُـؤثَـرْ
مِـن قبـل «الدنمـرك» تولَّـى — بـالحسـرةِ كلُّ مَـنِ استـهتـرْ
مِن «كعب الأشرف» حين قضى — لـ «أبـي رافعَ» تاجـرِ خيـبرْ

و«أبـو جهـل» حـين تعـدَّى أقـبل «حـمزةُ» كـيما يثـأرْ
أَهْـوَى بالـقـوس فـشجَّ لـه رأسًـا.. ولإسـلامٍ أظـهـرْ
و«أبو لـهب» تـبَّ.. وتَبَّت مـنه يـداهُ.. حين استـكبـرْ
وَ«عُمَيرٌ» جـاء.. وقَد أَخْفَى من تحـت رِدَاءَيْه الخنـجـرْ
فـانقـلـب لمكـةَ مُـنشَرِحًـا للـخيـر.. وقد أقبـلَ بالـشَّرْ
و(ثـمـامـةُ) مـأسـورٌ لَـمَّـا أمـر (الـهـادي) ألاَّ يُـؤسـرْ
فمـضى يعلـنُ حبَّ نـبـيًّـا أكـرم مثـوى سيـد مَـعشـرْ
يـكفـيـه اللَّـه.. ويـعـصمُـه والـبـاغـي دومًـا يَـتَـعـثـرْ
فـنداءُ الـنصـرةِ قـد زمجـرْ ولـيوثٌ فـي السـاحة تـزأرْ
ومـحـالٌ أنْ يـنـهـشَ مـنـه أربـابُ الـبقـرِ ولا نـثـأرْ!!
شُذَّاذُ الـثالـوثِ.. ومَنْ هُـم أتـبـاعُ الـدَّجَّـالِ الأعـورْ
تَعِسُوا.. والرايـة قد سَقَطَتْ وصـلـيبٌ فـيـهـا يـتسـعَّـرْ
جاءَ الحَـقُّ.. وزهَق البـاطلَ إنَّ الـبـاطـلَ.. أبـدًا يـخسـرْ

***

حاشا لِوْجهِكَ أن يأتيَ به القَلَم

للدكتور: جهاد بني عودة

أقولُ فيكَ ودَمعُ العَينِ يَنسَجِمُ ... حَاشى لِوَجهكَ أن يأتي به القلَمُ
حاشى لِوَجه كَشَمسِ الأرضِ طالعَةً ... أن تَستَقيمَ بإشراقاته الرُّسُمُ
حَاشى لشَخصِكَ أن تَغتابَه صُوَرٌ ... حَاشى لذكرِكَ أن تَنتابَه التُّهَمُ
كيف استَطابَ يَراعٌ رَسْمَ هيئَته ... يا ذلكَ الحَدَثُ المَشنوءُ والجُرُمُ
لو كانَ يَعلمُ من قد راحَ يَرسُمُهُ ... لقامَ في خَجَلٍ يَذوي ويَنقسِمُ
وقامَ عن كلِّ خَطٍّ منه مُعتَذرًا ... والحُزنُ يَعصرُهُ والسُّخطُ والنَّدَمُ
يُنَزَّهُ الجِسمُ عن وصفٍ وعن صُوَرٍ ... تُنَزَّه الرأسُ والأردانُ والقَدَمُ
لو كان يَعرفكَ الكُتَّابُ لارتَكَسُوا ... وقامَ مُعتَذرًا عنهم يَراعُهُمُ
لو يُنصفوكَ لقالوا أنتَ سيِّدَنا ... أو يَفهَموكَ أقامُوا الدِّينَ عندَهُمُ
قد صَنَّفوكَ عَظيمَ الأرضِ واحدَها ... لكنَّهم جَهِلوا من بَعد ما عَلموا
يا وَيلَ ما كَسَبت أقلامُهُم هُزُوًا ... يا ويلَ ما اكتَسَبَت أيمَانُها العَجَمُ
كَيفَ استَساغُوا بأن يَحووهُ في وَرَقٍ ... يا قُبحَ ما فعَلوا يا وَيلَ ما رَسَموا
كُلُّ الشَّمائلِ قامَت تَحتَ صُورَته ... العَزمُ والفخرُ والإقدامُ والهِمَمُ
ما أظلمَ الغربَ في إفك يَخوضُ به ... أيُّ البُغاة هُمُ.. أيُّ الجُناة هُمُ
يا ويحكُم أبخَيرِ الخَلق لمزَكُمُ ... أما وَجَدتُم سوى المَعصومِ ويلَكُمُ
تَخَبَّط الغَربُ من مَسِّ الجُنون به ... وأوهَنَ الغَربَ في تَخريفه الهَرَمُ
يا سيِّدَ الناسِ قد غالت غوائِلُهُم ... فصَوَّرَكَ بما لا تَقبلُ الشِّيَمُ

لـكنَّ مـثـلَكَ مـا ضَـرُّوا بـإظفَـرِه ... مهـما رَمَـتكَ بـه الغـربانُ والـبُـوَمُ
مـا ضَرَّهُ الـبَدرُ سـار فـي مَهَـابَتِـه ... أن تَـعتَـرضَـهُ بإيـضـاءاتـه الدِّيَـمُ
فالـنُّورُ أنتَ وأنـت النُّورُ مَـصدَرُهُ ... زالَ الـظَّلامُ بـه والظُّـلْمُ والـظُّلَـمُ
لولاكَ يـا حِليَةَ الـدُّنـيـا وزينتَـها ... ما تَأمَنُ الذِّئبَ في مسراحِها الغنمُ
لولاكَ لـم تَعرف الدُّنـيا مَكارمَـها ... ما الجُودُ ما النُّبلُ ما الإحسانُ ما الكَرَمُ
لـولاكَ يا مَـن بهِ المَـولى تَـدَارَكَنَـا ... لكـانَ يُعـبَدُ نَجـمُ اللَّيـلِ والصَّـنَمُ
فديـنُكَ اليومَ سـارٍ في حَواضـرِنا ... تَعـاقبـا نَشـرَهُ الإصباحُ والغَـسَمُ
وكُـلُّ أرضٍ بهـا مِـن نُـورِه قَبَسٌ ... وَحيٌ بـه تُحفظ الأعـراضُ والحُرَمُ
لَولاهُ ظَـلَّت بــلادُ الغَربِ غَـابرةً ... عَصرُ العَـبيدِ بها والأعصُرُ الدُّهُمُ
إذا ادلَهَمَّـت على الأعلامِ مُعـضلَةٌ ... فإنَّ رأيَـكَ فيـها الفَـصْلُ والحَـكَمُ
ما الـناسُ لولا رَسولُ الـلَّه بينَـهُمُ ... ما الأرض لولاهُ ما الإنسانُ ما الأمَمُ
ضَجَّت له الأرضُ والأخلاقُ ثائرَةٌ ... العَـرفُ والنُّبـلُ والأعراقُ والقِـيَمُ
تَـفـديه أفـئـدَةٌ تَـفـنـى لِنُـصـرَتِـه ... لا تَـشـتَـفي أبَـدًا حَـتـى يُـراقَ دَمُ
تَـبـتَزُّهـا غَـدَراتُ الـرُّومِ سِيِّـدَهـا ... كـالمَشـرَفـيَّـة إذ تَبـتَـزُّهـا اللُّـجُـمُ
تَـحِـنُّ لـلـبَـشَرِ المَـبـعـوث أمَّـتُـه ... كَـما تَـحِـنُّ إلـى أمَّاتـهـا الـفُطَـمُ
هذي المَسيراتُ في الـدُّنيا تُذَكِّرُهُم ... بـــأنَّــهُ حَـــرَمٌ وذكـــرُهُ حَـــرَمُ
يا ابنَ الخِيار خِيار العُربِ من مُضَرٍ ... سـادات يَعـرُبَ كـلُّ سَـيِّدٌ عَـلَـمُ
لَمَّا أتيتَ وَقَـد غَنَّى الـرَّبيـعُ رضًى ... واستَبـشَرَ النَّخـلُ والزُّراعُ والأكَمُ
صاحَت وُحوشُ الفَلا وانتَشَت فرَحًا ... النَّسرُ والـصَّقرُ والعُقبـانُ والرَّخَمُ

الـوَحيُ هَـلَّ وهَلَّ الخيـرُ يَعـقبُـهُ ... النُّـورُ والهَديُ والـنَّعـماءُ والنِّعَمُ
عَزَّت قريشٌ بهذا الأمر وافتَخَرَت ... فـخرَ المُلوكِ فـلا كندًا ولا لَخَـمُ
الـبَحـرُ والبَـرُّ في طـه سَعـادَتُهُـم ... الجِـنُّ والإنسُ والأحـيـاءُ والرِّمَـمُ
إنّ الحَـضارَةَ بـالـعَدنـانِ مَـبدؤُهـا ... فـهـوَ المُـؤسِّـسُ لا عـادٌ ولا إرَمُ
وكـلُّ خَيـرٍ مـن الإصـلاحِ أصَّلَـهُ ... فـي كُلِّ أمـرٍ فـلا قـيسٌ ولا هَـرِمُ
يا سَيِّدَ النـاسِ إني اليـومَ أُعلِنُـها ... حَربًا على الشِّركِ فيها الشِّعرُ يَنتَقِم
ما قـيلَ فيكَ مـن المُدَّاحِ مُقتَـضَبٌ ... ما كـان فيكَ يَـفيه الـقولُ والكَـلِمُ
في مـثلِ طـه وهَل من مـثلـه أحَدٌ ... يَحلو النَّشيدُ ويَحلو الشِّعرُ والنَّغمُ
وكلُّ نَـظمٍ بـه مُسـتَعـذَبٌ حَسَـنٌ ... فالمَدحُ فيـه كما الـياقوتُ يَـنتَـظِمُ
فـقد أفـاضَ أمـيرُ الـشِّعـرِ بُردَتَـهُ ... تَشيبُ منها نواصـي الشَّعرِ واللِّمَمُ
وثجَّ مـن مُعـصراتِ الجَـوَى ودَقًا ... كـأنَّــهُ ديمَــةٌ مــدرارَةٌ تَــثِــمُ
نَـفيسَةَ سَـكَـنت أصـدافَ لُؤلُـؤة ... إن النَّـفائـسَ في أصـدافِهـا التُّـوَمُ
كَـأنَّهـا لُـجَـجٌ من فـوقـهـا لُجَـجٌ ... وإنَّـهَـا قِـمَـمٌ مِـن فـوقِـهـا قِـمَـمُ
فـمـا ذكَـرتُـكَ يـا طــهَ بـقـافـيَـة ... إلاَّ وقـلـبـيَ والـعَـينـين تَـختَـصِـمُ
فـما يُـفَرِّقُ غَـيرَ الـدَّمعِ بينَـهُمـاً ... يَجريَ سَخينًا عَلى الخَدَّينِ يزدَحِمُ
والنَّـفسُ بـينَـهُـمـا مَقـهـورَةٌ كَـمَدًا ... ما بـينَ مُعـتَرَكِ الأعـضاءِ تَـلتَـطِمُ
يا سَـيِّدَ النَّـاسِ قسـرًا عن أنُوفِـهِمُ ... إن أخرَجَـت أشَرًا سَـاداتهـا الأمَـمُ
إنـي أهَابُـكَ في قـولـي وقافـيَتي ... فالشِّعـرُ فيكَ مَنيعُ الجَنبِ مُـعتَصِمُ
أقسَـمتُ بالـلَّه لا أنفَـكُّ مُمتَـدِحًا ... لا يشفَعُ الفعلُ إن لم يَشفعِ القَسَمُ
حُـبًّــا إليـكَ رَسولَ اللَّـهِ قافِيَتي ... والحُبُّ يُنجِي وبَعضُ الحُبِّ ما يَصِمُ

جَاهَدتُ كتمانَها فـي مُهجَتي زَمنًا … حتَّـى تأبَّـت فليـسَ اليومَ تَـنكَـتِمُ
وَيَـسأمُ الـقلـبُ مِـن أمرٍ يُـسرُّ بـه … يا وَيحَ مُضغةَ صَدري طبعُها السَّأمُ
كـلُّ الجبـالِ وإن كـانت مُـغـلَّظـةً … ما كـانَ فيـها بغـير الحُـبِّ يَنـصرمُ
لـهُ صُنُـوفٌ بأسبَـار الجَوَى عَـدَدٌ … منها الشُّخوصُ ومنهَا البَانُ والعَلَمُ
أقـلُّ تَقَـدمَـتـي شعـرٌ نَـقـمتُ بـه … والشِّعرُ يُسعفُ إن لم تُسعف النِّقمُ
لا بَـارَكَ اللَّـهُ في شـعرٍ تَـلوكُ بـه … ولـم يَكُـن بـصِراط الحَقِّ يَـلتَـزمُ
القـول بالهَـدي أو لا قُلتَهُ أبَـــدًا … فكلُّ مـا قيلَ في غَـيرِ الهُدى لَـمَمُ
كُلُّ الرِّجالاتِ من عُربٍ ومن عَجَمٍ … بـبَابِ أحـمَـدَ حُـجَّابٌ لَـهُ خَـدَمُ
يا أمَّةَ الغَربِ صَرحُ الشِّركِ مُهترئٌ … وكُل صَـرحٍ بغَـير الـدِّين مَـنهَـدمُ
أمـا قـرأتُـم مِـن التَّـوراة هَـيئَـتـهُ … ألـم يُبَـشِّـر به الإنجيـلُ عـندَكُـمُ
أمـا عَـلِـمـتم بـأنَّ الـلَّـه نـاصـرهُ … يَكـفيه هُـزوَ شرار النَّـاسِ مثلَـكُمُ
لَم تَـسمَـعوهُ وَقد شُـقَّ الهِـلالُ لَهُ … وكَيفَ يَسمَعُ من في سَمعه صَمَمُ
إنَّ انتفاشَ حَضارات العدا عَرَضٌ … والدَّاءُ يَـظهَـرُ من أعـراضه الـوَرَمُ
فاربأ بـبَطنكَ أن يَـقتاتَ حاجَـتَهُم … أقـلَّ حَربَـهُـمُ فـي بيـتـكَ الـلَّقـمُ
فكَـيفَ يُفـلِحُ قـومٌ سُبَّ سيِّـدُهُم … ولَم يَـثورُوا عـلى هـذا ويَنـتَقـموا
وَالـزَم تُراثَ رَسـول الـلَّـه سُنَّـتَـهُ … فـالدِّيـنُ مُـمـتَنـعٌ والحَـقُّ مُـلتَـزَمُ
كُـلُّ المَـبـادئ والأعـراف سَـائبَـةٌ … من غَـير أحـمَدَ لا عَـهدٌ ولا ذمَـمُ
إن قـامَ قامَ أريـجُ المسـك يَلـحَقُـهُ … نَوَاشـرُ الطِّيب مـن جَنبَيه يُنتَـسَمُ
أو قالَ أجـمَعَ بـالإحكـامِ مَنطقـهُ … فصْلُ الخطاب وفصْلُ القوم والحكَمُ
بـه بَـيـانٌ حَـلالُ الـسِّحـرِ فـتـنَـتُـهُ … يُستَنـطقُ الصَّخرُ من مَبنـاهُ والبُكُمُ

تَفجَّرَ الماءُ من إبهامِ إصبَعِه كأنَّهُ نَهَرٌ أو هَاطِلٌ عَرِمُ
أهلُ السَّماءِ وأهلُ الأرضِ تذكُرُهُ والجِذعُ حَنَّ لهُ والحِلُّ والحَرَمُ
ما قامَ قاصِدُهُ فيما يُؤَمِّلُهُ إلا وتَسبِقُهُ في سُؤلِه نَعَمُ
وَمَا تَحَدَّثَ نَحوَ النَّاسِ مُبتَدِرًا إلا ويَظهَرُ نُورُ اللَّوحِ والقَلَمُ
يَهديكَ للحَقِّ من غيرِ الدُّعاءِ لَهُ بِبَسمَةِ الوَجهِ حَولَ الثَّغرِ تَرتَسِمُ
قد أسلمَ ابنَ جَريرٍ طولُ نَظرَتِه يُقلِّبُ الطَّرفَ في خَدَّيه يَبتَسِمُ
سَالَ الغمامُ به من بَعدِ ما قحطت سَعدُ بنُ بَكرٍ ودَرَّ الشَّاءُ والنَّعَمُ
عَمَّ الرَّضيعُ بَني سَعدٍ بطَلَّتِه وأقحَطت مُضَرٌ وأقفَرَت جُشَمُ
قد أثخَنوهُ جِراحَ الحَربِ في أُحُدٍ وهيَ التي برَسولِ اللَّه تَلتَئِمُ
يَشفي السَّقيمَ إذا ما جاءَ مُشتَكِيًا بريقِه فيَزولُ السُّمُّ والسَّقَمُ
كَساهُ سَمتٌ وَقارًا لا عُلُوَّ بِه عَلاهُ حُسنٌ بسيما الخَيرِ يَتَّسِمُ
لَمَّا رأتهُ قريشٌ صَاحَ صَائِحُها وَتوشكُ الحَربُ أن تضرا وتَضْطَرِمُ
هذا الأمينُ أمينُ القومِ نَقبَلُهُ هذا الصَّدوقُ وهذا الرُّكنُ يَستَلِمُ
بَني به الحَجَرَ المُسوَدَّ مَوضِعَهُ بَنى به قبلَهُ من بَينِهم رَحِمُ
فلا تَحُدُّ دروسُ العِلمِ سيرَتَهُ ولا يُحيطُ به شَرحٌ ولا كَلِمُ
وكلُّ ما ذكَرَ التَّاريخُ مُختَصَرٌ ما خَطَّهُ قلمٌ أو قالَ عنهُ فَمُ
ما بَالُ صَيدِكَ قد زادَت طرائدُهُ يا ذلكَ الليثُ أهلُ ضاقت بك الأجمُ
لِيَفهمَ الغربُ أنَّ الحَقَّ مُعتَصِمٌ ويفهمُ الموتُ إن لم يَفهَمِ الفَهِمُ
فللسِّلاحِ إلى أجسادِهم وَلَعٌ وللسُّيوفَ إلى أعناقِهم قَرَمُ
وَاهًا على زَمَنٍ صُنَّاهُ مَحتَرَمًا فيهِ الكَنائسُ والأديانُ تُحتَرَمُ

دَكَّت خُيولُ بَني مَروانَ مَغربَهُم ... واستَنهَضَتهُم إلى عَليائها الهِمَمُ
الغافقيُّ(١) على أبوابِهِم وَثَبٌ ... والبَربَريُّ(٢) الَّذي سارَت به التُّخَمُ
لنا مَعادٌ بلادَ الغربِ فارتَقِبي ... لم يُنسِنا عَنكُم بُعدٌ ولا قِدَمُ
ما قصَّرَت عنهُ خَيلُ المُسلمينَ مَضَت ... تَدعو إليه هُناكَ الأينُقُ الرُّسُمُ
سارَت قوافلُها بالدِّينِ تَنشُرُهُ ... ما أعجَزَ السيفَ لم يَعجز لهُ الأدَمُ
إنا رَضَعنا قتامَ الحَربِ أغلمَةً ... والبَعضُ يَبلُغُهُ في ساحِها الحُلُمُ
يَشبُّ ناشئُنا حتى يَشيبَ بِها ... والموتُ يَفطِمُنا عنها فننفَطِمُ
القابِضونَ على جَمرٍ عَقيدَتَهُم ... مُستَمسكون بركنٍ لَيسَ يَنفصِمُ
لا يُنصَرُ الحَقُّ إن لم يَحتَرِب زَمَنًا ... فالحَربُ تَفعَلُ ما لاً يَفعلُ السَّلَمُ
أزكى صَلاةِ رَسولَ اللَّه يَبعَثُها ... قولي وَقلبي بها مُستَعذِبٌ شَبِمُ
مولايَ صلِّ وَسَلِّم دائمًا أبدًا ... على صَفيِّكَ خَير خَلق اللَّه كُلِّهِمُ
مولايَ صَلِّ وبارك ما أرَدْتَ على ... مُحَمَّدٍ من به الأخيارُ قد خُتِموا
فما ذكَرتُكَ يا طهَ بقافيَةٍ ... إلا وقلبيَ والعَينين تَختَصِمُ
فما يُفَرِّقُ غيرُ الدَّمعِ بينَهُما ... يَجري سَخينًا عَلى الخَدَّينِ يَزدَحِمُ
والنَّفسُ بينَهُما مَقهورةٌ كَمدًا ... ما بينَ مُعتَرَكِ الأعضاءِ تَلتَطِمُ

✍ للَّه درك يا دكتور جهاد، لا فُضَّ فوك، وبارك اللَّه لك في قلمك، وجَمَعك بنبيك ﷺ في الفردوس الأعلىٰ.

* * *

(١) هو عبدالرحمن الغافقي الذي وصل بجيوشه إلىٰ جنوب باريس.

(٢) البربريّ: يعني به طارق بن زياد فاتح الأندلس.

جَلَّ مَنْ رَبَّاك

محمد بن عبدالرحمن المقرن[1]

رَبَّاكَ رَبُّكَ.. جَلَّ مَن رَبَّاكَا ... وَرَعَاكَ في كَنَفِ الهُدَى وحَمَاكَا
سبحانَه أَعْطاكَ فَيْضَ فَضائلٍ ... لَم يُعْطِها في العَالَمين سِوَاكَا
سَوَّاكَ في خَلْقٍ عظيمٍ وارْتَقَى ... فيكَ الجَمالُ.. فَجَلَّ مَنْ سَوَّاكا
سبحانه أعطاكَ خيرَ رِسَالَة ... للعالَمين بها نَشَرْتَ هُدَاكَا
وَحباكَ في يومِ الحساب شَفَاعَةً ... مَحْمودةً.. ما نَالَها إلاَّكَا
اللَّهُ أرسلَكُم إلينا رَحْمَةً ... مَا ضَلَّ من تَبعتْ خُطاهُ خُطَاكَا
كُنَّا حيارَى في الظَّلامِ فأَشْرَقَتْ ... شمسُ الهداية يومَ لاحَ سَنَاكَا
كُنَّا وَرَبِّي غَارِقِينَ بِغَيِّنَا ... حتى رَبَطْنَا حَبْلَنَا بِعُرَاكَا
لَوْلاكَ كُنَّا ساجدين لِصَخْرَة ... أَوْ كَوْكَب.. لا نَعرفُ الإشْراكَا
لولاكَ لم نَعْبُدْ إلهًا وَاحِدًا ... حتى هَدَانا اللَّهُ يومَ هَدَاكَا
أنتَ الذي حَنَّ الجمادُ لِعَطْفه ... وَشَكَا لَكَ الحيوانُ يومُ رآكَا
والجِذْعُ يُسمعُ بالحنين أنينُه ... وبكاؤُهُ شوقًا إلى لُقْيَاكَا
ماذا يَزيدُك مدحُنا وثناؤُنا ... واللَّهُ في القرآن قد زَكَّاكَا؟!
ماذا يُفيدُ الذَّبُّ عنك وربُّنا ... سبحانَه بعيونه يَرْعَاكَا؟!
«بدرٌ» تُحَدِّثُنَا عن الكَفِّ التي ... رَمَت الطُّغَاةَ فَبُورِكَتْ كَفَّاكَا؟!
و«الغَارُ» يُخْبِرُنا عن العَيْنِ التي ... حَفِظَتْكَ يومَ غَفَتْ به عَيْنَاكَا

---

(١) ٢٩/١٢/١٤٢٦هـ - ٢٩/١/٢٠٠٦.

لَـمْ أَكْتُـبِ الأشْعَـارَ فـيك مَـهَابَـةً ... تُغْـضِي حـروفي رَأْسَـها لـعُلاكَـا
لـكـنـهـا نـارٌ عــلـى أعـدائـكُـم ... عَـادَي إلـهَ الـعرش مَـن عَـاداكَـا
إنِّي لأُرْخِصُ دون عِرْضِك مُهْجَتِي ... رُوحٌ تَـرُوحُ ولا يُـمَـسُّ حِـمَـاكـا
شُلَّـتْ يَمـينٌ صَوَّرَتْـكَ وجُمِّـدَتْ ... وَسْـطَ الـعُـرُوق دمـاءُ مـن آذَاكَـا
وَيْـلٌ فَــوَيْـلٌ ثــم وَيْـلٌ لــلَّـذي ... قَدْ خَاضَ في العِرْضِ الشريف ولاكَا
يـا إخوةَ الأبـقـارِ رَمْزُ سِـبـاقِكُـمْ ... «مَنْ في القَطِيعِ سَيُصْبِحُ الأَفَّاكَا؟!»
النـارُ يا أهـلَ السباق مـصيـركُم ... وَهُنَـاكَ جائـزةُ السِّبَاق هُـنَاكَـا!!
تَـتَـدافعـونَ لِـقَـعْـرِهَا زُمَـرًا ولَـنْ ... تجِدُوا هُـناكَ عـن الجَحِيمِ فِـكَاكَـا
هُبُّـوا بَنِـي الإسلامِ نَـكْسِـرُ أَنْفَـهُم ... ونكـون وَسْطَ حـلوقـهم أَشْـواكَا
لك يا رسـولَ اللَّه نَبْضُ قَـصَائدي ... لَـوْ كانَ قَـلْـبٌ للـقَصِـيـد فَدَاكَـا
هَمْ لَنْ يَـطُولُوا من مَقامـك شعرةً ... حـتـى تَـطُولَ الـذَّرَّةُ الأَفْـلاكَـا!!
والـلَّهِ لَـن يَصِـلُوا إلـيكَ ولا إلـى ... ذَرَّات رَمْـلٍ مـن تُـراب خُـطَـاكَـا
هُمْ كالخَشَاشِ على الثَّرَى ومَقامُكُم ... مثلُ السَّمَا.. فَمَن يَطُولُ سَمَاكَا؟!!
رُوحـي وأبنـائـي وأَهْلـي كُـلُّهُـم ... وجـمـيـعُ مـا حَـوَتِ الحيـاةُ فِـداكَ

* * *

في نصرة الرسول ﷺ

لأحمد محمد سعد

أَمْطِرينا يا سماءَ اللَّه جَمْرًا ... واحرقي الإحْسَاسَ منَّا قَدْ تَبَلَّدْ
وارْجُمِينا يا جبالَ الأرضِ صَخْرًا ... وارجُمِي منَّا لسَانًا قَدْ تَجَمَّدْ
كَيف يَهْنِينَا الطعامُ وقد صُرِعْنَا ... واستُبِيح القُدْسُ والصَّرْحُ المُمَرَّدْ
كيف يُنْعِشُنَا النَّسيمُ وقدْ سَمِعْنا ... مَن بأرضِ الكُفْرِ يَسْخَرُ من مُحَمَّدْ
أَيُّ ضَيْمٍ فَاقَ ضَيمَ النَّاسَ طُرًّا ... أيُّ كُفْرٍ صَارَ يُحْمَى أَوْ يُمَجَّدْ؟!
ألفُ مليون بلا وزْن تَرَانا ... ما ترى فينا صَليلاً يَتَردَّدْ
يَدْفَع الباغينَ عَنْ عِرْضِ نَبِيٍّ ... نُورُه يَهْدي إلى الخَيْرِ المُسَدَّدْ
جاءَ للدُّنْيا فأَشْرَقَ في رُبَاها ... فاسْتَقَتْ مِنْه الهُدَى دومًا لِتَسْعدْ
أَدَّبَ الشِّرْكَ وأَرْدَاهُ طَرِيدًا ... دونَ مَأوَى في البراري يتَشَرَّدْ
عَلَّمَ الناسَ السعادةَ كَيْفَ تُهْدَى ... لفقيرٍ من لَظَى الفَقْرِ مُهَدَّدْ
وَسَرى في رُوحِنا يَرْوِي قُلُوبًا ... من ظَلامَ الكُفْرِ والإجرامِ جَلْمَدْ
يومُ مَكَّةَ في رُؤَى التاريخِ يَومٌ ... رحمةُ الهادي الحبيبِ به تُجَدَّدْ
حينَ قالَ لِمَن بَغى يَوْمًا قريبًا ... «أنتمُ الطلَقاءُ» في الأرض تُرَدَّدْ
يا بلادَ اللَّه هَلْ شاهدت يَوْمًا ... في جبينِ الدَّهْرِ إنسانًا كأَحْمَدْ؟!
مَنْ تَبَارى فيه أهلُ الحُبِّ جَمْعًا ... عِشْقُه للصَّبِّ أَمْجادٌ وسُؤْدُدْ
حينَ تَنْسَى الرُّوحُ أَنَّ الحُبَّ يَرْوِي ... نَسْتَقي من حُبِّه حُبًّا يُمَدَّدْ
والليالي في مَحَبَّتِه ضِياءٌ ... والضياءُ بِحُبِّه خُلْدٌ وَسَرْمَدْ
يا نَبِيًّا شَلَّ كُلُّ الجِسْمِ مني ... إن سَكَتُّ على الإساءةِ يا مُحَمَّدْ!

مـا الذي يَـبْقَـى لنـا بعـدَ رَسُولـي ... لـيـسَ تَنْـفَـعُـنَـا صلاةٌ إنْ تـهَـدَّدْ
يـا رجـالَ الحَـقِّ بالإيمـانِ قُـومُـوا ... واقطـعوا الـكُفْرَ الجبانَ بِـلا تَرَدُّدْ
ذاكَ عِرْضُ المصطفى يُجتاحُ جهرًا ... ذاكَ عِرْضُ المُجْتَبَى الـهادي مُحمَّدْ
إنَّ صَمْتَ الـنَّاسِ خِزيًا وانـكسارًا ... منـه كُلُّ الـكونِ والأحـياءِ تَـفْسَـدْ

دفاع عن رسول الله ﷺ

للدكتور ثامر القحطاني

أَيَطِـيبُ مَـمْسًى أو يروقُ صَباحُ ... وجَنـابُ أحمـدَ للـطَّغامِ مُتـاحُ؟
كُتـبَ الصيـامُ عن المُزاحِ فما لـنا ... بَـعْـدَ الـسِّبَـابِ تَـفَـكُّـهٌ ومُـزاحُ
إنَّـا إذا سِـيـمَ الـرسـولُ أذيَّـةً ... تَـلْـفَـى لـدينـا أُهْـبَـةٌ وكـفـاحُ
وَإِلـى المَنـيَّـةِ مُسـلـمين نُـفـوسَنـا ... نُـلْفى ولـلجُـرْدِ العـتَـاقِ صُبَـاحُ
هذِي جـحافـلُ خالـدٍ قد أقبَـلـتْ ... فـيـهـا لجُـنـدِ الـكـافـريـنَ ذُبَـاحُ
تَـفدي الـرسولَ طِـرافُنـا وتلادُنـا ... وحَـريـمُـنـا دون الـرسـول مُبـاحُ
ودِماؤُنا دون الـرسـول رخـيصـةٌ ... فـفـداؤه المُـهَـجَـاتُ والأرواحُ
قل لـلذي شتمَ الرسـولَ محـمدًا ... سـتَـنـالُ مـنـكَ أَسـنَّـةٌ وَرِمَـاحُ
وتُـداسُ بـالأقـدامِ دونَ هَـوادة ... وتُـزالُ مـنـكَ قَـوَادمٌ وجَـنـاحُ
أفَـبَعْـدَ شَتْـمِ الكـافـرينَ محـمَّـدًا ... يُرجَى الـسَّلامُ ويُبْتَـغى الإصلاحُ؟
هيهاتَ ليس سِوى الأسنَّة مَرْكَبٌ ... سَـيْـفٌ يُـسَـلُّ وغَـارَةٌ مِـلْـحَـاحُ
وطِـرَادُ يَـوْمٍ كـريهـةٍ يُـخـزَى بـه ... حِزْبُ الـصَّـليبِ فَمَقْتَـلٌ وجِراحُ
يـا أيـهـا الـبـلـدُ الحـقـيـرُ تُـراثُـهُ ... ورجـالُـه الأقْـزَامُ والأشْـبـاحُ
ونِسـاؤُهُ الرجْـسُ الخبـائثُ طِـينَـةً ... أعــمــارُهـنَّ قَـذارةٌ وسِـفـاحُ

أَتَطَاوَلَ الأَوْغَادُ فِيكَ عَلَى الذي ... مَلأَ الوجودَ عَبِيرُه الفَوَّاحُ؟
وأَنَارَ ضَوءُ كِتَابِهِ وصِرَاطِهِ ... كلَّ البرَى فيه الظَّلامُ مُزَاحُ
مَنْ جَاءَ بالدينِ الحَنِيفِ مُخَلِّصًا ... فَلَنَا بِقَفْوِ سَبِيلِهِ إنْجَاحُ
هذا الكتابُ المُسْتَبِينُ ومِثْلُهُ ... سُنَنٌ حِسَانٌ تُحْتَذَى وصِحَاحُ
خيرُ البريَّة كُلِّهَا وإمَامُهَا ... وسِرَاجُهَا الوَهَّاجُ والمِصْبَاحُ
والرحمةُ المُهْدَاةُ والعَلَمُ الذي ... بِمَقَامِهِ يومَ النُّشُورِ نُرَاحُ
يا بُؤْرَةً للخِزْيِ سَاءَ قَرَارُهَا ... لِلْكَوْنِ منها أَنَّةٌ وصِيَاحُ
أَتُقِرُّ شَتْمَ الهاشميِّ دِيَانَةٌ؟!! ... لا سِفْرَ يَرْضَاهُ ولا إصْحَاحُ
لا عَقْلَ يَقْبَلُهُ ولا مَدَنِيَّةٌ ... إلا لَدَيْكِ فَلَيْسَ فيه جُنَاحُ
والدَّانَمَرْكُ بُلَيْدَةٌ ملعونةٌ ... فيها لمجتمعِ الكلابِ نُبَاحُ
خُبْثٌ تَأَصَّلَ في النفوسِ جِبِلَّةً ... قِدَمًا وكُفْرٌ فوقَ ذاك بَوَاحُ
وخلائقٌ وَصَفَتْ حقارةَ معدنٍ ... مَا إنْ لهمْ عنها الزمانَ بَرَاحُ
ليسَ الجزاءُ فَحَسْبُ حَظْرَ بضائعٍ ... منهنَّ تُجْنَى فيكمُ الأَرْبَاحُ
بل سوف تَلْقَوْنَ النَّكَالَ مُعَجَّلاً ... وتَسِيلُ منكمْ بالدماءِ بِطَاحُ
وتَغَصُّ بالأَشْلاءِ منكمْ بُقْعَةٌ ... لَخَنَتْ وسَاءَ غُدُوُّهَا ورَوَاحُ
وتُبَدَّلُ الأفراحُ فيكم مأتمًا ... يَغْشَاهُ مِنْ ليلِ المُصَابِ جَنَاحُ
خَطْبٌ يُجَلِّلُ جمعَكمْ ويُذِيقُكمْ ... خِزْيًا يَظَلُّ على المَدَى يَنْدَاحُ
أَيَطِيبُ نَوْمٌ أو يَلَذُّ لمسلمٍ ... عَيْشٌ وعِرْضُ الهاشميِّ مُبَاحُ؟!
لَعِبَتْ به بينَ الأنامِ أَصَابِعٌ ... فَلَهُنَّ فيه مَسْرَحٌ ومُرَاحُ
يا مسلمونَ كَفَاكُمُ نومًا فقدْ ... صَاحَ النَّذِيرُ وصَرَّحَ الإصْبَاحُ

أَوَمـا كَـفـاكُـمْ أنَّهـمْ قـد دَنَّـسُـوا عَلَنًـا مَصاحفَ حَشْـوهُنَّ فَلاحُ!!
والـيوم صـالـوا صَوْلـةً هَـمَـجِيَّـةً هُـزْءًا بمَـنْ هُـوَ لـلـهُـدى مِـفـتـاحُ
تـاللَّـه لن يـصلـوا إليـه بِكيـدهـمْ ما لـلكـلابِ سوى النُّبـاحِ سِلاحُ
يا خيرَ مَنْ وَطِئَ الحَصَى وأجَلَّ مَنْ بَـرأَ الإلـهُ ومَـنْ هُـداهُ صـلاحُ
يا مـنْ تكلُّ عـن الوفـاءِ بحـقِّه دُرَرُ الـبـديـعِ وتَـعْـجـزُ الأمْـداحُ
يـا قُـرةَ الـعـينـينِ يـا بَـرْدَ الحَـشـا يـا مـنْ تُـزاحُ بـوجـهـه الأَتْـراحُ
إنـا كـذلـك لا نزالُ عـلـى الـذي تَرضى وإنْ مـكَرَ العُداةُ وصَاحُوا
نَـحنُ الـفـداءُ وقلَّ ذلـك عـنْدَنـا المـالُ والمُـهَـجَـاتُ والأرواحُ
ستحطِّمُ الطاغـوتَ خيلُك عاجِلاً وتَـهُـبُّ لـلـنَّـصـرِ المُـبِين رِيـاحُ

* * *

جئنا إليك رسول اللَّه نعتَذِرُ

لماجد بن عبدالله الغامدي(١)

جئنا إليـكَ رسـولَ اللَّه نعتـذرُ مِمَّا تجـرَّأَ ذاكَ الـفاجـرُ الأشِـرُ
فأنـتَ مؤتمنُ الرحـمنِ إذ خُتِـمتْ بكَ الرسالاتُ واستهدتْ بك البَشَرُ
جاهدْتَ فـي اللَّهِ إذْ بلَّغـتَ دعوتَهُ فالـكفرُ مـندحِرٌ والشـركُ منكَـسِرُ
صَلَّيتَ بالرُسلِ في مسراكَ كنتَ بهم كـما يـزيِّـنُ ضوءَ الأنجـمِ الـقَمَـرُ
تـركتَ فـينـا كتـابَ اللَّـه نـنـهَجُـهُ وسُنَّـةً فُسِّرتْ في ضـوئها الـسُّوَرُ
ففـي جبـينك نـورٌ يشـرق القـمرُ وفي حديثِكَ ذاكَ الهَدْيُ يـنهمـرُ

(١) الخبر.

وفي سجاياكَ يا خيرَ الورى مُثُلٌ وفي حياتكَ ذَاكَ المُقْتدَى الأَثَرُ
قد كنتَ قَلْبًا لنشرِ الدينِ مُجْتَهِدًا وكنتَ كَفًّا لبذلِ الخيرِ تَبْتَدِرُ
إذا وَهَبْتَ فلا مَنٌّ ولا قَتَرٌ وإنْ دُعيتَ فلا مُطْلٌ ولا ضَجَرُ
وكنتَ قرءانَنا يمشي بخيرِ هُدًى مَاذا نقولُ وماذا فيكَ نَخْتَصِرُ؟
يا ناصرَ الدين.. يا وحيَ الإله به يرفرفُ القلبُ والأَرْواحُ والفِكَرُ
يا أشرفَ الخلقِ لن نرضى بما اقترفوا هذي القُلوبُ تَكادُ اليومَ تَنْفَطِرُ
وُجْدَانُنَا في جحيمِ الغيظِ مُشْتَعِلٌ قلوبُنا بلهيبِ الإفْكِ تَسْتَعِرُ
يا مَن أضاءَ بنورِ اللَّهِ سُنَّتَهُ للمقتدينَ فتلكَ الأَنْجُمُ الزُهُرُ
مَناقبُ النَّصرِ في أرجاءِ دعوته الـ ـغَرَّاءِ فيها قلوبُ الشركِ تَنْبَهِرُ
ما بينَ مُسْتَتِرٍ عنها ومُنْكَسِرٍ تلكَ الفلولُ بعونِ اللَّهِ تَنْدَثِرُ
هُدَاكَ زلزلَ كسرى في مدائنه وخرَّ قيصرُ إذْ لَمْ تُغنه النُّذُرُ
يا خَاتَمَ الرسلِ لم نجزعْ لِمَا كَتَبُوا فالجهلُ يُغوي وهذا شأنُ مَن كَفَرُوا
غُلَّتْ أَيَاديهِمُ إذ صَدَّقُوا خَرِفًا شُلَّتْ يداهُ.. وَتَبًّا للذي نَشَرُوا
يقينُنا أننا نفدي بما مَلَكَتْ أَيْمانُنا إنْ تَوالتْ حَولَكَ الزُمَرُ
بل تفتديك وأَيْمُ اللَّهِ أفئدة لنُصرة الحقِ والقرآنِ تُعْتَصَرُ
أَرواحُنا ودمانا فيك نَبذلُها نذودُ عَنْك بقولِ اللَّهِ نَأْتَمِرُ
لا نرتضى قولَهم.. كَلاَّ وما فَتِئَتْ ضَرَاغِمُ الحقِّ لا جُبْنٌ ولا خَوَرُ
فَكَمْ لَقِينا ولم تَضْعُفْ عزائمُنا وكم تغيَّرَت الأفلاكُ والسِّيَرُ
لكنَّ إيمانَنا وما ضَعُفَت منا العزائمُ إِنْ ضَجُّوا وإن سَخِرُوا

فـالنُّـورُ إيمانُـنا.. والـنَّارُ نـقْمَـتُنَـا … نـارٌ تُـبـيـدُ فَــلا تُـبْـقـي ولا تَـذَرُ
جِـئْنـا نلـبِّيـكَ لا لن نَـنْثَـني أبـدًا … جئـنا نُفَـدِّيكَ لا خَـوفٌ ولا حذرُ
إيمـانُـنا أنَّ وعـدَ الـلَّـهِ مُدْركُـهُـم … وأنَّ مَـوعِـدَ ذاكَ الْمُـفـتَـري سَـقَـرُ
وأنَّكَ المصطفى البُشْرَى النذيرُ وقد … ذُكِـرتَ إذْ أُنـزِلَ الإنجيـلُ والـزُّبُـرُ
أدَّيْتَ فِـينـا أمانـات وقد شَـهِدَت … لَكَ القلوبُ وذاكَ السَّمْعُ والبَصَرُ
عَـزاؤُنـا عُـقْبَى الـدارِ مَـوعِـدُنـا … طُوبَى لِمَن آمنُوا.. بُشْرَى لمن صَبَرُوا
صلَّـى عليـكَ إلهُ الـكونِ ـ نسـألُهُ … لكَ الوسـيلةَ ـ والشـيطانُ مُنْـدَحِرُ

أَتُرَى ستنفَعُ في القلوبِ عِظَاتُ؟

لسليمان بن أحمد بن عبدالعزيز الدويش

أَتُرَى سَتَنفَعُ فـي القلوبِ عِظَاتُ؟ … أَمْ هَل سَتحْسم أَمرَنا العَـبرَاتُ؟
أَمْ سَوفَ يَـرْفَعُـنا مـن الذُّلِّ الـذي … عِشْـنا بـه التنـديدُ والآهـــاتُ؟
الأرضَ مـنَّـا قَدْ عَـلَـتْـهَـا تُخْـمَـةٌ … أَعْـدادُنـا ضاقـتْ بـهـا الجَنَـبَـاتُ
يا أَلـفَ مليـونٍ وخَـمسَ مِئيـنهـا … ولَهُـمْ بكُلِّ فِـجَاجِهـــا أَنَّـــاتُ
يـا أَلـفَ مـلـيـونٍ غـثـاءٌ كُـلُّـهـم … مُتَشتِّتُونَ مـع الشَّـتَـات سُبَاتُ
مَـوْتَى إذَا عَـبَثَ الـعَـدُوُّ بدِيـنهـم … أحيـــاءُ هُمْ لـكنَّهُـم أَمْــواتُ
وتَـراهمُ عـنـدَ الحُطَـامِ ضَـيـاغمًـا … وكأنَّهـــا في فَتْكِـهـا الحَيَّـــاتُ
الـذُّلُّ فـيـهـم ضَـارِبٌ أَطْـنَـابَـه … ولَـهُ بِهـم يا وَيْـحَـــهُ صَـوْلاَتُ
والوَهَن شَاهَ الوَهَن بِئْسَ ضَجِيعُهُم … مِـن بَـطْــشِـهِ يَـتَـعَــذَّرُ الإفْـلاتُ

هُمْ أَلْفُ مليون ولَكِنْ لَيْتَ لي ... من كُلِّ ألف واحِدٌ إن فَاتُوا
يا ألفَ مليونٍ تَسَنَّمَ ظَهْرَه ... الأَوْغَادُ والأَنْذَالُ والعَاهَاتُ
حَتَّامَ تَرْضَوْن الدناءَةَ والرَّدَى؟ ... وإلامَ هذا الذُّلُّ والإخْبَاتُ؟
لا خيرَ في عيشٍ بغيرِ كرامةٍ ... لا خيرَ في دُنْيَا بها أَقْتَاتُ
شَمَخَتْ فِرَاخُ البَغْيِ فوقَ رُؤوسنا ... ولَهُمْ بوَسْطِ جباهنا بَصَمَاتُ
سَخِرُوا من القرآنِ أيَّ مَهَانةٍ ... خيرٌ لحُرٍّ دونَ ذاكَ مَمَاتُ
بَلْ صَوَّرُوا المُخْتارَ أقبحَ صُورَةٍ ... أَوَّاهُ ممَّا ضَمَّت الصَّفَحَاتُ
جَعَلُوهُ رَمْزًا للتَّخَلُّفِ والرَّدَى ... شَتَمُوهُ حتى بُحَّت الأَصْواتُ
وَعَلَى بَنِي الإسلامِ صَبُّوا حقدَهمْ ... غَزَوُا البلادَ وَهدَّدُوا بالنَّاتُو
والمسلمونَ عن المكائدِ غُيِّبُوا ... الدينُ يَجْمَعُهُمْ وَهُمْ أَشتاتُ
وحِمَاهُمُ كَلأٌ مُبَاحٌ للعِدَا ... وَكَأَنَّ حَقَّ حماهمُ اللَّعَنَاتُ
جَالَ العدو به وصَالَ ولَمْ يَجِدْ ... إلاَّ الهَوَى والتيهُ والقَنَواتُ
بالأمسِ أفغانُ الكرامةِ دُمِّرَتْ ... واليومَ بغدادٌ لَنَا وَفُرَاتُ
يا أمةَ الإسلامِ هَلْ مِنْ عَودَةٍ ... عَجْلَى فما فَوْقَ الرُّفات رُفَاتُ
هُبُّوا فدينُ اللَّهِ خَيْرُ تجارةٍ ... أَمَّا الحُطامُ فَمَا عَليهِ فَوَاتُ

* * *

بِــأَبِــي وأمِّي

لرمضان عمر

هذا المِـدَادُ بِمسْك أَحْـمَدَ قدْ هَـمَا وازدانَ فـيـه مَعَ الـنَّسِيـمِ مِـثَـالُ
أَزْهُـو بـهِ فـي رِقَّـة أَشْـدُوا بـهـا ليطيـبَ في مَـدْحِ الحبيبِ مَقَالُ
أَقْـفُو بـه كـعبَ الأوائـلِ لَـيْتَنِـي كُـنْـتُ الـذي آبَـتْ بِـه الآمَـالُ
فَتُصِيبُنِي بـعضُ الشَّفـاعَةِ حِينَـها فـأكونُ أسـعـدَ مَـن حَوَتْـهُ رِمَـالُ
أَفْـدِيكَ يـا خَيْرَ الخَـلائـقِ كُلِّهـا إنْ شَـطَّ قَـومٌ أو بَـغَـى الـدَّجَـالُ
بِـأبِي وأمـي كـيـفَ لا أَفْدِيـكَ إذْ بَـدَأَ الـقِـتَـالُ ودَقَّـت الأَطْـبَـالُ
وَتَطَاولَتْ عُصَـبُ الكلابِ وأَنْفَث مِـنْ كُـلِّ سُـمٍّ نـاقِـعٍ رِيـغَـالُ
قَـدْ زَادَ حَدَّ الحَـدِّ حـتـى لمْ يَـعُـدْ يُجْـدِي مع الفِعْلِ الـشَّنِيـعِ جِدَالُ
وَتَمَـرَّدَ الأَزْلامُ حتـى أَثْخَـنُـــوا طَـعْنًـا وكَيـدًا والحروبُ سِجَـالُ
كَذَبُـــوا ولـو صَدَقـوا لقالـوا: إنَّهُ سِحْرُ الـوجودِ فَلَن يُعـابَ كَمَالُ!
خَيـرُ البَرِيَّـةِ رَغْمَ أَنْفِ أُنُـوفِــهم حَـاشَا لـمثْـلِـكَ أَنْ يُسِـيءَ مَقَـالُ
فالقولُ دُونَك فـي المَدِيحِ وإنْ عَلاَ وَلِشِسْعِ نَـعْلِـكَ تَسْـقُطُ الأَقْـوَالُ
فَلْيَـخْسَئُوا، ولَـبِئْسَ ما جـاءتْ به صُـفْـرُ الـوُجُـوهِ الخِسَّـةُ الأَنْـذَالُ
الـرَّاتِـعُـونَ مع الـشِّيـاه كَـأَنَّـمَـا شاهتْ وجـوهُ الغربِ فهـي سِمَالُ
القَاصِرُونَ عن الفضائِلِ ما ارْعَوَوْا والـلُّؤْمُ فـيـهم شِـيـمَـةٌ وخِصَـالُ
شَـرَّ الـبَـرِيَّـةِ يـا أَشَـرَّ خَـلِـيـقـة خَـجِلَـتْ لِـمِثْـلِ فِـعَالِـهِـنَّ بِغَـالُ
أَحضارةَ الـدَّجَلِ السَّخِيـفِ أَهكَذَا تُؤْتَـى المكـارمُ؟! بِئْسَـما الأَفْـعالُ

أَخْزَى الذي سَمَكَ السماءَ بناءَكُم ... يَا أَيُّها السُّفَهَاءُ والأَنْذَالُ
أَحْلامُ هَرْطَقَة، وَخِسَّةُ قَاصِرٍ ... رَسَمَ الحقيرُ وشَبَّه المُحْتَالُ
لا ليسَ في رَسْمِ الخَسِيسِ بلاغةٌ ... إنَّ البلاغةَ في الحبيب تُقَالُ
فهو الكريمُ إذا الكِرَامُ تَعَاظَمَتْ ... عِنْدَ الزِّحَامِ، وَعزَّتِ الأَحْمَالُ
وَهْوُ الفَصِيحُ إِذَا الفصاحةُ أَيْنَعَتْ ... سَالَتْ بِعَذْبِ حَدِيثِه الأَقْوَالُ
فَبِذِكْرِهِ كَانَ الغُدُوُّ رِيَاضَنا ... ومع الغُدُوِّ تَمَازَجَتْ آصَالُ
وبِمَدْحِه مُهَجُ القُلُوب تَرَنَّمَتْ ... وتَرَاقَصَتْ طَرَبًا لَهُ الأَوْصَالُ
يا أَيُّها المُخْتَارُ حَسْبُك رُتْبَةٌ ... مهما تَعَمْلَقَ لَم يَصِلْكَ خَيَالُ
فَالْكُلُّ خَلْفَكَ وَاجِمُونَ كَأَنَّهُم ... كُتِبُوا تَشُدُّ وُجُوهَهم أَحْبَالُ
خُيِّرْتَ بَيْنَ الخَمْرِ واللَّبَنِ الذي ... فُطِرَتْ عليه منَ الورى الأجيالُ
فاخْتَرْتَ فِطْرَةَ أُمَّة لَمَّا تَزَلْ ... خَيرَ القُرون فَتِيَّةً تختَالُ
وبَنَيْتَ لِلإسلامِ صَرْحًا شامِخًا ... طَالَ السَّمَاءَ فَكَيْفَ ذَاكَ يُزَالُ
أَضْحَتْ به بغدادُ نَجْمَةَ عَصْرِها ... ضَاءَتْ إذا غَرَبَ الجنوبَ شَمالُ
وَمَشَى السَّحَابُ لكَي يُفَارِقَ أَرْضَهَا ... فَمَشَتْ تُوازِي ظِلَّهُ الأَجْيَالُ
وتتابَعَ العُلَماءُ حتى أَزْبَدَتْ ... سُوحُ البِطَاحِ فَحمْلُهُنَّ ثِقَالُ
ذَاكَ ابن سينا والفَرَابِيُّ الذي ... لو زين زانت عُشْرَهُ الأثقالُ[1]
وَلِدحْيَةَ الكَلْبِيِّ إِذْ بَسَطَتْ لَهُ ... شُمُّ القياصِرِ كِبْرَها الأمثالُ
لَغَسَلْتُ دُونَ الكعبِ لو سَنَحَتْ لنا ... لُقْيَا الأَمينِ وفي اللِّقاء جَمَالُ

---

(١) راجع «قالتنا في ابن سينا والفارابي وغيرهما من الفلاسفة.

أَقْرِئْ نَبِيَّكَ يا دحْيَةُ إنَّه ... حَانَ الزَّمَانُ ومُلْكُنا سَيُزَالُ
سيزولُ ليلُ الظُّلْمِ حتى تَنْضَوِي ... كُلُّ المكائد تَخْتَفِي الأدْغالُ
وَيَعُمُّ كُلَّ الكونِ عَدْلُ مُحَمَّد ... ويذوبُ بَغْيٌ تَنْتَهي الأهوالُ
يا أُمَّةَ المليارِ هَلْ مِن غَضْبَةٍ ... تُذْكِي النُّفُوسَ كأنها المِرْجَالُ
تَجْتَثُّ شأفَةَ حاقدٍ مِنْ أَصْلِه ... حتى يَثُوبَ مَعَ الرَّدَى الدَّجَّالُ
فالصَّافنَاتُ مِنَ الجيادِ عَلَى الذُّرَى ... قَدْ أُسْرِجَتْ، وتَقدَّمَ الخَيَّالُ
والعَادِياتُ الضُّبْحُ تَبْرُقُ في الدُّجَا ... والمُورِياتِ القَدْحُ والأجْمَالُ
يا سيدي مَا إن رَمَوْكَ بسَهْمِهِمْ ... حَتَّى تدافَعَ للْوَغَى الأَبْطَالُ
وَتَعَالَت الرَّاياتُ تُعْلِنُ زَحْفَهَا ... للنَّصْرِ يَعْلُو فَوْقَهُنَّ هِلاَلُ
مِنْ قُبَّةِ الإِسْرَاء تَغْزِلُ عَزْمَها ... أَتَذُودُ بالعَزْمِ الفَتِيِّ نِصَالُ
وَتُرِيقُ من دَمِها الزَّكِيِّ جَدَاولاً ... نِعْمَ الدِّمَاءُ فَدَاكَ حِينَ تُسالُ
دَكَّتْ به جُنْدُ الحَمَاسِ حُصُونَهم ... فَمَشَى النَّعِيُ يَقُودُه الإِعْوَالُ
والسَّمْهَرِيُّ بِهَا يَغُذُّ خُطُوطَه ... فَهَوَتْ عُرُوشٌ حُطِّمَتْ أَغْلالُ
وَتَقَهْقَرَ الأُسْطُولُ أُسْطُولُ الخَنَا ... والبُشُّ يَصْرَخُ أَنْ هَلُمَّ تَعَالُوا
وَتَنَاقَصَ الشَّيْطَانُ لاَ يَلْوِي إلى ... مَا قَدْ دعَا وتَقطَّعَتْ أَحْبَالُ
وَتَشَرْذَمُوا فِرَقًا تَجُرُّ خُيُولُهم ... أَذْيَالَ نَكْسَتِهِم، وآلَ مَآلُ
لاَ تَفْرَحُوا.. أَمَا فَطِنْتُم أَنَّنا ... سَنَجُزُّ رَأْسًا لَن يَطُولَ نِزَالُ
وَيُبَاعُ في سُوقِ النِّخَاسة بُشُّكُمْ ... حتى تَدُوسَ جَبِينَهُ الأطفالُ
يا أَيُّهَا الغَرْبُ الكسيحُ رُوَيْدَكُم ... إنَّ المَعَامعَ حِمْلُهن ثِقَالُ

وَلَنا خُلقٌنَ ولَنْ تُسَارَ لغَيْرِنَا ... تِلْكَ المَكَارِمُ أَيُّها الجُهَّالُ
إِنَّا قَدَحْنَا بالحَمَاسِ نُفُوسَنَا ... فاسْتَنْفَرَتْ شَرَرًا بنا الأَوْصَالُ
وتَضَاعفَتْ أَحْقَادُنا حَتَّى إذَا ... حَمِيَ الوَطِيس أَتَاكُمُ الزِّلْزَالُ
سَنَهُزُّ عَرْشَ الكُفْرِ تَكْسَرُ أَنْفَهُ ... هذي الجُمُوعُ يقودُها الرِّئْبَالُ
هذي الجُمُوعُ تَدَافَعَتْ نَحوَالرَّدَى ... تَفْدي الحَبيبَ نُفُوسُها والمالُ
سَنُغَيِّرُ التاريخَ نُصْلِحُ أَمْرَهُ ... حتى تَعُودَ لِهَدْيِها الأَجْيَالُ
ونَدُقُّ رُوما ثم نزوي بعدَها ... كُلُّ المدائنِ لَنْ يَدومَ ضَلاَلُ
وَعْدُ النَّبِيِّ فكيفَ يُخْلَفُ وَعْدُهُ ... كُلُّ الوُعُودِ مع النَّبِيِّ تُنالُ
هَذِي حَقَائِقُ هَدْيِنَا نَسْمُو بها ... نحن الأشاوسُ نسوةٌ ورجَالُ
مهما بَطَشْتُم يا قَساوِسَةَ الفَنَا ... فالحرب كَرٌّ تَارَةً وَسِجَالُ
والحَرْبُ شَمٌّ خِيارنا إنا لها ... نُحنُ الأُلَى مَهَرُوا الوغى الأَبْطَالُ
نحنُ الأُلى باعوا النُّفُوسَ لِرَبِّهَا ... فَهُوَ الذي قُضِيَتْ به الآجَالُ
فالموتُ إِمَّا أَنْ يَجِيءَ فَمَرْحَبًا ... يَا موتُ حَيَّ ففي المَنُون مَنالُ
فَهْوَ الطَّرِيقُ إلى لقاءِ مُحَمَّدٍ ... أَحْمَدَ بُغْيَةٌ وأَمَالُ

***

الاعْتِذَارِيَّة

لزياد بن عبدالغفار(١)

ضِياءُ الشَّمْسِ أَمْ نُورُ النَّهَارِ؟ أَمِ انْزَاحَ السِّتَارُ عن النَّوَارِ؟
أَمِ اللَّيلُ اكتسى بالنُّورِ لَمَّا رأى النَّوارَ مِن غَيْرِ الخِمَارِ؟
فَكَمْ قَلْبِي يَهِيمُ إذا ذُكِرْتُم ودَمْعُ العينِ يا نَوَّارُ جَارِ
وَلَوْ أَنِّي طَلَبْتُ لَكُمْ مَثِيلاً لكانَ مَثِيلُكُم دُرَّ المَحَارِ
وَلَكِنِّي شَغَلْتُ القلبَ عَنْكُم وعَنْ حُبٍّ الغواني والجَوَارِي
بُحبٍّ صَادق لا زَيْفَ فيه أُبُوحُ به وقد نَفِدَ اصْطِبَارِي
أَلاَ مَنْ مُبْلغُ الثَّقَلَيْنِ عني ويَشْفِي القلبَ من جُهْدٍ ونَارِ
فَحُبِّي للرسول فَدَتْهُ نَفْسِي وآلُ البيتِ حبُّهمُ شِعَارِي
وَأَصْحابُ الرَّسُولِ لهم سَلاَمٌ فقدْ نَصَرُوهُ أيامَ الذِّمَارِ
فكانوا بَعْدَهُ أصحابَ خَيْرٍ وآلُ البيتِ فيهم كالمَنَارِ
فَأَصْغرُهم كَبِيرٌ قدْ تَبَدَّى بِهَيْبَتِه فأَنْعِمْ بالصِّغَارِ
سَقَتْ أَرْضًا بها صَارُوا جميعًا سَحَائبُ هَاطلاتٌ بالصغارِ
إِليكَ رسولَنا منَّا سَلامٌ ومني كُلُّ شوقي واعتذارِي
أَساءَ إليك عُبَّادُ الصَّليب بِقَوْلٍ من صَحِيحِ القول عَارِ
أَذَلَّهُمُ المُهَيْمِنُ أَيَّ ذُلٍّ وأَعْقَبَهمُ بِخِزْيٍ وانكِسَارِ

---

(١) ١/ ٣/ ١٤٢٧هـ - ٣٠/ ٣/ ٢٠٠٦م.

وَقُبِّحَ وَجْهُ رَسَّامٍ حَقِيرٍ وأَبْدَلَه بوجْه كالحمَارِ
ولا غَفَرَ الإلهُ لـه ذُنُوبًا يَكُونُ جزاؤُها سُوءَ القرارِ
وَضُيِّقَ قبرُه لا كان فيه وأَسْكَنَهُ الأفاعي والضَّوَارِي
كتبتُ الشعرَ يا خيرَ الأنامِ إليكَ لفرط وجدي وانتظاري
فأرجو أَنْ يكونَ جزاءُ شعري إذا خُيِّرتُ أَوْ كان اختياري
تَكُنْ يومَ القيامةِ لي شَفِيعًا وَأَذْكُرُ خالقي عندَ احتضاري

فداك

لحسن بن زريق القرشي[1]

أُكَفْكِفُها من مُقْلَتي أَدْمعًا حَرَّى أُتَرجمُها في الحُبِّ للمصطفى شعْرَا
وَأَنْظمُها حَتَّى إذا ما رَضِيتُها بعثتُ بها شوقي وقد ضُوِّعتْ عطْرَا
وَقَدْ سَبَقَتْ خَيْلُ المديحِ رَكائبي قَديمًا ولكنْ همَّتي تَطْلُبُ الفَخْرَا
وأيُّ فَخَارٍ أنْ جعلتُ قصائدي وصَيَّرتُها في الذَّوْد عن قدوتي مُهْرَا
إذا لَمْ يَكُنْ عَذْبُ القصيد مُنَافحًا يَغيظُ العداَ سراًّ ويَرْدَعَهُمْ جَهْرَا
فَلا أَنْطَقَ اللَّهُ الشفاة بجُمْلَة ولاَ سَطَّرَتْ يُمْنَى ولا كَتَبتْ يُسْرَا
أَسيِّدَ خَلْقِ اللَّه كيفَ أَصُوغُها وكيفَ أُحِيلُ الحَرْفَ في مَدْحكُم تِبْرَا
إذَا قُلْتُ بَحراً فِي الفضائلِ والتُّقَى تَكُونُ بحارُ الأرضِ في بَحْرِكُم قَطْرَا
وَإِنْ قُلْتُ ليثًا في الشَّجَاعَةِ إِنَّمَا مَدَحْتُ ليوثَ الغابِ إِذْ أَحرَزَتْ ذِكْرَا

(١) ٢٤/ ١٢/ ١٤٢٦هـ- ٢٤/ ١/ ٢٠٠٦م.

أَأَذْكُـرُ عَـقْـلاً أَمْ سَأَذْكـرُ حِـنْـكَـةً فَضـائِلُ جاءَتْ مِـن معيـنكُم تـتْرَا
كَـفَى بِـك فَخْـرًا أَنْ مُدِحْـتَ بِآيـة وَأَنْ نَزلَتْ في الغَـار يا سيِّدي اقْرَا
فَكَـيْفَ يُدانيكَ السَّحَابُ برفـعة وكَيْفَ تُـوازيك المَجَرَّةُ والشِّعْرَى
أَبَى اللَّـهُ إلاَّ أَنْ تَكُـونَ مُكـرَّمًا فَكَيْفَ يَرُومُ الخَلْـقُ في ذَمِّكُم أَمْرَا
أَحَالـبَةَ الأبـقـار كَـيْفَ تَـجرَّأَتْ قُـوَاك فَنَـالتْ مِـنْ كَـرَامَتِـنا قَـدْرَا
جَهِـلْت فكانَ القَوْلُ منك عَدَاوةً رَفَعْت بها رِجْلاً وثَـنَّيْت بالأُخْرَى
وَمَا ضَـرَّ لَوْ سَخَّرْتـها فـي رِعَايـة لأَبقاركم؛ فالجُهْدُ في رَعْيِها أَحْرَى
وَمَنْ يَنْطَحُ الصَّخْرَ الصِّلاَبَ بِقَرْنه فَلاَ قَرْنُـهُ أَبْقَى ولا حطَّمَ الصَّخْرَا
أَلاَ قَـاتَـلَ اللَّهُ الحـيـاةَ إذا غَـدَتْ خَنَازيرُ غربِ الأرضِ قد نطقتْ كُفْرَا
تَمادَتْ وزادتْ في الضَّلاَلِ غوَايَةً فكانتْ كَمَنْ جَدَّتْ لمُدْيتها حَفْرَا
وَمَـن يَتَـعَـرَّضْ للسِّهَـام بِـنَحْـرِه تُصبْهُ فلاَ حَـمْدًا أَصَابَ ولا شُكْرَا
أَغَرَّكَ صَمْتُ القول فازْدَدْت جُرْأَةً وأَجْـرَيْت مِمَّـا لا يَـليـق بـنـا نَهْـرَا
فَكَـيفَ أَبَانَ البُـكْمُ يا زمـنَ الرَّدَى وكَيْـفَ غَدَا المليـارُ يا أمتي صِـفْرَا
يُقَـالُ فمـا دُونَ الوجـوه يَصـونُهـا سوَى الكَفِّ تَحْميه وإنْ بُتِرَتْ بَتْرَا
فـداكَ رسولَ اللَّه نَـحْـرٌ جَعَـلْتُـهُ لِـذْكـرِكَ درْعًـا أَنْ يُـرَادَ بـه شَـرًّا
فداكَ أبـي مِنْ بَعْـد أُمِّي وإخْـوتي فدَاك صغارُ القومِ والعلْيَةُ الكُبْرَى
أَقومـي، إنَّ السَّـيْلَ قـدْ بلَـغ الزُّبـا وخُبْثُ النوايا جاوزَ الحَدَّ واسْتَشْرَى
أَلاَ فـاجْـعَـلُـوها وقـفـةً عُـمَـرِيَّـةً تُزْلزِلُ أقـدامًا وتَسْتَجْلبُ النَّصْرَا
فما الصمتُ في بعضِ المواطنِ حِكمَةٌ ولَكِـنَّ مكْرَ القومِ يَسْتَلزمُ المَكْرَا

أتَسْخَرُ مِنْ شَخْصِ النَّبِيِّ

د. عبدالرحمن بن عبدالرحمن شميلة الأهدل

أَتَهْزَأ بالمُخْتارِ يَاسَوءَةَ الدَّهْرِ ... وِيَا قِمَّةَ التَّضْلِيْلِ وَالخُبْثِ وَالغَدْرِ
أَتَسْخَرُ مِنْ شَخْصِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... رَسُوْلٌ أَتَى بالحَقِّ وَالخَيْرِ وَاليُسْرِ
رَسُوْلٌ حَبَاهُ اللَّهُ نُوْرًا وَحِكْمَةً ... وَأَيَّدَهُ بالنَّصْرِ فِيْ سَاعَةِ العُسْرِ
تَحَلَّى بِأَخْلاَقِ الكِرَامِ وَإِنَّهُ ... رَؤُوْفٌ رَحِيْمٌ مَنبَعُ الفضْلِ وَالصَّبرِ
مَحَا ظُلمَةَ الطُّغْيَانِ وَالجَهْلِ وَالهَوَى ... بعَدْلٍ وَإحْسَانٍ وبَالرِّفقِ فِي الأَمْرِ
وَمَا الصَّفْحُ إلا شِرْعَةٌ وَسَجِيَّةٌ ... لدَى المُصْطَفَى مِنْ دُوْنِ مَنٍّ ولا كِبْرِ
كَرِيْمٌ حَلِيْم مَا توَانَى عَن الوَفَى ... وَلا ضَاقَ ذَرْعًا مِنْ عَنَاء وَلا فَقرِ
عَلَيْه صَلاةُ اللَّه ثمَّ سَلامُهُ ... وأَخْزَاكَ رَبُّ العَرْشِ يَا خِيْزَبَ العَصْرِ
رَكِبْتَ عَلى مَوْجٍ مِنَ الخِزْيِ فارْتَقِبْ ... دُوَيْهِيَّةً سَوْدَاءَ غُوْلِيَّةَ القَعْرِ
حيَاتُكَ فِيْ ذُلٍّ ووَقتُكَ جَمْرَةٌ ... وَفِكْرُكَ لمْ يَسْلَمْ مِنَ الدَّاء وَالضُّرِّ
فَمَنْ رَامَ نَقْصَ المُصْطَفَى قذفتْ به ... خُطُوْبُ الرَّزَايَا فِيْ سُجُوْنٍ منَ الذُّعْرِ
وَزَجَّتْ به الآفاتُ فِيْ كُلِّ محْنَةٍ ... وصَارَ عَلى دَرْبٍ مَنَ الذُّلِّ وَالقهْرِ
خَسِرْتَ وَلَمْ تَكْسَبْ سِوَى الضَّيْمِ وَالرَّدَى ... خَسِئْتَ فأَنْتَ الشَّيْنُ وَالمَيْنُ لوْ تَدْرِيْ
وَأَنتَ سَقِيْمُ الفكْرِ وَالقلبُ مَيِّتٌ ... وَأَنْتَ لئِيْمُ الطَّبْعِ تَرْتَاحُ لِلوِزْرِ
أَتَاكمْ رَسُوْلُ اللَّه بالنُّوْرِ وَالهُدَى ... وَأَنْذرَ مَنْ يَعْصِيْه بالوَيْلِ فِي الحَشْرِ
وَعَلَّمَكُمْ دَرْبَ النَّجَاة مُبَيِّنًا ... لمَا جَاءَ فِي التَنْزِيْلِ سَطْرًا عَلى سَطْرِ
ضَلَلتُمْ وَحَرَّفتمْ كِتَابَ هِدَايَةٍ ... وَمِلتُمْ وأَسْرَعْتُمْ عِنادًا إلى الشَّرِّ

وآمَنَ مِـنْكُـمْ بالنَّبيِّ أولـو النُّهَى أولو العَدْل وَالإنْصَاف وَالفهْم وَالفكْرِ
وكَمْ شَـهدَتْ منْكُمْ رجَـالٌ بنُبْـله وَأخْلاقـه العَـليَـاء عَاطـرَة النَّـشْرِ
فَـهَـلا تَـأمَّـلـتمْ بـعَـيْـن بَـصيْـرَةً وَفكْـر مُنِيْر مُنْـصف بَاسـمِ الثَّـغْرِ
وَرَاجعْتُـمُ التَّاريْخَ فِيْ نَعْـت أحْمَدَ فإنَّ رَسُوْلَ الـلَّه كَالشَّـمْـس وَالبَدْرِ
مـضيـئًـا مُـنيْـرًا هَـاديًـا وَمُبَـشِّـرًا هَدَانَا بـفَضْلِ اللَّـه للخَيْـرِ وَالأجْرِ
وَأنقذنَا مِـنْ ظُلمَة الظُّلْـمِ وَالهَوَى بديْنٍ قويْـمٍ مَنْبَعِ الصِّدْق وَالـطُّهْرِ
ألَـمْ تَقـرَإ القـرْآنَ مُعْـجزَةَ الـوَرَى ألَـمْ تَسْـتَـمعْ يَـوْمًـا لآيٍ مِـنَ الذِّكْـرِ
ألَـمْ تَـتَـأمَّـلْ فِيْ ثَـنَـايَـا سُـطوْره وَمَا حَـمَلَـتهُ الآيُ من سَـالف الـدَّهْرِ
فـفيْـه نـظَـامٌ شَامـلٌ مُـتَـكَـامـلٌ يَفي بِاحْتِيَاجِ الخَلق يَكْفِي مَدَى العُمْرِ
وَفـيْـه عُلُـوْمُ الأوَلِـيْـنَ وَيَنْـطَـوِيْ عَلَـى كُلِّ آت فِيْ فَـلاة وَفِيْ بَـحْرِ
تَلاهُ رَسُـوْلُ اللَّـه فِيْ كـلِّ مَجْـمَعٍ وَكَانَ هُوَ الأمِّـيُّ فِيْ مَعْشَرِ الـكُفْرِ
فَمَـا حَادَ عَـنْ آيٍ وَلاَ كَانَ لاحِـدًا وَلَكـنَّهُ وَحْيٌ أتَـى النَّـاسَ بالبِـشْرِ
فـصَـدَّقَـهُ قـوْم لِصـدْق حَـديْـثـه وَعَانَـدَهُ قومٌ فـمَاتُوا عَـلى الخُـسْرِ
وَيَـا أُمَّـة الإسْـلام أُمَّـة أحْـمَـد قفُوا وَقفة الآسَاد فالكُفْرُ مُسْتَشْرِيْ
أيَسْخَرُ أهْلُ الكُفْرِ والظُّلْمِ وَالقَذَى بِـسيِّـدنَـا الْمُـخْتَـارِ يَـا أمَّـة الذِّكْـرِ
ألَـمْ تَعْـلَـمُـوا أنَّ احتـقَـارَ نَـبيِّـنَـا هُوَ الطَّعْنُ فِي التَّشْرِيْعِ فِي البَطن وَالظَّهْرِ
وَأيُّ حَيَـاة وَالـشَّـرِيْعَـةُ تُـرتَـمَـى بسَهْمٍ منَ التَشكيْك وَالهُزْء وَالسُّخْرِ
فسُدُّوا عَـلى الأعْدَاء بَابَ سَـفَاهَة وَبُشْـرَاكُمُ يَا قوْمُ بـالفوْز وَالنَّـصْرِ
وَصلُّوا عَلى طَهَ الْمُشَفَّعِ فِي الوَرَى وَآلٍ وَأصْحَابٍ شَفَى بَأسُهُمْ صَدْرِيْ

أَتَهْزَأُ يَا غُدَرُ بِالْمُصْطَفَى

د. عبدالرحمن بن عبدالرحمن شميلة الأهدل

أَيَا زُمْرَةَ الكُفْرِ جِيْلَ التُخَمْ ... وَرَمْزَ السَّفَاهَةِ رَمْزَ النِّقَمْ
أَلَمْ تَهْجَعُوا مِنْ عَدَاءِ الرَّسُوْلِ ... وَسُوْءِ التَّعَامُلِ مُنْذُ القِدَمْ
أَمَا آنَ لِلظُّلْمِ أَنْ يَنْتَهِيْ ... أَمَا آنَ لِلشَّرِّ أَنْ يُخْتَرَمْ
سَخِرْتُمْ بِشَخْصِ النَّبِيِّ الكَرِيْمِ ... وَأَضْرَمْتُمُ النَّارَ بَيْنَ الأُمَمْ
أَتَهْزَأُ يَا غُدْرُ بِالْمُصْطَفَى ... إِمَامُ النَّبِيِّيْنَ طَوْدٌ أَشَمْ
رَسُوْلٌ عَلَى خُلُقٍ نَيِّرٍ ... وَدِيْنٍ قَوِيْمٍ وَرَمْزِ الهِمَمْ
أَنَرْوِيْجُ أَسَّسْتِ مَوْقُوْتَةً ... بَنَيْتِ مِنَ الجَهْلِ أَعْتَى لُغَمْ
وَكُنْتِ عَنِ الشَّرِّ فِيْ مَعْزِلٍ ... لَبِسْتِ مِنَ السُّخْرِ ثَوْبَ التُّهَمْ
وَالدَّانَمَرْكِيُّ شَيْنُ الوَرَى ... تَعَدَّى الحُدُوْدَ بِرَسْمِ القَلَمْ
أَسَاءَ إِلَى المُصْطَفَى مُعْلِنًا ... رِضَاهُ وَأَوْغَلَ فِيْنَا الأَلَمْ
وَسَدَّدَ سَهْمًا إِلَى أُمَّةٍ ... تَحَلَّتْ بِنُوْرِ الهُدَى وَالقِيَمْ
وَمَوْجُ العُتَاةِ أَتَى مُعْلِنًا ... بِنَقْضِ العُهُوْدِ وَنَكْثِ القَسَمْ

* * *

أَيَا أُمَّةَ الدِّيْنِ مَا ذَا الوَنَى ... فَذُلُّ التَوَانِيْ بِنَا قَدْ أَلَمْ
شَبَابٌ تَرَبَّى عَلَى غَفْلَةٍ ... وَرَقْصٍ وَلَهْوٍ وَتَرْكِ القِيَمْ
تَرَبَّى عَلَى نَغْمَةِ الفَاتِنَاتِ ... فَأَيْنَ الإِبَاءُ وَأَيْنَ الشَّمَمْ

أَيَسْخَرُ مِنْ شَرْعِنَا زُمْرَةٌ ... قد اغْتَالَهَا سُوْءُ فِكْرٍ أَصَمْ
وَأنْتُمْ عَلى مَوْج بَحْرِ الْهَوَى ... فَأيْنَ العُهُوْدُ وَأيْنَ الدِّمَمْ
فتُوبُوا ففِي الدِّيْنِ عِزٌّ لكُمْ ... ونصرٌ وفخرٌ وفضلٌ وكَم

* * *

أيَا أُمَّةَ الدِّيْنِ مَاذَا أرَى ... دَيَاجِيْرَ ظُلْمٍ وَلَيْلاً أطَمْ
أرَى مَوْجَةَ الشَّرِّ قدْ آذَنَتْ ... بحَرْبٍ عَلى دِيْنِنَا الْمُحْتَرَمْ
أَرَى مَوْجَةَ الظُّلْمِ قدْ خَيَّمَتْ ... عَلى حَافَةِ الدِّيْنِ دِيْنِ القيَمْ
وَنَحْنُ عَلى جُرُفِ الْهَاوِيَات ... نُغَازِلُ بُرْكَانَ هَمٍّ وَغَمْ
أمَا آنَ لِلَّيْلِ أنْ يَنْجَلِيْ ... وَمَا آنَ لِلبَدْرِ يَبْدُوْ أتَمْ
أفِيْقُوا فَإنَّ الْعَدُوَّ اعْتَدَى ... عَلى سيِّدِ الْخَلْقِ مَاحِي الظُّلَمْ
رَسُوْلِ الْهُدَى وَالنَّبِيِّ الْكَرِيْمِ ... وَتَاجِ التُّقى وَالوَفَى وَالكَرَمْ
أفِيْقُوا فَإنَّ الْعَدُوَّ اعْتَدَى ... وَأضْرَمَ نَارًا وَفِي النَّار سُمْ
فَأعْطُوْهُ مِنْ دَرْسِكُمْ حِصَّةً ... لِتَهْوِيْ بِهِ فِيْ عَمِيْقِ النَّدَمْ
وَحُطُّوا عَنِ النَّفْسِ أوْزَارَهَا ... بِمَالٍ وَنَفْسٍ وَإلاَّ فَلَمْ

* * *

أيها المسلمون في كل قطر

د/ عبدالرحمن بن عبدالرحمن شميلة الأهدل

أطْبقَ اللَّيلُ واخْتَفَتْ أضواءُ ... وتَوالَى عَلَى النُّفُوسِ البَلاءُ
ودموعٌ هَمَتْ كأمطارِ مُزْنٍ ... واقشَعَرَّتْ بسيطةٌ وسَماءُ
وبحارٌ بمائها وجبالٌ ... راسياتٌ جثَى عليها الوَبَاءُ
وسحابٌ تَمُرُّ مَرَّ غَضُوبٍ ... ليس ماءٌ يزينها أوْ هَواءُ
نَعَمٌ تصطَلي برمضاءِ قحطٍ ... هي عَطْشَى وما هنالك ماءُ
وانظر الوردَ والزهورَ بروضٍ ... مسها الضرُّ واعتْراها الحَياءُ
شَجَرٌ مُذْبَلٌ ودَوحٌ تهاوَى ... وزروعٌ من الونى حدباءُ
ها هي الشمسُ في السماء اكْفَهَرَّتْ ... وانحنى البدرُ والتَوَتْ جَوْزَاءُ
كلُّ شبرٍ على البسيطة يشكو ... من أناس كما يقال غُثَاءُ
دينُها يُعْتَدَى عليه جهاراً ... ورسولٌ يَسُبُّهُ الجهلاءُ
كيف نَرْضي مَذِلَّةً وهوانًا ... كيف نرضى الخضوعَ أين الإباءُ
أيُّ نَصْرٍ ونحن في بئرِ لَهْوٍ ... أيُّ عِزٍّ وقد غزانا الريَاءُ
أي نصرٍ ومنتدانا المَخازي ... أيُّ نصر وثوبنا الكبرياءُ
أيها المسلمون في كل قُطْرٍ ... أيها الأتقياء والأولياءُ
سدِّدوا السَّهمَ فالعدوُّ تمادى ... لا تَذلوا فأنتمُ العَلْيَاءُ
أرشقوا بالنِّبالِ كل عُتُلٍّ ... حَرَبَه الصالحون والأنبياء
وَحِّدُوا صَفَّكُم بجدٍّ وَعَزْمٍ ... وانصروا اللَّه أيها الأوفِياء

قاطعوا المنتجات صُبُّوا عذابًا ... لا تلينوا أيها الكرماءُ
دانمركيٌّ ما رسمتَ لرُزْءٌ ... وخطوب وغارة شَعْوَاءُ
دانمركيٌّ نِلْتَ ذُلاً وخَسْفًا ... كلُّ عِرْضٍ لعرضِ طه فداءُ
سيدُ المرسلين خيرُ البرايا ... قائدُ الغُرِّ رحمةٌ وهداءُ
صَلِّ ربي على الرسول وآله ... وصحابٍ ما غردتَ وْرَقاءُ

طه إِمَام المرسلين

د. عبدالرحمن بن عبدالرحمن شميلة الأهدل

يَا دَانَمَرْكُ النَّازِيَهْ ... يَا بِئْرَ فُحْشٍ عَاتِيَهْ
يَا رَأسَ فِسْقٍ فِي الدنَّا ... يَا ذا القُلُوْبِ القَاسِيَهْ
خَطَّتْ يَدَاكَ جَرِيْمَةً ... أَوْدَتْ بِهَا فِي الهَاوِيَهْ
فَلِمَ السَّفَاهَةُ وَالخَنَا ... مَاذَا اسْتَفَدْتَ وَمَا هِيَهْ
نَارُ الْمَذَلَّة فَاصْطَلِيْ ... يَا دَانَمَرْكُ الوَاهِيَةْ
مِلْيَارُ قَلْبٍ أضْمَرُوا ... أنْ يَقْذِفُوْكَ بِدَاهِيَهْ
وَالخَسْفُ آتٍ يَا زَنِيْمُ ... فَلَمْ تَذُوْقِي عَافِيَهْ
جَاءَتْ شَرِيْعَةُ أَحْمَدَ ... مِنْ ذِي الجَلاَلِ إلهِيَهْ
فِيْهَا الهُدَى مُتَجَلِّيًا ... عَمَرَ القُلُوْبَ الخَاوِيَهْ
وَمَحَى دَيَاجِيْرَ الْهَوَى ... فَبَدَتْ عُقُوْلٌ صَافِيَهْ
طَه إمَامُ الْمُرْسَلِيْنَ ... فَيَا لِرُوْحٍ سَامِيَهْ
بَرٌّ رَحِيْمٌ سَيِّدٌ ... رُوْحِي فِدَاهُ وَمَالِيَهْ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ مَا ... سَمِعَ الْمُصَلِّيْ الْوَافِيَهْ
وَالآلِ وَالصَّحْبِ الكِرَامِ ... هُمُ النُّجُوْمُ العَالِيَهْ

فداه دمي وصاغيتي

د/ فهد بن عبدالرحمن اليحيى

عُدمنا الشعرَ والنَّثْرَا
إذا لم يَسْتَحِلْ جَمْرَا
على مَن سَبَّ خيرَ الخلقِ
أو آذاهُ أو أَزْرَى
عُدمنا الشعرَ والنثْرا
إذا لم ننتفِضْ نَصْرَا
لسيِّدنا وأُسوتنا.. وقائدنا وقدوتنَا
لذي الوحي الذي يُتلى وذي المعراجِ والإِسْرَا
فلو سبُّوا لنا رَمْزًا
فهل نَرضَى لهم عُذْرا؟!
وهل نُصغِي لهم قَوْلاً؟!
وهل نَقْضِي لهم أمرًا؟!
فعِرضُ المصطفى أوْلَى
وحقُّ المصطفى أحرى
إذا «سَاميَّة» نِيلتْ
رأيتَ لقومها زأْرَا
وكم قُطعت علاقاتٌ

وكم هُجرت سفاراتٌ

إذا خُدشَتْ كراماتٌ

فعِرضُ المصطفى أغْلَى

وفضلُ المصطفى أَحْرَى

وبعضُ حجارة هُدمتْ

فإذْ بوفودهم هَرَعتْ

وإذ بحُروفهم نطقتْ

فعِرضُ المصطفى أولى من الحَجَرِ

وأغلى من كنوزِ الأرض والألماسِ والدُّرَرِ

ورُبَّ هوامش الكلمات

سِيق لأجلها القواتُ والآلاتُ

واكتظت بها الساحاتُ

فألقت بعدها الجرحى

وجُندِل تحتها القتلى

وسُلسل عندها الأسرى

أليسَ المصطفى أولى؟!

ونصرُ المصطفى أحرى؟!

وذو عهدٍ إذا سَبَّ الرسولَ فعهدُه يَعرى

كذا في كل كتب الفقه والتوحيد لو تقرا

فداه أبي ووالدتي

فداه دَمِي وصاغِيتي

فضائلُه كمِثلِ النهر مثلِ البحر إذ زَخَرا

له في الفضلِ غايتُهُ

وفي الإيمان ذُروتُهُ

ولو قرؤوا شمائلهُ

لظلوا دهرَهمُ حَيَرَى

ولو نظروا لطَلْعتِه

لظنوا الشمسَ والقمرَا

ولو ظفِروا ببسمته

لطارت من كوامِنها

قلوبٌ تعشَقُ الفَجْرَا

ولو نَعِموا بمجلسه

أو اجتازوا بمسجدِه

فأسمعهم حديثًا من صنوفِ العلم أو ذِكْرَا

لَغنَّت من بلاغته مسامعُهم

وحارت من عجائبه مداركُهم

وسافرتِ القلوبُ له

كما لو عُولجت سِحرا

ولو نظروا لمركبه
وكل الناس تتبعُهُ..
.. رئيس الدولة الأعلى..
سيبهرهم تواضُعُهُ
فيومَ الفتح يومَ النصر يومًا العز للإسلامِ..
كان المصطفى ذُلاًّ لخالقه قد انكَسَرَا
وطأطأ رأسَه للَّه..
وبين يديه مَن والاه..
فنادى كلَّ من عاداه..
قوموا أنتم الطلقاء
لا أُبقي لكم وِزْرَا
فلم ينهبْ لهم «نفطًا» ولا مالاً ولا جَمَلاَ
ولم يَهدِمْ لهم دارًا ولم يقتل لهم طفلاَ
سحائبُ رحمةٍ سَخَّاء
فاضت في العِدى عَدْلاَ
فيا لَلَّهِ قد أضحت حروبُ المصطفى بُشْرَى!
يُدير شؤونَ دولته
وينظرُ في رعيته
ويبني شرعَ أُمته

وفي كلِّ الذي عاناه أو أدَّاه

تعجَّبْ من بساطته

فسبحان الذي أعطاه

يقضي الأمرَ باليُسرى

حريصٌ في هدايتنا

شفيقٌ من مشقتنا

ويومُ الحشرِ يومُ النشرِ يومُ الساعةِ الكبرى

ترى كلَّ الورى فزِعوا

ومِن كُرُباته هرَعوا

لعل الأنبيَا شفَعوا..

ولكن خَصَّه الرحمن

يشفعُ في الوَرَى طُرًّا

وخصَّ المؤمنين به

بحوضٍ يَستقي الظمآنُ منه فيتَّقي الحَرَّا

فضائلُه كآيات

له في صِدقه تُتْلَى

وكلُّ فضائل العلماء والعُبَّاد والزهادِ والقُوَّاد.. فهي بفضله تُجْرَى

فمِن آياته الصدِّيقُ

قد عجزوا له قدرا

ولو جَمعوا له الأحبارَ والرهبانْ..

منذ غوابرِ الأزمانْ

لما رَجَحوا به الميزانْ

وما سبَقوه في الإيمانْ

ومن آياته الفاروقُ

مَن ذلَّت له كسرى

وسَلَّمه هرقلُ الشامَ

لا يَعصي له أمرا

وإذ بالمسجد الأقصى

يدعو - وحده - عُمَرا:

تعال خليفةَ الإسلام

ارفعْ رايةَ الإسلام

بكلٍّ عدالةِ الإسلام

فجاء القائدُ الأعلى

لأقوى دولة عظمى

فيركبُ ناقةً حينًا

ويمشي جَنبَها حينًا

يخوضُ الطينَ.. والأقوامُ قد عجِبوا له أمرَا

ليكتبَ في طريق الفتح

قصةَ عِزَّة غرّاً
بأن العزَّ بالإسلام
ليس ببهرجِ الكلماتِ والأنغامِ
ولا بمظاهرِ النَّعْماء والإنعامِ
سلِ الأحبارَ ما الأخبارِ
حين تربَّع الإسلامُ
عرشَ المقدسِ المَسْرَى
فمن قد علَّم الفاروقَ..
مَن قد خرَّج الفاروقَ..
غيرُ محمدٍ إذ أثمرت آثارُه أثرَا
كذا عثمانُ ذو النورين كان لأحمدٍ صِهرا
وكان حياؤه منهُ
وكان شبيهَهُ طُهْرَا
كذا الليثُ الشجاع الفذ
يَفري خصمَه نَحْرا
عليٌّ صِهره الثاني
وزوجُ عظيمةِ الشانِ
تربَّى من شجاعتهِ
وجُرأته ونجدتهِ

وذاك وجيزُ سيرته
ويبقى كنزُها ذُخْرَا
لقد رسمت صحابتُهُ
كأنقى لوحة فَخْرَا
وقامت دولةُ الإسلام
أعدلَ أمةٍ دَهْرَا
فسَلْ أعداءَ ملَّته
أمَا شهِدوا بحكمته؟
أما نطقوا بحِنكته؟
أما وَقَفوا بكلِّ مظهرِ الإعزاز؟
حين رأَوا معاني الصدقِ والإعجاز؟
فآمن بعضُهم سراًّ
وآمنَ بعضُهم جهراَ
وأذعَن آخَرونَ لهُ
كمِثلِ هرقلَ صدَّقه
وكان بنعتِه أَدْرَى

* * *

سألتك يا إلهَ الحق يا مَن أنزل الذِّكْرَا
وأرسل رحمةً للناس أحمدَ يحملُ النورا

أذقْ قومًا به سخروا

عذابًا فيه مُزدَجَرُ

ليبقى ذكرُه ذِكْرى من اعتبرا

* * *

معاني الحبِّ قد سُكِبتْ

لخير الخلق قد سُبِكتْ

قلائدَ من وفاءٍ

للذي أهدى لنا الخيرا

وحبُّ رسولنا مِن حُبِّ

خالقنا ورازقنا

وحبُّ اللَّه غايتُنا

وحبُّ اللَّه مقصدُنا

بحبِّ اللَّه يحيا القلبُ

في الدنيا وفي الأخرى

فألحقْنا إلهي أنت ذو الإكرام والمِنَنِ

جوارَ المصطفى في روضةِ الجنات والفَنَنِ

توسَّلْنا إليك بحُبِّه فارفعْ لنا قَدْرا

صلاةُ اللَّه نبعثُها

سلامُ اللَّه يتبعُها

على خيرِ الورى..
والنفس.. من ذكراه
لم تبلغ لها وَطَرا..[1] .

***

إمام المرسلين فداك روحي..

رَدًّا عن عرض رسول اللَّه ﷺ وقيامًا ببعض حقه..

صالح بن علي العمري - الظهران

إمامَ المُرسلينَ فداكَ رُوحي ... وأرواحُ الأئمةِ والدُّعاةِ
رسولَ العالمينَ فداكَ عرضي ... وأعراضُ الأحبةِ والتُقاةِ
ويا عَلَم الهدى يفديك عمري ... ومالي.. يا نبيَّ المَكْرُمَاتِ!!
ويا تاج التُّقى تفديك نفسي ... ونفسُ أولي الرئاسةِ والوُلاَةَ
فداكَ الكونُ يا عَطرَ السَّجَايا ... فما للنَّاسِ دونك من زكاة..
فأنتَ قَدَاسةٌ إمَّا استُحِلَّتْ ... فذاكَ الموتُ من قبل الممات!!
ولو جحد البريَّةُ منك قَوْلاً ... لكُبُّوا في الجحيمِ مع العُصاةِ
وعرضُك عرضُنا ورُؤاك فينا ... بمنزلةِ الشهادة والصَلاةِ
رُفِعْتَ منازلاً.. وشُرِحت صَدْرًا ... ودينُكَ ظاهرٌ رغمَ العُداةِ

---

(١) ١٤٢٦/١٢/٢٥.

وذكـرُكَ يـا رسـولَ الـلَّـهِ زادٌ تُـضـاءُ بـه أسَاريـرُ الحَـيَـاة
وغـرسُك مُـثمرٌ فـي كـلِّ صقعٍ وهَـديُكَ مُشـرِقٌ فـي كـلِّ ذاتِ
مَـا لـجـنـانِ عَـدنٍ من طـريـقٍ بـغـيرِ هُـداكَ يـا عـلـمَ الـهُداةِ
وأعـلى الـلَّـهُ شأنَـكَ فـي البَرَايـا وتـلكَ الـيومَ أجْلَى المُعجـزاتِ
وفـي الإسـراءِ والمعـراجِ مـعـنـى لـقـدركَ فـي عَـنـاقِ المكـرمـاتِ
ولـمْ تـنـطقْ عـنِ الأهـواء يـومًـا ورُوحُ القـدسِ منكَ علـى صلاتِ
بُعـثتَ إلـى المَلا بـرًّا ونُـعـمـى ورُحـمـى.. يـا نبيَّ المَرْحَـمَـاتِ
رَفَـعْـتَ عـن الـبـريَّـةِ كـلَّ إصْـرٍ وأنـتَ لـدائـهـا آسي الأسـاةِ
تمنَّـى الـدهـرُ قبـلـك طـيفَ نـورٍ فـكـان ضيـاكَ أغـلـى الأمْنيـاتِ
يـتـيـمٌ أنـقـذَ الـدُّنـيـا.. فـقـيرٌ أفـاضَ عـلى الـبريّـةِ بـالهِبَاتِ
طـريـدٌ أَمَّـنَ الـدنـيـا.. فـشـادت عـلـى بُـنيـانـهِ أيـدي الـبُـنَـاةِ
رحـيـمٌ بـالـيـتـيـمـة والأُسـارى رفـيـقٌ بـالجـهـول وبـالجُـنَـاةِ
كـريمٌ كـالـسـحـابِ إذا أَهَـلَّـتْ شـجـاعٌ هَـدَّ أَرْكـانَ الـبُـغَـاةِ
بـلـيـغٌ عـلَّـم الـدنـيـا بِـوحْـيٍ ولـم يـقـرأ بـلـوحٍ أو دَواةِ
حكـيمٌ.. جاءَ بـاليُسْرى.. شَفـيقٌ فـلانـتْ منـهُ أفـئـدةُ الـقُـسـاةِ
فمنكَ شـريعتي.. وسكونُ نـفسي ومـنـكَ هُـوِيَّـتي.. وسـموُّ ذاتـي
ولـي فـيـكَ اهـتـداءٌ واقـتـفـاءٌ لأخـلاق الـعُـلا والمَـكْـرُمَـاتِ
وفيـك هدايتـي.. وشفـاء صدري بعـلـمكَ أو بحلـمكَ والأنـاةِ
ومنـك شفـاعتـي في يـومِ عَرْضٍ ومـن كَـفَّـيْـكَ إرواءُ الظُّـمـاةِ
ومنـكَ دعاءُ إمسـائي وصحـوي وإقـبـالي وغـمـضـي والـتفـاتـي

رسولَ اللَّه قد أسبلتُ دَمْعي ... ونَزَّ القلبُ من لَجَجِ البُغَاة
فهذي أُمَّةُ الإسلام ضَجَّتْ ... وقد تُجبى المُنى بالنائبات!!
هوانُ السيف من هُونِ المُباري ... ولينُ الرمحِ من لينِ القناة
وقد تَشْفى الجسومُ على الرزايا ... ويعلو الدينُ من كَيد الوشاة!!
وفي هزِّ اللواءِ رؤى اتحاد ... ولمُّ الشملِ من بعد الشتات!!
وقد تصحو القلوبُ إذا استُفِزَّتْ ... ولفحُ النَّارِ يوقظُ من سُبَات!!
ألا بُترتْ روافدُ كلِّ فظٍّ ... تمرَّغَ في وحول السيئات
ألا أبْلِغْ بَني عِلمان عنِّي ... وقد عُدَّ العميلُ من الجُنَّاة!!
أراكمْ تَرْقُصون على أسَانا ... وتَسْتَحْلون مَيْلَ الغانيات!!
وإنْ مَسَّ العدوَ مَسيسُ قُرْحٍ ... رفعتمْ بيننا صوتَ النُّعاة!!
وإنْ عَبستْ لكم «ليزا»[1] خَنَعْتمْ ... خُنوعَ المُوفضينَ إلى مَناة!!
إن ما هَاجتْ الشبُهاتُ خُضْتمْ ... بألسنةٍ شِحاحٍ فاجرات!!
«حوارُ الآخرِ» استشرى فذُبُّوا ... عن المعصوم ألسنةَ الجُفاة!!
وصوت «الآخرِ» استعلى فردُّوا ... عن الهادي سِهامَ الإفتئات
رميتمْ بالغُلوِّ دُعاةَ ديني ... فهل من حُجَّة نحو الغُلاة؟!!
أكُرَّارٌ على قومي كُماةٌ ... وفي عينِ المصيبة كالبَنَات؟!!
ومن يرجو بني علمان عونًا ... كراجي الروحِ في الجسد الرُّفات!!
رسولَ الحُبِّ في ذكراك قُربى ... وتحتَ لواكَ أطواقُ النَّجاة

(١) ليزا: كوندليزا رايز.

عـلـيـك صـلاةُ ربِّـكَ مـا تجـلَّـى ضـيـاءٌ.. واعـتـلـى صوت الـهُـداةِ
يَحـــارُ اللفظُ في نَجْواكَ عَـجْــزًا وفي الـقلب اتـقـــادُ المُوريـــاتِ
ولـو سُفِـكـتْ دِمَانا ما قَـضَـيْـنـا وفـاءك والحـقـوقَ الواجـبـــاتِ

يا رسول اللَّه عذرًا

لمحمد محمود أحمد

يـا رسـولَ الـلَّـه عُـذْرًا قـالـت الدانمـارك كُـفْـرًا
قـد أسـاؤوا حـين زادوا في رصـيد الكـفر فُـجْرًا
حـاكـها الأوبـاشُ لَـيْـلاً واستحـلوا القَدْح جَـهْرًا
حـاولـوا الـنَّيْـل ولَـكِـنْ قـدْ جَـنَـوْا ذُلاً وخُـسْـرًا
كـيـف للـنـمـلة تـرجـو أَنْ تـطولَ الـنـجمَ قـدرًا
هل يَعـيبُ الطُّهْـرَ قذفٌ ممـن اسـتُـرْضِـع خَـمْـرًا
دولـة نـصـفـهـا شـاذٌّ ولـقــيـطٌ جـاء عُــهْـرًا
آه لـو عَــرَفـوك حـقًّــا لاسـتهـاموا فـيك دَهْـرًا
سِـيـرةُ المخـتـار نـورٌ كيـف لو يَـدْرُون سطـرًا
لـو دَرَوا مَـن أنتَ يـومًـا لاسـتزادوا مـنـك غَمـرًا
قـطـرةٌ مـنــك فـيُـوضٌ تـسـتـحقُ الـعمـرَ شُكْـرًا
يـا رسـول اللَّـه نـحـري دون نحرك.. أنتَ أَحْرَى
أنـتَ في الأضـلاعِ حـيٌّ لـم تمتْ والـنـاسُ تترَى
حـبُّـك الوردي يـسـري في حـنايـا الـنـفس نَـهْرًا

أنت لم تحتجْ دفاعي | أنت فوقَ الناس ذِكْرا
سيدٌ للمرسلينا | رحمةٌ جاءتْ وبشرى
قدوةٌ للعالمينا | لو خَبَتْ لم نَجْنِ خيرا
يا رسول اللَّه عذرًا | قومنا للصمت أسرى
نَدَّدَ المغوارُ منهم | وسَوادُ الناس سكرى
أي شيءٍ قد دهاهم | ما لهم يَحْنُون ظَهْرًا
لم يَعُدْ للصمت معنًى | قد رأيتُ الصمتَ وِزْرا
مَلَّتِ الأسيافُ غِمدًا | ترتجي الآسادُ ثأرًا
إن حَيِينا بهَوان | كان جوف الأرض خَيْرًا
يؤلم الأحرار سبٌّ | لرسول اللَّه ظُهْرًا
ويزيد الجرح أنَّا | نكسب الآلامَ شَعْرًا
فمتى نقذف نارًا | تَدْحَرُ الأوغادَ دَحْرًا
يا جموعَ الكفر مهلاً | إن بعد العُسْر يُسْرًا
يا نبيّ اللَّه عُذرًا | فلك الفضلُ وأكثرْ

* * *

يا نبيَّ اللَّه عُذرًا | فبك العلياء تفخرْ
يا رسول اللَّه عذرًا | فلك الفضلُ وأكثَرْ
يا نبيَّ اللَّه عذرًا | فبك العلياء تفخَرْ
إن نقضنا اليوم عهَدكْ | فلنا الخزيُ وأحقَرْ

فـي سبيل الـلَّه نمضـي إن جُـنـد الـلَّــه أصْبَـر
فـي سبـيل الـلَّه نـسعـى لا نـحــيـدُ ولا نُــؤخَّـر
إن عـهــد الـلَّـه أبـقـى وحــدودُ الـلَّــهِ أكَـبْـر
بـتُّ في الحـزن سهـادي وأُذيـنُ الــقـلــب يـزأرْ
قـد مـنـحـتـم لـلـبـرايـا رحـمـةٌ بـالهَـدْي تُـؤثـر
ولـسـانـا جـامـعًـا لـلــ خيـر كـالـلـؤلـؤ يُـنـثـر
وأزاهــيـرًا مــن الـنــو ر وريْـحــانًـا مُــعَـطَّــرْ
وطـريـقًـا لـلـخـلاص إن وعـاهـا الحُرُّ يـظـفَـرْ
وعــهــودًا مــن سـلامٍ عـاجـلِ الخـيـرِ مُـيـسَّـر
وتـواضـعـت فـكُـنـتَ أسـوةٌ تُـحـكَى وتُـعْـبَـر
وتـلـقَّـيْتَ قـلـوبًـا صـا ديـةً بـالـكـفـرِ تَـجـهـرْ
تُـضمـرُ الحـقـد وتعـدو في ابـتغاء الظـلـم تَسْمَر
فـغـدت في الحـق نـورًا في الـتـماس الخير تـسهر
وتحـمَّــلَـت خـطـوبًـا يهوِي لـهـا الصـخر يُـقْهَر
وأبــيْــتَ أن تــكــون داعـيًـا بـالـشـرِّ يُـنـصَـر
فـحــبـاك الــلَّـهُ ذكـرًا في الورى أنـدى وأعطرْ
صِرْت في العَلـيَا سِرَاجًا إن نــور الـلَّــه أَنْـضَـر
كـيف يـأتي الـيـومَ عبـدٌ جـاهـلٌ لا ليـس يُـذْكَـر
يـدَّعـي من فَـرطِ جـهـلٍ أن شـمسَ الـلَّـه تُـخفَـرْ

يبتغي بالبغي مُلكًا زائلاً كالجمر يُسعَر
إنْ أُقيم الوزنُ يو م الدِّين يَخْسَر
كيف يزعُم أنَّ نور الهدي وَهْمٌ أَنَّ عَهد اللَّه أصغرْ
يدَّعي السوءَ بسُكرٍ من نبي اللَّه يسخر؟!

* * *

لا يَضُرُّ القَمَرَ نُبَاحُ الكلاَب!

قصيدة بمناسبةِ سُخْريةِ (الدنمرك) الصليبيةِ بنبيًّا الكريم (محمد) ﷺ، وما حصلَ بعد ذلك مِن مقاطعةِ المسلمين لبضائعها.

لعبدالكريم بن صالح الحميد

نـعَـالُ نَـبِـيِّـنَـا ـ وَالـلَّـه ـ أَغْـلَـى ... مِـنَ الـكُـفَّـار طُـراًّ[1] أجْـمَـعِـينَـا
وَمَا ضَـرَّ الْـمُـنِـيـرَ[2] نُـبَاحُ كَـلْـبٍ ... وَلَـوْ كُـلُّ الـكِـلاَبِ يُـنـابِـحُـونـا
أَيَـا عُـمْـيَ الـبَـصَائِـرِ لَـوْ عَـرَفْـتُـمْ ... نَـبِـيَّ الـلَّـه مَـعْـرِفَـةً يَـقـيـنَـا
عَـلِـمْـتُـمْ أَنَّـكُـمْ صُـمٌّ وبُـكْـمٌ ... لِــ (إبـلـيـسَ) الـلَّـعـينِ مُـوكَّـلـينَـا
دَعَـاكُـمْ فـاسْـتَـبَـحْـتـم دُونَ خَـوْفٍ ... مِـنَ الْـجَـبَّـارِ رَبِّ الـعَـالَـمِـينَـا
تَـطَـاوَلْـتُـمْ بِـشَـرِّكُـمُـو عَـلَـيْـنـاً ... ألاَ قُـبْـحًـا لَـكُـمْ يَـا مُـجْـرِمُـونَـا
أَخَـيْرَ الْـخَـلْـقِ يَـسْـخَـرُ فِـيـه عِـلْـجٌ ... وَهَـلْ يَدْرِي الـعُـلُـوجُ السَّـاخِرُونـا
بِـأَنَّ نَـبِـيَّـنَـا لا الـبَـدْرُ يَـزْهُـو ... عَـلَـيْـه بِـحُـسْـنه لَـوْ يَـعْـلَـمُـونـا[3]
وَحُـسْـنُ الـشَّـمْـسِ مُـنْـكَـسِـفٌ إِذَا مَا ... يُـضَـاهِـي حُـسْـنَ سَـيِّـدِنـا الأَمِـينَـا[4]

(١) طرًّا: كلهم.

(٢) المنير: القمر.

(٣) وقد وصفه البراء بن عازب رضي الله عنه كما في «صحيح البخاري» (رقم ٣٣٥٩) ـ بأنه (مثل القمر).

(٤) وقد وصفه جابر بن سمرة رضي الله عنه كما في «صحيح مسلم» (رقم ٢٣٤٤) ـ بأنه (مثل الشمس والقمر)؛ ووصفته الرُّبيِّع بنتُ مُعوذٍ رضي الله عنها بقولها لأبي عبيدة بن محمد بن عمار ابن ياسر حينما سألها عن صفة نبينا الكريم محمد ﷺ: «يا بُني.. لو رأيته رأيت الشمس طالعة!».. رواه الدارمي في «سننه» برقم (٦٠)، والطبراني في «الكبير» (٦٩٦)، =

أَبَى الرحـمـنُ أنْ يُعطِـي كَفُـوراً ... مُـعَـاد ربِّـهُ عَـقْـلاً رَزِيـنَـا
عـواقبُ مكْـركـمْ أيقـظتُـمونـا ... عَـواقـبُ كَـيْـدكـمْ نَـبَّـهْـتـمُـونـا
عَـلِـمْـنـا أنَّـنَا فـيكُـمْ خُـدعـنا ... فَـبَـهْـرَجُـكُـمْ يَـغُـرُّ الـنَّـاظـريـنا
وَمَـا دنـيـاكُـمـو إلاَّ غُـرُوراً ... ومَـا دُنـيَـاكُـمـو إلاَّ فُـتُـونـا
وَمَا عَـجبي مِنَ الكفارِ منْ هُـمْ ... سوَى الأنعَـامِ بَلْ بالـنَّص دُونا[1]
ولـكنِّي عَـجِبتُ لِجَـهْـلَ قَوْمي ... وكَيـفَ رَضُوا بِـذُلِّ التَّابعـيـنـا
وسَارُوا خَـلْـفَ أعـجَامٍ طَـغَـامٍ ... فَصَـارُوا تحتهُـمْ فِي الأرْذَلـيـنَـا
عـقـوبـاتٌ مِـنَ الـدَّيَّـانِ لَـمَّـا ... تَخَـلَّيْـنـا عَنِ الْمَبْعُـوث فيـنَـا
ولَـمْ نـرفـعْ بِـه رأسًـا عَـلـيًّـا ... ولَـمْ نَـفخَـرْ بِـه فِـي الـعَـالَمِـيـنَـا
ولَـمْ نجْـعَـلْـهُ قدوتَـنَـا ونَـمْـضِي ... عَـلَى آثَـارِه صِـدْقًا يَـقِـيـنَـا
نُـجَـاهِـدُ كَـافِـراً مِـنْ أَجْـلِ دِيـنٍ ... ولَـيْسَ سِـوَاهُ عِـنْدَ اللَّـه دِيـنَـا
ومَـا صِـدْقُ التـديُّـنِ بـالـتَّـسَـمِّي ... مُـخَـادَعَـةٌ تغُـرُّ الجَـاهِلـيـنَـا

= و«الأوسط» (٤٤٥٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» برقم (١٤٢٠) وغيرهم، وهذا بعض ما وصفته به أم معبد الخزاعية لَمَّا مرَّ ﷺ بخيمتها في هجرته إلىٰ المدينة بأنه: «ظاهر الوضاءة، مليح الوجه، حَسَنَ الخَلْق، وسيم، قسيم، أكحل، حلو المنطق، إذا صمت علاه الوقار، وإن تكلم علاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنه وأحلاه من قريب». . أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (برقم ٣٦٠٥)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» برقم (٣٤٨٥)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» برقم (١٤٣٧)، والحاكم في «مستدركه» برقم (٤٢٧٤). . وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد لم يخرِّجاه».

(١) كما في قوله تبارك وتعالىٰ: ﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الفرقان: ٤٤].

وَمَا صِدْقُ التدَيُّنِ بِالدَّعَاوِي إذا كُنَّا غُوَاةً مُذْنِبِينَا
فَقَدْنَا العِزَّ والشَّرَفَ المُعَلَّى لأَنَّا لِلعُلُوجِ مُشَابِهِينَا
ضُرِبْنَا بِالْمَذلَّة حُكْمُ عَدْلٍ لأنا للعَدُوِّ مُعَظِّمِينَا
عِبَادَ اللَّه!.. قَدْ صِرْنا بِحَالٍ ـ وَأَيْمُ اللَّه ـ سَرَّتْ شَامِتِينَا
أيكفي أنْ نقاطِعَ أكْلَ قومٍ وَنحنُ بِحَبلِهِمْ مَتَواصِلينا
أيكفي أنْ نقاطع شُرْبَ قومٍ وَنحنُ بِهَدْيِهِمْ مُسْتَمْسِكِينا
لِسانُ العِلْجِ[1] فَخْرٌ أيُّ فخرٍ رَطَانَتُهُ مَطَالِبَ طَالِبِينَا!
عُلُومُ العِلْجِ يَشْرُف متقنوها عَلَيهَا العُرْبُ طُرًّا عَاكِفُونا!
وَمَا عِلْمُ الصَّحابَةِ غَيرَ وَحْيٍ بِه كَانَ الأشَاوسُ مُكْتَفُونَا
به كانَ الصحابةُ خَيْرَ قَرْنٍ وَخَيْرَ النَّاسِ بَعدَ المُرسَلِينا
فَمَا طَلَبُوا بِهِ دُنيًا وإلاَّ لَكَانُوا فِي النَّوَايَا سَافِلِينا
وَمَا طَلَبُوا بِهِ جَاهًا وَمَدحًا لِذَا صَارُوا هُدَاةً مُهْتَدِينَا
عِبَادَ اللَّه!.. فِينَا مُوبِقَاتٌ فَتوبُوا قَبْلَ مَا لاَ تَحْمَدونا
فَلَوْ تُبْنَا إلَى الرَّحْمَنِ مِنْهَا وَسِرْنَا حَذْوَ دَرْبِ الصَّادقِينَا
وَجَدْنا مَا فَقَدْنَا مِن رَشَادٍ وَصِرْنَا بَعْدَ غَيٍّ رَاشِدِينَا
كِتَابُ اللَّه يَحكُمُ كُلَّ أمْرٍ لِنُنْزِلَ كَافِرًا فِي الأسْفَلِينَا
نِعَالُ نَبِيِّنَا ـ واللَّه ـ أبهى وَأجْمَلُ مِنْ وُجُوه الكَافِرِينَا
وَيُسْخَرُ بِالرَّسُولِ ودِينِ رَبِّي وَغَيْرتُنَا نَكُونُ مُقَاطِعِينَا

---

(١) لسان العلج، أي: لغته.

مُقَاطَعَةُ الكَفُورِ بَداءُ خيرٍ ... ولَكِنْ لَيْسَ تكْفِي الْمُؤمنينا
فَأينَ الصِّدْقُ.. أينَ الخَيْرُ فينَا ... لنَحْمي دينَنا منْ شَانئينَا؟!
عَظِيمٌ سَبُّ أَحْمَدَ عنْدَ رَبِّي ... وَحَدُّ السَّبِّ قَتْلٌ لاَ يَهُونا(١)
فَكَمْ فعلَ الطُّغَاةُ بِنَا فعَالاً ... يَنُوءُ بحَمْلِهَا طُورٌ بسينا
أَلَيْسَ يُمزِّقُ القُرآنَ رِجْسٌ ... منَ الكُفَّار صَارُوا حَانقينَا..
.. عَلَى دينٍ بفُرْقَانٍ أَتَانَا ... يُمَيِّزُ مُؤمنًا من كَافرينَا
كَلاَمُ اللَّه يُلْقَى في الْمَجَارِي ... مَعَ الأقْذَار فعْلُ الْمُجْرِمينَا!
وَمَهْمَا يَفْعَلُ الأعداءُ فيه ... فَسَوفَ يَظَلُّ مُحْتَرمًا مَصُونَا!
ألاَ تبًّا لمَن يُلقِي ودَادًا ... لأعداء الإلَه الْمُلْحدينَا
يُوَالِي مَن يُعَادي دينَ رَبِّي ... ألاَ بُعدًا لقَومٍ أرْذَلينَا
عبَادَ اللَّه!.. عَوْدًا تَحْمَدُوهُ ... إلَى هَدْي الرَّسُول مُتَابعينَا
نُعَظِّمُ دِينَهُ أمْرًا ونَهْيًا ... بصدق واتِّبَاعٍ مُخْلصينَا
نُقيمُ حُدُودَهُ نَخشَى عَذَابًا ... يَجِيءُ بلَيْلنَا أوْ مُصْبحينَا
فَفي هَذا نُدَافعُ سُخْطَ رَبِّي ... وَفيه لدينِنَا نَصرٌ مُبينَا
مُقَاطَعَةُ الكَفُورِ بشَرْعِ رَبي ... بَرَاءَةُ مُسْلِمٍ منْ كَافرينا
عَدَاوَتُهُمْ مَدَى الأزمانِ حَتَّى ... يَدينُوا للإلَه مُذَلَّلينَا

---

(١) انظر ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه اللَّه - في كتابه النفيس الشهير «الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ» وما ذكره من الأدلة وإجماع العلماء بأن مَن سَبَّ الرسول ﷺ فإنه يُقتل من غير استتابة.

خَلِيلُ اللَّهِ لَمْ يَرْضَ سِوَاهَا ... كَذَاكَ خَلِيلُ رَبِّ العَالَمِينَا(١)
كَفَرْنَا بِالكُفُورِ وَقَدْ بَرِئْنَا ... إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَا
وَنَهْجُرُ سُنَّةً هُمْ سَالِكُوهَا ... وَنُحْيِي سُنَّةَ الْمَبْعُوثِ فِينَا
فَمَا دِينٌ سِوَى الإِسْلاَمَ إِلاَّ ... يَدِينُ ذَوُوهُ (إِبْلِيسَ) اللَّعِينَا
وَمَا الإِسْلاَمُ اسْمٌ وانْتِسَابٌ ... بِلاَ عَمَلٍ نَكُونُ مُحَقِّقِينَا
تَذَكَّرْ غَزْوَتَيْ (أُحُدٍ)(٢) وَ(بَدْرٍ)(٣) ... عِتَابُ اللَّهِ نَالَ الْمُؤْمِنِينَا
تَذَكَّرْ خَوْفَ (فَارُوقٍ) وَمَاذَا ... تَخَوَّفَهُ وَنَحْنُ الآمِنُونَا!(٤)
فَوَاغَوْثَا.. أَنَأْمَنُ بَعْدَ هَذَا؟! ... وَنَحْنُ عَنِ الْهُدَاةِ مُبَاعِدُونَا
فَيَارَبَّاهُ، يَا مَنْ لاَ يُضَاهَى ... وَلاَ مِثْلٌ لَهُ فِي العَالَمِينَا
سَأَلْنَاكَ انْتِصَارًا عَنْ قَرِيبٍ ... لِدِينِكَ رَبَّنَا نَصْرًا مُبِينَا
وَصَلَّى اللَّهُ رَبِّي مَعْ سَلاَمٍ ... عَلَى خَيْرِ البَرِيَّةِ أَجْمَعِينَا

---

(١) الخليل في الشطر الأول هو النبي الكريم «إبراهيم»، وفي الشطر الثاني هو النبي الكريم «محمد» ﷺ والذي بينه وبين أبيه إبراهيم ﷺ وبين الكفار - ولا يرضون سواه - هو تحقيق قوله تعالى: ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

(٢) وذلك في إدالة المشركين على المسلمين لمخالفة الرُّماة.

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨]، وذلك في شأن الأسرى يوم بدر، والحديث أخرجه بتمامه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٠٨)، وإسناده صحيح.

(٤) عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: «دُعي (أمير المؤمنين) الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ لجنازة، فخرج فيها أو يريدها، فتعلقت به فقلت: «اجلس يا أمير المؤمنين؛ فإنه من أولئك - يعني المنافقين»، فقال: «نشدتك بالله.. أنا منهم؟!»، قال: «لا، ولا أبرئ =

حُبيِّ لأحمد

لسالم مبارك الفلق

حبي لأحمد، لو حبيبُكَ في خَطَرْ ... يدعو لنصرته فسارعْ للخَطَرْ
عِرضي ووالدتي ونفسي كلُّنا ... نفديك بالأرواح يا خيرَ البشر
يا خيرَ من وَطئت برجليْه الثرى ... يا صاحبَ النهر المكوثر والسِّيَرْ
حنَّت لك الأحجار والغيثُ انهمَرْ ... سارْت لك الأشجارُ وانشقَّ القمرْ
دربٌ مشى فيها خبيبٌ راضيًا ... ومعوِّذٌ ومعاذٌ والحامي عمر
أَتُسَرُّ أنك قد نَجَوتَ من الأذى ... ومحمدٌ في ذا المكان على الأثر
كلا ولا أرضى يُشاك بشوكة ... وأنا أُصَفَّد في القيُودِ وفي الضرر
انظر إلى أَسَدِ الرسول وعمِّه ... من شاء كان الشِّبل من ذاك الذَّكَر
في هجرةِ المختارِ قلتُ قصيدتي ... لكنها جاءت على غير الوَطَرْ
قامت قيامةُ معشرٍ لَّما رَأَوْا ... نورَ الإلهِ يسيرُ في بحرٍ وبَر
وَتشُنُ غارتِ دويلةٌ كافرٍ ... قد غَرَّها الصمتُ الذليلُ إذا انتشَر
نطقت مربِّيَة المواشي والبَقر ... نطقت رُوَيْبِضةُ النَّصارى والبَشَر
شُلَّتْ يدُ الرسَّامِ شانِئك الأشَرّ ... ورئيسِ تحرير الصحيفة في سَقَر
ويلٌ لما اقترفت يداه وويلَهُ ... فاليوم تَلْعَنَهُ الليالي والشجر

= أحدًا بعدك». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٤٢): «رواه البزار ورجاله ثقات»، وأخرج ابن أبي شيبة نحو في «مصنفه» برقم (٣٧٣٩٠).

ومسلسلُ التشويهِ لا يخفى له … أبعادُ في رحم الحضارة تستقر
يُرْضُون أعداءَ الرسول وُلاتُنا … ورضا اليهود جريمةٌ لا تُغتفَر
يتنعَّمون مُكرَّمين ولم يَرَوْا … أنَّ الأمين يُهانُ في كلِّ الصُّوَر
نعم الذي سَحَبَ السفيرُ لداره … يا خادم الحرمين أعلنها شرر
بيِّن لعبَّاد الكراسي أنها … حربُ الصليب تعودُ تقتضي الحَذَر
يا حَسرَتاه عَلى العباد يهمها … زار الرئيسُ وقد تكلمَ أو ظهر
ناحت منابرُنا وبُحَّ دُعاتُها … والليلُ يعبَسُ والنَّهارُ قد انْفَطَر
ثارت بقايا نخوة قذفت به … في وجه طاغوت تكبَّر واعتذر
وتَصُبُّ لعنتَها على الزمن الذي … رَجَعَ الأُباةَ جُباةً ليس لهم نظر
وسمعت أناتُ القلوب حبيبها … ودعوت يا أحرارُ يا مَنْ لا يفر
أوَ يهزؤون به ليعتذروا لنا … رُبَّ اعتذارٍ كان لا يُغْنِي وطر
عرضوا الكفالة لا كفالة تقبل … عِرض الرسول فلا يدانيه قدر
من ذا يردُّ الظلمَ عنك أَزَفْرَةٌ … أم دمعةٌ أم دعوةٌ عند السَّحَر
لم يبق من صبرٍ لديَّ لما أرى … حتى نَثَرْتُ وقلتُ شِعرًا كالدرر
ويلٌ لقلبٍ لم يغير ما رأى … من منكرٍ ويكاد يشملُ من صبر

* * *

عائدون يا رسول الله

لعمر طرافي البوسعادي

أيُّ رُمْحٍ رَمَوْهُ جهْراً نهارا؟ يحمل الإفك في السِّنان شعارا؟
طعنوا المسلمين في صُلبِ دينٍ عبثًا بالرسول واستهتارا
نقرأُ الحقدَ لا سواه ونرثي ذُلَّنا لا يَزيدُ إلاَّ انكسارا
يُشتم الشافعُ المشفَّعُ فينا ثم نجْثُو على الصعيدِ حيارى
كيف نغدُو الحياةُ بعد انبطاح مرَّغَ الأنف في التراب شَناراَ؟!
نُصرةُ الدين فوق كلِّ هواء في رئاتِ المليارِ يَسري مِرارا
أخرسَ الوَهَنُ أمَّةَ الخير لَمَّا نَخَرَ الصَدُّ عظمَها فتوارى
كالحلازين رَخْوةً صَيَّروها جرَّدوها لتلبسَ الأخطارا
أعرضتْ عن كتاب ربي فنالتْ من جزاء الفِعال خزيًا وعارا
كيف تَقْوى على القَصَاصِ بَرْدعٍ وهي تخطو بِمَنْسِمَيْن عِثارا؟!
كيف ترضى رسولَها في هوان في رُسومٍ حقيرةٍ تتبارَى
حول جاهٍ وعالميةِ صيتٍ وفلوسٍ تضفي لها استكبارا؟!
حسبُنا الشتمُ بالكلام سِبَابًا في خطاب مزخرف أَشْعاراَ
حسبُنا الشَّجْبُ والتظاهرُ سلْمًا والصراخُ المُولولُ استنكارا
إنما يَقْظةُ الشعوبِ بحُبٍّ عارمٍ للرسولِ يُجلي السِّتَارا
باقتداءٍ واهتداءٍ وسعْي نحو خَطْوِ الدليلِ ليلاً نهارا
عندها يلتقي المُحيطُ فَروحًا بالخليج السعيد رتقًا جوارا

ويرى «الدانمركُ» كم كان أغبى ... ما بنى هَدَّموهُ.. صَار قِفارا!
ويعود «النرويج» يبكي على ما ... فات.. هل نقبل الإعتذارا؟
تتوالى هزائمُ الغرب تترى ... ويحَها لم تُطِق علينا اقتدارا
لم تَعُدْ أُمةُ الحبيب كما كانت ... بذلٌ فقد نفضنا الغبارا
أصبحتْ باتباع أحمد حِصْنًا ... من صَياصي الهدى بَنَتْ أسوارا
خفقتْ رايةُ الإلهِ بتوحيد ... تُرفرِفُ ينتشي الإنتصارا
كلُّنا للفداء نمضي أسوداً ... ـ لك يا أكرمَ الأنام ـ هُصَارى
إننا عائدون لله بُشْرى ... لفلسطين والعراق بشارا
هكذا نصنعُ الحياةَ شُموسًا ... من فَتيل الرُّسوم صرنا مَنَارا
مَكَروا بالرسولِ والمَكْرُ سُمٌّ ... يقتل الماكرين هُودًا نصارى
آيةُ المَكرَ في الكتاب دليل ... تصدقُ القول فافتحوا الأبصارا
يا هنانا بالحبيب لَمَّا يرانا ... قد رفعنا لواءَهُ أنصارا
وهنانا برِفقةٍ منه لَمَّا ... نلتقي في الجنان صُحْبًا جوارًا[1]

* * *

(١) ٢٠ فبراير ٢٠٠٦م ـ الجزائر.

عاد محمد ﷺ

عمر طرافي البوسعادي

أَيسْخَرُ كَفُّ الليل بالنور هازئًا ... ويضحكُ في سُخْف صليبٌ وغرْقَدُ

أَيُشْتَمُ مشكاةُ النبوةِ والهُدَى ... وفي عِرْقنا نبضٌ تلألأَ يُوقَدُ

أَتَرْسُمُ أَيْدٍ حاقداتٌ رسولَنا ... لها في ذيوع الشر والكفر مَقْصدُ

تطاول عشاق الدنية فامتطَوا ... صحيفة خُبث في السخافة تفندُ!!

أباحُوا حِمى الإسلامِ بالإفك جهْرةً ... على المصطفى عبثًا أساؤوا وأفسَدُوا

وما يرعوي الأوغاد إِنْ صِحْتُ باكيًا ... على الفَعْلةِ النَّكْرَا تنزَّه أحمدُ

وما تنتهي الأحقاد ذاكم دفينُهم ... تجلَّى على مرأى العوالِم يَشْهَدُ

تصدَّعَ كلُّ الكونِ من خَطْبِ راسمٍ ... دَعِيٍّ سفيه للحصافة يَفْقدُ

تئنُّ مَجَرَّاتُ الفضاء تَقَطُّعًا ... وتنتحب الذرَّاتُ والقلبُ أَكْمَدُ

ويشتعلُ البركان من حرِّ غَضْبَةٍ ... وينهارُ الطوفانُ يُرْغِي ويُزبِدُ

وتنتفض الحيتان في البحر ريثما ... قصاصٌ يردَّ العزَّ يُحيي ويُنجدُ

ألا ليتَ شعري كم تُعدُّ جسومُنا ... فنعْجزُ كالموتورِ في الردع يَزْهَدُ

أم الغفلةُ الصماءُ طابَ وِسادُها ... على أعذبِ الأحلامِ نَغْفُو ونَرْقُدُ

لَعمري هو الإسلام نعرف نهجَه ... ولكننا نأبَى السلالمَ نصعدُ

وما الرفضُ رفضٌ للعقيدةِ إنما ... كُسَالى إلى الأهواءِ نسعى ونَحفدُ

فمن ذا الذي يأبى السعادة غايةً ... وكل المنى فيها تهيم وتسعدُ

ولكنَّ جنانَ اللَّه صعبُ منالها ... غَلَتْ سلعةٌ تُشْرَى كذا قال أحمدُ

هي الصحوةُ العصماءُ نورٌ بوهْجها ... تسيرُ على نهجِ الحبيبِ وترشدُ
إذا لم تكن منا ففي نسلنا الذي ... سَنُشْبِعُه من حُب «طه» ونَعْهَدُ
سنغرسُ هذا الحبَّ في كلِّ أسرةٍ ... منارةَ إسلامٍ علينا تُشيَّدُ
ويصبح مولودُ العيَايِل راضعًا ... معينَ الهدى قد صار بالدين يعضدُ
وينمو هِزَبْرًا بين كَتفَيْه لِبْدَةٌ ... يُرَصِّع يمناه الحسامُ المهنَّدُ
ويحمل قلباً لا مثيل لعطفه ... صفاءً وَوُدًّا لا يكيد وَيْحقدُ
وترجِع أسرابُ الطيور بِنَغْمها ... مُغَرِّدَةً أحلى التراتيلِ تَنْشُدُ
وتنفتقُ الأكمامُ وَرْدًا مُعَطَّرًا ... يضوع أريجًا في المساجد يَنفدُ
فيا أيها الغربُ الغريرُ تمردًا ... على أمة الإسلامِ تمضي تُهدِّدُ
كَفاك الغرورَ قد دنوتَ بسفرةٍ ... إلى الموت قد أغواك هذا التَعَنُّدُ
إذا لم تتب هذا المصيرُ مصيرُكم ... ترابٌ يواري سوءةَ الغرب مُلْحدُ
ويا أمتي هذا خلاصكِ فالزمي ... سفينةَ نوحٍ قادها الحبُّ أحمدُ
بشائِرُكِ الكبرى تلوح من السما ... على الشفقِ الورديِّ: «عاد محمَّدُ»[1]

* * *

(١) ٢٥/ ٢/ ٢٠٠٦م-الجزائر.

عذراً رسول الهدى

لعبدالله بن غالب الحميري[1]

كُفْـرٌ تَنَفَّسَ عـنه الـغَرْبُ لا كـانا ... تـكادُ تَـنْـهَدُّ مـنـه الأرضُ أركانَـا
وقبـحُ وجه أزاحُـوا عن صَـفَاقَـته ... زيفَ الـسِّتَّـارِ فبـان اليـومَ عُرْيـانا
شُلَّتْ يـداهُ بما خَطَّتْ ومـا رَسَمَت ... في حَـقِّ أكرمِ خـلقِ الـلَّهِ إنـسانَـا
وقُـبِّحَـت أُمةٌ فـاهت صـحافـتُهـا ... بالنَّيلِ من شخصه المعصومِ عدوانا
بَنِـي العقـيدةِ لا كانـت مواقفُـكم ... حتـى تُفَـجِّرَ نحـو الغـرب بُركـانا
ولا استَقَـرَّ لنا عَيْشٌ ولا اكْتَـحَلَتْ ... بـالـنـوم عينٌ إذا مـا جـانـبٌ لانـا
أيُـزْدَرَى بـرسـول الـلَّه بـيـنَـكـمُ ... جَـهْرًا ويُـمْـتَهَـن الـقـرآنُ إعْلانَـا
ويُشْـتَمُ اللَّه فـي وَضْحِ النَّهـارِ فلا ... تـثـورُ ثـائـرةٌ مـنَّـا لمـولانـا
ورغـم ذلك نـستـبـقـي مَـودتَهـم ... ونجـتـبي سـلـعَ الـكـفـارِ أطْنـانـا
هيا انهضوا أمةَ التوحيدِ وانتصروا ... لـلَّه واتَّـحدوا فـي الديـن إخوانـا
وأَسْمَـعُوا «دنمركا» فـي وقاحَتِـها ... مـا يَرْدع الـكـافرَ المـوتـورَ أزمانَـا
حتى تُدِيـنَ كلابُ الغرب فعلَتَها ... ويُـذْعِن الـصاغـرُ المأفـونُ إذْعَانَـا
إلاَّ نغارُ على عِـرْضِ الرسول فهلْ ... نرجوا الشـفاعةَ يومَ الحَشْرِ مَـجَّانا
ومـن أبـى وادعـى مـنا مـحـبَّـتَـهُ ... فـإنـه مُـدَّعٍ زُورًا وبـهـتـانـا
مـاذا نُـؤَمِّـلُ من قـومٍ عـداوتُـهـم ... معلومـةٌ قد بَدَتْ سِـرًّا وإعلانـا

(١) اليمن - إب - ٢٧/ ١٢/ ١٤٢٦هـ.

وما اتخاذهم الإسلامَ مَسْخَرَةً ... إلاَّ على ما حكاهُ اللَّهُ برهانا
إن العلاقةَ لا تُبنَى مُجَرَّدَةً ... من الثوابت في شيءٍ وإنْ هَانَا
فلا تسامحَ إن مُسَّت عقيدتُنا ... أو اقتضى الأمرُ إيمانًا وكُفْرَانا
عذرًا رسولَ الهدى المختارَ إنْ وَهَنَتْ ... منا العزائم شُبَّانًا وشيبانا
فلم يَعُد يَرْهَبُ الأعداءُ صولَتَنا ... وما أقامُوا لنا وَزْنًا ولأَشَانا
ولوا أطعناكَ ما هُنَّا وما اجْتَرَؤُوا ... على مَقامك أوْ كانَ الذي كانا
لكنْ عصيناكَ في جُلِّ الأمورِ فلم ... نُفْلِحْ بشيءٍ ولا حُلَّتْ قَضَايانا
عذرًا: فداكَ رسولَ اللَّه أنفسُنا ... وما ملكناه أرواحًا وأبدانا
عذرًا: فداك خليل اللَّه كُلُّ أَبٍ ... وكُلُّ أم بما أَسْدَيْتَ عرفانا
فدًى لك الأهلُ والأبناءُ قاطبةً ... وسائرُ الناس عُجْمَانًا وعربانا
فداك كُلُّ كفورٍ في الدُّنا عَمِيت ... عيناهُ عنك وقد أُرسِلْت تبيانا
فداكَ كلُّ يهودٍ والدُّنا معها ... وأمة أَلَّهَتْ في الأرض صُلْبانا
فدَى ترابِ نعالٍ كنت تلبَسُهَا ... عند الأذى أمةُ ـ الدنمرك ـ قُرْبَانا
حاشاك حاشاك يا خيرَ الورى رُتَبًا ... مما رَمَوْك به ظلمًا وعدوانا
وأنتَ أكرمُ من يمشي على قدمٍ ... وأَرْجَحُ الرُّسْلِ عند اللَّه ميزانا
وأطهرُ الخَلْق من عيب ومن دَنَسٍ ... وإنَّ شانِئَك المبتورُ لا كانا

* * *

قصيدة

حُفظَتْ بكَ الأخلاقُ بعدَ ضَيَاعِها وتسامَقَتْ في روضِها الأشجارُ
وبُعثتَ للثَّقَلَيْن بعثةَ سيِّد صَدَقَتْ به وبدينه الأخبارُ
أَصْغَتْ إليك الجنُّ وانبهرتْ بما تتلو، وعَمَّ قلوبَها استبشارُ
يا خيرَ من وَطِئَ الثرى وتشرَّفَتْ بمسيره الكُثبانُ والأحجارُ
يا من تتوقُ إلى مَحَاسنِ وَجْهه شمسٌ ويفْرَحُ أنْ يَرَاه نَهارُ
بأبي وأُمِّي أنتَ حين تَشَرَّفَتْ بك هجرةٌ وتَشَرَّفَ الأنصارُ
أنْشَأتَ مدرسةَ النُّبُوَّةِ فاسْتَقَى من عِلْمِها ويقينِها الأبرارُ
هي للعلومِ قديمِها وحديثِها ولمَنهجِ الدينِ الحنيفِ منارُ
للَّه دَرُّكَ مُرْشِدًا ومُعَلِّمًا شَرُفَتْ به وبعلْمه الآثارُ
ربَّيْتَ فيها من رِجالك ثُلَّةً بالحقِّ طافوا في البلاد وداروا
قومٌ إذا دعت المطامعُ أغلقوا فمها، وإن دعت المكارم طَاروا
إِنْ واجهوا ظلمًا رموه بعدلهم وإذا رأوا ليلَ الضلال أناروا
قد كنت قرآنًا يسير أمامَهم وبك اقْتَدوْا فأضاءَت الأفكارُ
عَمَرُوا القلوبَ كما عمَرْتَ، فما مَضَوْا إلاَّ وأفئدةُ العبادِ عَمَارُ
لو أطلق الكونُ الفسيحُ لسانَه لَسَرتْ إليك بمدْحه الأشعارُ
لو قيل: مَنْ خيرُ العباد، لرددتْ أصواتُ مَنْ سَمعوا: هو المختارُ
لِمَ لا تكون؟ وأنتَ أفضلُ مرسَلٍ وأعزُّ من رَسَمُوا الطريق وسَارُوا
ما أنت إلا الشمسُ يملأُ نورُها آفاقنا، مهما أُثِيرَ غُبَارُ

ما أنت إلا أحمدُ المحمـودُ في ... كل الأمـور، بذاك يشهد غـارُ
والكعبةُ الغرَّاءُ تشهدُ مثلَما ... شَهِد المقامُ وركنُها والدَّار
يا خيرَ من صلى وصامَ وخيرَ من ... قاد الحجيجَ وخيرَ من يَشْتَارُ
سقطتْ مكانةُ شاتمٍ، وجزاؤُه ... إن لم يتب مما جَنَاهُ النَّارُ
لكأنني بخطاه تأكلُ بَعضَها ... وَهَنًا، وقد ثَقُلَتْ بها الأوزار
ما نالَ منك منافقٌ أو كافرٌ ... بل منه نالت ذلَّةٌ وصَغَارُ
حَلَّقْتَ في الأُفُقِ البعيد، فلا يدٌ ... وصلتْ إليك، ولا فمٌ مهذار
وسَكَنْتَ في الفردوس سُكْنَى من به ... وبدينه يتكفَّل القهَّار
أعلاكَ ربُّك همَّةً ومكانةً ... فَلَكَ السُّمُوُّ وللحَسودِ بَوَارُ
إنَّا ليؤلِمُنا تطاولُ كافرٍ ... ملأتْ مشاربَ نفسه الأقذارُ
ويزيدُنا أَلَمًا تخاذلُ أُمَّةٍ ... يشكو اندحارَ غثائها المليارُ
وقفتْ على بابِ الخضوعِ، أمامَها ... وهنُ القلوبِ، وخلْفَها الكُفَّارُ
يا ليتها صانت محارمَ دينها ... من قبل أن يتحرك الإعْصَارُ
يا خيرَ من وَطِئَ الثرى، في عصرِنا ... جيشُ الرَّذيلة والهوى جَرَّارُ
في عصرنا احتدم المحيطُ ولمْ يَزَلْ ... متخبِّطًا في مَوجِه البَحَّارُ
جَمحتْ عقولُ الناسِ، طاشَ بها الهوى ... ومن الهوى تتسرَّبُ الأخطارُ
أنتَ البشيرُ لهم، وأنت نذيرُهم ... نِعم البِشارةُ منك والإِنذار
لكنهم بهوى النفوس تَشَرَّبُوا ... فأصابهم غَبَشُ الظُّنون وحَارُوا
صَبَغوا الحضارةَ بالرذيلةِ فالْتَقَى ... بالذئبِ فيها الثَّعْلبُ المَكَّارُ

في نُصرة خير البرية ﷺ

ليعقوب بن مطر العتيبي

مـا عَـلى البدرِ حينَ عَـمَّ ضِيـاهُ ... أن يُضِـلَّ الحَقـودَ عنه عَمَـاهُ
والمحيـطُ العظـيمُ مـاذا علـيه ... من سَفيـه إذا السَّفيـه رمَـاهُ
أيُّها الشـانؤونَ خـيرَ رسـولٍ ... كُـلُّنـا ـ أيُّهـا البُغـاةُ ـ فـدَاهُ
هَـلْ جَهِلْتُم مقـامَـهُ إذْ شَتَمْـتم ... فاسألـوا الكـونَ عن عظيـمِ عُـلاهُ
جاءَ بالحـقِّ مَنهَـجًا وصِـراطًـا ... ضَـلَّ مَن يهتـدي بغيـرِ هُـداهُ
جاءَ والخَلْقُ في الضَّـلالَة شتَـى ... في سَحيـقٍ من الغَـوايـةِ تَاهُـوا
عَـمَّ كُـفـرٌ وفِـتنـةٌ وفَسـادٌ ... وأُهِينَـت لأجـلِ صَخْـرٍ جِبَـاهُ
سَيِّدُ القـومِ مَن يَطـوف بـلات ... و(مَـنـاةٌ) إلــهُـهُ ومُـنَـاهُ
يـدفِـنُ البنـت حيَّـةً ويُولَـيٍّ ... نحـو سَـاقٍ من المُـدامِ سَقـاهُ
سَادَ في الـرومِ قيـصَـرٌ مُستَـبدٌّ ... وعلى الفـرسِ قد تغَطْـرَسَ شَـاهُ
بينَما النـاسُ سَـادرون بِـغَـيٍّ ... قد غَشـاهُـم من الضَّـلال دُجَـاهُ
أشْـرَقَ الصبحُ من فـؤاد حِـراءٍ ... شَـعَّ في الكـون نـورُهُ وسَنَـاهُ
أيُّ نُعْمَى على البَـرِيَّـة حَـلَّـت ... أيُّ جِيـلٍ من الـهُـداة بَـنَـاهُ
أيُّ عَـدْلٍ كَـعـدلِـه وصِفَـاتٍ ... أيُّ دِيـنٍ كَـدِيـنِـه وتُـقـاهُ
وحَـديثٍ عن الرسـول مَشـوقٍ ... أطْـرَبَ الكونَ، والـزمـانُ رَوَاهُ
عن عظـيمٍ إلى البـريَّـة أسـدى ... أعظـمَ النَّفْـعِ لو أَجَـابُوا نـداهُ
وكَـريـمٍ به المَكـارمُ تـزهـو ... فاسـأَلِ الغيـثَ عن عَظيـمِ نَـدَاهُ

خَلَّـدَ اللَّـهُ ذِكـرَهُ وتَـولَّـى حفظَـهُ ذو الجَـلالِ ثُـمَّ حَـمـاهُ
أَرْهَـقَ الشـوقُ أَنْفسًا تَتَمَنَّى لـو أُعِيـدَت إلى زمـانِ حَـوَاهُ
وتَتُوقُ القلـوبُ نحـوَ حَبيـبٍ لا تَـقَـرُّ العُيـونُ حتى تَـرَاهُ
يا مُحـبَّ الحَبيـبِ أَبْشِرْ بخيـرٍ حين يَشْقى لدى الحساب عِداهُ
تَـبَّ غـاوٍ على الرسـول تَجَنَّى ورَجـائي بـأن تُشَـلَّ يَـداهُ
ضَجَّت الأرضُ من دَعـاوَى غبيٍّ يَهتِـكُ السِّتْرَ عن قبيحِ هَـواهُ
يا عَبيـدَ الصَّليـبِ أيـن عُقـولٌ ثَـلَّـثَـتْ واحدًا، تـعـالـى الإلـهُ
المَسيـحُ الكـريمُ مِنكُـم بَـراءٌ كيـفَ يرضَى بمَـن يسُـبُّ أخـاهُ
وهْـوَ مَن بَشَّـرَ الـدُّنـا بنَبـيٍّ اسْمُهُ (أحـمـدٌ) بعَـهْدٍ تَـلاهُ
أمَّـةَ الغَربِ أين دَعـوى احترامٍ و(ضَمـانُ الحقوق) مـاذا دَهَـاهُ
هل سَقطنـا من (الخـريطة) حتى تَـنْطِـقَ الـزُّورَ ألـسُـنٌ وشِـفَـاهُ
إنَّ فـيـنـا ـ وإن تـخـاذلَ قـومٌ ـ وَثْـبَةَ الـليـثِ إذ يُـباحُ حِمـاهُ
يُـوشِكُ الـفَجْـرُ أن يَمُـنَّ بوَصْلٍ حيـنَـمَـا يبـلـغُ الـظـلامُ مَـدَاهُ
واسْـودادُ الأسَـى يـعُـودُ بَـيـاضًـا إنْ يَـكُـن ضَـاقَ بالـفُـؤَادِ شَـجَـاه
لُـن تَـنـالوا مـن الـرسـولِ وَربِّي كَـيـفَ والـلَّـهُ حَـسْـبُـهُ وَكَـفـاهُ

* * *

نَصْرُ المُخْتار ودَحْرُ الفُجَّار!

يوسف مسعود قطب حبيب

نَبحتْ شِرارُ الخَلْقِ تَقذفُ بالتُّهَمْ لتَعيبَ مَنْ أرْسَى المَبادئَ والقِيَمْ
أيْنَ النُّباحُ وإن تَكاثرَ أهْلُهُ مِنْ نَيْلِ بَدْرٍ قدْ سَما فوْقَ القِمَمْ
أو نَيْلِ نَجْمٍ ساطِعٍ يَهْدِي الوَرَى سَعِدَتْ بِهِ وَبِنُورِه كُلُّ الأمَمْ
جَادَ الكَريمُ بِهِ بأعْظَمِ نِعْمَةٍ فَتَحَ القُلوبَ به وأحْيا مِنْ عَدَمْ
قدْ تَمَّمَ الأخْلاقَ بَعْدَ ضَياعِها وشَفَى العَليلَ من الوَساوسِ والسَّقَمْ
بالعَدْلِ وَالإحْسانِ قامَتْ شِرْعَةٌ والفُحْشُ والبَغْيُ البَغيضُ قد انْهَدَمْ
فَغَدا ظَلامُ الكَوْنِ صُبْحًا مُشْرِقًا لَمَّا اسْتَضاءَ بنورِ أحْمَدَ وابْتَسَمْ
سَحَّاءُ كَفُّ مُحَمَّدٍ بِعَطائِها كَالغَيْثِ عِنْدَ عُمُومِه لا بَلْ أعَمْ
مَنْ ذا يُطاوِلُ رَحْمَةً في قلْبِهِ مَنْ ذا يُبارِي في السَّماحَةِ والكَرَمْ؟
فَلْتَسألِ الثقلَيْنِ عَنْ أخلاقِهِ بَلْ سائلِ الطيرَ المُحَلِّقَ بالقِمَمْ
مَنْ صاحَ بالأصحابِ رُدُّوا فرْخَهُ كَيْ يَسْعَدَ العُشُّ الحزينُ ويَلْتَئِمْ
بَلْ سائلِ الجَمَلَ البَهيمَ إذ اشْتَكَى لِمُحَمَّدٍ بِدُمُوعِهِ مُرَّ الألَمْ
فوَعَى الخِطابَ وقامَ يُعْلِنُ غاضبًا لا يَرْحَمُ الرحمنُ إلا مَن رَحِمْ
وَعَفا عَنِ الخَصْمِ اللَّدودِ وَسَيْفُهُ بيَمينِهِ وَالخَصْمُ قدْ ألقى السَّلَمْ
هَلاَّ رَأيتمْ مِثلَ عَفْوِ محمدٍ عَنْ أهلِ مكة عَبرَ تاريخِ الأمَمْ؟

(١) الدوحة ٧/ ١/ ١٤٢٧هـ.

يا جاحدًا للحَقِّ هل بديارِكُمْ — لم يَبْقَ ذِكْرٌ للعَدالة أو علَمْ؟
هلاَّ أقمْتَ لما افتَرْيتَ دَليلَهُ — إنَّ الدَّليلَ لكُلِّ قولٍ يلتَزَمْ
هَلْ يقتُلُ المُخْتارُ شَيْخًا فانيًا — هَلْ يَقبلُ المُخْتارُ نَقضًا للذِّمَمْ؟
هَلْ مَثَّلَ المختارُ أن قتَلَ النِّسا — هَلْ أهْلكَ المُخْتارُ شَعبًا وانتقمْ؟
فَهُوَ الطَّبيبُ بحَرْبِه وبسلْمِه — يَجْتَثُّ أسْبابَ الشِّكَايَة والسَّقمْ
فيُزيلُ أنظمةً تُجَرِّعُ شَعْبَها — كَأسَ المَذلة والعبادَة للصَّنَمْ
كَيْ يُشْرِقَ التوْحيدُ في أرْجائها — وليَشْكُرَ المَخْلوقُ مَنْ أسْدَى النِّعَمْ
هذا جهادُ نَبيِّنَا ومُرَادُهُ — فاذْكُرْ مَقاصدَ حَرْبِكُمْ كُلَّ الأمَمْ
ولتَسْألِ (البوسْنا) تُجِبْكَ نساؤها — الثَكْلى وَقَبْرٌ جامعٌ وبحارُ دَمْ
بَلْ سائلِ (الشِّيشانَ) مَنْ أوْرَى — بها نارًا أحَاطتْ بالسُّهول وبالقمَمْ؟
والمسجدُ الأقصى يَئنُّ بجُرْحِه — بَيْنَ الجماجمِ سائلاً أينَ القيَمْ؟
مَنْ أجَّجَ الحَرْبَيْنِ فتكًا بالوَرَى — أمُحَمَّدٌ أمْ هُمْ أساطينُ العَجَمْ؟
فاسْأل (هِيروشيما) أو أسألْ أخْتَها — لَمْ يَنْجُ مِنْ إنْسٍ ولا صَخْرٍ أصَمْ
فَهَلِ الدفاعُ عَنِ الحقوقِ جريمةٌ — والظُلمُ والعُدوانُ حقٌّ يُحتَرَمْ؟!

***

يا جَاحدًا للحقِّ رَغْمَ وُضُوحِه — أبأرْضِكُمْ زمنُ العُقول قد انصرَمْ؟
هلاَّ تُقارنُ بَينَ هَدْيِ مُحمدٍ — ونُصوصِ أسفَارِ الضَّلالة عندكُمْ؟
هلاَّ بَصُرْتُمْ نُورَهُ بَدلَ العَمَى — هلا سَمِعْتُمْ قولَهُ بَدَلَ الصَّمَمْ؟؟
هَلاَّ لآياتِ الكتابِ عقلتمُ — هِيَ للفَلاحِ صِرَاطُهُ الحَقُّ الأتَمْ

قَدْ فاقَ كلَّ المعجزات بهَدْيه ... وبنُظْمه وحقائق تهْدي الأُمَمْ
سَلِّمْ أوِ ائْت بمثله أو بَعضه ... واجْمَعْ شُهُودَكَ ما تَشاءُ مَعَ الْحكَمْ
فَإذا عَجزْتَ وإنَّ ذلكَ واقعٌ ... فَاحْذرْ سَعيرًا في مَالك تَضْطرمْ
واحْذرْ قوارِعَ الطُّغَاة تتابَعَتْ ... مِنْ عِنْدِ جَبَّارٍ قَويٍّ مُنْتَقمْ
واسْألْ أبا لَهَب بَلِ اسألْ زَوْجَهُ ... كَيفَ العذابُ بمَنْ بَغَى وبِمَنْ ظَلَمْ؟
واذْكُرْ أبا جهلٍ أو اذكرْ صحبَهُ ... وَقليبَ بَدْرٍ قدْ طَوَى تلكَ الرِّمَمْ

* * *

لَمَّا وَهَى قومِي لحُبٍّ لُعَاعَة ... منْ طَيْف عَيْش عَنْ قريب يَنْصَرِمْ
طَمِعَ الذِّئابُ بعرْضنا فَاسْتَأسَدُوا ... وَتَطاوَلَ القَزْمُ الحَقيرُ عَلى القمَمْ
مَن لِي بسيفِ اللَّهِ في أصْحابه ... مَن لِي بسَعْد أو بسَيْف المُعْتَصِمْ
ليثوبَ جَمْعُ المارقينَ لرُشْدهمْ ... وَتَلُوذَ أفواهُ السَّفاهة بالبَكَمْ
وَتُقبِّلُ الأيْدي كَما قدْ قبَّلَتْ ... قَدَمَ الجُدُود زَمانَ عزٍّ مُنْصَرِمْ
يا أُمَّتِي هَيَّا انْهَضي فَعَدُوَّنا ... مُتَرَبِّصٌ وَعُيونُه لا لَمْ تَنَمْ
سِيري عَلى هَدْي الرَّسول وَصَحْبه ... مَن لازَمَ الهَدْيَ القويمَ فقدْ غنِمْ
وَخُذِي عَلى أيْدي السَّفيهِ وَأعْلني ... مَنْ سَبَّ أحمدَ يا طُغاةُ فقدْ قَصِمْ

* * *

فَابْعَثْ إلهَ العالَمينَ لأمَّتي ... رَجُلاً بدينكَ قائمًا يُعْلي الهمَمْ
كَيْ يَجْمَعَ الصَّفَّ الشَّتيتَ عَلى الهُدَى ... ويُعيدَ صَرْحًا للكَرامَة قدْ هُدِمْ
وَاجْعَلْ صَلاتَكَ وَالسلامَ عَلى النَّبي ... ما لاحَ صُبْحٌ أوْ تَشابَكتِ الظُّلَمْ

وَكَذا عَـلى الآلِ الكِـرام وَصَحْـبِه ... ما طـارَ طَيْـرٌ فَوْقَ غُـصْنٍ أوْ عَـلَمْ
وابْعَثْـهُ يوْمَ العَرْضِ حيْـثُ وَعَدتَّهُ ... بِمَـقامِـهِ المَـحْمـودِ مَـنْ كلِّ الأُمَـمْ

هذا رسولُ اللَّهِ.. كيف يُسَبُّ؟!

حسن علي النجار[1]

هذا رسولُ الـلَّهِ.. كيف يُـسبُّ؟! ... بل كيف يُـعلِنُها خسـيسٌ كلبُ؟!
هذا رسولُ اللَّـهِ.. كيف تجرؤوا؟! ... ويـلٌ لهـم.. وصـواعـقٌ تَنْـصَـبُّ

* * *

ثُـوري براكـينًا.. أُسـودَ مـحمـدٍ ... ثوري جـحيـمًا غـاضبًـا لا يخـبو
ثوري.. فـليس هنـاك صبرُ دقيـقةٍ ... نَـفَدَ انـتـظارُ الـثـائريـن.. فـهُبـوا

* * *

رسمـوا رسولَ الـلَّه أقـبحَ صـورةٍ ... تـبَّـتْ أيـادي الحـاقـديـن وتـبُّـوا
«حرية»: قالوا.. أيُلعبُ باللظى؟! ... عـلَّ الـلظـى بـديـارهـم تَنْـشَـبُّ

* * *

دنمَـرْكُ.. لا عُذْرًا.. ولا تـتأَسَّـفي ... قَدْ فَاتَ.. فَاتَ الوَقْتُ هَذَا صَعْبُ
لَا عـفـوَ.. إنَّ عُقُـولـكُـمْ بَقَـرِيَّـةٌ ... جَفَّتْ ضُرُوعُ عُقُولِكُمْ.. لا حَلْبُ

* * *

هَا نَـحْنُ أُمَّـةُ أَحْمـدٍ.. لا نَنْـحَنِـي ... ورُؤُسُـنـا لا تِـعْـتلِـيـهَا سُـحْـبُ

---

(١) الإمارات العربية المتحدة- ٤,٣٥ صباحًا- ٢٠٠٦/٢/١٢م.

عنْوانُنا: استعْلاءُ أعْظَمِ منْهَجٍ والعزُّ منْبَعُهُ.. ونعْمَ الشِّرْبُ
ورسُولُنَا الأغْلى.. وشَمْسُ حَياتِنَا وبِذِكْرِ أحْمَدَكَمْ ترنَّمَ صَبُّ

* * *

دنمَرْكُ أنْت أثرْت جَمْرًا.. فَابْلَعِي جَمْرًا ومُوتِي.. لَنْ يُفِيدَ النَّدْبُ
دنمَرْكُ.. صَمْتًا رَغْمَ أنْفِكِ.. واعْلَمِي هَذا رَسُولُ اللَّهِ.. كَيْفَ يُسبُّ؟!

هُوَ الرَّحْمَةُ المُهْدَاةُ

الدكتورا جمال بن صالح الجار الله(1)

مَقَامُكَ مِنْ كُلِّ المَقَامَاتِ أَرْفَعُ وسَيْفُكَ مِنْ كُلِّ الصَّوَارِمِ أَقْطَعُ
وَوَجْهُكَ نُورٌ والسَّجَايَا حَمِيدَةٌ وقَوْلُكَ فِي كُلِّ المَيَادِينِ أَوْقَعُ
شَمَائِلُكَ المَعْرُوفُ والحِلْمُ والتُّقَى وَأَخْلاقُكَ القُرآنُ أَصْلٌ وأَفْرُعُ
مَحَجَّتُكَ البَيْضَاءُ هَدْيٌ وَرَحْمَةٌ وَمَا زَاغَ إلاَّ هَالِكٌ.. يَتَلَعْلَعُ
لِوَاؤُكَ مَعْقُودٌ عَلَى العَزْمِ والمَضَا وحَوْضُكَ مَوْرُودٌ فَطُوبَى لمنْ دُعُوا
ويَابُؤْسَ مَنْ ذِيدُوا عَنِ الحَوْضِ يَوْمَهَا وقِيلَ لَهُمْ بَعْدًا فَلا ثَمَّ مَوْضِعُ

* * *

أَتَيْتَ وَهَذِي الأَرْضُ بَغْيٌ وظُلْمَةٌ فأَشْرَقَ نُورٌ إذَا طَلعْتَ يُشعشِعُ
ومَا قَمَرٌ إلاكَ شَعَّ ضِيَاؤُهُ ومَا زَالَ فِي لَيلِ المُلمَّات يَسْطَعُ
تَلألأَ فِي كُلِّ النَّوَاحِي فَأَشْرَقَتْ بِهِ كُلُّ أَرْضٍ بِالهُدَى تَتَلَفَّعُ

---

(1) ١٢ محرم ١٤٢٧هـ.

وَنَـادَى مُنَـاد فِـي السَّـمَـاءِ مُدَوِّيًـا مُـحَـمَّدُ مِـنْ كُـلِّ الخَـلِيـقَـةِ أَرْوَعُ
هُوَ الرَّحْـمَةُ المُهْدَاةُ لِـلنَّاسِ كلِّـهِمْ ومَـا فَـازَ إلاَّ مَـنْ لأَحْمَـدَ يَـتْبَـعُ
«هُوَ الـبَحْرُ مِنْ أيِّ الـنَّوَاحِي أتَيْـتَهُ فَلُجَّـتُهُ المَعْرُوفُ» والفَـضْلُ أَوْسَعُ
تَـرفَّعَ عَـنْ كُـلِّ الدَّنَـايَا ولَمْ يَـزَلْ وأصْـحَابُـهُ عَنْ كُـلِّ غَيٍّ تَـرَفَّعُـوا
مَـقَامُـكَ مَحْـمُـودٌ تَفَـرَّدْتَ سَيِّـدًا أَلَسْـتَ الَّذِي يَوْمَ القِـيَامَةِ يَشْـفَعُ؟
مَقُـامُكَ عَـالٍ يا حَـبِـيبي وسَـيِّدِي وتَــبًّــا لِمَـأْفُونٍ أتَـانَا يُـجَعْـجِعُ

* * *

وكَافِـيـكَ رَبُّ البَيْـتِ مِنْ كُلِّ مُـفْتَرٍ تَـنَكَّـبَ دَرْبَ الخَيْـرِ لِـلشَّـرِّ يَنْـزِعُ
وشَانِـيكَ بِـالخُسْـرَانِ بَاءَ صَنِـيعُهُ وَلَـيْـسَ لَــهُ إلاَّ جَـهَـنَّـمَ مَـرْتَـعُ

* * *

تُـفَدِّيـكَ كُلُّ المُـؤمِنِـينَ نُفُـوسُهُـمْ وَأَرْوَاحُهُـمْ دُونَ انْتِـقَاصِـكَ تَنْـزِعُ
فَـفِي نُـصْرَةِ الـهَادِي سُـمُوٌّ وعِـزَّةٌ ولَوْ أَجْلَبَ البَاغُونَ والنَّاسُ أَجْمَعُ
هَنِـيئًا لَـكُمْ يا مَـنْ نَصرْتُـمْ نَبِيَّـكُمْ فَسِيرُوا عَلَى دَرْبِ الـنَّبِيِّ وقَاطِعُوا
وتَــبًّــا لِـكُلِّ الخَـائِنِـينَ نَبِـيَّهُـم قُـلُوبُـهُـمُ مِـنْ حَقْـدِهَـا تَـتَقَـطَّـعُ

* * *

أَلاَ يَـا أُخَـيَّ الـكُفْـرِ حَـاذِرْ فَـإنَّـهُ مُحَـمَّدُنَـا الهَـادِي شَفِـيعٌ مُشَفَّـعُ
فَـمَا نِـلْـتَ مِنْـهُ غَـيْرَ أنَّ قُـلُـوبَنَـا إذَا أُوذِيَ المُـخْتَـارُ تَغْـلِـي وتَفْـزَعُ
وأَبْشِـرْ بِمَا يُـخْزِيكَ يَـا شَرَّ مُعْـتَد عَلَى خَيْرِ مَعْصُومٍ فَقَدْ حَانَ مَصْرَعُ
ومَـا نَـالَ أَسْـبَابَ المَـعَـالِـي أَرَاذِلٌ وَهَلْ يَعْتَلِي بَـيْنَ الخَلائِقِ ضِفْدَعُ؟

أَيَا خَاتَمَ الرُّسْلِ الكِرَامِ تَحِيَّةً ... نُرَدِّدُها عَبْرَ الزَّمَانِ ونَصْدَعُ
عليْكَ صَلاَةُ اللَّهِ يا خَيْرَ مُرْسَلٍ ... ويا لَيْتَنَا مَعْ صَفْوَةِ الخَلْقِ نُجْمَعُ
تهُونُ عَلَيْنَا أنفُسٌ ونَفَائِسٌ ... ولَسْنَا لِحَقِّ المُرْسَلِينَ نُضَيِّعُ

وَلَقَدْ سَمِعْنَا مَا يَسُوءُ قُلُوبَنَا مِنْ دَوْلَةِ الأَبْقَارِ وَالأَجْبَانِ

ماجد بن محمد الجهني الظهران

عِرْضِي فدًا عِرْضِ الحَبِيبِ مُحَمَّدٍ ... وفَدَاهُ مُهْجَتُهُ خَافِقِي وجَنَانِي
وفَدَاهُ كُلُّ صَغِيرِنَا وكَبِيرِنَا ... وفَدَاهُ مَا نَظَرَتْ لَهُ العَيْنَانِ
وفَدَاهُ مُلْكُ السَّابِقِينَ ومَنْ مَضَوْا ... وفَدَاهُ مَا سَمِعَتْ بِهِ الأُذُنَانِ
وفَدَاهُ كُلُّ الحَاضِرِينَ ومُلْكُهُمْ ... وفَدَاهُ رُوحُ المُغْرَمِ الوَلْهَانِ
وفَدَاه مُلْكُ القَادِمِينَ ومَنْ أَتَوْا ... أَرْوَاحُنَا تَفْدِيهِ كُلَّ أَوَانِ
خَيْرَ البَرِيَّةِ والتُّقَى مِحْرَابُهُ ... تَسْمُو مَحَبَّتُهُ عَلَى الأَلْحَانِ
أَزْكَى رَسُولٍ بِالهُدَى قَدْ جَاءَنَا ... وخَلِيلُ رَبِّي الوَاحِدِ الرَّحْمَنِ
صَلَّى عَلَيْهِ الرَّبُّ فِي عَلْيَائِهِ ... إِذْ زَانَهُ بِالصِّدْقِ والإِيمَانِ
واللَّهُ أَعْلاَ شَأْنَهُ فِي آيِهِ ... ولَدِينُهُ يَعْلُو عَلَى الأَدْيَانِ
أَخْزَى بِهِ رَبِّي ضَلالَةَ مُشْرِكٍ ... وأَذَلَّ أَهْلَ الغَيِّ والصُّلْبَانِ
أَعْدَاؤُهُ فِي نَكْسَةٍ وبِغِلِّهِمْ ... يَصْلَوْنَ قَسْرًا ضَحْضَحَ النِّيرانِ
أَعْدَاؤُه بُكْمٌ وصُمٌّ مَا رَأَوْا ... أَعْدَاؤُهُ هُمْ أَخْبَثُ العُمْيَانِ
أَهْدَاهُمُ إِبْلِيسُ مِنْ نَزَوَاتِهِ ... فَتَقَحَّمُوا فِي النَّارِ كَالقُطْعَانِ

تَبَّتْ يَدٌ لَمَّا أَسَاءَتْ رَسْمَهَا ... شُلَّتْ يَمِينُ المُجَرِمِ الفَتَّانِ
اللَّهُ مُخْزِيهِمْ ومُوبِقُ سَعْيِهِمْ ... واللَّهُ ذُو بَطْشٍ وذُو سُلْطَانِ
يَكفي الإلَهُ نبيَّنا مِنْ جُرْمِهِمْ ... واللَّهُ مُنتَقِمٌ عَظِيمُ الشَّانِ
حُبُّ الحَبِيبِ مُحَمَّدٍ أُهْزُوجَةٌ ... يَشْدُو بِهَا قَلْبِي مَعَ الخَفَقَانِ
واللَّه مَا جَادَ النِّسَاءُ بِمِثْلِه ... أَكْرِمْ بِهِ مَنْ مُرْسَلٍ رَبَّانِي
نُورُ البَرِيَّةِ عَمَّنَا بِضِيَائِه ... فَهُوَ البَشِيرُ بِصَادِق، البُرْهَانِ
مَنْ سَبَّ هَادِينَا وسَبَّ إِمَامَنَا ... فَلَقَدْ غَدَا دَمُهُ بِلاَ أَثْمَانِ
فِي حُكْمِ مِلَّتِنَا وهَدْيِ كِتَابِنَا ... مَنْ سَبَّهُ فِي أَسْفَلِ النِّيرَانِ
مَنْ دَنَّسوا حُرُماتنا قَدْ أَسْرَفُوا ... عَنْ بَغْيِهِمْ يَتَحَدَّثُ الثَّقَلاَنِ
قَدْ دَنَّسُوا قُرآنَنَا فِي أَمْسِهِمْ ... أَوَّاهُ يَا أَسَفِي ويَا أَحْزَانِي
حَتَّى المَسَاجِدِ مَا لَهَا قُدْسِيَّةٌ ... فِي عُرْفِ أَهْلِ الظُّلْمِ والعُدْوَانِ
ولَقَدْ سَمِعْنا ما يَسُوءُ قُلُوبَنَا ... مِنْ دَوْلَةِ الأَبْقَارِ والأَجْبَانِ
مِنْ دَوْلَةِ الدَّنمَرْك سَاءَ مَقِليُهَا ... أَخْبَارُهَا جَاءَتْ مَعَ الرُّكْبَانِ
ولِدَوْلَةِ النِّرْويجِ فِي ناقُوسِهِمْ ... سَهْمٌ مِنَ التَّهْرِيجِ والهَذَيَانِ
واللَّه قَدْ هَزُلَتْ وبَانَ هُزَالُهَا ... لَمَّا غَدَوْنَا مَطْمَعَ الفِئْرَانِ
دُوَلٌ كَمِثْلِ الذَّرِّ فِي مِقْدَارِهَا ... دُوَلٌ مُدَهْدَهَةٌ عَلَى الجُعْلاَنِ
الشَّانِؤُونَ لِسِيرَةٍ قَدْ عُطِّرَتْ ... بِالمِسْكِ وَالأَزْهَارِ والرَّيْحَانِ
أَخْزَى الذي سَمَكَ السَّمَاءَ بِنَاءَهُمْ ... وَأَحَالَهُمْ عِبَراً مَدَى الأَزْمَانِ
الشَّانِؤُونَ لَهُ تَعَاظَمَ مَكْرُهُمْ ... كُلٌّ لَهُ حِمَمٌ مِنَ الأَضْغَانِ

كَمْ مُنْتَدًى للْكُفْرِ يُعْلِنُ جَهْرَةً ... بِقَبِيحِ قَوْلٍ مِنْ بَذِيءِ لِسَانِ
كَمْ فِي السُّجُونِ مِنَ الزَّبَانِيَةِ الَّتِي ... هَزَأَتْ بِسَيِّدِ أُمَّةِ القُرآنِ
كَمْ فِي الصَّحَافَةِ مِنْ وَضِيعٍ مُفكرٍ ... جَمَعَ الضَّغِينَةَ فِي لُبُوسٍ ثَانِ
مُتَعَالِمٍ مُتَحذلِقٍ مُتَفَذْلِك ... مُتَدثِّرٍ بِالزُّورِ والبُهْتَانِ
أَخْزَاهُمُ رَبِّي وفَرَّقَ شَمْلَهُمْ ... وأَقَضَّ مَضْجَعَهُمْ بِكلِّ مَكَانِ
يَا أُمَّةَ الإسْلامِ أَيْنَ نَفِيرُكُمْ؟ ... أَعْلُو مَنَائِرَ سُنَّةِ العَدْنَانِ
أَعْلُو مَنَائِرَ سُنَّة وتَمَسَّكُوا ... بِالهَدْي والتَّنْزِيلِ والفُرْقَانِ
أَمْوالُكُمْ ضَيْعَاتُكُمْ أوْلادُكُمْ ... لَيْسَتْ أَعزَّ مِنَ النَّبِيِّ الحَانِي
فالسُّنَّةُ الغَرَّاءُ نَيلِ إمَامُهَا ... فَلْتَغْضَبُوا لِلَّه يَا إخْوانِي
فَبِكُمْ نظُنُّ الخَيْرِ يَا أحْبَابَنَا ... أَحْيُوا مَواقِفَ عِزَّةِ الشُّجْعَانِ
هَذا قَصِيدِي والقَصِيدُ مُقَصِّرٌ ... قَدْ قُلْتُ مَا فِي الجُهْدِ والإمْكَانِ
واللَّه قد شَرُفَ القَصِيدُ وإنَّهُ ... شَرَفٌ لِكُلِّ قَصِيدةٍ وبَيَانِ
شَرَفٌ بِأَنْ نُجْرِي لَهُ أَقْلامَنَا ... شَرَفٌ لِكلِّ فُلانَةٍ وفُلانِ
تَمَّتْ وأَثْنُوا بالصَّلاةِ ومِثْلِها ... مَا لاَحَ غَيْمٌ أَوْ بَدَا القَمَرَانِ

***

واستمطروا غضبًا

لعبدالله البصري

يَا عَينُ جُودي بدَمْعٍ منك مُنسَكبٍ ... وَابكي عَلَى الفَضلِ وَالأَخْلاقِ وَالأَدَبِ
وَاسْتَفرغي الدَّمعَ لاَ تُبقيه قد عَظُمَت ... مُصيبَةُ الكَوْنِ سُبَّ المُصطفَى العَربي
سَبُّوا نَبيَّ الهُدَى وَاستَهزَؤُوا عَلَنًا ... بالهَاشميِّ المُفَدَّى طاهرِ النَّسَبِ
سَبُّوهُ وَاسْتَهْزَؤُوا واستَمطرُوا غضبًا ... فَليَرقُبُوا عَن قَريبٍ ثَوْرَةَ الغَضَبِ
يَا وَيْحَهُمْ أيُّ جُرْمٍ قَدْ أَتَوْهُ أمَا ... لِلْحقْد حَدٌّ وَزُورِ القَوْلِ وَالكَذبِ
يَا وَيْحَهُمْ أَيْنَ مَاكَانُوا إلَيْه دَعَوْا ... في مَجْلسِ الأَمْنِ منْ سلْمٍ وَمنْ رَحَبِ
أَيْنَ الحوَارَاتُ أَمْ أَيْنَ القَرَارَاتُ أَمْ ... أَيْنَ الوعُودُ الَّتي صيغَتْ منَ الذَّهَبِ
أَمْ أَنَّهَا دُولَةٌ بَينَ اليَهُود وَمَنْ ... أَمْسَى عَلَى دَربهِم منْ عَابدي الصُّلُبِ
تَبًّا لَهَا منْ حوَارَات وَتَبًّا لَهُ ... سلْمًا يُدَانُ به إلاَّ مَعَ العَربِ
بالأَمْسِ أَبْدَوْهُ تَحقيقًا لمَصْلَحَة ... كَانَتْ تُدَارُ وَأَخْفَوْا غَيْضَ مُرتَقبِ
وَاليَوْمَ فَاهُوا بما تُخْفي صُدُورُهُمُ ... منْ إحْنَة زَالَ عَنهَا مُظلمُ الرِّيَبِ
الحقْدُ قد بَانَ وَالبَغْضَاءُ قَدْ ظَهَرَت ... وَالكُرْهُ قَدْ شَبَّ في الطَّاغينَ كَالجَرَبِ
يُمْسي ببَلْدَة أو غَاد ويُصبحُ قَدْ ... أَلْقَى بأخْرَى رحَالَ القَصْد عَن كَثَبِ
أَغْرَى به سَاسَةُ الأَبْقَار إخْوَتَهُمْ ... فاسْتَجْمَعُوا النَّطحَ في هَرَجٍ وفي صَخَبِ
لَمْ يَرقُبُوا مَوْثقًا فينَا وَمَا اكْتَرَثُوا ... يومَ استَخَفُّوا بدينٍ أَوْ بعرضِ نَبي
لَكنْ لَنَا اللَّهُ مَوْلاَنَا نُؤَمِّلُهُ ... عنْدَ الرَّخَاء وفي الشِّدَّات وَالنُّوَبِ
ربٌّ يَغَارُ وَمَن يَطْلُبْهُ يُدركْهُ لاَ ... أَرْضٌ تَقيه وَلا قَصْدٌ إلَى هَرَبِ
وَهْوَ الحَسيبُ وَكَافينَا وَنَاصرُنَا ... في كُلِّ خَطْبٍ فَلاَ نَخْشَى منَ الغلبِ
اليومَ نَبكي بدَمْعٍ سَاجمٍ وَغَدًا ... قَدْ يَضحكُ الدَّهرُ من أُنسٍ وَمنْ طَرَبِ

يَا حَبِيبِي هَاكَ نَحْرِي

عبدالناصر منذر رسلان

فَجْأَةً شَاعَ الخَبَرْ … هَزَّ قَلْبِي مُذْ خَطَرْ
قُلْتُ فِي نَفْسِي عَسَى … كِذْبُ إِعْلامٍ عَبَرْ
فَاسْتَعَدْتُ الحِسَّ مِنِّي … مُدْرِكًا فَحْوَى الخَبَرْ
هَزَّنِي صَوْتُ المُذِيعِ … (آذوا) أَحْمَدْ يَا بَشَرْ
حَسْرَةٌ بَانَتْ لِعَيْنِي … بَعْدَهَا الدَّمْعُ انْهَمَرْ
قُمْتُ مَذْعُورًا أُنَادِي … هَلْ بِهَذَا نُخْتَبَرْ؟
يَا حَبِيبِي هَاكَ نَحْرِي … دُونَكَ القَلْبُ انْفَطَرْ
يَا حَبِيبِي يَا شَفِيعِي … أَنْتَ قَلْبِي والنَّظَرْ
يَا حَبِيبَ اللَّه صَبْرًا … حَانَ مِيعَادُ الظَّفَرْ
قَدْ صَحَوْنَا مِنْ رُقَادٍ … وانْتَبَهْنَا لِلْخَطَرْ
واجْتَمَعْنَا بَعْدَ نَأْيٍ … بَعْدَ مَا كُنَّا زُمَرْ
يَا حُمَاةَ الدِّينِ هَيَّا … فَانْصُرُوا خَيْرَ البَشَرْ
مَزِّقُوا كلَّ كَفُور … نَاشِرًا ذاكَ الخَبَرْ
مَزِّقُوه كَيْ يَكُونَ … عِبْرَةً فِيمَنْ عَبَرْ
قَاطِعُوا كَلَّ نِتَاجٍ … فِيهِ أَيْدِي مَنْ كَفَرْ
مَزِّقُوا كلَّ الجَرَائِدْ … قَطِّعُوا كُلَّ الصُّوَرْ
واحْرِقُوا حَتَّى الهَوَاءَ … وادْفِنُوهُمْ فِي الحُفَرْ

وانْــصُــرُوا خَــيْــرَ الــبَــرَايَــا مَــنْ لَــهُ انْــشَــقَّ الــقَــمَــرْ
يَــا جُــنُــودَ الــلَّــهِ إرْمِــي واقْــذِفِــيــهِــمْ بِــالــشَّــرَرْ
كُــلُّــنَــا جُــنْــدٌ لِــطَــه(١) كُــلُّــنَــا أَضْــحَــى عُــمَــرْ

الدِّفَاعُ عَنْ دَاعِيَةِ السَّلَامِ ﷺ

محمد عبدالله ولد محمد سالم ولد محمد بباه

تَبوَّأْتَ العُلُوَّ مِنَ المَقَامِ وأسبَغْتَ السَّلام عَلَى الأنَامِ
وَأَلَّفْتَ القُلُوبَ بِكُلِّ حُبٍّ وما قَصَّرْتَ في صُنْعِ الكِرَامِ
زَرَعْتَ السِّلْمَ في الثَّقَلَيْنِ طُرًّا فَعَاشَا في أَمَانٍ واحْتِرَامِ
وحارَبْتَ الغُلُوَّ وكُنْتَ سَمْحًا تُرَبِّي بالمَوَدَّةِ والوِئَامِ
ولَمْ تَكُ قَطُّ في الأفْعَالِ فَظًّا ولا مُتَغَلِّظًا وَقْتَ الكَلَامِ
بِحَسْبِكَ ما رَسَمْتَ مِنَ المَعَالي ظَفِرْتَ، وخَابَ رَسَّامُ الظَّلامِ
طَغَى بِرُسُومِه شُلَّتْ يَدَاهُ وشُلَّ الغَرْبُ عَامًا بعْد عَامِ
حَبِيبي يا رَسُولَ اللَّه إنَّا فِداكَ، ودُونَ عَرْضِكَ كالسِّهَامِ
فَلَنْ نَرْضَى المَذَلَّةَ في حَيَاة ولَنْ نَرْضَى الدَّنِيَّةَ في مُقَامِ
فَكُلُّ مُوَحِد صَحَّتْ وتَمَّتْ عَقِيدَتُهُ فِدَاكَ عَلَى الدَّوَامِ
سَتَبْقَى رَغْمَ أَنْفِ الغَرْبِ طُرًّا عَلى الأعْدَاء والحُسَّادِ سَامِي
جَزاكَ اللَّهُ عَنَّا كُلَّ خَيْر فَقَد كُنْتَ المُبَشِّرَ بالتَّمَامِ
وأحْيَيْتَ الأنَامَ، وكُنْتَ حَقًّا بِحَمْدِ اللَّهِ داعِيَةَ السَّلامِ

---

(١) طه ليست من أسماء النبي ﷺ.

الذَّوَّادَةُ

ذَوْدًا عَنْ حِيَاضِ المُصْطَفَى بأَبِي هُوَ وأُمِّي الَّتِي وَلَغَتْ فِيها كِلَابُ الدَّانِمَرْكِ.

سعد بن ثقل العجمي

السَّيفُ أُشْهِرَ واللُّيوثُ ضَوَارِي ... ذَوَّادَةً عَــنْ سَــيِّـــدِ الأَبْــرَارِ
يَا قَــائِدَ الأَحْــرَارِ دُونَـكَ أُمَّــةً ... فَـاقْذِفْ بِـجُنْدِكَ سَاحَةَ الـكُفَّارِ
واضْرِبْ بنـا لُجَجَ المَهَالِكِ غـاضبًا ... حَتَّـى تُــرَكِّـع سَـطْوَةَ الـتَّـيَارِ
وَتَقَـحَّمَـنَّ بِنَا الحُتُوفَ تَـغَطْرُسًا ... فَـهِـيَ الحَـيَـاةُ بِشِـرْعَـةِ الأَحْـرَارِ
الـفُرْسُ والـرُّومُ العُـلُـوجُ تَذَمَّـرُوا ... منَّـا فَكيفَ بِــ (إخْوَةِ الأَبْقَــارِ)؟
دَنمَرْكُ قَـدْ خُضْتِ الهَلاكَ حَـمَاقَةً ... والآنَ صِـرْتِ بِقَبْـضَـةِ الجَـبَّارِ
دَنمَرْكُ يَـا بِنْتَ الصَّـلِيبِ تَجَـهَّزِي ... فَـلَيَـخْـطِبَـنَّكِ قَـاصِـفُ الأَعْـمَارِ
دَنمَرْكُ هَـلْ تَسْتَهْـزِئِين بأَعْظَـمِ الـ ... ـعُظَـمَاءِ فِي بَـلَه وَفِي اسْتِهْـتَارِ
أَوَ مَـا عَـلِـمْتِ بـأَنَّـهُ قَـادَ الـوَرَى ... لِـلْـمَـجْـدِ لـلْعَـلْـيَـاءِ لـلإِعْـمَارِ
أَعْلَـى بِـنَـاءَ حَـضَـارَةٍ قُـدْسِـيَّـةٍ ... والغَـرْبُ كَانَ حَبِيسَ جُـرْفٍ هَارِ
شَـهِـدَ الفَـلاسِـفَـةُ الـعِـظَامُ بِـأَنَّـهُ ... رَبُّ الـنُّـهَـى ومُـؤَدْلِـجُ الأَفْـكَارِ
وإذَا أَتَى الأَرْضَ الخَـرَابَ تَزَيَّـنَتْ ... لِــقُـدُومِــه بِـأَطَـايِـبِ الأَزْهَــارِ
وَجَرَى عَـلَيْـهَا مِـنْ نَمِـيرِ عَـطَائِـه ... مَــاءُ الحَـيَــاةِ زَبَـرْجَـدًا ودَرَارِي
وإذا تَـبَـسَّـمَ فَـالـصَّـبَاحُ بِـثَـغْـرِه ... سَحَـرَ القُـلُوبَ ولَـيْسَ بِـالسَّـحَّارِ
وإذا غَـزَا فَـالـرِّفْـقُ يَـغْـزُو قَـبْـلَـهُ ... والـرِّفْـقُ أَعْـتَـى جَـحْـفَـلٍ جَـرَّارِ

الـفَاتـحُ الـدُّنْـيَا بـأبْـطَـال الوَغَـى يَرْمِي بِـهْمِ قُضُبَ الكِـفاحِ عَوَارِيَ
المُـلْـبِـسُ الـدنـيـا ثـيـابَ تحـرر المُـبْـدلُ الـظِّـلـمـاءَ بـالأنـوارِ
الـوَاهِبُ الـدُّنْـيا شُـمُـوسَ هَدايَـةً نَـبَـويَّــةً لألاءَةَ الأفْـكَـارِ
تَفْـدِي جَنَـابَكَ أَلْـفُ أَلْف دُوَيْـلَةٍ حَكَمَـتْ رُبَاهَـا سُلْطَةُ الـفُجَّـارِ
تَفْـدِي جَنَـابَكَ أَلْفُ أَلْـف عمَـامَةٍ مَـدْسُوسَـة خَـوْفًـا منَ الأَخْـطَارِ
تَـفْدِي جَـنَـابَكَ كُـلُّ نَـفْسٍ حُـرَّةٍ عَـافَـتْ حَيَــاةَ الـشَّـرِّ والأَشْـرَارِ
تَفْـدِي جَنَـابَكَ يَـا رَسُولَ الـلَّه يـا خَـيْـرَ الـبَـرِيَّـةِ أُمَّـةُ المِـلْـيَـارِ

* * *

الرَّدُّ المُبْكِي لِلمُجْرِمِ الدَّنمَّارْكِيِّ

الشيخ/ محمد بن علي آدم - حفظه الله -

المدرس بدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة

لَقَـدْ سَاءَنِي جُـــرْمٌ أَتَانِي خُبْرُهُ ... مِنَ الدَّوْلَة البَغْضَاء قَـدْ حَاقَهَا الظُّلْمْ

لَقَـدْ سَاءَنِـي وَسَاءَ مَنْ كَـانَ قَلْبُهُ ... مُحِبًّا لِخَيْرِ الخَلْقِ مَنْ سَادَ بِالحِكَمْ

صَنِيـعٌ أَتَـى بِهِ شَيَـاطِـينُ دَوْلَـة ... تَعِيشُ عَلَى الفَسَادِ وَالكُفْرِ وَالأَضَمْ(١)

فَيَـا لَيْتَهُـمْ شُلَّتْ يَـمِينٌ بِهَا افْـتَرَوْا ... وَآذَانُهُمْ صُـمَّتْ وَأَعْمَاهُمُ الـغُمَمْ

فَـدَاءً لَـهُ أَبِـي وَأُمِّـي وَمُـهْـجَـتِـي ... فَمَنْ مِثْلُهُ فِي النَّاسِ قَدْ حَاطَهُ الكَرَمْ

فَيَـا مَنْ كَـفَى المُسْتَهْـزِئِينَ حَـبِيبَهُ ... لِتُـنْزِلْ عَـلَيْهِـمُ عَذَابًا قَـد اصْطَـلَمْ

يَـعُمُّـهُـمُ وَمَنْ غَـدَا نَـاصِـرًا لَهُـمْ ... وَيَضْحَـكُ مَعْهُمُ إِذِ الكُلُّ قَـدْ ظَلَمْ

فَسُـنَّتُـكَ الَّتِـي خَلَـتْ قَبْـلُ تَنْـزِلُ ... عَلَى كُلِّ مَنْ يَبْغِي وَيُؤْذِي أُولِي القِيَمْ

فَيَا أُمَّـةَ الإِسْلَامِ قُومُوا عَلَّـى العِدَا ... بِكُـلِّ الَّذِي لَـكُمْ لِـسَانًـا أَوِ القَـلَمْ

فَقَدْ نَزَلَـتْ فِيكُمْ مُصَائِـبُ لَوْ أَتَتْ ... عَلَى الرَّاسِيَاتِ الشُّـمِّ أَرْكَانُهَا انْهَدَمْ

فَإِنْ لَـمْ تَرَوْا هَذِي مُصَـابًا مُجَـلَّلاً ... فَإِنَّـكُمُ مَوْتَـى وَإِنَّ الهُدَى انْـصَرَمْ

وَإِنْ تَسْكُـتُوا بِالعِـلْمِ فَالوَيْـلُ قَادِمٌ ... وَقَدْ ضَلَّتِ الآمَالُ وَالـشَّرُّ قَدْ نَجَمْ

وَلاَ شَكَّ أَنَّـهَا مَـضَى قَـبْلُ مِثْلُـهَا ... تَوَلَّـى قِيَادَهَا أُولُـو الحِقْدِ وَالسَّـقَمْ

تَعَـدَّى أَبُو جَـهْلٍ وَحَمَّـالَةٌ طَـغَتْ ... وَمَنْ تَبَّتِ اليَدَانِ مِـنْهُ قَدِ اضْطَرَمْ(٢)

(١) محركة الحقد والحسد والغضب. اهـ.

(٢) أي: التهب.

فَذِي سُنَّةُ الإلَه فِي الخَلْقِ قَدْ جَرَتْ
فَيَمْتَحِنُ الأَخْيَارَ بالفِرْقَةِ اللَّوَمْ(١)

لِيَرْفَعَ قَدْرَهُمْ وَيُعْلِي ذِكْرَهُمْ
وَيَعْرِفَ فَضْلَهُمُ كَثِيرٌ مِنَ الأُمَمْ

فَلَوْلاَ اشْتِعَالُ النَّارِ فِي العُودِ لَمْ يَفُحْ
لَهُ عَرْفُهُ الشَّذِي لِمَنْ شَاءَ أَنْ يَشَمْ

وَلَيْسَ احْتِجَابُ العُمْيِ لِلشَّمْسِ ضَائِرًا
فَرِفْعَةُ قَدْرِهَا لِذِي البَصَرِ ارْتَسَمْ

فَقَدْرُ رَسُولِ اللَّهِ فِي الخَلْقِ ظَاهِرٌ
فَمَا ضَرَّهُ قَوْمٌ أَضَلُّ مِنَ البَهَمْ(٢)

لَقَدْ رَفَعَ الإلَهُ قَدْرَ مُحَمَّدٍ
فَقَرَّبَهُ زُلْفَى وَحَلاَّهُ بِالنِّعَمْ

وَيَبْعَثُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ شَافِعًا
لِفَصْلِ القَضَا بِهَا فَمَا أَعْظَمَ الكَرَمْ

وَقَدْ شَرَحَ اللَّطِيفُ صَدْرًا وَأَوْدَعَهْ
بَدَائِعَ حِكْمَةٍ فَيَا وَيْلَ مَنْ هَضَمْ(٣)

وَشَقَّ لَهُ البَدْرَ المُنِيرَ مِنَ السَّمَا
وَشَاهَدَهُ كُلٌّ بِلَيْلٍ قَدِ ادْلَهَمْ

وَحَنَّ إِلَيْهِ الجِذْعُ لَوْلاَ احْتِضَانُهُ
لَمَا فَارَقَ البُكَا إِلَى سَاعَةِ النَّدَمْ

شَكَى العِيرُ ضُرَّهُ وَسَلَّمَهُ الصَّفَا(٤)
فَيَا وَيْلَ أَقْوَامٍ أَضَلَّ مِنَ النَّعَمْ

رَسُولُ الهُدَى أَحْيَى القُلُوبَ بِذِكْرِهِ
قُلُوبَ ذَوِي الأَلْبَابِ وَالنُّورِ وَالشِّيَمْ

هُوَ الرَّحْمَةُ المُهْدَاةُ لِلخَلْقِ كُلِّهِمْ
كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ الكَرِيمُ فَلْيُغْتَنَمْ

فَمَنْ تَبِعَ الرَّسُولَ كَانَ مُعَزَّزًا
بِذِي الدَّارِ، والأُخْرَى مُعَافًى مِنَ النِّقَمْ

---

(١) اللَّوَمُ محرَّكةٌ: كثرة العذل، وهو هنا على حذف مضاف، أي: ذوي اللوم، أو وُصفوا به مبالغة.

(٢) محرَّكة، تُسكَّن هاؤه أيضًا: أولاد الضأن والمعز والبقر، أفاده في «القاموس».

(٣) هَضَم من باب قتل: إذا كسر، ويقال: هضمه: إذا دفعه، وكسره، أفاده في «المصباح»، والمراد هنا انتهك حرمة النبيِّ ، ودنَّس عرضه، وانتهكه.

(٤) جمع صَفَاة، وهو الحجر الصَّلد.

وَمَن لَم يَـرَ الهُدَى لَدَيْه فقَـدْ جَنَى عَلَى نَـفْسه الوَبَـالَ قَدْ نَالَهُ الـغمَمْ
فَـيَا رَبِّ أَحْـيِنَا عَـلَـى حُـبِّه إلَـى مُفَـارَقَة الدُّنْـيَا ونَحْنُ عَـلَى النِّـعَمْ
ويَـا رَبِّ أَهِّـلْنَا لإِحْـيَـاء شَـرْعِـه وَنَنْشُرُه في العُرْبِ أيْضًا وفي العَجَمْ
وَنَـدْفَـعُ عَـنْ حَـرِيمِه كُـلَّ مُـفْـتَـر مَرِيـد مُعَانـد وبَالـفُحْشِ قَـدْ جَرَمْ
صَـلاَةٌ منَ الـرَّحْـمَـنِ ثُمَّ سَـلامُـهُ عَلَى سَيِّد الخَلْـقِ المُحَبَّب في الأُمَمْ
وَآل لَـه أَهْـلِ المُـرُوءَة وَالـهُـدَى وَأَصْحَـابه أُولي المَـعَارِف وَالـكَرَمْ
يَـقُـولُ مُحَـمَّـدٌ أَيَـا رَبِّيَ ارْحَـمَـا إذَا الأَجَلُ انْقَضَى وَحَبْلِي قَد انْصَرَمْ

* * *

الطُّرُقُ الشَّرْعِيَّة فِي نُصْرَةِ خَيْرِ البرِيَّة

حامد خلف العمري

لاَ التَّلاَوُمُ يَكْفِي ولاَ في النَّحيب نَجَاءُ ... لَيسَ الحُزْنَ نَصرٌ ولا في العَويلِ عزَاءُ
لَيْسَ فِي جَلد ذَات أُمَّتي انْتِفَاعٌ ... لاَ تَقُلْ إنَّ ملْيَارَ منْهَا جُفَاءُ
خَفِّفْ اللَّوْمَ إنَّ فِينَا رِمَاحًا ... لاَ تَقُل غَابَ نَجْمُكُمْ يَا غُثَاءُ
الْمَحِ النَّصْرَ وانْشُرِ الفَأْلَ وارْجُو ... إنَّ فِي الفَأْلِ يَا أُخَيَّ غَنَاءُ

* * *

قَالَ سَبُّوا نَبِيَّنَا واسْتَحَلُّوا ... شَتْمَهُ حُثَالَةٌ جُبَنَاءُ
فِي بَلاد قَدْ عَشْعَشَ الكُفْرُ دَهْرًا ... واسْتَطَالَتْ بِلَيْلِهَا الظَّلْمَاءُ
قَلَّ فِيهَا مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ رَبًّا ... ومِنَ الطُّهْرِ والعَفَاف خَوَاءُ
ثُمَّ أَنْتَ تُرِيدُ مَنَّا سُكُوتًا ... إنَّ فِي النَّفْسِ عَمَّا تَقُولُ جَفَاءُ

* * *

قُلْتُ مَنْ قَالَ إنَّا رَضِينَا ... مَا عَلَيْه تَمَالأَ الأَشْقِيَاءُ
حِينَ ضَلُّوا وأَمْعَنُوا فِي الخَطَايَا ... حَيْثُ سَبُّوا مَنْ شَعَّ مِنْهُ الضِّيَاءُ
أَكْرَمَ النَّاسِ أَفْضَلَ الخَلْقِ طُرًّا ... مِثْلَهُ قَطُّ لَنْ يَلِدْنَ النِّسَاءُ
أَحْلَمَ الخَلْقِ أَرْحَمَ النَّاسِ قَلْبًا ... يَسْتَقِي مِنْ نَهْرِ عَطْفِه الرُّحَمَاءُ
جَاوَزَ المَجْدَ رِفْعَةً وشُمُوخًا ... واسْتَظَلَّتْ بِعَلْيَائِه الجَوْزَاءُ
كَيْفَ أَمْدَحُهُ أَمْ كَيفَ أُثْني ... هُوَ أَسْمَى مِنْ أَنْ يَنَلْهُ الثَّنَاءُ
حَسْبُهُ ثَنَاءُ رَبِّي عَلَيْهِ ... حَسْبُهُ مَا تَقُولُ فِيهِ السَّمَاءُ

وَلَقَدْ خَفَّفَ المُصابَ عَلَيْنَا ... أَنَّهُ لَنْ يَضُرَّهُ اسْتِهْزَاءُ
حَيْثُ أَنَّ النَّبِيَّ رَبِّي كَفَاهُ ... وعَلَى القَوْمِ قَدْ يَحُلُّ البَلاءُ
لَكِنِ الحَرْبُ وَالمَكِيدَةُ تَقْضِي ... أَنْ نَكُونَ فِي رَدِّنَا حُكَمَاءُ
نَهْزِمُ الكُفْرَ والضَّلاَلَ بِحَقٍّ ... وبِوَعْيٍ بِمَا يَكِيدُهُ الأعْدَاءُ
وَبِعَوْدٍ لِلدِّينِ والشَّرْعِ حَقًّا ... إنَّ فِي الدِّينِ يَا أُخَيَّ النَّجَاءُ
لَيْسَ فِي النَّدْبِ والقُعُودِ لِدِينٍ ... انْتِصَارٌ يُقِرُّهُ العُقَلاَءُ

* * *

وَمِنَ النَّصْرِ لِلنَّبِيِّ اتِّبَاعٌ ... لِطَرِيقٍ قَدْ سَنَّهُ واقْتِفَاءُ
ثُمَّ نَشْرٌ لِدِينِهِ فِي البَرَايَا ... واعْتِنَاءٌ بِهَدْيِهِ واحْتِفَاءُ
ومِنَ النَّصْرِ أَنْ نُقَاطِعَ قَوْمًا ... ظَهَرَ البَغْيُ مِنْهُمُو والعَدَاءُ
نَهْجُرُ الزُّبْدَةَ الشَّهِيَّةَ حَتَّى ... يُدْرِكَ القَوْمُ أَنَّنَا أَقْوِيَاءُ
ومِنَ النَّصْرِ أَنْ نُجَاهِدَ فِكْرًا ... يَتَنَادَى بِهِ ويَلْحَنُ الدُّخَلاَءُ
زَعَمُوا أَنَّ القَوْمَ فِيمَا تَوَلَّوْا ... كِبْرَهُ مَا أَخْطَؤوا وأَسَاؤُوا
إنَّمَا نَحْنُ مَنْ أَسَاءَ لأنَّا ... فِكْرُنَا فِيهِ سَطْحِيَّةٌ وغَبَاءُ
يَجْهَلُ الآخَرَ البَرِيءَ ويُقْصِيهِ ... وفِيهِ الكُرْهُ والبَغْضَاءُ

* * *

لَيْسَ مِنْ نَصْرِهِ افْتِيَاتٌ عَلَيْهِ ... وعَلَى مَا يُقَرِّرُ العُلَمَاءُ
بِاغْتِيَالٍ لِمُسْتَأْمَنٍ أَوْ تَعَدٍّ ... وَبِزَعْمٍ أَنَّ العَدُوَّ سَوَاءُ
لاَ وَلاَ مِنْ نَصْرِهِ تَجَمُّعُ حَشْدٍ ... يَتَوَلَّى قِيَادَهُ الغَوْغَاءُ

يُفْسِدُونَ ويُحْدِثُونَ اضْطِرَابًا وخَرَابًا وقَدْ تُرَاقُ دِمَاءُ

***

وَخِتَامًا لاَ تَحْسَبُوا الإفْكَ شَرًّا فَلِربِّي فِيمَا قَضَى مَا يَشَاءُ
فَلَعَلَّ الأَمْرَ فِيهِ امْتِحَانٌ لِكَثِيرٍ مِنْ خَلْقِهِ وابْتِلاءُ
وَلَعَلَّ اللَّهَ قَدْ رَامَ مَحْقًا لِعَدُوٍّ بِهِ يَطُولُ الشَّقَاءُ
ولَعَلَّ اللَّهَ رَامَ لِلدِّينِ نَصْرًا فَمِنَ السُّمِّ قَدْ يَكُونُ الدَّوَاءُ

***

(شُلَّتْ يَمِينُكَ) ؟!

قَالُوا جُرِحْتَ، فَمَا تُرَاهُ دِهَانِي تِلْكَ الجِرَاحُ يَقُولُهَا أَقْرَانِي
مَا لِي أَرَى دَمْعِي تَكَاثَرَ سَيْرُهُ والقَلْبُ يَشْكِي وَطْأَةَ الأَحْزَانِ
مَا لِي أَرَى كَأْسِي يُسَاقُ مَرَارَةً أَوَ يَا تُرَى مَنْ كَانَ مِنْهُ سَقَانِي؟!
تِلْكَ الفَجِيعَةُ قَدْ أَحَاطَتْ أُمَّتِي وَمَضَيْتُ مَعْ تِلْكَ الجُمُوعِ أُعَانِي
فَالمُسْلِمُونَ تَوَحَّدَتْ أَصْوَاتُهُمْ والغَائِبُونَ لَهُمْ أَنِينُ العَانِي
والصُّحْفُ مَلأَى بِالحَدِيثِ بِشَأْنِهِ والحِبْرُ صَارَ مِنَ الكِتَابَةِ فَانِي!
والبَحْرُ أُدْهِشَ مِنْ بَوَاخِرِ شِعْرِهِمْ فَاقَتْ بِقُوَّتِهَا قُوَى الحِيتَانِ
والصَّامِتُ الحَيْرَانُ صَارَ مُفَوَّهًا فِي خُطْبَةٍ يَرْوِي بِذَاكَ الشَّانِ
مَا ذَلِكَ الخَطْبُ الجَسِيمُ أَيَا تُرَى فَالطِّفْلُ يَرْوِي أَمْرَهُ ويُعَانِي
تِلْكَ المُصِيبَةُ قَدْ تَكَاتَفَ أَهْلُهَا مِنْ شَيْبَةٍ فِينَا ومِنْ شُبَّانِ
لاَ تَعْجَبَنَّ لِحَالِهِمْ يَا صَاحِبِي فَالأَمْرُ يُنْكِرُهُ اللَّبِيبُ الحَانِي

هَبُّوا لِنَجْدَةِ سَيِّدٍ مَلأَ الدُّنَا نُوراً وَرَاءَ الخَالِقِ المَنَّانِ
ذَاكَ الَّذِي نَشَرَ الفَضِيلَةَ شَامِخاً وَأَنَارَ دَرْبَ الضَّائِعِ الحَيْرَانِ
وَأَزَلَ ظُلْمَ اليَأْسِ بَاتَ مُجَاهِداً يَهْدِي طَرِيقَ الخَيْرِ لِلإِنْسَانِ
ذَاكَ الإِمَامُ الحَقُّ فِي إِسْلامِنَا يُرْمَى بِأَخْبَثِ صُورَةِ الطُّغْيَانِ
أَيُبَاعُ فِي سُوقِ الصَّحَائِفِ عِرْضُهُ بِلِسَانِ مَنْ نُزِعُوا مِنَ الإِيمَانِ؟!
سَهْمٌ تَعَاطَى سُمَّهُ فِي دَارِهِ وَيَجُولُ غَدْراً قَاصِداً لِمَكَانِي
أَوَ نَرْتَضِي بَعْدَ المُصَابِ بِصَمْتِنَا بُكْماً نُمَاثِلُ عِيشَةَ الحَيَوانِ؟!
أَوَ نَرْتَضِي حُرِّيَّةً نَطَقُوا بِهَا فِي فِعْلِهِمْ، لاَ وَالَّذِي أَبْكَانِي
نَحْنُ الَّذِينَ نَذُبُّ عَنْ أَعْرَاضِنَا سَمْعاً لِقَوْلِ الوَاحِدِ الرَّحْمنِ
وَنَكُونُ لِلأَعْدَاءِ سَهْماً صَاعِداً فِي قَلْبِ مَنْ رَضِيَ الخَنَا بِزَمَانِي
تَفْدِيكَ رُوحِي يَا مُبَلِّغَ هَدْيِنَا وَفِدَاكَ أُمِّي لَوْ فَقَدْتُ حَنَانِي
شُلَّتْ يَمِينُكَ يَا مُبَلِّغَ غَايَةٍ أَطْلَقْتَهَا مِنْ بَلْدَةِ الأَلْبَانِ
وَتَرَكْتَهَا تَرْعَى وَرَبِّي مَاهِلٌ أَوَلاَ تَقُولُ: اللَّهَ جَلَّ يَرَانِي
أَوَمَا تَرَى أَنَّ المُصِيبَةَ أَرْهَقَتْ كُلَّ الأَنَامِ فَكُنْتَ أَنْتَ الجَانِي
فَاللَّهَ أَسْأَلُ فِي غَيَاهِبِ لَيْلَةٍ أَجْرَ المُصِيبَةِ فِي الَّذِي أَعْيَانِي
وَيَمُدُّنَا نَصْراً عَظِيمٌ شَأْنُهُ فَنَرُدُّ كَيْداً طَالَمَا أَبْلاَنِي
تِلْكَ القَوَافِي سَابَقَتْنِي بُغْيَةً لِلذَّوْدِ عَنْ عِرْضِ الرَّسُولِ الحَانِي
فَكَأَنَّ جِسْمِي حِينَ وَاجَهَ أَمْرَهُ قَدْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا بِغَيْرِ أَمَانِ
فَمُصَابُنَا قَدْ وَجَّهَتْ لِقَصَائِدِي أَمْراً لَهُ فَاسْتَقْبَلَتْهُ بَنَانِ

دمانا فداك

لعبدالرحمن العدني

دمَــانَــا فــدَاكَ وآبَــاؤُنَــا ... وَأَبْنَـاؤُنَـا يَـا رَسُولَ الـهُـدَى
نَــذَرْنَـا لأَجْـلِـكَ أَرْوَاحَـنَـا ... فَـمَا غَيْرُكَ الـيَـوْمَ مِـنْ مُقْـتَـدَى
هُـوَ الـلَّـهُ كَـمَّـلَ أَوْصَـافَـهُ ... وَسَـمَّـاهُ بَيْـنَ الـوَرَى أَحْـمَـدَا
فَـمَا مُنْـقِـصٌ فَضْلَـهُ جَاحِدٌ ... وَمَـنْ يَـحْـجُـبُ النُّورَ مِمَّا بَدَا
مَـقَـامُكَ يَـا سَيِّـدِي صَـيِّـنٌ ... وَعَـنْـكَ الإِلَـهُ يَـكُـفُّ الـعِـدَا

* * *

وشَـاهَـتْ وُجُـوهُ الَّذِيـنَ اعْـتَـدَوْا ... وَبِـالـسُّوءِ والـشَّـرِّ مَدُّوا الـيَـدَا
أَلَـمْ يَـأْتِـهِـمْ مَـا جَرَى قَـبْـلَـهُـمْ ... لِمَـنْ عَاثَ فِـي الأَرْضِ أَوْ أُفْسَـدَا
لِـفِـرْعَـوْنَ لَـمَّـا هَـوَى غَـارِقًـا ... وَقَـدْ عَابَ مُـوسَـى فَـهَلْ أَنْـجَـدَا

* * *

هُـمُ أَظْـهَـرُوا لِـلـدُّنَـا حُـبَّـنَـا ... لِـمَـنْ كَانَ فِـيـنَـا الـسَّـنَا الْمُـفْـرَدَا
وَإِنَّـا وربِّ الـوَرَى شَـاهِـدٌ ... لَـنَـارٌ عَلَـى مَـنْ عَـلَـيْكَ اعْـتَـدَى
هِـيَ الـرُّوحُ ذَابَـتْ بِـأَشْـوَاقِـهَـا ... وغَـنَّـى الحَـنِـينُ بِـهَـا مُـنْـشِـدَا
وَفِـيكَ اسْـتَطَـابَ الفُـؤَادُ الهَـوَى ... ودَمْـعِـي مِـنْ مُـقْـلَـتِـي غَـرَّدَا

* * *

بَارِي القَوْسِ

✍ مَاذَا دَهَاكَ يَا قَلَمِي؟!.. فِي السَّرَّاءِ تَعْدُو.. وفِي الضَّرَّاءِ تَغْفُو!! أَما تَنْهَضُ؟!.. انْهَضْ فَالخَطْبُ جَلَلٌ. قُمْ وأَرِنَا بَقِيَّةَ الأَمَلِ.. قُمْ.. مَاذَا دَهَاكَ؟ أَمِنْ عَجْزٍ.. أَمِ اسْتَمْرأتَ الكَسَلَ؟!

ذَاكَ الرَّسُولُ يَا قَلَمُ.. ذَاكَ الرَّسُولُ يَا قَلَمُ.

عَجِيبٌ.. أَيُّهَا القَلَمُ المُقَفِّي ... أَرَاكَ اليَوْمَ عَاصٍ.. لاَ تُبَالِي!
فَلاَ تَنْهَضْ إِذَا مَا اسْتَنْهَضُوكَ ... ولاَ تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ اللَّيَالِي
تَعَدَّى الكَافِرُ المَلْعُونُ حَدًّا ... وَجَاوَزَ بِالشَّتِيمَةِ كُلَّ غَالِي
فَلاَ نَثْرٌ سَمِعْنَا مِنْكَ قَوْلاً ... وَلاَ زُمَرَ القَوَافِي سُقْتَهَا لِي
رُوَيْدَكَ.. لاَ تَلُمْنِي يَا صَدِيقِي ... فَهَذَا الخَطْبُ أَكْبَرُ مِنْ مَقَالِي
فَإِنْ كَانَتْ لِيَ السَّرَّاءُ سِتْرٌ ... فَهَذَا الضُّرُّ قَدْ أَوْدَى بِحَالِي
وَفَاءً لِلْحَبِيبِ.. وَدَفْعَ شَرٍّ ... أَرَدْتُ كِتَابَةَ الحَرْفِ المُحَالِ
لأُنْزِلَ كُلَّ قَوْلٍ فِي مَقَامٍ ... شَرِيفٍ.. لاَئِقٍ.. كَالطَّوْدِ عَالِي
فَمَا جَادَتْ بِشَيْءٍ مِنْهُ نَفْسِي ... وَلَوْ يُشْرَى.. شَرَيْتُ وَلاَ أُبَالِي
فَذَاكَ (مُحَمَّدٌ) يَفْدِيهِ قَوْمِي ... وَنَفْسِي ثُمَّ أَهْلِي ثُمَّ مَالِي
فَلاَ قَوْلٌ يَفِيهِ بَعْضُ حَقٍّ ... وَلاَ شَعْرٌ ولاَ نَثْرٌ مُسَالِ

* * *

عِنْدَ الرَّحِيلِ

شعر: بنت البحر

هُبِّي عَذَابًا يَا رِيَاحُ وهَدِّمِي ... بِالثَّأْرِ دَارَ الفِسْقِ والفُجَّارِ
لا تَتْرُكِي أَثَرًا لأَيِّ رَذِيلَةٍ ... وَتَفَنَّنِي بِمَوَاكِبِ الإِعْصَارِ
هَدْمًا وقَتْلاً بِالصَّوَاعِقِ فَانْزِلِي ... وَزَلازِلاً وَمَقَامِعًا مِنْ نَارِ
وَدَعِي البِحَارَ تَشُدُّ فِي هَيَجَانِهَا ... لِتَدُكَّ كُلَّ شَوَاطِئِ الأَشْرَارِ
آنَ الأَوَانُ لِسَحْقِهِمْ هَيَّا افْزَعِي ... لِرَسُولِ رَبِّك كَامِلِ الأَنْوَارِ
فَمُحَمَّدٌ خَيْرُ الأَنَامِ عَلَى المَدَى ... مُتَعَرِّضٌ لِلشَّتْمِ مِنْ كُفَّارِ
يَنْشَقُّ قَلْبِي صَارِخًا ومُنَادِيًا ... أَهْلَ الأَمَانَةِ ثُلَّةَ الأَخْيَارِ
أَنْ دَافِعُوا عَنْ حِبِّنَا وشَفِيعِنَا ... وَتَكَاتَفُوا فِي ثَوْرَةِ الأَحْرَارِ
إِنْ كَانَ فِيكُمْ نَخْوَةٌ ومُرُوءَةٌ ... لاَ تُحْجِمُوا عَنْ نُصْرَةِ المُخْتَارِ

***

نَبْعُ الهُدَى

لفهد بن علي العبودي

مِـنْ أَبِـي أَنْـتَ وَأُمِّـي أَقْـرَبُ   لَـكَ فِـي قَـلْبِـي مَـكَـانٌ أَرْحَـبُ
يَـا حَـبِيبًـا نَـقَـشَ الحُـبَّ عَـلَـى   كُـلِّ قَـلْـبٍ لِـلْـهُـدَى يَـنْـتَـسِـبُ
قَـلْـبُ مَـنْ يَـهْوَاكَ قَـلْـبٌ ثَـابِـتٌ   وَسِـوَاهُ بِـالْـهُـدَى يَـضْـطَـرِبُ
إِنْ سَـلاَ قَـلْـبُ امْـرِئٍ عَـنْ حُـبِّـه   لَـيْسَ يَـسْلُو عَـنْكَ قَـلْـبٌ قُلَّـبُ
قَـدْ بَـذَرْتَ الحُـبَّ فِي أَعْـمَـاقِـنَـا   مُـنْذُ كُـنَّـا فَـهْوَ فِـيـهَـا يَخْـصُـبُ
كُـلَّـمَـا لاَمَـسَـهُ مِـنْ هَـدْيِـكُـمْ   وَابِـلٌ ظَـلَّ بِـهَـا يَـعْـشَـوْشِـبُ
يَـتَـنَـامَـى ذَلِـكَ الحُـبُّ وَإِنْ   بَـاعَـدَتْ بَـيْـنَ مُـنَـانَـا الحِـقَـبُ
يَـا رَسُـولَ الـلَّـه يَـا خَـيْـرَ الـوَرَى   مُـنْذُ كَـانَ الخَـلْقُ حَـتَّـى يَـذْهَـبُـوا
أَيُّـهَـا المَـبْـعُـوثُ فِـيـنَـا رَحْـمَـةً   أَنْـتَ فِـي الـرَّحْـمَـةِ أُمٌّ وَأَبُ
لَـمْ يَـكُـنْ لِـلْـعُـرْبِ شَأْنٌ فِـي الدُّنَـا   ثُـمَّ لَـمَّـا جِـئْـتَ عَـزَّ الـعَـرَبُ
جِـئْـتَ لِلـدُّنْيَـا فَـضَـاءَتْ وَاهْـتَـدَتْ   مِـثْـلَـمَـا ضَـاءَ بِـلَـيْـلٍ كَـوْكَـبُ
شَـعَّ مِـنْ مَـكَّـةَ نُـورٌ وَهُـدًى   فَـاسْـتَـضَـاءَتْ مِـنْ سَـنَـاهُ يَـثْـرِبُ
وَاهْـتَـدَتْ مِـنْـهُ بِـلاَدٌ وَقُـرًى   مَـا طَـوَاهُ مَـشْـرِقٌ أَوْ مَـغْـرِبُ
وَسَـعَـتْ نَـحْـوَكَ أَفْـوَاجُـهُـمُ   تَـسْـتَـقِـي مِـنْـكَ الهُـدَى أَوْ تَـشْـرَبُ
يَـا رَسُـولَ الـلَّـه يَا نَـبْـعَ الـهُـدَى   طَـابَ لِـلأَجْـيَـالِ مِـنْـهُ المَـشْـرَبُ
لَـمْ يَـزَلْ نَـبْـعُـكَ عَـذْبًـا صَـافِـيًـا   كُـلَّـمَـا يُـنْـهَـلُ مِـنْـهُ يَـعْـذُبُ
لَـمْ يَـزَلْ يَـسْـقِـي الَّـذِي يَـرْتَـادُهُ   وَعَـلَـى طُـولِ المَـدَى لاَ يَـنْـضُـبُ

مَــنْ يَهَــابُونَ لِــقَانَــا زَمَنًــا ... هَـا هُمُ الـيَـوْمَ عَـلَيْـنَـا وَثَـبُــوا
وَلَـدَيْـنَـا مِـنْ بَـنِـي جِـلْـدَتِـنَـا ... مَنْ نَـأَوْا عَنْ نَـهْجِـنَا وَاسْـتَغْـرَبُوا
ذَلَّـت الأُمَّــةُ لَــمَّــا تَــرَكَـتْ ... ذروَةَ الـدِّيـنِ وقَـامَـتْ تَـشْـجُـبُ
يَــا رَسُـولَ الــلَّــه عُـذْرًا إنَّـنَــا ... قَد خَـشِينَـا القَوْمَ لَـمَّا اسْـتَكْلَـبُوا
خَسِـئَ الكُـفَّـارُ مَـهْـمَا سَخِـرُوا ... وبِـأَحْـقَــادِ هَـــوَاهُـــمْ عُـذِّبُــوا
لَـيْـسَ تُـؤْذِيـكَ أَبَاطِـيـلُــهُـمُ ... لَوْ تَـمَادَوْا فِـي الأَذَى واسْتَـرْهَبُـوا
أَنْتَ كَـالشَّـمْسِ عُـلُـوًّا وسَـنَـا ... سَيُـعَـنِّـي قَـاصِـدِيـهَـا الـتَّـعَـبُ
كُـلَّــمَـا حَـاوَلَ وَغْــدٌ قَـذْفُــهَـا ... قَـذَفَـتْـهُ بِـلَـظَـاهَـا الـشُّــهُـبُ
إنْ يَـكِـيـدُوا لَــكَ كَـيْـدًا رُدَّ فِـي ... نَـحْرِهِـمْ مَـا جَمَـعُـوا أَوْ أَجْـلَـبُـوا
حَـسْـبُـكَ الـلَّــهُ وَكِـيـلاً نَـاصِـرًا ... فَــإِلَـيْــهِ الْمُـلْـتَـجَـا والمَـهْـرَبُ

* * *

نَاصِرَ الحَقِّ

لصالح بن إبراهيم العوض

نَارٌ تَـلُوحُ لَـهَا فِـي المُوبِـقَات سَـنَا وَقُودُهَـا مَا شَرَاهُ الجَـاهِلُونَ جَـنَى
وَيَمْـكُرُونَ ومَا فِي مَـكْرِهِمْ لَـغَبٌ عَلَـى التَّـقِيِّ إذَا مَـا رِيعَ وامْـتُحِـنَا
فَلَـيْس بَـعْدَ بُـلُوغِ الـكُفْـرِ مَأْثَـمَةٌ ولَيْـس مِنَّا الَّذِي يَـأْسَى لَهُمْ حَـزَنَا
لَقَدْ تَمَادَتْ بِفُـحْشِ القَوْلِ شِرْذِمَةٌ تُقَـدِّسُ الظُّـلْـمَ والطُّغْـيَانَ والوَثَـنَا
وَتَـنْتَـشِـي حِـينَمَـا تَـغْتَـالُ أُمَّـتَنَـا وَتَحْسَـبُ الدِّينَ مَنْسِيًّـا وَمُمْتَـهِنَا
شَيْـطَانُـهُمْ لاَ يَنَـامُ اللَّـيْلَ لاَحِـظُهُ يَـؤُزُّهُـمْ لِـوُلُـوجِ الذُّلِّ مُـفْـتَـتِـنَـا
يُـدَنِّسُـونَ ـ مُعَـاذَ اللَّـه ـ سِيـرَتَنَـا وَنَاصِرُ الحَـقِّ فِي الإِسْلاَمِ مَا وَهَـنَا
مُـطَفِّـفُونَ بِـمَا قَـالُـوا وَمَا فَـعَلُـوا مِكْـيَالُهُـمْ أَزْوَرٌ لاَ يَنْصِـفُ الثَّـمَنَا
يَبْـغُونَ فِينَـا سَبِيـلَ الضَّعْف نَـافِذَةً لِيَنْفُثُوا السُّـمَّ فِي الأَعْقَابِ والدَّرَنَا
يُنَـاصِبُـونَ بَنِـي الإِسْلاَمِ شِـرَّتَهُـمْ وَيَـنْصِـبُونَ لَـنَا فِـي دَرْبِـنَا شَـطَنَـا
تَـوَارَثُـوهَا وَأَذْكَـتْـهَـا عَدَاوَتُـهُـمْ غِشَـاوَةً تَمْـسَخُ المَقْـبُولَ والحَسَـنَا
تَسَرْبَلُـوا الوَهْـمَ حَتَّى ظَنَّ هَـازِئُهُمْ أَنَّ الحَـقَـائِقَ مَـا يُـمْـلُـونَـهُ عَلَـنَـا
وَجَنَّدُوا كُـلَّ جَيْشٍ مِنْ جَحَافِـلِهِمْ بِـلاَ عَدُوٍّ فَـرَامُـوا المَـالَ وَالوَطَـنَـا
وَلَنْ يَنَـالُوا ـ وَحَقِّ اللَّـه ـ طِلْبَتَـهُمْ فَـلَـنْ نَـبِيـعَ لِـعَـبْـدِ المَال مِلَّـتَـنَـا
وَإِنَّـنَـا مِـنْ أَمَـانِ الـلَّـه فِـي دَعَـة وَمَنْ يَـرُمْ شِرْعَةَ البَـارِي فَقَدْ أَمِـنَا
أَرْوَاحُـنَـا لِـرَسُـولِ الـلَّـه وَاقِـيَـةٌ وَكُـلُّ قَلْـبٍ بِهِ الإِيمَـانُ قَدْ سَكَنَـا
هَـذَا مُـحَمَّـدٌ الـهَـادِي فَـضَائِـلُـهُ أَتَـمَّهَـا اللَّـهُ بِالأَخْـلاَقِ مَا حَسُنَـا

حَسَّانُ نَاسِخُ دِرْعِ الشِّعْرِ سَابِغَةً — قَدْ كَانَ فِيهَا وروحُ القُدْسِ مُؤْتَمنَا
يَصُدُّ سُوءً عَنِ الإِسْلاَمِ مُذْ بَزَغَتْ — مآثِرُ الدِّينِ تُفْنِي الجَهْلَ والفِتَنَا
يَذُودُ عَنْهُ سِهَامَ الغَدْرِ مُفْتَدِيا — بِعِرْضِه وأَبِيه الصَّادِقَ اليَقِنَا
فَكَانَ خَيْرَ أَمِين فِي رِسَالَتِه — أَعْطَى اللِّوَاءَ وَإِنْ كَانَ الثَّرَى كَفَنَا
حَتَّى انْتَصَرْنَا لِعَبْدِ اللَّهِ سَيِّدِنَا — مُحَمَّدٍ خَيْرِ مَنْ حَلَّ وَمَنْ ظَعَنَا
حَسَّانُ إِنَّا عَلَى نَهْجِ الهُدَى أُمَمًا — وَإِنْ دُفِنْتَ فَإِنَّ الحَقَّ مَا دُفِنَا

غُلَّتْ أَيَادِيهِمْ[1]

ماجد بن عبدالله الغامدي - الظهران -

صَلَّيْتَ بالرُّسْلِ فِي مَسْرَاكَ كُنْتَ بِهِمْ — كَمَا يُزَيِّنُ ضَوْءَ الأَنْجُمِ القَمَرُ
تَرَكْتَ فِينَا كِتَابَ اللَّهِ نَنْهَجُهُ — وَسُنَّةً فُسِّرَتْ فِي ضَوْئِهَا السُّوَرُ
فَفِي جَبِينِكَ «نُورًا يُشْرِقُ القَمَرُ» — وفِي حَدِيثِكَ ذَاكَ الهَدْيُ يَنْهَمِرُ
وَفِي سَجَايَاكَ يَا خَيْرَ الوَرَى مَثَلٌ — وَفِي حَيَاتِكَ ذَاكَ المُقْتَدَى الأَثَرُ
قَدْ كُنْتَ قَلْبًا لِنَشْرِ الخَيْرِ مُجْتَهِدًا — وَكُنْتَ كَفًّا لِبَذْلِ الخَيْرِ تَبْتَدِرُ
إِذَا وَهَبْتَ فَلاَ مَنٌّ وَلا قَتَرٌ — وَإِنْ دُعِيتَ فَلاَ مَطْلٌ ولاَ ضَجَرُ
وَكُنْتَ قُرْآنَنَا يَمْشِي بِخَيْرِ هُدًى — مَاذَا نَقُولُ وَمَاذَا فِيكَ نَخْتَصِرُ؟!
يَا نَاصِرَ الدِّينِ.. يَا وَحْيَ الإِلَهِ بِهِ — يُرَفْرِفُ القَلْبُ وَالأَرْوَاحُ وَالفِكَرُ

* * *

(١) المجلة «العربية» - عدد ٣٤٩ (ص١٢٥).

يَا أَشْرفَ الخَلْقِ لَنْ نَرْضَى بِمَا اقْتَرَفُوا هَذي القُلُوبُ تَكَادُ اليَوْمَ تَنْفَطِرُ
أَرْوَاحُنَا فِي جَحيمِ الغَيْظ تَشْتَعلُ قُلُوبُنَا بِلَهيبِ الإفْك تَسْتَعِرُ
أَمَنْ أَضَاءَ بِنُورِ اللَّه سُنَّتَهُ للمُقْتَدينَ فَتلْكَ الأَنْجُمُ الزُّهُرُ
مَنَاقبُ النَّصْرِ فِي أَرْجَاء دَعْوَته الـ ـغَرَّاء فيهَا قُلُوبُ الشِّرْك تَنْبَهِرُ
مَا بَيْنَ مُسْتَتِرٍ عَنْهَا وَمُنْكَسِرٍ تَلْكَ الفُلُولُ بعَوْن اللَّه تَنْدَثِرُ
هُدَاكَ زَلْزَلَ كِسْرَى فِي مَدَائنه وَخرَّ قَيْصَرُ إِذْ لَمْ تُغْنه النُّذُرُ
يَا خَاتَمَ الرُّسْلِ لَمْ نَجْزَعْ لمَا كَتَبُوا فَالجَهْلُ يُغْوِي وهَذَا شَأْنُ مَنْ كَفَرُوا
غُلَّتْ أَيَاديهِمُ إِذْ صَدَّقُوا خَرَفًا شُلَّتْ يَدَاهُ.. وَتَبًّا للَّذي نَشَرُوا
يَقينُنَا أَنَّنَا نَفْدي بِمَا مَلَكَتْ إيمَانُنَا إنْ تَوالَتْ حوْلَكَ الزُّمَرُ
بَلْ تَفْتَديكَ وَأَيْمُ اللَّه أَفْئدَةٌ لنُصْرَةِ الحَقِّ والقُرآنِ تَعْتَصِرُ

* * *

أَرْوَاحُنَا ودمَانَا فيكَ نَبْذُلُهَا نَذُودُ عَنْكَ.. بِقَوْلِ اللَّه نَأْتَمِرُ
لاَ نَرْتَضِي قَوْلَهُمْ.. كلاَّ ومَا فتئتْ ضَرَاغمُ الحَقِّ لاَ جُبْنٌ وَلاَ خَوَرُ
فكَمْ لَقينَا ولَمْ تَضْعُفْ عَزَائمُنَا وَكَمْ تَغَيَّرَت الأَفْلاَكُ وَالسِّيَرُ
لَكنَّ إيمَانَنَا بَاق ومَا ضَعُفَتْ منَّا العَزَائمُ إنْ ضَجُّوا وإنْ سَخرُوا
إيمَانُنَا أَنَّ وَعْدَ اللَّه مُدْرِكُهُمْ وأَنَّ مَوْعدَ ذَاكَ المُفْتَرِي سَقَرُ
وأَنَّكَ المُصْطَفَى البُشْرَى النَّذيرُ وَقَدْ ذُكرْتَ إذْ أُنْزلَ الإنْجيلُ والزُّبُرُ
أَدَّيْتَ فينا أَمَانَات وَقَدْ شَهدَتْ لَكَ القُلُوبُ وذَاكَ السَّمْعُ والبَصَرُ
عَزَاؤُنَا أَنَّ عُقْبَى الدَّار مَوْعدُنَا طُوبَى لمَنْ آمَنُوا.. بُشْرَى لمَنْ صَبَرُوا
صَلَّى عَلَيْكَ إلَهُ الكَوْنِ.. نَسْأَلُهُ لَكَ الوَسيلَةَ والشَّيْطَانُ مُنْدَحِرُ

أبَا القَاسِمْ ألاَ فَاشْهَدْ

للشاعر محمود علي اليماني

أُحِبُّكَ..
أُشْهِدُ الدُّنْيَا
وأُسْمِعُهَا نَشِيدَ الشَّوْقِ
فِي قَلْبِي
ألاَ فَاشْهَدْ
حَبِيبِي يَا رَسُولَ اللَّهِ
يَا أَحْمَدْ
إِذَا مَا الشَّوْقُ بَرَّحَنِي
وَأَشْعَلَ فِي حَنَايَا القَلْبِ
تَحْنَانًا
وَقَدْ أَزْهَرْ
أُرَدِّدُهَا..
وَفِي حَلْقِي
لَذِيذَ الشَّهْدِ
والسُّكَرْ
أَبَا القَاسِمْ
سَتَبْقَى فِي عُيونِ الكَوْنِ
أَكْبَرَ مِنْ جَهَالَتِهِمْ

نَعَمْ أَكْبَرْ
وَيَبْقَى فِي ضَمِيرِ الكَوْنِ
ذَكْرُكَ فِي المَدَى أَعْطَرْ
وَتَبْقَى أَنْتَ يَا نُورًا
أَضَاءَ الكَوْنَ.. نبْرَاسًا
وَتَبْقَى فِي المَدَى الأَنْوَرْ
فَدَعْ عَنَّا جهَالاَتٍ
حمَاقَاتٍ
تَفَاهَاتٍ
تَرُومُ الشَّمْسَ والنَّجْمَا
إِذَا مَا الشَّمْسُ لاَمِعَةٌ
وَسَاطِعَةٌ
وَأَنْكَرَ نُورَهَا الأَعْمَى
أَلاَ تَبْقَى..
كَتِلْكَ الشَّمْسِ
هَادِينَا.. وحَادِينا
أَبَا القَاسِمْ
وَيَبْقَى نُورُكَ الأَسْمَى!!
وَتَبْقَى كَوْكبًا يَسْرِي
نَسِيمًا طَيِّبَ العِطْرِ

رَبِيعًا باسمَ الثَّغْرِ
وَتَبْقَى النُّورَ هَادِينَا
بِكُلِّ لُحَيْظَةٍ يُولَدْ
أُحِبُّكَ..
أُشْهِدُ الدُّنْيَا.. وأُسْمِعُهَا
نَشِيدَ الشَّوْقِ فِي قَلْبِي
أَبَا القَاسِمْ
أَلاَ فَاشْهَدْ

* * *

نَفَحَاتُ الهِجْرِيِّ

لصالح بن علي العمري

شَعَّ الهُدَى، وَالبِشْرُ فِي بَسَمَاتِه ... وَاليُمْنُ وَالإِيمَانُ فِي قَسَمَاتِه
وَتَفَجَّرَتْ فِينَا يَنَابِيعُ الهُدَى ... واسْتَيْقَظَ التَّأْرِيخُ مِنْ غَفَوَاتِه
«اقْرَأْ وَرَبُّكَ» فِي حِرَاءَ تَحَرَّرَتْ ... وَالدَّهْرُ غَافٍ فِي عَمِيقِ سُبَاتِه
جِبْرِيلُ حَامِلُهَا وَأَحْمَدُ رُوحُهَا ... إِنَّ الحَدِيثَ مُوَثَّقٌ بِرُوَاتِه
مُهَجُ المَلاَئِكِ بِالتِّلاَوَةِ تَنْتَشِي ... فَتُقَبِّلُ الكَلِمَاتِ فَوْقَ شِفَاتِه
يَا مَنْ كَسَاهُ اللَّهُ حُلَّةَ سَمْتِه ... وَكَسَاهُ بِالقُرْآنِ حُلَّةَ ذَاتِه
لَمَّا أَضَاءَ اللَّهُ مُهْجَةَ قَلْبِه ... هَانَتْ عَلَيْهِ الرُّوحُ فِي مَرْضَاتِه
غَسَلَ الكَرَى عَنْ أَعْيُنِ الدُّنْيَا كَمَا ... يُجْلَى الدُّجَى بِالفَجْرِ فِي فَلَقَاتِه

وَأَنَارَ بِالآيَاتِ كُلَّ بَصِيرَةٍ — فَكَأَنَّ نُورَ الشَّمْسِ مِنْ قَسَمَاتِهِ
وَاقْتَادَ لِلجنَّاتِ أَسْمَى مَوْكِبٍ — «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» تَمْتَمَاتُ حُدَاتِهِ
إِقْرَأْ مَعَانِي الوَحْيِ فِي كَلِمَاتِهِ — فِي نُسْكِهِ وحَيَاتِهِ وَمَمَاتِهِ
لَوْ نُظِّمَتْ كُلُّ النُّجُومِ مَدَائِحًا — كَانَتْ قَلائِدُهنَّ بَعْضُ صِفَاتِهِ
يَا مَنْ بَنَى لِلْكَوْنِ أَكْرَمَ أُمَّةٍ — مِنْ عِلْمِهِ.. مِنْ حِلْمِهِ وَأَنَاتِهِ
صَارُوا مُلُوكًا لِلأَنَامِ بُعَيْدَ أَنْ — كَانُوا رِعَاءَ الشَّاءِ فِي فَلَوَاتِهِ
فَسَلِ العَدَالَةَ وَالفَضِيلَةَ وَالنَّدَى — وَسَلِ المُعَنَّى عَنْ مُلِمٍّ شَتَاتِهِ
وَسَلِ المَكَارِمَ وَالمَحَارِمَ والحَيَا — مَنْ غَضَّ عَنْ دَرْبِ الخَنَا نَظَرَاتِهِ؟!
مَنْ حَطَّمَ الأَصْنَامَ فِي تَكْبِيرِهِ — مَنْ عَانَقَ التَّوْحِيدَ فِي سَجَدَاتِهِ
مَنْ أَطْلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ أَغْلالِهِ — مَنْ أَخْرَجَ المَوْؤُودَ مِنْ دَرَكَاتِهِ؟!
مَنْ عَلَّمَ الحَيْرَانَ دَرْبَ نَجَاتِهِ — مَنْ أَوْرَدَ العَطْشَانَ عَذْبَ فُرَاتِهِ؟!
مَنْ هَدَّ بُنْيَانَ الجَهَالَةِ وَالعَمَى — وبَنَى الأَمَانَ عَلَى رَمِيمِ رُفَاتِهِ؟!
فَإِذَا بِأَخْلاقِ العَقِيدَةِ تَعْتَلِي — زُورَ التُّرَابِ وَجِنْسَهُ وَلُغَاتِهِ
وَرَأَى جِنَانَ الخُلْدِ حَقًّا فَازْدَرَى — دُنْيَاهُ.. وَاسْتَعْلَى عَلَى لَذَّاتِهِ
أَرَأَيْتَ إِقْدَامَ الشَّهِيدِ وَقَدْ سَعَى — لِلْحَتْفِ مُعْتَذِرًا إِلَى تَمْرَاتِهِ!!
حَمَلُوا الهُدَى لِلْكَوْنِ فِي جَفْنِ الفِدَا — فَتَحَرَّرَ الوِجْدَانُ مِنْ شَهَوَاتِهِ
خَيَّالَةَ المَجْدِ المُؤَثَّلِ وَالعُلا — فَكَأَنَّمَا وُلِدُوا عَلَى صَهَوَاتِهِ
سُمَّارَةَ المِحْرَابِ فِي لَيْلٍ، وَإِنْ — نَادَى الجِهَادُ فَهُمْ عُتَاةُ كُمَاتِهِ
فِي الهِجْرَةِ الغَرَّاءِ ذِكْرَى مَعْهَدٍ — نَسْتَلْهِمُ الأَمْجَادَ مِنْ خَطَرَاتِهِ

تَـارِيـخُ أُمَّـتِنَـا.. ومَـنْـبَـعُ عِـزِّنَـا وَ دُرُوبُـنَـا تَـزْهُـو بِـإِشْـرَاقَـاتِـهِ

فِـيه الحَـضَارَةُ وَالـبِـشَارَةُ وَالـتُّقـى ومُـقِـيـلُ هَذَا الـكَـوْنِ مِنْ عَـثَرَاتِـهِ

فَـتَأَلَّـقِـي يَـا نَفْـسُ فِـي نَـفَـحَاتِـهِ واسْتَشْرِفِـي الغَـايَاتِ مِـنْ غَايَـاتِه

سَقَطَ القِنَاعُ

للشيخ محمد الفقي

سَـقَطَ الـقِـنَـاعُ، وَعَـمَّ لَـيْلٌ مُـظْلِـمٌ مِـنْ أُفْقِ (أُورُبَّـا) عَـلَيْـنَـا يَـهْجُـمُ

ويُحِـيلُ صُبْـحَ العَالَمِـينَ سَحَائِـبًا سُودًا، وكَـانَ مِنَ الـنَّضَـارَةِ يَبْـسُمُ

وَمَضَـى «كَهُولاكُـو» يُدَمِّرُ حَـاقِدًا كُـلَّ الجُسُـورِ، ويَسْتَـفِزُّ، ويَـنْقِـمُ

ويَدُوسُ أَقْـدَاسَ الطَّـهَارَةِ هـاهنـا وهُـنَـاكَ، والـفُسَّـاقُ طَـيْـرٌ حُـوَّمُ

لَـمْ يَكْـفِهِـمْ مَا لَـوَّثُـوا الدُّنْـيَا بِـهِ مُـتَبَـجِّحِينَ كَـأَنَّـهُمْ لَـمْ يَـأْثَمُـوا

فَـأَتَـوْا إِلَـى الإِسْـلَامِ آخِـرِ دَفْـقَـةٍ لِـلنُّـورِ جَـاءَ بِهَـا كِتَـابٌ مُـحْكَـمُ

وَدَعَـا بِهَـا أَسْـمَى نَـبِـيٍّ أَشْرَقَـتْ بِخُـطَاهُ شَـمْسٌ بِـالهِـدَايَةِ تَـحْلُـمُ

وَغَدَوْا عَـلَيْـهِ حَاقِـدِينَ لِـيُطْـفِئُـوا نُـورَ الَّـذِي أَنْـوَارُهُ لاَ تُـهْـزَمُ

لَكِنَّهُ حِـقْدُ الصَّلِيبِيِّـينَ مَدَّ جُسُورَهُ فَـدَنَـا إِلَيْـهِـمْ فِـي الخَفَـاءِ الأَرْقَـمُ

لِـيَـنَـالَ مِـنْ قُـرْآنِـنَـا وَنَـبِـيِّـنَـا هَـذَا الحَـقُـودُ الأَحْـمَـقُ المُـتَوَرِّمُ

آنًا بِـتَـحْـرِيـفِ الـكِـتَـابِ، وَمَـرَّةً بِـتَـطَـاوُلٍ فَـجٍّ بِـهِ يَـتَـهَـكَّـمُ

أَوْ سَـبِّهِ شَـرَفَ الـنَّبِـيِّ، وَصَـحْبِـهِ وَنِـسَـائِـهِ، وَبِكُـلِّ دَعْـوَى تُـؤْلِـمُ

يَـتَـنَـاقَـلُ الكُـتَّـابُ نَشْـرَ هُـرَائِهَـا وَتُـعِـيدُ صُـحْفُـهُـمُ الـغَبِـيَّةُ عَـنْهُـمُ

مِثْلَ الكلاَبِ النَّابِحَاتِ، وكُلَّمَا بَصُرَت بِظِلٍّ في الدَّيَاجِي يُقْدِمُ
نَهَمَتْ لُحُومَ الضَّيْفِ لَمْ تَأْبَهْ بِهِ إنْ كَانَ ضَيْفًا أوْ غَرِيبًا يُكْرَمُ
قَلَبُوا مَوَازِينَ الحَيَاة وبَدَّلُوا حَتَّى رأَى الأعْمَى، وفَاهَ الأبْكَمُ
إنِّي لأعْجَبُ منْ عَدَاوتِهِمْ لَنَا مَاذَا أتَاهُ المُسْلِمُونَ لِيُظْلَمُوا
ويُنَالَ منْ حُرُمَاتِهِمْ، ويُمَزَّقُوا ويُشَتَّتُوا، ويُطَارَدُوا، ويُيَتَّمُوا
ونَظَلَّ طُولَ حَيَاتِنَا في خَنْدَقٍ لِيَرُدَّ عَنَّا مَنْ يَصُولُ ويُحْجِمُ
مُتَوَرِّمُ الشِّدْقَيْنِ مَمْطُوطُ اللَّهَا وعَلَيْهِ مِنْ آثَارِ ذِبْحَتِنَا دَمُ
مَا إنْ يَمُدُّ لِسَانَهُ بِزُعَافِهِ حَتَّى يَقِيءَ دمًا وغَيْظًا يَكْظِمُ
رَكِبَ التَّعَصُّبُ رَأسَهُمْ فَتَطَاوَلُوا وأَغَرَّهُمْ منَّا الصَّدَى المُسْتَسْلِمُ
فَتَهَكَّمُوا، وتَهَجَّمُوا، وتَحَكَّمُوا وعَدَا مَعَ الأغْنَامِ هَذَا الضَّيْغَمُ
فَإذَا اسْتَبَدَّ فطُعْمَةٌ سَاغَتْ لَهُ وَإذَا اسْتَلَذَّ فَنِعْمَ هَذَا المَطْعَمُ
يَا مُسْلِمُونَ وذِي نَصِيحَةُ مُخْلِصٍ مِنْكُمْ يُؤَرِّقُهُ الصُّرَاخُ الأعْجَمُ
لَيْسَ الدِّفَاعُ عَنِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ خُطَبًا تُدَبَّجُ أوْ كَلامًا يُرْقَمُ
أوْ فِي تَظَاهُرَةٍ تُزَلْزِلُ شَارِعًا وتَرُوحُ لِلْبُنْيَانِ ظُلْمًا تَهْدِمُ
أوْ فَيْضِ عَاطِفَةٍ تَفُورُ حَمَاسَةً ثُمَّ انْطِفَاءُ مَيِّتٍ وتَشَرْذُمُ
لَكِنَّهُ فِكْرٌ، ونَهْجٌ رَاشِدٌ ولُزُومُ سُنَّتِهِ الَّتِي هِيَ أقْوَمُ
ورُكُوبُ مَتْنِ العِلْمِ أنَّى يَمَّمَتْ آفَاقُهُ، فَالجَهْلُ عَارٌ مُؤْلِمُ
والآنَ نَبْكِي، لاَ الدِّيَارُ دِيَارُنَا وزَمَانُنَا هَذَا الدُّجَى المُتَجَهِّمُ
فَإذَا أرَدْنَا صَحْوَةً وكَرَامَةً تَحْمِي الحِمَى، وتَرُدُّ مَنْ لاَ يَرْحَمُ

فَـالعـلْمُ ثُـمَّ الوَعْـيُ للْـفتَـنِ الَّتـي ... مِـنْ حَـوْلنَـا أَبْـدَوْا تُـحَاكُ وتُـبْـرَمُ
وَلبدْعَـة الخَطَرِ ـ الصِّـرَاعِ ـ المُدَّعَى ... بَـيْـنَ الحَـضَـارَات الَّـتـي تَـتَـأَزَّمُ
فَـوَرَاءَ هَـذَا الـغَـيْـمِ رَعْـدٌ بَـارِقٌ ... وصَدَى زُخُوف فـي العَرِينِ تُـهَوِّمُ
رُوحـي فدَاؤُكَ يَـا رَسُولَ الـلَّه مَـا ... قَـدْ لاَحَ نُـورٌ أَوْ شَـدَاً مُـتَـرَنِّـمُ
وَمَعـي أُلُوفٌ منْ مَـلاَيِينَ اكْـتَوَتْ ... بـالحُـزْنِ مـمَّا قَـدْ رَمَـاكَ المُـجْـرِمُ
واسْمَعْ مِنَ الفِرْدَوْسِ رَجْعَ هُتَافِهَا ... ملءَ الـفَضَـاءِ وَبِالـوَعِيـدِ مُدَمْـدِمُ

* * *

مَقَامُكَ أَعْلَى

إِلَى سَيِّدِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ انْتِصَاراً لَهُ

شعر - عبد الغني أحمد الحداد

هَـذَا مَقَـامُـكَ رَغْـمَ كُلِّ حُـسُـود ... أَسْمَـى وَأَعْلَى فِـي ضَمِيرِ وُجُود
مَنْ كَـانَ رَبُّ النَّـاسِ أَعْلَـى شَأْنَـهُ ... هَـيْـهَاتَ يُـؤْذِيـه جُـحُودُ حَـقُـود
مَـا ضَـرَّ مَا فَـعَـلَ الحَقُودُ وإِنَّـمَـا ... أَهْـلُ المَكَـارِمِ عُرْضَـةٌ لِـحَـسُـود
الـشَّـانِئُـونَ طَـوَتْـهُـمُ أَحْقَـادُهُـمْ ... وطَـوَتْـهُـمُ الأَيَّـامُ فِـي تَـنْـكِـيـد
أَوَمَـا أَتَـى هَـذَا الـنَّـبِـيُّ مُـحَـرِّرًا ... لِـلْفِكْـرِ مَـنْ أَسْـرٍ ومَـنْ تَـقْـيِـيـد
عَـجَبًـا لَهُـمْ لَمْ يُـدْرِكُوا أَفْـضَالَـهُ ... عَـمِيَـتْ بَـصَائِرُهُـمْ بِلَـيلِ جُـحُود
جَهِـلُوا مَكَـارِمَهُ الحِسَانَ وفَضْـلَهُ ... فِـي نَـشْـرِ أَنْـوارٍ وكَـسْـرِ قُـيُـود
جَـهِـلُـوا عِـطَايَـاهُ الكِـبَـارَ وَإِنَّـهُـمْ ... ضَـلُّـوا ومَـنْ عَادَاهُ غَـيْـرُ رَشِـيـد

* * *

هَيْـهَاتَ مَا هَـانَتْ رِسَـالَتُكَ الَّـتِي ... أَحيَـتْ مواتَ الـفكر بـعد جـمود
قَـدَّمْـتَ لِـلأَجْيَـال أَعْـظَـمَ دَعْـوَةٍ ... تَـسْمُـو وتَدْعُـو لِلْـهُدَى المَـنْشُـود
وحَـمَـلْتَ لِـلإِنْـسَـانِ نُورَ هِـدَايَـةٍ ... يَـمْـضِـي بِـه لِـغَـدٍ أَغَـرَّ مَـجِـيـد
وكَـرَامَةُ الإِنْـسَـانِ تُـعْـلِـي شَـأْنَـهَـا ... تَـنْـأَى بِـه عَـنْ وَاقِـعٍ مَـكْـدُود
حَـرَّرْتَـهُ مِـنْ كُـلِّ قَـيْـدٍ زَائِـف ... سَـاوَيْـتَ بَـيْـنَ مُـسَـوَّدٍ ومَـسُـود
ديـنُ الـسَّـمَـاحَـةِ دِيـنُـنَـا لَـكِـنَّـهُـمْ ... نَـظَـرُوا بِـعَـيْـنِ مُـكَـذِّبٍ وكَـنُـود
أَوَمَا نَـشَـرْنَـا فِي الـوُجُودِ حَـضَارَةً ... بَـنَّـاءَةً كَـمْ أُبْـدِعَـتْ بِـجُـهُـود

والعَدْلُ والإِحْسَانُ عُنْوانٌ لَهَا ... والخَيْرُ رَائِدُهَا لِدَرْبِ سُعُودِ
أَوَمَا بَنَيْنَا وَحْدَةً مِعْطَاءَةً ... لَمْ تَعْتَرِفْ بِحَوَاجِزٍ وَجُدُودِ

* * *

يَا أُمَّةَ الإِسْلاَمِ هَلاَّ غَضْبَةً ... لِلْحَقِّ تُعْلِي رَايَةَ التَّوْحِيدِ
سِيرِي عَلَى نَهْجِ الرَّسُولِ وهَدْيِهِ ... وَبِهِ إِلَى عِزِّ الحَيَاةِ فَعُودِي
سِيرِي عَلَى دَرْبِ الرَّسُولِ وجَدِّدِي ... عَهْدَ الوَفَاءِ لَهُ بِكُلِّ صَعِيدِ
وامْضِي بِنُورِ الحَقِّ لا تَتَرَدَّدِي ... وَدَعِي الخُمُولَ لِمُتْرَفٍ رِعْدِيدِ
ودَعِي دُعَاةَ الشَّرِّ فِي أَحْقَادِهِمْ ... مِنْ كُلِّ أَحْمَقَ فَاسِقٍ عِرْبِيدِ
عُودِي لِحَبْلِ اللَّهِ فِيهِ تَمَسَّكِي ... قُرْآنُهُ هَادٍ لِكُلِّ شَرُودِ

* * *

يَا سَيِّدِي هَذِي طَلائِعُ أُمَّةٍ ... غَضِبَتْ لِحَقِّكَ وَاجَهَتْ لِلَدُودِ
أَوَ مَا غَرَسْتَ بِهَا مَشَاعِلَ عِزَّةٍ ... فِي العَالَمِينَ، وقُوَّةً بِزُنُودِ
أَوَ مَا بَنَيْتَ مِنَ التَّفَرُّقِ أُمَّةً ... حَمَلَتْ لِوَاءَ الحَقِّ رَغْمَ جُحُودِ
سَتَعُودُ أُمَّتُنَا بِرَغْمِ مَكَائِدٍ ... تَبْنِي الحَيَاةَ بِعَزْمِهَا المَعْهُودِ
ثَارَتْ عَلَى الطُّوفَانِ جَاءَ مُعَرْبِدًا ... يَجْتَاحُ عِزَّتَنَا بِكَيْدِ مَرِيدِ
تِلْكَ البَشَائِرُ قَدْ تَرَاءَى وَمْضُهَا ... مِنْ كُلِّ أَرْضٍ رَغْمَ عَصْفِ قُيُودِ
لاَبُدَّ أَنْ تَأْتِي طَلائِعُ فَجْرِنَا ... تَجْتَاحُ لَيْلَ البَاطِلِ المَنْكُودِ
وَيَظَلُّ ذِكْرُكَ فِي المَعَالِي خَالِدًا ... وَيَظَلُّ هَدْيُكَ مَشْرَعًا لِوُرُودِ[1]

(١) مجلة «الوعي الإسلامي» ـ العدد (٤٨٦) ـ صفر ١٤٢١ هـ (ص٣٣).

بِأَبِي أَنْتَ يا رَسُولَ اللَّهِ ![1]

لشهاب غانم - الإمارات

عَلِّمُوهُمْ مَنْ مَنْ يَكُونُ الرَّسُولُ ... كَمْ هَوَتْهُ قُلُوبُنَا والعُقُولُ
أَبْتَرٌ كُلُّ شَانِئٍ وجَهُول ... كَأَبي الجَهْلِ وَالمَصيرُ مَثِيلُ
قَاطِعُوهُمْ فَالمَالُ رَبٌّ لَدَيْهِمْ ... فَاضْرِبُوهُمْ فِي جَيْبِهِمْ كَيْ يَحُولُوا
عَلِّمُوهُمْ - مِنْ دُونِ عُنْفٍ - بِأَنَّا ... تَحْتَ هَذَا الرَّمَادِ جَمْرٌ يَسيلُ
وَبِأَنَّ الرَّسُولَ لَيْسَ مَجَالاً ... لِلسَّفَاهَاتِ فَهْوَ طَوْدٌ طَوِيلُ
شَامِخٌ.. شَامِخٌ.. عَظِيمٌ.. عَظِيمٌ ... رَائِعٌ.. رَائِعٌ، جَلِيلٌ.. جَلِيلُ
هُوَ لِلْعَالَمِينَ رَحْمَةٌ ... رَحْمَنٌ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ظِلٌّ ظَلِيلُ
بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولُ وَأُمِّي ... نَحْنُ نَفْدِيكَ إِنْ تَعَدَّى جَهُولُ
أَنْتَ حَيٌّ مَدَى الزَّمَانِ بَهِيٌّ ... بَاهِرٌ.. بَاهِرٌ.. جَمِيلٌ.. جَمِيلُ
وَهُمُ أَعْيُنٌ بِغَيْرِ عُيُونٍ ... وَقُلُوبٌ مَخْتُومَةٌ، فَهْيَ لَيْلُ
أَوَلاَ يَشْهَدُونَ دِينًا عَظِيمًا ... فِي انْتِشَارٍ، مَهْمَا الحِصَارُ يَهُولُ
أَوَ هَذَا هُوَ الَّذِي يَصِمُوهُ ... بِصِفَاتِ الإِرْهَابِ؟ أَيْنَ العُقُولُ؟!
أَوَ نَفْثُ الأَحْقَادِ حُرِّيَّةُ القَوْلِ ... وَهَذَا التَّدْلِيسُ والتَّدْجِيلُ؟
أَمْ لَدَيْهِمْ كَيْلاَنِ: كَيْلٌ لِبِيضٍ ... وَيَهُودٍ، وَلِلْبَقِيَّةِ كَيْلُ

* * *

(١) «المجلة العربية» - العدد (٣٤٩) - (ص١١٩).

أَيُّهَا السَّاخِرُونَ مِنْ كُلِّ دِينٍ ... وَمِنَ الحَقِّ كَيْفَ ضَاعَ السَّبِيلُ؟!
أَتُرِيدُونَنَا اتِّبَاعَ خُطَاكُمْ ... كَيْ إِلَى مِثْلِه يُزَفُّ المَثِيلُ؟!
إِنَّ دِينَ الإِسْلَامِ دِينُ سَلَامٍ ... وَحِوَارٍ مَهْمَا عَلَا التَّضْلِيلُ
هُوَ دِينٌ يُجِلُّ مُوسَى وعِيسَى ... واسمُ أُمِّ المَسِيحِ فيه البَتُولُ
نَحْنُ لَمْ نَصْنَعِ المَحَارِقَ ... والحَرْبَانِ مَنْ كَانَ عَنْهُمَا المَسْؤُولُ؟
مَا صَنَعْنَا قَنَابِلَ الذَّرِّ حَتَّى ... وَلْوَلَتْ حَوْلَ «هيروشيمَا» الطُّلُولُ
دُوَلٌ كُنَّ خَلْفَ تِلْكَ المَخَازِي ... وَسِجِلُّ الجُنَاةِ حَقًّا يَطُولُ

* * *

بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولُ وَأُمِّي ... كَمْ شَكَوْنَا فَمَا أَفَادَ العَوِيلُ
هُمْ يَظُنُّونَ أَنَّنَا قَدْ هُزِمْنَا ... وَانْتَهَيْنَا وَضَمَّنَا المَجْهُولُ
وَرَأَيْنَا سَادِيَّةً وشُذُوذًا ... بَيْدَ أَنَّ الَّذِي تَبَدَّى القَلِيلُ
إِنَّمَا نَحْنُ مَنْ يُلامُ فَظُلْمٌ.. ... وَفَسَادٌ.. وفُرْقَةٌ.. وَخُمُولُ
لَمْ يَعُدْ لِلْخُيُولِ فِينَا صَهِيلٌ ... أَوْ يَعُدْ لِلسُّيُوفِ فِينَا صَلِيلُ
بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولُ وَأُمِّي ... قُلْ لَنَا كَيْفَ نَقْتَدِي وَنَقُولُ
كَمْ تَحَمَّلْتَ مِنْ دُهَاةِ الأَعَادِي ... وَهُمُ اليَوْمَ فِتْنَةٌ وَفَتِيلُ
أَغْرَقُوا الكَوْنَ فِي صِرَاعِ الحَضَارَاتِ ... وَهَذَا خَطِيبُهُمْ صَمْوِيلُ
هُمْ يُرِيدُونَ ضَرْبَ شَرْقٍ بِغَرْبٍ ... لِيَفُوزُوا والكُلُّ جَمْعًا يَدُولُ
أَيُّهَا الشَّانِئُونَ فِي الغَرْبِ مَهْلاً ... نَحْنُ نَصْحُوا إِذَا يُسَبُّ الرَّسُولُ
نَحْنُ نَبْغِي تَعَايُشًا وَسَلَامًا ... وَحِوَارًا فِيهِ الوِئَامُ أَصِيلُ
إِنَّمَا نَحْنُ لَنْ نَظَلَّ مَدَى الدَّهْرِ ... نِيَامًا إِذَا تُدَقُّ الطُّبُولُ

فَدَيْتُ أَكْرَمَ هَادٍ[1]

د/ عبدالرحمن العشماوي - الرياض

يَا بِنَفْسِي فَدَيْتُ خَيْرَ نَبِيٍّ وَبِرُوحِي فَدَيْتُ أَكْرَمَ هَادِي
وَبِشَعْرِي نَافَحْتُ عَنْهُ ابْتِغَاءً لِمَقَامِ النَّجَاةِ يَوْمَ التَّنَادِي
دُونَ عِرْضِ النَّبِيِّ، عِرْضِي وَوَجْهِي وَحَيَاتِي وَطَارِفِي وَتِلاَدِي
صُورَةُ الْمُصْطَفَى تُضِيءُ بِهَدْيٍ وَيَقِينٍ وَحِكْمَةٍ وَسَدَاد
نَوَّرَ اللَّهُ وَجْهَهُ، فَهْوَ بَدْرٌ يَتَجَلَّى لِحَاضِرٍ وَلِبَادِي
صُورَةُ الْمُصْطَفَى أَجَلُّ وَأَسْمَى مِنْ يَدٍ لُوِّثَتْ بِشَرٍّ مَدَاد
أَيْنَ أَهْلُ الفِرْدَوْسِ مَنْ أَهْلِ كُفْرٍ وَضَلاَلٍ وغَفْلَةٍ وَعِنَاد؟!
إِنَّهُ الْمُصْطَفَى الحَبِيبُ تَسَامَى وَهْوَ حَيٌّ عَنْ سَوْرَةِ الأَحْقَاد
هُوَ - واللَّهِ - فِي السَّمَاءِ مُقِيمٌ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى، رَفِيعُ العِمَاد
فِي الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ عِنْدَ إِلَهٍ صَانَهُ مِنْ تَآمُرِ الحُسَّاد
شَاتِمُ الْمُصْطَفَى سَيَشْرَبُ نَاراً وَسَيَصْلَى بِجَمْرِهَا الوَقَّاد
كُلَّمَا حَاوَلَ القِيَامَ تَرَاخَى وَتَهَاوَى، فَوَجْهُهُ فِي الرَّمَاد
خَسِرَ الكَافِرُ الْمُعَانِدُ دُنْيَا قَبْلَ أُخْرَى، وَذَاقَ طَعْمَ الكَسَاد
إِنْ تَمَادَى فَسَوْفَ يَشْرَبُ كَأْسًا مِنْ صَدِيدٍ جَزَاءَ هَذَا التَّمَادِي

* * *

(١) «المجلة العربية» - العدد (٣٤٩) - (ص١٢١).

رَبِّ هَـذَا جُـهْـدُ المُـقِـلِّ وَقَـلْـبِي أَنْـتَ أَدْرَى بِـهِ فَـحَـقِّـقْ مُـرَادِي
قَـالَ حَسَّـانُ - ذَاتَ يَوْمٍ - عَـدِمْنَا خَـيْـلَـنَـا إِنْ تَـأَخَّـرَتْ عَـنْ جِـلَادِ
وَأَنَـا قُـلْـتُـهَـا: عَـدِمْـنَا قُـلُـوبًا إِنْ تَـوَارَتْ عَـنْ حُـبِّـهَـا لِـلـرَّشَـادِ
وَعَـدِمْـنَـا أَرْوَاحَـنَـا إِنْ تَـوَارَتْ عَـنْ مَـيَـادِيـنِ دَعْـوَةٍ وَاتِّـحَـادِ

* * *

تَحِيَّةٌ ودِفَاعٌ عَنْ عِرْضه ﷺ (١)

محمد بن عائض القرني

مَا بَالُ مَكَّةَ قَدْ ضَجَّتْ نَوَاحِيهَا؟ وَدَمْعُ طَيبَةَ جَرى مِنْ مآقيهَا؟
مَا للْجَزِيرَةِ قَدْ مَادَتْ بِسَاكنِهَا؟ فَاهْتزَّ شَامخُهَا وَارْتَجَّ وَادِيهَا!
مَا لِلْعُرُوبَةِ وَالإسْلامِ رَوَّعَهَا خَطْبٌ أَلَمَّ وظُلْمٌ مِنْ أَعَادِيهَا؟
أَيَسْخَرُونَ مِنَ الهَادِي الَّذي شَرُفَتْ بِه البَرِيَّةُ قَاصِيهَا ودَانِيهَا؟!
أَيَسْخَرُونَ مِنَ الأَنْوارِ قَدْ كَشَفَتْ مَجَاهِلَ الظُّلْمِ فَانْزَاحَتْ غَوَاشِيهَا
أَيَسْخَرُونَ مِنَ المَجْدِ الَّذي خَضَعَتْ لَهُ الجَبَابِرُ حَتَّى ذَلَّ طَاغِيهَا
أَيَهْزَؤُونَ بِه؟ شُلَّتْ أَكُفُّهُمُ وَدَمَّرَ اللَّهُ مَا تَجْنِي، وَجَانِيهَا
أَعْدَاءُ كُلِّ نَبِيٍّ جَاءَ يُنْقِذُهُمْ مِنَ الضَّلاَلَةِ لَمَّا أُرْكِسُوا فِيهَا
مُحَمَّدٌ خَيْرُ مَنْ سَارتْ بِه قَدَمٌ وَأَكْرَمُ النَّاسِ مَاضِيهَا وَبَاقِيهَا
أَوْفَى الخَلِيقَةِ إيمَانًا وأَكْمَلُهَا دِينًا وأَرْجَحُهَا فِي وَزْنِ بَارِيهَا
مَنْ مِثْلُهُ فِي الوَرَى بِرًّا وَمَرْحَمَةً؟ وَمَنْ يُشَابِهُهُ لُطْفًا وَتَوْجِيهَا؟
جَاءَتْ رِسَالَتُهُ لِلنَّاسِ خَاتِمَةً وَجَاءَ بِالنِّعْمَةِ المُسْدَاةِ يَهْدِيهَا
أَحْيَا الحَنِيفِيَّةَ الغَرَّاءَ مُتَّبِعًا نَهْجَ الخَلِيلِ وَلَمْ يُخْطِئْ مَرَامِيهَا
وَسَارَ فِي كَنَفِ الرَّحْمَنِ يَكْلَؤُهُ إِلَى الحِسَانِ مِنَ الأَخْلاَقِ يَبْنِيهَا
هُوَ البَشِيرُ لِمَنْ أَصْغَى لِدَعْوَتِهِ هُوَ النَّذِيرُ لِمَغْرُورٍ يُعَادِيهَا

(١) مجلة «البيان» - العدد (٢٢٢) - (ص٥٨).

كِسْرَى تَكَسَّرَ إِذْعَانًا لِهَيْبَتِه ... قُصُورُ قَيْصَرَ هُدَّتْ أَعَالِيهَا!
وَأَقْبَلَتْ أُمَمٌ شَتَّى مُبَايِعَةً ... تَمُدُّ لِلْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ أَيْدِيهَا
نَالَتْ بِدَعْوَتِه نُعْمَى وَمَكْرُمَةً ... وأَسْعَدَ اللَّهُ بَعْدَ البُؤْسِ نَادِيهَا
فِي الهِنْد والصِّين والقُوقَاز طَائِفَةٌ ... تَذُودُ عَنْ عِرْضِ خَيْرِ النَّاسِ تَنْزِيهَا
وَفِي (أُورُبَّةَ) أَقْوَامٌ قُلُوبُهُمُ ... بِدِينِ أَحْمَدَ قَدْ نَالَتْ أَمَانِيهَا
الصَّامِدُونَ بِوَجْهِ الكُفْرِ مَا ضَعُفُوا ... يُجَابِهُونَ المَنَايَا فِي تَحَدِّيهَا
يَفْدُونَ عِرْضَ رَسُولِ اللَّهِ مَا بَخِلُوا ... وَبِالنُّفُوسِ إِذَا نَادَى مُنَادِيهَا!
حَتَّى إِذَا نَشَرَ الأَنْذَالُ حِقْدَهُمُ ... وبَارَزُوا اللَّهَ مِنْ عُدْوَانِهِمْ تِيهَا
تَؤُزُّهُمْ زُمَرٌ ضَاقَتْ نُفُوسُهُمُ ... لَهُمْ عُيُونٌ شُعَاعُ الحَقِّ يُغْشِيهَا
بَنُو اليَهُود وَمَنْ سَاءَتْ سَرِيرَتُهُ ... فَأَبْدَلَ الصِّدْقَ تَزْوِيرًا وتَمْوِيهَا
أَيَسْخَرُونَ مِنَ المَعْصُومِ وَيْلَهُمُ؟ ... وَيَطْلُبُونَ لَهُ ذَمًّا وتَشْوِيهَا؟
مَنْ جَاءَ بِالمِلَّةِ البَيْضَاءِ صَافِيَةً ... نَقِيَّةً؛ وبِنُورِ الوَحْيِ يُحْيِيهَا
أَقَامَ بِالعَدْلِ مَجْدًا لاَ زَوَالَ لَهُ ... وأُمَّةً كَنَفُ الرَّحْمَنِ يَحْمِيهَا
مِنْ بِئْرِ زَمْزَمَ سُقْيَاهَا وَمَطْعَمُهَا ... مِنْ تَمْرِ طِيبَةَ قَدْ طَابَتْ مَغَانِيهَا
أَرْوَاحُهَا بِظِلاَلِ البَيْت هَائِمَةٌ ... مِنْ دُونِه تَرْخُصُ الدُّنْيَا ومَا فِيهَا!
فَدَاءُ عِرْضِ رَسُولِ اللَّهِ أَنْفُسُنَا ... وكُلُّ نَفْسٍ ومَا تَحْوِيهِ أَيْدِيهَا
وَصَلِّ يَا رَبِّ مَا هَبَّ النَّسِيمُ عَلَى ... مُعَلِّمِ الأُمَمِ الحَيْرَى وهَادِيهَا
تَحِيَّةً لِرَسُولِ اللَّهِ أَبْعَثُهَا ... وَيَوْمَ هِجْرَتِهَا الغَرَّاءِ أُهْدِيهَا

* * *

نِدَاءُ اسْتِغَاثَةٍ

لصلاح الدين الغزال(١)

لِـتَـعْـذُرْنَـا رَسُـولَ الـلَّـه إِنَّـا ... نُـعَـانِـي تَـحْـتَ أَهْـوَالٍ عِـظَـامِ
أَمَـاتُـوا أُمَّـةً هَـانَـتْ وَنَـادَوْا ... بِـأَنَّ سُـبَـاتَـنَـا لِـلـدِّيـنِ حَـامِ
وَهُـمْ أَعْـدَاؤُنَـا سِـرًّا وَلَـكِـنْ ... هُـنَـاكَ تَـفَـاوُتٌ عِـنْـدَ الـصِّـدَامِ
وَآخَـرُ يَـدَّعِـي الإِسْـلَامَ زَيْـفًـا ... يَـسُـوسُ الـنَّـاسَ قَـسْـرًا بِـالْحُـسَـامِ
يَـرَوْنَ دِمَاءَنَـا لِـلـسَّـفْـكِ حِـلًّا ... فُـسَـاةً يَـلْـهَـثُـونَ بِـلَا أُوَامِ
غَـدَاةَ الـسِّـلْـمِ كُـلُّـهُـمُ صُـقُـورٌ ... وَعِـنْـدَ الْحَـرْبِ أَشْـبَـهُ بِـالْحَـمَـامِ
يَـدُوسُـونَ الـنُّـفُـوسَ بِـلَا حَـيَـاءٍ ... وَقَـدْ جُـبِـلُـوا عَـلَـى سَـحْـلِ الأَنَـامِ
غُـثَـاءُ الـسَّـيْـلِ صَـارَ لَـنَـا شَـبِـيهًـا ... نَـهِـيـمُ بِـلَا هُـدًى مِـثْـلَ الـسَّـوَامِ
رَسُـولَ الـلَّـه لَا تَـأْبَـهْ لِـرَسْـمٍ ... شَـنِـيـعٍ صَـاغَـهُ بَـعْـضُ الـلِّـئَـامِ
تَـصَـدَّى نُـورُ وَجْـهِـكَ دُونَ لَأْيٍ ... مَـعَ الإِيـمَـانِ جَـهْـرًا لِـلـظَّـلَامِ
فَـزَالَ الـكُـفْـرُ عَـنْ قَـيْـسٍ وَأَضْـحَـتْ ... بِـكَ الـرُّكْـبَـانُ تَـرْفُـلُ بِـالـسَّـلَامِ
وَهَـا شَـاهَـدْتَ فِـي الأَجْـسَـادِ نَـزْفِـي ... وَقَـدْ كَـرُّوا عَـلَـى الْمَـوْتِ الـزُّؤَامِ
شَـبَـابٌ لَا يَـخَـافُـونَ الْمَـنَـايَـا ... تَـدَاعَـوْا لِـلَّـظَـى وَالأُفْـقُ دَامِ
فِـدَاكَ أَبِـي وَرُوحِـي دُونَ مَـنٍّ ... أُقَـدِّمُـهَـا إِلَـى مَـرْمَـى الـسِّـهَـامِ
وَلَـوْ قَـدْ كَـانَ لِـي رَهْـطٌ وَخَـيْـلٌ ... لَأَسْـمَـعْـتُ الأُلَـى خَـسِـئُـوا كَـلَامِـي
وَلَـكِـنْ لَا سِـلَاحَ لَـهُ نُـفُـوذٌ ... سِـوَى قَـلَـمِـي لِإِيـقَـاظِ الـنِّـيَـامِ

(١) بَنِي غَازِي - لِيبيا.

فَلَيْتَ لَنَا بِجَوْفِ الغِمْدِ سَيْفًا ... وَلَيْتَ لَنَا وَرَاءَ القَوْسِ رَامِ
جَمِيلُ الفِعْلِ لَيْسَ هُنَاكَ شَكٌّ ... نَزِيهٌ أَنْتَ عَنْ كُلِّ اتِّهَامِ
نِدَائِي يَا رَسُولَ اللَّهِ يَوْمًا ... بِأَنْ أُشْفَى بِحَوْضِكَ مِنْ سَقَامِي
بِمَدْحِكَ أَرْتَجِي وَالوَيْلُ خَلْفِي ... وَقَدْ عَاثَ العِدَى حُسْنَ الخِتَامِ

صَرَخَتْ وَلَكِنْ

لعبدالله أحمد كامل

صَرَخَتْ تُنَادِي أُمَّةَ المِلْيَارِ ... أَوَمَا تَرَوْنَ خَنَاجِرَ الغَدَّارِ
فِي القَلْبِ يَطْعَنُنِي وَجُرْحِي نَازِقٌ ... وَدَمِي الحَزِينُ يَفِيضُ كَالأَنْهَارِ
أَوَمَا تَرَى الجَلَّادَ يَحْفُرُ سَوْطُهُ ... وَنُدُوبُهُ فِي الجِسْمِ كَالأَغْوَارِ
أَوَ مَا تَرَوْنَ الذِّئْبَ يَنْهَشُ المعزى ... وَيَسُبُّكُمْ يَا ضَيْعَةَ الأَطْهَارِ
أَوَ تَرَى الغِرْبَانَ تَسْحَقُ ضَحْكَيَ ... وَتُحَارِبُ التَّغْرِيدَ فِي أَطْيَارِي
وَعَقَارِبُ الظُّلُمَاتِ تَنْفُثُ سُمَّهَا ... وَتَشُنُّ هَجْمَتَهَا عَلَى الأَنْوَارِ
يَسْعَى اللِّئَامُ لِطَمْسِ نُورِ هِدَايَتِي ... مَا بَالُ أُمَّةِ سَيِّدِ الأَقْمَارِ
يُرْمَى بِأَضْغَانِ الكَفُورِ وَقَوْمِهِ ... سَكِرُوا بِكَأْسِ مَذَلَّةٍ وَصَغَارِ
هَاهُمْ ضَحَايَا رَقْصَةٍ مِنْ حَيَّةٍ ... جَلَبَتْ عَلَى الشُّرَفَاءِ كُلَّ العَارِ
وَقُلُوبُهُمْ سُحِرَتْ بِلَحْنٍ مَاجِنٍ ... حُرِمَتْ نَعِيمَ الذِّكْرِ فِي الأَسْحَارِ
وَعُقُولُهُمْ كُرَةٌ وَأَقْدَامُ العِدَا ... كَادَتْ تُمَزِّقُهَا فَأَيُّ شَنَارِ
يَا فَرْحَتِي بِالكَأْسِ بَلْ يَا حَسْرَتِي ... هَذَا وِسَامُ هَزِيمَتِي وَخَفَارِي

رَكَعُوا لِذَابِحِهِمْ فَصَارَ النَّعْلُ سِكِّينًا ... وَيَـلْـكُـمْ بِـغْـيَـةَ الـكُـفَّـارِ
أَسَفَاهُ قُومُوا يَا سُكَارَى وَيْلَكُمْ ... يَا لانْحِطَاطِ الوَاهِنِ الخَوَّارِ
أَيْهَانُ شَمْسُ العَالَمِينَ رَسُولُكُمْ ... أَوَ تَقْبَلُونَ إِهَانَةَ المُخْتَارِ
تَتَسَابَقُ الحَشَرَاتُ فِي رَسْمِ العُلاَ ... لِتُهِينَهُ بَاءَتْ بِكُلِّ بَوَارِ
وَيُخَوِّفُونَ بِرَسْمِهِ أَمْثَالَهُمْ ... مِنْ طُغْمَةِ الأَنْجَاسِ وَالأَشْرَارِ
يُحَارِبُونَ مُحَمَّدًا خَيْرَ الوَرَى ... أَوْ يَرْجُمُونَ الصَّفْوَ بِالأَكْدَارِ
أَيُسَبُّ خَيْرُ المُرْسَلِينَ مُحَمَّدٌ ... وَالصَّمْتُ يَخْنُق ثُلَّةَ الأَخْيَارِ
أَوَلَمْ يَذُقْ فِي الحَقِّ أَلْوَانَ الأَذَى ... لِيَعُمَّكُمْ بِهِدَايَةِ الغَفَّارِ
أَوَ لَمْ يُفَارِقْ دَارَهُ مُتَأَلِّمًا ... لِيَكُونَ دِينُ اللَّهِ أَكْرَمَ دَارِ
أَوَ لَمْ يَفُرْ مِنْ وَجْهِهِ الغَالِي الدَّمُ ... الغَالِي لِتَعْلُو رَايَةُ الأَبْرَارِ
أَيَجُودُ بِالرُّوحِ الحَبِيبُ لأَجْلِنَا ... وَنَصُدُّ نَهْرَ الجُودِ بِالإِمْتَارِ
أَوَ مَا تُحِبُّونَ الرَّسُولَ فَمَا لَكُمْ ... أَنَّى تَكُونُ بِصَيْحَةٍ وَشِعَارِ
إِنِّي رَأَيْتُ الحُبَّ يُثْمِرُ غَيْرَةً ... وَأَرَى مَحَبَّتَكُمْ بِغَيْرِ ثِمَارِ
سَئِمَ القَصِيدُ مَدِيحَكُمْ وَهُتَافَكُمْ ... أَشْقَيْتُمُوهُ بِكَاذِبِ الأَشْعَارِ
رُوحُ المُحِبِّ يَذُوبُ فِي مَحْبُوبِهِ ... وَالمُدَّعِي لِلْحُبِّ لَيْسَ بِدَارِ
يَا أُمَّةَ المُخْتَارِ يُطْعَنُ فَجْرُكُمْ ... أَوَ مَا لِفَجْرِ الحَقِّ مِنْ أَنْصَارِ
صَرَخَتْ وَطَالَ صُرَاخُهَا يَا قَوْمُ يَا ... يَا يَا لِغَفْلَةِ أُمَّةِ المِلْيَارِ
صَرَخَتْ وَجُنَّ صُرَاخُهَا وَتَقَطَّعَتْ ... أَوْصَالُهَا يَا غِلْظَةَ الأَوْقَارِ
أَنَا لاَ أَلُومُ الكَافِرِينَ فَكُفْرُهُمْ ... هُوَ شَأْنُهُمْ فِي الجَهْرِ الإِسْرَارِ

لَكِنْ أَلُومُ المُدَّعِينَ وَقَدْ أَبَوْا ... إلاَّ عِنَادَ الوَاحِدِ القَهَّارِ
آذَوْا رسول اللَّه وهو سراجهم ... أَوَلَمْ يَخَافُوا نِقْمَةَ الجَبَّارِ

رَسُولُ الهُدَى مُحَمَّدٌ ﷺ

بقلم الدكتور عدنان علي رضا النحوي

عَانِقِي المَجْدَ وَاخْفُقِي يَا بِيدُ ... كُلَّ يَوْمٍ عَلَى رِمَالِكِ عِيدُ
رَايَةٌ بَعْدَ رَايَةٍ وَزُحُوفٌ ... فِي مَيَادِينِهَا وَفَجْرٌ جَدِيدُ
لاَ يَزَالُ التَّارِيخُ يَدْفَعُهُ النَّصْـ ... ـرُ وَيَبْنِيهِ مُؤمِنٌ وشَهِيدُ
والنُّبُوَّاتُ آيَةُ اللَّهِ يُجْلَى الحَـ ... ـقُّ فِي نُورِهَا وَيُجْلَى الوُجُودُ
تَصِلُ الأَرْضَ والزَّمَانَ فَتَمْتَـ ... ـدُّ مَوَاثِيقُ أُمَّةٍ وَعُهُودُ
يَا لَحَقٍّ جُذُورُهُ ضَرَبَتْ فِي الأَ ... رْضِ وامْتَدَّ سَاقُهُ والعُودُ
إِنَّهُ جَوهَرُ الحَيَاةِ وَفَيْضٌ ... عَبْقَرِيٌّ وَفَاؤُهُ وَالجُودُ
إِنَّهُ الوَحْيُ والرِّسَالَةُ لِلنَّا ... سِ وهَذَا رَسُولُهَا المَشْهُودُ
سَيِّدُ النَّاسِ! بَيْنَ نَصْرٍ مِنَ اللَّـ ... ـهِ وَعِزٍّ لِوَاؤُهُ مَعْقُودُ
إِنَّهُ أَحْمَدُ النَّبِيُّ! فَبُشْرَى ... بَيْنَ آيَاتِ رَبِّهِ وَوَعِيدُ
فَمِنَ اللَّهِ كُلُّ فَضْلٍ عَلَيْهِ ... آيَةُ الحَقِّ والهُدَى التَّوْحِيدُ

***

يَا جَلاَلَ الإِسْرَاءِ: يَحْمِلُهُ الشَّـ ... ـوْقُ وَجِبْرِيلُ والبُرَاقُ الشَّدِيدُ
والفَضَاءُ المُمْتَدُّ يَنْشُرُ أَنْوا ... رًا فَتَنْشَقُّ ظُلْمَةٌ وسُدُودُ

أيُّ نُـورٍ يطُـوفُ بِالـكَوْنِ تُـجْلَـى   مِـنْ سَنَـاهُ أَحْـنَـاؤنَـا والـكُبُـودُ
إنَّـهُ المُـصْـطَـفَـى! أَطَـلَّ فَـهَـبَّـتْ   لِـلِـقَـاهُ نُـبُـوَّةٌ وَجُـدُودُ
وَإذَا الـسَّـيِّـدُ الـعَـظِـيمُ إمَـامٌ   وجَـلالٌ يَـحُـوطُـهُ وحُـشُـودُ
وَإذَا أنْـتِ يَـا فِلَـسْـطِـينُ نُـورٌ   يَـتَـلألأُ وَجَـوْهَـرٌ وَعُـقُـودُ
فَاخْـشَـعِي يَا رُبَـى فَهَـذِي دُرُوبٌ   لِـجِـنَـانٍ وَمَـحْـشَـرٌ وخُـلُـودُ
وَرِبَـاطٌ لِـلَّـهِ تَـحْـرُسُـهُ الـعَيْـ   ـنُ وقَـلْـبٌ ووثْـبَـةٌ وَزُنُـودُ

* * *

يَـا ظِـلالَ الأَقْـصَى! نَـدَاكَ غَـنِيٌّ   بِـالرَّجَـا، صَـادِقُ الـوَفَاءِ، رَغِـيدُ
كُـلُّ شِـبْـرٍ بِـهِ مَـوَاقِـعُ وَحْـيٍ   وَجِـهَـادٌ عَـلَـى الـزَّمَـانِ جَـدِيدُ
إنَّ دَاراً يَـحُـوطُـهَـا الـلَّـهُ تَـأْبَـى   أَنْ يُـخَانَ الـوَفَا وتُـطْـوَى الوُعُـودُ
إنَّ أَرْضَـا لِـلَّـهِ لاَ يَـتَـوَلَّـى   عَـنْ حِمَـاهَـا فَـتًـى أَبَـرُّ جَـلُـودُ
مَـنْ يَخُـنْ عَهْـدَهُ مَعَ الـلَّهِ يُـرْهِقْـ   ـهُ عَـذَابٌ مِـنْ رَبِّـهِ وَصَـعُـودُ

* * *

يَا رَسُـولَ الهُدَى! سَـلاَمٌ مِنَ الـلَّـ   ـهِ ومِـنْ مُـؤْمِـنٍ لَـهُ تَـرْدِيـدُ
وصَـلاةٌ عَـلَيْـكَ، تَـخْـشَـعُ فِـيهَـا   أَضْـلُـعٌ أَسْـلَـمَـتْ وهَذِي الـكُبُـودُ
كُـلُّ فَـتْـحٍ بَـلَـغْـتَـهُ هُـوَ آيَـا   تٌ مِـنَ الـلَّـهِ خَـيْـرُهَـا مَـمْـدُودُ
غَيْرَ أَنَّ القُـلُوبَ أَقْسَى عَلَى الـفَتْـ   ـحِ وأَغْـلَـى سَبِـيلُـهَـا والجُهُـودُ
فَـسَبِـيلُ الـقُلُـوبِ هَدْيٌ مِـنَ اللَّـ   ـهِ، سَبِـيلُ الـبِلاَدِ سَيْـفٌ حَـدِيدُ
فَإذَا مَـا الـتَـقَى عَـلَى الحَـقِّ سَيْـفٌ   وَبَـلاغٌ فَـذَاكَ فَـتْـحٌ مَـجِـيـدُ

بَنَيْتَ الَّذي تُقَصِّرُ عَنْهُ ... عَبْقَرِيَّاتُ أَعْصُرٍ وَحُشُودُ
أُمَّةٌ لَمْ تَزَلْ إِلَى اللَّهِ تَسْعَى ... هِيَ فَتْحٌ مِنْهُ وَنَصْرٌ فَرِيدُ

* * *

يَا رَسُولَ الهُدَى! سَلامٌ مِنَ اللَّـ ... ـهِ ومنَّا الوَفَاءُ والتَّوْحِيدُ
وَصَلاةٌ عَلَيْكَ نَعْبُدُ فِيهَا اللَّـ ... ـهَ نَرجو رِضَاءَهُ ونُعِيدُ
رَحْمَةٌ أَنْتَ لِلْعِبَاد مِنَ اللَّـ ... ـهِ وفَضْلٌ مُهْدًى وَخَيْرٌ مَدِيدُ
فَاذْكُرِي «أُمَّ مَعْبَد» قِصَّةَ الشَّـ ... ـاة وَقَدْ جَفَّ ضَرْعُهَا والوَرِيدُ
مَسَحَ الضَّرْعَ فِي يَدَيْه رَسُولُ الـ ... ـلَّه فَاشْتَدَّ دَرُّهَا والجُودُ
رَوِي الصَّحْبُ وانْثَنَوْا وكَأَنَّ الضَّـ ... ـرْعَ تَدْعُو: لَئِن ظَمِئْتُمْ فَعُودُوا
آيَةُ اللَّهِ فِي يَدَيْه وَذِكْرُ الـ ... ـلَّة في قَلْبِه خُشُوعٌ وَحِيدُ
إِنْ رَوَى الصَّحْبَ كَفُّهُ فَهُدَاهُ ... يَرْتَوِي مِنْهُ صَاحِبٌ وَبَعِيدُ
يَرْتَوِي الدَّهْرُ مِنْ هُدَاهُ فَيَدْنُو ... مُؤمِنٌ خَاشِعٌ وَيَنْأَى كَنُودُ

* * *

أَيُّهَا المُصْطَفَى! تفَرَّدْتَ فِي الخَلْـ ... ـقِ نَبِيًّا عُلاكَ أُفْقٌ فَرِيدُ
أَنْتَ مَعْنَى الوَفَاء: ذِكْرُكَ فِى الأَرْ ... ضِ حَمِيدٌ وفِي السَّمَاء حَمِيدُ
زَانَكَ اللَّهُ! حُسْنُ وَجْهِكَ إشْرَا ... قٌ وإِشْرَاقُهُ جَلالٌ وَدُودُ
لاَ تَكَادُ الشُّهُودُ تَمْلأُ عَيْنَيْـ ... ـهَا فَيَغْضِي مِنَ الجَلال الشُّهُودُ
ذِرْوَةُ البَأْسِ فِي فُؤَادِكَ فِي الحَرْ ... بِ إِذَا احْمَرَّ بَأْسُهَا وَرُعُودُ
لَوْ تَنَادَوْا مَن الفَوَارِسُ فِي الدَّهْـ ... ـرِ لَقَالُوا: ذَا الفَارِسُ المَعْدُودُ

أَنْتَ فِي الحَـرْبِ يَحْتَمِي بِـكَ أَبْطَا ... لٌ وَيـأْوِي لِـظِـلِّـكَ الـصِّـنْـدِيـدُ
حَسْبُـكَ المَدْحُ أَنْ تَكُونَ عَلَـى خُلْـ ... ـقٍ عَظِيـمٍ يُتْلَى بِه الكِتَـابُ المَجِيدُ
كُـلُّ آيٍ مِـنَ الـكِـتَـابِ وَذِكْـرٍ ... هُـوَ ذِكْرٌ عَـلَى الـزَّمَـانِ جَدِيـدُ

* * *

يَا رَسُولَ الهُدَى! حَمَلْتَ إِلَى النَّا ... سِ سَلامًا يَـرْعَـاهُ دِيـنٌ وَطِيـدُ
كَمْ مَسحْتَ الدُّمُـوعَ آسَيْتَ مَحْزُو ... نًـا فَـحَنَّـتْ إِلَـيْكَ مِـنْهُمْ كُـبُـودُ
وَدَفَـعْـتَ الأَسَى وَرَعْـشَـةَ خَـوْفٍ ... فَـاطْمَـأَنَّـتْ إِلَى الـوَفَـاءِ الـعُهُـودُ
أَنْـتَ أَرْجَعْـتَ لابْـنِ آدَمَ حَـقًّـا ... كَـمْ أَضَـاعَـتْـهُ فِـتْـنَـةٌ وَجُـحُـودُ
وَعُـتَاةٌ بَـغَـوْا عَلَـى النَّـاسِ حَتَّـى ... تَـاهَ فِـي الـدَّرْبِ جَـائِـعٌ وَطَـرِيـدُ
يَا حُقُوقَ الإِنْسَـانِ! هَذَا هُـوَ الحَـ ... ـقُّ! سِواهُ فَـبَـاطِـلٌ مَـرْدُودُ
إِنَّـهـا مِـنْـحَـةٌ مِـنَ الـلَّـهِ! حَـقٌّ ... لَـمْ تُـشَـرِّعْـهُ عُـصْـبَـةٌ وَعَـبِـيـدُ
فَـاسْتَقِـيـمُـوا لِـلَّـهِ نَبْـنِ سَـلامًـا ... لَـمْ تُـخَـالِـطْـهُ فِـتْـنَـةٌ وَوُعُـودُ

* * *

يَا رَسُولَ الـهُدَى! عَدَلْتَ وَسَـاوَيْـ ... ـتَ فَمَـا جَـارَ سَـيِّـدٌ وَمَـسُـودُ
جَـمَـعَ الـلَّـهُ أُمَّـةَ الحَـقِّ إِخْـوَا ... نًـا فَـهَـبَّـتْ عَـزَائِـمٌ وَجُـهُـودُ
غَـيْـرَ أَنَّ الـزَّمَـانَ حَـالَ فَـعَـادَتْ ... لِـلـشَّـيَـاطِـينِ دَوْلَـةٌ وَجُـنُـودُ
أَشْعَـلُوا الأَرْضَ فَجَّـرُوهَا بَرَاكِـيـ ... ـنَ فَـمَـادَتْ ذُرًا وَمَـادَ عَـمُـودُ
صَاحَ مِـنْ هَوْلِ مَكْـرِهِـمْ كُلُّ جَـبَّا ... رٍ وَجُـنَّ الـلَّـهِـيـبُ «والأُخْـدُودُ»
غَـيْرَ أَنَّ الـيَـقِـينَ يَـبْقَـى وَيَـمْضِـي ... مَـوْكِـبُ الحَـقِّ يَـجْـتَـلِـي وَيَـرُودُ

كَيْفَ أَرْقَى إِلَى مَدِيحِكَ لَكِنْ ... غَلَبَ الشَّوْقُ والحَنِينُ الشَّدِيدُ
غَلَبَ الشَّوقُ رَهْبَتِي، وصِرَاعٌ ... فِي فُؤَادِي يَغِيبُ ثُمَّ يَعُودُ
كُلَّمَا لَجَّ فِي فُؤَادِيَ شَوْقٌ ... دَفَعَ الشَّوْقُ رَهْبَتِي فَتَزِيدُ
وإذَا بِالخُشُوعِ يَرْفَعُ أَشْوَا ... قِي فَتَصْفُو وتَرْتَقِي فَتَجُودُ
إِنَّمَا اللَّهُ وَالرَّسُولُ هُمَا الحُـ ... ـبُّ وَلِلَّه وَحْدَهُ التَّوْحِيدُ
يَا لَدَرْبٍ شَقَقْتَهُ «فِي سَبِيلِ الـ ... ـلَّه» عَهْدٌ عَلَى الزَّمَانِ جَدِيدُ
مَاجَ فِيهِ مِنَ الهِدَايَةِ نُورٌ ... وسَرَايَا تَتَابَعَتْ وحُشُودُ

* * *

وختاماً:

لشقيقي عبد الله العفاني

يقول ابنُ أمي وشقيقي آخي عبداللَّه العفَّاني، جعله اللَّهُ في الآخِرين حسَّان في الأوَّلين.. وشعِرُه ينساب رِقَّةً وعذوبةً، ويحملُ أجملَ وأندىٰ وأطيبَ المعاني وأعمقَها.. عن مجيءِ رسولِ اللَّه ﷺ إلىٰ الدنيا ومَوْلِدِهِ:

أَيُّ قَلْـبٍ أَتَى الحَـيَاةَ رَؤُوفًـا ... بَـاسِمَ الـرُّوحِ كَوْثَـرِيَّ الـسِّمَـاتِ
مِـنْ جَـنَى رَوْضِـهِ يَـفِيضُ حَـيَاةً ... وزكَــاةً وسَــلْـسَـبِـيـلَ هُـدَاة
وحَـنَـانًـا ورَحْـمَـةً وصَـفَـاءً ... ووِدَادًا ونَــجْــدَةً وصِــلات
وبَـدِيـعًـا مـنَ الـشَّـمَـائلِ عَـذْبًـا ... لَـيْسَ إلاَّ لـعَـاطِـرِ الـنَّـسَمَـات
طَـهَّـرَ الـلَّـه قَـلْـبَـهُ فَـتَـسَـامَـى ... فَـوْقَ حَظِّ الـنُّفُـوسِ والشُّبُهَـات
ثُـمَّ أَهْـمَـى لَـهُ المَلاَكَ فَـنَـحَّـى ... مِـنْـهُ حَـظَّ الـلَّـعِينِ والـنَّـزَعَـات
فَـاسْـتَـوَى أَكْـرَمَ الـبَـرِيَّـةَ نَـفْـسًـا ... وفُـؤَادًا وعَـبْـقَـرِيَّ صِـفَـات
وطَهُـوراً بَلْ أَطْـهَرَ الخَلْقِ طُـرًّا ... قَـدْ تَهَـادَى مِنْ أَنْـسُـلٍ طَاهِـرَات
إِنَّـمَـا الـطُّـهْـرُ والأَثَـالـةُ والـعِلْـ ... ـمُ عِـمَادُ الإِصْلاحِ والـدَّعَـوَات
لَـيْسَ طِـفْلاً بَـلْ تِلْـكَ دَعْوَةُ إِبْـرَا ... هِـيـمَ حَـلَّـتْ نَـدِيَّـةَ الـبَـرَكَـات
وبِـشَـارَاتٌ زَفَّ عِـيـسَـى شَـذَاهَـا ... فِـي حَـنَـايَـا حَدِيثِـه والـعِـظَـات
أَيُّ عِـطْـرٍ أَتَـى الحَـيَـاةَ هَـفُـوفًـا ... فِـي شِغَـافِ السُّـهُـولِ والرَّبَـوَات
بَـعْـدَ أَنْ ضَـجَّـتِ الأُنُـوفُ طَوِيـلاً ... مِـنْ مَعَـاصِـي رُبُـوعِـهَا الـنَّـتِـنَـات
فَـاسْتَـحَـالَ الوُجُـودُ جَـنَّـةَ عِطْـرٍ ... مِـنْ فُيُـوضَـاتِ هَدْيِـهِ الـعَطِـرَات
وهَـوَى الـدَّوْحُ والصُّخُـورُ سُـجُـودًا ... حِـينَ لاَحَـتْ بَـدَائِـعُ الـسُّبُـحَـاتِ

رسول اللَّه ﷺ عُذْرًا

وكما قلنا في البداية «عُذْرًا رسول اللَّه» نقولها في الخاتمة. . إذ يعجز القلمُ أن يسموَ إلىٰ مقامك السامي. . وأختمُ بهذه القصيدة الرقيقة لشقيقي الرقيق عبداللَّه بن حسين العفَّاني، لا فُضَّ فُوه وبارك اللَّه له في قلمه ودعوته وأولاده وعلمه وعمره وبيته.

أيُّ عِطْرٍ بِهِ أَخُطُّ قَصِيدِي ... وحَدِيثِي وهَمْسَتِي ونَشِيدِي؟!
أَيُّ عِطْرٍ بِهِ يَخُطُّ يَرَاعِي(١) ... طِيبُ مِسْكٍ أَمْ أُقْحُوَانٍ وعُودٍ(٢)؟!
أَيُّ عِطْرٍ كُلُّ العُطُورِ تَمَنَّى ... لَوْ تَخُطُّ الجَوَى وسِحْرَ الهُجُودِ(٣)
خَفِرَاتٍ(٤) فَمَا يُبَلِّغُ عِطْرٌ ... عَنْ مَشُوقٍ إِلَى عَبِيرِ الوُجُودِ؟!

* * *

أَيُّ نُورٍ هُنَاكَ مِنْهُ يَرَاعِي ... قَدْ تَهَادَى لِكَي يَصُوغَ قَصِيدِي؟!
مِنْ سَنَا الصُّبْحِ قَدْ تَوَهَّجَ شَمْسًا ... أَمْ تَهَادَى مِنَ الأَصِيلِ الوَئِيدِ؟!
أَمْ شُعَاعٌ مِنَ الدُّورِ حَنُونٌ؟! ... كُلُّهُمْ يَشْتَهِي يَخُطُّ مَزِيدِي
كُلُّهُمْ يَشْتَهِي ولَكِنْ خَجُولٌ ... أَنْ يَخُطَّ السَّنَا لِنُورِ العُهُودِ

(١) يَرَاعِي: اليَرَاعُ: القَلَمُ يُتَّخَذُ مِنَ القَصَبِ.
(٢) أُقْحُوَانٍ وعُودٍ: الأُقْحُوانُ: نَبْتٌ طَيِّبُ الرِّيحِ، حوالَيْهِ ورقٌ أصْفَرُ ووَسَطُهُ أبْيَضُ. والعُودُ: ضَرْبٌ مِنَ الطِّيبِ، يُتَبَخَّرُ بِهِ.
(٣) الجَوَىٰ: الحُرْقَةُ مِنْ عِشْقٍ أوْ حُزْنٍ. الهُجُود: الاسْتِيقَاظُ مِنَ اللَّيْلِ لِلصَّلاةِ والمُنَاجَاةِ ونَحْوِهِ.
(٤) خَفِرَاتٍ: الخَفَرُ: شِدَّةُ الحياء.

أَيُّ خَــزٍّ[1] عَلَيْهِ أَنْقُشُ وَجْدِي[2] وهُـيَـامِـي وبَـهْجَـةَ الـتَّـغْـرِيـدِ؟!
أَعَـلَـى الـورْدِ أَمْ هَفُـوف نَـسِـيـمٍ أَمْ سَـمَـائـي أَمِ الضِّـيَـاءِ الـوَلِـيـدِ؟!
لَـيْتَ شِـعْـرِي وأَيُّ خَزٍّ سَيَـدْنُـو بَـلْ سَيَـرْقَى لِـكَفِّـهِ الأُمْلُـود[3]؟!

***

أَيُّ كَـفٍّ بِـهِ أُكَـاتِـبُ حِـبِّـي أَبِـكَفِّـي بِذِي الخَطَايَـا السُّـودِ؟!
يَـا لِـشَـوْقِـي إِلَـى أَنَـامِـلِ غَـيْـثٍ طَـاهِـرَاتٍ تَـخُـطُّ عَـنِّـي بُـنُـودِي

***

يَـا لَـهَـا حِـيـرَةً فَـأَيُّـهُ جَـنَـانٍ عَـبْـقَـرِيٍّ يَصُـوغُ سِـحْـرَ الـوُرُودِ
أَيُّ عَـقْـلٍ يَـصُـوغُ شَـدْوَ طُـيُـورٍ وسِمَـاتٍ فَوْقَ النُّهَـى والحُدُودِ؟!
أَيُّ قَـلْـبٍ لَـدَيَّ حَـتَّـى يُـنَـاجِـي أَطْهَرَ الخَلْقِ ذِي الصَّفَاءِ العَهِيدِ[4]
ويُـرَوِّي شُـعُـورَهُ[5] مِـنْـهُ حَـتَّـى يَـتَـهَـامَـى الـشُّـعُـورُ بِـالـتَّـرْدِيـدِ
أَيُّـهَـا الـطَّـيْـرُ إِنَّـمَـا أَنْـتَ قَـلْـبٌ مِـنْ عَـبِـيـرٍ كَـمَـا فُـؤَادِ الـوَلِـيـدِ
فَلْـتُـعِرْنِي مِـنْ قَلْبِـكَ العَذْبِ قَلْبًا حَـالِـمَ الـرُّوحِ حَـاتِـمِـيَّ الجُـودِ
سَاجِـمَ العَـيْنِ[6] بِلْـسَمِيَّ المَعَـانِي فَـائِـقَ الشَّوْقِ كَيْ يُـذِيبَ جَلِـيدِي

(١) الخَزُّ: ما يُنْسَجُ مِنْ صُوفٍ وحريرٍ خالصٍ.
(٢) الوجدُ: شدَّةُ الحُبِّ.
(٣) الأُمْلُودِ: النَّاعمُ (الشَّبابُ النَّاعِمُ).
(٤) العهيد: القَدِيم.
(٥) الشُّعُورُ: الحسُّ.
(٦) سجمتِ العَيْنُ: صَبَّتْ مَاءَهَا.

وتَهَادَيْ أَيَا زُهُورَ رَبِيعِي ... لِصُدَاحٍ مِنَ الطُّيُورِ ومِيدِي[1]
وانْثُرِي عِطْرَكِ الفَتُونَ عَلَيْنَا ... وتَغَنَّيْ بِمِهْرَجَانِي وعِيدِي
إِنَّنِي أَشْتَهِي قَصِيدَةَ حُبٍّ ... لِرَسُولِي سِرِّ الهَنَا والسُّعُود
أَشْتَهِي رِيَّهَا وأَخْشَى عِثَارِي ... بَيْنَ عَجْزِي وبَيْنَ صَرْحٍ تَلِيدِ
لَمْ أَزَلْ رَاجِفًا أَخُطُّ وأَمْحُو ... تَرْعَوَى[2] أَلْسُنِي ويَهْمِي وَرِيدِي

* * *

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

(١) ميدي: مَادَ الشَّيءُ: مال وتَحرَّك.
(٢) تَرْعَوَي: ارْعوىٰ عن الشَّيء: كَفَّ وارْتَدَعَ.

فهرس المراجـــع

فهرس المراجع

(١) التفسير وعلوم القرآن

(١) «تفسير الطبري» لابن جبرير الطبري ـ تحقيق محمود شاكر وأحمد شاكر ـ طبع دار المعارف .

(٢) «تفسير الطبري» لبن جرير ـ طبع دار هجر ـ مصر .

(٣) «تفسير القرطبي» للإمام القرطبي ـ كتاب الشعب ـ مصر .

(٤) «تفسير ابن كثير» للحافظ ابن كثير ـ طبعة مكتبة أولاد الشيخ ـ مصر .

(٥) «تفسير مجاهد» للإمام مجاهد .

(٦) «زاد المسير في علم التفسير» لابن الجوزي ـ طبع المكتب الإسلامي .

(٧) «تفسير البغوي» .

(٨) «تفسير النسائي» للإمام النسائي ـ مكتبة السنة ـ القاهرة .

(٩) «تفسير ابن أبي حاتم» لابن أبي حاتم الرازي .

(١٠) أحكام القرآن» للقاضي أبو بكر بن العربي .

(١١) «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» للألوسي ـ طبع دار الفكر .

(١٢) «محاسن التأويل» للقاسي .

(١٣) «أضواء البيان» للشيخ الشنقيطي ـ مكتبة ابن تيمية ـ مصر .

(١٤) «تتمة أضواء البيان» للشيخ عطية محمد سالم ـ مكتبة ابن تيمية ـ مصر .

(١٥) «التفسير الكبير ـ مفاتيح الغيب» للفخر الرازي ـ طبعة دار الغد .

(١٦) «تفسير عبدالرزَّاق» لعبدالرزَّاق الصنعاني .

(١٧) «تفسير الدر المنثور» للإمام السيوطي ـ طبع دار هجر ـ القاهرة .

(١٨) «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» للبقاعي ـ دار الكتاب

الإسلامي ـ القاهرة .
(١٩) «بدائع الفوائد» لابن قيم الجوزية ـ جمع يسري السيد ـ طبع دار ابن الجوزي .
(٢٠) «التحرير والتنوير» للشيخ محمد الطاهر بن عاشور ـ الدار التونسية للنشر ـ السعودية .
(٢١) تفسير «تيسير الكريم الرحمن» للشيخ عبدالرحمن السعدي ـ دار ابن الجوزي ـ السعودية .
(٢٢) «في ظلال القرآن» للأستاذ سيد قطب ـ دار الشروق ـ القاهرة .
(٢٣) «تفسير البحر المحيط» لأبي حيَّان .
(٢٤) «أسباب النزول» للسيوطي .
(٢٥) «الصحيح المسند من أسباب النزول» للشيخ مقبل الوادعي ـ مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة .
(٢٦) «معاني القرآن» للفرَّاء .
(٢٧) «السبعة في القراءات» لابن مجاهد .
(٢٨) «التبيان في أقسام القرآن» لابن قيم الجوزيَّة .
(٢٩) إعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعي ـ دار الكتاب العربي .

(ب) السُّنَّة

(٣٠) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» للحافظ ابن حجر العسقلاني ـ المطبعة السلفية ـ القاهرة .
(٣١) «شرح مسلم» للنووي ـ للإمام االنووي ـ دار الشعب .
(٣٢) «مسند أحمد بن حنبل» للإمام أحمد ـ تحقيق الشيخ أحمد شاكر ـ طبع دار المعارف .
(٣٣) «مسند أحمد» للإمام أحمد بن حنبل ـ تحقيق شعيب الأرناؤوط ـ

مؤسسة الرسالة.

(٣٤) «تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي» للمباركفوري - طبع الهند.

(٣٥) «عون المعبود شرح سنن أبي داود» للطيب أبادي.

(٣٦) «مختصر سنن أبي داود» للمنذري ومعه «معالم السنن» للخطابي - مكتبة أنصار السنة المحمدية.

(٣٧) «مجمع الزوائد» للهيثمي - مكتبة القدسي.

(٣٨) «صحيح ابن خزيمة» للإمام ابن خزيمة - تحقيق د. مصطفى الأعظمي والألباني - المكتب الإسلامي.

(٣٩) «مسند أبي يعلى الموصلي» - تحقيق حسين سليم أسد - دار المأمون.

(٤٠) «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» لعلاء الدين الفارسي - تحقيق شعيب الأرناؤوط - مؤسسة الرسالة.

(٤١) «شرح السنة» للبغوي - تحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش - المكتب الإسلامي.

(٤٢) «صحيح الترغيب والترهيب» للشيخ الألباني - المكتب الإسلامي.

(٤٣) «صحيح الجامع الصغير» للشيخ الألباني - المكتب الإسلامي.

(٤٤) «فيض القدير شرح الجامع الصغير» للمناوي - المكتبة التجارية.

(٤٥) «مشكاة المصابيح» للتبريزي - تحقيق الشيخ الألباني - المكتب الإسلامي.

(٤٦) «المستدرك» للحاكم.

(٤٧) «المصنف» لعبدالرزاق الصنعاني.

(٤٨) «المصنف» لابن أبي شيبة - طبع الهند.

(٤٩) «المعجم الصغير» للطبراني.

(٥٠) «المعجم الأوسط» للطبراني .
(٥١) «المعجم الكبير» للطبراني - تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي - طبع بغداد .
(٥٢) «السنن الكبرىٰ» للبيهقي .
(٥٣) «شعب الإيمان» للبيهقي - طبع الهند .
(٥٤) «ميزان الاعتدال» للحافظ الذهبي .
(٥٥) «لسان الميزان» لابن حجر العسقلاني - طبع الهند .
(٥٦) «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم - طبع الهند .
(٥٧) «السلسلة الصحيحة» للألباني - المكتب الإسلامي .
(٥٨) «صحيح سنن أبي داود» للشيخ الألباني - طبع مكتب التربية .
(٥٩) «صحيح سنن الترمذي» للشيخ الألباني - طبع مكتب التربية .
(٦٠) «صحيح سنن النسائي» للألباني - طبع مكتب التربية .
(٦١) «صحيح سنن ابن ماجه» للألباني - طبع مكت التربية .
(٦٢) «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق» للألباني - المكتب الإسلامي .
(٦٣) «دلائل التحقيق لإبطال قصة الغرانيق» لعلي حسن عبدالحميد - مكتبة الصحابة - جده .
(٦٤) «تخريج الكشاف» للزيلعي .
(٦٥) «عمدة القاري» للعيني - طبع الحلبي .
(٦٦) «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير .
(٦٧) «الصحيح المسنَد من دلائل النبوة» لمقبل بن هادي الوادعي .
(٦٨) «علوم الحديث» لابن الصلاح .
(٦٩) «الموضوعات» لابن الجوزي .

(٧٠) «دراسات في الحديث النبوي» لمحمد مصطفى أعظمي.

(٧١) «شبهات وشطحات السنة» لأبي إسلام أحمد عبدالله.

(٧٢) «موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي» للشيخ صلاح مقبول أحمد.

(٧٣) «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» للدكتور مصطفى السباعي.

(جـ) عقيدة

(٧٤) «شرح الزرقاني على المواهب اللدنيَّة».

(٧٥) «الفرق بين الفرق» لعبدالقاهر البغدادي ـ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ـ دار المعارف.

(٧٦) «مقالات الإسلاميين» لأبي الحسن الأشعري.

(٧٧) «الفصل في الملل والنحل» لابن حزم.

(٧٨) «الملل والنحل» للشهرستاني.

(٧٩) «السنة» للإمام أحمد بن حنبل ـ تحقيق الشيخ إسماعيل الأنصاري.

(٨٠) «السُّنَّة» للخَلاَّل.

(٨١) «خلق أفعال العباد» للبخاري.

(٨٢) «فضائح الباطنية» لأبي حامد الغزالي.

(٨٣) «تهافت الفلاسفة» للغزالي ـ طبع دار المعارف ـ مصر.

(٨٤) «المنقذ من الضلال» للغزالي.

(٨٥) «أبو حامد الغزالي والتصوف» لعبدالرحمن دمشقية ـ دار طيبة ـ الرياض.

(٨٦) «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية ـ تقديم دكتور محمد رشاد سالم.

(٨٧) «مجموع فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية» لابن تيمية ـ مكتبة ابن تيمية.
(٨٨) «نقض المنطق» لابن تيمية.
(٨٩) «النبوّات» لابن تيمية ـ طبع مكتبة أنصار السنَّة المحمدية.
(٩٠) «شرح العقيدة الأصفهانية» لابن تيمية.
(٩١) «الصفدية» لابن تيمية ـ طبع دار الفكر ـ لبنان.
(٩٢) «مجموعة الرسائل والمسائل» لابن تيمية.
(٩٣) «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» لابن تيمية ـ المطبعة السلفية ـ القاهرة.
(٩٤) «تلبيس إبليس» لابن الجوزي ـ مطبعة الجزيرة ـ دار السلام ـ مصر.
(٩٥) «الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة» لابن قيم الجوزية.
(٩٦) «مختصر الصواعق المرسلة» لابن لقيم ـ اختصار محمد بن الموصلي ـ طبع أضواء السلف.
(٩٧) «دلائل النبوة» للبيهقي.
(٩٨) «دلائل النبوة» لأبي نعيم الأصفهاني.
(٩٩) «الأسماء والصفات» للبيهقي.
(١٠٠) «السنة» لابن أبي عاصم ـ تحقيق الألباني ـ المكتب الإسلامي.
(١٠١) «هداية الحيارىٰ في أجوبة اليهود والنصارىٰ» لابن قيم الجوزية ـ دار الريَّان للتراث.
(١٠٢) «مصرع التصوف» أو «تنبيه الغبي إلىٰ تكفير ابن عربي» للبقاعي ـ تحقيق عبدالرحمن الوكيل.
(١٠٣) «العلم الشامخ» للمقبلي.

(١٠٤) «لوامع الأنوار االبهية» للسفاريني.

(١٠٥) «شرح أصول الاعتقاد» للالكائي.

(١٠٦) «شرح الزرقاني على المواهب اللدنيَّة».

(١٠٧) «كتاب ابن عربي الصوفي في ميزان البحث والتحقيق» لعبدالقادر بن حبيب اللَّه السندي ـ دار البخاري ـ بُريدة.

(١٠٨) «عقيدة ختم النبوة» لأحمد بن سعد الغامدي ـ دار طيبة الرياض.

(١٠٩) «بين الإنجيل والقرآن» لأحمد ديدات ـ كتاب المختار الإسلامي.

(١١٠) «نظرات في النُّبُوَّة» لصلاح الدين المنجد ـ مكتبة القدس ـ بغداد.

(١١١) «البابية» لإحسان إلهي ظهير ـ إدارة ترجمان السنة ـ لاهور ـ باكستان.

(١١٢) «البهائية» لإحسان إلظهي ظهير.

(١١٣) «البهائية» لعبدالرحمن الوكيل ـ القاهرة.

(١١٤) «الإسماعيلية» لإحسان إلهي ظهير ـ إدارة ترجمان السنة ـ لاهور.

(١١٥) «منهاج السنة النبوية» لابن تيمية ـ تحقيق د. محمد رشاد سالم ـ مكتبة ابن تيمية.

(١١٦) «الشيعة والسنة» لإحسان إلهي ظهير ـ إدارة ترجمان السنة ـ لاهور.

(١١٧) «الردُّ القويم على المجرم الأثيم» للشيخ حمود التويجري ـ مكتبة دار العليان الحديثة ـ السعودية.

(١١٨) «الصارم المسلول على الترابي شاتم الرسول» لأحمد مالك.

(١١٩) «آيات سماوية في الرد على كتاب «آيات شيطانية» للدكتور شمس الدين الفاسي.

(١٢٠) «سلمان رشدي شيطان الغرب - الرجل المارق» لسعيد أيوب.

(١٢١) «كلهم سلمان رشدي».

(١٢٢) «تعدد نساء الأنبياء، ومكانة الرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام» للواء أحمد عبدالوهاب - مكتبة وهبة - القاهرة.

(١٢٣) «همزات شيطانية وسلمان رشدي» للدكتور نبيل السمَّان.

(١٢٤) «البعث والنشور» للبيهقي.

(١٢٥) «هذه هي الصوفية» لعبدالرحمن الوكيل.

(١٢٦) «الشيعة والتشيع فرق ومذاهب» لإحسان إلهي ظهير - نشر إدارة ترجمان السنة.

(١٢٧) «كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة» لمحمد بن مالك الحمادي.

(١٢٨) «طائفة النصيرية - تاريخها وعقائدها» للدكتور سليمان الحلبي - المطبعة السلفية - القاهرة.

(١٢٩) «النصيرية طغاة سورية» - طبع دار الإفتاء بالسعودية.

(١٣٠) «هُويِّتنا أو الهاوية» لمحمد إسماعيل المقدم - دار ابن الجوزي - مصر.

(١٣١) «الرسل والرسالات» للدكتور عمر سليمان الأشقر - طبع دار النفائس.

(١٣٢) «الصلة بين التصوف والتشيع» للدكتور كامل مصطفى - دار المعارف - القاهرة.

(١٣٣) «الشفافي التعريف بحقوق المصطفى» للقاضي عياض.

(١٣٤) «عقيدة السلف» للصابوني.

(١٣٥) «الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح» لابن تيمية.

(١٣٦) «التحفة الإثنا عشرية» لشاه عبدالعزيز الدهلوي.

(١٣٧) «مختصر التحفة الإثنا عشرية» للشيخ محمود شكري الألوسي - المطبعة السلفية - القاهرة.

(١٣٨) «أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنا عشرية» للدكتور ناصر القفاري - دار الضياء - مصر.

(١٣٩) «صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول الأعظم ﷺ الدعوية والتربوية وسيرة الجيل المثالي الأول عند أهل السنة والشيعة الإمامية» لأبي الحسن الندوي - ندوة العلماء - الهند.

(١٤٠) «نثر الجوهر على حديث أبي ذر» للشوكاني.

(١٤١) «وجاء دور المجوس» لعبدالله الغريب.

(١٤٢) «إمامة الشيعة دعوة باطنيَّة لاستمرار النبوة» لعبدالملك بن عبدالرحمن الشافعي - مكتبة الرضوان.

(١٤٣) «انتصار الحق» للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي - المكتبة السلفية.

(١٤٤) «الردُّ على الرافضة» لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب.

(١٤٥) «القرآنيون وشبهاتهم حول السنة» لخادم حسين إلهي بخش - دار الصديق - السعودية.

(١٤٦) «أحكام الردة والمرتدين» للدكتور محمود مزروعة.

(١٤٧) «العصريون معتزلة اليوم» ليوسف كمال.

(١٤٨) «الحداثة من منظور إيماني» لعدنان النحوي - دار النحوي.

(١٤٩) «خصائص المصطفى ﷺ بين الغلوّ والجفاء» للدكتور الصادق محمد إبراهيم - دار المنهاج الرياض.

(١٥٠) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض.

(١٥١) «نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض» لشهاب الدين الخفاجي.
(١٥٢) «منظومة البوصيري في الردَّ علىٰ النصارىٰ» للإمام البوصيري.
(١٥٣) «كتاب الإسلام وأصول الحكم في الميزان» للدكتور محمد رجب البيومي ـ كتاب مجلة الأزهر.
(١٥٤) «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة» السعودية.
(١٥٥) «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» للطبرسي ـ عرض ونقد الدكتور أحمد عثمان خليفة ـ دار السلف ـ الرياض.
(١٥٦) «مجموعة فتاوىٰ ومقالات متنوَّعة» للشيخ عبدالعزيز بن باز.
(١٥٧) «الشريعة الإسلامية لا القوانين الجاهلية» للدكتور عمر سليمان الأشقر ـ طبع دار النفائس.

(د) التاريخ ولتراجم والسير

(١٥٨) «المعرفة والتاريخ» للفسوي.
(١٥٩) «الدرر الكامنة» لابن حجر العسقلاني.
(١٦٠) «تاريخ الطبري» لابن جرير الطبري.
(١٦١) «سير أعلام لنبلاء» للحافظ الذهبي ـ مؤسسة الرسالة.
(١٦٢) «تاريخ الإسلام» للذهبي ـ دار لفكر ـ لبنان.
(١٦٣) «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي.
(١٦٤) «تاريخ دمشق» لابن عساكر.
(١٦٥) «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» للفاسي المكي ـ نشر محمد سرور الصبّان ـ مكة.
(١٦٦) «العبر».
(١٦٧) «خطط المقريزي».

(١٦٨) «الكامل» لابن الأثير.

(١٦٩) «المنتظم» لابن الجوزي.

(١٧٠) «وفيات الأعيان» لابن خلكان.

(١٧١) «شذرات الذهب» للعمار الحنبلي.

(١٧٢) «الكواكب الدريَّة» لابن قاضي شهبة.

(١٧٣) «عيون الروضتيْن في أخبار الدولتيْن النوريَّة والصلاحية» لأبي شامة - مؤسسة الرسالة.

(١٧٤) «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير - طبع دار هجر - القاهرة.

(١٧٥) «إخبار العلماء بأخبار الحكماء» للقفطي.

(١٧٦) «تاريخ الدولة العثمانية» لعلي حسون - المكتب الإسلامي.

(١٧٧) «حركة الردَّة» للعتوم.

(١٧٨) «الانشراح ورفع الضِّيق بشرح سيرة الصدِّيق» للدكتور محمد علي الصلابي - دار الفجر - مصر.

(١٧٩) «كفاح المسلمين في تحرير الهند» للدكتور عبدالمنعم النمر - مكتبة وهبة - القاهرة.

(١٨٠) «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» لابن تغري بردي - دار الكتب - القاهرة.

(١٨١) «اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء» للمقريزي - تحقيق د. محمد حلمي محمد - القاهرة.

(١٨٢) «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب». المكتبة الأندلسية - دار الثقافة - بيروت.

(١٨٣) «طائفة الدروز» للدكتور محمد كامل حسين - دار المعارف - مصر.

(١٨٤) «تاريخ الشعوب الإسلامية» لبروكلمان.
(١٨٥) «سيرة ابن هشام».
(١٨٦) «الروض الأنف» للسهيلي.
(١٨٧) «مغازي الواقدي» للواقدي.
(١٨٨) «أنساب الأشراف» للبلاذري.
(١٨٩) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد.
(١٩٠) «سلسلة معارك الإسلام الفاصلة» لمحمد أحمد بشاميل ـ المطبعة السلفية.
(١٩١) «فجر الإسلام» لأحمد أمين ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.
(١٩٢) «الاستيعاب» لابن عبدالبر.
(١٩٣) «الدرر في اختصار المغازي والسير» لابن عبدالبر ـ تحقيق دكتور شوقي ضيف دار المعارف مصر.
(١٩٤) «تاريخ مصر في العصر البيزنطي» للدكتور صبري أبو الخير سليم.
(١٩٥) «تاريخ الحروب المقدسة في الشرق المدْعُوَّة حرب الصليب» لمكسيموس مونروند ـ ترجمة مكسيموس مظلوم.
(١٩٦) «محمد رسول الله ﷺ» لمحمد الصادق عرجون.
(١٩٧) «صلاح الدين الفارسي المجاهد والملك الزهد المُفترىٰ عليه» لشاكر مصطفىٰ ـ دار القلم دمشق.
(١٩٨) «شخصيات قلقة» للدكتور عبدالرحمن بدوي.
(١٩٩) «نور الدين محمود زنكي» للدكتور أنس أحمد كرزون ـ دار ابن حزم.
(٢٠٠) «ابن الفارض والحب الإلهي» للدكتور محمد مصطفىٰ حلمي ـ دار المعارف.

(٢٠١) «الحروب العثمانية الفارسية ـ وأثرها في انحسار المدّ الإسلامي عن أوربا» للدكتور محمد عبداللطيف هريدي ـ دار الصحوة القاهرة .
(٢٠٢) «الرجل الصنم» لضابط تركي سابق ـ ترجمة عبداللَّه عبدالرحمن ـ طبع مؤسسة الرسالة .
(٢٠٣) «الأعلام» للزركي .
(٢٠٤) «عبقرية محمد» لعباس محمود العقَّاد ـ دار الكتب الحديثة .
(٢٠٥) «الحلية» لأبي نعيم لأصفهاني .
(٢٠٦) «المعرفة والتاريخ» للفسوي .
(٢٠٧) «الدرر الكامنة» لابن حجر العسقلاني .
(٢٠٨) «دراسات في السيرة النبوية» لمحمد سرور بن نايف ـ دار الأرقم .
(٢٠٩) «الحاكم بأمر اللَّه» لمحمد عبداللَّه عنان ـ مكتبة الخانجي .
(٢١٠) «تاريخ خليفة» لخليفة بن خياط .
(٢١١) «معجم البلدان» لياقوت الحموي .
(٢١٢) «حقبة من التاريخ» لعثمان الخميس ـ دار الإيمان ـ مصر .
(٢١٣) «الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا» لجوزيف رينو .
(٢١٤) «دراسات في التاريخ الديني» لإرنست رينان ـ باريس .
(٢١٥) «الصراع مع الصليبيين» للدكتور محمد عبدالقادر أبو فارس ـ دار البشير ـ طنطا .
(٢١٦) «رحلة الحج إلى بيت اللَّه الحرام» للشيخ محمد الأمين الشنقيطي .
(٢١٧) «الشيخ الغزالي كما عرفته» للدكتور يوسف القرضاوي .
(٢١٨) «أبو زهرة إمام عصره» دار الاعتصام .
(٢١٩) «حسن البنا» لأنور الجندي ـ دار القلم .
(٢٢٠) «جيل العمالقة» للأستاذ أنور الجندي ـ دار الاعتصام .

(٢٢١) «صيحة الحق» للشيخ محمود عبدالوهاب فايد.
(٢٢٢) «معالم تاريخ الإسلام المعاصر» لأنور الجندي ـ دار الاعتصام.
(٢٢٣) «قرة العين» لمارتاروت ـ طبع باكستان.
(٢٢٤) «سعد زغلول ـ ذكريات تاريخية» للأستاذ الجزيري ـ كتاب اليوم.
(٢٢٥) «غاية الأماني في أخبار القطر اليماني» ليحيىٰ بن الحسين بن القاسم.
(٢٢٦) «أيام لها تاريخ» لأحمد بهاء الدين.
(٢٢٧) «تاريخ البابوية» لريدل.
(٢٢٨) «محفل البابوات» تأليف يالي.
(٢٢٩) «تاريخ البابوات» تأليف برايس.
(٢٣٠) «البابوات» لولك.
(٢٣١) «ملحوظات علىٰ التاريخ الإكليركي» لجوزيت.
(٢٣٢) «المسلمون في الهند» لأبي الحسن الندوي.
(٢٣٣) «الاضطهاد الديني في المسيحية» لتوفيق الطويل.
(٢٣٤) «الجزائر الثائرة» كوليت جانسوت.
(٢٣٥) «ثورة الجزائر» لجون جليبسي.
(٢٣٦) «مأساة بنغلاديش» لمحمد خليل اللَّه.
(٢٣٧) «مأساة إخواننا المسلمين في كشمير المسلمة» لفهد العصيمي.
(٢٣٨) «تركستان بين الدب الروسي والتنين الصيني كارثة القرم» لولي شاه.
(٢٣٩) «محنة الشيشان» لشعبان عبدالرحمن.
(٢٤٠) «نور الدين محمد» لحسنين مؤنس.
(٢٤١) «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي.

(٢٤٢) «حاضر العالم الإسلامي» لشكيب أرسلان.

(٢٤٣) «حرب صليبية بكل المقاييس» للدكتورة زينب عبدالعزيز.

(س) غزو فكري والردّ عليه

(٢٤٤) «الاستعمار.. أحقاد وأطماع» للشيخ محمد الغزالي - دار الكتب الإسلامية - القاهرة.

(٢٤٥) «أولاد حارتنا.. فيها قولان» لمحمد جلال كشك - الزهراء للإعلام العربي.

(٢٤٦) «جوانيات الرموز المستعارة في (أولاد حارتنا)» - للدكتور عبدالعظيم المطعني - مكتبة وهبة.

(٢٤٧) «الطريق إلىٰ نوبل عبر حارة نجيب محفوظ» لمحمد يحيىٰ ومعتزّ شكري - أمة برس للطباعة والنشر.

(٢٤٨) «الصحافة والأقلام المسمومة» لأنور الجندي - دار الاعتصام.

(٢٤٩) «كلمة الحق» للشيخ أحمد شاكر - مكتبة السنة.

(٢٥٠) «الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي» - للدكتور محمد البهي - طبع القاهرة.

(٢٥١) «الابتعاث ومخاطرة» للدكتور محمد الصبّاغ - المكتب الإسلامي.

(٢٥٢) «مفهوم تجديد الدين» لبسطامي محمد سعيد.

(٢٥٣) «محاكمة فكر طه حسين» لأنور الجندي.

(٢٥٤) «الرسول ﷺ في الدراسات الاستشراقية المنصفة» لمحمد شريف الشيباني.

(٢٥٥) «غزو من الداخل» لجمال سلطان.

(٢٥٦) «أوربا والإسلام» للدكتور عبدالحليم محمود.

(٢٥٧)«حوار لا مواجهة» لأحمد كمال أبو المجد.
(٢٥٨) «لماذا يخافون الإسلام» للدكتور عبدالورود شلبي.
(٢٥٩) «هلمَّ نخرج من ظلمات التيه» للأستاذ محمد قطب ـ دار الوطن ـ السعودية.
(٢٦٠)«ظاهرة اليسار الإسلامي» لمحسن الميلي.
(٢٦١) «النظريات السياسية الإسلامية» للدكتور محمد ضياء الريِّس.
(٢٦٢) «قلاع المسلمين مهددة من داخلها» للدكتور محمد عبدالقادر هنادي.
(٢٦٣) «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر» للدكتور محمد محمد حسين ـ مؤسسة الرسالة.
(٢٦٤) «حصوننا مهددة من الداخل» للدكتور محمد محمد حسين ـ موسسة الرسالة.
(٢٦٥)«محاولة لبناء منهج إسلامي متكامل» لأنور الجندي ـ دار الأنصار ـ القاهرة.
(٢٦٦) «الفكر الإسلامي والثقافة الغربية» للأستاذ أنور الجندي.
(٢٦٧)«مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية» للدكتور محمد عمار.
(٢٦٨)«مَن قتل فرج فودة؟» للدكتور عبدالغفار عبدالعزيز ـ دار الإعلام الدولي.
(٢٦٩) «إسلام آخر زمن» للأستاذ منذر الأسعد ـ دار المعراج.
(٢٧٠) «مفهوم التجديد بين السنة النبوية وأدعياء التجديد المعاصرين» للدكتور محمود الطحان ـ دار التراث.
(٢٧١) «فلسفة الحرب في الفكر الديني الإسرائيلي» للدكتور محمد جلاء إدريس ـ القاهرة.

(٢٧٢) «الديانة اليهودية ـ وموقفها من غير اليهود» لاسرائيل شاحاك ـ ترجمة حسن خضر ـ القاهرة .

(٢٧٣) «أقباط ومسلمون منذ الفتح العربي إلى سنة ١٩٢٢» للدكتور جاك تاجر لأقباط المهجر ـ مدينة جرسي بأمريكا .

(٢٧٤) «اللّه ليس كذلك» للدكتورة سيجريد هونكة ـ دار الشرق ـ القاهرة .

(٢٧٥) «الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي» دراسة د . محمد عمارة ـ طبع بيروت .

(٢٧٦) «الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني» دراسة د . محمد عمارة ـ طبعة القاهرة .

(٢٧٧) «قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام أبيدوا أهله» لجلال العالم ـ مكتبة ابن تيمية ـ القاهرة .

(٢٧٨) «الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية» لبارت ترجمة مصطفى مهر .

(٢٧٩) «الاستشراق» لادوارد سعيد ترجمة كمال أبو ديب ـ مؤسسة الأبحاث العربية ـ بيروت .

(٢٨٠) «صناعة العداء للإسلام» لرجب البنا ـ دار المعارف ـ مصر .

(٢٨١) «نصوص تحت الطبع» ترجمة ثابت عيد ـ دار نهضة مصر .

(٢٨٢) «الإسلام والغرب أين الخطأ؟ وأين الصواب؟» للدكتور محمد عمارة ـ مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة .

(٢٨٣) «محمد مؤسس الدين الإسلامي ومؤسس إمبراطورية المسلمين» لجورج بوش الجد ـ ترجمة وتحقيق د . عبدالرحمن عبداللّه الشيخ ـ دار المريخ للنشر .

(٢٨٤) «الإسلام والغرب . . افتراءات لها تاريخ» للدكتور محمد عمارة ـ مركز الإعلام العربي ـ القاهرة .
(٢٨٥) «الدفاع عن النبي ﷺ» للدكتور عبدالرحمن بدوي ـ دار نشر «أفكار» ـ باريس .
(٢٨٦) «صورة الإسلام في التراث الغربي» ـ ترجمة ثابت عيد ـ سلسلة التنوير الإسلامي ـ طبع دار نهضة مصر .
(٢٨٧)«الإسلام في عيون غربيَّة بين افتراء الجُهَّال وانصاف العلماء» للدكتور محمد عمارة ـ دار االشروق .
(٢٨٨) «الإسلام في تصوًّرات الغرب» للدكتور محمود حمدي زقزوق ـ مكتبة وهبة .
(٢٨٩)«آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم الغرب» للأستاذ أنور الجندي ـ مؤسسة الرسالة .
(٢٩٠) «حروب صليبية بكل المقاييس» للدكتورة زينب عبدالعزيز ـ طبع القاهرة .
(٢٩١) «حاضر العالم الإسلامي» لشكيب أرسلان .
(٢٩٢)«حضارة العرب» لجوستاف لوبون .
(٢٩٣)«حق التضحية بالآخر ـ أمريكا والإبادات الجماعية» لمنير العكش ـ دار رياض الريس .
(٢٩٤) «أمريكا التي تُعلِّمنا الديمقراطية والحرية والعدل» للدكتور فهد الحارثي .
(٢٩٥) «الإسلام والعقل» ـ للدكتور عبدالحليم محمود ـ طبع دار المعارف .
(٢٩٦) «لماذا يكرهونه ـ الأصول الفكرية لعلاقة الغرب بنبي الإسلام

ﷺ» للدكتور باسم خفاجي ـ كتاب البيان .
(٢٩٧) «مذهب الدروز والتوحيد» للأستاذ عبدالله نجار ـ دار المعارف ـ مصر .
(٢٩٨) «التنصير ـ وثائق مؤتمر كلورادو» ـ الطبعة العربية ـ مركز دراسات العالم الإسلامي ـ مالطة .
(٢٩٩) «إسلام بلا مذاهب» للدكتور مصطفى الشكعة ـ بيروت .
(٣٠٠) «الفرصة السانحة» لنيكسون ـ ترجمة أحمد صدقي ـ طبعة القاهرة .
(٣٠١) «أمريكا من الداخل» لسيد قطب .
(٣٠٢) «في الفلسفة الإسلامية ـ منهج وتطبيق» للدكتور إبراهيم مدكور ـ دار المعارف ـ مصر .
(٣٠٣) «الإسلام والغرب في كتابات الغربيِّين» للدكتور زغلول النجار ـ طبع نهضة مصر .
(٣٠٤) «القرآن الأمريكي ـ أضحوكة القرن الحادي والعشرين» لمحمد السيد عبده ـ دار الرضوان ـ مصر .
(٣٠٥) «قراءة في الكتاب المزعوم ـ الفرقان الحق» للدكتور محمد سالم ابن شديد العوفي ـ السعودية .
(٣٠٦)«عمل المرأة في الميزان» لمحمد علي الباز .
(٣٠٧)«التوراة والإنجيل والقرآن والعلم» لموريس بوكاي ـ ترجمة حسن خالد ـ طبع المكتب الإسلامي .
(٣٠٨)«دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة» لموريس بوكاي ـ طبع دار المعارف ـ لبنان .
(٣٠٩) «المنصفون للإسلام في الغرب» لرجب البنا ـ طبع دار المعارف ـ مصر .

(٣١٠) «مذاهب الإسلاميين» للدكتور عبدالرحمن بدوي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت .
(٣١١) «جرائم النصرانية» لفوت وهويلر .
(٣١٢) «دائرة معارف بويتين الإنجليزية» .
(٣١٣) «دائرة معارف شامبوس» .
(٣١٤) «اعتقادات فوق المشركين» للرازي ـ طبع مصر .
(٣١٥) «الخوري والمرأة والاعتراف» للأب شينكوي .
(٣١٦) «الشيعة والسنَّة . . ضجَّة مفتَعَلة» كتاب المختار الإسلامي .
(٣١٧) «الإسلام والمسيحية» للدكتور أليسيكي جورافيسكي ـ سلسلة عالم المعرفة ـ الكويت .
(٣١٨) «تأثير الإسلام على أوربا في القرون الوسطى» لمونتيغميري واط ـ موسكو .
(٣١٩) «السُّنة باعتبارها مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي» لمحمود صالح شريح .
(٣٢٠) «محاولات استشراقية لإرجاع مفاهيم إسلامية إلى أصول في الديانات السابقة» لفؤاد كاظم المقدادي .
(٣٢١) «الإسلام وشبهات المستشرقين» مطبوعات البلاغ .
(٣٢٢) «الكوميديا الإلهية» لدانتي ـ ترجمة حسن عثمان ـ دار المعارف ـ مصر .
(٣٢٣) «أوربا والإسلام ـ صدام الثقافة والحضارة» لهشام جعيط ـ دار الطليعة ببيروت .
(٣٢٤) «هل نحن مسلمون» لمحمد قطب ـ دار الشروق .
(٣٢٥) «لماذا تأخر المسلمون» لشكيب أرسلان ـ دار القلم ـ دمشق .
(٣٢٦) «الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري» للدكتور

محمود حمدي زقزوق ـ كتاب الأمة ـ قطر .
(٣٢٧) «الوسيط» للدكتور عبدالرزاق السنهوري .
(٣٢٨) «المدخل للعلوم القانونية» للدكتور توفيق فرج .
(٣٢٩) «المدخل» لعلي منصور .
(٣٣٠) «علل وأدوية» للشيخ محمد الغزالي .
(٣٣١) «نظرية الإمامة لدىٰ الشيعة الإثنا عشرية» للدكتور أحمد محمد صبحي .
(٣٣٢) «ضُحىٰ الإسلام» لأحمد أمين .
(٣٣٣) «أباطيل وأسمار» للشيخ محمود شاكر ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة .
(٣٣٤) «تجديد ذكري أبي العلاء» للدكتور طه حسين ـ طبع دار المعارف ـ مصر .
(٣٣٥) ديوان «زمان القهر علَّمني» لفاروق جويدة ـ مكتبة غريب .
(٣٣٦) ديوان «الرسم بالكلمات» لنزار قباني .
(٣٣٧) ديوان «أشعار خارجة علىٰ القانون» لنزار قبَّاني .
(٣٣٨) «المجموعة الكاملة» لنزار قبَّاني ـ دار الشروق .
(٣٣٩) «الأعمال الكاملة» لمحمود درويش ـ مكتبة مدبولي .
(٣٤٠) «الورد والهالوك . . شعراء السبعينيات في مصر» لحلمي القعود ـ دار الاعتصام .
(٣٤١) «أجنحة المكر الثلاثة» لعبدالرحمن الميداني .
(٣٤٢) «هل أصبح المسلمون في مصر هم الأقليَّة» للدكتور محمد عباس ـ المختار الإسلامي .
(٣٤٣) «قصص رائعة من الأشرطة النافعة» لمحمد بن يحيىٰ مفرح .
(٣٤٤) «مجتمعنا المعاصر» لمحمد عبدالقادر أبو فارس .
(٣٤٥) «جوله في رياض العلماء» للدكتور عمر الأشقر ـ دار النفائس .

(٣٤٦) «الحجاب لماذا؟» للدكتور محمد إسماعيل المقدم مكتبة ابن الجوزي.
(٣٤٧) «الحرب الصليبية العاشرة» لحلمي القاعود ـ دار الاعتصام.
(٣٤٨) «تاريخ الحروب الصليبية».
(٣٤٩) «قصة الحضارة» لول ديورانت.
(٣٥٠) «وثائق الحروب الصليبية» لمحمد ماهر حمادة.
(٣٥١) «حضارة العرب» لغوستاف لوبون.
(٣٥٢) «الفاتيكان والإسلام» للدكتورة زينب عبدالعزيز.
(٣٥٣) «كلام في الممنوع.. الاختراق اليهودي للفاتيكان» لمحمد عبدالحليم عبدالفتاح.
(٣٥٤) «التعصب الأوربي أم التعصب الإسلامي» مئة مشروع لتقسيم الدولة العثمانية» لشكيب أرسلان ـ اختصار د. محمد العبد.
(٣٥٥) «عندما حكم الصليب» أبو إسلام أحمد عبدالله.
(٣٥٦) «كفاح دين» للشيخ محمد الغزالي.
(٣٥٧) «وجاء الدور على الإسلام» لرضا محمد عراقي.
(٣٥٨) «قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله» ـ لجلال العالم.
(٣٥٩) «إني أرى الملك عاريا» للدكتور محمد عباس ـ مكتبة مدبولي.
(٣٦٠) «بغداد عروس عروبتكم» للدكتور محمد عباس ـ مكتبة مدبولي.
(٣٦١) «قذائف الحق» للشيخ محمد الغزالي.
(٣٦٢) «الذين طغوا في البلاد» لمحمد عبدالله السمان.
(٣٦٣) «الشيشان بين المحنة وواجب المسلمين» لمصطفى دسوقي.
(٣٦٤) «ستالين» لبسام العسيلي.

(٣٦٥) «ملحمة البوسنة والهرسك» لعدنان النحوي.
(٣٦٦) «البوسنة والهرسك» لعبدالعزيز المهنا.
(٣٦٧) «الصراع في يوغوسلافيا ومستقبل المسلمين» لعبداللَّه عاصم إسمابتش.
(٣٦٨) «جمهورية البوسنة والهرسك والحقد الصليبي الصهيوني» لأم القعقاع.
(٣٦٩) «الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام» لعبداللَّه التل.

(ط) كتب الفقه وأصول الفقه

(٣٧٠) «الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ» لشيخ الإسلام ابن تيمية طبع دار ابن حزم، ودار ابن خزيمة.
(٣٧١) «أحكام أهل الذمة» لابن قيم الجوزية.
(٣٧٢) «البحر المحيط» للزركشي ـ تحرير د. عبدالستار أبو غدّة ـ نشر وزارة الأوقاف الكويتية.
(٣٧٣) «شرح الكوكب المنير» لابن النجَّار ـ تحقيق د. محمد الزحيلي د. نزيه حمَّاد السعودية.
(٣٧٤) «الإحكام في أصول الأحكام» لابن حزم.
(٣٧٥) «مرتب الإجماع» لابن حزم ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت.
(٣٧٦) «المغني» لابن قدامة ـ طبع دار هجر.
(٣٧٧) «تحفة المحتاج مع حواشي الشرواني وابن قاسم العبادي».
(٣٧٨) «قواعد الأحكام» لعز الدين بن عبدالسلام.
(٣٧٩) «حاشية الجمل على المنهاج».
(٣٨٠) «حاشية ابن عابدين على رد المحتار».
(٣٨١) «التبصرة» لابن فرحون.

(٣٨٢) «الأم» للشافعي .
(٣٨٣) «حاشية قليوبي» .
(٣٨٤) «الأوسط» لابن المنذر .
(٣٨٥) «أحكام أهل الملل» لأبي بكر الخلاَّل .
(٣٨٦) «الموسوعة الفقهية» طبع وزارة الأوقاف الكويتية .
(٣٨٧) «لفتاوىٰ البزازية» .
(٣٨٨) «الفتاوىٰ الهندية» .
(٣٨٩) «شروح روضة الطالب» .
(٣٩٠) «منح الجليل علىٰ مختصر خليل» .
(٣٩١) «فتاوىٰ الشيخ عليش» .
(٣٩٢) «المبسوط» للسرخسي .
(٣٩٣) «بدائع الصنائع» للكاساني .
(٣٩٤) «الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف» للمرداوي .
(٣٩٥) «المقاطعة الاقتصادية حقيقتها وحكمها» لخالد الشمراني .

(ص) كتب الفرق الضالَّة

أ ـ كتب الشيعة :

(٣٩٦) «الكافي» لمحمد بن يعقوب الكليني .
(٣٩٧) «الحكومة الإسلامية» لآية اللّه الخميني .
(٣٩٨) «الأنوار الإلهية في المسائل العقائدية» للميرزة جواد التبريزي .
(٣٩٩) «بحار الأنوار» لمحمد بقر المجلسي .
(٤٠٠) «نهج البلاغة المنسوب زوراً إلىٰ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه» .
(٤٠١) «منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة» للميرزا حبيب اللّه

الهاشمي الخوئي.
(٤٠٢) «توضيح نهج البلاغة» للسيد محمد الحسيني الشيرازي.
(٤٠٣) «شرح نهج البلاغة» للسيد عباس علىٰ الموسوي.
(٤٠٤) «مفاهيم القرآن» لجعفر سبحاني.
(٤٠٥) «الشافي في الإمامة» للشريف المرتضىٰ.
(٤٠٦) «كتاب الحجة» لصدر الدين الشيرازي.
(٤٠٧) «تفسير القمي».
(٤٠٨) «الأنوار النعمانية» لنعمت اللّٰه الجزائري.
(٤٠٩) «الثورة البائسة» لموسىٰ الموسوي.
(٤١٠) «كشف الأسرار» للخميني.
(٤١١) «تحرير الوسيلة» للخميني.

ب ـ كتب البابية والبهائية:

(٤١٢) «الكواكب الدريَّة في مآثر البهائية».
(٤١٣) «قرة العين» ـ طبع المحفل البهائي الباكستاني.
(٤١٤) «الأقدس» للبهاء المازندراني.
(٤١٥) «مطالع الأنوار» للمازندراني البهاء.
(٤١٦) «البيان العربي» للباب الشيرازي.
(٤١٧) «الكلمات البهائية» لحسين بن علي البهاء ـ طبع لجنة النشر البهائية ـ كراتشي ـ باكستان.
(٤١٨) «نقطة الكاف» للمرزة جاني الكاشاني البابي ـ طبع ليدن ـ تحقيق بروفسور براؤن.
(٤١٩) «المبين» للمازندراني.
(٤٢٠) «الإيقان» لحسين علي المازندراني (البهاء).

(٤٢١) «لوح ابن ذئب» للمازندراني.
(٤٢٢) «مطالع الأنوار» لنبيل الزرندي البهائي - طبع عربي.
(٤٢٣) «إشراقات» للمازندراني.
(٤٢٤) «مكاتيب عبد البهاء» لعباس بن البهاء.

جـ - كُتُبُ الإسماعيلية:

(٤٢٥) «رسائل إخوان الصفا».
(٤٢٦) «كتاب اثبات النبوات» للسجستاني الإسماعيلي - بيروت.
(٤٢٧) «كتاب الافتخار» للسجستاني الإسماعيلي - بيروت.
(٤٢٨) «كنز الولد» للحامدي (إسماعيلي).
(٤٢٩) «المجالس المستنصرية (إسماعيلي) تحقيق دكتور محمد كامل حسين - دار الفكر العربي.
(٤٣٠) «الذخيرة في الحقيقة» لعلي بن الوليد - بتحقيق الأعظمي - دار الثقافة - بيروت.
(٤٣١) «المجالس والمسامرت» للنعماني - طبع تونس (إسماعيلي).
(٤٣٢) «رسالة الأصول والأحكام» للدعي حاتم بن عمران - (إسماعيلي) - بيروت.
(٤٣٣) «كتاب الإيضاح» لأبي فراس (إسماعيلي) - طبع عارف تامر - المطبعة الكاثوليكية - بيروت.
(٤٣٤) «تأويل الزكاة» لجعفر بن منصور (إسماعيلي).

❑ كُتُب الدروز:

(٤٣٥) «رسالة البلاغ والنهاية والتوحيد» لحمزة بن علي الزوزني - (دروز).

❑ كتب النصيرية:

(٤٣٦) الهفت الشريف (نُصيري).

□ كُتُب القاديانية:

(٤٣٧) «توضيح المرام» للقادياني.
(٤٣٨) «سفينة نوح» للغلام القادياني.
(٤٣٩) «وحي المقدس» للقادياني.
(٤٤٠) «براهين أحمدية» للقادياني.
(٤٤١) «مواهب الرحمن» للقادياني.
(٤٤٢) «حقيقة الوحي» للقادياني.
(٤٤٣) «إزالة الأوهام» للقادياني.
(٤٤٤) «الفرق في آدم والمسيح الموعود» للقادياني.
(٤٤٥) «مرآة كمالات الإسلام» للقادياني.
(٤٤٦) «در ثمنين» للقادياني.
(٤٤٧) «الحكم السماوي» للقادياني.
(٤٤٨) «ترياق القلوب» للقادياني.

□ كُتُبُ القرآنيِّين:

(٤٤٩) «مقالات سرسيد» للسيد أحمد خان - جمع وترتيب محمد إسماعيل - طبع لاهور.
(٤٥٠) «تحرير في أصول التفسير» لسيد خان.
(٤٥١) «تفسير الجن والجان على ما في القرآن» لسيد أحمد خان.
(٤٥٢) «تحقيق الجهاد لجزاغ علي» ترجمة غلام حسين - لاهور - باكستان.
(٤٥٣) «أعظم الكلام في ارتقاء الإسلام» لجراغ علي - ترجمة عبدالحق - لاهور.
(٤٥٤) «منهاج الحق» لمحب الحق.
(٤٥٥) «بلاغ لحق» لمحب الحق.

(٤٥٦) «نوادرات» للحافظ أسلم.

(٤٥٧) «فرقة أهل القرآن» لبرويز.

(٤٥٨) «مقام حديث» للحافظ أسلم.

(٤٥٩) «نكات قرآن» للحافظ أسلم.

(٤٦٠) «ترك افتراء تعامل» لعبداللَّه جكرالوي.

(٤٦١) «تبويب القرآن» لبرويز.

(٤٦٢) «قرآني قوانين» لبرويز.

(٤٦٣) «منزل به منزل» لبرويز.

(٤٦٤) «تعليمات قرآن» للحافظ أسلم.

(٤٦٥) «ترجمة القرآن» لجكرالوي.

❑ كتب منكري السُّنَّة:

(٤٦٦) «أضواء على السنة المحمدية» لأبي ريَّة.

(٤٦٧) «الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية» للسيد صالح أبو بكر.

❑ كتب الفلاسفة:

(٤٦٨) «رسالة أضحوية في أمر المعاد» لابن سينا ـ تحقيق د. سليمان دنيا.

(٤٦٩) «الإشارات والتنبيهات» لابن سينا ـ تحقيق د. سليمان دنيا.

(٤٧٠) «فصوص الحكم» للفارابي.

(٤٧١) «المدينة الفاضلة» للفارابي تأليف الدكتور علي عبدالواحد.

(٤٧٢) «حي بن يقظان» لأبي بكر بن طُفيل الأندلسي.

(٤٧٣) «الفوز الأصغر» لأبي علي أحمد بن مكسويه.

ص ـ فلاسفة كُتُب الصوفية:

(٤٧٤) «الفتوحات المكيَّة» لمحي الدين بن عربي.

(٤٧٥) «فصوص الحكم» لابن عربي .
(٤٧٦) «شرح الفصوص» للقاشاني .
(٤٧٧) «ديباجة ديوان ابن الفارض» لسبط ابن الفارض .
(٤٧٨) «الإنسان الكامل» للجيلي ـ دار الفكر ـ بيروت .

□ كتب مُضلَّة:

(٤٧٩) «مفهوم النص» لنصر حامد أبو زيد ـ طبع القاهرة .
(٤٨٠) «نقد الخطاب الديني» لنصر حامد أبو زيد .
(٤٨١)«الإمام الشافعي وتأسيس الأيدلوجية الوسطية» لنصر أبو زيد .
(٤٨٢) «حوار حول قضايا إسلامية» لفرج فودة .
(٤٨٣) «الحقيقة الغائبة» لفرج فودة .
(٤٨٤) «الطائفية إلى أين؟» لفرج فودة .
(٤٨٥) «آية جيم» لحسن طلب ـ الهيئة العامة للكتاب .
(٤٨٦) «تجديد الفكر الإسلامي» لحسن الترابي ـ الدار السعودية للنشر .
(٤٨٧) «تجديد أصول الفقه» لحسن الترابي ـ الدار السعودية النشر .
(٤٨٨) «الدين والفنّ» للترابي ـ الدار السعودية للنشر .
(٤٨٩) «ثورة الإسلام» لأحمد زكي أبو شادي ـ مكتبة الحياة ـ بيروت .
(٤٩٠) «الإسلام وأصول الحكم» لعلي عبدالرازق .
(٤٩١) «التراث والتجديد» للدكتور حسن حنفي .
(٤٩٢) «قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر» للدكتور حسن حنفي ـ دار لتنوير بيوت .
(٤٩٣) «الإسلام السياسي» لمحمد سعيد العشماوي .
(٤٩٤) «معالم الإسلام» لمحمد سعيد العشماوي .
(٤٩٥) «أصول الشرية» للعشماوي .

(٤٩٦) «تاريخية الفكر العربي المعاصر» لمحمد عركون ـ مركز الإنماء القومي .
(٤٩٧) «الخطاب العربي المعاصر» لمحمد عابد الجابري .
(٤٩٨) «الفكر الإسلامي والتطوّر» للدكتور محمد فتحي عثمان ـ الدار الكويتية .
(٤٩٩) «الفتنة الكبرىٰ» لطه حسين ـ دار المعارف ـ القاهرة .
(٥٠٠) «النثر الفني في القرن الرابع الهجري» للدكتور زكي مبارك ـ دار الجيل ـ بيروت .
(٥٠١) «أولاد حارتنا» لنجيب محفوظ .
(٥٠٢) «المعتزلة وأصول الحكم» لمحمد عمارة ـ سلسلة الهلال .
(٥٠٣) «الإسلام وقضايا العصر» للدكتور محمد عمارة .
(٥٠٤) «دليل المسلم الحزين» لحسين أحمد أمين ـ طبعة مدبولي ـ القاهرة .

(ع) كتب الرقائق

(٥٠٥) «الزهد والرقائق» لعبدالله بن المبارك تحقيق د. أحمد فريد. طبع القاهرة .
(٥٠٦) «الآداب الشرعية» لابن مفلح .
(٥٠٧) «إغاثة اللهفان» لابن القيم الجوزية .
(٥٠٨) «مفتح دار السعادة» لابن قيم الجوزية .
(٥٠٩) «طريق الهجرتين» لابن قيم الجوزية ـ المكتبة السلفية ـ القاهرة .
(٥١٠) «التعرّف لمذهب أهل التصوف» .
(٥١١) «مقامات ابن الجوزي» لابن الجوزي ـ دار فوزي للطباعة .
(٥١٢) «المدهش» لابن الجوزي ـ دار مروان للطباعة .
(٥١٣) «مقامات عائض القرني» لعائض القرني ـ دار الصحابة ـ الإمارات .

(٥١٤) «محمد ﷺ كأنك تراه» لعائض القرني ـ دار ابن حزم.
(٥١٥) «المدائح النبوية حتىٰ نهاية العصر المملوكي» للدكتور محمود سالم محمد ـ دار الفكر ـ سورية.
(٥١٦) «مدارج السالكين» لابن قيم الجوزي ـ مطبعة أنصار السنة ـ مصر.
(٥١٧) «الثبات علىٰ دين اللّٰه وأثره في حياة المسلم» للشيخ الأمين الصادق الأمين ـ طبع دار ابن الجوزي ـ السعودية.
(٥١٨) «طبائع الاستبداد» لعبدالرحمن الكواكبي.
(٥١٩) «الإسلام ومستقبل البشرية» للدكتور عبداللّٰه عزّام.
(٥٢٠) «الإيمان والحياة» للدكتور يوسف القرضاوي ـ مكتبة وهبة ـ مصر.
(٥٢١) «الزهد» لهنّاد بن السري.
(٥٢٢) «الوابل الصيب» لابن قيم الجوزية ـ المطبعة السلفية ـ مصر.
(٥٢٣) «الداء والدواء» لابن القيم.
(٥٢٤) «شفاء العليل» لابن قيم الجوزية.

(ل) كتب اللغة والشعر

(٥٢٥) «تاج العروس».
(٥٢٦) «لسان العرب» لابن منظور.
(٥٢٧) «من أسرار التعبير القرآني» دراسة تحليلة لسورة الأحزاب للدكتور محمد محمد أبو موسىٰ ـ مكتبة وهبه ـ مصر.
(٥٢٨) «ديوان الشوقيات» لأحمد شوقي.
(٥٢٩) ديوان حسّان بن ثابت ـ تحقيق د. سيد حنفي ـ دار المعارف القاهرة.
(٥٣٠) «الكامل» للمبرد «ديوان الصرصري».
(٥٣١) «اللزوميات» لأبي العلاء المعري.

(٥٣٢)«مقدمة في الشعر العربي» لأودونيس.
(٥٣٣) «الشعر المتفلِّت بين النثر والتفعيلة، وخطره» للدكتور عدنان النحوي - دار النحوي.

مجلات وصحف

(٥٣٤) مجلة «الطليعة» القاهرية.
(٥٣٥) مجلة «المنار» لمحمد رشيد رضا مجلد (٦).
(٥٣٦) مجلة «المنار الجديد» العدد (٢٣).
(٥٣٧) مجلة «الدعوة» العدد (٧).
(٥٣٨) مجلة «إبداع» عدد (١٢).
(٥٣٩) مجلة «الاعتصام» سبتمبر ١٩٦٣.
(٥٤٠) مجلة «أهل حديث الأمرتسريَّة» عدد مارس ١٩٣٣.
(٥٤١)صحيفة «الشرق الأوسط».
(٥٤٢) صحيفة «الحياة» اللندنية.
(٥٤٣) صحيفة «الأهرام» (٢٦/ ٥)، (٢/ ٦/ ٨٩).
(٥٤٤) جريدة «الأسبوع».
(٥٤٥) «النيوزويك» الأمريكية عدد (١١/ ٣/ ٢٠٠٣).
(٥٤٦) مجلة «التمدن الإسلامي» - مجلد ٤٤ - عدد ٧.
(٥٤٧) مجلة «المختار الإسلامي» عدد (٢٨٦)، (٢٧٣).
(٥٤٨) جريدة «الأهالي».
(٥٤٩) مجلة «السياسة الأسبوعية» (٣١/ ١٢/ ١٩٢٧).
(٥٥٠) جريدة «الأحرار» (٣١/ ٨/ ١٩٩٩).
(٥٥١) مجلة «حصاد الفكر» العدد (١٦٨).
(٥٥٢) مجلة «العربي» (٣٠٧).

(٥٥٣) مجلة «البلاغ».
(٥٥٤) مجلة «اليقظة العربية» القاهرية.
(٥٥٥) مجلة «منار الإسلام».
(٥٥٦) مجلة «اليسار الإسلامي» العدد الأول.
(٥٥٧) مجلة «الوعي الإسلامي».
(٥٥٨) مجلة «آفاق عربية» عدد (٦١٠)، (٦١٦).
(٥٥٩) جريدة «الوفد» (٢٥/ ٦/ ١٩٩٢).
(٥٦٠) جريدة «الشعب» (٣٠/ ٦/ ٩٢).
(٥٦١) مجلة «البحوث الإسلامية» ـ العدد الخامس ـ محرم ١٤٠٠هـ.
(٥٦٢) مجلة «المجتمع الكويتية» عدد (٣٩٣)، (٤٨٨)، (٥٥٧).
(٥٦٣) جريدة «الشعب» العدد (١٣٣١).
(٥٦٤) مجلة «الأسرة العربية» عدد (٢٨٣٧).
(٥٦٥) مجلة «روزاليوسف» ـ العدد (٣٨٠٩).
(٥٦٦) مجلة «الرسالة».
(٥٦٧) صحيفة «عقيدتي».
(٥٦٨) صحيفة «الجمهورية».
(٥٦٩) صحيفة «العالم الإسلامي».
(٥٧٠) صحيفة «الأنباء» الكويتية.
(٥٧١) مجلة «ناشيونال ريفيو».
(٥٧٢) مجلة «البيان» عدد (٢٢٣).
(٥٧٣) جريدة «العربي».
(٥٧٤) جريدة «النبأ».
(٥٧٥) مجلة «التوحيد».

(٥٧٦) جريدة «أخبار العالم الإسلامي».

(٥٧٧) مجلة «البعث الإسلامي».

(٥٧٨) جريدة «الفجر».

(٥٧٩)مجلة «أكتوبر».

(٥٨٠) تقرير رابطة العالم الإسلامي.

(٥٨١) جريدة «المدنية».

(٥٨٢) جريدة «عكاظ».

(٥٨٣) جريدة «الشرق الأوسط».

(٥٨٤)شريط كاسيت لعائض القرني.

(٥٨٥) شريط كاسيت لسلمان العودة عن أوضاع المسلمين في البوسنة والهرسك.

* * *

فهرس الموضوعات

فهرس موضوعات المجلد الرابع

الموضوع الصفحة

وهل يخفى القمر؟!.. الثناء على رسول اللّه ﷺ

من أكابر مفكِّري الغرب ٢٢٧ ـ ٤٤٥

ذبُّ الشعراء عن سيد الأنبياء ﷺ (إلاَّ رسول اللَّه ﷺ) ٥٩٣ ـ ٧٢٤